مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

محمد تقي النقوي القايني

مكتبة الروضة الحيدرية
www.haydarya.com

مفتاح السّعادة
فى
شرح نهج البلاغة

المجلد الرابع عشر

لِمُؤلّفه سيد محمد تقى النّقوى

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ١٠٧٥٩٦
التاريخ / ١٩/٨/١١ ك

قائم
انتشارات قائم

نقوی قائنی، محمد تقی، ۱۳۰۸ -
مفتاح السعادة فی شرح نهج البلاغه [علی بن ابی‌طالب علیه السلام] تألیف محمد تقی نقوی القائنی.- تهران: قائن، ۱۳۸۳.
ج ۱۴ .
ISBN - SET : 964 - 94687 - 5 - 7: (دوره).
ISBN : 964 - 8981 - 04 - 3: (ج ١٤).
فهرست‌نویسی بر اساس اطلاعات فیپا.
عربی.
کتابنامه.
۱. علی‌بن ابی‌طالب علیه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ٤٠ ق. - نهج البلاغه - نقد و تفسیر. ۲. علی‌بن ابی‌طالب علیه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ٤٠ ق. - کلمات قصار. ۳. علی‌بن ابی‌طالب علیه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ٤٠ ق. - خطبه‌ها. الف. علی بن ابی‌طالب علیه السلام، ۲۳ قبل از هجرت - ٤٠ ق. - نهج البلاغه. شرح. ب. عنوان. ج. عنوان: نهج البلاغه. شرح.

BP۳۸/۰۲/ن۷ ۲۹۷/۹۵۱۵
۱۳۸۳
کتابخانه ملی ایران م۸۳-۳٤۵۷۱

مفتاح السعادة فی شرح نهج البلاغة - المجلد الرابع عشر

المؤلف: محمد تقی نقوی قائنی
الكمية: ۱۰۰۰
الطبعة: الاولی
تاريخ الطبع: ۱۳۸٤ ش. - ١٤٢٦ ق.
تنسيق الصفحات: نشرقائن - ٨-٤٤٤٦٥٢٧
ليتوغرافی: نوين
المطبعة: زنبق
انتشارات: قائن
تهران: شارع جنت‌آباد. هاتف: ۸-۴۴۴۴۶۵۲۷

جميع الحقوق محفوظة للناشر

با مشارکت و حمایت معاونت امور فرهنگی وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی
شابک: ۳ - ٠٤ - ۸۹۸۱ - ٩٦٤ ISBN : 964 - 8981 - 04 - 3
شابک دوره: ۷ - ۵ - ٩٤٦٨٧ - ٩٦٤ ISBN-SET : 964 - 94687 - 5 - 7

ومن خطبةٍ له عليه السلام (٢١٠)

□ قوله عليه السلام: وَكَانَ مِن اقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ وَبَدِيعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ اَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّاخِرِ الْمُتَرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ يَبَساً جَامِداً ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ اَطْبَاقاً فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْدَ اِرْتِتَاقِهَا فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ وَقَامَتْ عَلَىٰ حَدِّهِ وَاَرْسَىٰ اَرْضاً يَحْمِلُهَا الأَخْضَرُ الْمُثْعَنْجِرُ وَالْقَمْقَامُ الْمُسَخَّرُ قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ وَاَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ وَوَقَفَ الْجَارِي مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ وَجَبَلَ جَلاَمِيدَهَا وَنُشُوزَ مُتُونِهَا وَاَطْوَادِهَا فَأَرْسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا وَاَلْزَمَهَا قَرَارَتِهَا فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِي الْهَوَاءِ وَرَسَتْ أُصُولُهَا فِي الْمَاءِ فَاَنْهَدَ جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا وَاَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا وَمَوَاضِعِ اَنْصَابِهَا فَاَشْهَقَ قِلاَلَهَا وَاَطَالَ أَنْشَازَهَا وَجَعَلَهَا لِلْاَرْضِ عِمَاداً وَاَرَّزَهَا فِيهَا اَوْتَاداً فَسَكَنَتْ عَلَىٰ حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا اَوْ تَسِيخَ بِحِمْلِهَا أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا وَاَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَاداً وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشاً فَوْقَ بَحْرٍ لُجِّيٍّ رَاكِدٍ لاَ يَجْرِي وَقَائِمٍ لاَ يَسْرِي تُكَرْكِرُهُ الرِّيَاحُ الْعَوَاصِفُ وَتَمْخُضُهُ الْغَمَامُ الذَّوَارِفُ اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ.

◁ اللغة

(الجَبَرُوت) من الجَبْر القَهر (الزَّاخِرِ) من زَخَر البحر أي إمتلأ (المُتَقَاصِفِ) المُتزاحم (يَبَساً) اليَبَس بالتّحريك اليابس (فَطَر) أوجَدَ (فَفَتَقها) الفَتق ضدّ

الرتّق (أَرسىٰ) أَحكَمَ (المُثَعنجَر) بفتح الجيم مُعظم البحر (الْقَمْقَامُ) بفتح القاف البَحر (الجلاميد) جمع جُلمُود وهو الصَّخرة (نُشُوزَ) جمع نَشْز بسكون الشّين وفتحها وفتح النّون ما إرتفع من الأرض (مُتُونِهَا) المتُون جمع مَتْن ما صلب منها وأرتفع (اَطْوَادِهَا) الأطواد العظام فأنّ الطّود الجَبَل العَظيم (قَرَارَتِهَا) القرارة موضع القرار (رَسَت) أي ثَبَتَت (فَانْهَدَ) أي إرتفع (انْصَابِهَا) الأنصاب جمع نُصُب بضّمتين وهو ما جَعل عَلماً (أشهَقَ) أي جَعَلها شاهقة بعيدة الإرتفاع (قِلاَلَهَا) بكسر القاف جمع قُلّة بضّم القاف وهي أعلىٰ الجَبَل (أَنْشَازَهَا) أي مُتُونها المرتفعة:

(ارَّزَهَا) أي أُثبَتها (تَمِيدَ) أي تَضطرب (تَسِيخَ) أي تَغوص (تُكركُره)تذهب به وتَعُود:

◁ المعنىٰ

(وَكَانَ مِن اقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ) وقَهره (وَبَدِيعِ) وعجيب (لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ) وخَلقه (اَنْ جَعَلَ) اللّه تعالىٰ (مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّاخِرِ الْمُتَرَاكِمِ) المجتمع (الْمُتَقَاصِفِ) المُتراحم (يَبَساً جَامِداً ثُمَّ فَطَرَ) وخَلَق (مِنْهُ) من اليَبَس الجامد (اَطْبَاقاً) طبقةً طبقة (فَفَتَقَهَا) أي فَتَق الأطباق (سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْدَ اِرْتِتَاقِهَا) أي بعد كونها مُلتصقة (فَاسْتَمْسَكَتْ) أي إحتَسَبت وقامت (بِأَمْرِهِ) بأَمر اللّه تعالىٰ (وقامت) بالسّموات (عَلَىٰ حَدِّهِ) الّذي جعله اللّه لها (وَاَرْسَىٰ) وأَحكَم (اَرْضاً يَحْمِلُهَا) أي يحمل الأرض (الأَخْضَرُ الْمُثْعَنْجِرُ) أي ماء البحر السّائل (وَالْقَمْقَامُ) أي البحر (الْمُسَخَّرُ) تحت أمره (قَدْ ذَلَّ) وتواضع (لِأَمْرِهِ) تعالىٰ (وَاَذْعَنَ) وخَضَع (لَهيبته) وجلاله (وَوَقَفَ الْجَارِى مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ) وخوفه (وَجَبَلَ) وخَلق (جَلاَمِيدَهَا) وصُخورها (وَنُشُوزَ مُتُونِهَا وَاَطْوَادِهَا) أي مرتفعات صلبتها وجبالها (فَأَرْسَاهَا) وأثبتها (فِي مَرَاسِيهَا) ومحالّها (وَاَلْزَمَهَا قَرَارَتِهَا) أي أمسكها حيث إستَقرت (فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِى الْهَوَاءِ) في الأرتفاع (وَرَسَتْ) وثبتت (اُصُولُهَا فِى الْمَاءِ فَاَنْهَدَ) وإرتفع (جِبَالَهَا) جبال الأرض (عَنْ سُهُولِهَا)

عن أراضيها المطمئنة (وَاَسَاخَ قَوَاعِدَهَا) أي غيّب (فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا) قواعد الجبال (وَمَوَاضِعِ انصَابِهَا) وأعلامها (فَاشْهَقَ قِلاَلَهَا) أي جعل قِلالها مُرتفعة (وَاَطَالَ أَنْشَازَهَا) أي مَدَّ متونها المُرتفعة (وَجَعَلَهَا) أي الجبال (لِلْاَرْضِ عِمَاداً) تعتمد عليها (وَاَرَّزَهَا) أي أثبت الجبال (فِيهَا) في الأرض (اَوْتَاداً) أي جَعلها لها بمنزلة الأوتاد (فَسَكَنَتْ) الأرض (عَلَىٰ حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ) وتضطرب (بِأَهْلِهَا) فصارت مُستقرة (اوْ تَسِيخَ) وتغوص في الماء مع أهلها (أَوْ تَزُولَ) الأرض (عَنْ مَوَاضِعِهَا) الّتي وُضعت فيها (فَسُبْحَانَ مَنْ اَمْسَكَهَا) أي أمسك الأرض (بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا وَاَجْمَدَهَا) أي أجمَد الأرض (بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا) وجوانبها (فَجَعَلَهَا) أي جَعَل اللّه الأرض (مِهَاداً) لِلخلق (وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشاً فَوْقَ بَحْرٍ لُجِّيٍّ رَاكِدٍ) لأنّ الأرض علىٰ الماء (لاَ يَجْرِي وَقَائِمٍ لاَ يَسْرِي) أي ثابت لا يزول عن مكانه (تُكَرْكِرُهُ) وتردّده (الرِّيَاحُ الْعَوَاصِفُ) الشّديدة (وَتَمْخُضُهُ) وتحركه (الْغَمَامُ) والسّحاب (الذَّوَارِفُ) المواطر (اِنَّ فِي ذٰلِكَ) الخلق (لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ) ربّه:

◁ الشّرح

▫ قوله ﷺ: وَكَانَ مِن اقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ وَبَدِيعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ اَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّاخِرِ الْمُتَرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ يَبَساً جَامِداً...

إعلم: أنّ هذه الخُطبة أنشأها في كَيفيّة خَلق السّمٰوات والأرض وقد مَرّ الكلام فيها في الخُطبة الأولىٰ مفّصلاً ومع ذلك نتكلّم فيها بحَسَب إقتضاء المقام ونذكر فيها ما فَهمناه زائداً علىٰ ما ذكرناه هناك فنقول.

معنىٰ الكلام أنّ اللّه تعالىٰ بمقتضىٰ قُدرته المُطلقة المُستطيلة علىٰ كلّ شيْ وجَبَروته الّتي قَهر بها علىٰ كلّ شيْ وبديع صنعته الّتي وسعت كلّ شيْ قد جَعَل من ماءِ البحر الزّاخر المُرتفع المُمتلئ المُتراكم المُتقاصف الّذي إجتمع بعضه فوق بعضٍ وتزاحمت أمواجه وإشتّد صَوته يَبَساً جامداً:

قال المعتزلي أراد أن يقول ﷺ: (وكان من إقتداره) فقال (**وكان من إقتدار جَبَرُوته**) تعظيماً وتفخيماً كما يقال للملِك أمرت الحضرة الشّريفة بكذا انتهى أقول ليس الأمر كما ذكره بل إضافة الإقتدار الىٰ الجَبَرُوت للدّلالة علىٰ أنّ هذه القُدرة كانت ناشئة عن جَبرُوته وهَيبته كما ورد في الأخبار أنّه تعالىٰ نَظَر اليه نظر الهَيبة وقال الشّارح الخوئي في تفسير قوله ﷺ: **يَبَساً جامداً**، أراد به الأرض فانّه سبحانه خلقها من زبد الماء:

أقول: لازم ما ذكره هو أنّ الأرض خُلقت قبل السّماء مع أنّه يستفاد من الأخبار عكس ذلك هذا **أوّلاً**:

وثانياً: أنّ هذا التّفسير لا يساعد قوله ﷺ على ما في نسخة الشّارح المعتزلي وغيرها (وأرسىٰ أرضاً) بعد قوله ﷺ علىٰ هذه فأنّه صَريح في أنّ خلق الأرض بعد خلق السّماء كما ستعرف الكلام فيه وكيف كان فلا خلاف بينهم حَسب الآيات والأخبار أنّ المادّة الأصليّة في خلق العالم هي الماء وكلامه ﷺ في المقام يصّرح به وفي الخطبة الأُولىٰ أيضاً قال ﷺ به حيث قال ما جرىٰ فيها ماءً مُتلاطماً تأثيره مُتراكماً زخّاره الىٰ آخر كلامه ويدّل عليه:

ما رواه في البحار بأسناده عن محمّد بن عطيّة قال أتىٰ رجل من أهل الشّام الىٰ أبي جعفر وقال يا أبا جعفر جئت أسألك عن مسئلة قد أَعيت عَلّي أن أجد أَحداً يفّسرها وقد سألت عنها ثلاثة أصناف من النّاس فقال كلّ صِنفٍ منهم شيئاً غير الّذي قال الصّنف الآخر فقال له أبو جعفر ما ذاك قال فأنّي أسألك عن أوّل ما خلق اللّه من خلقه فأنّ بعض ما سألته قال القَدَر وقال بعضهم القَلم وقال بعضهم الرّوح فقال أبو جعفر ﷺ ما قالوا شيئاً أَخبرك أنّ اللّه تعالىٰ كان ولا شيَ غيره وكان عزيزاً ولا أَحَد كان قبل عزّه وذلك قوله سبحانه:

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [1] وكان الخالق قبل المخلوق ولو كان أوّل ما خلق من خلقه الشّيئ من الشّيئ اذا لم يكن له إنقطاع أبداً ولم يزل اللّه إذاً ولا شيئ ليس هو يتّقدمه ولكنّه كان إذ لا شيئ غيره وخلق الشّيئ الّذي جميع الأشياء منه وهو الماء الّذي خلق الأشياء منه فَجَعل نَسب كلّ شيئٍ الىٰ الماء ولم يَجعل للماء نَسباً له يضاف اليه وخلق الرّيح من الماء ثمّ سلّط الرّيح علىٰ الماء فشقّقت الرّيح متن الماء حتّىٰ ثار من الماء زَبد علىٰ قدر ما شاء أن يَثُور فَخلق من ذلك الزّبد أرضاً بيضاء نقّية ليس فيها صدع ولا نقب (ثقب) ولا صعود ولا هبُوط ولا شجرة ثمّ طواها فوضعها فوق الماء ثمّ خلق اللّه النّار من الماء فَشقّقت النّار متن الماء حتّىٰ سار من الماء دخان علىٰ قدر ما شاء اللّه أن يثور فخلق من ذلك الدّخان سماء صافية نقّية ليس فيها صدع ولا نقب وذلك قوله: ﴿أَمِ السَّمٰاءُ بَنٰيهٰا، رَفَعَ سَمْكَهٰا فَسوّٰيهٰا، وَأَغْطَشَ لَيْلَهٰا وَأَخْرَجَ ضُحٰيهٰا﴾ [2] قال ولا شمس ولا قمر ولا نجوم ولا سحاب ضمّ طولها فوضعها فوق الأرض...

ثمّ نَسب الخليقتين فرفع السّماء قبل الأرض فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَالْاَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحٰيهٰا﴾ يقول بَسَطها قال فقال له الشّامي يا أبا جعفر قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضَ كٰانَتٰا رَتْقاً فَفَتَقْنٰاهُمٰا﴾ [3] فقال له أبو جعفر فَلعلك تزعم أنّهما كانتا رتقاً مُلتزقتين مُلتصقتين فَفتقت أحديهما من الأُخرىٰ فقال نعم فقال أبو جعفر إستغفر ربّك فأنّ قول اللّه عزّ وجل كانتا رتقاً يقول كانت السّماء رتقاً لا تنزل المَطَر وكانت الأرض رتقاً لا تَنبت الحَبّ فلّما خلق اللّه الخلق وبثّ فيهما من كلّ دابّةٍ فَفتق السّماء بالمطر والأرض بنبات الحَبّ فقال الشّامي أشهد أنّك من ولد الأنبياء وأنّ علمك علمهم انتهىٰ «ج ١٤ ص ٢٣»...

١- الصافات- ١٨٠
٢- النازعات - ٢٩=٢٧
٣- الانبياء - ٣٠

قال المعتزلي أراد أن يقول ﷺ: **(وكان من إقتداره)** فقال **(وكان من إقتدار جَبَرُوته)** تعظيماً وتفخيماً كما يقال للملِك أمرت الحضرة الشّريفة بكذا انتهىٰ أقول ليس الأمر كما ذكره بل إضافة الإقتدار الىٰ الجَبَرُوت للدّلالة علىٰ أنّ هذه القُدرة كانت ناشئة عن جَبرُوته وهَيبته كما ورد في الأخبار أنّه تعالىٰ نَظَر اليه نظر الهَيبة وقال الشّارح الخوئي في تفسير قوله ﷺ: **يَبَساً جامداً**، أراد به الأرض فانّه سبحانه خلقها من زبد الماء:

أقول: لازم ما ذكره هو أنّ الأرض خُلقت قبل السّماء مع أنّه يستفاد من الأخبار عكس ذلك هذا **أوّلاً**:

وثانياً: أنّ هذا التّفسير لا يساعد قوله ﷺ على ما في نسخة الشّارح المعتزلي وغيرها (وأرسىٰ أرضاً) بعد قوله ﷺ علىٰ هذه فأنّه صَريح في أنّ خلق الأرض بعد خلق السّماء كما ستعرف الكلام فيه وكيف كان فلا خلاف بينهم حَسب الآيات والأخبار أنّ المادّة الأصليّة في خلق العالم هي الماء وكلامه ﷺ في المقام يصّرح به وفي الخطبة الأُولىٰ أيضاً قال ﷺ به حيث قال ما جرىٰ فيها ماءً مُتلاطماً تأثيره مُتراكماً زخّاره الىٰ آخر كلامه ويدّل عليه:

ما رواه في البحار بأسناده عن محمّد بن عطيّة قال أتىٰ رجل من أهل الشّام الىٰ أبي جعفر وقال يا أبا جعفر جئت أسألك عن مسئلة قد أَعيت عَلَّي أن أجد أَحداً يفّسرها وقد سألت عنها ثلاثة أصناف من النّاس فقال كلّ صِنفٍ منهم شيئاً غير الّذي قال الصّنف الآخر فقال له أبو جعفر ما ذاك قال فأنّي أسألك عن أوّل ما خلق اللّه من خلقه فأنّ بعض ما سألته قال القَدَر وقال بعضهم القَلم وقال بعضهم الرّوح فقال أبو جعفر ﷺ ما قالوا شيئاً أَخبرك أنّ اللّه تعالىٰ كان ولا شئ غيره وكان عزيزاً ولا أَحَد كان قبل عزّه وذلك قوله سبحانه:

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١) وكان الخالق قبل المخلوق ولو كان أوّل ما خلق من خلقه الشّيّ من الشّيّ اذا لم يكن له إنقطاع أبداً ولم يزل اللّه إذاً ولا شيّ ليس هو يتّقدمه ولكنّه كان إذ لا شيّ غيره وخلق الشّيّ الّذي جميع الأشياء منه وهو الماء الّذي خلق الأشياء منه فَجَعل نَسب كلّ شيٍّ الىٰ الماء ولم يَجعل للماء نَسباً له يضاف اليه وخلق الرّيح من الماء ثمّ سلّط الرّيح علىٰ الماء فشققت الرّيح متن الماء حتّىٰ ثار من الماء زَبد علىٰ قدر ما شاء أن يَثُور فَخلق من ذلك الزّبد أرضاً بيضاء نقّية ليس فيها صدع ولا نقب (ثقب) ولا صعود ولا هبُوط ولا شجرة ثمّ طواها فوضعها فوق الماء ثمّ خلق اللّه النّار من الماء فَشققت النّار متن الماء حتّىٰ سار من الماء دخان علىٰ قدر ما شاء اللّه أن يثور فخلق من ذلك الدّخان سماء صافية نقّية ليس فيها صدع ولا نقب وذلك قوله: ﴿أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا، رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا، وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ (٢) قال ولا شمس ولا قمر ولا نجوم ولا سحاب ضمّ طولها فوضعها فوق الأرض...

ثمّ نَسب الخليقتين فرفع السّماء قبل الأرض فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ يقول بَسَطها قال فقال له الشّامي يا أبا جعفر قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ (٣) فقال له أبو جعفر فَلعلك تزعم أنّهما كانتا رتقاً مُلتزقتين مُلتصقتين فَفتقت أحديهما من الأُخرىٰ فقال نعم فقال أبو جعفر إستغفر ربّك فأنّ قول اللّه عزّ وجل كانتا رتقاً، يقول كانت السّماء رتقاً لا تنزل المَطَر وكانت الأرض رتقاً لا تَنبت الحَبّ فلّما خلق اللّه الخلق وبثّ فيهما من كلّ دابّةٍ فَفتق السّماء بالمَطر والأرض بنبات الحَبّ فقال الشّامي أشهد أنّك من ولد الأنبياء وأنّ علمك علمهم انتهىٰ «ج ١٤ ص ٢٣»...

١- الصافات- ١٨٠

٢- النازعات- ٢٩=٢٧

٣- الانبياء- ٣٠

وأيضاً بأسناده عن مُحمّد بن مُسلم قال قال لي أبو جعفر ﷺ كان كلّ شيءٍ ماء وكان عَرشه علىٰ الماء فأَمَر اللّه عزّ وجلّ الماء فإضطرم ناراً ثمّ أمَر النّار فَخَمدت فإرتَفَع من خمودها دخان فخلق اللّه السّمٰوات من ذلك الدّخان وخَلَق الأرض من الرّماد الحديث « ص ٢٣»...

أقول: الأخبار في الباب مُتظافرة مختلفة يستفاد من بعضها أنّ خلق الأرض قبل السّماء ومن بعض آخر أنّ خلق السّماء قبل الأرض أمّا في أنّ السّماء والأرض وما بينهما خلقت من الماء فلا إختلاف فيها ظاهراً ويدّل عليه قوله تعالىٰ: **﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْئٍ حَيٍّ﴾** (١) وقوله: **﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ﴾** (٢) وهذا مِمّا لا كلام فيه إلّا أنّ بعض الأخبار يدّل علىٰ أنّ أوّل المخلوق العقل وبعض آخر اللّوح ومن بعضٍ آخر النّور وفي بعضٍ آخر رُوح نبيّنا وهكذا فكيف الجمع بينهما هذا **أوّلاً:**

وثانياً: أنّ الماء الّذي هو أصل الأشياء من أيّ شيءٍ خُلق وعلىٰ أيّ شيءٍ كان إذ المفروض عَدم وجود الأرض والماء جسم وكلّ جسمٍ يَحتاج الىٰ المكان والمكان للجسم ليس إلّا الجسم:

وثالثاً: أنّ من الموجودات المُجّردات كالعقُول والنّفُوس والملائكة وغيرها فهل يمكن أن يقال أنّها خُلقت من الماء فهذه الإشكالات وغيرها صارت مُوجبة لِحيرة القَوم فلم يَتّمكنوا من حلّ الإشكال ولم يقدروا من التّخلص عنه فصارت عقُولهم صَرعىٰ وأفكارهم مُضطربة مُتشتة ولأجل ما ذكرناه لم تجد لاحداً من العلماء من المُتقدمين والمُتأخّرين تحقيقاً يُشبعك وجمعاً بين هذه الأخبار يُغنيك ويكفيك ويُخلصك من هذه الوَرطة ونحن أيضاً مثلهم وقد تَكلّمنا في هذا البحث عند شرحنا للخطبة الأولىٰ وذكرنا هناك أقوال الفلاسفة في الجمع بين الأخبار وقلنا هناك ونقول في المقام أنّ ما ذكروه أيضاً لا يُعتمد

١- سالانبياء-٣٠ ٢- هود- ٧

عليه فأنّ حَمل الماء في الأخبار علىٰ العقل الأوّل من جهة سريانه وإنبساطه وكونه مُوجباً لحياة الموجود بعيد جدّاً ومع ذلك فلنا في المقام تحقيق آخر خَطر ببالنا لم نذكره في الخُطبة الأولىٰ نذكره لك في المقام ولا أقول أنّه حقّ لا مِرية فيه بل أقول أنّه ممّا خطر ببالي القاصر وفكري العليل وذَنبه عَلّي فأقول:

الموجودات في عالم الوجود مادّية وغير مادّية ونعني بالأوّل ماوجد عن مادّةٍ وبالثّاني ما ليس كذلك ونُعبّر عن القسم الأوّل بالعُنصريات وعن الثّاني بالمُجّردات ووجه التّسمية معلوم من الإسم إذا عرفت هذا فنقول أمّا العُنّصريات من السّموات والأرض وما بينهما من الخلق فلا شكّ في كونهما مخلوقة عن مادّة لا محالة وهي الماء وأمّا المُجّردات فلا يعقل كونها كذلك إذ لو كانت لها مادّة أيّ مادّةٍ كانت يلزم خروجها عن التّجرّد وهو ظاهر والأخبار الدّالة علىٰ أنّ الماء أصل الأشياء لا تدّل علىٰ أكثر ممّا ذكرناه وكذلك الآيات فقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْئٍ حَيٍّ﴾ [1] وأن كان مصّرحاً بأنّ الماء أصل الأشياء والأشياء جمع الشّئ وهو من الأمُور العامّة الّتي يطلق علىٰ كلّ موجود إلّا أنّ الشّئ له إطلاقان:

أحدهما: المفهوم الإنتزاعي المصدري الّذي ينتزع عن الموجود ويحمل عليه فيقال هذا شئ وهو بهذا المعنىٰ ليس من الأمور المُتأصلّة الحقيقة الّتي يحكم عليها إذ وجوده يدور مدار مَنشأ إنتزاعه وثانيهما المَهيه المتّصفة بالوجود وبعبارةٍ أُخرىٰ المَشّئ وجوده وهو المَهيّة والفرق بين الإطلاقين أنّ الذّات أعني بها المَهيّة والحقيقة معتبرة فيه علىٰ الثّاني وغير معتبرة علىٰ الأوّل وهذا مثل الموجود فأنّه تارة يطلق ويراد به المفهوم العامّ البديهي المصّدري الّذي ينتزع عن مقام الذّات وهو بهذا المعنىٰ زائد علىٰ جَميع المَاهيات عند جميع الفلاسفة:

١- الانبياء - ٣٠

وأخرىٰ يطلق ويراد به الوجود الخاصّ الّذي به موجّودية الشّيْ وقد يُعبّر عنه بحقيقة الوجود التّي حثيت ذاتها الأباء عن العدم كالوجود الواجبي ولهذا إذا قلنا أنّ اللّه تعالىٰ موجود معناه أنّه حقيقة الوجود وصرف النّور أو بَحتُ الوجود الّذي هو عين الوحدة الحقّة والهّوية الشّخصية، وأمّا إذا قلنا زيد موجود أو السّماء موجودة والأرض موجودة وهكذا في جميع المُمكنات معناه أنّ له مهّية متّصفة بالوجُود إذ كلّ مُمكنٍ زوج تركّيبي له ماهّيته ووجُود فهو عارض علىٰ المّاهية زائد عليها في المُمكن وعين الذّات في الواجب مع أنّ لفظ الموجود يطلق علىٰ الواجب والمُمكن، والشّيْ أيضاً كذلك لأنّه مُساوق للوجود كما قال السّبزواري قد ساوق الشّيْ لَدينا آيساً، والأَيس الوجود وقد فَسّر الشّيْ في الشّرح بالمّهية، فإذا قلنا أنّ اللّه تعالىٰ شيْ من الأشياء ليس معناه أنّه مهّية من الماهّيات وأمّا إذا قلنا زيد شيْ معناه أنّه مهّية من الماهّيات الموجودة وبعد ما ذكرناه وحققّناه لك فقد عرفت أنّ إطلاق الشّيْ غير حَقّيقته فإذا قيل الأشياء كذلك ليس معناه أنّ كلّ ما يطلق عليه الشّيْ فهو داخل في الحكم لما ذكرناه من أنّ الشّيئية من الأمور العامّة التّي تطلق علىٰ كلّ موجود ذهنّي أو خارجي سواء كان الوجود عين ذاته أو زائداً عليها إذ لو كان كذلك تلزم منه المحاذير التّي لا يمكن التّخلص منها.

مثلاً إذا قلنا كلّ شيْ أمّا واجب أو مُمكن، فالواجب شيْ فهو أمّا واجب أو مُمكن وليس كذلك أو نقول كلّ شيْ أمّا جوهر و امّا عَرض والوجب شيْ وليس بجوهرٍ ولا بَعَرض.

وقد وَرد في الدّعاء اللّهم أنّي أسألك من قُدرتك بالقُدرة التّي إستطلت بها علىٰ كلّ شيْ، ومن المعلوم أنّ اللّه أيضاً يطلق عليه الشّيْ فيلزم أن يكون مقهوراً تحت قُدرته وهكذا ما نحن فيه أيضاً من هذا القبيل فقوله تعالىٰ ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، ليس معناه أنّ كلّ ما يطلق عليه الشّيْ فَحياته

من الماء وإلّا يلزم أن تكون حياة الواجب تعالىٰ أيضاً منه لأنّ الشّيَ يطلق عليه بل معناه إنّا جعلنا الموجودات الّتي لها مادّة من الماء فحياتها منه وأمّا الّذي لا نحتاج الىٰ المادّة فلا كالمُجّردات فخروجها عن العموم أمّا بالتّخصيص أن قلنا به في العقّليات أو بالتّخصّص أن لم نقل به فيصير معنىٰ الآية وجعلنا من الماء كلّ شئ من المادّيات والعُنّصريات الّتي تحتاج في وجودها وبقاء وجودها الىٰ المادّة حيّاً به ولازم ذلك كون الوجود والإيجاد في المُجّردات عنها طَوراً آخر لا كلام لنا فعلاً فيه:

واذا أَثبَت كون الماء أصلاً فيها فلِقائل أن يقول أنّ الماء أيضاً عُنصر من العُنّصريات ومادّة من المّواد وحكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحد من أيّ شئٍ خلق:

والجواب أمّا أوّلاً: فأنّ الماء مادّة أصّلية علىٰ هذا الفَرض للمادّيات فهو مخلوق لا من شئ دفعاً للتّسلسل كما ورد أنّ اللّه خلق الأشياء بالمّشية والمّشية بنفسها:

وثانياً: أنّ الماء خلق من الدُرّة وهي الّتي صارت ماءً من هَيبة اللّه وذلك لما ورد عن ابن عبّاس عن أمير المؤمنين ﷺ قال انّ اللّه تعالىٰ أوّل ما خلق الخلق خلق نوراً إبتدع من غير شئٍ ثمّ خَلَق منه ظلمة وكان قديراً أن يَخلق الظّلمة لا من شئٍ كما خلق النّور من غير شئٍ ثمّ خلق من الظّلمة نُوراً وخلق من النّور ياقوتة غلظها كغلظ سبع سموات وسبع أرضين ثمّ زجر الياقوتة فماعَت لَهيبته فصارت ماءً مرتعداً ولا يزال مرتعداً الىٰ يوم القيٰمة ثمّ خلق عرشه من نوره وجعله علىٰ الماء الحديث «بحار الانوار ج ١٢ ص ٢١»...

وروي عن مُحّمد بن عمران العجل قال قلت لأبي عبد اللّه أيّ شئٍ كان موضع البيت حيث كان الماء في قول اللّه عزّ وجلّ وكان عرشه علىٰ الماء قال كانت مهلة بيضاء يعني درّة انتهىٰ «ص ٧٢»...

وعن المناقب سُئل مصباح الهُدىٰ ما أَصل الماء قال الماء حيّ خشية اللّه انتهىٰ « ص ٦١»...

والّذي حَصل لنا في المقام أنّ السّموات والأرض وما فيهما خُلقت من الماء وأمّا كيفية خلقها منه فقد ذكرها عليه السلام في الخطبة الأولىٰ بوجه أبسط حيث قال هناك ثمّ أنشأ سُبحانه فَتق الأجواء وشقّ الأرجاء وسكائك الهواء فأجرىٰ فيها ماءً متلاطماً تيّاره مُتراكماً زخّاره حَمَله علىٰ متن الرّيح العاصفة والزّعزع القاصفة الىٰ آخر كلامه.

وقد شرحناه هناك فلا يفيد الكلام بذكره ثانياً أن شئت فَراجعه.

▫ قوله عليه السلام: **ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ اَطْبَاقاً فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْدَ اِرْتِتَاقِهَا فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ وَقَامَتْ عَلَىٰ حَدِّهِ...**

أصل الفطر الشّق طولاً وهو أي الشّق قد يكون علىٰ سبيل الصّلاح وهو في المقام من الثّاني والمعنىٰ أنّ اللّه تعالىٰ بعد ما أَوجَد اليَبَس الجامد من ماء البحر الزّاخر فَطَر وشَّق اليَبَس أطباقاً أي جَعله طبقةً فوق طبقة كما قال في كتابه: **﴿اذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ﴾** (١)

و: **﴿الَّذي خَلَقَ اللّٰهُ سَبْعَ سَمٰوٰاتٍ طِباقاً﴾** (٢)

و: **﴿اَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللّٰهُ سَبْعَ سَمٰوٰاتٍ طِباقاً﴾** (٣)

وقوله عليه السلام: **فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْدَ اِرْتِتَاقِهَا**، أصل الفَتق الفَصل بين المتّصلين وهو ضِدّ الرّتق والمعنىٰ أنّه تعالىٰ فَتق السّموات بعد رَتقها وذلك لأنّها كانت متّصلة وفيه إشارة الىٰ قوله تعالىٰ حيث قال: **﴿اَوَلَمْ يَرَا الَّذينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما﴾** (٤)

هذا ويظهر من الأخبار أنّ المراد بالفَتق والرّتق في الآية فَتق السّماء بالمَطر وفَتق الأرض بالنّبات كما ورد أنّ الأبرَش المُلحد سأل الصّادق عليه السلام عن قوله

١- الانفطار ـ ١
٢- الملك ـ ٣
٣- نوح ـ ١٥
٤- الانبياء ـ ٣٠

تعالى:﴿**أَوَلَمْ يَرَا الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ فأجابه عليه السلام عمّا سأله وقال في آخر الحديث وكانت السّماء خضراء على لون الماء العَذْب وكانتا مرتوقتين ليس لهما أبواب ولَم يكن للأرض أبواب وهو النّبت ولم تمطر السّماء عليها فَتنبت فَفتق السّماء بالمَطر وفَتق الأرض بالنّبات وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿**أَوَلَمْ يَرَا الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا**﴾(1)

أقول لا مُنافاة بين ما ورد في تفسير الآية وما ورد في كلام أمير المؤمنين عليه السلام في المقام وذلك لأنّ الفتق والرّتق في الآية ما ذكره الصّادق عليه السلام وفي المتن ما ذكره أمير المؤمنين فأنّ الفتق والرّتق يطلقان على كلا المَعنيين بل لا يبعد أن يكونا على معناهما المُصطلح في عرف أهل اللّغة حقيقة وعلى الأمطار والأنبات مجاز فأنّ الفتق في أصل اللّغة الفصل بين المتّصلين كما مرّ:

والحاصل أنّ اللّه تعالى فَتقها أي فَصلها بعد إتّصالها وجَعلها سَبعة وقوله عليه السلام: **فإستَمسكت** أي فإستمسكت السّموات بعد الفتق بأَمره تعالى وقامت على حدّه من غير عَمدٍ ترونها وفيه إشارة الى قوله تعالى:﴿**وَ مِنْ ءايٰاتِهِ اَنْ تَقُومَ السَّمٰاءُ وَالْاَرْضُ بِاَمْرِهِ**﴾(2)

و : ﴿**اللّٰهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمٰوٰاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهٰا**﴾(3)

و : ﴿**خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهٰا**﴾(4) .

▫ **قوله عليه السلام: وَاَرْسَىٰ اَرْضاً يَحْمِلُهَا الْأَخْضَرُ الْمُثْعَنْجِرُ وَالْقَمْقَامُ الْمُسَخَّرُ...**

قد قلنا أنّ قوله عليه السلام: (وأرسىٰ أرضاً) ليس في بعض النّسخ ولهذا لم يذكره الخوئي في نسخته وأثبته الشّارح المعتزلي والحقّ إثباته وإلّا يلزم عود الضّمير في قوله عليه السلام: (ويحملها) وهكذا في قوله وجَبل جلاميدها ونشوز مُتونها الىٰ آخر ما قال الىٰ السّماء و هو كما ترىٰ فأنّ الجبال في الأرض لا في السّماء

١- الانبياء- ٣٠
٢- الروم- ٢٥
٣- الرّعد- ٢
٤- لقمان- ١٠

وقول الخوئي في الشّرح أي يَحمل الأرض المُستفاد من اليَبَس ماء البحر، ليس بشيْ إذ لا يستفاد من اليبس الأرض أصلاً وهو ظاهر:

وعلىٰ ما ذكرناه معنىٰ العبارة أنّ اللّه تعالىٰ خلق من اليَبَس المخلوق من الماء السّمٰوات والأرض وفي قوله عليه السلام: أرسىٰ إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: **﴿وَهُوَ الَّذي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فيها رَواسِيَ وَاَنْهاراً﴾** (١)

و : **﴿وَ اَلقىٰ فِي الاَرْضِ رَواسِيَ اَنْ تَميدَ بِكُمْ﴾** (٢)

: **﴿وَجَعَلْنا فيها رَواسِيَ شامِخاتٍ﴾** (٣) يقال رَسَىٰ الشّئ يَرسو إذا ثَبَتَ ومنه قوله تعالىٰ: **﴿وَالجِبالَ اَرْساها﴾** (٤) والمعنىٰ أنّ اللّه تعالىٰ أرسىٰ أي أثبت أرضاً يحملها أي يَحمل الأرض الأخضر المُثعنجر أي مُعظم البحر فأنّ المُثْعَنجر بضَم الميم وسكُون الثّاء وفَتح العين وسكون النّون وفتح الجيم مُعظم البحر وبكسر الجيم هو السّائل مُطلقاً من ماء كان أو دمعٍ وفيه إشارة الىٰ أنّ الأرض علىٰ الماء وهو كذلك فأنّ كرة الأرض قد أحاطها الماء من جوانبها وأطرافها وقد ثَبت إنّا لو قسّمنا الكُرة بأربعة أجزاء فَواحد منها مُعدّ للسّكونة والزّراعة وعيش الإنسان وثلاث أجزاء منها الماء وإن شئت قلت رُبع الكُرة يابسة جامدة وثلاث أرباع منها ماء فَصّح أن يقال يحملها الأخضر المُثْعَنجر وهذا الكلام الّذي أثبَتته القواعد العلّمية والحسّية اليوم، أدّل دليلٍ علىٰ صدوره عن وصّي رسول اللّه العالم بما كان وما يكون وما هو كائن الىٰ يوم القيامة فلو لا أنّه عليه السلام كان عالماً بالحقائق فكيف أَخبر عن هذه الحقيقة في صدر الإسلام وقوله عليه السلام والقمقام المُسّخر تأكيد لقبله فأنّ القَمقام بفتح القاف وضمّها، البحر أيضاً وفي قوله عليه السلام المُسّخر إشارة الىٰ أنّ الماء علىٰ كثرته وتراكمه مُسَخرٌ لقدرته تعالىٰ كما قال في كتابه: **﴿وَهُوَ الَّذي سَخَّرَ البَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً﴾** (٥)

١- الرّعد ـ ٣
٢- النّحل ـ١٥
٣- المرسلات ـ ٣٧
٤- النّازعات ـ ٣٢
٥- النّحل ـ ١٤

□ **قوله ﷺ: قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ وَاَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ وَوَقَفَ الْجَارِى مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ...**

وَصَفَ ﷺ البحر بأمور:

أحدها: أنّه قد ذّل لأمره أي خضع وخَشع، وثانيها أنّه أَذعَن أي إنقاد لِهَيبته، **وثالثها:** وقوف الجاري منه أي من الماء لِخَشيته وخَوفه والحاصل أنّ الماء علىٰ كُثرته مقهور تحت قُدرته سواءٍ كان الماء ساكناً أم كان جارياً كـالأنهار العظيمة والسّيُول:

□ **قوله ﷺ: وَجَبَلَ جَلاَمِيدَهَا وَنُشُوزَ مُتُونِهَا وَاَطْوَادِهَا فَأَرْسَاهَا فِى مَرَاسِيهَا وَاَلْزَمَهَا قَرَارَتِهَا...**

جلاميد جمع جلمُود وهو الصّخرة الصُّلبة قال الشّاعر:

كَجُلمود صَخرٍ حَطّه السَّيل من عَلٍ، والمعنىٰ أنّ اللّه تعالىٰ بعد ما أرسىٰ الأرض وأَثبَتها علىٰ الماء خَلق جلاميدها أي صخُورها وفي التّعبير بجَبل دون خلق وأوجَد الىٰ نُكتةٍ وهي أنّ الصّخُور رُكّبت كذلك بمقتضىٰ طَبعها وجَبلَتها يقال جَبلّه اللّه علىٰ كذا.

إذا خَلقه علىٰ طبق جَبلّته وفطرته وخلق الصّخُور كذلك.

وقوله ﷺ: **ونشُوز متُونها** أي ما إرتفع من الأرض علىٰ ظهرها فأنّ النّشوز بضّم النّون والشّين جمع نَشز بفتح النّون وسكون الشّين وفتحها وهو كلّ ما إرتفع من الأرض والمتُون جمع مَتن ما صَلُب منها وإرتفع، والحاصل أنّ اللّه تعالىٰ جَعلها كذلك وقوله وأطوادها جمع طَود عطف علىٰ المتُون والطّود هو الجبل العظيم قال اللّه تعالىٰ: **﴿كالطّود العَظيم﴾** وقوله فأرسيٰها أي أرسىٰ اللّه وأثبَت هذه الجلاميد والأطواد والنّشُوز في مراسيها أي مَواضعها المَعنيّة المُقّررة لها بحسب الحكمة وألزَمها أي المذكروات قرارتها أي أمسكها حيث إستّقَرت فجَعَل كلّ واحدٍ منها في مَوضعه.

□ **قوله ﷺ: فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِى الْهَوَاءِ وَرَسَتْ اُصُولُهَا فِى الْمَاءِ فَانْهَدَ جِبَالَهَا**

عَنْ سُهُولِهَا وَاَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا وَمَوَاضِعِ اَنصَابِهَا فَاشْهَقَ قِلاَلَهَا وَأَطَالَ أَنْشَازَهَا...

وَصَف ﷺ: **الجبال بأمورٍ**، أوّلها أنّ رؤوسها مَضَت في الهواء وهو معلوم محسوس على إختلاف طولها وثانيها أنّه رَسَت وثبتت أُصولها في الماء وهذا هو المشهور وأثبتته التّجربة كما نرىٰ في القنوات الجارية حيث وَصَلت سلسلة إنشعابها الىٰ أُصول الجبال، وثالثها أنّه أنّهد جبالها أي إرتفع جبال الأرض عن سهولها أي أراضيها المُطْمئنة وبعبارةٍ أُخرىٰ قد إمتاز الجبل عن الأرض المُستوية بما ذكرناه وفيه إشارة الىٰ أنّ الجبال أيضاً كالأرض من حيث المادّة وذلك لأنّ الجبل في الحَقّيقة الأرض المُرتفعة كما قال ﷺ وأساخ قواعد الجبال وأُصولها في متُون الأرض وأعماقها ومواضع أنصابها وأعلامها فأنّ الجبال قد تشامخت من مُرتفع الأرض وصلبها وبذلك صارت في الأرض كالأعلام الّتي يُستّدل بها فلا محالة أشهق قلالها أي إرتفعت قُلل الأجبال وأطال أنشازها أي مدّ متُونها المُرتفعة في جوانب الأرض.

□ قوله ﷺ: **وَجَعَلَهَا لِلأَرْضِ عِمَاداً وَاَرَّزَهَا فِيهَا اَوْتَاداً فَسَكَنَتْ عَلَىٰ حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا اوْ تَسِيخَ بِحِمْلِهَا أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا...**

أي وجَعَل اللّه تعالىٰ الجبال لِلأرض عِماداً وأُصولاً وأرزّها أي أثبتها فيها أي في الأرض أوتاداً بأهلها أو تَسيخ أي تَغوص في الماء مع ما عليها أو تزول الأرض عن مواضعها والحاصل أنّ الجبال في الأرض أوجَبَت قرارها وسكونها وقد تكلّمنا في معنىٰ الجبال والمراد بها في الخطبة الأولىٰ مفصلاً وإعادة الكلام تُوجب الإطالة ثمّ المَلالة أن شئت فَراجع هناك.

□ قوله ﷺ: **فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا وَاَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا...**

أي فسُبحان اللّه وكلمة سُبحان نحو غُفران بضم السّين أصله مصدر ومنه

السُّبُوح وفيه معنىٰ التنّزيه والتّقديس قال اللّـه تـعالىٰ: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِيْنَ تُمْسُونَ﴾(١)

و: ﴿ سُبْحَانَكَ لاعِلْمَ لَنَا اِلاّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾(٢)

والمعنىٰ فسُبحان من أمسَك الأرض بقدرته وهو إشارة الىٰ قوله تـعالىٰ: والمعنىٰ فسُبحان من امسَك الأرض بقدرته وهو إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ اَنْ تَزُولا﴾(٣) بعد مَوجان مياهها من الإضطرار أو الغَوص في الماء بسبب الجبال وغيرها من الأسباب وأجمدها أي أجمد اللّه الأرض بعد ما لم تكن كذلك لتَصير صالحة للسّكونة والزّراعة بـعد رطـوبة أكنافها وجوانبها علىٰ ما مضىٰ شرحه.

□ قوله ﷺ: **فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَاداً وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشاً فَوْقَ بَحْرٍ لُجِّيٍّ رَاكِدٍ لاَ يَجْرِي وَقَائِمٍ لاَ يَسْرِي تُكَرْكِرُهُ الرِّيَاحُ الْعَوَاصِفُ وَتَمْخُضُهُ الْغَمَامُ الذَّوَارِفُ اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ...**

أي فأنّ اللّه تعالىٰ بقُدرته الكاملة وحكمته البالغة جعل الأرض لِخلقه مِهاداً كما قال تعالىٰ: ﴿اَلَمْ نَجْعَلِ الْاَرْضَ مِهٰاداً﴾(٤) وبَسَطها أي بَسَط الأرض لهـم فِراشا كما قال تعالىٰ: ﴿الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ فِراشاً﴾(٥) فوق بحرٍ لُجّيٍ كـثير الماء راكدٍ أي ساكن لا يجري وقائم ثابت لا يَسري عن مكانه تُكَركَره وتُرَدده الرّياح العواصف الشّديدة وتُمَخضه أي تُحَركه السّحاب المواطر، وفيه إشارة الىٰ أنّ الأمطار النّازلة علىٰ الأرض من تَكركُر الرّياح العَواصف علىٰ البـحُور وهو كذلك ألا ترىٰ أنّ المَطر في سواحل البحر والأراضي المجاورة له أكثر منه في غيرها كمّاً وكيْفاً وهذا ثابت علماً وحسّاً وقوله ﷺ أنّ في ذلك لعبرة لِمن يخشىٰ، إشارة الىٰ أنّ اللّه تعالىٰ قادر علىٰ كلّ شيٍ فهو الّذي خلق السّموات

١- الروم -١٧
٢- البقرة- ٣٢
٣- فاطر - ٤١
٤- النّساء - ٦
٥- البقرة - ٢٢

والأرض وما فيهما ثمّ أمسَكهما بقُدرته ومن كان كذلك كيف يغفل عن خلقه فعلىٰ الخلق الإعتبار ولازم ذلك الخَشية من قُدرته وقهره.

ومن خطبةٍ له عليه السلام (٢١١)

▫ قوله عليه السلام: **اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ وَالْمُصْلِحَةَ غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا فَأَبَىٰ بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ وَالْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ بِأَكْبَرِ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَسَمَاوَاتِكَ ثُمَّ أَنْتَ بَعْدُ الْمُغْنِي عَنْ نَصْرِهِ وَالْآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ...**

◁ **اللّغة**

(أبىٰ) أي إمتَنَع (**النُّكُوصَ**) نَكَص عن الأمر رَجَع عمّا كان.

◁ **المعنىٰ**

(**اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ**) أي المُتّصفة بـالعَدل (**غَيْرَ الْجَائِرَةِ**) غير مُتّصفةٍ بالجَور (**وَالْمُصْلِحَةَ**) أي المقالة المُصلحة بين النّاس (**غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ**) غير مُتّصفةٍ بالإفساد (**فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا فَأَبَىٰ**) وإمتَنَع (**بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا**) للمقالة (**إِلَّا النُّكُوصَ**) والرّجوع عمّا كان (**عَنْ نُصْرَتِكَ**) فلا يَنصرك (**وَالْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ**) بقعوده عن الجهاد (**فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ**) أي نَجعلك شاهداً عليه (**عَلَيْهِ بِأَكْبَرِ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً**) وهو رسولك (**وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَسَمَاوَاتِكَ**).

أي ونجعل عليه شهيداً كلّ من في السّموات والأرض (**ثُمَّ اَنْتَ بَعْدُ الْمُغْنِى عَنْ نَصْرِهِ**) فأنك غنّي على الإطلاق (**وَالْاخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ**) أي أنت تأخذه بذنبه في الدّنيا والآخرة:

◁ الشَرح

▫ قوله ﷺ: **اللَّهُمَّ اَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا العَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ وَالْمُصْلِحَةَ غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ فِى الدِّينِ وَالدُّنْيَا...**

كلمة (**ما**) في قوله أيّما زائدة جئ بها للتّأكيد والمعنىٰ اللّهم أي عبدٍ من عبادك رجلاً كان أو امرأة مُسلماً كان أو غير مُسلم عالماً كان أو جاهلاً سَمِعَ مقالتنا العادلة غير الجائرة والمُصلِحة غير المُفسدة في أُمُور الدّين والدّنيا وأنّما عَممّنا العباد في قوله ﷺ لأنّ المقالة إذا كانت علىٰ طريق العَدالة بعيدة عن الكذب الّذي هو جَور وظلم واجدة للمَصلَحة دون المُفسدة في الدّين والدّنيا فيجب علىٰ كلّ إنسان الأخذ بها والعَمَل علىٰ طريقها فأنّ الكافر مثلاً وأن لم يتوجه الىٰ الآخرة لكنّه متّوجه الىٰ الدّنيا والمفروض أنّ المقالة مُتكّفلة لأمر الدّنيا أيضاً فينبغي له الأخذ بها:

▫ قوله ﷺ: **فَاَبَىٰ بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا اِلَّا النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ وَالْاِبْطَاءَ عَنْ اِعْزَازِ دِينِكَ...**

أي فأبىٰ العَبد بعد سَمعه للمقالة المتّصَفة بما ذكرناه إلّا النّكُوص والرّجوع عن نُصرتك أي عن نُصرة دينك والإبطاء أي التّساهل والتّسامح عن إعزازه فلم يعمل بمفاد المقالة مع ما فيها من المَصلَحة والخير في الدّارين ظُلماً منه علىٰ نفسه:

▫ قوله ﷺ: **فَاِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ بِأَكْبَرِ الشَّاهِدِينَ شهَادَةً وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا اَسْكَنْتَهُ اَرْضَكَ وَسَمَاوَاتِكَ...**

الفاء للتّفريع وقوله هذا جواب لقوله اللّهم أيّما عبدٍ الىٰ آخره والمعنىٰ أيّما عبدٍ كان كذلك فإنّا نستشهدك عليه بأكبر الشّاهدين شهادةً أي نجعلك شهيداً

عليه بأكبر الشّاهدين والمراد بأكبر الشّاهدين أمّا هو اللّه تعالىٰ كما قاله الخوئي ﷺ في شرحه وأمّا الرّسول وأمّا القرآن والكلّ مُحتمل وما ذهب اليه الخوئي أضعف وذلك لأنّ سياق الكلام يدّل علىٰ كون اللّه شهيداً علىٰ النّاكص بأكبر الشّاهدين ولازم ذلك أن يكون أكبر الشّاهدين غيره تعالىٰ وإلّا فحقّ العبارة أن يقال وأنت أكبر الشّاهدين فلا يستفاد من العبارة ما ذكره الخوئي وعليه فالأمر يدور بين الرّسول والقرآن وكلاهما لابأس به فأنّ شهادة الرسّول شهادة القرآن وبالعكس واللّه تعالىٰ شهيد علىٰ الكلّ قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ اُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِّنْ اَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَابِكَ شَهِيداً عَلىٰ هٰؤُلاءِ﴾** (١)

و: **﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾** (٢)

و: **﴿وَ جِئْنَابِكَ عَلىٰ هٰؤُلاءِ شَهِيداً﴾** (٣)

وفي كونه تعالىٰ شهيداً علىٰ الكلّ **قال: إِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْئٍ شَهِيداً﴾** (٤)

و: **﴿كَفىٰ بِاللّٰهِ شَهِيداً﴾** (٥) وغيرها من الآيات:

وأمّا قوله ﷺ: **وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا اَسْكَنْتَهُ** الخ فالمراد بسكّان الأرض الجنّ والإنس وبسكّان السّموات الملائكة قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفىٰ بِاللّٰهَ شَهِيداً﴾** (٦)

□ **قوله ﷺ: ثُمَّ اَنْتَ بَعْدُ الْمُغْنِى عَنْ نَصْرِهِ وَالْآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ...**

أي ما ذكرناه من نكوص العبد عن نصرتك وإبطائه عن إعزاز دينك ليس لأجل أن تحتاج الىٰ نُصرته فأنّك غنّي عنه وعن كلّ مخلوقٍ غيره وذلك لأنّ الإحتياج يُساوق الإمكان وأنت واجب الوجود والواجب بالذّات واجب من جميع الجهات ومع ذلك فأنت آخذ له أي للعبد العاصي بذنبه وعصيانه:

أن قلت ـ أن كان الواجب لا يحتاج الىٰ نصر العبد فَلِم يأخذه بذنبه وعدم نَصره:

١- النّحل ـ ٨٩
٢- البقرة ـ ١٤٣
٣- النّساء ـ ٤١
٤- النّساء ـ ٣٣
٥- النّساء ـ ٧٩
٦- النّساء ـ ١٦٦

قلت ـ أمّا عدم إحتياجه الىٰ العبد فلمّا ذكرناه من أنّه واجب الوجود غنّي علىٰ الإطلاق كما قال في كتابه: **﴿يَا اَيُّهَا النَّاسُ اَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ اِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ﴾**(1)

وأمّا أخذ العبد بذنبه وطغيانه فمقتضىٰ الحكمة والعدالة وأنّ العاصي يؤخذ بعصيانه وليست عِلّة المؤاخذة إحتياج المولىٰ الىٰ العبد في جميع الموارد بل قد تكون العلّة نفس العصيان والتّمرد نِعَم المُؤاخِذة فينا بالنّسبة الىٰ الغير كثيرة تكون لأجل الإحتياج وأمّا في الواجب فلا ثمّ أنّ هذه الخطبة كما يستفاد من البحراني ﷺ قد أُخذت من خطبةٍ كان يستنهض بها أصحابه الىٰ أهل االشّام والجهاد مَعَهم فقال ﷺ بعد تقاعد أكثرهم عن القتال اللّهم أيّما عبدٍ الخ أقول ما ذكره ﷺ حقّ ومتن الكلام لا يَختّص بهم بل يَعمّ كلّ من كان كذلك فأنّ العبد إذا دُعي الى ما هو بصلاحه وخيره من الدّنيا والآخرة وكان عاقلاً يجب عليه عقلاً وشرعاً الأجابة ثمّ العَمل بمقتضاه فأنّ الإمام والهادي وخليفته الإرشاد ووظيفة العبد الإجابة والعَمَل.

١- الفاطر ـ١٥ـ

ومن خطبةٍ له عليه السلام (٢١٢)

▫ قوله عليه السلام: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ عَنْ شَبَهِ الْمَخْلُوقِينَ الْغَالِبِ لِمَقَالِ الْوَاصِفِينَ الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاظِرِينَ وَالْبَاطِنِ بِجَلاَلِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ الْمُتَوَهِّمِينَ الْعَالِمِ بِلاَ اكْتِسَابٍ وَلاَ ازْدِيَادٍ وَلاَ عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ الْمُقَدِّرِ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ بِلاَ رَوِيَّةٍ وَلاَ ضَمِيرٍ الَّذِي لاَ تَغْشَاهُ الظُّلَمُ وَلاَ يَسْتَضِيءُ بِالْأَنْوَارِ وَلاَ يَرْهَقُهُ لَيْلٌ وَلاَ يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ لَيْسَ إِدْرَاكُهُ بِالْأَبْصَارِ وَلاَ عِلْمُهُ بِالْأَخْبَارِ مِنْهَا فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ وَقَدَّمَهُ فِي الاِصْطِفَاءِ فَرَتَقَ بِهِ الْمَفَاتِقَ وَسَاوَرَ بِهِ الْمُغَالِبَ وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ وَسَهَّلَ بِهِ الْحُزُونَةَ حَتَّى سَرَّحَ الضَّلاَلَ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ.

◁ اللّغة

(شَبَهِ) الشَّبه بالتّحريك المُشابهة (يرهَقه) أي يضيئه (الْمَفَاتِقِ) مواضع الفَتق والفَتق ضدّ الرّتق (سَاوَرَ) أي واثب (الْحُزُونَةَ) الغلظة.

◁ المعنىٰ

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ عَنْ شَبَهِ الْمَخْلُوقِينَ) المُنزه عن مُجانسة المصنُوعين (الْغَالِبِ لِمَقَالِ الْوَاصِفِينَ) فلا يقدر أحدٌ أن يوصفه كما هو حقّه (الظَّاهِرِ) علىٰ المَوجودات (بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاظِرِينَ) فيها بعين البصيرة (وَالْبَاطِنِ) في الموجودات (بِجَلاَلِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ الْمُتَوَهِّمِينَ) فلا يتوهمه المُتوهم (الْعَالِمِ) بكلّ شيءٍ (بِلاَ اكْتِسَابٍ) من غيره (وَلاَ ازْدِيَادٍ) في علمه (وَلاَ عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ) من

الموجودات الخارّجية (**الْمُقَدِّرِ**) بـحكمته (**لِجَمِيعِ الْأُمُورِ بِلاَ رَوِيَّةٍ**) وطـريقة أخذها من غيره (**وَلاَ ضَمِيرٍ**) أي تقديره الأشياء ليس بالضّمير والقلب (**الَّذِي لاَ تَغْشَاهُ الظُّلَمُ**) لأنّه ليس بجسم ولا جسماني (**وَلاَ يَسْتَضِيءُ بِالْأَنْوَارِ**) الحسّـية لكونه تعالىٰ أظهر الأشياء (**وَلاَ يَرْهَقُهُ**) ولا يغشاه ولا يستُره (**لَيْلٌ وَلاَ يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ**) لكونه غير زمّاني (**لَيْسَ إِدْرَاكُهُ**) لِلأشياء (**بِالْأَبْصَارِ**) والآلات كما فينا (**وَلاَ عِلْمُهُ بِالْأَخْبَارِ**) الواصلة اليه:

(**مِنْهَا**) من هذه الخُطبة (**فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ** ﷺ **أَرْسَلَهُ**) اللّه (**بِالضِّيَاءِ**) اللاّمـع (**وَقَدَّمَهُ**) علىٰ غيره (**فِي الْاِصْطِفَاءِ**) فأنّه تعالىٰ قد إصطفاه وإختـاره (**فَرَتَقَ**) وسَدَّ (**بِهِ الْمَفَاتِقِ**) والمفاسد (**وَسَاوَرَ**) وواثَب (**بِهِ الْمُغَالِبَ**) أي كلّ من يغالب الحقّ (**وَذَلَّلَ**) و سَهَّل (**بِهِ الصُّعُوبَةَ**) والمَشّقة (**وَسَهَّلَ بِهِ الْحُزُونَةَ**) والخشُـونة (**حَتَّىٰ سَرَّحَ**) وبَعُد (**الضَّلاَلَ عَنْ يَمينٍ وَشِمَالٍ**) وبقىٰ الطّريق المُستقيم الّذي لا إعوجاج فيه:

◁ الشّرح

□ **قوله** عليه السلام **الْحَمْدُ لِلّٰهِ الْعَلِيِّ عَنْ شَبَهِ الْمَخْلُوقِينَ الْغَالِبِ لِمَقَالِ الْوَاصِفِينَ...**

قد مَرّ منّا الكلام في معنىٰ الحَمد وأنّ اللاّم فيه للجنس أو الإستغراق وهكذا في إسم الجلالة وأنّه مـوضوع للـذّات الواجب الوجُـود المُستجمع لجـميع الصّفات الكماليّة وحـيث أنّـه عَـلَمٌ فـيه فـلا يـطلق عـلىٰ غـيره، واللاّم فـيه لِلإختصاص أي أنّ الحَمد كلّه مختّص له أو أنّ المحامد كلّها يرجع اليه، والعَلِيّ بفتح العين وكسر اللاّم وتشديد الياء من الأسماء الحُسنىٰ ومـعناه المُـرتفع، والشّريف، والشّديد وفي إتّصاف اللّه به إشارة الى قوله تعالىٰ: **﴿وأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَ اَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾**[1] وقوله: **﴿وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾**[2] وأنّما سُمّي به لكونه أرفع وأشرَف من كلّ شيءٍ فهو العَلِيّ الأعلىٰ أي أعلىٰ من

١- لقمان - ٣٠ ٢- البقرة - ٢٥٥

أن يقاس به أو يُعتبر بغيره والشَّبَه بفتح الشّين والباء المُشابهة أو المِثَل والمعنىٰ أنّ الحَمد مختّص للذّات الواجب الوجود المستجمع لجميع الصفّات الكمّالية المنّزه عن مشابَهَة المخلوقين فلا شبه له ولا نظير فلا يقاس بأحدٍ ولا يقاس به أَحَد:

وذلك لأنّ المُشابهَة حقيقتها في المُماثلة من جهة الكَيفية كاللّون والطّعم وكالعدالة والظّلم هذا اذا كانت في الأعراض وأمّا في الجواهر فالمُماثلة من جهة الماهّية والحقيقة وكلاهما في حقّه تعالىٰ محال لأنّه ليس بجوهرٍ ولا عرض:

أمّا أنّه ليس بجوهرٍ فلأنّ الجَوهر ماهيّته اذا وُجدت في الخارج كانت لا في موضوعٍ فالماهّية مأخوذة في تعريف الجَوهر حقيقتاً فما لا ماهّية له ليس بجَوهر واللّه تعالىٰ لا ماهّية له فهو ليس بجَوهرٍ وهو المطلوب فأن قلت ما الدّليل علىٰ أنّه لا ماهّيته له تعالىٰ وأيّ محذورٍ فيها لو كانت:

قلت لو كانت له ماهّية فلا محالة وجوده يكون عارضاً عليها كغير الواجب من الموجودات فيكون عرضّياً وكّل عرضّيٍ مُعلّل اي يحتاج الىٰ العلّة في عروض الوجود عليه وكلّ معلُول مُمكن فيلزم أن يكون الواجب مُمكناً معلولاً وقد فرضناه واجباً هَف:

أن قلت ـ نفرض له ماهّيته ولا نقول بعروض الوجُود عليها حتّىٰ يكون معلّلاً فيلزم المحذُور بل نقول وجُوده عين ماهّيته كما قال السّبزواري في منظومته، الحقّ ماهّيته إنيّته:

قلتُ ـ الماهّية قد تُطلق ويُراد بها ذاتُ الشّيئ وحقيقّته ويقال لها الماهّية بالمعنىٰ الأعَمّ، وقد تطلق ويراد بها الجنس والفَصل ويقال لها الماهّية بالمعنىٰ الأخَصّ كما نقول الأنسان حيوان ناطق فالحيوان جنسه والنّاطق فصله وهما مَعاً ماهّية الإنسان ولذا يعرّف الإنسان بهما، وعليه فأنّ أرَدت من الماهّية في حقّه تعالىٰ معنىٰ الأوّل أعني الماهّية بالمعنىٰ الأعمّ الّتي هي عين إنيّته فلا

إشكال فيه إذ الماهيّة بهذا المعنىٰ عين وجُوده الخاصّ الواجبي الّذي به موحوديّته إلّا أنّ ماهيّته الجَوهر ليست من هذا القبيل بل هي من الثّاني لأنّها جنس للجوهر وقولهم لا في موضوع فصل له والوجود عين الماهيّة بالمعنىٰ الأوّل دون الثّاني فإذا قلنا انّه تعالىٰ جوهر يلزم كونه مركّبا من جنسٍ وفصلٍ وهو التّركيب والوجود فيه زائد عليه بالإتّفاق:

وأمّا أنّه تعالىٰ ليس بِعَرضٍ فلوجهين:

أحدهما: بما تقّدم ذكره في باب الجوهر فأنّ الماهية مأخوذة في تعريف العَرض أيضاً فقد عُرّف العَرَض بأنّه ماهية اذا وجُدت في الخارج كانت في الموضوع وحيث قد ثَبَت أن لا ماهيّة له تعالىٰ بهذا المعنىٰ فهو ليس بعَرَض أيضاً كما أنّه ليس بجوهر والجامع أنّه ليس بمُمكنٍ لأنّه المقَسَم لهما:

وثانيهما: أنّ العَرض كما مَرّ في تعريفه موجود في الموضوع فقوامه ووجُوده في الخارج بموضوعه بمعنىٰ أنّه إذا لم يُوجد المَوضوع في الخارج لا يُوجد العَرَض أيضاً فلو فرضنا أنّ الواجب عَرَض يلزم أن يكون قائماً بغيره في وجوده وما كان كذلك ليس بواجب الوجود وإذا إنتَفت العَرَضية والجوهرية إنتَفَت المُشابهة التّي تتَوقف وجودها عليهما وهو المطلوب.

وأمّا قوله ﷺ الغالب لمقال الواصفين فمعناه أنّ الواصف وأن بلغ ما بلغ في وصفه لا يقدر علىٰ وصفه بما هو حقّه فهو تعالىٰ غالب علىٰ الوَصف والوصف يَصير مغلُوباً له ومعنىٰ كونه غالباً علىٰ وصف الواصف أنّه أعلىٰ وأكمل ممّا يُوصف به والدّليل علىٰ ذلك أيضاً من وجهين:

أحدها: أنّ الواصف لابدّ له من الإحاطة بالأوصاف حتّىٰ يَصف الموصوف كما هو أهله والإحاطة بأوصاف الواجب لا يمكن لأحدٍ من خلقه فأنّ أوصافه غير متناهية:

وثانيها: أنّ وصف الموصُوف فرع علىٰ مَعرفة المَوصُوف وقد ثَبت أنّ معرفة الواجب بالكُنه من المحالات فمعرفة وَصفه أيضاً محال وأن شئت قلت

الوصف تابع للموصُوف فكلّ من يصف شيئاً أنّما يصفه بقدر مَعرفة موصوفه نقصاً وكمالاً وقد قال النبي ﷺ **ما عرفناك حقّ معرفتك فكيف يمكن وصفه بما هو حقّه:**

▫ **قوله ﷺ: الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاظِرِينَ وَالْبَاطِنِ بِجَلَالِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ الْمُتَوَهِّمِينَ...**

أي أنّه تعالىٰ ظاهر وباطن كما قال في كتابه: **﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**(١) وحيث أنّ الظّهور والبطون متقابلان لا يجتمعان في شيئ واحدٍ فقال ﷺ ظهُوره من جهةٍ وبطونه من جهةٍ أُخرىٰ ومع تَعدّد الجهة لا إشكال فيه فهو تعالىٰ ظاهر بعجائب تدبيره للنّاظرين اليها وباطن بجلال عِزّه عن فكر المتوهمين فلا يدخل تحت الوَهم أصلاً فهُنا أمران:

أمّا الأمر الأوّل: أعَني ظهُوره للنّاظرين بعجائب تدبيره فمعناه أنّ النّاظر الىٰ آثار صُنعه ومظاهر خَلقه لو نَظر اليها بعَين البَصيرة عَلِم أنّها مخلوق وكلّ مخلوق يحتاج الىٰ الخالق وبعبارةٍ أُخرىٰ المعلول لا يُوجد بدون العلّة وكلّ علّة فهي ظاهرة في وجود معلولها وإلّا لَم يكن المعلول معلولاً لها وحيث أنّ العالَم بشَراشره مخلُوق مصنُوع للواجب تعالىٰ فهو ظاهر في المَوجودات ظهُور العلّة في معلولها والمُؤثّر في أثَره ولأجل ذلك وَرد في القرآن ما وَرد في حثّ النّاس علىٰ النّظر في الأفاق والأنّفس بعين البَصيرة لما فيها من الدّلالة علىٰ وجوده تعالىٰ وظهوره فيها:

فقال تعالىٰ: **﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ﴾**(٢)

و : **﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾**(٣)

١- الحديد - ٢
٢- الاعراف - ١٠٠
٣- ق - ٦

و : ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمٰوٰاتٍ طِبَاقاً﴾ [1] والآيات كثيرة في الباب.

تفكّر في نبات الأرض وأُنظُر ... الىٰ آثار ما صَنع المَليك
ففي رأس الزَّبرجد شاهداتٌ ... بأنّ اللّـه ليس له شريك

بحث عرفاني، إعلم أنّ لهذا الوجود أعني به وجود الحقّ تعالىٰ الّذي ثبت إطلاقه ووَحدَته وبَداهته كمالات وخصوصيّات ذاتية لا الى نهاية وهي المسّمات في لسان القوم بالشّئون الذّاتية وهي دائماً تطلب منه بلسان الحال الظُّهور في الخارج بحكم إسمه الظّاهر كما أنّ ذاته دائماً تطلب منه الخفاء بِلسان الحال بِحُكم إسمه الباطن فظهوره وكثرته وتقييده من إقتضاء إسمه الظّاهر وخفاؤه ووَحدَته وإطلاقه من إقتضاء إسمه الباطن وهو الأوّل بحسب الباطن والآخر بحَسب الظّاهر فليس في الأوّل والآخر والظّاهر والبّاطن إلّا هو ومظاهره وهو الأوّل والآخر والظّاهر والبّاطن وهو بكلّ شئٍ عليم.

واليه أشار القوم في قولهم ليس في الوجود سوىٰ اللّـه تعالىٰ وأسمائه وصفاته وأفعاله فالكلّ هو وبه ومنه واليه ولا يلزم من هذا نقص في صفاته ولا مَدحٌ في إطلاقه لأنّه الآن كما كان في الأزَل والأزَل أيضاً عبارة عن هذا المقام وإلّا كلّ آنٍ أَزَل بالنّسبة الىٰ ما بعده والّذي ما بعده أبد بالنّسبة الىٰ ما قبله والأزَل عين الأبد والأبَد نفس الأزَل والأوّل عين الأخر والأخر عين الأوّل والظّاهر عين البّاطن والبّاطن عين الظّاهر.

والسّبب فيه هو أنّ كلّ ذلك من كمالاته الذّاتية وخصوصياته الوجودية والطّالب بها هو الذّات وإقتضاء الذّات لا يَنفك عن الذّات أزَلاً وأَبَداً فليس تقَدمه تعالىٰ علىٰ المظاهر إلّا التّقدم بالذّات كتقدم الأمس علىٰ اليوم وتَقدم الشّمس علىٰ شعاعها أعني ليس هناك إلّا ذات واحدة والأسماء والصّفات والظّهور والبطُون والأوّل والأخر والوحدة والكّثرة وأمثال ذلك أُمور إعتبارية

1- نوح ـ 15

لا تحقّقٍ لها في الخارج ولا يتّصور فيها تقّدم ولا تأخّر بل هو لسان العبارة وطريق الإشارة تفهيماً للسّامع وتبينها له لَيعرف بذلك ترتيب الظّهور وكيفيّة مظاهره والفرق بينهما وجوداً وإعتباراً ويُعرف أيضاً أنّ كمالاته الخفّية البّاطنة المُقتضية بالظّهُور طليت هذا الّظهُور منه بلسان الحال وأنّ هذا الطّلب وهذا الظّهُور لا ينقطعان أزَلاً وأبَداً لثنّه من إقتضاء الذّات وهو لا يَنّفك عن الذّات أصلاً.

ومثال ذلك بعينه مثال البحر مع أمواجه فأنّه لا يَنّفك عن المَوج ولا المَوج عنه ومع أنّه كذلك لا يمكن ظهُوره بصُورة مَوج إلّا علىٰ خلاف صُورة مَوجٍ آخر لأنّه لا يمكن ظهُور مَوجَين مُتّحدين في الوَضع والصّورة بحيث لا يفرقُ بينهما بوجهٍ من الوجوه اذ لا تكرار في التّجلي، ولا تبديل لخلق اللّه، ذلك تقدير العزيز العليم، كلّ يوم هو في شأن، بل هُم في لبسٍ من خلقٍ جديد ولنعم ما قيل:

البحر بحرُ علىٰ ما كان من قِدمٍ — أنّ الحوادث أمواجُ وأنهارُ
لا يَحجبنّك إشكال يشاكلها — عمّن تشّكل فيها فهي أستارُ

ومن مّعية البحر مع المَوج والمَوج معه ووَحَدة حقيقتهما يظهر سّر التّوحيد ظهوراً تاماً كاملاً بحيث لا يمكن أظهر منه.لكن ذلك لا يكون إلّا لأجله قال تعالىٰ: **﴿ إِنَّ فِى ذَالِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَىٰ السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾** (1)

وحينئذٍ كما لا يكون مَوج إلّا ويكون البحر ظاهراً فيه بصورته ومعناه كذلك لا يكون موجوداً إلّا ويكون الحقّ ظاهراً بصُورته ومعناه لأنّه ليس في الوجود إلّا هو وصُورته ومعناه وليس الكمال صُورةً ومعناً إلّا له ألا لَه الخلق والأمر تبارك اللّه ربّ العالمين، وهذا معنىٰ قولهم أحدٌ بالذّات وكلٌّ بالأسماء وقولهم حُجَب الذّات بالصّفات والصّفات بالأفعال والأفعال بالأكوان والىٰ ظهوره بصُور الموجودات كلّها بعد الحديث المشهور، **كُنت كنزاً مخّفياً فأحببتُ أن**

١- ق - ٣٧

أُعرَف فَخلقت الخَلق لكي أُعرَف، قال العَظمة أزاري والكبرياء ردائي لِيُعلم أنّه لا يُحتجب بغيره وأنّ غيره ليس بموجودٍ واقعاً لأنّه لو كان موجوداً بالحقيقة لكان حجاباً علىٰ وجهه الكريم وأقلّ ذلك كونه حجاباً علىٰ أحدّيته الذّاتية المشار اليها في قوله:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾

فسُبحان من إختفىٰ بشدّة ظهوره وظهر بشدّة خفاءه، وسُبحان من علىٰ في دُنوه ودنىٰ في عُلّوه وبَطن في ظهوره وظهر في بطُونه، وسُبحان المُتّجلي من كلّ جهةٍ والمُتّخلي عن كلّ جهة...

بَدَت بإحتجابٍ وإختَفَت بمظاهرٍ
علىٰ صِيَغ التّكوين في كلّ بَرزةٍ

ولآخر:

ظَهَرتَ فلا تَخفىٰ علىٰ أَحَدٍ
إلّا علىٰ أَكْمّه لا يعرف القَمَرُ
لكن بَطَنت بما أظهَرت مُحتجباً
فكيف يَعرف من بالعُرف مُستتراً

ولآخر:

والخَلق كلّهم أستار طَلعتها
والأمَر أجمعهم كانوا له نَقَباً
ما في التّستر في الأكوان من عَجبٍ
بل كونها عَينها فيما ترىٰ عَجباً

ولآخر:

سُبحان من أَظهر ناسُوته سِرّ سنا لاهوته الثّاقب
ثمّ بدا في خَلقه ظاهراً في صُورة الأكل والشّارب

والىٰ هذا المعنىٰ أشار أمير المؤمنين عليه السلام في بعض كلماته حيث قال ولا يَحتّه البطُون عن الظّهور ولا يقطعه الظّهور عن البطُون قَرُب فَبان وعلا فَدانا

وظَهَر فَبَطن وبَطَن فَعلن دانٍ ولم يَدن...

وأمّا الأمر الثّاني: وهو أنّه الباطن بجلال عزّته عن فكر المتّوهمين، فالوجه فيه أيضاً ظاهر وذلك لأنّ ذاته تعالىٰ غير متناهٍ ومع ذلك في غاية الخَفاء والمخلوق كائناً من كان مُتناه والمُتناهي لا يدرك غير المُتناهي لِلزومه الخروج عن كونه متناهياً وهو مضافاً الىٰ لزوم الإنقلاب في المّاهية يوجب أن يكون الشّئ مُتناهياً وغير مُتناهٍ وإجتماع النَّقيضين محال ولأجل هذا أشار الصّادق عليه السلام الىٰ أنّ كلّ ما تَوهَمّته فهو مخلوق لنفسك.

حيث قال كلّ ما مَيزتّموه بأوهامكم فهو مخلوق مثلكم مردودٌ اليكم، فقد ثبت أنّ القوّة الجسمّانية مُتناهية التّأثير والتّأثر فكيف تُؤثر في غير المتناهي.

□ **قوله عليه السلام: الْعَالِمِ بِلاَ اكْتِسَابٍ وَلاَ ازْدِيَادٍ وَلاَ عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ...**

والمعنىٰ أنّه تعالىٰ عالم بكلّ الأشياء من غير أن يكون علمه بها بطريق الكسب عن غيره ولا أنّه قابل للزّيادة ولا أنّه مُستفاد من غيره أو من الموجودات الخارجيّة فهنا أُمور أربعة:

أحدها: أنّه تعالىٰ عالم وقد مَرّ الكلام فيه في بحث العلم مفصلاً وأثبَتنا له عقلاً ونقلاً ونشير اليه في المقام إجمالاً فنقول أمّا العقل، فلأنّه تعالىٰ خَلق الخلق في أحسن نظام وأتقَن إيجاد وهذا النّظم والتّرتيب يدّل علىٰ عِلم المُوجد لما قد ثَبت أنّ مُعطي الشّئ لا يكون فاقداً له هذا أوّلاً:

وثانياً أنّ العلم من الكمالات بل أشرفها وأفضلها وعدمه نقص فلو لم يكن عالماً فهو جاهل لعَدم الواسطة وكلّ جاهل ناقص وكلّ ناقصٍ ممكنٍ فيلزم أن يكون الواجب مُمكناً هف، وأمّا النّقل فالآيات والأخبار قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١)

و: ﴿أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٢)

١- النّساء ـ ١٧٦

٢- النمل ـ ٢٣

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[1] وقال:(وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾[2] وغيرها من الآيات.

وثانيها: قوله عليه السلام: **بلا إكتساب**، أي أنّ علمه تعالىٰ ليس من العلوم الكَسْبية بل هو عين ذاته لوجوهٍ:

الأوّل: أنّه لو كان كسْبياً فلا يخلو أمّا أنْ يكون مُكتّسباً من عالمٍ آخر بأن أخذ علمه عنه بالتّحصيل والتّلمُذ عنده مثلاً وأمّا أن يكون مُكتَسباً من الموجودات الخارجيّة بعد وجودها بحصول الصُّورة الحاصلة منها عند العقل وكلاهما في حقّه محال أمّا الأوّل فلِلزومه أن يكون غيره أفْضَل وأعْلم منه والواجب أنقص وهو ينافي وجوبه مضافاً الىٰ الإحتاج المُساوق لِلإمكان.

وأمّا الثّاني: فلأنّ المَوجودات أمّا مخلوقات له أو لغيره لا سبيل الىٰ الثّاني لأنّه خلاف الفرض اذ المفروض أنّه الخالق الواجب والبحث فيه، ولا سَبيل الىٰ الأوّل ايضاً لأنّ الخالق عالم بخلقه قبل وجوده وبعده فكيف يُعقل تَحصيل علمه من وجود الخارجي فَثَبت أنّه لا سَبيل الىٰ الإكتساب بوجهٍ وهو المطلوب هذا كلّه مضافاً الىٰ أنّ الإكتساب يَستلزم الحدُوث لأنّه يُوجد بعد أن لم يكن والحدُوث ينافي الوجوب فعلمه عين ذاته اذ لو كان زائداً علىٰ الذّات كان مُكتَسباً واذ لَيس فَلَيس.

وثالثها: قوله ولا إزدياد، وفيه إشارة الىٰ أنّ علمه تعالىٰ غير قابل للزّيادة وذلك أيضاً لوجوه:

أحدهاـ أنّه لو كان قابلاً لها فهو في حدّ نفسه ناقص وكلّ ناقصٍ ممكن فهو تعالىٰ مُمكن وهو محال.

وثانيهاـ أنّه يلزم عليه إحتياجه الىٰ غيره لِرفع النّقص عن ذاته والمُحتاج فقير مُمكن وهو محال.

وثالثهاـ أنّه يلزم الحدُوث وذلك لأنّ قبول الزّيادة معناه حدوث علم فيه

١- الانعام ـ ٨٠ ٢- الطلاق ـ ١٢

بعد أن لم يكن والواجب ليس بحادث ولا مَحلاً له .

ورابعهاـ أن يكون غيره أكمل منه فكيف يكون واجباً مع فَرضه.

ورابعها: ولا علم مستفاد، أي أنّ علمه تعالىٰ غير مستفاد من غيره والشّراح قد ظنّوا أنّ هذه العبارة توضّيحية لقوله بلا إكتساب والحقّ خلافه إذ لو كان الأمر كما ظَنّوه فحقّ الجملة أن يؤتىٰ بها بعد الأولىٰ ضرورة عدم صحّة الفصل بين المُفَسّر والمُفسِّر والمُوضِح والمُوضَّح:

ويمكن الفرق بين الجُملتين من حيث المعنىٰ أنّ المراد بالأُولىٰ هو العلم المُكتَسَب من الموجودات الخّارجية بحصول صُورها عند العقل أعني به العلم الحصولي الّذي هو الصُّورة الحاصلة ويقال لهذا العلم العلم الكَسبي أو الحُصولي وبالثّانية العلم المُلقي من الغير به العالم الىٰ المتّعلم فبالجُملة الأُولىٰ أفاد أنّه ليس بحصّولي بل حضوري وبالثّانية أنّه لم يؤخذ من عالم آخر.

□ **قوله ﷺ: الْمُقَدِّرِ لِجَمِيعِ الأُمُورِ بِلاَ رَوِيَّةٍ وَلاَ ضَمِيرٍ الَّذِي لاَ تَغْشَاهُ الظُّلَمُ وَلاَ يَسْتَضِيءُ بِالأَنوَارِ وَلاَ يَرْهَقُهُ لَيْلٌ وَلاَ يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ لَيْسَ إِدْرَاكُهُ بِالأَبْصَارِ وَلاَ عِلْمُهُ بِالأَخْبَارِ...**

أمّا أنّه تعالىٰ مُقدِرٌ لجميع الأمور فلأنّ تقدير أُمور الخلق بيد الخالق فأنّه العالم بخلقه وما يحتاج اليه في حياته ومَماته ولا يمكن إثبات هذا المقام لغير الخالق كائناً من كان لأنّ تقدير الأمور موقّوف علىٰ العلم الكامل الشّامل بجميع الخلق وما يحتاج اليه وبعبارةٍ أُخرىٰ لا يعلم حوائج المخلُوق إلّا الخالق وأمّا نقلاً فلقوله تعالىٰ:**﴿وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلىٰ اَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾**(١)

و : **﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوىٰ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدىٰ﴾**(٢)

و : **﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾**(٣)

و : **﴿وَ اللّهُ يُقَدِّرُ الَّيلَ وَالنَّهارَ﴾**(٤)

١- القمر ـ ١٣
٢- الاعلىٰ ـ ٣
٣- الواقعة ـ ٦٠
٤- المزّمل ـ ٢٠

و: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْئٍ قَدْراً﴾[1] وغيرها من الآيات:

وأمّا أنّ تقديره الأمور كان بلا رَوِيةٍ ولا ضَميرٍ فلأنّ الرَّوِية مُستفادة من التّجربة وهي تدّل على الضّعف أو أنّها تؤخذ من الغير فيدّل على الإحتياج والفقر وكلاهما ينافي وجوبه:

وأمّا الضّمير فلأنّه من شئون الجسم المركّب من الأعضاء والجوارح وقد ثبت أنّه ليس بجسمٍ ولا جسّماني فلا ضّمير له حتّىٰ يتّصور الأشياء منه ثّم يُقدّرها:

وقوله عليه السلام: **لاَ تَغْشَاهُ الظُّلَمُ** فالظُّلم بضّم الظّاء جمع الظّلمة وهي ضِدّ النّور والمعنىٰ أنّ الظّلم الحِسّية والعقلّية لا تغشاه أي لا تغشىٰ نور الحقّ ولا تستّره أمّا الظّلمة الحِسّية فلأنّها تغشىٰ الأجسام عن الرُّؤية ألا ترىٰ إنّا في اللّيل المُظلم لا نرىٰ الأشياء وحيث أنّه ليس بجسم فلا يقع تحت الظّلمة وأمّا المَعنّوية منها أعني بها الجهل فلما ثبت أنّه عالم بكلّ شئ فلا جهلّ له وأنّه كامل من جميع الجهات فلا نقص فيه هذا مضافاً الىٰ أنّ دخول الشّئ تحت الظّلمة وتغشيه بها يوجب محدّودية المغشّىٰ بالظّلمة وكلّ محدودٍ مُتناهٍ وكلّ مُتناهٍ مُمكن وقد فرضناه واجباً هف:

وأمّا قوله عليه السلام: **وَلاَ يَسْتَضِيُّ بِالْأَنْوَارِ** فالمراد بها أيضاً الأعمّ من الحِسّية والمَعنّوية والمقصود أنّه تعالىٰ نور الأنوار فلا يستضئ بنورٍ آخر لا حِسّاً ولا معنىً:

أمّا أنّه لا يستضئ بالأنوار الحِسّية كنور الشّمس مثلاً لأنّه ليس بجسمٍ ولا جسّماني والّذي يستضئ بها هو هذا لا غيره وثانياً أنّها مخلوقة له تعالىٰ والخالق لا يستضئ ولا يستفيد بمخلوقه فأنّ الخالق قديم والمخلوق حادث وهو مقدّم عليه ذاتاً ووجوداً فكيف يُعقل الإستضاءة به هذا إذا حملنا الأنوار في قوله عليه السلام: **علىٰ الحِسّيات:**

١- الطّلاق - ٣

وأمّا إذا حمَلناها علىٰ المَعنَويات كالعلم مثلاً فهو تعالىٰ أيضاً لا يستضيئ به لما مَرّ في قوله ﷺ العالم بلا إكتساب والحاصل أنّه نور الأنوار ومُوجدها فلو كان مُستضيئاً بها يلزم تقدم الشّيئ علىٰ نفسه وهو مُحال مُضافاً الىٰ لزوم الفقر والإحتياج المُساوق للإمكان المُنافي للوجُوب:

وأمّا قوله ولا يَرهَقه ليل أي لا يَغشيه اللّيل والوَجه فيه أيضاً ظاهر فأنّ الّذي يغشيه اللّيل هو الجسم وهو تعالىٰ منّزه عنه وثانياً لو غشيه اللّيل يلزم أنّ يكون زمانيّاً وكلّ زمّاني حادث مُتغّير والمفروض أنّه واجب وثالثاً أنّ اللّيل والنّهار أنّما يوجدان من حركة الفلك والفَلَك مخلوق له تعالىٰ فكيف يقع تحت حركته فهو تعالىٰ في اللّيل والنّهار علىٰ حدٍّ سواء وهو المطلوب وبهذا ظهر لك وجه عدم جري النّهار فيه بمعنىٰ كونه واقعاً فيه فأنّ الزّمان لا يَجري عليه:

وقوله ﷺ: **لَيْسَ إِدْرَاكُهُ بِالْأَبْصَارِ وَلاَ عِلْمُهُ بِالْأَخْبَارِ** إشارة الىٰ أصلين آخرين وهو أنّه تعالىٰ مُبصرٌ مُدركٌ عليمٌ أي أنّه يُدرك الأشياء ويَعلمها إلّا أنّ هذين الوصفين فيه علىٰ وجهٍ خاصّ فأنّ إدراكه الأشياء ليس بالبَصَر كما أنّ علمه بها ليس بالأخبار الواصلة اليه فإدراكه لِلأشياء وعلمه بها بذاته لا لشيئٍ آخر لأنّ صفاته لا تزيد علىٰ ذاته ولو كان إدراكه بسَبَب البَصَر وعلمه بسبب الخبر يلزم إحتياجه اليهما وهو يُنافي وجوبه مضافاً الىٰ أنّ إثبات البَصَر له يلازم تركيبه وكونه جسماً وقد مرّ الكلام في صفاته تعالىٰ في المجلّد الأوّل من هذا الكتاب مفّصلاً.

منها أي من الخُطبة في ذكر النبّي ﷺ:

□ قوله ﷺ: **مِنْهَا فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ أَرسَلَهُ بِالضِّيَاءِ وَقَدَّمَهُ فِي الْاِصْطِفَاءِ فَرَتَقَ بِهِ الْمَفَاتِقَ وَسَاوَرَ بِهِ الْمُغَالِبَ وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ وَسَهَّلَ بِهِ الْحُزُونَةَ حَتَّى سَرَّحَ الضَّلاَلَ عَنْ يَمينٍ وَشِمَالٍ...**

أي أنّ اللّه تعالىٰ بِمنّه وكَرَمه ولُطفه ورَحمته أرسَلَ النبّي الأُمّي الىٰ كافة الخلق بالضّياء اللاّمع من الآيات والمُعجزات والكرامات لإرشاد الخلق الىٰ

الهداية وإنقاذهم من الضّلالة وقَدَّمه اللّه تعالىٰ في الإصطفاء فإختاره علىٰ غيره بالنبوة والرّسالة فَرَتَق به المفاتق أي فَتَحَ اللّه به المُعضَلات فأنّ الرتّق سَدّ الفتق والمفاتق مواضع الفتق وهي ما كان بين النّاس من فساد وفي مصالحهم من إختلال وساوَرَ به المغالب أي واثَبَ بالنبّي كلّ من يغالب الحقّ وذَلّل بوجود الرّسول صُعوبة الجاهليّة من سفك الدّماء وقطع الأرحام وعبادة الأوثان وغير ذلك من الأمُور الفاسَدة وَسَهّل به الحُزونة أي خُشونة الأخلاق الرّديئة والعقائد الفاسدة بتهذيب الطّباع وتنوير العقول حتّىٰ سَرَحَ به الضّلال أي أبعده عن جانبي الإفراط والتّفريط وألزَمَه العَدَل الوَسَط فقال تعالىٰ له فأستَقِم كما أُمِرت، وقال لتكونوا أمّةً وَسَطاً.

والحاصل أنّ النبّي ﷺ كان كذلك وقد مَرّ الكلام في هذا الباب غير مَرّة.

ومن خطبة له ﷺ (٢١٣)

□ قوله ﷺ: وَاشْهَدُ اَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ وَحَكَمٌ فَصَلَ وَاشْهَدُ اَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَسَيِّدُ عِبَادِهِ كُلَّمَا نَسَخَ اللَّهَ الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ وَلاَ ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ.

اِلَا وَاِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لِلْخَيْرِ اَهْلاً وَلِلْحَقِّ دَعَائِمَ وَلِلْطَّاعَةِ عِصَماً وَاِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْنَاً مِنَ اللَّهِ يَقُولُ عَلَىٰ الْأَلْسِنَةِ وَيُثَبِّتُ الْأَفْئِدَةِ فِيهِ كِفَاءٌ لِمُكْتَفٍ وَشِفَاءٌ لِمُشْتَفٍ.

وَاعْلَمُوا اِنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ يَصُونُونَ مَصُونَهُ وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ يَتَوَاصَلُونَ بِالْوِلاَيَةِ وَيَتَلاَقَوْنَ بِالْمَحَبَّةِ وَيَتَسَاقَوْنَ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ وَيَصْدُرُونَ بِرِيَّةٍ لاَ تَشُوبُهُمُ الرِّيْبَةُ وَلاَ تُسْرِعُ مِنْهُمْ الْغَيْبَةُ عَلَىٰ ذٰلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَاخْلاَقَهُمْ فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ وَبِهِ يَتَوَاصَلُونَ فَكَانُوا كَتَفَاضُلِ الْبَذْرِ يُنْتَقَىٰ فَيُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُلْقَىٰ قَدْ مَيَّزَهُ التَّخْلِيصُ وَهَذَّبَهُ التَّمْحِيصُ فَلْيَقْبَلِ امْرُؤٌ كَرَامَةً بِقَبُولِهَا وَلْيَحْذَرْ قَارِعَةً قَبْلَ حُلُولِهَا وَلْيَنْظُرْ امْرُؤٌ فِي قَصِيرِ اَيَّامِهِ وَقَلِيلِ مُقَامِهِ فِي مَنْزِلٍ حَتَّىٰ يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلاً فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوَّلِهِ وَمَعَارِفِ مُنْتَقَلِهِ فَطُوبَىٰ لِذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ اَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ وَتَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيهِ وَاَصَابَ سَبِيلَ السَّلاَمَةِ بِبَصَرِ مَنْ بَصَّرَهُ وَطَاعَةِ هَادٍ اَمَرَهُ وَبَادَرَ الْهُدَىٰ قَبْلَ اَنْ تُغْلَقَ اَبْوَابُهُ وَتُقْطَعَ اَسْبَابُهُ وَاسْتَفْتَحَ التَّوْبَةَ وَاَمَاطَ الْحَوْبَةَ فَقَدْ اُقِيمَ عَلَىٰ الطَّرِيقِ وَهُدِىَ نَهْجَ السَّبِيلِ.

◁ **اللغة**

(نَسَخ) أي نَقَل (**عَاهِرٌ**) بكسر الهاء من عَهَر عَهراً اذا زنىٰ وفَجَر والعاهر الفاجر الزّاني، (**ضَرَب**) يقال ضَرَب في الشّئ اذا صار له نصيب منه (**عِصماً**)بكسر العين وفتح الصّاد جمع عِصمة وهي ما يُعتَصم به (**كِفَاءُ**) بفتح الكاف الكافي أو الكّفاية (رَوِّية) فَعيلة بمعنىٰ فاعلة أي يروي شَرابها (رِيَّة) بكسر الرّاء وتشديد اليَاء الواحدة من الرّي موال العطش (**الرَّيبة**) بفتح الرّاء الشّك (قَارِعَةً) القارعة الدّاهية والعذاب.

◁ **المعنىٰ**

(وَاشْهَدُ اَنَّهُ) أي أنّ اللّه تعالىٰ (**عَدْلٌ**) أي عادلٌ في حكمه (**وَحَكَمٌ فَصَلَ**) بين الحقّ والباطل (**وَاشْهَدُ اَنَّ مُحَمَّداً عَبْدَهُ وَسَيِّدُ عِبَادِهِ**) كما قال ﷺ أنا سيّد وُلد آدم ولا فخر (**كُلَّمَا نَسَخَ اللَّهَ**) ونَقَلَهم، (**فِرْقَتَيْنِ جَعَلَهُ**) جَعَل الرّسول (**فِي** خَيْرِهِمَا) أي خير الفرقتين (**لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ**) أي لم يكن لِعاهرٍ سهمٌ في أُصوله (وَلاَ **ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ**) أي ولا نصيب له فيه (**اِلَا وَاِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لِلْخَيْرِ اَهْلاً**) يتّبعُونه.

(**وَلِلْحَقِّ دَعَائِمَ**) يقف الحقّ عليها (**وَلِلطَّاعَةِ عِصَماً**) يُعتصم بها (**وَاِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْنَاً مِنَ اللَّهِ**) يُستعان به (**يَقُولُ عَلَىٰ الْأَلْسِنَةِ وَيُثَبِّتُ الْأَفْئِدَةِ**) كما يقال لا حول ولا قوّة إلّا باللّه وأمثال ذلك (**فِيهِ**) أي في هذا القول (**كِفَاءُ لِمُكْتَفٍ**) أي كفاية له (**وَشِفَاءٌ لِمُشْتَفٍ**) لِمن يَطلب به شفاء القلب (**وَاعْلَمُوا اِنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ**) أي الّذين طُلب منهم الحفظ (**يَصُونُونَ مَصُونَهُ**) أي يَحفظون ما يجب عليه حفظه (**وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ**) وينابيعه (**يَتَوَاصَلُونَ بِالْوِلاَيَةِ**) بالمَحبة والنّصرة (**وَيَتَلاَقُوْنَ بِالْمَحَبَّةِ**) لا بالعَداوة (**وَيَتَسَاقَوْنَ بِكَاْسٍ** رَوِيَّةٍ) فيسقي كلّ واحد منهم للآخر بكأس العلم والمعرفة (**وَيَصْدُرُونَ بِرِيَّةٍ**) لا ظمأ بعدها (**لاَ تَشُوبُهُمْ**) ولا تخلطهم (**الرِّيْبَةُ**) والشّك (**وَلاَ تُسْرِعُ مِنْهُمْ**

الْغَيْبَةُ) لأنّ الغيبة حرام (**عَلَىٰ ذٰلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ**) أي كذلك خلقهم اللّه تعالىٰ (**وَاخْلاَقَهُمْ**) وسيرتهم (**فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ وَبِهِ يَتَوَاصَلُونَ**) أي علىٰ هذا الأساس جُعل حُبّهم وتواصلهم (**فَكَانُوا**) هؤلاء (**كَتَفَاضُلِ الْبَذْرِ يُنْتَقَىٰ**) أي تفاضلهم علىٰ غيرهم تفاضل البَذر المُنتقي علىٰ غيره من الحُبوب (**فَيُؤْخَذُ مِنْهُ**) االرّدي (**وَيُلْقَىٰ**) فلا يبقىٰ منه إلّا الجيّد الخالص (**قَدْ مَيَّزَهُ التَّخْلِيصُ وَهَذَّبَهُ**) وطهره (**التَّمْحِيصُ**) الإختبار والإمتحان (**فَلْيَقْبَلِ امْرُؤٌ كَرَامَةً بِقَبُولِهَا**) أي فليتقبلها المؤمن بقبولٍ حَسنٍ (**وَلْيَحْذَرْ قَارِعَةً قَبْلَ حُلُولِهَا**) بسبب عدم قبوله الكرامة (**وَلْيَنْظُرْ امْرُؤٌ فِى قَصِيرِ ايَّامِهِ**) أي أيّام حياته في الدّنيا (**وَقَلِيلِ مُقَامِهِ فِى مَنْزِلٍ**) الدّنيا (**حَتَّىٰ يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلاً**) وهو منزل الآخرة (**فَلْيَصْنَعْ**) الإنسان من أعمال الخَير (**لِمُتَحَوَّلِهِ**) أي لما يُتّحول وينتقل اليه لا محالة (**وَمَعَارِفِ مُنْتَقَلِهِ**) وهو عالم الآخرة (**فَطُوبَىٰ لِذِى قَلْبٍ سَلِيمٍ**) عن الشّك والنّفاق (**اَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ**) الىٰ طريق الرّشاد (**وَتَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيهِ**) الىٰ العذاب (**وَاَصَابَ**) ووَجعل (**سَبِيلَ السَّلاَمَةِ**) عن الآفات(**بِبَصَرِ مَنْ بَصَّرَهُ**) وأرشده (**وَطَاعَةِ هَادٍ اَمَرَهُ**) بالحقّ (**وَبَادَرَ الْهُدَىٰ قَبْلَ اَنْ تُغْلَقَ اَبْوَابُهُ**) بالمَوت (**وَتُقْطَعَ اَسْبَابُهُ**) بفراق الأحبّة (**وَاسْتَفْتَحَ**) باب (**التَّوْبَةَ**) والرّجوع عن الذّنب الىٰ الطّاعة (**وَاَمَاطَ الْحَوْبَةَ**) أي أزال الإثم والخطيّة (**فَقَدْ اُقِيمَ**) اللّه تعالىٰ (**عَلَىٰ الطَّرِيقَ**) الحقّ بسبب الرّسول والإمام (**وَهُدِىَ نَهْجَ السَّبِيلِ**) وطريقه الواضح فقد تمّت الحُجّة عليه:

◁ الشّرح

□ **قوله ﷺ: وَاشْهَدُ اَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ وَحَكَمٌ فَصَلَ وَاشْهَدُ اَنَّ مُحَمَّداً عَبْدَهُ وَسَيِّدُ عِبَادِهِ كُلَّمَا نَسَخَ اللّهُ الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ جَعَلَهُ فِى خَيْرِهِمَا لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ وَلاَ ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ...**

أي وأشهد أنّ اللّه تعالىٰ عَدلٌ أي عادل عَدَل في حكمه ولم يظلم ولا يُظلم أبداً وأنّما فسّرنا العَدل بالعادل لأنّ المصدر قد يجئ بمعنىٰ الفاعل وقد يجئ بمعنىٰ المفعُول ويمكن حَمل الكلام علىٰ المبالغة نحو زيد عدلٌ وعليه

فالمعنىٰ أنّ اللّه تعالىٰ لكثرة عَدله وعدالته كأنّه صار نفس العَدل وقوله وحَكَمٌ فَصَل أي وأشهد أنّ اللّه تعالىٰ حَكَم ونعم الحَكَم فَصَل في حكمه بين الحقّ والباطل وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عَبده ومخلوقه وهو مع ذلك سيّد عباده وأشرف خلقه لقوله ﷺ أنا سيّد وَلد آدم ولا فخَر، كلمّا نَسَخ اللّه ونَقَلهم بالتّناسل عن أُصولهم فَجَعلهم بعد الوَحدة في الأصُول فِرَقاً جَعَله أي جَعَل الرّسول في خير الفِرق أو الفرقتين لم يسهم فيه عاهرٍ أي لم يكن لعاهرٍ في الأصل سهمٌ ولا ضَرَب فيه فاجر أي ولا نصيب له فيه وفي المقام أبحاث:

البحث الأوّل:

أنّه تعالىٰ عَدَلٌ عَدَل وحَكَم فَصَل. العَدل وضع الشّيئ في محّله وهي ضِدّ الظّلم فهو وضع الشّيئ في غير محلّه فهو قبيح ولأجل هذا لا يتّصف اللّه به وأمّا العَدل فهو حسن ممدُوح فهو تعالىٰ عادل ليس بظالمٍ وقد أمرنا به قال اللّه تعالىٰ: ﴿**اِعْدِلُوا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوىٰ**﴾ (١)

و: ﴿**وَاِذَا قُلْتُمْ فَاْعْدَلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبىٰ**﴾ (٢)

و: ﴿**اِنَّ اللّٰهَ يَاْمُرَ بِالْعَدلِ وَالْإِحسانِ**﴾ (٣) وقد مَرّ الكلام فيه غير مَرةٍ وأمّا الحَكَم بالتّحريك فهو المتّخصص في الحُكم ولا شكّ أنّ اللّه تعالىٰ أحَكم الحاكَمين قال اللّه تعالىٰ: (**اَفَغَيْرَ اللّٰهِ ابْتَغىٰ حَكَماً وَهُوَ الَّذي اَنْزَلَ اِلَيكُمْ الْكِتابَ مُفَصَّلاً**﴾ (٤)

وقوله ﵇: **فَصَل** أي أنّه تعالىٰ فَصَل وميّز في حُكمه بين الحقّ والباطل قال تعالىٰ: ﴿**اِنَّ اللّٰهَ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ**﴾ (٥)

و: ﴿**اِنَّ الْحُكْمَ اِلاّ لِلّٰهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفاصِلِينَ**﴾ (٦) ولأجل هذا أي تمييز الحقّ عن الباطل يقال ليوم القيامة يوم الفصل قال اللّه تعالىٰ ﷻ ﴿**هٰذا يَوْمُ**

١- المائدة ـ ٨
٢- الانعام ـ ١٥٢
٣- النحل ـ ٩٠
٤- الانعام ـ ١١٤
٥- الحج ـ ١٧
٦- الانعام ـ ٥٧

الفَصْلِ الَّذي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾[1]

و : **﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾**[2] وغيرها من الآيات:

الثّاني:

أنّ محمّداً ﷺ عَبده وسيّد عباده أمّا أنّه عَبده فلقوله تعالىٰ: **﴿ سُبْحَانَ الَّذي أَسرىٰ بِعَبْدِهِ لَيلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَام ﴾**[3]

و : **﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾**[4] وأمّا أنّه سيّد عباده فلأنّه خاتم الأنبياء وهو الّذي قال في حقّه **لولاك لما خلقت الأفلاك** فهو أشرفهم وأفضلهم وأكملهم ولا نعني بالسيّادة إلّا هـذا وقـوله ﷺ: **كُلَّمَا نَسَخَ اللّهَ الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا**، إشارة الىٰ أنّ الرّسول ﷺ كان فـي خير الفرقتين وهو فرقة الحقّ لم يَسهم فيه عاهِر أي لم يكن لِـلعاهر الزّانـي والفاجر سهمٌ في أُصوله فلم يكن في أباءه وأُمّهاته من كان متّصفاً به بل كانوا بأجمعهم من الأخيار والصُّلحاء كما نقول في الزّيارة **أشهد أنّك كنت نُوراً في الأصلاب الشّامخة والأرحام المُطّهرة لم تُنجّسك الجاهليّة بأنـجاسها ولم تُلبسك من مُدلهِمات ثيابها** وقوله ﷺ: **وَلاَ ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ** كالتّوضيح لما قبله أي ليس لِلفاجر نَصيب في شَجرته الطّيبة وقد مَرّ الكلام في نَسَبه ﷺ مفصلاً.

□ **قوله ﷺ ألا وأنّ اللّه قدْ جَعَل للخير أهلاً وللحقّ دعائم وللطّاعة عَصِماً...**

الخَير ما يرغب فيه الكلّ كالعقل مثلاً والعدل والفَضل والشّيْ النّافع من هذا القبيل وضدّه الشّر وهو ما لا يُرغب فيه كالجهل والظّلم وأمثالهما والغَرض أنّ اللّه تعالىٰ خلق الخلق فمنهم طالب الخَير ومنهم طالب الشّر فأهل الخير من يطلبه ويعمل به كما قال تعالىٰ: **﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾**[5]

و : **﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾**[6]

١- الصافات ـ ٢١
٢- الدخان ـ ٤٠
٣- الاسراء ـ ١
٤- البقرة ـ ٢٣
٥- البقرة ـ ١٨٤
٦- البقرة ـ ١٥٨

و : ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (١)

و : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ اَئِمَّةً يَهْدُونَ بِاَمْرِنَا وَاَوحَيْنَا اِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ (٢)

و : ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مَوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (٣) والآيات كثيرة:

وقوله عليه السلام: **وللحقّ دعائم**، أي جعل اللّه تعالىٰ للحقّ دعائم والدّعائم جمع دُعامة وهي عماد البَيت من الخَشَب والحَديد والأجر والحَجَر وغير ذلك والمعنىٰ أنّ اللّه تعالىٰ جَعل للحقّ ما يُعتمد عليه والمراد بالدّعائم إمّا الأحكام من الصّلوٰة والصّوم والحجّ والولاية وإمّا رجال الخير وصلحاء الأمّة وفي رأسهم الأئمّة، لكون الحقّ قائماً بوجودهم مُعتمداً عليهم،قوله عليه السلام: **ولِلطّاعة عَصِماً** أي ما يُعتَصم به وعِصم الطّاعات الإخلاص فيها لِللّه وحده كما قيل أو أنّ عِصم الطّاعات ولاية أهل البيت عليهم السّلام وهو الحقّ لما وَرد أنّ اللّه لا يقبل طاعةً من عبده إلّا بولايتهم ومحبّتهم فما نودي أَحَدٌ بشيءٍ من الأحكام كما نُودي بالولاية فهي اللّب والأحكام أقشار أو أنّ الولايةَ هي الأصل والأحكام فرُوعها:

أن قلت ـ لعلّ المراد بما يُعتَصم به هو اللّه تعالىٰ لقوله: : ﴿فَاَقِيمُوا الصَّلوٰةَ وَ اتُوا الزَّكوٰةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللّٰهِ هُوَ مَوْلاكُمْ﴾ (٤)

و : ﴿ وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللّٰهِ فَقَدْ هُدِىَ اِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥)

و : ﴿فَامَّا الَّذِينَ امَنُوا بِاللّٰهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ﴾ (٦)

قلتُ ـ نعم ولكنّا نقول الإعتصام بهم هو الإعتصام باللّه لأنّهم أولياءه وأوصياء رسوله وقد فرض علىٰ النّاس طاعتهم وأوجَب مَحبّتهم وهو واضح:

□ قوله عليه السلام: **اِلَا وَاِنَّ اللّٰهَ قَدْ جَعَلَ لِلْخَيْرِ اَهْلاً وَلِلْحَقِّ دَعَائِمَ وَلِلطَّاعَةِ عِصَماً وَاِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْنَاً مِنَ اللّٰهِ يَقُولُ عَلَىٰ الْأَلْسِنَةِ وَيُثَبِّتُ الْأَفْئِدَةِ فِيهِ كِفَاءُ لِمُكْتَفٍ وَشِفَاءٌ لِمُشْتَفٍ...**

١- المؤمنون ـ ٦١
٢- الانبياء ـ ٧٣
٣- البقرة ـ ١٤٨
٤- الحج ـ ٧٨
٥- آل عمران ـ ١٠١
٦- النّساء ـ ١٧٥

ثمّ علّل عليه السلام ما ذكره بقوله للطّاعة عِصماً، بقوله و أنّ لكم الخ أي والدّليل علىٰ ما ذكرناه من لزوم مَن يُعتصم به هو أنّ لكم عند كلّ طاعةٍ من طاعات اللّه عَوناً منه أي لابدّ لكم من الإستعانة به وطلب التّوفيق منه فتقولون لا حَول ولا قوّة إلّا باللّه، وما توفيقي إلّا باللّه، وأمثال ذلك ممّا يدّل علىٰ المقصُود وتطّمئن به القلُوب الّذي منه كفاية لمن يكتفي به وشفاء عن مَرض الجهل والضّلالة لمن طلب الشّفاء منه تعالىٰ فمن يتّوكل علىٰ اللّه فهو حَسبه:

▫ **قوله عليه السلام: وَاعْلَمُوا اِنَّ عِبَادَ اللّٰهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ يَصُونُونَ مَصُونَهُ وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ يَتَوَاصَلُونَ بِالْوِلاَيَةِ...**

المُستحفَظَين بفتح الفاء بصيغة إسم المفعول أي الّذين طُلب منهم حفظ العلم والمعنىٰ أنّهم يصُونون مَصُونه أي يحفظون ما يجب حفظه من الأسرار المودّعة عندهم ويفجّرون عُيونه أي عُيون العلم وينابيعه فَيُظهرون للنّاس ما ليس من قبيل الأسرار كالتّكاليف والأحكام من الحَلال والحَرام وقوله يتواصلون بالولاية قيل أي بالمحبّة والنُّصرة.

أو القُرب والصّداقة والأحسن أن يقال أنّ تواصلهم علىٰ أساس الولاية لا علىٰ غيرها من النّفاق والرّئاسة وحبّ الدّنيا كما هو الأصل في تواصل أكثر أبناء الزّمان.

▫ **قوله عليه السلام: وَيَتَلاَقَوْنَ بِالْمَحَبَّةِ وَيَتَسَاقَوْنَ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ...**

أي من أوصافهم أيضاً أنّهم يتلاقون بالمحبّة أي علىٰ أساس الحُبّ في الدّين ويتساقون أي يسقي كلّ واحدٍ منهم لِلآخر بكأس العلم والمعرفة ويصدرون عنها بريّة لا ظَمأ بعدها أصلاً:

▫ **قوله عليه السلام: وَيَصْدُرُونَ بِرِيَّةٍ لاَ تَشُوبُهُمُ الرِّيْبَةُ وَلاَ تُسْرعُ مِنْهُمْ الْغَيْبَةُ عَلَىٰ ذٰلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَاخْلاَقَهُمْ...**

أمّا أنّهم لا تشوبهم الرّيبة والشّك في إعتقادهم وعلمهم فلأنّهم علىٰ يقين ومن وَصَل الىٰ هذا المقام لا يشكّ أصلاً وأمّا عَدم الغَيبة فلأنّها من المُحرّمات

في الشّريعة المقدّسة والمؤمن الحقيقي مُنزه عنها وذلك لأنّ اللّه تعالىٰ جَعَلهم كذلك خَلقاً وخُلقاً فهم مُنزهون عن الرّذائل والخبائث:

□ قوله ﷺ: **فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ وَبِهِ يَتَوَاصَلُونَ فَكَانُوا كَتَفَاضُلِ الْبَذْرِ يُنْتَقَىٰ فَيُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُلْقَىٰ...**

أي فعلىٰ هذا الأصل تكون محبّتهم ووصلتهم لا علىٰ حُبّ النّفس الأمّارة بالسّوء فكانوا هؤلاء كتفاضل البَذر أي أنّهم في تفاضلهم علىٰ سائر النّاس كذلك فكما أنّ البَذر أوّل ما يُعزَل من الحبُوب ومع ذلك هو من أحسنها تزكيةً فكذلك هؤلاء من حيث إتّصافهم بالكمالات النّفسانية الحاصلة لهم من إستعداداتهم المَخصُوصة يتفاضلون علىٰ غيرهم من النّاس وكما أنّ البَذر يؤخذ به ويُلقىٰ الرّديّ من الحبوب لعدم صلاحيّته له كذلك هؤلاء يُؤخذ بهم في الشّريعة والطّريقة ويُلقىٰ غيرهم من النّاس وكما أنّ البَذر هو الملاك في الزّراعة كذلك هؤلاء والحاصل أنّ البَذور هي الأصول في الحبوب وهؤلاء في النّاس فالكلام خرج مخرج الإستعارة حيث شبّه ﷺ النّاس بالحبُوب وهؤلاء بالبذُور:

□ قوله ﷺ: **قَدْ مَيَّزَهُ التَّخْلِيصُ وَهَذَّبَهُ التَّمْحِيصُ فَلْيَقْبَلِ امْرُؤٌ كَرَامَةً بِقَبُولِهَا وَلْيَحْذَرْ قَارِعَةً قَبْلَ حُلُولِهَا...**

والضّمير في قوله ﷺ: **ميّزه** وهذّبه الىٰ البَذر أي قد مَيّز البَذر من الحبُوب أي تخليصه عن الرّداءة وهذّبه وفَضّله الإختبار والإمتحان والتّجربة فَعَلم الزّراع أنّ النّتيجة تابعة للبَذر وتدور مداره نقاوةً ورِداءةً وما نحن فيه أيضاً كذلك فأمر الشّارع بإتّباعهم وإطاعتهم كان علىٰ هذا الأساس وإذا كان كذلك فليقبل إمرؤٌ كرامةً بقبولها أي ينبغي لكلّ عاقل أن يقبل هذه الكرامة التّي أكرمها اللّه وأعطاها أيّاه فأنّه من الشّكر علىٰ النّعمة وقد قال اللّه تعالىٰ: **﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾** (١)

---

١ ـ ابراهيم ـ ٧

كما أنّ عدم قبولها من الكفران الّذي قال تعالى: **﴿وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾**(١) ولأجل هذا قال ﷺ وليَحذَر أي وليَحذَر الإنسان قارعةً أي داهيةً وعذاباً من اللّه قبل حلولها بسبب عدم قبول الكرامة.

▫ **قوله ﷺ: وَلْيَنْظُرْ امْرُؤٌ فِي قَصِيرِ اَيَّامِهِ وَقَلِيلِ مُقَامِهِ فِي مَنْزِلٍ حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلاً فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوَّلِهِ وَمَعَارِفِ مُنْتَقَلِهِ...**

أي أنّ الإنسان لابدّ له من الرّحيل ولا يمكن له الإقامة في دار الدّنيا ولا شكّ أنّ مدّة الحياة فيها قليلة جدّاً وأمّا الحياة في الآخرة فهي بخلافها في الدّنيا فأنّها أي الآخرة دار القرار والدّنيا دار المجاز وعليه فينبغي أن ينظر المرء في قصير أيّامه في الدّنيا وقليل مقامه فيها فلا يعتمد عليها ويتوجه أن هذا المنزل لا محالة يستبدل بغيره وهو منزل الآخرة فليَضَع الآخرة أي فليَعمل لمُتَحوله أي لما يُنتقل اليه لا محالة وليَكسب ما هو يفيده فيه من الزّاد فأنّ المسافة بعيدة مخوفة مَهُولة:

▫ **قوله ﷺ: فَطُوبَىٰ لِذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ اَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ وَتَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيهِ وَاَصَابَ سَبِيلَ السَّلاَمَةِ...**

أي فطُوبىٰ لذي قلبٍ سليمٍ عن الوَسوسة والشّك والنّفاق في إطاعته لمن يهده الىٰ الحقّ وتجنّبه أي بُعده وإحترازه عمّن يضّله ويسقطه في الدّرك الأسفل من النّار وأصاب سبيل السّلامة عن الآفات والخَطرات والوساوس الشّيطانية والهواجس النّفسانية فيه فصار مصداقاً لقوله: **﴿اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾**(٢)

▫ **قوله ﷺ: بِبَصَرِ مَنْ بَصَّرَهُ وَطَاعَةِ هَادٍ اَمَرَهُ وَبَادَرَ الْهُدَىٰ قَبْلَ اَنْ تُغْلَقَ اَبْوَابُهُ وَتُقْطَعَ اَسْبَابُهُ...**

أي أنّ ذلك يحصل ببركة من بَصَّره اللّه في دينه بأن يقتدي به ويَعمل بعَمَله والإطاعة عن هادٍ أَمَره وبادَر الهُدىٰ قبل أن تُغلق أبوابه بالمَوت وتُقطع أسبابه بسلب التّوفيق وفيه إشارة الىٰ أنّ السّلُوك الىٰ اللّه والوصُول الىٰ مقام قُربه لا

١ ـ ابراهيم ـ ٧ ٢ ـ الحمد ـ ٥

يمكن إلّا بالإقتداء والإهتداء بمن عَصَمه اللّه عن الزّلل والعصيان من الأنبياء والأوصياء ولأجل هذا أُمرنا بالتّمسك بهم وعدم التّخلف عنهم فمن زَعَم أنّه يَقدر علىٰ الوصُول بالكمالات النّفسانية والبلُوغ الىٰ المقامات المَعنّوية من عند نفسه من غير الإقتداء بالأولياء والإهتداء والإستضاءة بأنوار الصّلحاء فقد أخطأ خطأً فاحشاً:

▫ **قوله** ﷺ: **وَاسْتَفْتَحَ التَّوْبَةَ وَاَمَاطَ الْحَوْبَةَ فَقَدْ أُقِيمَ عَلَىٰ الطَّرِيقَ وَهُدىَ نَهْجَ السَّبِيلِ...**

الواو للعطف أي وإستَفتَح باب التّوبة علىٰ نفسه وأماطَ وأزال الإثم عن لوح نفسه فقد أُقيم علىٰ طريق الهُدىٰ وهُدي الىٰ سبيل الرّشـاد فأنّ التّـائب مـن الذّنب كَمَن لا ذنب له:

تنبيهٌ: إعلم أنّ الشّارح المُعتزلي قد ذكر في شرحه أُموراً لابدّ لنا من البحث فيها إجمالاً:

أحدها: قوله وفي الكلام رَمزٌ الىٰ جماعة من الصّحابة في أنسابهم طَعن كما يقال أنّ آل سَعد ابن أبي وقاصّ ليسُومن بني زهرة بن كلاب وأنّهم من بني عُذرة من قحطان، وكما قالوا أنّ آل الزّبير بن العوام من أرض مِصر من القبط وليسوا من بني أسد بن عبد العزّىٰ الىٰ آخر ما قال في كتابه وأنا أقول لا رَمز في كلام أمير المؤمنين ﷺ لما ذكره من الطّعن في الأنساب أصلاً وليت شعري من أين فَهِم هذا الرَّمز والعَجب من الشّارح الخوئي ﷺ حيث تبعه فيه وذكر في شرحه بعض الطّعُون الّذي لو فرضنا صحّته لا يفيد ولا يُثمر بل هو خارج عن مورد البحث:

بل مراد أمير المؤمنين من قوله كلّما نسخ اللّه الخلق الىٰ قوله فيه فاجر، هو إثبات أنّ نَسَب الرّسول كان من أَحسن الأنساب بحيث لم يسهم فيه عاهر ولا ضَرب فيه فاجر، أي أنّ أباءه وأُمّهاته كانوا منّزهين عن العَهر والفَجر وقد ثَبت أنّ إثبات الشّئ لا ينفي ما عداه لستُ أقول أنّ في الأنساب يوجد مثل نَسَبه ﷺ بل أقول لا رَمز في كلامه ﷺ الىٰ الطّعن في أنساب غيره وهو ظاهر لا خلاف

فيه عند المُتأمّل في كلامه والمُنازع مُكابر عقله فقوله ﷺ هذا إشارة الىٰ طهارة مَولده وشرافة نَسَبه وحَسبه وهو ثابت عند أرباب السّير والنبّي لابدّ من أن يكون كذلك:

روي الطّبرسي في مشكاة الأنوار عن البيهقي في دلائل النبّوة عن ابن عبّاس أنّه قال: قال رسول اللّه ﷺ أنّ اللّه عزّ وجلّ قَسّم الخلق قسمين فَجعلني في خيرهما قسماً وذلك قوله في ذكر أصحاب اليَمين وأصحاب الشّمال فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير من أصحاب اليَمين ثمّ جعل القسمين ثلاثاً فجعلني في خيرها ثلثاً فذلك قوله:﴿ وَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا﴾ الىٰ قوله﴿ أَصْحَابَ الْمَشْئَمَةِ، وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ (١) فأنا من السّابقين وأنا خير السّابقين ثمّ جعل الثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة وذلك قوله:﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ﴾ فأنا أتقىٰ ولد آدم وأكرمهم علىٰ اللّه ولا فَخر ثمّ جعل القبائل بيوتاً فَجَعلني في خيرها بيتاً وذلك قوله عزّ وجلّ:﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتَ وَيُطَّهِرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (٢) فأنا وأهل بيتي مطّهرون من الذّنوب انتهىٰ « ص ١٦»...

أَلَـم تَـر أنّ اللّـه أَرسَـل عبده ... بـبرهانه واللّـه أعلىٰ وأَمـجَدُ
وَشَّـق له مـن إسـمه كـي يَجّله ... فَذو العرش مَحمُود وهذا مُحمّدُ

فأن قلنا بالرّمز في كلامه ﷺ ففيه رَمزٌ الىٰ طهارة أوصياءه عن الأرجاس الظّاهرية والباطّنية بدليل آية التّطهير وأنّ النبّي إذا كان نَسَبه كذلك فوصّيه أيضاً كذلك فمن إدّعىٰ خلافته ووصايته ولَيس له هذا النَّسَب والحَسَب والصّفات الكمالية فهو كاذب في دعواه لِعدم وجود السّنخية بين الخليفة والمُستخلف عنه وهو ظاهر وهذا هو الرّمز في كلامه:

وثانيها: أنّه حَمَل كلامه ﷺ: **(وَاعْلَمُوا اِنَّ عِبادَ اللّهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ)** الىٰ قوله ﷺ: **وَهَذَّبَهُ التَّمْحِيصُ** علىٰ العِرفان وأحوال العرفاء فقال وإعلم أنّ الكلام في العرفان لم يأخذه أهل الملّة الإسلامية إلّا عن هذا الرّجل الىٰ أن قال

١- الواقعة ـ ٨/٩/١٠

٢- الاحزاب ـ ٣٢

والعارفون هم القوم الّذين إصطفاهم اللّه تعالىٰ وأنتَجبهم لِنفسه وإختّصهم بأنّه أحبّوه فأَحبّهم وقربوا منه فقرب منهم وقد تكلّم أرباب هذا الشّأن في المعرفة والعرفان فكلّ نطق بما وقع له وأشار الىٰ ما وجده في وقته ثمّ شَرع في بيان كلماتهم فنَقل عن أبي علي الدّقاق والشّبلي وأبي يزيد البسطامي والواسطي والحّلاج و ذي النّون المصري ويحيىٰ إبن معاذ وأبن عطاء ورؤيم وغيرهم مقالات في هذا الباب، والحقّ أنّ هذه الأمور كلّها خروج عن طَور البَحث وحَمل الكلام علىٰ ما لا يَرضىٰ به صاحبه وبالنّتيجة إيجاد التّشكيك في ذهن السّامع كما هو شأنه في جميع الأبحاث في هذا الكتاب وأنت ترىٰ أنّ هـذا الّذي ذكره في المقام ونظائره ليس من شرح الكلام بل هو تفسير بالرّأي أو تأويل بالباطل وأن شئت قلت أنّ هذا من الخيانة والدّليل علىٰ بطلان ما ذكره في المقام بعنوان الشّرح لكلامه ﷺ من وجوه:

أحدها: أنّ أمير المؤمنين ﷺ قال **وَاعْلَمُوا اِنَّ عِبَادَ اللّهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ،** أي من يحفظ علم اللّه تعالىٰ الّذي أودعه فيه وأيّ رَبط بينه وبين من ذكره من العرفاء بزَعمه ومن المعلوم أنّه لم يكن عندهم علمٌ ليستَحفظوه ومَن يـقول غير المعتزلي أنّ أبا علي الدّقاق والشّبلي والبسطامي والواسطي وأمثالهم كانوا من الفضلاء فضلاً عن العلماء وأيّ علم من اللّه كان عندهم ليَستَحفظوه فأن كانوا منهم كما يقول المعتزلي فَأين آثارهم العلمية اللّهم أن يقول الشّارح أنّهم حفظوا عُلومهم حتّىٰ ماتوا ثمّ أظهروها لأهل القُبور، ألا ترىٰ أنّ أمير المؤمنين ﷺ وَصَف المُستَحفظين بقوله **يَصُونُونَ مَصُونَهُ وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ** ، فهل يَدّعي المُعتزلي أنّ الدّقاق والشّبلي والبسطامي وغيرهم ممّن يُفجّرون عُيون العلم وينابيعه ثمّ هل عَدّهم أحدٌ من العلماء فضلاً عن هذه الأوصاف المذكورة في كلامه ﷺ الىٰ قوله ﷺ: **وَهَذَّبَهُ التَّمْحِيصُ**:

وثانيها: أنّ الكلام في العلماء الّذين أخذوا علومهم من اللّه تعالىٰ لا من البَشَر ويدّل عليه ما ذكره ﷺ: من الأوصاف حيث قال **لاَ تَشُوبُهُمُ الرِّيْبَةُ وَلاَ تُسْرِعُ مِنْهُمُ الْغَيْبَةُ عَلَىٰ ذٰلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَاخْلاَقَهُمْ** الىٰ آخر مـا ذكـره وهـذه

الأوصاف لا تُجمع إلّا في النبّي أو وصّي النبّي فأنّهم لا تشوبهم الرّيبة في علومهم وأمّا غيرهم كائناً من كان فليس كذلك فأنّ العلوم الكّسبية عن العلماء تشوبها الرّيبة قطعاً وهكذا الكلام في إسراع الغَيبة اليهم فأنّ غير المعصُوم لا يخلو عنها وأمّا الّذي عُقد خَلقه وخُلقه علىٰ ذلك فهو المعصوم لا غير والّذي يدّعي أنّ هذه الأوصاف تُجمع في غير المعصوم كائناً من كان فهو مجنون لا يدري ما يقول ثمّ أنّ قوله ﷺ: **فَكَانُوا كَتَفَاضُلِ الْبَذْرِ يُنْتَقَىٰ فَيُؤْخَذُ مِنْهُ** ، فهو أدّل دليل علىٰ ما ذكرناه فأنّه من أوصَاف الإنسان الكامل وأمّا أمثال الشّبلي والبَسطامي والدّقاق كيف يكونون مصاديق لهذا الكلام مع أنّهم من أوساط النّاس بل من أوساخهم:

وثالثها: أنّ العارف علىٰ قسمين :

أحدهماـ العارف بالله وبرسوله وبما جاء به من عنده عِلماً وعَملاً.

وثانيهماـ العارف بالمعنىٰ المُصطَلح عند القوم وهو الّذي أطلق عليه اللّفظ كذباً فيقول ما لايفهم معناه وكلامه بكلام الشّيطان أشبه منه بكلام الإنسان فلا يعرف الله ولا رسوله بالحقيقة إلّا بالإسم أمّا الأوّل فهو داخل في البحث ومصاديقه الكاملة لِلأوصياء فقط وأمّا القسم الثّاني فهو خارج عن الإسلام واقعاً فضلاً عن البحث:

ورابعها: أنّه حَمَل كلام أمير المؤمنين (يتواصلون بالولاية) وقوله (ويتلاقون بالمَحَبّة) أيضاً عليهم فقال ما لفظه وإعلم أنّ إطلاق أمير المؤمنين عليه السّلام عليهم لفظة (الولاية) في قوله يتواصلون بالولاية ويتلاقون بالمَحبّة يستدعي الخَوض في مقامين جَليلين من مقامات العارفين المقام الأوّل الوّلاية وهو مقام جليل قال الله تعالىٰ: **﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** (1) الىٰ آخر ما قال في الباب ثمّ قال:

المقام الثّاني المَحَبّة قال الله سُبحانه من يرتّد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقومٍ يحبّهم ويحّبّونه، ثمّ تكّلم في معنىٰ المَحَبة والحُبّ ونَقَل في ذلك

١ـيونس ـ ٦٢

عن الشّبلي ويحيىٰ بن معاذ والجُنيد وغيرهم ولَم يَعلَم المعتزلي أنّ المَحَبة في كلام أمير المؤمنين غيرها في كلماتهم ومراده ﷺ منها غير مرادهم منها في أمثلتهم وذلك لأنّه ﷺ قال **وَيَتَلاَقَوْنَ بِالْمَحَبَّةِ** أي تكون ملاقاتهم ومعاشرتهم علىٰ أساس الحُبّ في اللّه فيحّبُون من يُحّبُونه لِللّه أي لأجل أنّ اللّه يحبّه كما ورد في الحديث من أَحَبّ لِللّه وأَبغَضَ لِللّه وأعطىٰ لِللّه فهو ممّن كمُل إيمانه والفرق بين معنىٰ الحُبّ والحُبّ لِللّه واضحٌ علىٰ أهل العلم وبعبارةٍ أُخرىٰ ليس الكلام في معنىٰ الحُبّ وأنّه ما هو بل الكلام في التّلاقي بالمحَبة وما ذكره أو نقله يرجع الىٰ معنىٰ الحُبّ والمحّبة وهو شيئ آخر غير ما نحن فيه فكأنّ المعتزلي لم يفهم كلامه ﷺ أو فِهمَ وتجاهَل به تجاهُل العارف والأوّل أقوىٰ عندي بالنّسبة اليه أذا عرفت هذا فنقول:

مراده ﷺ من المُستحفظين الّذين أثبت لهم الأوصاف المذكورة هو الأئمّة الّذين أَذهَب اللّه عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً ولا يُوجد أحدٌ في الإسلام بعد النّبي تصدق عليه الأوصاف إلّا أوصيائه الإثني عَشَر أولّهم علّي بن أبي طالب وآخرهم الحُجَة المُنتظر سلام اللّه عليهم أجمعين والرّوايات به كثيرة أن شئت الإطّلاع عليها راجع البحار وغيره من المطّولات فقوله ﷺ: **(فليقبل)** إمروٌ كرامة بقبولها، مراده ﷺ من الكرامة الولاية لأهل البيت وقوله **(وليحذر قارعة قبل حلولها)**، مراده أنّ في ترك الولاية خوف القارعة والدّاهية من اللّه تعالىٰ وقد قال رسول اللّه ﷺ **من مات ولم يعرف إمام زمانه مات مَيّتة الجاهليّة**:

ونحن قد ذكرنا في المُجلّد الأوّل من هذا الكتاب عند بحثنا في الإمامة شرائط الإمامة وأنّ الإمام يَجب أن يكون أعلم النّاس وأشجَعهم وأزهَدهم وأَعدَلهم وأَطهَرهم نَسَباً وأشرَفهم حَسَباً وهكذا غيرها من الصّفات الّتي لا توجد في غير المعصُومين فما قاله المُعتزلي في المقام وحَمَل كلامه ﷺ عليه لا يرجع الىٰ مُحصّلٍ والحَمد لِللّه ربّ العالمين:

ومن دعاءٍ له عليه السلام (٢١٤)
كان يدعو به

□ قوله عليه السلام: اَلحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى لَمْ يُصْبِحْ بِى مَيِّتاً وَلاَ سَقِيماً وَلاَ مَضْرُوباً عَلَىٰ عُرُوقِى بِسُوءٍ وَلاَ مَاخُوذاً بِأَسْوَا عَمَلِى وَلاَ مَقْطُوعاً دَابِرِى وَلاَ مُرْتَدّاً عَنْ دِينِى وَلاَ مُنْكِراً لِرَبِّى وَلاَ مُسْتَوْحِشاً مِنْ اِيمَانِى وَلا مُلْتَبِساً عَقْلِى وَلاَ مُعَذَّباً بِعَذَابِ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِى اَصْبَحْتُ عَبْداً مَمْلُوكاً ظَالِماً لِنَفْسِى لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلاَ حُجَّةَ لِى وَلاَ اسْتَطِيعُ اَنْ آخُذَ اِلَّا مَا اَعْطَيْتَنِى وَلاَ اَتَّقِيَ اِلَّا مَا وَقَيْتَنِى.

اللَّهُمَّ اِنِّى اَعُوذُ بِكَ اَنِ افْتَقِرَ فِى غِنَاكَ اَوْ اَضِلَّ فِى هُدَاكَ اَوْ اُضَامَ فِى سُلْطَانِكَ اَوْ اُضْطَهَدَ وَالْأَمْرُ لَكَ!

اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِى اَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِى وَاَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِى !

اللَّهُمَّ اِنَّا نَعُوذُ بِكَ اَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ اَوْ نُفْتَتَنَ عَنْ دِينِكَ اَوْ تَتَابَعَ بِنَا اَهْوَاؤُنَا دُونَ الْهُدَىٰ الَّذِى جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ!

◁ اللّغة

(أَضَامَ) الضَّيم الذّل والحقارة (أُضطهد) ضهده كمَنعه، قَهَرَه والباقي واضح:

◁ المعنىٰ

(اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى لَمْ يُصْبِحْ بِى مَيِّتاً وَلاَ سَقِيماً)أي لم يدخلني في الصّباح بحَال المَوت أو السّقم (وَلاَ مَضْرُوباً عَلَىٰ عُرُوقِى) أي أعضائي وجوارحي (بِسُوءٍ) وآفة توجب سُوء المَنظَر (وَلاَ مَاخُوذاً بِأَسْوَا عَمَلِى) ومعاقباً بأقبح ذنوبي (وَلاَ مَقْطُوعاً دَابِرِى) وآثار حياتي (وَلاَ مُرْتَدّاً عَنْ دِينِى وَلاَ مُنْكِراً لِرَبِّى وَلاَ مُسْتَوْحِشاً مِنْ اِيمَانِى وَلا مُلْتَبِساً عَقْلِى) أي مختلطاً بالجنُون فأنّ هذه الأُمور من أعظم الدّواهي والمصائب (وَلاَ مُعَذَّباً بِعَذَابِ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِى) كقوم عاد وثمود (اَصْبَحْتُ عَبْداً مَمْلُوكاً) لربّي (ظَالِماً لِنَفْسِى) في مقام العبودية (لَكَ الْحُجَّةُ عَلَىَّ وَلاَ حُجَّةَ لِي) عليك (وَلاَ اَسْتَطِيعُ) ولا أقدر (اَنْ آخُذَ) منك (اِلَّا مَا اَعْطَيْتَنِى) من النّعم (وَلاَ اَتَّقِىَ) منك (اِلَّا مَا وَقَيْتَنِى) بتوفيقك (اللّٰهُمَّ اِنِّى اَعُوذُ بِكَ اَنِ افْتَقِرَ فِى غَنَاكَ اَوْ اَضِلَّ فِى هُدَاكَ اَوْ اَضَامَ) وأُذَل (فِى سُلْطَانِكَ اَوْ اُضْطَهَدَ) أي أكون مغلوباً مقهوراً (وَالْأَمْرُ لَكَ) ولا أمر لغيرك (اللّٰهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِى اَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا) وتخرجها (مِنْ كَرَائِمِى) وأعضائي (وَاَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا) اليك (مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِى التي أنعمت بها علّي (اللّٰهُمَّ اِنَّا نَعُوذُ بِكَ اَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ) أي أوامرك ونواهيك (اَوْ نُفْتَتَنَ) ونضّل (عَنْ دِينِكَ اَوْ تَتَابَعَ بِنَا اَهْوَاؤُنَا) وأميالنا (دُونَ الْهُدَىٰ الَّذِى جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ) فنقع في مهاوي الهَلَكات:

◁ الشرح

▫ قوله ﷺ: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى لَمْ يُصْبِحْ بِى مَيِّتاً وَلاَ سَقِيماً وَلاَ مَضْرُوباً عَلَىٰ عُرُوقِى بِسُوءٍ...

قد مضىٰ الكلام في معنىٰ الحَمدُ لِلّٰه غير مرّةٍ والمعنىٰ جنس الحمد أو كلّ الحَمد للذّات الوجُود المُستجمع لجميع الصّفات الكمّالية الّذي لم يدخلني في الصّباح من الأموات بأن أكون نائماً علىٰ فراشي فأموتُ في حال النّوم ولا

سقيماً بأن أبيت صحيحاً وأصبح سقيماً مريضاً ولا مضروباً علىٰ عروقي بسُوء أي بآفةٍ توجب قبح المَنظَر وأنّما حَمِد اللّه علىٰ هذه الأُمور لأنّها من العافية والسّلامة في الجسم والصّحة في البَدَن ولا شكّ أنّها من أفضَل النّعم فقد قال رسول اللّـه ﷺ **نعمتان مجهولتان الصّحة والأمان**، وقال ﷺ **إغتنم خمساً قبل خمس** وعّد منها **الحياة قبل الموت والصّحة قبل المَرَض**، والدّليل علىٰ أنّ الحياة مع الصّحة من أفضَل النّعم بعد الرّوايات هو أنّ العبادات الموصلة الىٰ الكمال في الدّنيا موقوفة عليهما فلو كان الإنسان ميّتاً أو مريضاً لا يـقدر علىٰ الشّئ المطلوب الّذي خُلق لأجله وكيف كان فلا إشكال في كون الحياة والصّحة من النّعم الّتي يجب الشّكر عليها وحيث أنـهما كـغيرهما بـيَد اللّـه فالحمدُ له تعالىٰ وهذا أي الشّكر علىٰ النّعمة لا يُنافي كون المَوت محبُوباً في ذاته والدّنيا وما فيها مبغوضاً كذلك فقول أمير المؤمنين في بعض كلماته **واللّه لأبن أبي طالب أَنَس بالموت من الطّفل بثدي أُمّه**، لا يُنافي حمده في المقام علىٰ حياته وصّحته فأنّ النّعمة ما دامت باقية يجب الشّكر عليها من حيث أنّها توصل الإنسان الىٰ مقام القُرب في مقام العبُودّية إذا وُضعت في محّلها وأيضاً لا ينافي هذا مقام الرّضا بل هو عينه وذلك معنىٰ الرّضا والتّسليم بل هو عَينه وذلك لأنّ معنىٰ الرّضا والتّسليم هو الرّضا بما قدّر اللّه لعَبده سواء كان المُقدّر حياة أو موتاً أو صحّة أو سقماً فكلّما قدّر اللّه له يجب عليه الشّكر هذا كلّه بمقتضىٰ ظاهر العبارة وفي المقام إحتمال آخر وهو أنّه حَمِد اللّه تعالىٰ علىٰ عدم المَوت والسُّقم كذلك من أجل أنّ الموت علىٰ هذا المنوال وهو أن يبيت الإنسان سالماً ويصبح ميّتاً أو بات صحيحاً وأصبح مريضاً يكشف عن الغفلة ولا شكّ أنّ المَوت مع توّجه الإنسان اليه أولىٰ وأحسَن منه مع عَدمه وعليه فمن سعادة المرء عدم موته عن غفلةٍ ولا شك أنّ الموت المفروض كذلك:

□ قوله ﷺ: **وَلاَ مَاخُوذاً بِأَسْوَا عَمَلِي وَلاَ مَقْطُوعاً دَابِرِى وَلاَ مُرْتَدّاً عَنْ دِينِى وَلاَ مُنْكِراً لِرَبِّي وَلاَ مُسْتَوْحِشاً مِنْ اِيمَانِى وَلاَ مُلْتَبِساً عَقْلِى وَلاَ مُعَذَّباً بِعَذَابِ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِي...**

هذه كلّها معطوفة على الجملة الأوّلى أي الحمد لِللّه على كلّ هذه الأُمور والمعنى أنّ اللّه تعالى لَم يأخذني بأسوء عَمَلي بمقتضى لُطفه ورحمته ومنّه وكَرمه ولم يقطع دابري كما قال في كتابه: ﴿ إنَّ دَابِرَ هٰؤُلاءَ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ (١) ولم يجعلني من المُرتّدين عن ديني ولا مُنكراً لربّوبيته وأُلوهية وايضاً لم يجعلني ممّن يستوحش من إيمانه ولا ممّن يلتبس عقله كالمجانين ولا ممّن يُعذّب بعذابه كما في الأُمم السّالفة ووجه الشّكر على عدم وجود هذا الأُمور معلوم لأنّه من توفيق اللّه وعنايته وأيّة نِعمةٍ أحسن من توجه الخالق الى المخلوق وكونه مشمولاً للطفه ورَحمته:

▫ **قوله ﷺ: اَصْبَحْتُ عَبْداً مَمْلُوكاً ظَالِماً لِنَفْسِى لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلاَ حُجَّةَ لِي وَلاَ اسْتَطِيعُ اَنْ آخُذَ اِلَّا مَا اَعْطَيْتَنِي وَلاَ اَتَّقِيَ اِلَّا مَا وَقَيْتَنِي...**

أي أصبحت عَبداً مملوكاً لك وأنت مالكي ظالماً لنفسي فأنّ العَبد كائناً من كان لا يقدر على أداء وظيفة العُبودية تقصيراً أو قُصوراً وذلك لأنّ العبادة والإطاعة فرع على المعرفة وحيث أنّ معرفة اللّه بالكُنه لا يمكن لأحدٍ من المخلوق فلا يمكن له العُبّودية كاملاً وإذا كانت المعرفة ناقصة فالعبادة أيضاً ناقصة وحيث أنّ منافع العبادة ترجع الى العبد لا الى الرّب فالقُصور أو التّقصير عنها ظُلمٌ على نفس العبد لا على الرّب لعدم إحتياجه وغناه في ذاته فَمن قصّر أو قصُر في عبادته ظَلم على نفسه كما قال تعالى: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ اَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾** (٢)

و: **﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾** (٣)

و: **﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾** (٤)

أن قلت – أنتم تقولون أنّ الإمام معصوم والمعصوم لا يعصي اللّه أصلاً فما معنى الظّلم على نفسه وبعبارةٍ أُخرى ما لم يتحقق العصيان في مقام العبّودية

١-الحجر - ٦٦
٢- فصّلت - ٤٦
٣- الطلاق - ١
٤- القصص - ١۶

لم يتّحقق الظّلم علىٰ النّفس،المعصية علىٰ ضربين أحدهما ناش عن التّقصير والآخر عن القصُور والمعصوم لا يعصي اللّه عن تقصيرٍ وأمّا عن قصُورٍ فلا إشكال فيه بناء علىٰ القـول بأنّ تـرك العـبّودية عـصيان، وذلك لأنّ وظـائف العبّودية لا يمكن الإتيان بها كاملاً من العبد لما قلناه من أنّ العبّودية الكاملة فرع علىٰ المعرفة كذلك والمعرفة التّامة الكاملة مُنتفية في حقّ العبد لإمكانه والمُمكن لا يحيط بالواجب وإذا انتّفت المعرفة التّامة إنتّفت العُبودية فالعبد وأن بَلغ في مقام العبّودية ما بَلغ لم يقدر علىٰ أداء وظيفة العبّودية بالنّسبة الىٰ خالقه وهذا قصُورٍ في حقّه لكونه من شئون ذاته الممكن لا تقصيرٌ فالعصيان أو الظّلم علىٰ النّفس في حقّ المعصوم من هذا القبيل فقوله ﷺ: **ظالماً لِنفسي** ليس معناه أنّه ظلم علىٰ نفسه بسبب إتيانه بالمعاصي المُصطَلحة بل معناه أنّه ظَلَم علىٰ نفسه في مقام العبّودية الكاملة اللاّئقة بمقام المعبُود حيث لم يقدر علىٰ معرفة الواجب علىٰ ما هو عليه وهذا أصل في جـميع الإطـلاقات فـي الآيات والأخبار في حقّ المعصوم:

وأمّا قوله ﷺ: **لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلاَ حُجَّةَ لِي**، فهو ممّا لا شكّ فيه قال اللّه تعالىٰ: **﴿قُلْ فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ فَلَوشَاءَ لَهَديكُم اَجمَعِينَ﴾**(١)

و : **﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىاللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾**(٢) هذا بحسب الظّاهر وأمّا بحسب الباطن فلوجود العقل في الإنسان فأنّه حجّة باطنة من اللّه علىٰ عباده كما وَرد في الحديث، **أنّ لِلّه علىٰ النّاس حُجّتين حُجّة ظاهرة وحُجّة باطنة أمّا الظّاهرة فهي الأنبياء والرّسل وأمّا الباطنة فهي العَقل فبعد وجود العقل وإرسال الرّسل قد تمّت الحجّة علىٰ العَبد...**

وأمّا العبد فلا حجّة له علىٰ رَبّه بعد ما ذكرناه من إتمامها من اللّه عليه نعم في صورة عدمها أو عدم أحدٰيهما لا حجّة لِلّه علىٰ العبد بل له الحجّة عليه. إذا أراد عقابه في الآخرة وحيث أنّ المقام من قبيل الأوّل قال ﷺ: **لَكَ الْحُجَّةُ**

١- الانعام- ١٤٩

٢- النّساء- ١٦٥

عَلَيَّ وَلاَ حُجَّةَ لِي :

وأمّا قوله ﷺ: **وَلاَ اسْتَطِيعُ اَنْ آخُذَ اِلَّا مَا اَعْطَيْتَنِي** ففيه إشارة الىٰ أنّ الإعطاء بيده والعبد مُحتاج اليه فهو تعالىٰ يعطي والعبد يأخذ وهو مملوكٌ لا يقدر علىٰ شئ فكيف يقدر علىٰ الأخذ بأكثر ممّا يُعطيه الرّب وقوله ﷺ: **وَلاَ اَتَّقِيَ اِلَّا مَا وَقَيْتَنِي**، إشارة أيضاً الىٰ ضعف العَبد وعجزه وإحتياجه الىٰ خالقه في جميع شئونه حتّىٰ في عباداته فلا يمكن له فعل العبادة أو ترك المعصية إلّا بتوفيقٍ منه تعالىٰ:

أَزِمّـــة الأُمـــور طُـــرّاً بـيده   والكـــلّ مسْـتمدة مـن مَـدّه

▫ قوله ﷺ: **اَللَّهُمَّ اِنِّي اَعُوذُ بِكَ اَنِ افْتَقِرَ فِي غَنَاكَ اَوْ اَضِلَّ فِي هُدَاكَ اَوْ اَضَامَ فِي سُلْطَانِكَ اَوْ اُضْطَهَدَ وَالْأَمْرُ لَكَ...**

أي أنّي أعوذ بك وألتجئ اليك من أُمورٍ أربعة كلّها لا يليق بجنابك:

أحدها أن أفتقر وأحتاج الىٰ النّاس في غناك أي والحال أنت غنّي علىٰ الإطلاق والكلّ مُحتاج اليك وأنا عبدك المحتاج وهل يرحم المحتاج إلّا الغنّي وعليه فالفقر في العبد مُستند الىٰ مَصلَحته لأنّ المفروض أنّ الواجب غنّي وهو مع ذلك لا بُخل له فإذا إقتضت المَصلحة غنىٰ العَبد يُغنيه اللّه ولا يقدر أحَدٌ علىٰ منعِه من الإعطاء وإذا إقتضت فقره فهو كذلك مقرون بالمَصلَحة ففي هذه الصّورة ينبغي للعبد أن يلتجئ الىٰ ربّه ويتّعوذ به لأنّ الصّبر علىٰ الفقر صعبٌ جدّاً ولذلك قال رسول اللّه ﷺ الفقر كاد أن يكون كفراً، فلولا شمول فضله ورحمته للعبد لا يمكن له الصّبر عليه فلا محالة يتّعوذ باللّه من خطره هذا كلّه علىٰ ظاهر العبارة:

وفي المقام إحتمال آخر في تفسير كلامه وحاصله أنّ العبد لا يفتقر ولا يحتاج الىٰ غير خالقه أصلاً وذلك لأنّ اللّه يرزقه من حيث لا يحتسب وما من دابّةٍ في الأرض إلّا علىٰ اللّه رزقها أو أنّ المعنىٰ أعوذ بك أن أحتاج الىٰ غيرك والحال أنت غنّي والكلّ يحتاج اليك، وقوله ﷺ: **اَوْ اَضِلَّ فِي هُدَاكَ** أي وأعوذ

بك من أن أضّل في ديني في هُداك بسبب الأنبياء والرُّسُل ولا سيّما خاتم النبّين مع وضوح الطّريق كما قال تعالىٰ:

﴿إنّا هَدَيْنَاهُ السَبيلَ اِمَّا شاكِراً وَ اِمَّا كَفُوراً﴾[1] وقوله ﷺ: **اَوْ اُضَامَ فِي سُلْطَانِكَ** أي أصير مظلوماً في سُلطانك والحال أنّك قوّي تقدر علىٰ دفع الظّلم عنّي أو أُضطهد والأمر لك، أي أكون مغلُوباً مقهوراً والحال أنّك صاحب الأمر والقُدرة لقطع ظهُور الظّالمين وأعناق الجبّارين وحاصل الكلام أنّي أرجو منك الرّحمة والعافية وأستّمد منك الإستخلاص من هذه الأُمور الّتي توجب الحقارة والذّلة في دار الدّنيا ومن يتّوكل عليك فأنت تكفيه:

▫ **قوله ﷺ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِي اَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِي وَاَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِي...**

وهذا من أحسَن الأدعية وذلك لأنّ الموت ممّا لا مَحيص عنه وهو قد يكون مسبوقاً بالأمراض الصّعبة الّتي توجب زوال الأعضاء والحوّاس والعجز عن الحركة مدّة طويلة والجراحات في الجسم والعِمىٰ في البَصر وإختلال العَقل وفَلَج الأعضاء وغير ذلك، وأُخرىٰ لا يكون كذلك بل تنتزع النّفس عن البَدن قبل برُوز هذه الحوادث ولا شَك أنّ الكلّ مطابق للمَصلحَة بل ربّما يكون الأوّل أصلَح وأنفَع للإنسان من جهة حَطّ الذّنوب بها إلّا أنّ المَوت كذلك مشكل جدّاً من حيث أنّ المَريض لا يقدر علىٰ شيْ بل هو كلٌّ علىٰ أبنائه أو أقربائه أو غيرهم وإذا طال المرض وهو علىٰ هذه الحالة يمِّلُون منه ويَتجّنبُون عنه لا محالة فقد رأينا بعض المَرضىٰ قد تَنفُّر عنه عياله وأولاده وقالوا إنّا سَئِمنا من المراقبة والمُواظبة عليه وقلّما يتّفق خلاف ذلك وإذا كان الأمر علىٰ هذا المنوال فالمريض يتأذىٰ شديداً ويتألم رُوحاً أكثر من تألمه جسماً فأنّ التّأثر الرّوحي أصعب من الجسمي وجراحات اللّسانية الّتي تتّفق في خلال المواظبة من المراقبين أشدّ من الجراحات الجسّمية وكيف كان ففيه

١- الانسان - ٣

مِنّةٌ عظيمة على المريض بحيث يطلب الموت ولا موت له وهذا هو السِّر في دُعائه عليه السلام اللّهم إجعل نفسي أوّل كريمةٍ تَنتزعها من كرائمي، أي لا تجعلني تحت مِنّة الخَلق وهذا الدّعاء لا ينافي مقام الرّضا والتّسليم ولا يدّل أيضاً على أنّ إنتزاع غير النّفس من الأعضاء والجوارح عقوبة له ووبال عليه وهو غير راض به بل يدّل هذا الكلام على ذَم الإحتياج الى الخلق وهو حَسَن مَمَدوحٌ:

وأمّا قوله عليه السلام: **وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا** أي تَطلب رجُوعها اليك من ودائع نِعمك، ففيه إشارة الى أنّ النّفس وغيرها من الأعضاء والجوارح ودائع اللّه عند الإنسان وكلّ وديعةٍ لابدّ من أن ترجع الى صاحبها كما هو شأن الوَديعة وفي قوله عليه السلام: **تَرْتَجِعُهَا** إشارة الى قوله تعالى: **﴿يا اَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ اِرْجِعي إِلىٰ رَبِّك راضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾** (١)

و: **﴿اِنَّ اِلىٰ رَبِّكَ الرُّجْعىٰ﴾** (٢)

□ قوله عليه السلام: **اللَّهُمَّ اِنَّا نَعُوذُ بِكَ اَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ اَوْ نُفْتَتَنَ عَنْ دِينِكَ اَوْ تَتَابَعَ بِنَا اَهْوَاؤُنَا دُونَ الْهُدَىٰ الَّذِى جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ...**

أي اللّهم إنّا نعوذ بك عن مخالفة أوامرك ونواهيك أو نفتتن أي نضّل عن دينك أو تُتابع بنا أهوائنا وأميالنا دون الهُدىٰ الّذي جاء من عندك بسبب كتابك وسُنّة نبيّك فأنّ الأمر بيدك إنّك على كلّ شئٍ قدير.

١- الفجر ـ ٢٨ ٢- الفلق ـ ٨

ومن خطبة له عليه السلام (٢١٥)

وشرحها في فصلين، الفصل الأوّل:

□ قوله عليه السلام: اَمَّا بَعْدُ فَقَدْ جَعَلَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً بِوِلاَيَةِ اَمْرِكُمْ وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ فَالْحَقُّ اَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ وَاَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ لاَ يَجْرِي لِأَحَدٍ اِلَّا جَرَىٰ عَلَيْهِ وَلاَ يَجْرِي عَلَيْهِ اِلَّا جَرَىٰ لَهُ وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ اَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلاَ يَجْرِيَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذٰلِكَ خَالِصاً لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ لِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ وَلٰكِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ اَنْ يُطِيعُوهُ وَجَعَلَ جَزَاهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفَضُّلاً مِنْهُ وَتَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ اَهْلُهُ.

ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَىٰ بَعْضٍ فَجَعَلَهَا تَتَكَافَا فِي وُجُوهِهَا وَيُوجِبُ بَعْضاً بَعْضاً وَلاَ يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا اِلَّا بِبَعْضٍ وَاَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللّٰهُ سُبْحَانَهُ لِكُلٍّ عَلَىٰ كُلٍّ فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأُلْفَتِهِمْ وَعِزّاً لِدِينِهِمْ فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ اِلَّا بِصَلاَحِ الْوُلاَةِ وَلاَ تَصْلُحُ الْوُلاَةُ اِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ فَاِذَا اَدَّتِ الرَّعِيَّةُ اِلَى الْوَالِي حَقَّهُ وَاَدَّىٰ الْوَالِي اِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ وَجَرَتْ عَلَىٰ اَذْلاَلِهَا السُّنَنُ فَصَلَحَ بِذٰلِكَ الزَّمَانُ وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ. وَاِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا وَاَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ وَكَثُرَ

الْاِدْغَالُ فِي الدِّينِ وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ فَعُمِلَ بِالْهَوَىٰ وَعُطِّلَتِ الْأَحْكَامُ وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ فَلاَ يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ وَلاَ لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الْأَبْرَارُ وَتَعِزُّ الْأَشْرَارُ وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللّٰهِ عِنْدَ الْعِبَادِ فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذٰلِكَ وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ فَلَيْسَ أَحَدٌ وَاِنْ اشْتَدَّ عَلَىٰ رِضَاءِ اللّٰهِ حِرْصُهُ وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا اللّٰهُ اَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ وَلٰكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللّٰهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ وَالتَّعَاوُنُ عَلَىٰ اِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ وَلَيْسَ امْرُؤٌ وَاِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوْقِ اَنْ يُعَانَ عَلَىٰ مَا حَمَّلَهُ اللّٰهُ مِنْ حَقِّهِ وَلاَ امْرُؤٌ وَاِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ وَاقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ بِدُونِ اَنْ يُعِينَ عَلَىٰ ذٰلِكَ اَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ.

◁ اللغة

(التَّوَاصُفِ) مصدر قولك تواصف يتواصف يقال تواصفوا الشئ أي وَصَفَه بعضهم علىٰ بعضٍ (التَّنَاصُفِ) أيضاً مصدر باب التّفاعل من تناصَفَ النّاس أي أَنصَفَ بعضهم لبعضٍ (صُرُوفُ) جمع صَرف وهو التّغيير صروف الدّهر تغيّراته (افْتَرَضَهَا) أوجبَها (اَذْلاَلِهَا) أي وجُوهها (الْاِدْغَالُ) في الأمر إدخال ما يفسده فيه (تَذِلُّ) أي تحقر (تَبِعَاتُ) جمع تَبِعة وهي ما تطلبه من ظُلامة:

◁ المعنىٰ

(اَمَّا بَعْدُ) أي بعد الحمد والثّناء علىٰ اللّه (فَقَدْ جَعَلَ اللّٰهُ) وأوجب (سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً بِوِلاَيَةِ اَمْرِكُمْ) أي بسبب الولاية (وَلَكُمْ) أي وجَعَل اللّه لكم (عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ) الواجب (مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ فَالْحَقُّ اَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ) لسهُولته علىٰ الألسنة (وَاَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ) في مقام العمل والقبول لصعُوبته وعُسره (لاَ يَجْرِي) الحقّ (لِأَحَدٍ اِلَّا جَرَىٰ عَلَيْهِ) أي أنّه تارةً يكون له وأُخرىٰ عليه (وَلاَ يَجْرِي عَلَيْهِ اِلَّا جَرَىٰ لَهُ) بعد ما جرىٰ عليه (وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ اَنْ يَجْرِيَ) الحقّ (لَهُ وَلاَ يَجْرِيَ عَلَيْهِ) أصلاً (لَكَانَ ذٰلِكَ خَالِصاً لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ

دُونَ خَلْقِهِ لِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ) وتغيراتها (وَلَكِنَّهُ) سبحانه (سُبْحَانَهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ) في أوامره ونواهيه (وَجَعَلَ جَزَاهُمْ عَلَيْهِ) أي على عملهم (مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفَضُّلاً مِنْهُ) ورحمةً لا إستحقاقاً، (وَتَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ) من الزيادة والتّوسعة (ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً افْتَرَضَهَا) وأوجبها (لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَىٰ بَعْضٍ) آخر منهم (فَجَعَلَهَا)الحقوق (تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا) أي تتقابل الحقُوق في وجوهها (وَيُوجِبُ بَعْضاً بَعْضاً وَلاَ يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ) كما أنّ الوالي إذا لم يعدل لم يستحق الطّاعة (وَأَعْظَمُ) حقّ (مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ) الواجبة (حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي فَرِيضَةً فَرَضَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ لِكُلٍّ) منهما (عَلَىٰ كُلٍّ) منهما (فَجَعَلَهَا) الحقوق (نِظَاماً لِأُلْفَتِهِمْ) ومحبّتهم (وَعِزّاً لِدِينِهِمْ فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلاَحِ الْوُلاَةِ) فأنّ النّاس على دين ملوكهم (وَلاَ تَصْلُحُ الْوُلاَةُ) في ولايتهم (إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ) في طريق الإعتدال (فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ) الّذي يجب عليها (وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا) الى الرّعية (حَقَّهَا) الّذي يجب عليه (عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ) بين الوالي والرّعية (وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ) بالعدل والإستقامة (وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ) وعلائمه (وَجَرَتْ عَلَىٰ أَذْلاَلِهَا السُّنَنُ) أي جرت على وجوهها (فَصَلَحَ بِذٰلِكَ الزَّمَانُ وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ) لإبتنائها على العدالة (وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ) فيها (وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا) بعدم الإطاعة منه والقيام عليه.

(وَأَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ) بالجور والظّلم (اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ) بين الوالي والرّعية (وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ) وعلاماته (وَكَثُرَ الْإِدْغَالُ فِي الدِّينِ) من البدع والمجعولات (وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ) وأوساط طرقها (فَعُمِلَ بِالْهَوَىٰ) والأميال النّفسانية (وَعُطِّلَتِ الْأَحْكَامُ) الشّرعية من الحدود والقصاص والدّيات وغيرها (وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ) وأمراضها الرّوحية (فَلاَ يُسْتَوْحَشُ) أحدٌ (لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ) في تلك الدّولة (وَلاَ لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ) فيها (فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الْأَبْرَارُ)

والأخيار من عباد اللّٰه (وَتَعِزُّ الْأَشْرَارُ) فيهم (وَتُعْظُمُ تَبِعَاتُ اللَّهِ) ومظالمه (عِنْدَ الْعِبَادِ فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ) أي نَصيحة بعضكم بعضاً (فِي ذٰلِكَ) الزّمان (وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ) بأن يعين بعضكم بعضاً (فَلَيْسَ أَحَدٌ) من النّاس (وَاَنْ اشْتَدَّ عَلَىٰ رِضَاءِ اللّٰهِ حِرْصُهُ وَطَالَ فِي الْعَمَلِ) بمقتضىٰ الكتاب والسّنة (اجْتِهَادُهُ) وسعيه (بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا اللّٰهُ اَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ) أي لم يقدر علىٰ طاعة اللّٰه كما هو أهله (وَلٰكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللّٰهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ وَالتَّعَاوُنُ عَلَىٰ إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ) فأنّها هي الغاية القصوىٰ (وَلَيْسَ امْرُؤٌ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ) ومقامه (وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوْقِ اَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ اللّٰهُ مِنْ حَقِّهِ) بل يكون دون ذلك قطعاً، (وَلاَ امْرُؤٌ وَإِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ وَإِقْتَحَمَتْهُ) وإحتقرته (الْعُيُونُ بِدُونِ اَنْ يُعِينَ عَلَىٰ ذٰلِكَ اَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ) لإمكان أن يستفاد منه في الإعانة علىٰ الحقّ ولو في صغائر الأُمور:

◁ الشرح

▫ قوله ﷺ: **اَمَّا بَعْدُ فَقَدْ جَعَلَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً بِوِلاَيَةِ اَمْرِكُمْ وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ...**

أي أمّا بعد الحمد والثّناء على اللّٰه والصّلٰوة علىٰ رسول اللّٰه فقد جَعَل اللّٰه تعالىٰ بمقتضىٰ عَدله وحكمته لي عليكم حقّاً لا بدّ لكم من مراعاته وذلك بسبب ولايتي عليكم في أمر الدّنيا والدّين وهو الإطاعة والإنقياد منكم في كلّ ما أمركم به أو نهاكم عنه فقال تعالىٰ في كتابه: ﴿اَطِيعُوا اللهَ وَ اَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ اُولِي الْاَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (١) وأيضاً جَعل اللّٰه لكم عَلّي من الحقّ مثل ما جَعَل لي عليكم وهو إجراء العدالة فيكم والنّصيحة لكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم وتأديبكم وغير ذلك من الأُمور الّتي لا بدّ للوالي مراعاتها في الرّعية:

▫ قوله ﷺ: **فَالْحَقُّ اَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ وَاَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ...**

١- النّساء- ٥٩

أي أنّ كلمة الحقّ من أوسَع الكَلمات مفهوماً بحسب تفاهم العُرف حين يَصفُونه وأضيَقَها مصداقاً في الإنطباق وبعبارةٍ أُخرىٰ ترىٰ أكثر النّاس يتَفوهُون وينطقون بالحقّ ويَلتزمُون به لفظاً ويريدون إجرائه في النّاس وإذا وَصَلت النّوبة اليهم في قبوله لا يَنتصفُون فيقولون ظَلِمنا وليس هذا إلّا من أجل أنّ الحقّ الوَصفي اللّفظي غير الحقّ الواقعي الإنطباقي فقلّما يُوجد من يقبله ثمّ أوضح كلامه بقَوله.

▫ **قوله ﷺ: لاَ يَجْرِى لِأَحَدٍ اِلَّا جَرَىٰ عَلَيْهِ وَلاَ يَجْرِى عَلَيْهِ اِلَّا جَرَىٰ لَهُ...**

أي أنّ الحقّ لا يجري لأحدٍ من النّاس إلّا أنّه جَرىٰ عليه أيضاً كما أنّه لا يجري عليه إلّا وجرىٰ له والمقصود أنّ الحقّ لا يكون دائماً لأحدٍ أي لنفعه كما لا يكون دائماً عليه.

أي لَضّره بل قد يكون له وقد يكون عليه فَمن يدّعي الحقّ ويتكلم به لابدّ له من الأخذ به وقبوله سواء كان له أم كان عليه لا أنّه قِبله إذا كان له فقط

▫ **قوله ﷺ: وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ اَنْ يَجْرِىَ لَهُ وَلاَ يَجْرِىَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذٰلِكَ خَالِصاً لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ...**

أي ولو كان للحقّ طَرَفٌ واحد وهو جَريه له لا عليه لكان ذلك خالصاً لِللّه سُبحانه دون خَلقه:

▫ **قوله ﷺ: لِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ وَلِعَدْلِهِ فِى كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ...**

إستدّل ﷺ علىٰ ما ذكره بأنّ اللّه تعالىٰ قادرٌ علىٰ عباده وأنّه عادلٌ في إجراء ما حَكَم به قضاءه وتوضيحه أنّ إجراء الحقّ علىٰ أحدٍ يُستلزم تسّلط المُجري علىٰ من يجري عليه الحقّ إذ لولا ذلك لا يقبله أحد لأنّ الحقّ مُرّ إذا كان عليه وحيث أن العباد تحت قُدرة الخالق ولا يمكن لهم التّسلط عليه فلا يمكن إجراء الحقّ عليه تعالىٰ فأنّ الضّعيف لا يقدر علىٰ إجراء الحقّ علىٰ القَوي واللّه تعالىٰ هو القاهر فوق عباده فلا يمكن إجراء الحقّ الحقّ عليه وصُورة القياس هكذا:

العبد ضعيف وكلّ ضعيف لا يقدر على إجراء الحقّ في القوي فالعبد لا يقدر عليه هذا **أوّلاً:**

وثانياً: أنّ اللّه تعالى عادل لا يظلم أبداً ومن كان كذلك لا يجري الحقّ عليه فأنّ إجراء الحقّ على أحَدٍ من الآحاد لا يُعقل إلّا فيما إذا تجاوز عن حَدّه وإجراء الحقّ معناه رجُوعه الى ما كان قبل التّجاوز مثلاً إذا ظلم زيد على عمرو بضرب أو شتم أو غصب مالٍ أو قتل أو غيرها يجري عليه الحقّ ومَعناه رفع الظّلم عنه وأمّا إذا فرضنا أنّه لم يظلم أحداً فما معنى إجراء الحقّ عليه وحيث أنّه قد ثبت أنّ اللّه تعالى عادل لا يظلم أصلاً فلا معنى لإجراء الحقّ عليه ومحصّل الكلام أنّ إجراء الحقّ على شخصٍ يستلزم أمرين القُدرة عليه وكونه ظالماً متجاوزاً وكلاهما في حقّه تعالى محال فلا معنى لإجراء الحقّ عليه:

▫ **قوله ﷺ: وَلٰكِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ اَنْ يُطِيعُوهُ وَجَعَلَ جَزَاهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفَضُّلاً مِنْهُ وَتَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ اَهْلُهُ...**

أي ولكنّ اللّه تعالى جَعل حقّه على عباده أن يُطيعوه في أوامره ونواهيه وجَعَل جَزاءهم على الحَقّ مضاعفة الثّواب تفضلاً منه لا إستحقاقاً وتوسّعاً بما هو من المزيد أهله من الزّيادة والتّوسعة وفي هذا الكلام أشار ﷺ الى أُمورٍ:

أحدها: أنّ الإطاعة من العبد من حقوق اللّه عليه فَمن لا يُطيعه لا يُؤدي حقّه الواجب عليه والدّليل عليه من العقل أنّ اللّه تعالى خَلَقه وأوجَده وأنعَم عليه بما لا يكون إحصاؤه كثرةً أن تعدّوا نعمة اللّه لا تُحصوها، وقد ثبت عقلاً أن شكر المُنعم واجب فنقول أنّ اللّه وكلّ مُنعم يجب شكره ثُمّ نقول شكر المُنعم تارةً يكون باللّسان وأُخرى بالحال وثالثة بالقلب والجامع فيه صرف العبد جميع ما أنعَم اللّه عليه فيما خُلق له ولا نعني بالإطاعة إلّا هذا وهو المطلوب:

وثانيها: أنّ الثّواب منه تعالى تفَضلٌ ورَحمَة وفيه إشارة الى أنّ العبد لا يستّحق في عمله شيئاً بمعنى أنّ اللّه تعالى لو لم يُعطه الثّواب لَما كان ظالماً بل هو عين العَدل.

وعليه بعض المحقّقين والمتّكلمين من الشّيعة وقليل من العامّة وخالف في ذلك بعض المحقّقين ولتوضيح المقال نقول إختلفوا في كون الثّواب علىٰ الطّاعة هل هو علىٰ وجه الإستحقاق بمعنىٰ أن يكون العبد مستحقاً له لفعل الواجب أو ترك الحرام أو لا يستحق شيئاً أصلاً فهو علىٰ وجه التّفضيل والرّحمة من اللّه تعالىٰ فعلى الأوّل ترك الثّواب من اللّه تعالىٰ يكون تضييعاً لحقّ العبد وهو ظُلم عليه وعلىٰ الثّاني ليس كذلك فمنهم من قال بالإستحقاق ومنهم من قال بالتّفضل وكلامه عليه السلام في المقام يشعر بل يصّرح بأنّ الثّواب منه تعالىٰ تفّضلٌ ورَحمة هكذا قيل:

أمّا القائلون بالتّفضل فقد إستدّلوا علىٰ إثبات مرامهم بما حاصله أنّ هذه التّكاليف وَجَبَت شكراً لِلنِّعمة فلا يستلزم وجوب الثّواب ولا يستحق بفعلها نفع وأنّما الثّواب تفّضل من اللّه تعلىٰ وبعبارةٍ أُخرىٰ إذا أتىٰ عَبدٌ بما هو واجب عليه أو ترك المحرّمات فقد أتىٰ بما هو وظيفته والإتيان بها لا يوجب إستحقاق شيئٍ من الثّواب وأوّل من قال بهذه المقالة هو أبو القاسم البَلخي:

والقائلون بالإستحقاق حكموا ببطلان هذا القول وقالوا في إبطاله بأنّه قبيح عند العقلاء أن ينعم الإنسان علىٰ غيره ثُمّ يكلّفه ويوجب عليه شكره ومدحته علىٰ تلك النّعمة من غير إيصال ثواب اليه ويعدّون ذلك نقصاً في المُنعم وينسبونه الىٰ الرّياء وذلك قبيح لا يصدر من الحكم فوجب القول بإستحقاق الثّواب هذا أوّلاً وثانياً أنّ العقلاء حكموا بوجوب شكر المُنعم إذا كان وجوب الشّكر معلوماً بالعقل مع أنّ العقل لا يدرك التّكاليف الشّرعية فوجب القول بأنّها ليست شكراً:

وأنا أقول: الحقّ في المقام هو القول الثّاني وذلك لأنّ العقل لابدّ له في العمل بالأحكام من الإستمداد من الشّرع إذ الأوامر والنّواهي المفّصلة في الشّريعة خارجة عن حيطة إدراك العقل فلو قلنا بوجوب شكر المُنعم كما هو الحقّ وقلنا بأنّ الشّكر الحقيقي هو صرف العبد جميع ما أنعم اللّه عليه فيما

خُلق له نحتاج في الإطّلاع علىٰ تفصيل الأحكام الىٰ الشّرع وإذا كان كـذلك فالعَمل بالأحكام ليس داخلاً تحت وجُوب شكر المُنعم حتّىٰ لا يستحق عليه شيئاً والدّليل عليه هو أنّ الإنسان قد يكون عاقلاً متّوجهاً الىٰ نعم اللّه جاهلاً بالأحكام الشّرعية فلا ملازمة بينهما أصلاً فالعَمل بالأحكام الشّرعية أمرٌ آخر وراء شكر المُنعم فَيسْتحق عليه الثّواب وهو المطلوب:

وثانياً لو كان العَمل بالأحكام من مصاديق شكر المُـنعم فأيّ احـتياج الىٰ الرّسول والكتاب والسُّنة وأمّا قول أمير المؤمنين ﷺ في المقام فهو لا يـدّل علىٰ التّفضل ونفي الإستحقاق أصلاً ومن تمّسك به لم يتّعمق فيه وذلك لأنّه قال وجَعل جزاؤهم عليه مُضاعفة الثّواب تَفْضلاً منه وتوسّعاً الخ وبين الثّواب وتضاعفه فرق واضح ضرورة أنّ تضاعف الثّواب زائد عليه فالكلام يدّل علىٰ أنّ الزّيادة علىٰ أصل الثّواب من اللّه تفّضل وهذا ممّا لا كلام فيه بل نقول أنّ كلامه يدّل بدلالة المفهوم علىٰ الإستحقاق.

لأنّ معنىٰ كون الزّيادة علىٰ وجه التّفضل هو أنّ أصل الثّواب ليس علىٰ هذا الوجه وإلّا لا يحتاج الىٰ كلمة (مُضاعفة) وحيث أنّ أمر الثّواب يدور في المقام مدار الإستحقاق والتّفضل ولا واسطة بينهما فإذا ثبت التّفضل في الزّيادة فقط فأصل الثّواب علىٰ غيره وهو الإستحقاق فالمطلوب ثابت هذا بحسب العقل:

وأمّا النّقل: فلقوله تعالىٰ: **﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾**(1)

و: **﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾**(2)

و: **﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**(3) **ولنجزينّهم**

و: **﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾**(4)

١- الحديد ـ ٢٧
٢-آل عمران ـ ١٩٩
٣- النّحل ـ ٩٦
٤- محمّد ـ ٣٦

و : ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (١)

وغيرها من الآيات:

وأنت ترىٰ أنّها بأسرها قد دلّت علىٰ ثبوت الأجر علىٰ العَمَل الصّالح والأجر لا يكون إلّا مع الإستحقاق وأمّا التّفضل فلا يُسمّىٰ أجراً لا لغةً ولا إصطلاحاً فالثّواب علىٰ الإستحقاق وهو المطلوب، نعم لا إشكال من ثبوت التّضاعف في الأجر في بعض الموارد فأنّ اللّه يُضاعف الأجر لمن يشاء علىٰ ما صَرّحت به الآيات ولا شكّ أنّه علىٰ سبيل التّفضل لا الإستحقاق.

قال اللّه تعالىٰ ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ (٢)

و : ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾ (٣) .

□ قوله عليه السلام: **ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ...**

بعد فراغه عليه السلام عن ذكر حقّ اللّه علىٰ العباد بالإطاعة والإنقياد شرع في ببان قسم آخر من الحقّ وهو حقّ النّاس بعضهم علىٰ بعضٍ علىٰ طريق التّكافوء والتّقابل وأنّه ليس من طرفٍ واحدٍ كما علمت في حقّ اللّه علىٰ العباد وعدم حقّ العباد علىٰ اللّه، ومعنىٰ التّكافوء هو أنّ الحقّ في كلّ واحدٍ من الطّرفين يتّوقف وجوداً علىٰ الطّرف الآخر كما أوضحه بقوله:

□ قوله عليه السلام: **فَجَعَلَهَا تَتَكَافَا فِي وُجُوهِهَا وَيُوجِبُ بَعْضاً بَعْضاً وَلاَ يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ...**

أي ومن الحقوق الّتي ثبتت علىٰ سبيل التّكافوء، والتّقابل حقّ الوالي علىٰ الرّعية وحقّ الرّعية علىٰ الوالي فأنّه من الفرائض الّتي جعلها سبحانه لكلّ

١- الفاطر ـ ٣٠
٢- سباء ـ ٣٧
٣- البقرة ـ ٢٤٥

واحدٍ من الطّرفين وهما الوالي والرّعية على الطّرف الآخر وأنّما عَدَّ عليه السلام هذا الحقّ من أعظم ما إفترض اللّه سبحانه لكون المصلحة فيه عامّة لجميع النّاس كما ستعرف الحال فيه:

▫ **قوله عليه السلام: فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأُلْفَتِهِمْ وَعِزّاً لِدِينِهِمْ فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلاَحِ الْوُلاَةِ وَلاَ تَصْلُحُ الْوُلاَةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ...**

أي أنّ اللّه تعالىٰ جَعَل الحقُوق الثّابتة لكلّ واحدٍ منهم علىٰ الآخر نظاماً لأُلفتهم وذلك لأنّ عدم مراعاة الحقوق يوجب إختلال النّظام في الإجتماع ونتيجته المعاداة وعدم الأُلفة وهكذا كونها عزّاً لدينهم فأنّ شرف الدّين وعزّه في مراعاة أحكامه والعَمل بها وعليه فليست تصلح الرّعية إلّا بصلاح الولاة.

فأنّ النّاس علىٰ دين ملُوكهم ولا تصلح الولاة إلّا بإستقامة الرّعية علىٰ العدل وعدم تجاوز كلّ واحدٍ منها بحقّ الآخر فهُنا أُمور أربعة:

أحدها: أنّ نظام الإجتماع في الحقوق ومراعاتها والىٰ هذا أشار عليه السلام بقوله **فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأُلْفَتِهِمْ** والوجه فيه هو أنّ الإنسان مدنّي بالطّبع لا يمكن له التّعيش في الدّنيا إلّا بالمعاشرة والمُجالسة مع أبناء نوعه بخلاف الحيوان فأنّه ليس كذلك والعِلّة في ذلك هي إحتياج الإنسان الىٰ الغذاء والمَسكَن والمَركب واللّباس والطّبيب والدّواء والزّراعة والتّجارة وغيرها ممّا يحتاج اليه في بقائه ولا يمكن لأحَدٍ رفع هذه الحوائج بنفسه من غير إحتياج الىٰ غيره فلا محالة كلّ فردٍ من أفراد الإجتماع يحتاج الىٰ غيره ففي الحقيقة الفرد هو الإجتماع والإجتماع هو الفَرد بل لا وجود للإجتماع بما هو زائداً علىٰ وجود الفرد وهذا ممّا لا خلاف فيه:

ثمّ أنّ هذا الإحتياج في الإنسان صار باعثاً وسَبَباً للتّجاوز وذلك لأنّ النّعم المّادية في الدّنيا مطلوبة لكلّ واحدٍ من آحاد الإنسان ومن هذه الجهة يقع التّزاحم بينهم وكلٌّ يَجّر النّار الىٰ قُرصِته ولا شكّ أنّ الضّعيف لا يقدر علىٰ إستيفاء حقّه أو حقوقه لأنّ القوي يقهره ويمنعه عن حقّه وهذا أي غَلبة القوي

علىٰ الضّعيف أمرٌ لا محيص عنه بحسب الغريزة والفطرة البَشرية الّتي تطلب الإستيلاء علىٰ غيره دائماً والحقّ أن يقال أنّ هذه الرُّؤية مُستندة الىٰ حيَوانيته وجنسه لا الىٰ فصله وهو النّفس النّاطقة القُدّسية ألا ترىٰ أنّ الحيوان والإنسان من هذه الجهة علىٰ حدّ سواء لا فرق بينهما أصلاً فَدَعَت الحاجة الىٰ قانونٍ بين النّاس تحفظهم مراعاته عن هذه الأُمور الشّنيعة وهذا القانون في لسان الشّريعة يُسّمىٰ بالدّين وفي غيره بغيره ثمّ أنّ هذا القانون يحتاج الىٰ المُجري الصّحَيح أعني به الحاكم العادل النّاظر الىٰ جميع النّاس بعينٍ واحدة ليجتمع به شملهم فلا يقدر القَوي علىٰ الظّلم بالنّسبة الىٰ الضّعيف فأنّ العَدل وَضع الشّئ في محلّه والظّلم وضعه في غير محلّه فإذا مَنَع الوالي القَوي والضّعيف والغنَي والفقير والعالم والجاهل والعزيز والذّليل عن التّجاوز بحقّ الغير فلا محالة تقع الأُلفة بينهم وهذا هو المراد بقوله ﷺ: **فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأُلْفَتِهِمْ**.

وأمّا قوله ﷺ: **وَعِزّاً لِدِينِهِمْ** فالوجه فيه أيضاً لا يخفىٰ عليك وذلك لأنّ عِزّ الدّين وشوكته لا يحصل إلّا بالأُلفة والوَحدَة بين المُسلمين كما أنّ ضعف الدّين بالتّشتت والإختلاف كما قال اللّه تعالىٰ في كتابه: **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَ كُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾**(١)

و: **﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**(٢) ولا شكّ أنّ هذا الإتّفاق بين النّاس لا يحصل إلّا بوجود الوالي العادل فأنّ الوالي إذا كان ظالماً عاصياً لا يراعي حقوق النّاس لا يجتمع النّاس حَوله ولا يطيعوه لا محالَة ولا نعني بالتّشتّت إلّا هذا.

فقد حَصّل مِمّا ذكرناه أنّ حفظ نظام الإجتماع وإيجاد الألفة بينهم أنّما هو بحفظ حقّ كلّ واحدٍ من آحاد الإجتماع عن الزّوال ولا يمكن هذا إلّا بسبب

١- آل عمران - ١٠٣

٢- آل عمران - ١٠٥

الوالي العادل فيهم ومُراعاته الحّقوق الواجبة من اللّه تعالىٰ في حقّ عباده فهذا هو العلّة والأُلفة وعِزّ الدّين معلولان لها هذا بالنّسبة الىٰ الوالي وأمّا بالنّسبة الىٰ الرّعية فالواجب الإطاعة والإنقياد وعَدَم المخالفة للوالي العادل فصلاح الرّعية بصلاح الولاة أي أنّ صلاح الولاة علّة لصلاح الرّعية فأنّ النّاس علىٰ دين ملوكهم كما أنّ صلاح الولاة بإستقامة الرّعية في الطّاعة في طريق الحقّ:

▫ قوله عليه السلام: **فَإِذَا اَدَّتِ الرَّعِيَّةُ اِلَى الْوَالِي حَقَّهُ وَاَدَّىٰ الْوَالِي اِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ وَجَرَتْ عَلَى اَذْلاَلِهَا السُّنَنُ...**

أي إذا إستقامت الرّعية في الإطاعة عن الوالي في طريق الحقّ فأنّ الإستقامة هي الحقّ الّذي كان واجباً عليها، وإذا أدّىٰ الوالي الىٰ الرّعية حقّها بإجراء العَدل في جميع الشّئون عزّ الحقّ بينهم أي يصير الحقّ عزيزاً وقامت مناهج الدّين وطُرقه الواضحة وإعتدلت معالم العَدل في الإجتماع وجَرَت علىٰ إذلالها ووجوهها السّنن النّبوية:

▫ قوله عليه السلام: **فَصَلَحَ بِذٰلِكَ الزَّمَانَ وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ...**

هذه أيضاً فروع مُترتبة علىٰ أداء الحقّ من الطّرفين أي اذا أدّت الرّعية حقّ الوالي وأدّىٰ الوالي حقّ الرّعية عزّ الحقّ بينهم الىٰ آخر ما قال وإذا عزّ الحقّ وقامت مناهج الدّين وإعتدلت معالم العَدَل وجرت السُّنَن علىٰ وجوهها فيلزم أمور أحدها أنّ الزّمان يصير صالحاً لِلتّعيش والحياة فيه لأنّ المفروض أنّ كلّ ذي حقٍّ وَصَل الىٰ حقّه والزمان بما هو هو لا عيب فيه وأنّما العَيب فينا فكما إنّا نقدر علىٰ إفساد الزّمان بالظّلم والطّغيان كذلك نقدر علىٰ إصلاحه بالعدالة وعدم الفساد فيه فصلاح الزّمان بصلاحنا كما أنّ فساده بفسادنا كما قيل:

يعيب النّاس كلّهم زماناً ... ومالزماننا عيبُ سوانا
فأنّ الذّئب يترك لحم ذئبٍ ... ويأكل بعضنا بعضاً عياناً

وثانيها: أنّه طَمع في بقاء الدّولة وذلك لقوله ﷺ **الملك يبقىٰ مع الكفر ولا يبقىٰ مع الظّلم** وحيث أنّ المفروض أنّ كلّ واحدٍ من الوالي والرّعية قد أدّىٰ حقّ الآخر وهذا هو معنىٰ العَدل الواقعي فالدّولة قائمة علىٰ العَدل وما كان كذلك طُمع في بقائه فأنّ علّة الزّوال وهي الظّلم منتف علىٰ الفرض، وثالثها يئست مطامع الأعداء، أي إذا كان كذلك فلا مجال لطمع الأعداء في الدّولة وذلك لأنّ العدّو لا يقدر علىٰ إستئصالها وإضمحلالها من وجهين:

أحدهما: وجود الألفة بين الوالي والرّعية .

وثانيهما: كون الدّولة علىٰ طريق العَدل وهذان الرّكنان أصلان في بقاء الدّولة وقدرتها وعدم إمكان الغَلبة عليها بسهولة كما أنّ عَدمها يوجب ضعف الدّولة فلا محالة يطمع العدّو فيها فأنّه ينتهز الفُرصة ولا فُرصة أحسن من الإختلاف في الدّولة ووجود الظّلم فيها:

▫ قوله ﷺ: **وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيهَا وَأَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ وَكَثُر الْادْغَالُ فِي الدِّينِ وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ فَعُمِلَ بِالْهَوَىٰ وَعُطِّلَتِ الْأَحْكَامُ وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ فَلاَ يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ وَلاَ لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ...**

أي وإذا غلبت الرّعية واليها بالطّغيان والعصيان ومخالفة أوامره ونواهيه وأجحَف الوالي برّعيته بالظّلم عليها وعدم مُراعاة قانون العَدل فيها يلزم أُمور فاسدة مضّرة بالدّين والدّنيا:

أحدها: إختلاف الكلمة وهو أُمّ المصائب ورأس الشّرور والآفات وأصل جميع الخَطَرات والبَلّيات فأنّ الدّولة إذا إبتَلت بهذه المُصيبَة العَظيمة إضمَحَلت لا محالة وأن لم يطمع فيها العَدّو وعليه فأولىٰ به والوجه فيه واضح لا خفاء فيه فأنّ الدّولة في الحقيقة ليست إلّا الرّعية والمفروض أنّها مختلفة الآراء والأهواء:

وثانيها: ظهور معالم الجَور أي علاماته وشواهده وليس ذلك إلّا لعدم

مُراعاة الحقّ من الطّرفين فأنّ العلّة في ظهور الجَور في كلّ اجتماعٍ هي عدم إستقامة الرّعية على الحقّ وغَلَبتها بذلك على الوالي وظلم الوالي عليها وإذا وُجدت العلّة وجد المَعلول فَيظهر الفساد في البّر والبحر بما كَسَبت أيديهم وما ربّك بظّلام للعبيد:

وثالثها: كثرة الأدغال في الدّين أي إدخال ما يفسده فيه من الموضوعات والمجعُولات وإنتسابها الى الشّريعة المُقّدسة كما كان كذلك في خلافة عثمان وبعده في خلافة معاوية الىٰ آخر العبّاسين والوجه فيه أيضاً واضح وهو وجود المقتضىٰ وعدم المانع، أمّا وجود المُقتضىٰ فهو عدم إستقامة الرّعية علىٰ الحقّ وأمّا عدم المانع فلأنّ المانع عن هذه البّدع هو الدّين والوالي المُجري لأحكامه والمفروض إنتفائها مَعاً بل الوالي الظّالم يؤيد المُبدعين ويشّوقهم فيه ليَلتبس الحقّ بالباطل فيفعل ما يشاء ويحكم ما يريد:

ورابعها: ترك محاجّ السُنَن وهي جمع سُنّة بمعنىٰ الطّريقة والمراد بها طريقة الرّسول في أفعاله وأقواله والمحاجّ جمع محجّة وهي الطّريقة للإستدلال والمعنىٰ أنّ الأدغال في الدّين أوجب ترك محاجّ السُّنن لعدم إمكان التّميز بين الحقّ والباطل من السّنة فقطعت الحجّة بذلك عن السّنة لأنّ السُّنة أنّما تكون حجّة علىٰ الخصم إذا كانت باطِلة أو مشكوكة الاّ فلا ويمكن أن يكون المراد ترك محاجّ السُّنن بمعنىٰ أنّ السُّنة قد تُركت فيهم والبدَعة قد أُخذت فالرّائج فيهم الأخذ بمحاجّ البّدع لعدم احتياجهم الىٰ السُّنة لو كانت أو لكونها علىٰ حلاف مقاصدهم:

وخامسها: فعُمِل بالهَوىٰ، الفاء للتّفريع أي إذا وجُدت هذه الأُمور فَعُمِل بالهَوىٰ فيعمل كلّ إنسانٍ بمقتضىٰ نفسه الأمّارة بالسّوء.وقد قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَمَنْ اَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوٰاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ﴾** (١)

و : **﴿اَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ اِلٰهَهُ هَوٰاهُ وَاَضَلَّهُ اللّٰهُ عَلىٰ عِلْمٍ﴾** (٢)

١- القصص ـ ٥٠ ٢- الجاثية ـ ٢٣

و : ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَه هَوٰاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونَ عَلَيْهِ وَكيلاً﴾ [1] وآفـات مـتابعة الهَوىٰ ممّا لا يكاد يُحصىٰ:

وسادسها: وعُطّلت الحكام، وهو أيضاً واضح فأنّ إجراء الأحكام يتّوقف علىٰ عدل الوالي وإستقامة الرّعية فإذا كان الوالي ظالماً فـاسقاً والرّعـية غـير معتدلة بل منحرفة عن طريق الحقّ فكيف يمكن إجراء الحكم ومن يـجري الحكم والمفروض فسق الوالي والمُعطي للشّئ لا يكون فاقداً له:

وسابعها: كَثُرت عِلل النّفوس ولعلّ المراد بِعَللها أمراضـها النّـفسانية مـن الظّلم والبُخل والحَسد والغيبة وأمثالها من الأمـراض الرّوحـية الّـتي تـوجب إنحراف النّفس وإتّصافها بالأخلاق الرّديئة ويمكن علىٰ بُعدٍ أن يكون المراد بالنّفوس الأفراد من النّاس وبَعللها حوائجهم وعليه فالمعنىٰ أنّ في ذلك الزّمان تكثر حوائج النّاس ولا مُغيث لهم.

وثامنها: فلا يُستوحش لعَظيم حقّ عُطّل، الظّاهر أنّ قـوله عليه السلام: **يُستوحَش** بضّم اليّاء وفتح الحاء الصيغة المجهول والمعنىٰ أنّ الحقوق المُعطلة المتروكة من النّاس مع عِظَمها لا توجب الإستيحاش لأحدٍ من النّاس وذلك لِـضّعف الدّين فيهم ومن المعلوم أنّ الخَوف والوَحشة من تعطيل الحقّ لِلمؤمن به وأمّا الكافر والمنافق فلا وحشة له من تعطيله بل تعطيله أولىٰ من إجراءه:

وتاسعها: قوله عليه السلام: **ولا لعظيم باطلٍ فُعِل**، كـالقتل والزّنـا وشـرب الخـمر والبدعة في الدّين وذلك لما ذكرناه آنفاً وهو أنّ من لا دين له فهو بمعزلٍ عن هذه الأُمور واذا كان الأمر علىٰ هذا المنوال من عدم مراعاة الوالي حقوق الرّعية وبالعكس فلا محالة تقع أُمورٌ ثلاثة:

▫ **قوله عليه السلام: فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الْأَبْرَارُ وَتَعِزُّ الْأَشْرَارُ وَتُعْظَمُ تَبِعَاتُ اللّٰهِ عِنْدَ الْعِبَادِ...**

والكلّ واضح فأنّ الحكومة إذا كـانت كـذلك فـلا عـزّة فـيها إلّا للأشـرار والمُنافقين بل أساس الحكومة علىٰ وجودهم وأمّا الأبرار والصُّلحاء لكونهم

1- الفرقان - ٤٣

آمرين بالمعروف وناهين عن المُنكر فلا موقع لهم فيها لأنّ أعمالهم وأقوالهم علىٰ خلاف مصالح الحكومة الفاسدة فلا جرم تُعظم فيها تبعات اللّه عند العباد والمراد بالتّبعات المظالم الثّابتة لبعض النّاس علىٰ بعضٍ وأنّما أُسندت الىٰ اللّه تعالىٰ بإعتبار أنّه المطالب بها والمؤاخذ عليها هكذا قيل:

ويمكن حَمل الكلام علىٰ الحقيقة بأن يكون المراد بالتّبعات عند العباد حقوق اللّه تعالىٰ وذلك لأنّ الحكومة إذا كانت كذلك ولم يكن فيها من يأمر بالمعروف وينهي عن المُنكر تكون حقوق اللّه الثّابتة علىٰ العباد أيضاً مضّيعة أمّا لجهل النّاس بها أو لعدم مبالاتهم بالأحكام الشّرعية:

□ قوله ﷺ: **فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذٰلِكَ وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ...**

أي فعليكم في هذه الدّولة بالتّناصح ونصيحة بعضكم لبعضٍ وإعانة كلٍّ منكم لآخر:

□ قوله ﷺ: **عَلَيْهِ فَلَيْسَ أَحَدٌ وَاَنْ اشْتَدَّ عَلَىٰ رِضَاءِ اللّٰهِ حِرْصُهُ وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا اللّٰهُ اَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ...**

أي أنّ العبد وأن بلغ ما بلغ في مقام العبّودية وإشتّد علىٰ تحصيل رضااللّه حرصّه وطال في العَمل له تعالىٰ إجتهاده وسَعيه فهو لا يبلغ حقّ العبّودية ولا يصل الىٰ حقيقة طاعة اللّه كما هو أهله وقد مَرّ الكلام في وجه ذلك وقلنا أنّ القوىٰ الجسّمانية مُتناهية التّأثير والتّأثر والواجب غير مُتناه في ذاته وصفاته والعبادة فرع المعرفة وحيث أنّ معرفة الواجب كما هو أهله خارجَ عن قُدرة البَشر وغيره لإستحالة إحاطة المتناهي بغير المُتناهي فالعبّودية لذلك أيضاً لا تكون تحت قُدرة العَبد فهو في عباداته وطاعاته أمّا مقّصر أو قاصر دائماً:

□ قوله ﷺ: **وَلٰكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللّٰهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ وَالتَّعَاوُنُ عَلَىٰ اِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ...**

وذلك لأنّ ما لا يدرك كلّه لا يترك كلّه والميسور لا يُترك بالمعسور فإذا لم يقدر العبد علىٰ الوصُول الىٰ ما ينبغي من الطّاعة لكنّه يقدر علىٰ أداء بعض

الحقوق الواجبة من اللّه عليه وفيها النّصيحة بقدر الإمكان والإعانة على الحقّ وإقامته في النّاس لقوله تعالى: **﴿تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾**(١) و قد رُوي أنّ الدّال على الخير كفاعله وقد مرّت الأحاديث فيه فيما مضى:

وقد روي في البحار بأسناده عن أمير المؤمنين قال ﷺ ستّ خصال من كُنّ فيها (فيه) كان بين يَدي اللّه وعن يمينه أنّ اللّه يحبّ المرء المُسلم الّذي يحبّ لأخيه ما يُحبّ لِنفسه ويكره له ما يكره لِنفسه ويناصحه الولاية ويُعرّف فضلي ويطأ عقبي وينتظر عاقبتي انتهى« ج ١٥ ص ٦٢»..

▫ **قوله ﷺ: وَلَيْسَ امْرُؤٌ وَإنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوْقِ اَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ اللّٰهُ مِنْ حَقِّهِ وَلاَ امْرُؤٌ وَإِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ وَاِقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ بِدُونِ اَنْ يُعِينَ عَلَىٰ ذٰلِكَ اَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ...**

والمعنى أنّ الإنسان وأن بلغت عُبوديته الى أعلى المقامات وفضيلته الى أشرف الفضائل وبالجملة وأن بلغ ما بلغ في مقام الطّاعة والعبودية فهو لا يقدر على التّرقي والتّجاوز ممّا أوجبَه اللّه عليه من الحقُوق لكون الحقوق كثيرة كما أنّه في صُورة العكس أي وأن كان صغيراً في النّفوس والأنظار ليس بأدون وأحقَر من أن يكون مُعيناً على الحقّ ولو في صغائر الأمور:

وبعبارةٍ أُخرى لا تتّوهم أنّ العظماء لِرفعة شأنهم والضّعفاء لحقارتهم لا يمكن الإستعانة بهم في إقامة الحقّ ولا يحتاجون الى النّصيحة والإعانة وذلك لأنّ العظيم لم تَقدر على أداء حقوق اللّه الواجبة عليه والحقير لا يخرج بحقارته عن مدار الإستفادة منه في إقامة الحقّ والحمد لِللّه ربّ العالمين.

١-المائده ـ ٢

الفصل الثّاني

▫ قوله ﷺ: اِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلاَلُ اللّٰهِ فِى نَفْسِهِ وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ اَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ لِعِظَمِ ذٰلِكَ مَا سِوَاهُ وَاِنَّ اَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذٰلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللّٰهِ عَلَيْهِ وَلُطْفُ اِحْسَانَهُ اِلَيْهِ فَاِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ اللّٰهِ عَلىٰ اَحَدٍ اِلّا ازْدَادَ حَقُّ اللّٰهِ عَلَيْهِ عِظَماً وَاِنَّ مِنْ اَسْخَفِ حَالاَتِ الْوُلاَةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ اَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ وَيُوضَعَ اَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبْرِ وَقَدْ كَرِهْتُ اَنْ يَكُونَ جَالَ فِى ظَنِّكُمْ اِنِّى اُحِبُّ الْاِطْرَاءَ وَاِسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ وَلَسْتُ بِحَمْدِ اللّٰهِ كَذٰلِكَ وَلَوْ كُنْتُ اُحِبُّ اَنْ يُقَالَ ذٰلِكَ لِتَرَكْتُهُ اِنْحِطَاطاً لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ اَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَرُبَّمَا اِسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلاَءِ فَلاَ تُثْنُوا عَلَىَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لِاِخْرَاجِى نَفْسِى اِلَى اللّٰهِ وَاِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ فِى حُقُوقٍ لَمْ اَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا وَفَرَائِضَ لاَ بُدَّ مِنْ اِمْضَائِهَا فَلاَ تُكَلِّمُونِى بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ وَلاَ تَتَحَفَّظُوا مِنِّى بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ اَهْلِ الْبَادِرَةِ وَلاَ تُخَالِطُونِى بِالْمُصَانَعَةِ وَلاَ تَظُنُّوا بِيَ اِسْتِثْقَالاً فِى حَقٍّ قِيلَ لِى وَلاَ الْتِمَاسَ اِعْظَامٍ لِنَفْسِى فَاِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ اَنْ يُقَالَ لَهُ اَوِ الْعَدْلَ اَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا اَثْقَلَ عَلَيْهِ فَلاَ تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ اَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ فَاِنِّى لَسْتُ فِى نَفْسِى بِفَوْقِ اَنْ اُخْطِئَ وَلاَ آمَنُ مِنْ ذٰلِكَ مِنْ فِعْلِى اِلَّا أَنْ يَكْفِيَ اللّٰهُ مِنْ نَفْسِى مَا هُوَ اَمْلَكُ بِهِ مِنِّى فَاِنَّمَا أَنَا وَاَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لاَ رَبَّ غَيْرُهُ يَمْلِكُ مِنَّا مَا لاَ نَمْلِكُ مِنْ اَنْفُسِنَا وَاَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ اِلَىٰ مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ فَاَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلاَلَةِ بِالْهُدىٰ وَاعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَىٰ.

◁ اللّغة

(أَسخَف) أي أَنقَص (الْاطْرَاءَ) المبالغة في الثّناء وهو مصدر قولك أطرَيت (الْبَلاَءِ) اِجهاد النّفس في إحسان العَمَل (الْجَبَابِرَةُ) المُلوك المُتّصفُون بالظّلم وغيرهم (الْبَادِرَةِ) الغَضَب (الْمُصَانَعَةِ) يُقال صانَعه إذا أَتىٰ ما يُرضيه وأن كانَ غير راضٍ عنه فهي المُداراة (تَكُفّوا) الكَفّ المَنع.

◁ **المعنىٰ**

(**إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلاَلُ اللّٰهِ**) وعظمته (**فِي نَفْسِهِ وَجَلَّ مَوْضِعُهُ**) أي موضع اللّٰه (**مِنْ قَلْبِهِ اَنْ يَصْغُرَ**) ويحقر (**عِنْدَهُ**) عند قلبه (**لِعِظَمِ ذٰلِكَ**) أي لِعظم جلال اللّٰه وعظمته (**مَا سِوَاهُ**) أي ما سوىٰ اللّٰه تعالىٰ فأنّ ما سواه بالنّسبة اليه حقير (**وَإِنَّ اَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذٰلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللّٰهِ عَلَيْهِ وَلُطْفَ إِحْسَانَهُ اِلَيْهِ**) لِكونه مشمولاً لِلُطفه وعنايته (**فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ اللّٰهِ عَلىٰ اَحَدٍ**) من خلقه (**اِلَّا ازْدَادَ حَقُّ اللّٰهِ عَلَيْهِ عِظَماً**) ضرورة أنّ عِظم النّعمة يوجب إزدياد حقّ المُنعم علىٰ المُنعم عليه (**وَإِنَّ مِنْ اَسْخَفِ حَالاَتِ الْوُلاَةِ**) وأنقصها (**عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ**) لا عند طالحهم (**اَنْ يُظَنَّ بِهِمْ**) أي بالولاة (**حُبَّ الْفَخْرِ وَيُوضَعَ اَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبْرِ**) وأنّهم إتّصفوا بهما (**وَقَدْ كَرِهْتُ اَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ**) وخطر ببالكم (**اِنِّي اُحِبُّ الاِطْرَاءَ**) ومُبالغة الثّناء والمَدح.

(**وَاِسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ وَلَسْتُ بِحَمْدِ اللّٰهِ كَذٰلِكَ**) فلا أحبّ المَدح كذلك (**وَلَوْ كُنْتُ اُحِبُّ اَنْ يُقَالَ ذٰلِكَ**) الإطراء (**لَتَرَكْتَهُ اِنْحِطَاطاً**) وتواضعاً (**لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ اَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ**) وأنّي لِلعبد الضّعيف ذلك (**وَرُبَّمَا اِسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلاَءِ**) وإجهاد النّفس (**فَلاَ تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ**) والمَدح البالغ (**لِاِخْرَاجِي نَفْسِي اِلَى اللّٰهِ**) أي لأجل ما ترون من طاعتي له:

(**وَاِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ فِي حُقُوقٍ لَمْ اَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا**) لكثرتها ووجوب إدائها عَلَّي بحسب الوَظيفة (**وَفَرَائِضَ لاَ بُدَّ مِنْ اِمْضَائِهَا**) وجَريها علىٰ ما أراد اللّٰه تعالىٰ (**فَلاَ تُكَلِّمُونِي بِمَا تَكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ**) من الملوك والسّلاطين (**وَلاَ تَتَحَفَّظُوا**) ولا تحرّزوا (**مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ**) ويتحرز (**بِهِ عِنْدَ اَهْلِ الْبَادِرَةِ**) والغَضَب (**وَلاَ تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ**) والمُداراة (**وَلاَ تَظُنُّوا بِيَ اِسْتِثْقَالاً فِي حَقٍّ قِيلَ لِي**) فأنّه ليس عَلّي ثقيلاً (**وَلاَ الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي**) فأنّي لا أطلب من الخلق التّعظيم (**فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ اَنْ يُقَالَ لَهُ**) وعدّه ثقيلاً (**اَوِ الْعَدْلَ اَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا اَثْقَلَ عَلَيْهِ**) ضرورة انّ العَمَل بالشّيْ أثقل من

إستماعه (فلا تكفّوا) أي لا تمسكوا (**فَلاَ تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ اَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ فَاِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ اَنْ اُخْطِئَ**) فانّ من هو فوق الخطأ هو اللّه تعالىٰ (**وَلاَ آمَنُ مِنْ ذٰلِكَ مِنْ فِعْلِي**) فأنّ الإنسان قد يُخطيءُ في فعله (**اِلَّا أَنْ يَكْفِيَ اللّٰهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ اَمْلَكُ بِهِ مِنِّي**) أي إلّا أن يعصمني اللّه منه (**فَإِنَّمَا أَنا وَاَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لاَ رَبَّ غَيْرُهُ**) الّذي خلقنا وأوجدنا (**يَمْلِكُ مِنَّا مَا لاَ نَمْلِكُ مِنْ اَنْفُسِنَا وَاَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ**) قبل الوجود (**ا اِلَىٰ مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ**) أي الىٰ ما كنّا نصلح له (**فَاَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلاَلَةِ بِالْهُدىٰ**) ببركة الدّين (**وَاعْطَانَا الْبَصِيرَةَ**) فيه (**بَعْدَ الْعَمىٰ**) والضّلالة.

◁ الشّرح

قال الرّضي ﷺ فأجابه ﷺ رجل من أصحابه بكلامٍ طويل يكثر فيه الثّناء عليه ويذكر سمعه وطاعته له فقال له عليه السّلام:

□ **قوله ﷺ: اِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلاَلُ اللّٰهِ فِي نَفْسِهِ وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ اَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ لِعِظَمِ ذٰلِكَ مَا سِوَاهُ...**

وحاصل هذه الكلمات أنّ من الحقوق الثّابتة علىٰ العارف باللّه هو عدم توجّه السّالك الىٰ غير المعبود وذلك لأنّ مَن عَظُم جلال اللّه في نفسه فَعَرّفه بذلك ينبغي أن يَصغر ويحقر عنده كلّ ما سوىٰ اللّه لِعظم ذاته وجلاله والسّر فيه هو أنّ الواجب تعالىٰ عِلّة إيجاد المُمكنات وكلّ ما هو غيره فهو معلول وقد ثبت أنّ وجود المعلُول من رشحات وجود العِلّة بل لا وجود له مع قطع النّظر عن عِلّته وأذا كان كذلك فمعرفة العِلّة بما هي هي معرفة المعلُول كاملاً ولا عكس كذلك ولأجل هذا قالوا أنّ المعلول وجود ناقصٍ للعِلّة والعِلّة وجود كامل له وقالوا أنّ العلم بالعِلّة يستلزم العلم بالمعلُول علىٰ حدّ الكمال والعِلم بالمعلول يستلزم العِلم بالعِلّة علىٰ حدّ النّقص فمن عرف اللّه وتوجه الىٰ عظمته وجلاله وأنّه غير مُتناهٍ في ذاته وصفاته يصغر لا محالة عنده كلّ ما سواه أي كلّ ما سوىٰ الواجب فأنّ ما سواه كائناً من كان ممكنٌ والمُمكن من ذاته أن

يكون ليساً ومن شأنه أن يكون آيساً ومن المعلوم أنّ الموجود أذا كان في ذاته في حدّ اللّيسية فهو صغير حقير بل لا شيْ مَحض في قبال الموجود الّذي يكون في ذاته حقيقة الوجود الّذي حيثيته ذاته الإباء عن العَدم وبينهما بَونٌ بعيد أين التّراب وربّ الأرباب وأنّما قال عليه السلام هذا الكلام لهذا القائل لأنّه كان يكثر الثّناء عليه ويُعَظّمه علىٰ حدّ الإفراط والمبالغة فأراد عليه السلام تنبيه المادح وأنّه لم يعرف اللّه حقّ معرفته ولم يتّصور عظمته وجلالته أذ لو عَرَفه بجلاله وعظمته وعرف المَمدُوح بِضَعفه وإمكانه في قبال خالقه وأنّ كلّ ما هو موجود في المخلوق فهو أيضاً من الخالق يَعرف أنّ المدح والحمد في الحقيقة لِلخالق الواهب المُعطي:

أن قلت ـ أَلَستم تقولون أنّ المعصُوم قال نزلّونا عن الرّبوبية وقولوا فينا ماشئتم وإذا كان كذلك فَلِمَ مَنَعه عن المَدح والثّناء عليه أو وَبَّخه به:

قلتُ ـ لَعل المادح قد أَفرَط في مَدحه وغَلا في حقّه وجَعَله فوق مقام المخلُوق أو في مقام الرّبوبية فأنّ الغالين فيه قالوا في حقّه ما قالوا ولهذا مَنَعه عليه السلام وأمّا مَدحه عليه السلام في حدّه فلا إشكال فيه.

□ قوله عليه السلام: **وَاِنَّ اَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذٰلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللّٰهِ عَلَيْهِ وَلُطْفُ اِحْسَانَهُ اِلَيْهِ...**

يعني أَحَقّ النّاس بتعظيم جلال اللّه وتصغير ما سواه هو الّذي عَظُمت نعمة اللّه عليه وصار مشمولاً لِلُطفه وإحسانه وذلك لأنّه أحقّ بتعظيم جلال اللّه من غيره لكون النّعمة عليه عظيمة والشّكر على النّعمة واجب عقلاً، قال الخوئي في المقام وهم الأئمّة لِعظم نِعمة اللّه عليهم وكمال معرفتهم بجلال ربّهم فَحَقّ اللّه تعالىٰ عليهم أعظم من غيرهم فينبغي أن يصّغر عندهم أنفسهم فلا يحبّوا الثّناء والإطراء ثمّ قال أو أنّ مَن عَظُمت نِعمه ولطفه وإحسانه اليه فهو أحقّ وأَجدَر بأن يعظم جلال اللّه الىٰ أن قال فلا يكون له إلتفات وتوجه الىٰ الخلق في أعماله حتّى يطلب رضاهم ومدحهم وثناءهم انتهىٰ.

أقول: أمّا الأوّل من الوجهين وهو أن يكون المراد بهم الأئـمة فـلا يـدّل الكلام عليه وأن كانوا كذلك فأنّ البحث ليس فيهم، وأمّا الوجه الثّاني فهو أيضاً خارج عن سياق الكلام وذلك لأنّ مفاد الإحتمالين يرجع الىٰ أنّ المـعصوم أَحقّ وأَجدَر بتعظيم جلال اللّه وتصغير ما سواه وهذا ممّا لا كلام فيه إلّا أنّه لا يستفاد من العبارة في المقام ونحن نشرح الكلام الموجود:

والّذي يختلج بالبال مع التّوجه الىٰ سياق الكلام وأنّه عليه السلام كـان فـي مـقام الجواب وتنبيه المادح المُفرط الخارج عـن حـدّ الإعـتدال هـو الإشـعار بأنّ المادح المذكور كان أحقّ بمُراعاة هذا الحَقّ أي تعظيمه جلال اللّه وعدم إلتفاته الىٰ غيره وذلك لكونه مشمُولاً لإحسان اللّـه ومُتّنعِماً بِـنَعمته العـظيمة وأيّ إحسانٍ من اللّه تعالىٰ الىٰ عبده أحسَن من الدّين وأيّة نِعمةٍ من نِعمه أعظم من الحجّة البالغة وأمير المؤمنين عليه السلام كان من أعظم النِّعم عليه وعلىٰ غيره لو كانوا يعلمون وأفضل الإحسان منه اليهم لو كانوا يتفكّرون وإذا كان كذلك يـنبغي المدح على المُحسن المُنعِم لا علىٰ نفس المُحسن والنِّعمة فكأنّه قال عليه السلام أنا نعمة من أعظم النِّعم وإحسان من اللّه اليكم من أفضل الإحسان فيجب عليكم شُكر المُنعِم والتّوجه الىٰ أنّ العَظَمة له لا لِـغيره فـتّوجهكم الىٰ النِّـعمة دون المُنعِم دليل علىٰ عدم معرفتكم.

▫ قوله عليه السلام: **فَاِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ اللّٰهِ عَلىٰ اَحَدٍ اِلَّا ازْدَادَ حَقَّ اللّٰهَ عَلَيْهِ...**

وذلك لأنّ زيادة النِّعمة من المُنعِم علىٰ المُتعَم عليه توجب إزديـاد حـقّ المُنعِم واللّه تعالىٰ قد أَنعَم عليكم، بعظيم النِّعمة وهـو نِـعمة وجـود الإمـام المعصُوم فَعظِموه وجِّلِلوه وأشكرُوا له ولا تكفرُوا بنعِمته والحاصل أنّ الوالي المعصُوم والإمام العادل من أعظم النِّعم فلا تغفلوا عن شُكر اللّه تعالىٰ عَليه:

▫ قوله عليه السلام: **عِظَماً وَاِنَّ مِنْ اَسْخَفِ حَالاَتِ الْوُلاَةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ اَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبَّ الْفَخْرِ وَيُوضَعَ اَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبْرِ...**

هذا الكلام منه عليه السلام كأنّه صدر في مقام الإعتذار عن المادح فيما قال في حقّه

عليه السلام وذلك لأنّ الوّلاة يَحّبّون الفَخر ويُوضع أَمرهم علىٰ الكِبر إلّا من عَصَمه اللّه تعالىٰ ولأجل هذا قال عليه السلام أنّ من أسخَف حالات الولاة وأَردئها وأَنقَصها عند صالح النّاس أن يَظنّ بهم أي بالولاة الفخر ويُوضع أَمرهم علىٰ الكِبر وحيث أنّهم كذلك فأنت قُلت في حقّي ما قلت وظَنَنت أنّي منهم وليس كذلك كما قال:

▫ **قوله عليه السلام: وَقَدْ كَرِهْتُ اَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ اِنِّي اُحِبُّ الْاِطْرَاءَ وَاِسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ وَلَسْتُ بِحَمْدِ اللّٰهِ كَذٰلِكَ...**

أي لا تَظّنون بي حُبّ الإطراء وإِستماع الثّناء فأنّي لستُ كذلك بحمد اللّه وقوله عليه السلام: **في ظَنّكم** مُشعر بدقيقةٍ أُخرىٰ وهي أنّ جولان هذا المعنىٰ وخطُوره بقلبكم ممّا أكرهه فكيف بإِعتقادكم هذا في حقّي وقوله بحمد اللّه إِشعار بأنّ كراهتي الإِطراء وإِستماع الثّناء أنّما هي بحول اللّه وقوته والإِستمداد منه فهو الّذي أعطاني هذه النّعمة فالحمد له تعالىٰ عليها وإِلّا فالإنسان بمقتضىٰ غريزته وجبّليته الحّيوانية لا يكره الفخر والكِبر والإِطراء وأمثال ذلك ألا ترىٰ أنّ كلّ النّاس يَحّبون الإِطراء إِلّا من عَصَمه اللّه ومع ذلك فـفيه دلالة عـلىٰ أنّ أمـير المؤمنين غير سائر النّاس والوّلاة سيرةً وأن كان مثلهم صُورةً كما قال:

▫ **قوله عليه السلام: وَلَوْ كُنْتُ اُحِبُّ اَنْ يُقَالَ ذٰلِكَ لِتَرَكْتَهُ اِنْحِطَاطاً لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ اَحَقُّ بِهِ مِنِ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ...**

بعد ما أفاد في الكلام السّابق كَراهته للإِفراط في المَدح والثّناء فكأنّه قيل له وهل يمكن أن يكره الإنسان المدح والثّناء فقال عليه السلام في الجواب لو كنت أُحبّه بمقتضىٰ الفطرة البّشرية لتركته بمقتضىٰ الحقيقة الملكّوتية إنحطاطاً وتواضعاً لِلّه سبحانه وذلك لأنّه تعالىٰ أحقّ من غِيره بذلك حيث أنّ المدح علىٰ العظمة والكبرياء وهما وصفان له تعالىٰ حقاً ولا يتّصف بهما غيره كما قال تـعالىٰ: **الكبرياء ردائي والعَظمة إزاري فمن نازعني في واحدٍ منهما قَصمتُه.**

والمدح أذا كان عليهما فينبغي أن يكون له تعالىٰ لا لِغيره وكلّ عبدٍ أحبّ الإتّصاف بهما فقد نازع اللّه:

▫ **قوله ؈: وَرُبَّمَا اِسْتَحْلَىٰ النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلاَءِ فَلاَ تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لِاخْرَاجِي نَفْسِي اِلَىٰ اللّهِ وَاِلَيْكُمْ مِنَ الْتَّقِيَّةِ فِي حُقُوقٍ لَمْ اَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا وَفَرَائِضَ لاَ بُدَّ مِنْ اِمْضَائِهَا...**

والمعنىٰ أنّ الثّناء لا يكون من غير جهة وعِلّة غالباً بل يكون أكثر الأوقات بعد البلاء أي بعد إجهاد النّفس في إحسان العَمَل وأمّا في الولاة فهو كثيراً ما يكون بعد إبتلاء الوالي بالشّدائد والمكائد السّياسية أو الغَلبة علىٰ الأعداء أو إجراء العدالة في النّاس وغير ذلك من الأمُور المُستَحسنة وأنّما قال ؈ وربّما ولم يقل أنّ الثّناء كذلك دائماً لأنّه قد يكون لمحض التّدليس ومُجّرد التّقرب الىٰ الوالي أو أخذ الدّرهم والدّينار وغير ذلك من دون أن يكون الوالي مُستّحقاً له أو فَعل شيئاً يوجب المَدح عليه وهذا كما نرىٰ أنّ الشّعراء كانوا يَمدحون الخلفاء كذِباً لأخذ الدّرهم:

وقوله ؈: **فَلاَ تُثْنُوا عَلَيَّ** الىٰ آخر ما قال حاصل مراده ؈ أنّكم لا تـثنوا عَلّي علىٰ ما فعلت من الأفعال الحَسَنة وإجراء العدالة وتقسيم الغنائم بالسّوية وأمثال ذلك فأنّ هذه الأمُور وأن كانت من إجهاد النّفس وإحسان العَمَل الّذي يوجب الثّناء في عُرف العامّة إلّا أنّي أنّما فعلتُ ما فعلتُ لإخراج نفسي الىٰ اللّه واليكم من حقوقه الواجبة عَلّي في الولاية عليكم لم أُفرغ من إدائها في الزّمن السّالفة وهكذا فرائضه الّتي لابدّ من المُضّي عليها والحاصل أنّ ما فعلته وأتيتُ به في الحكومة كان من بقية الحقوق الواجبة عَلّي وعليه فقد أدّيت وظيفتي وإداء الوظيفة لا يوجب ثناء ولا مَدحاً، وفي بعض النّسخ (تّقية) بالتّاء وعليه فالمعنىٰ أنّ ما أتيت به كان من بعض الحقوق الّذي ما أدّيته في الماضي لأجل التّقية والآن حيث وَصَلت الحكومة إلّي وصرتُ مبسوط اليد في إجرائه فقد أجريته:

□ **قوله ﷺ: فَلاَ تُكَلِّمُونِى بِمَا تَكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ وَلاَ تَتَحَفَّظُوا مِنِّى بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ وَلاَ تُخَالِطُونِى بِالْمُصَانَعَةِ وَلاَ تَظُنُّوا بِىَ اِسْتِثْقَالاً فِى حَقٍّ قِيلَ لِى وَلاَ الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِى...**

ثمّ بعد نَهيه إيّاهم عن الثّناء المُفرط أوضَح موارد المَنع وهي خمسة:

أحَدها: نهاهم عن التّكلم معه كما يُتكلم به الجبابرة من السّلاطين فقال لا تكلّموني كذلك وذلك لأنّه يوجب الفخر والكِبر مع أنّ الوالي على النّاس مثل غيره من آحاد النّاس في كونهم عَبيداً له ومُجّرد تَفويض الحكومة من اللّه أو من الخلق اليه لا يوجب الفرق بينهم كيف والأنبياء مع كونهم واجدين المقام النبّوة والحكومة ظاهرةً وباطنةً لم يكن بينهم وبين النّاس فرق من هذه الجهة أعني جهة الحكومة الظّاهرية وأن كانوا غيرهم من جهات أُخر وأذا كان النبّي كذلك فغيره بطريق أولى:

وثانيها قوله ﷺ: **وَلاَ تَتَحَفَّظُوا مِنِّى بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ** والغَضب من الملوك والأُمراء وذلك لأنّ النّاس أنّما يتحّفظون عنهم ويتكّلمون عندهم بما يُوافق مَذاقهم حقاً كان أو باطلاً خوفاً من سَطوَتهم وتَوقّياً وأمّا أنا فلستُ كذلك:

وثالثها قوله ﷺ: **وَلاَ تُخَالِطُونِى بِالْمُصَانَعَة** والمُداراة فأنّ الحقّ لا يقبل المُصانعة وتوضيحه أنّ ما تتوقعون منّي لا يخلو أمّا أن يكون حقّاً أو يكون باطلاً فأن كان الأوّل فلا نحتاج الى المُصانعة وأن كان الثّاني فلا تفيده فأنّ الإمام العادل لا يتّخلف عن طريق الحقّ أصلاً وقيل أنّ المُصانعة الرّشوة وكيف كانت فالمعنى واضح.

ورابعها قوله ﷺ: **وَلاَ تَظُنُّوا بِىَ اِسْتِثْقَالاً فِى حَقٍّ قِيلَ لِى** ، أي لا تَظنّوا بي أنّ الحقّ عَلّي ثقيل فأذا قيل لي حقّ فهو عَلّي سهل يَسير ولستُ كغيري من ملوك الدّنيا في عدم قبول الحقّ:

وخامسها قوله ﷺ: **وَلاَ الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي**، أي ولا يذهب ظنّكم الىٰ أنّي أطلب من الخلق التّعظيم لنفسي والجامع لهذه الأمور كلّها هو أنّ الإنسان أذا توجه الىٰ عظمة المعبُود وضعف المخلوق وأنّ كلّ ما يفعله أو يقوله من الحقّ فهو بتأييده وتوفيقه والعبد ومافي يده كان لمولاه فلا جُرم لا يفخر ولا يتكبر علىٰ أحَدٌ ولا يرىٰ نفسه إلّا ضعيفاً حقيراً بل لا يرىٰ نفسه أصلاً فهو فاني الذّات والصّفات في محبُوبه ومطلوبه ويطلب رضاه في حَركاته وسَكناته وإذا وصل الىٰ هذا المقام فينظر الىٰ ما سوىٰ اللّه بعين الحقارة والضّعف فلا يضّره إدبارهم كما لا ينفعه إقبالهم فأنّ إقبال الخَلق وإدبارهم لا بقاء له ولا أصالة فيه وأنّما هو من الأمور الإعتبارية التّي لا دوام بل لا وجود لها بالحقيقة كسراب بقيعةٍ يحسبه الظّمأن ماء وحينئذٍ فالمَدح والذّم والتّعظيم والتّحقير وأمثال ذلك لا موقع لها عنده أصلاً:

▫ قولُه ﷺ: **فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ اَنْ يُقَالَ لَهُ اَوِ الْعَدْلَ اَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا اثْقَلَ عَلَيْهِ...**

هذا الكلام تعليل منه لما ذكره ﷺ سابقاً وحاصله أنّ العَمَل بالحقّ والعَدَل أثقل وأَصعب من قبولهما فَمن ثقُل عليه الحقّ والعَدل إذا سَمِع بهما كيف يَعمَل بهما وأنّما قال ﷺ أنّ العَمَل بهما أَثقل لأنّ مقام العَمل غير مقام القبول وأَصعب منه ألا ترىٰ أنّ المُسلم ملتزمٌ بالإسلام وأحكامه من الواجبات والمندوبات والمُباحات وغيرها وأمّا في مقام العَمل فلا يعمل بها وليس هذا إلّا لصعُوبته:

▫ قوله ﷺ: **فَلاَ تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ اَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ...**

أي أذا عرفتم أنّي لا أكره من قبول الحقّ والعَدل فلا تَكفّوا أي لا تمسكوا ولا تمنعوا أنفسكم عن مقالةٍ بحّقٍ أو مشورةٍ بعدل لا كلّ مقالة ومشورةٍ فأنّ بعض المقالات والإستشارات ممّا لا ينبغي أن يُسمع به.

وأمّا أذا كانت المقالة أو المَشوَرة بحَقٍ فتُقبل ولا سيّما عند من يتَصدىٰ إجراء الحقّ والعَدل وفي هذا الكلام إشارة الىٰ عدم جواز منع النّاس عن ذكر الحقائق وبيان المصالح إذا لم يكن ممّا يراد به الباطل كما يقال كلمة حقّ يراد بها الباطل كقول الخوارج لا حكم إلّا لِللّه فأنّ هذا الكلام حقّ في نفسه إلّا أنّهم أرادوا به الباطل وكرفع المصاحف علىٰ الرّماح في عسكر معاوية وقولهم فدعوكم الىٰ كتاب اللّه فهو حقّ ولكن أرادوا به الباطل وهو إيجاد النّفاق والخلاف في أهلِ الكوفة ونظائره كثيرة.

□ **قوله ﷺ: فَاِنِّى لَسْتُ فِى نَفْسِى بِفَوْقِ اَنْ اُخْطِئَ وَلاَ آمَنُ مِنْ ذٰلِكَ مِنْ فِعْلِى اِلَّا أَنْ يَكْفِيَ اللّٰهُ مِنْ نَفْسِى مَا هُوَ اَمْلَكُ بِهِ مِنِّى...**

إستّدل ﷺ بما حاصله أنّ الإنسان بما هو هو محّل الخطأ والنّسيان قولاً وفعلاً إلّا من عَصَمه اللّه وأنا أيضاً بشر مثلكم وعليه فأنّي لستُ في نفسي أي بما أنّي بَشر بفَوق أن أُخطئ أي أجلّ شأناً من الخطأ وبعبارةٍ أُخرىٰ ليس مقامي فوق مقام الخَطأ ولا آمن ذلك أي الخَطأ في فعلي أيضاً فأنّ الّذي مقامه فوق الخطأ قولاً وفعلاً هو اللّه تعالىٰ لِتَنّزهه عن هذه النّواقص المنافية للواجب وأمّا المخلوق كائناً من كان فلا يخلو عنه في حدّ بل هو عينه لأنّ الخَطأ هو النّقص وبالعكس وأن قلنا بكونه لازماً له فهو من لازم المَهية الّذي لا يَنفك عنها أصلاً:

أن قلت ـ في هذا الكلام تصريح منه ﷺ بجواز الخطأ عليه قولاً وفعلاً وأنه كان لا يخلو عنه ولا يأمنه وقد ثبت أنّ إقرار العقلاء علىٰ نفسهم جائز بحسب الأخذ به وحيث أنّه قد أَقَّربه علىٰ نفسه وقال لا آمن ذلك في فعلي يثبت عليه الخطأ وهو ينافي ما تدّعون فيه وفي غيره من الأئمّة من عدم جواز الخطأ عليهم وأنّهم من المعصومين وهل هذا إلّا من الإجتهاد في مقابل النّص:

قلتُ ـ ليس الأمر كما زَعمت وذلك لأنّ جواز الخطأ غير الوقوع والفَعلية والّذي نقول فيهم هو عدم وقوع الخطأ عنهم وهو لا ينافي جوازه في حقّ

المخلوق بما هو هو:

وتوضيحه أنّ الإمام والنّبي وبالجملة كلّ من نقول بعصمته من البَشَر له جبنتان وإعتباران، إعتبار البشّرية وإعتبار النّبوة والإمامة فبالإعتبار الأوّل هو كغيره من أفراد البَشَر يجوز له ما يجوز لهم ولا يجوز له ما لا يجوز لهم فأنّ حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد وقد قال اللّه تعالىٰ في حقّ الرّسول: ﴿قُلْ اَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ (١) فالمعصوم بهذا الإعتبار لا فرق بينه وبينهم في الأكل والشّرب والتّناكح والتّناسل والنّوم واليقظة والجسّمية وغير ذلك ممّا هو من لوازم البشرية وحيث أنّ البَشَر بما هو هو يجوز عليه الخطأ بل هو أنيسه وجليسه فيخطئ ويسهُو وينسىٰ فالقاعدة تقتضي المساواة بينهم من هذه الجهات المستندة الىٰ البَشَرّية:

وأمّا بالإعتبار الثّاني وهو الإمامة والنّبوة فليس كذلك لأنّه ليس من لوازم البشّرية حتّىٰ تشمله القاعدة وإلّا يلزم أن يكون النّاس كلهم أنبياء أو أئمّة وحيث قد ثبت أنّ النّبي والإمام لابدّ لهما من العِصمة عن الخطأ فعلاً وقولاً ليصّح الأخذ بقولهم وفعلهم لغيرهم وليست العِصمة من لوازم ذات البَشَر فلا محالة تستند الىٰ اللّه وأنّه تعالىٰ قد عَصَمهم عن الخطأ لئلّا يقع الإشتباه منهم في إرسال رسالتهم وتبليغ أحكامه فعصمتهم ليست من عند أنفسهم بل كانت من اللّه تعالىٰ وَمن يقول أنّ اللّه لا يقدر علىٰ ذلك وقد قال في كتابه: ﴿إِنَّ اللهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْىءٍ قَديرٌ﴾ (٢) أذا عرفت هذا في المقام إجمالاً وفي بحث العِصمة تفصيلاً فنقول أنّ أمير المؤمنين لم يسلب عن نفسه الشّريفة العصمة في المقام بل أثبتها وأحكَمَها وذلك لأنّه سَلَبَ العِصمَة عن نفسه بما هي هي من حيث أنّه بَشَر مخلوق كغيره من المخلوقات مع قطع النّظر عن شمول لطف الرّب أيّاه ثمّ أثبتها لنفسه من حيث شموله فقال إلّا أن يكفي اللّه من نفسه ما هو

١-الكهف - ١١٠

٢- فاطر-١

أملك به منّي ولا نعني بالعِصمة إلّا هذا فأنّها عبارة عن وقاية الرّب عَبده عن الخطأ وهذا كان ثابتاً في حقّه فكلامه هذا مثل ما حكىٰ اللّه تعالىٰ عن يوسف الصّديق حيث قال: **﴿وَ مَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي اَنَّ النَّفْسَ لَاَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ اِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾**(١) ومن المعلوم أنّ لو لا رحمة الرّب وشمول لطفه لكان هو وغيره من المعصومين مثل سائر الأفراد وهذا ممّا لا كلام فيه وحاصل الكلام أنّه عليه السلام أثبت بهذه المقالة الخطأ في النّفس والفعل لو لا كفاية اللّه وحمايته ولكّن اللّه قد كفاه فكان معصوماً وهو المطلوب وأمّا أنّه ما الدّليل علىٰ أنّ اللّه كفاه وعَصَمه عن الخطأ فقد مّر الكلام فيه عند البحث في عِصمة الأنبياء وهكذا عند البحث في عِصمة الإمام مضافاً الىٰ الآيات والأخبار الواردة فيه فسَلب العِصمة عن النّفس بما هي هي لا يدّل علىٰ عَدَمها علىٰ الأطلاق وهو واضح:

□ قوله عليه السلام: **فَإِنَّمَا أَنا وَاَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لاَ رَبَّ غَيْرُهُ يَمْلِكُ مِنَّا مَا لاَ نَمْلِكُ مِنْ اَنْفُسِنَا وَاَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَىٰ مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ...**

كلمة أنمّا تفيد الحصر والمعنىٰ أنا وأنتم عَبيد مملوكُون لربّ العالمين الّذي لا ربّ غيره واقعاً ولا فرق بيني وبينكم من جهة المملوكّية فهو تعالىٰ يملك مِنّا ما لا نملك من أنفسنا وذلك لأنّه خَلقنا وأوجَدنا وأَخرّجنا ممّا كنّا فيه قبل الوجود وهو عالم العدم الىٰ ما صَلَحنا عليه وهو عالم البقاء الموّقت أو المعنىٰ أَخرَجنا من الجَهل الىٰ العلم ومن الحيّوانية الىٰ الإنسانية ببَركة الدّين والكلّ صحيح لا شكّ فيه:

□ قوله عليه السلام: **فَاَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلاَلَةِ بِالْهُدىٰ وَاعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمىٰ....**

أي بعد أن أَخرَجنا من كَتم العدم الىٰ عالم الوجود كنّا علىٰ ضلالة وغواية فأَبدل اللّه الضّلالة فينا بلُطفه وكرمه بالهداية والسّعادة بسبب الشّرائع الإلٰهية وأعطانا اللّه البَصيرة في الدّنيا والدّين بعد العمىٰ والجهل فجميع النِّعم المادّية

١-يوسف-٥٣

والمعّنوية الشّاملة لنا منه تعالىٰ فالحَمد كلّه يرجع اليه والعَبد أذا تّوجه الىٰ هذه الأمور يعلم ضعفه وعجزه وأن لا مؤثر في الوجود إلّا هو والحَمد لِـللّه ربّ العالمين.

ومن كلام له ﷺ (٢١٦)

◘ قوله ﷺ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَىٰ قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وَأَكْفَأُوا إِنَائِي وَاجْمَعُوا عَلَىٰ مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلَىٰ بِهِ مِنْ غَيْرِي وَقَالُوا أَلاَ إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ فَاصْبِرْ مَغْمُوماً أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ وَلاَ ذَابٌّ وَلاَ مُسَاعِدٌ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَىٰ وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشِّفَارِ.

وَقَدْ مَضَىٰ هٰذَا الْكَلَامُ فِي أَثْنَاءِ خُطْبَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ إِلَّا أَنِّي كَرَّرْتُهُ لِإِخْتِلَافِ الرِّوَايَتَيْنِ

وَمِنْهُ فِي ذِكْرِ السَّائِرِينَ إِلَىٰ الْبَصْرَةِ لِحَرْبِهِ ﷺ:

فَقَدِمُوا عَلَىٰ عُمَّالِي وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدَيَّ وَعَلَىٰ أَهْلِ مِصْرٍ كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَىٰ بَيْعَتِي فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ وَأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ وَوَثَبُوا عَلَىٰ شِيعَتِي فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْراً وَطَائِفَةٌ عَضُّوا عَلَىٰ أَسْيَافِهِمْ فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّىٰ لَقُوا اللّٰهَ صَادِقِينَ.

◁ اللغة

(أَسْتَعْدِيكَ) أي أستعينك يقال إستعدى من فلان أذا أستعان به (قُرَيش) بضم القاف وفتح الرّاء قبيلة من العَرب مشهورة (أكفؤوا) الإكفاء التقليب (إِنَائِي) الإناء بكسر الهمزة الظّرف (رَافِدٌ) إسم فاعل من رَفَد إذا أعانَ والرّافد المُعين

(ضَنَنتُ) ضَنّ بالشّيء إذا بخل به (أَغْضَيْتُ) أي صبرتُ وسكتَ (القَذىٰ) بفتح القاف ما يقَع في العين (الشّجى) بفتح الشّين ما إعترض في الحلق من عظم ونحوه (الْعَلْقَمِ) شجر شديد المرارة (أَلَم) أفعل التّفضيل من الألَم وهو الوَجعُ (حَزّ الشّفار) الحَزّ بفتح الحاء القطع والشّفار جمع شفرة حدّ السّيف:

◁ **المعنىٰ**

(**اللّهُمَّ اِنّى اَسْتَعْدِيكَ**) وأستعينك (**عَلَىٰ قُرَيْشٍ وَمِنْ اَعانَهُمْ فَاِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي**) وقرابتي فجعلونى بمنزلة الأجانب ولم ينصروني (**وَاكْفَأُوا اِنائِي**) وهو كناية عن إبطالهم حقّه في الخلافة، (**وَاجْمَعُوا**) وإتّفقوا (**عَلىٰ مُنَازَعَتِى**) ومخالفتي (**حَقّاً كُنْتُ اَوْلَىٰ بِهِ مِنْ غَيْرِى**) وهو الخلافة بعد الرّسول (**وَقَالُوا اَلاَ اِنَّ فِى الْحَقِّ اَنْ تَأْخُذَهُ وَفِى الْحَقّ اَنْ تُمْنَعَهُ**) أيّ أن أَخذت الخلافة فبالحقّ أَخذتها وأن مُنعت عنها فبالحقّ مُنعَت (**فَاصْبِرْ**) علىٰ ما أصابك في الخلافة (**مَغْمُوماً اَوْ مُتْ مُتَاسِّفاً**) أي إن كنت حيّاً فأنت مغمومٌ لا محالة وأن مِتّ متأسفاً ومتألماً، (**فَنَظَرْتُ**) فيما جرىٰ عَلّي (**فَاِذَا لَيْسَ لِى رَافِدٌ**) ومُعين علىٰ رفع الظّلم عَنّي (**وَلاَ ذَابٌّ**) ومانع عن الظّلم (**وَلاَ مُسَاعِدٌ**) يساعدني علىٰ أخذ حقّي (**اِلّا اَهْلَ بَيْتِى فَضَنَنْتُ**) وبَخلتُ (**بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ**) والمَوت في القتال مع الأعداء علىٰ كثرتهم (**فَاَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَىٰ**) وهو كناية عن شدّة المصيبة (**وَجَرِعْتُ**) وأبتلعتُ (**رِيقِى عَلَى الشَّجَا**) وهو أيضاً يدّل علىٰ غُصّته وغمه.

(**وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ** (**وَقَدْ مَضَىٰ هٰذَا الْكَلاَمُ فِى اَثْنَاءِ خُطْبَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ اِلّا اَنّى كَرَّرْتُهُ لِاِخْتِلاَفِ الرِّوَايَتَيْنِ**) وأَصعَب (**مِنَ الْعَلْقَمِ وَاَلَمَ**) وأوجَع (**لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشِّفَارِ**) وحدّ السّيف (**فَقَدِمُوا**) هؤلاء الأشرار وهم طلحة والزّبير وعائشة وغيرهم (**عَلَىٰ عُمَّالِى**) في البَصرة (**وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِين الَّذي فِى يَدَىَّ**) من حيث المسئوليّة شرعاً (**وَعَلىٰ اَهْلِ مِصْرٍ**) والمراد أهل البَصرة (**كُلُّهُمْ**) كانوا (**فِى طَاعَتِى وَعَلَىٰ بَيْعَتِى فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ وَافسَدُوا عَلَىَّ جَمَاعَتَهُمْ وَ وَثَبُوا**) وهجمُوا (**عَلَىٰ شِيعَتِى فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْراً**) ومكراً

(**وَطَائِفَةٌ**) أُخرىٰ (**منهم**) أيِ من شيعتي (**عَضُّوا**) ولازموا (**عَلَىٰ أَسْيَافِهِمْ فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّىٰ لَقُوا اللّٰهَ صَادِقِينَ**) أي قُتلوا كذلك:

◁ الشّرح

▫ قوله ﷺ: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَىٰ قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وَاكْفَأُوا إِنَائِي وَاجْمَعُوا عَلَىٰ مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ اَوْلَىٰ بِهِ مِنْ غَيْرِي....**

إعلم: أنّه قد مَرّ في الخطبة السادسة والعشرين بعض ما ذكره في المقام كما إعترف به الرّضي ﵀ في المقام وهو قوله ﷺ فنَظرتُ الىٰ قوله وأَمَّر من العَلقم علىٰ إختلاف بعض الألفاظ وكيف كان فالمقصود من هذا الكلام شكايته الىٰ اللّه من أبناء زمانه ولا سيّما أقربائه من قبيلة قُريش في مسئلة الخلافة بعد مَوت الرّسول ﷺ فقال ﷺ اللّهم أنّي أستعديك وأستنصرك علىٰ قُرَيش أي أطلب النّصرة والإعانة منك علىٰ قُريش فأنّهم قد قطعوا رَحمي أي قرابتي والغرض من قطع الرّحم هو عدم نُصرتهم أيّاه في دفع الظّلم عن نفسه وأمّا علىٰ قول المعتزلي فالمعنىٰ أنّهم أجروني مَجرىٰ الأجانب ولم يُراعوا فيّ حقّ القرابة الثّابتة بيني وبينهم وليس المراد بهم هو الزّبير وطلحة وأمثالهم ممّن نَكَث بَيعته بعد وصوله الىٰ مقام الخلافة ظاهراً فحسب كما زَعمه بعض الشّراح بل المقصود من هذا الكلام هو بيان ما وقع في صدر الإسلام بعد موت الرّسول وذلك لأنّ حَرب الجَمل وغيرها من الحروب الواقعة في خلافته كلّها من تَبعات السّقيفة وما وقع عليه في بدو الأمر وهو واضح فصدُور الخطبة منه في قصّة الجَمل لو ثَبت لا ينافي ما ذكرناه وقوله ﷺ: **وَاكْفَأُوا إِنَائِي** كلام خرج مخرج الإستعارة حيث شبّه ﷺ الخلافة بعد رسول اللّه بالإناء ونَسبه الىٰ نَفسه وقال إنائي لكونها حَقّاً له بنّصٍ من الرّسول ثمّ من غَصبها وأَخذها منه بمن قلّب الإناء علىٰ عكس ما كان والمعنىٰ أنّهم قلّبوا الخلافة علىٰ خلاف ما

جَعَلها اللّه تعالىٰ وأَخَذوها من أهله فلا جَرم لم يبق في إناء الخلافة شئ من الماء وهو من أحسن الإستعارات:

وأمّا قوله ﷺ: **وَاجْمَعُوا عَلَىٰ مُنَازَعَتِي** الىٰ آخر كلامه فهو إشارة بل تصريح بكونه أولىٰ من غيره في تصّدي الخلافة بعد الرّسول وأنّه كان حقّاً له ﷺ عقلاً ونقلاً إلّا أنّهم أجمعوا وأتّفقوا علىٰ طرده ومنعه من الوصول الىٰ حقّه وإيصاله الىٰ من لم يكن له فيه حَظٌ ولا نصيبٌ ونحن قد فصّلنا الكلام في هذا الباب عند شرحنا للخطبة الشّقشقية وأقمنا علىٰ إثبات الحقّ من الأدلّة العقلية والنّقلية بما لا مزيد عليه:

□ قوله ﷺ: **وَقَالُوا اَلاَ اِنَّ فِي الْحَقِّ اَنْ تَاْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ اَنْ تُمْنَعَهُ فَاصْبِرْ مَغْمُوماً اَوْمُتْ مُتَاَسِّفاً...**

قال المعتزلي وقد أختلفت الرّواية في قوله (**اَلاَ اِنَّ فِي الْحَقِّ اَنْ تَاْخُذَهُ**) فَرواها قوم بالنّون وقوم بالتّاء وقال الرّاوندي أنّها في خطّ الرّضي بالتّاء انتهىٰ ثمّ قال ومعنىٰ ذلك أن ولّيت كانت ولايتك حقّاً وأن ولّي غيرك كانت ولايته حقّاً علىٰ مذهب أهل الإجتهاد ومن رواها بالنّون فالمعنىٰ ظاهر انتهىٰ وأنا أقول لعلّ المقصود من هذا الكلام هو أنّهم قالوا المَلاك في تصّدي الخلافة ليس العقل والشّرع كما تقول بل الملاك موافقة أصحاب السّقيفة في تعيين الخليفة فأن وافقوك فهو حقّ وأن مَنَعوك فهو أيضاً حقّ فالحقّ يَدُور مَدار آرائهم ولا معنىٰ لِلحقّ غير ذلك وحيث أنّهم خالفوك فيه ووافقوا غيرك فالحقّ مَعه وعليه فأصبر عليه مغموماً مَهمُوماً أو مُت متأسفاً متألماً فأنّ الطّريق منحصر فيها وعليه فالحقّ عبارة عن رأي المُجتهد أصاب او أخطأ فكلّ ما حَكَم به حقّ وإلّا فباطلٌ وهذا هو الّذي عَوّلوا عليه في إجتهادهم في جميع الأحكام وأساس هذا القول علىٰ أنّ الأحكام الواقعية تابعة لآراء المجتهدين ولا واقع غير ما حكموا به فالمجتهد يُصيب دائماً ولا يخطئ أصلاً ويقال لهم

المصّوبة ولعلّه الىٰ هذا المعنىٰ الّذي قلناه في التّصويب أشار المُعتزلي في شرح الكلام حيث قال، وأن ولّي غَيرك كانت ولايته حقّاً علىٰ مذهب أهل الإِجتهاد، ومراده من أهل الإِجتهاد هو العامّة فأنّهم أسّسوا أساس إِجتهادهم علىٰ التّصويب وأنّ مّؤدي الحُكم حقّ عند اللّه كائناً ما كان:

وأمّا علىٰ مذهب الخاصّة القائلين بأنّ المجتهد قد يخطئ إلّا أنّه لا يُعاقب عليه إذ بذل وسعه في إِجتهاده ويقال لهم المخطِئة فالأمر ليس كذلك ولا يبعد أنّ العامّة أخذوا هذا الأصل أعني به التّصويب من السّقيفة إذ لو قالوا بخطأ المجتهد يقال لهم ما تقولون في إِجتهاد أهل السّقيفة هل تجّوزون الخطأ فيهم أم لا فأن قالوا بالتّجويز يقال لهم لعلّهم أخطأوا في السّقيفة وإِحتمال الخطأ يكفي في سقوط الإِستدلال فلابّد لهم من القول بالتّصويب ثمّ الحكم بأنّ ما حكّموا به حقّ قطعاً وإذا كان حقّاً ففيه رضاء اللّه ورسوله فما تقول الشّيعة في المقام:

ولم يعلموا أنّ المقام من الأصول الإعتقادية والإِجتهاد في الفروع لا في الأصول وإلّا يلزم صّحة إِجتهاد المجتهد في نفي الرّسالة أيضاً بل في نفي التّوحيد والمعاد وغيرها ضرورة أنّه لا واقع علىٰ الفرض إلّا مُؤدىٰ حكم المجتهد وأحكام اللّه من الأصول والفروع تابعة له فاللّه تعالىٰ تابعٌ لِلعبد في حُكمه وينتظر إجتهاده وإِستنباطه وعليه فالعابد في الحقيقة معبود والمعبود عابد وهذا كما ترىٰ:

وثانياً: أنّ الإِجتهاد في مقابل النّص لا معنىٰ له والنّص موجود فالإِجتهاد باطلٌ موهوم.

وثالثاً: هل يقول عاقلٌ بإِجتهاد أصحاب السّقيفة من أوّلهم الىٰ آخرهم فمنهم أبو بكر وهو رأسهم ورئيسهم وأعلمهم ولم يعرف معنىٰ الكلالة وغيرها من الأحكام السَهلَة فضلاً عن مشكلات الأحكام وهم قد إِعترفوا به

في كتبهم وهو أيضاً قد أقّر به غير مرّة ثمّ بَعده عُمر بن الخطّاب الّذي قال غير مرّةٍ لو لا علّي لهلك عُمر وهكذا عثمان والمغيرة وأبن عوف وأمثالهم ومن لم يقدر علىٰ الإجتهاد في معنىٰ الكلالة وهي لغة من اللّغات وَيعرفها من له أقّل أُنسٍ بالعربية فكيف يقدر علىٰ الإجتهاد في هذا الأصل العظيم ثمّ أنّهم كيف صاروا مجتهدين وعمّن أخذوا مباني الإجتهاد وأينَ تَعَلّمُوها والكلام طويل فَذرهم في خَوضهم يلعبُون:

وأمّا قولهم فأصبر مغموماً أو مُت مُتأسفاً فهذا كلام لا مرية فيه منهم وبزعمهم وذلك لأنّهم أنّما فَعلوا ما فَعلوا بأهل البيت لأجل هذا حَسداً منهم عليهم وأنّ النّبوة والخلافة لا تجتمعان في بيت واحدٍ فهذا هو نتيجة الإجتهاد والمقصد الأسنىٰ والغاية القصوىٰ في إتفاقهم علىٰ منازعته **﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا اَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾**(1)

□ **قوله ﷺ: فَنَظَرْتُ فَاِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ وَلاَ ذَابٌّ وَلاَ مُسَاعِدٌ اِلَّا اَهْلَ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ...**

وهذا الكلام منه ﷺ يجري مجرىٰ الجواب لِسؤالٍ مُقدّر وهو أنّه أذا كان الأمر علىٰ ما ذكره ﷺ من قطعهم رَحمه وإجماعهم علىٰ منازعته في حقّه فَلِمَ سَكَتَ عن القيام ولم يُقاتلهم كما قاتل أصحابَ الجَمل والنّهروان والصّفين أليسَ هذا القعُود منه دليلاً علىٰ إمضائه ما فعلوه ومتابعته لهم فأجاب ﷺ بما حاصله أنّ الأمر ليس علىٰ ما تزعمون وليس كلّ سكوتٍ وقعودٍ دليلاً علىٰ الرّضا بِفعل المُخالف فأنّ السّكوت في قبال الظّالم علىٰ قسمين:

أحدهما: أن يكون بمنزلة الإمضاء والموافقة لِلظّالم ومن كان كذلك فهو أيضاً ظالم واقعاً مُعين علىٰ الظّلم ظاهراً كأعوان الظّلمة الّذين يوافقون الظّالم بسكوتهم وأمثال هذا كثير:

١- الشعراء- ١٢٧

وثانيهما: أن يكون السّكوت والقعُود لأجل عدم المُعين والمُساعِد على دفع الظّلم أو رَفعه وقد يُعَبر عنه بالتّقية فأنّ حفظ النّفس واجب قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَ لا تُلقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾** (١) وسكُوت أمير المؤمنين ﷺ وقعُوده في بيته كان من الثّاني لا من الأوّل وكان هذا منه ﷺ بحسب الوظيفة التّي قرّرها اللّه تعالىٰ ورسوله له ﷺ كما وَرَدت الأخبار بها وقد مَرّ الكلام فيها أيضاً والىٰ هذا المعنىٰ أشار ﷺ في كلامه وقال فَنظرتُ أي نَظرتُ الىٰ أمري فرأيت أن لا مُعين لي في القيام ولا ذابٌ ولا مانعٌ ولا مُساعد في هذه الوظيفة الإلٰهيّة فأنّ النّاس عبيد الدّنيا إلّا أهل بيتي وهم الحسن والحسين وعبد اللّه أبن جعفر وأمثالهم فَظننتُ وبَخلتُ بهم علىٰ المَنية لئلّا تخلو الأرض من الحُجّة وينقطع بهم نسل رسول اللّه ﷺ:

▫ قوله ﷺ: **فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَىٰ وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشِّفَارِ...**

أي لمّا رأيت الأمر علىٰ هذا المِنوال من عدم المُعين والنّاصر لِلحقّ فأَغضيتُ وصَبرتُ علىٰ الشّدة والبَلية وجَرعتُ وأبتَلعتُ ريقي علىٰ الشّجىٰ وهو ما يعترض في الحَلق وصَبرتُ من كَظم الغَيظ علىٰ أمرٍ كان الصّبر عليه أَمَرّ وأَصعَب من العَلقَم وهو شجر شديد المرارة وأَلَم وأَوجع للقلب من حزّ الشّفار أي حدّ السّيف ونحوه والحاصل أنّ المُصيبة كانت عظيمة والبَلية كانت فَجيعة ومع ذلك كلّه فَصبرتُ عليها وكَظمتُ غَيظي فأنّ اللّه تعالىٰ يُحبّ الصّابرين ويُوَفيهم أُجورهم بغير حساب وقد مَرّ منه ﷺ نظير هذا الكلام في الخطبة الشّقشقية أيضاً حيث قال ﷺ: **صَبرتُ وفي العين قَذىٰ وفي الحَلق شَجىٰ أرىٰ تُراثي نَهباً** الىٰ آخر كلامه وقد بَسَطنا الكلام في هذا الباب هناك وقلنا أنّ مُصيبته ﷺ كانت مُصيبة الدّين لا مُصيبة الدّنيا فأنّه ﷺ كان قد طَلّقها

١ ـ البقره ـ ١٩٥

ثلاثاً لا رجعة له فيها:

قال الرّضي ﷺ وقد مضىٰ هذا الكلام في أثناء خطبة مُتقدمة إلّا أنّي كررته هٰهنا لإختلاف الرّوايتين ومنه أي ومن كلام له ﷺ في ذكر السّائرين الىٰ البَصرة لحربه وهم أصحاب الجَمل:

□ **قوله ﷺ: فَقَدِمُوا عَلَىٰ عُمَّالِي وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدَيَّ وَعَلَىٰ أَهْلِ مِصْرٍ كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَىٰ بَيْعَتِي فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ وَافْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ وَ وَثَبُوا عَلَىٰ شِيعَتِي...**

أشار ﷺ في هذه الكلمات الىٰ بعض ما فَعلوا من الأمور الشّنيعة حين دَخلوا البَصرة من السّرقة وإيجاد النّفاق بينهم وقَتلهم جماعة كثيرة من خيار الصّحابة بجُرم تشيّعهم وحُبّهم لأمير المؤمنين وقد مّر الكلام فيه والتّواريخ شاهدة عليه ولنَذكر لك ما ذكره في المناقب في المقام.

قال فلمّا نزلت الخَريبة (موضع بالبَصرة) قَصدهم عثمان بن حُنيف (عامل علّي بالبَصرة) وحاربَهم، فَتَداعوا الىٰ الصّلح فَكتبوا بينهم كتاباً أنّ لعثمان دار الإمارة وبيت المال والمسجد الىٰ أن يصل اليهم علّي ﷺ فقال طلحة لأصحابه في السِّر واللّه لأن قَدِم علّيٌ البَصرة لنؤخَذن بأعناقنا فأتوا علىٰ عثمان بياتاً في ليلة ظلماء وهو يصّلي بالنّاس العشاء الآخرة وقَتلوا منهم خمسين رجلاً وإستأسروه ونَتّفوا شعره وحَلقوا رأسه وحَبسوه فَبلغ ذلك سهل بن حنيف فَكتب اليهما أعطىٰ اللّه عهداً لأن لم تَخلو سبيله لأبلغن من أقرب النّاس اليكما فأطلقوه ثمّ بعثا عبد اللّه بن الزّبير في جماعةٍ الىٰ بيت المال فَقتل أبا سلّمة الزّبطي في خمسين رجلاً وبَعثت عائشة الىٰ الأحنف فَدعوه فأبىٰ وإعتزل بالجلحاء من البَصرة في فرسخين وهو في ستّة ألاف فارس فأَمَر علّي ﷺ بالحَنيف علىٰ المدينة وقثم بن العبّاس علىٰ مكّة وخرج في ستّة ألاف الىٰ الرّبذة وساق الحديث الىٰ آخره والىٰ هذا المعنىٰ أشار ﷺ بقوله:

▫ **قوله ﷺ: فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْراً وَطَائِفَةً عَضُّوا عَلَىٰ أَسْيَافِهِمْ فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّىٰ لَقُوا اللّٰهَ صَادِقِينَ...**

أمّا الطّائفة التّي قُتلت غدراً هي التّي قُتلت في المسجد وبيت المال كما مرّ وأمّا التّي عَضّوا علىٰ أسيافهم الىٰ آخره فهُم الّذين قُتلوا في حَرب الجَمل رحمة اللّه عليهم أجمعين.

وفي قوله ﷺ: **حَتَّىٰ لَقُوا اللّٰهَ صَادِقِينَ** إشارة الىٰ كونهم من الشّهداء حقّاً وهو كذلك لأنّهم كانوا صادقين في نيّتهم وبيعتهم وجهادهم في سبيل اللّه بخلاف أصحاب الجَمل لكذبهم في دعواهم وهو واضح أذ لو كانوا صادقين لم ينكثوا بيعته ولم يُقدموا علىٰ حربه وقد قال رسول اللّه ﷺ **يا علّي حَربك حَربي وسِلمك سِلمي ومن نكث فأنّما يَنكث علىٰ نفسه وسَيعلم الّذين ظلموا أيّ مُنقلبٍ ينقلبُون** وفيهم قال الشّاعر:

ألا يــا خَـليفة خَـير الوَرىٰ
لقـد كَـفر القَـوم أذ خـالفوكا
أدَل الدّليـل علىٰ أنّـهم
أتـوك وقـد سَـمعوا النّص فيكا
خـلافهم بـعد دَعـوتهم
ونكـثهم بـعد مـا بـايعوكا
طَـغوا بـالخَربية وإستَنجده
بـصّفين والنّـهر مـاصالحوكا
أُنـاسٌ هُـم حـاضَروا نَـعثلاً
ونـالوه بـالقَتل مـاإستأذنوكا
فَـيا عَـجباً مـنهم أذ جَـنوا
دَمـاً وبـثاراتـه طـالبُوكا

ولآخر :

أبـا حَسـنٍ أيـقظتَ مـن كـان نـائماً

ومـا كـان مـن يَـدعي الىٰ الحـقّ يـتبع

وأنّ رجـــالاً بـــايعوك وخـــالفوا

هـواك وأجَـروا فـى الضّـلال وضيّعوا

وطَـــلحة فـــيها والزّبـــير قـــرينه

وليس لِـــما لا يـــدفع اللّـــه مَـــدفع

وذكـــرهم قـــتل إبـن عـفان خُـدعة

هُـــم قـــتلوه والمُـــخادع يَـــخدَع

وقد روي أبن قُتَيبة في كتاب الإمامة والسّياسة كيفية خـروج طـلحة والزّبـير وعائشة الىٰ البَصرة مفّصلاً وهو من أعيان العامّة ومُتّعصبهم فقال فيما ذكره ما لفظه:

ولمّا نزل طلحة والزّبير وعائشة بأوطاسٍ من أرض خَيبر أَقبل عليهم سعيد بن العاص علىٰ نجيبٍ له فأشرف علىٰ النّاس ومَعه المُغيرة بن شـعبة فـنَزل وتوكأ علىٰ قوس له سوداء فأتىٰ عائشة فقال لها أين تُريدين يا أُمّ المؤمنين قالت أُريد البَصرة قال وما تَصنعين بالبَصرة قالت أطلب بدم عثمان قال فَهؤلاء قَتلة عثمان مَعك ثمّ أَقبل علىٰ مَروان فقال له وأنت أين تُريد أيضاً قال البَصرة قال وما تَصنع بها قال أطلب قتلة عُثمان قال فَهؤلاء قتلة عثمان مَعك أنّ هذين الرّجلين (طلحة والزّبير) قتلا عثمان وهما يريدان الأمر لأنفسهما فلمّا غـلبا عليه قالا نَغسل الدّم بالدّم والحَوبة بالتّوبة ثم قال المُغيرة بن شعبة أيّها النّاس أن كنتم أنّما خَرجتم مع أُمّكم فأرجعوا بها خيراً لكم وأن كنتم غضبتم لعثمان فرؤسائكم قتلوا عثمان وأن كنتم نَقمتم علىٰ علّيٍ شيئاً فَبّينوا ما نَقمتُم عليه أنشدكم اللّه قتلتين في عامٍ واحد انتهىٰ ما أردنا ذكره.

تنبية: إعلم أنّ الشّارح المعتزلي بعد شرحه للفصل الأوّل من هذا الكلام وهو قوله ﷺ اللّهم أنّي أستعديك علىٰ قُرَيش الىٰ قوله من حِزّ الشّفار قال ما هذا لفظه:

وإعلم: أنّ هذا الكلام قد نُقل عن أمير المؤمنين ما يُناسبه ويجري مجراه ولم يؤرخ الوقت الّذي قال فيه ولا الحالة التّي عَناها به وأصحابنا يَحملون ذلك علىٰ أنّه ﷺ قاله عقيب الشّورىٰ وبيعة عثمان فأنّه ليس يرتاب أحَد من أصحابنا علىٰ أنّه تَظّلم وتألم حينئذٍ ويكره أكثر أصحابنا حَمل أمثال هذا الكلام علىٰ التألم من يوم السّقيفة وساق الحديث وذكر فيه عِلّة إمتناعه ﷺ عن القيام بَزعمه وبيّن أنّ المَصلحة قد أوجَبت خلافة أبي بكر مَع أنّ علّياً كان أفضل وهكذا ولا كلام لنا فعلاً في هذه الجهة أذ قد فَرغنا عن البَحث في هذه الأمور في المجّلد الأوّل من هذا الكتاب وأنّما الكلام فيما ذكره أوّلاً من كرامة أصحابه حَمل هذا الكلام علىٰ التّألم من يوم السّقيفة فنقول:

كلام أمير المؤمنين يُنادي بأعلىٰ صَوته بأنّه أراد منه يوم السّقيفة وما وقع فيها من الظّلم عليه ألا ترىٰ أنّه قال وأجمعوا علىٰ منازعتي حقّاً كنتُ أولىٰ به من غيري ولا شكّ أنّ هذا الإجماع كان في صدر الإسلام وأمّا بعد قتل عثمان فكان الأمر علىٰ العكس ولو قال قائل أنّ كلامه ﷺ يَنظر الىٰ ما فَعل طلحة والزّبير وغيرهما من نكث البيعة فيقال لم يكن هناك إجماع علىٰ منازعته في حقّه بل خالَفه طلحة والزّبير وعائشة وأمثالهم ولا شكّ أنّهم كانوا في قبال من كان مُطيعاً له ﷺ قليلاً جدّاً.

وثانياً أنّ قوله ﷺ: **فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِى رَافِدٌ وَلاَ ذَابٌّ وَلاَ مُسَاعِدٌ اِلَّا اَهْلَ بَيْتِى** أدّل دليلٍ علىٰ ما ذكرناه ضرورة أنّ أمير المؤمنين حين نكث طلحة والزّبير عَهده لم يكن مِصداقاً لما ذكَره بل كان في ذلك الزّمان منصوراً بأكثر المُسلمين فلو كان الكلام ناظراً الىٰ حَرب الجَمل ونَكث من نَكث بيعته لا يصّح أن يقول ليس لي رافد الىٰ آخر ما قال.

وثالثاً: قوله عليه السلام: **فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ** الىٰ آخر كلامه أيضاً يدّل علىٰ ما ذكرناه ألا ترىٰ أنّه يقول في الخطبة الشّقشقية **صَبرتُ وفي العين قَذىٰ وفي الحَلق شَجىٰ أرىٰ تُراثي نَهباً** الىٰ آخر الخطبة ولا شكّ أنّ تلك الخطبة أنّما صَدرت لما وَقع عليه من السّقيفة وغصب الخلافة لكونها مصّدرة بقوله عليه السلام: **أما واللّه لقد تَقَّمصَها إبن أبي قحافة** أو فلان علىٰ إختلاف النّسخ وقوله عليه السلام: **فأدلىٰ بها الىٰ إبن الخطّاب** وكيف كان فلا شكّ أنّ التّألم والتّأسف منه عليه السلام كان ناظراً الىٰ أصل الفساد وحرب الجَمل وغيرها كانت من فرُوعه:

ومن كلام له عليه السلام (٢١٧)

لمّا مرّ عليه السلام:

بطلحة وعبد الرّحمٰن بن عتاب بن أسيد وهما قتيلان يوم الجَمَل

□ قوله عليه السلام: **لَقَدْ اَصْبَحَ اَبُو مُحَمَّدٍ بِهٰذَا الْمَكَانِ غَرِيباً اَمَا وَاللّٰهِ لَقَدْ كُنْتُ اَكْرَهُ اَنْ تُكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَىٰ تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ اَدْرَكْتُ وَتَرِى مِنْ بَنِى عَبْدِ مَنَافٍ وَاَفْلَتَنِى اَعْيَانُ بَنِى جُمَحَ لَقَدْ أَتْلَعُوا اَعْنَاقَهُمْ اِلَىٰ اَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا اَهْلَهُ فَوُقِصُوا دُونَهُ...**

▷ **اللّغة**

(**الوِتر**) بكسر الواو الثّأر وقيل الجناية الّتي يحبُبها الرّجل على غيره (**اَفْلَتَنِى**) يقال أفلتَه الشّئ أذا خَلَص منه فِجاءَةً (**أتلَعُوا**) التّلَع محركّة طول العُنق (**فُوقِصوا**) من وقَصَ عُنقه أذا كسرته.

▷ **المعنىٰ**

(**لَقَدْ اَصْبَحَ**) أي دَخَل في الصّبح (**اَبُو مُحَمَّدٍ**) المراد به طلحة وهو كُنيته (**بِهٰذَا الْمَكَانِ غَرِيباً**) بعيداً عن وَطَنه الأصلي وأقربائه (**اَمَا وَاللّٰهِ**) أي أُقسم به (**لَقَدْ كُنْتُ اَكْرَهُ اَنْ تُكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَىٰ تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ**) والصّحاري الّتي لا ماء بها ولا كِلاء (**اَدْرَكْتُ وَتَرِى**) وثأري (**مِنْ بَنِى عَبْدِ مَنَافٍ وَاَفْلَتَنِى اَعْيَانُ بَنِى جُمَحَ**) وساداتهم (**لَقَدْ أَتْلَعُوا اَعْنَاقَهُمْ**) وهو كناية من حرصهم على الخلافة

(إِلَىٰ أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ) لعدم وجود شرائطها فيهم (فَوُقِصُوا دُونَهُ) أي كُسرت أعناقهم قبل الوصول اليها:

◁ الشَرح

▫ قوله ﷺ: لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهٰذَا الْمَكَانِ غَرِيباً...

أبو مُحمّد كنية طَلحة وهي عبارة عن كلّ إسم يُعلّق على الشّخص تعظيماً له أو علامة عليه وقد يقال أنّها مصّدرة بالأب والأُمّ يقال أبو مُحمّد ويقال أُمّ جميل والحقّ أنّها لا تختّص بالأب والأُمّ فقط في التّصدير بهما بل قد تصّدر بالإبن والبنت يقال إبن فلان وبنت فلان وكيف كانت فالمفروض من الإتيان بهما هو معرفة المُكنّىٰ بهما علىٰ وجه التّشبه أو غير ذلك وكثيراً ما تكون الكُنية ناظرة الىٰ أكبر الأولاد كما يقال في كُنية أمير المؤمنين أبو الحَسَن والحُسين كان أكبر أولاده ولا إختصاص لها به بل قد تكون ناظرة الىٰ غير الأولاد كما أنّ أمير المؤمنين من كُنيته أبي تُراب وأبي الأرامل والأيتام وغير ذلك وحيث أنّ محمّد بن طلحة كان أكبر أولاده كنّىٰ به فقيل أبو محّمد وأمّا أنّه كان غريباً في البَصرة فالوجه فيه واضح لا خفاء فيه وذلك لأنّه كان من قريش ووَطَنه الأصلي كان مكّة المكّرمة وهو مع ذلك كان بعيداً عن أولاده وأقربائه أيضاً فهو كان غريباً واقعاً:

▫ قوله ﷺ: أَمَا وَاللّٰهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَىٰ تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ...

ثمّ أقسم باللّه علىٰ كراهته لهذا الأمر وهو أن تكون قُرَيش قتلىٰ وصرعىٰ تحت بطُون الكَواكَب وذلك لأنّ رسول اللّه ﷺ كان من قُرَيش والقريش من أعظم قبائل العرب وأشرَفَها وشأنها نُصرة الرّسول والدّين لا مخالفة الرّسول ومحاربته فتأثّره ﷺ علىٰ هذه القضّية في الحقيقة يرجع الىٰ تأثّره وتأسّفه علىٰ جَهل طَلحة وحَماقته حيث أنّه لَم يَعلَم مَوقعه فَوَقَع فيما وَقَع:

فأن قلت ـ أليسَ هذا الكلام فيه ﷺ ترّحُماً علىٰ طلحة وغيره من قُريش

وذلك لأنّه قال أما واللّه لقد كُنتَ أكرَه أن تكون قُريش قَتلىٰ ولا شّك أنّ كرّاهية القَتّل تدّل بحسب المفهوم علىٰ حُبّ البقاء فكأنّه قال أَحبَبَت أن لا تكون قُريش قتلىٰ ولازم ذلك أن يكون نادماً علىٰ ما فَعَل بهم ولا أقلّ من التّرَحُم عليهم وحيث كان كذلك لا يبعد أن تكون قريش من أهل النّجاة يوم القيٰمة:

قلت كلامه عليه السلام لا يدّل علىٰ هذا أصلاً أذ لا ملازمة بين التّأسف أو الكراهة من شئ وبين حُبّ البقاء أو النّجاة من العَذاب أو النّدامة وغير ذلك من الأمور فأنّ الرّسول والإمام بل المؤمن يتّأسف علىٰ جهل الجاهل وضلالّته وغوايته وكونه مقتولاً في طريق الشّرك والكفر لِكَونه بمنزلَة الأب المُشفق علىٰ أولاده ولا شّك أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله قد كَرِه كُفر أبي جهل وأبي لَهَب وأمثالهما وكَرَه أيضاً قتل أبي جَهَل وغيره من كفّار قريش وأَحبّ إسلامهم وإيمانهم وقَتلهم في سبيل اللّه والإمام أيضاً كذلك فَمَن زَعَم أنّ الإمام يُحبّ الجَهَل والكُفر والقتل في سبيل الطاغّوت من رعّيته فقد أخطأ خطأً فاحشاً فمعنىٰ كلام أمير المؤمنين أنّي أُحّب أن يكون طَلحة وأمثاله من دعاة الحقّ والمجاهدين في سبيله لا من دعاة الباطل والمجاهدين في سبيل الشّيطان وحيث أنّه عَدَل عن الحقّ وأتّخذ سبيل الباطل ونكث بيعة الإمام العادل وقُتَل في سبيل الطّاغوت فهو محلّ التّأسف واقعاً وليس فيه إشكال ولا ندامة أصلاً ولا نجاة له أبداً:

ثمّ أنّ الكراهة لم تكن علىٰ طلحة فقط بل عليه وعلىٰ غيره من قُريش فأنّ عبد الرّحمٰن بن عتاب بن أسيد كان من كبار التّابعين وهو أيضاً من بني عبد شمس وهو الّذي قال أمير المؤمنين عليه السلام في حقّه لمّا رآه قتيلاً لَهفي عليك يعسوب قُريش هذا فتىٰ الفتيان وهذا اللّباب المحض من بني عبد مَناف هكذا قال المعتزلي في شرحه والعُهدة عليه:

▫ قوله عليه السلام: **اَدْرَكْتُ وَتَرِي مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَاَفْلَتَنِي اَعْيَانُ بَنِي جُمَحَ...**

قالوا في شرح الكلام معناه أدركتُ جنايتي الّتي جَنوها علّي ممّا فعلوها بالبَصرة من قتل النّفوس ونَهب بيت المال وغيرها أو أدركتُ وأَخذتُ ثاري

منهم لأنهم قتلُوا شيعتي والإمام هو الأخذ بالثّأر والمراد ببني عبد مناف طَلحَة والزّبير وإعترض الشّارح المُعتزلي علىٰ هذا الكلام بأنّ طلحة والزّبير لم يكونا من بني عبد مناف وذلك لأنّ طَلَحة من تيم بني مرّة والزّبير من أسعد بن عبد العزّىٰ بن قصّي وليس أحد منهما من عبد مناف وولد عبد مناف أربعة هاشم وعبد شمس ونوفل وعبد المطلب فكلّ من لم يكن من وُلد هؤلاء الأربعة فليس من وُلد عبد مُناف وأجاب عنه بعض الشّراح بكونهما من عبد مناف من قِبل أمّهما لا من الأب:

وأمّا قوله ﷺ: **اَعْيَانُ بَنِي جُمَحَ** فقد روي المعتزلي عن الرّاوندي أنّه قال أغيار بني جُمح بالغَين، وقد ضبط المعتزلي اللّفظ بالعين جمع عَير بفتح العَين وسكون الياء وهو الحمار وأمّا في النّسخ الموجودة فالمضبوط فيه (أعيان) فالمحتملات في اللّفظ ثلاثة، أعيان وهي جمع عين والمعنىٰ أشراف بني جُمح وساداتهم، وأَعيار جمع عَير والمعنىٰ فلَتَني سُفهاؤهم فأنّ الحمار كنّاية عن السّفاهة وأغيار جمع غير بمعنىٰ سوىٰ كما نَقل عن الرّاوندي ولكلّ وَجهٌ وجيه والمآل واحد:

وأمّا المراد من بني جُمح فليس شخصاً معّيناً بل المقصود أنّ من هذه القبيلة كانت في حَرب الجَمَل عدّة كثيرة أمثال يحيىٰ بن حكيم وعامر بن مسعود والرّب بن حبيب وعبد الرّحمٰن بن وَهَب وغيرهم.

□ **قوله ﷺ: لَقَدْ أَتْلَعُوا اَعْنَاقَهُمْ اِلَىٰ اَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا اَهْلَهُ فَوُقِصُوا دُونَهُ...**

أي لقد رَفعُوا أعناقهم الىٰ أمرٍ لم يكونوا أهله قيل هو الخلافة وعدم كونهم أهله معناه عدم وجود الشّرائط فيهم فُوقِصوا دونه أي كسُرت أعناقهم قبل الوصول اليه قال الشّارح المُعتزلي الضّمير في قوله ﷺ: **لَقَدْ أَتْلَعُوا** يرجع الىٰ قُرَيش أي راموا الخلافة فقُتلوا دونها:

أن قِلتَ ـ لِمَ يكن الزّبير وطلحة وغيرهما من عظَماء قُرَيش أهلاً لها وأبو بكر وعُمر وعثمان كانوا أهلاً لها أكان أبو بكر وعُمر وعُثمان أفضل منهما حيث نفي ﷺ الأهليّة لهم دُونهم:

قلت ـ نفي الأهلية من طلحة والزّبير وأمثالهما لا يدّل على أهلية أبي بكر وعُمر وعُثمان لها وذلك لما قد ثبت أنّ نفي الشئ عن شخصٍ لا يثبت وجوده لغيره فإذا قلنا هذا الموجود ليس بجسم ليس معناه أنّ غيره جسم إلّا فيما دار أَمر الجسمية بينهما عقلاً فحينئذٍ نفي الجسّمية عن أحدهما يوجب إثباتها في غيره وما نحن فيه ليس من هذا القبيل بل المقصود أنّ الكلّ لا يصلح لها ضرورة أنّ في إثبات الخلافة نحتاج الى وجود الشّرائط في الخليفة فإذا قلنا زيد لا يصلح لها لعدم وجودها فيه معناه أن كلّ من لا يوجد فيه فهو أيضاً لا يصلح لها إذ كم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد فقوله عليه السلام هذا يدّل على هدم صلاحية غيرهم أيضاً لها:

وقد ذكرنا سابقاً أنّ المؤرخين قد إتّفقوا على أنّ قاتل طلحة هو مروان إبن الحكم الّذي هو أيضاً كان من رؤوساء الجَمَل ولكن المنافق يَعمَل بِنفاقه قال العَقلاني في الإِصابة نقلاً عن الطّبراني عن وحيع أنّه قال رأيت مروان بن الحَكَم حين رَمىٰ طلحة بسهمٍ فَوَقع في عين ركبته فما زال الدّم يسيح الى أن مات.

وكان ذلك في جمادي الأولىٰ سنة ستّ وثلاثين من الهجرة وروي بن سعد أن ذلك كان في يوم الخميس لعشر خلون من جمادي الآخرة وله أربع وستّون سنة انتهى.

ومن كلام له ﷺ (٢١٨)

▫ قوله ﷺ: قَدْ اَحْيَا عَقْلَهُ وَأَمَاتَ نَفْسَهُ حَتَّىٰ دَقَّ جَلِيلُهُ وَلَطُفَ غَلِيظُهُ وَبَرَقَ لَهُ لاَمِعٌ كَثِيرُ الْبَرْقِ فَاَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ وَتَدَافَعَتْهُ الْأَبْوَابُ اِلَىٰ بَابِ السَّلاَمَةِ وَدَارِ الْاقَامَةِ وَثَبَتَتْ رِجْلاَهُ بِطُمَأْنِينَةِ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ وَاَرْضَىٰ رَبَّهُ.

◁ اللغة

(دَقّ) دقّ يَدُقّ الدّق مصدره يقال دَقَّ دقّاً، كسره، الباب قَرَعه، وقيل أي صَغُر (اَبَانَ) أي أظهر (بِطُمَأْنِينَةِ) الطُمأنينة بضم الطّاء القرار من غير حركة وإضطراب:

◁ المعنىٰ

(قَدْ اَحْيَا) العارف السّالك الىٰ اللّه (عَقْلَهُ) بالمعرفة (وَأَمَاتَ نَفْسَهُ) الأمارّة بالسّوء بترك الشّهوات (حَتَّىٰ دَقَّ جَلِيلُهُ) أي صَغّر عظيمه (وَلَطُفَ غَلِيظُهُ) بالأعمال الصّالحة (وَبَرَقَ) وسَطَع (لَهُ لاَمِعٌ كَثِيرُ) من نور الرّبوبية (فَاَبَانَ) وأظهَرَ (لَهُ الطَّرِيقَ) المطلوب في سيره وسلوكه (وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ) الحقّ الّذي هو الصّراط المستقيم (وَتَدَافَعَتْهُ الْأَبْوَابُ) من بابٍ الىٰ بابٍ آخر في مقام سُلُوكه (اِلَىٰ بَابِ السَّلاَمَةِ) أي الىٰ أن ينتهي اليه (وَدَارِ الْاقَامَةِ) والخُلود وهي دار الآخرة (وَثَبَتَتْ رِجْلاَهُ بِطُمَأْنِينَةِ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ) ومقرّ نعيمه

الأبد (بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ وَأَرْضَىٰ رَبَّهُ) ومن كان كذلك فقد وَصَل الىٰ مقام القُرب والرّاحة:

◁ الشّرح

▫ قوله ﷺ: قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ وَأَمَاتَ نَفْسَهُ...

العَقل بفتح العين وسكون القاف واللّام مصدر قولك عقل يعقل عَقلاً وهو الإمساك والإستمساك كَعَقل البعير بالعِقال وعَقَل لسانه أي كَفّه وبإعتبار عَقَلَ البَعير قيل عَقَلَت المقتول أعطَيتُ دَيتَه ثمّ إستعمل في القوّة المُتَهيئة لقبول العلم في الإنسان ويقال للعلم الّذي يستفيده الإنسان بتلك القوّة عقل أيضاً علىٰ سبيل الإستعارة ووجه الشَّبه ظاهر فأنّ هذه القوّة تمسك وتمنع الإنسان عمّا لا يليق بمقامه قولاً وفعلاً فكأنّ الإنسان عَقَل بها ثمّ أنّه لو أُطلق وأُريد به نفس القُوة فيقال له العقل المطبوع ولو أُريد به العلم الحاصل بها فهو العقل المسمُوع ولأجل هذا قلنا أنّه يطلق علىٰ كِلا المعنيين ولعلّه الىٰ هذا الإطلاق أشار أمير المؤمنين ﷺ في بعض كلماته فقال:

العقل عَقلان، مَطبُوعٌ ومَسمُوع
ولا ينفع مَسمُوعٌ إذا لم يك مطبُوع
كما لاينفع ضوءالشّمس وضَوءالعَين ممنُوع

فالعقل المطبُوع عبارة عن نفس القوّة المُتَهيئة لقبول العلم والعقل المسموع عبارة عن العلم المُستفاد بها بسبب الإدراك والىٰ المعنىٰ الأوّل أشار الرّسول ﷺ بقوله ما خَلَقَ اللّه خلقاً أَكرَمَ عليه من العقل والىٰ الثّاني بقوله ما كَسَبَ أحدٌ شيئاً أفضَل من عقل يهديه الىٰ هُدىٰ أو يرّده عن رَدىٰ:

فكلّ ما وَرَدَ في الكتاب الإلهي في رفع التّكليف عن العَبد إشارة الىٰ الأوّل كالمجانين وكلّ ما وَرَد في موضع الذّم في حقّ الكفّار وغيرهم فهو من الثّاني

كقوله تعالىٰ:﴿ وَ مَا يَعقلُهَا الّا الْعَالِمُون﴾ (١) وقوله ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لايَعْقِلُون﴾ (٢) وأمثال ذلك من الآيات والحاصل أنّ العقل بالمعنىٰ الأوّل موجود في الكلّ غير المجانين وبالمعنىٰ الثّاني موجود في بعض الأفراد وهو ظاهر:

والنّفس بفتح النّون وسكون الفاء والسّين تطلق علىٰ معانٍ منها ذات الشّئ وحقيقته يقال نفس الأمر أي حقيقته ومنها العظمة ومنها الهِمّة ومنها العزّة ومنها الأُلفة ومنها الإرادة وغير ذلك من المعاني والجامع أنّ النّفس في الإنسان عبارة عمّا به يكون حيّاً فالمعاني الّتي ذكروها لَها كلّها من آثارها وأمّا حقيقتها فهي غير معلومة لنا وهي الّتي قد يعبّر عنها بالرّوح وهي في الإنسان كالسّلطان في المَملَكة حيث أنّ القوىٰ البَدَنية كلّها تابعة لها فهي المُدّبرة فيه بناء علىٰ أنّ العَلاقة فيها عَلاقة تدبّيرية وهي بحَسب الصنّاعة العِلمّية تنقسم الىٰ أقسامٍ كالنّاطَقة والمطّمئنة والأمّارة واللّوامة وغير ذلك من التّعابير ولتفصيل الكلام فيها مقام آخر وقد مرّ الكلام فيها فيما مضىٰ وستّتكلم فيها بوجهٍ أبسَط في محلّه إنشاء اللّه تعالىٰ:

ثمّ أنّ المراد بإحياء العقل هو حصول الكمالات النّفسانية من العّفة والشّجاعة والعدالة وغيرها والمعارف الحقّة الإلٰهية ومكارم الأخلاق الممدُوحَة له والعَمَل بمقتضاها ليكمل العقل النّظري والعَمَلي مَعاً وذلك لأنّ إحياء العَقل بالعلم والعَمَل لا بأحدهما:

والمراد بموت النّفس هو مَوت النّفس الأمارة بالسّوء ببطلان تصرفّاتها وآثارها وإماتتها عبارة عن متابعتها والإنقياد لها كما قال رسول اللّه ﷺ موتوا قبل أن تموتوا:

ولا شّك أنّ سعادة الإنسان في النشأتين إنّما هي بأحياء العَقل وإماتة النّفس

١-العنكبوت ـ ٤٣ ٢-بقره ـ ١٧١

الأبد (بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ وَأَرْضَىٰ رَبَّهُ) ومن كان كذلك فقد وَصَل الىٰ مقام القُرب والرّاحة:

◁ الشّرح

◘ **قوله ﷺ: قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ وَأَمَاتَ نَفْسَهُ...**

العَقْل بفتح العين وسكون القاف واللّام مصدر قولك عقل يعقل عَقلاً وهو الإمساك والإستمساك كَعَقل البعير بالعِقال وعَقَل لسانه أي كَفّه وباعتبار عَقَلَ البَعير قيل عَقَلَت المقتول أعطَيتُ دَيتَه ثمّ إستعمل في القوّة المُتَهيئة لقبول العلم في الإنسان ويقال للعلم الّذي يستفيده الإنسان بتلك القوّة عقل أيضاً علىٰ سبيل الإستعارة ووجه الشّبه ظاهر فأنّ هذه القوّة تمسك وتمنع الإنسان عمّا لا يليق بمقامه قولاً وفعلاً فكأنّ الإنسان عَقَل بها ثمّ أنّه لو أُطلق وأُريد به نفس القّوة فيقال له العقل المطبوع ولو أُريد به العلم الحاصل بها فهو العقل المسمُوع ولأجل هذا قلنا أنّه يطلق علىٰ كِلا المعنيين ولعلّه الىٰ هذا الإطلاق أشار أمير المؤمنين ﷺ في بعض كلماته فقال:

العــــقل عَــــقلان، مَـــطبُوعٌ ومَســـمُوع
ولا يــنفع مَســـمُوعٌ إذا لم يك مـــطبُوع
كما لا ينفع ضوء الشّمس وضَوء العَين ممنُوع

فالعقل المطبُوع عبارة عن نفس القوّة المُتهَيئة لقبول العلم والعقل المسموع عبارة عن العلم المُستفاد بها بسبب الإدراك والىٰ المعنىٰ الأوّل أشار الرّسول ﷺ بقوله ما خَلَقَ اللّه خلقاً أكرَمَ عليه من العقل والىٰ الثّاني بقوله ماكَسَبَ أحدٌ شيئاً أفضَل من عقل يهديه الىٰ هُدىٰ أو يرّده عن رَدىٰ:

فكلّ ما وَرَدَ في الكتاب الإلٰهي في رفع التّكليف عن العَبد إشارة الىٰ الأوّل كالمجانين وكلّ ما وَرَد في موضع الذّم في حقّ الكفّار وغيرهم فهو من الثّاني

كقوله تعالىٰ: ﴿وَ مَا يَعقِلُهَا الّا الْعَالِمُون﴾ [1] وقوله ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَايَعْقِلُون﴾ [2] وأمثال ذلك من الآيات والحاصل أنّ العقل بالمعنىٰ الأوّل موجود في الكلّ غير المجانين وبالمعنىٰ الثّاني موجود في بعض الأفراد وهو ظاهر:

والنَّفس بفتح النّون وسكون الفاء والسّين تطلق علىٰ معانٍ منها ذات الشّئ وحقيقته يقال نفس الأمر أي حقيقته ومنها العظمة ومنها الهِمّة ومنها العزّة ومنها الأُلفة ومنها الإرادة وغير ذلك من المعاني والجامع أنّ النَّفس في الإنسان عبارة عمّا به يكون حيّاً فالمعاني الّتي ذكروها لَها كلّها من آثارها وأمّا حقيقتها فهي غير معلومة لنا وهي الّتي قد يعبّر عنها بالرّوح وهي في الإنسان كالسّلطان في المَملَكة حيث أنّ القوىٰ البَدَنَية كلّها تابعة لها فهي المُدّبرة فيه بناء علىٰ أنّ العَلاقة فيها عَلاقة تدبّيرية وهي بحَسب الصنّاعة العِلمّية تنقسم الىٰ أقسامٍ كالنّاطَقة والمطّمئنة والأمّارة واللّوامة وغير ذلك من التّعابير ولتفصيل الكلام فيها مقام آخر وقد مرّ الكلام فيها فيما مضىٰ وسنتّكلم فيها بوجهٍ أَبسَط في محلّه إنشاء اللّه تعالىٰ:

ثمّ أنّ المراد بإحياء العقل هو حصول الكمالات النّفسانية من العّفة والشّجاعة والعدالة وغيرها والمعارف الحقّة الإلهية ومكارم الأخلاق الممدُوحَة له والعَمَل بمقتضاها ليكمل العقل النّظري والعَمَلي مَعاً وذلك لأنّ إحياء العَقل بالعلم والعَمَل لا بأحدهما:

والمراد بموت النّفس هو مَوت النّفس الأمارة بالسّوء ببطلان تصرفّاتها وآثارها وإماتتها عبارة عن متابعتها والإنقياد لها كما قال رسّول اللّه ﷺ موتوا قبل أن تموتوا:

ولا شّك أنّ سعادة الإنسان في النشأتين إنّما هي بأحياء العَقل وإماتة النّفس

[1] العنكبوت - ٤٣

[2] بقره - ١٧١

كما أنّ خسرانه بإحياء النَّفس الأمّارة وإماتة العَقل وليس المراد بقوله عليه السلام: وأمات نفسه، نفسه النّاطقة القُدسيّة رهو ظاهر ضرورة أنّ إماتتها إماتة العَقل بعينه مضافاً الىٰ أنّه غير ممكن ومحصّل الكلام أنّ مَن تَرَكَ الشّهوات النّفسانية من حُبّ الجاه والمال والأولاد وبالجملة حبّ الدّنيا فقد أمات نفسه ومن أَخَذَ بالطّاعات والكمالات واتّصف بالصّفات الحَسَنة وتدّبر في آيات اللّه الموجودة في الآفاق والأنفس ثمّ عَمِل بمقتضىٰ عَقلَه فهو مِمّن أحيىٰ عقله فأنّ العَقل ما عُبد به الرّحمٰن واكتُسب به الجنان ومن ليس كذلك فليس له عقل المسمُوع الّذي هو الملاك في تحصيل السّعادة نعم العقل المطبوع موجود فيه وهو لا ينفع في المقام:

روي في البحار بأسناده عن الصادّق عليه السلام قال قلت له عليه السلام فلان من عبادته ودينه وفضله كذا وكذا فقال عليه السلام كيف عقله فقلت لا أدري فقال عليه السلام الثّواب علىٰ قدر العقل الحديث «ج ١ ص ٢٩»...

وروي أيضاً بأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال لم يقسم بين العباد أقلّ من خمس اليَقين والقنوع والصّبر والشّكر والّذي يكملُ به هذا كلّه العقل انتهىٰ « ص ٣٠»...

وبأسناده عنه عليه السلام قال دعامة الإنسان العقل ومن العقل الفِطنة والفهم والحفظ والعِلم فإذا كان تأييد عقله من النّور كان عالماً حافظاً زكياً فِطناً فَهِمناً وبالعقل يكمل وهو دليله ومبّصره ومفتاح أمره انتهىٰ « ص ٣١»....

وعنه عليه السلام قال من كان عاقلاً ختم له بالحسّنة إنشاء اللّه تعالىٰ انتهىٰ « ص ٣١»....

وعنه عليه السلام قال من كان عاقلاً كان له دين ومن كان له دين دَخَل الجنّة انتهىٰ « ص ٣١»...

وبأسناده قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله ما قسم اللّه للعباد شيئاً أفضل من العاقل فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل وإفطار العاقل أفضل من صَوم الجاهل

وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل ولا بعث اللّه رسولاً ولا نبياً حتّىٰ يستكمل العقل ويكون عقله أفضل من عقول جميع أمّته وما يضمر النبّي في نفسه أفضل من إجتهاد المجتهدين وما أدّىٰ العاقل فرائض اللّه حتّىٰ عقل منه ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل أنّ العقلاء هم أُولُوا الألباب قال اللّه تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ انتهىٰ» (١)

والأحاديث في الباب كثيرة ولاشك أنّ هذه الآثار لا تترتب علىٰ العَقل المطبُوع فقط بل هي مُترّتبة علىٰ العَقل المسمُوع المُعبّر عنه في لسان القَوم بالعَقل بالفِعل ولا أقلّ من العَقل بالمَلِكة وتوضيحه بحسب الإجمال أنّ للنّفس النّاطقة القدّسية قوّتان عقل نَظَريَ وعقل عَملي وأن شئت قلت عَلاّمة وعُمّالة، وذلك لأنّ النّفس النّاطقة بإعتبار تأثّرها عمّا فوقها مُستكملة في جَوهرها عَقلاً بالفِعل وبإعتبار تأثيرها في ما دونها أعني البَدن فلها قوّتان كما قلنا:

ثمّ أنّ العَقل النّظري هو الّذي به يَحوز الإنسان علماً ما ليس من شأنه أن يُعمله إنسان، والعَقل العَمَلي هو الّذي من شأنه أن يعمله الإنسان بإرادته هكذا عَرّفهما الفارابي:

وقال إبن سينا القوّة المُسّماة بالعَقل هي الّتي يستنبط الواجب فيما يجب أن يفعل من الأُمور الإنسانية لِيتّوصل به الىٰ أغراضٍ إختيارية من مُقدمات أوّلية وذايعة وتجربية وبإستعانة بالعَقل النّظري في الرّأي الكلّي الىٰ أن ينتقل بها الىٰ الجّزئي وقيل في تعريفهما ما قيل.

ثمّ أنّ العَقل النّظري له مراتب أربعة :

أحديُها: العَقل بالقوّة وقد يقال له العقل الهَيُولاني أو الأستعدادي وقد مثّلوا بقوّة الطّفل لتحصيل العلوم الرّسمية وأنّما يُسّمىٰ العقل به لِخَلُوه عن جميع الصّور العقلية تشبيهاً بالهَيولي الأوّلىٰ الخالية في ذاتها عن كافّة الصّور الجسمية:

١- ص-٣١

وثانيها: العقل بالمَلكة لكَسبه النّظريات المُدركة المعقولة من الأوليات.

وثالثها: العَقل بالفعل ووجه تسميته به إستحضاره النّظريات المُكتسبة المخزونة متىٰ شاء بمجرد الإلتفات بلا أنظار جديدة.

ورابعها: العقل بالمُستفاد وهو مقام إستحضار العلوم فيه علىٰ طريق المشاهدة والعَيان من غير إحتياج الىٰ الفكر والتأمّل وأنّما سُمّىٰ به لكونه يستفيد من العقل الفَعال الّذي هو مُخرج نفوسنا من القوّة الىٰ الفعل في الكمالات إذا عرفت هذه الأُمور فنقول:

قوله ﷺ: **أحيىٰ عَقله** إشارة الىٰ إخراج العَقل من مقام القوّة والمَلَكة الىٰ مقام الفعلية وذلك لأنّ العَقل الهيُولاني وهكذا بالمَلَكة لا يصدق عليه أنّه حيٌّ واقعاً وأنّما حياته في المرتبة الثّالثة الّتي هي مقام الفعلية فأنّ الشّيْ ما لم يصل الىٰ الفعلية ليس بحيٍّ بل هو ميت واقعاً ومن وَصَل الىٰ هذا المقام فقد أمات نفسه الأمارة قطعاً إذا كان العَقل النّظري الفعلي فيه مقارناً بالعَقل العَمَلي وأمّا إذا لم تكن المقارنة فلا يصدق عليه أنّه قد أحيىٰ عقله ضرورة أنّ العقل لاينحصر بالنّظري فقط بل هو أعمّ منه ومن العَمَلي وينتج أنّ من لم يكن له العَقل العَمَلي فهو ليس بعاقلٍ بمعناه الواقعي ولعلّه الىٰ هذا المعنىٰ يشير قوله ﷺ العَقل ما عُبد به الرّحمٰن وأُكتسب به الجنّان ومن المعلوم أنّ الإنسان لا يصل الىٰ هذا المقام إلّا بعد كسر القوّة الشّهوية المُسّماة بالنّفس الأمارة إذ المفروض أنّ العلم والعَمَل توأمان مُتقارنان وعليه فقوله ﷺ: **وَأَمَاتَ نَفْسَهُ** عَطفٌ تفسيري لقوله ﷺ: **أحيا عَقله** أو من عَطف اللّازم علىٰ الملزوم وأنّما قلنا المراد بإحياء العَقل إيصاله الىٰ مقام الفعلية ولم نقل الىٰ مقام العَقل بالمُستفاد الّذي هو أعلىٰ المقامات وآخر المراتب فيه لأنّ العَقل بالمُستفاد لا يحصل إلّا لأُولي العِصمَة كالأنبياء والأوصياء فوصول غير المعصوم اليه مُحال ولا كلام لنا فيه فعلاً هنا.

□ قوله ﷺ: **حَتَّىٰ دَقَّ جَلِيلُهُ وَلَطُفَ غَلِيظُهُ وَبَرَقَ لَهُ لاَمِعٌ كَثِيرُ الْبَرْقِ...**

قال الشّارح المعتزلي في قوله ﷺ: **حَتَّىٰ دَقَّ جَلِيلُهُ** أي حتّى نحل بدنه الكثيف، وقال في قوله ﷺ: **وَلَطُفَ غَلِيظُهُ**، أي تلطفت أخلاقه فصفت نفسه فأنّ كِدر النّفس في الأكثر أنّما يكون من كِدر الجَسَد والبِطنة كما قيل تذهب الفِطنة انتهىٰ وقال الخوئي في شرح هاتين الجملتين ما لفظه:

غاية لإماتته لِنفسه أولها ولإحيائه لعقله أيضاً والجملة الثّانية أمّا مؤكدة للأولىٰ فالمعنىٰ:

أنّ تكميله لعقله وتركه لَشَهَوات نفسه انتهىٰ الىٰ مرتبةٍ أوجبت هَزال جسمه ونحول بدنه أو المراد بالجليل أعضاؤه العظام كالرّأس واليَدين والفخذين والسّاقين وبالغليظ غيرها أو المراد بالأوّل عظامه وبالثّاني جلده وأعصابه أو بالأوّل بَدَنه وبالثّاني قلبه وعلىٰ أيّ حالٍ فالمقصود كونه ناحل الجسم ضعيف البَدن إمّا من خوف اللّه تعالىٰ وتحمّله لمشّاق العبادات أو لجُوعه وكفّه عن الأكل والشّرب وسائر الشّهوات انتهىٰ.

هذا ما قالوه في شرح العبارة وأنت ترىٰ أنّهم حَمَلوا قوله ﷺ: **حَتَّىٰ دَقَّ جَلِيلُهُ وَلَطُفَ غَلِيظُهُ**، علىٰ كونه وصفاً لقوله ﷺ: **وأمات نفسه** وظنّوا أنّ لازم إماتة النّفس أو غايتها نُحولة الجسم وضَعف البَدن وعلىٰ هذا الأصل قالوا في شرح الكلام ما قالوا وأمّا نحن فنقول:

الحقّ أنّ قوله ﷺ: **حَتَّىٰ دَقَّ جَلِيلُهُ وَلَطُفَ غَلِيظُهُ** غاية ونهاية لترقي العقل وبلوغه الىٰ مقام الكمال ولا ربط له بإماتة النّفس أصلاً وقول المعتزلي أي حتّىٰ نَحَل بَدَنه الكثيف وتلطّفت أخلاقه وصَفَت نفسه خارج عن البحث ومع ذلك فهو غير قابل للقبول عقلاً وشرعاً ضرورة أنّه لا ملازمة بين إماتة النّفس ونُحول البَدن ولا بين كِدَر النّفس وكِدَر الجَسَد ولا دليل عليه شرعاً أيضاً مضافاً الىٰ أنّ قوله ﷺ: **حَتَّىٰ دَقَّ جَلِيلُهُ** ليس معناه حتّىٰ نَحَل بَدَنه إذ ليس الجليل

بمعنىٰ البَدَن في لغة العَرَب ولا الدقّ بمعنىٰ النُحول فهذا التَفسير لا تساعده اللّغة ولا العقل والّذي يتّصف بالجلالة والغِلاظة العقل لا النّفس الأمارّة بالسّوء نعم النّفس النّاطقة القدّسية تتّصف بهما ضرورة أنّها في بدو تعلقها بالبدن تكون غليظة لكونها جسّمانية الحدوث مخلوطة بالمّادة البدنية ثمّ تتّصف بالجلالة بعد كمالها وتجردّها كما ستعرف الكلام فيها إلّا أنّها خارجة عن البحث في كلامه ﷺ لما قلناه أنّ إماتة النّفس النّاطقة لا معنىٰ لها وأمّا الشّارح المُعتزلي ومن تبعه حيث لم يميزّوا بين النّفس النّاطقة وغيرها في المقام فقالوا ما قالوا وحاصل الكلام أنّ كلامه ﷺ ينظر الىٰ شئٍ آخر فَهمه يحتاج الىٰ تأملٍ ودقّة:

وهي أنّ العقل كما مرّ له مراتب أربعة فأدنىٰ مرتبته مقام الإستعداد والقوّة المَحضَة أعني به العقل الهيُولاني وأعلىٰ مراتبه فينا مقام الفعلية أعني به العقل بالفعل وأن شئت قلت مقام المُستفاد ولا شكّ أنّ العقل الهُيولاني مرتبة النّازلة وبالمستفاد مرتبة العالية فهو في المرتبة النّازلة غليظ وفي العالية جليل ولتوضيح الكلام نقول قد ثبت أنّ النّفس جسمانية الحدوث وروحانية البقاء ومعنىٰ كونها جسمانية الحدوث أنّ حكمها في بدو تعلقّها بالبَدَن حكم الطّبائع المنطبعة في المّادة بل أنزَل منها إذ لم تكن شيئاً مذكوراً فالإضافة الىٰ المّادة داخلة في وجودها أولاً ومعنىٰ كونها روحانية البقاء أنها بعد الحَرَكات الجوهرية والإستكمالات الذّاتية والصّفتية تصير مجّردة وقد شبّهوا النّفس في إستكمالاتها بمراتبها بحرارةٍ تحدث في فحمٍ من نارٍ مشتعلة تجاوره ثمّ تشتد تلك الحرارة بالتّحمّر والتّشعّل والتّنوّر وتحقيق الكلام في النّفس موكول الىٰ الفَلسَفة:

ثمّ أنّ لِلنّفس بإعتبار تأثرها عمّا فَوقها مستكملةٌ في جوهرها عقلاً بالفعل وبإعتبار تأثيرها فيما دونها أعني البَدَن فَلها قوّتان عقل نظري وعقل عَمَلي

علىٰ ما مرّ الكلام فيه فالعقل قوّة للنّفس النّاطقة وتابعة لها وحيث قد عرفت أنّ النّفس جسمانية الحُدوث وحُكمها في الإبتداء حكم الطّبائع المنطبعة في المّادة وفي هذه المرتبة يعبّر عنها بالعقل الهَيولاني فلا محالة يكون العقل في هذا المقام مشوباً بالأوهام مخلوطاً بالخرافات بل إطلاق العقل عليه في هذه المرتبة علىٰ وجه المسامحة ثمّ يتّرقىٰ ويصل الىٰ المقام الثّاني وهو العقل بالمَلَكة وهو في هذا المقام وأن كان أنقىٰ وأصفىٰ من الأوّل إلّا أنّه في هذه المرتبة أيضاً مشوبٌ بالأوهام مخلوط بها.

ثمّ يصل الىٰ العقل بالفعل ويستحضر النظّريات المكتسبة المخزونة متىٰ شاء بمجّرد الإلتفات وهو في هذه المَرتبة صار صافياً مُنزّهاً نقّياً وأمّا المرتبة الرّابعة فحالها معلومة، وعليه فالمقصود من كلامه ﷺ هو أنّ السّالك العارف قد أحيىٰ عَقله بايصاله الىٰ مقام الفعّلية أو بالمُستفاد أن أمكَنَ حتّىٰ دقّ جليله ولَطُفَ غَليظه أي صار العقل صافياً خالصاً عن الأوهام والخرافات الّتي كانت موجودة فيه وكان العقل بإتصافه بها غليظاً كثيفاً وَبَعد التّرقي صار لطيفاً دقيقاً فاللّطافة والغِلظة إشارتان الىٰ كماله ونقصه كما أنّ شعلة النّار تكون في الإبتداء كَثيفاً مخلوطة بالأجرام الدّخانية المُنبعثة عن المّادة ثمّ تصير خالية عنها تدريجياً والعقل أيضاً هكذا ولعلّه الىٰ هذه الدقيقة أشار ﷺ بقوله وبَرَق له لامعٍ كثير البَرق فأنّ العقل إذا وصل الىٰ المقام الثّالث وهو مقام الفعّلية يكون كثير البروق واللّمعان بحيث يكاد ضَوئها يضيئ وإذا كان هذا حاله في المقام الثّالث فما ظنك به في المقام الرّابع وهو مقام العقل بالمستفاد الّذي يكون نوراً مَحضاً لا وَهَم فيه ولا خطأ لإتصاله بالعقل الفعّال ولأجل هذا ترىٰ الأنبياء والأوصياء لم يخطأوا أصلاً.

▫ قوله ﷺ: **فَاَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ وَتَدَافَعَتْهُ الْأَبْوَابُ اِلَىٰ بَابِ السَّلاَمَةِ وَدَارِ الْاقَامَةِ وَثَبَتَتْ رِجْلاَهُ بِطُمَأْنِينَةِ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ وَاَرْضَىٰ رَبَّهُ...**

أي إذا وصل عقل العارف الىٰ مقام الفعّلية واللّطافة وبَرَق له لامع كثير البرق يَتَّفرع عليه ما فيه السّعادة والكمال والوصول الىٰ مقام القُرب بتّرتب الآثار عليه:

منها ـ قوله ﷺ: فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ، أي أنّ العقل إذا وصل الىٰ هذا المقام يُبين لعاقله الطّريق المستقيم ويُعلمه خيره وشّره كما أنّ السّراج في اللّيلة الظّلماء يكون كذلك.

ومنها – قوله ﷺ: وَسَلَكَ **بِهِ السَّبِيلَ**، الىٰ الله فأنّ السّلوك الىٰ الله لا يتّحصل بدونه:

ومنها – قوله ﷺ: وَتَدَافَعَتْهُ **الْأَبْوَابُ اِلَىٰ بَابِ السَّلاَمَةِ وَدَارِ الْاقَامَةِ** وهي الجنّة ومقاماتها فأنّ **﴿وَامّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوىٰ، فَاِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوىٰ﴾**(١) ومعلوم أنّ الخوف من فروع العقل فكلّ من كان أعقل فهو أخوف ألا ترىٰ أنّ الأنبياء والأوصياء كانوا أخوف من غيرهم:

ومنها ـ قوله ﷺ: وَ**ثَبَتَتْ رِجْلاَهُ بِطُمَأْنِينَةِ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ**

وذلك لأنّ العاقل يعلم موضع قدمُه وكلامه وأعماله من غير تزّلزل وإضطرابٍ فأنّ المؤمن كالجبل الرّاسخ لا تحرّكه العَواصف كيف والعاقل قد إستعمل قلبه فيما جُعل له فنَوّره بنُور المعرفة ونَزّهَه عن الشّرك والرّياء والحَسَد والبُخل وغير ذلك من الخبائث وبذلك قد أرضىٰ ربّه لا محالة:

ثمّ أنّ جَعل هذه الأوصاف من ثمرات العَقل يدّل علىٰ أنّ المعرفة الكاملة والعبادة الصّحيحة تتّوقف علىٰ كمال العقل وحياته وهو كذلك ولأجل هذا جَعل الله الثّواب والعقاب عليه قلّةً وكثرةً بمعنىٰ أنّهما يدوران مداره كما ورد في الحديث **أنّ الله تعالىٰ خاطب العقل بعد إيجاده وقال بك أُعاقب وبك أُثيب**الحديث ولنختم الكلام في الباب بذكر بعض ما ورد فيه:

روي **المجلسي في البحار بأسناده عن أمير المؤمنين قال قال رسول**

١ - النازعات - ٤٠

اللّه ﷺ أنّ اللّه خَلَق العقل من نُورٍ مخزُونٍ مكنون في سابق علمه الّذي لم يطّلع عليه نبّي مُرسل ولا مَلك مُقّرب فَجعل اللّه العلم نفسه والفهم رُوحه والزّهد رأسه والحياء عينيه والحكمة لسانه والرّأفة هَمّه والرّحمة قلبه ثمّ حُشّاه وقَوّاه بعَشرة أشياء باليَقين والإيمان والصّدق والسّكينة والإخلاص والرِّفق والعَّطية والقُنُوع والتّسليم والشُّكر ثمّ قال عزّ وجلّ أدبِر فأدبَر ثمّ قال له أَقبِل فأَقبَلَ ثمّ قال له تمّلم فقال الحمد لِلّه الّذي ليس له ضدّ ولا نِدّ ولا شبيه ولا كُفو ولا عَديل ولا مِثل الّذي كلّ شيءٍ لِعظمته خاضعٌ ذليلٌ فقال الرّب تبارك وتعالىٰ وعزّتي وجلالي ما خَلَقتُ خلقاً أَحسن منك ولا أطوَع لي منك ولا أرفع منك ولا أشرف منك ولا أَعَزَّ منك بك أُوَحَّد وبك أُعبَد وبك أُدعىٰ وبك أرتجي وبك أبتغي وبك أخاف وبك أُحذَر وبك الثّواب وبك العقاب فخَرّ العقل عند ذلك ساجِداً فكان في سجوده ألف عام فقال الرّب تبارك وتعالىٰ إرفع رأسك وسل تُعطه وإشفع تُشفَع فَرفع العقل رأسه فقال إلٰهي أسألك أن تشفعني فيمن خَلقتني فيه فقال اللّه جلّ جلاله لملائكته أشهدكم أنّي قد شفعته فيمن خَلقته فيه انتهىٰ « ج ١ ص ٣٦»...

ومنها – ما رواه أيضاً بأسناده عن أبي جعفر قال قال رسول اللّه ﷺ لَم يُعبَد اللّه عزّ وجلّ بشيءٍ أفضل من العَقل ولا يكون المؤمن عاقلاً حتّىٰ تجتمع فيه عشر خصال، الخير منه مأمولٌ، والشّر منه مأمونٌ، يستكثر قليل الخير من غيره ويستّقل كثير الخير من نفسه، ولا يَسأَم من طلب العلم طول العلم طول عُمره، ولا يُتَبرم بطّلاب الحوائج قبله الذُّل أَحبّ اليه من العِزّ والفقر أَحَبّ اليه من الغنىٰ نصيبه من الدّنيا القوت والعاشرة لا يرىٰ أَحَداً إلّا قال هو خير منّي وأتقىٰ، أنّما النّاس رجلان فرجلٌ هو خير منه وأتقىٰ وآخر هو شّر منه وأدنىٰ فإذا رأىٰ من هو خير منه وأتقىٰ تواضَع له ليَلحَق به وإذ لقىٰ الّذي هو شّر منه وأدنىٰ قال عسىٰ خير هذا باطن وشّره ظاهر وعسىٰ أن يختم لي

بخير فإذا فعل ذلك فقد علا مجده وساد أهل رفاته انتهیٰ « ص ۳۶»...

وروي عن النبيّ ﷺ أنّه قيل له ما العقل قال ﷺ العمل بطاعة اللّـه وأنّ العمّال بطاعة اللّه هم العقلاء انتهیٰ « ص ۴۳»...

وعنه ﷺ قال رأس العقل بعد الإيمان التّودُد الیٰ النّاس وقال أعقل النّاس مُحسنٌ خائف وأجهَلهم مُسيءٌ آمِنٌ انتهیٰ « ص ۴۳»... والأحاديث في الباب كثيرة ولا سيّما في كتاب العقل والجهل من البحار إن شئت فَراجعه:

ومن كلام له عليه السلام (٢١٩)

بعد تلاوته عليه السلام:

﴿أَلْهَيكُمُ التَّكَاثُرُ، حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ (١)

□ قوله عليه السلام: يَا لَهُ مَرَاماً مَا أَبْعَدَهُ وَزَوْراً مَا أَغْفَلَهُ وَخَطَراً مَا أَفْظَعَهُ لَقَدْ اسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ أَيَّ مُدَّكِرٍ وَتَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيداً أَفَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ أَمْ بِعَدِيدِ الْهَلْكَىٰ يَتَكَاثَرُونَ يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَاداً خَوَتْ وَحَرَكَاتٍ سَكَنَتْ وَلَأَنْ يَكُونُوا عِبَراً أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَراً وَلَأَنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةٍ أَحْجَىٰ مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعَشْوَةِ وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةِ جَهَالَةٍ وَلَوْ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لَقَالَتْ ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ضُلَّالاً وَذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَّالاً تَطَأُونَ فِي هَامِهِمْ وَتَسْتَنْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ وَتَرْتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا وَتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا وَإِنَّمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَنَوَائِحُ عَلَيْكُمْ.

أُولَئِكُمْ سَلَفُ غَايَتِكُمْ وَفُرَّاطُ مَنَاهِلِكُمْ الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ الْعِزِّ وَحَلَبَاتُ الْفَخْرِ وَمُلُوكاً سُوَقاً سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلاً سُلِّطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَاداً لَا يَنْمُونَ وَضِمَاراً لَا يُوجَدُونَ لَا يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ الْأَهْوَالِ وَلَا يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ

١- التكاثر- ١/٢

الْأَحْوَالِ وَلاَ يَحْفِلُونَ بِالرَّوَاجِفِ وَلاَ يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ غُيَّباً لاَ يَنْتَظَرُونَ وَشُهُوداً لاَ يَحْضُرُونَ وَاِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً فَتَشَتَّتُوا وَ آلافاً فَافْتَرَقُوا وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ وَلاَ بُعْدِ مَحَلِّهِمْ عَمِيَتْ اَخْبَارُهُمْ وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ وَلٰكِنَّهُمْ سُقُوا كَاْساً بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَساً وَبِالسَّمْعِ صَمَماً وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُوناً فَكَاَنَّهُمْ فِي ارْتِجَالِ الصِّفَةِ صَرْعَىٰ سُبَاتٍ جِيرَانٌ لاَ يَتَاَنَّسُونَ وَاَحِبَّاءُ لاَ يَتَزَاوَرُونَ بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَىٰ التَّعَارُفِ وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ اَسْبَابُ الاِخَاءِ فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ وَبِجَانِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ اَخِلاَّءُ لاَ يَتَعَارَفُونَ لِلَيْلٍ صَبَاحاً وَلاَ لِنَهَارٍ مَسَاءً.

اَيُّ الْجَدِيدَيْنِ ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَداً شَاهِدُوا مِنْ اَخْطَارِ دَارِهِمْ اَفْظَعَ مِمَّا خَافُوا وَرَاَوْا مِنْ آيَاتِهَا اَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا فَكِلْتَا الْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ اِلَىٰ مَبَاءَةٍ فَاتَتْ مَبَالِغَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُّوا بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَايَنُوا.

وَلَئِنْ عَمِيَتْ آثَارُهُمْ وَانْقَطَعَتْ اَخْبَارُهُمْ لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ اَبْصَارُ الْعِبَرِ وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ فَقَالُوا كَلَحَتِ الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ وَخَوَتِ الْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ وَلَبِسْنَا اَهْدَامَ الْبِلَىٰ وَتَكَاءَدَنَا ضِيقُ الْمَضْجَعِ وَتَوَارَثْنَا الْوَحْشَةَ وَتَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ فَانْمَحَتْ مَحَاسِنُ اَجْسَادِنَا وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُوَرِنَا وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الْوَحْشَةِ اِقَامَتُنَا وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجاً وَلاَ مِنْ ضِيقٍ مُتَّسَعاً فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ اَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغِطَاءِ لَكَ وَقَدْ ارْتَسَخَتْ اَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِّ فَاسْتَكَّتْ وَاكْتَحَلَتْ اَبْصَارَهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ وَتَقَطَّعَتِ الْأَلْسِنَةُ فِي اَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلاَقَتِهَا وَهَمَدَتِ الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقْظَتِهَا وَعَاثَ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلَىٰ سَمَّجَهَا وَسَهَّلَ طُرُقَ الآفَةِ اِلَيْهَا مُسْتَسْلِمَاتٍ فَلاَ اَيْدٍ تَدْفَعُ وَلاَ قُلُوبٌ تَجْزَعُ لَرَاَيْتَ اَشْجَانَ قُلُوبٍ وَاَقْذَاءَ عُيُونٍ لَهُمْ فِي كُلِّ فَظَاعَةٍ صِفَةُ حَالٍ لاَ تَنْتَقِلُ وَغَمْرَةٌ لاَ تَنْجَلِي فَكَمْ اَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ وَاَنِيقِ لَوْنٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا غَذِيَّ تَرَفٍ وَرَبِيبَ شَرَفٍ يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ وَيَفْزَعُ اِلَى الصَّلٰوةِ اِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ ضَنّاً بِغَضَارَةِ عَيْشِهِ

وَشَحَاحَةٌ بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ اِلَى الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ الدُّنْيَا اِلَيْهِ فِي ظِلّ عَيْشٍ غَفُولٍ اِذْ وَطِئَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ وَنَقَضَتِ الْأَيَّامُ قُوَاهُ وَنَظَرَاتْ اِلَيْهِ الْحُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ فَخَالَطَهُ بَثٌّ لاَ يَعْرِفُهُ وَنَجِيُّ هَمٍّ مَا كَانَ يَجِدُهُ وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتَرَاتُ عِلَلٍ آنَسَ مَا كَانَ بَصِحَّتِهِ فَفَزِعَ اِلَىٰ مَا كَانَ عَوَّدَهُ الْأَطِبَّاءُ مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ وَتَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ فَلَمْ يُطْفِئْ بِبَارِدٍ اِلَّا ثَوَّرَ حَرَارَةً وَلاَ حَرَّكَ بِحَارٍّ اِلَّا هَيَّجَ بُرُودَةً وَلاَ اعْتَدَلَ بِمُمَازِجٍ لِتِلْكَ الطَّبَائِعِ اِلَّا اَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ دَاءٍ حَتَّىٰ فَتَرَ مُعَلِّلُهُ وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ وَخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ وَتَنَازَعُوا شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ فَقَائِلٌ هُوَ لِمَا بِهِ وَمُمَنٍّ لَهُمْ اِيَابَ عَافِيَتِهِ وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَىٰ فَقْدِهِ يُذَكِّرُهُمْ اُسَىٰ الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذٰلِكَ عَلَىٰ جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا وَتَرْكِ الْأَحِبَّةِ اِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ وَيَبِسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ وَدُعَاءٍ مُؤْلِمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعَظِّمُهُ اَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ وَاِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ اَفْظَعُ مِنْ اَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ اَوْ تَعْتَدِلَ عَلَىٰ عُقُولِ اَهْلِ الدُّنْيَا.

◁ اللّغة

(أَلْهٰيكُمْ) ألهاه عن الشّيء صَرَفه عنه باللّهو والمعنىٰ صَرَفكم عن اللّه اللّهو (مَرَاماً) المرام الطّلب بمعنىٰ المطلوب (زَوراً) بفتح الزّاء وسكون الواو الزّائرون وكذلك الزّور بضّم الزّاء وفتح الواو (خَطَراً) الخَطَر مُحرّكةً الإشراف علىٰ الهَلاك (مُدَّكِرٍ) بصيغة إسم الفاعل من الإدّكار بمعنىٰ الإعتبار وفي بعض النّسخ مُذّكِر من التّذكير (تَنَاوَشُوهُمْ) أي تناولوهم (بِمَصَارِعِ) جمع مَصرع (الْهَلْكَىٰ) جمع هالك (خَوَتْ) أي سَقَطت (جَنَابَ) بفتح الجيم الفناء (الْعَشْوَةِ) بضّم العين وفتح الواو ضعف البَصر (الْخَاوِيَةِ) المُنهدمة (الرُّبُوعِ) جمع رَبع وهو المَسكَن والمَنزل (هَامِهِمْ) الهام الرّأس (لَفَظوا) أي تركوا ورَموا (بَوَاكٍ) جمع باكية (نَوَائِحُ) جمع نائحة وهي النُّدبة (فُرَّاطٍ) بضّم الفاء جمع فارط فَرَط محَركة المتَقدم الىٰ الماء والفارط إسم الفاعل منه والجمع منه فارِطُون وفُرّاط

(**مَنَاهِلِكُمْ**) جمع مَنهل وهو موضع الّذي فيه المَشرب (مَقاوِم) بفتح الميم وكسر الواو وجمع مقام (**حَلَبات**) محّركة جمع حَلَبة كَعَرصات جمع عَرصة (**سُوَقاً**) بضّم السّين وفتح الواو علىٰ وزن صُرَد جمع سُوقة بضّم السّين وهي الرّعية (**فَجَوات**) بفتح الفاء والجيم جمع فَجوة وهي الفُرجة (**ضِمَاراً**) علىٰ وزن كتاب المال لا يُرجىٰ رجُوعه وخلاف العيان (**يَحفِلُون**) بكسر الفاء مضارع حَفَل أي لا يبالون (**الرَّوَاجِفِ**) جمع راجفة الزّلزلة (**القواصف**) من قَصف الرّعد إذا إشتّدت هَدهدته (**غُيَّباً**) بضّم الغين وفتح الياء المشّددة جمع غايب (**أُلّافاً**) بضّم الألف وتشديد اللاّم علىٰ وزن فُجّار، جمع آلِف مثل زهّاد وزاهِد وفي بعض النّسخ ضبطوا علىٰ وزن الآمال وعليه فهو جمع أليف بمعنىٰ مؤتلف (**صَمَّت**) صَمَّ يَصّم بالفتح فيهما خَرس عن الكلام (**ارْتِجَالِ**) يقال إرتَجَل الكلام به من غير أن يتّهيأ(**صَرعىٰ**) جمع صَريع كقَتلىٰ جمع قتيل وهو الطّرح علىٰ الأرض (**سُبَاتٍ**) بضّم السّين كغراب النّوم (**جِيرانٌ**) بكسر الجيم جمع جار (**عُرَىٰ التَّعَارُفِ**) العُرىٰ جمع عُرة وهي مقبض الدّلو والكُوز (**الْجَدِيدَيْنِ**) اللّيل والنّهار (**مَباءة**) بفتح الميم مكان التّبوء والإستقرار (**لَعَيُوا**) عَيُوا بفتح العين وضّم الياء عَجزوا (**الْعِبَر**) بكسر العين وفتح الباء جمع عِبرة (**كَلَحت**) كَلَح كَمَنع تكشر في عبُوس (**النَّوَاضِرُ**) نَضر نَضارةً حسن (**خَوَت**) تهدّمت (**أَهْدَامَ الْبِلَىٰ**) الأهدام جمع هِدم بكسر الهاء الثّوب البالي (**تكّئادنا**) تكأد علىٰ وزن تصّرف يقال تكأّد عليه الأمر أي شّق (**تَهَكّمت**) من تَهّكم يَتهكّم علىٰ وزن تَهَدّمت لفظاً ومعنىً (**الرُّبُوعِ**) جمع رَبع كضرُوب جمع ضَرَب أماكن الإقامة (**الصُّمُوتُ**) بضّم الصّاد الّتي لا تنطق والمراد بها القبور (**إنمَحَت**) الإنمحاء الإزالة (**تَنَكَّرَتْ**) أي تغيّرت (**كَرْبٍ**) الكَرب الغمّ.

(**إرتَسَخت**) مبالغة في رَسَخ ورَسَخ الغدير نَشّ ماؤه أي أخذَ في النُّقصان (**الْهَوَامِّ**) بفتح الهاء وتشديد الميم جمع الهامّة بالتّشديد أيضاً مثل دّواب ودابّة والمراد بها الدّيدان والحشرات وقيل ما له سهم يقتل كالحيّات (**إستّكت**

الأُذن)إذا صَمت (**خَفَت**) خف عين فلان فقأها (**ذَلاَقَتِهَا**) ذلاقة الألسن حدّتها في النّطق (**هَمَدَتِ**) الهمُود المَوت (**عَاثَ**) أي أفسد (**بِلىٰ**) البِلىٰ التّحلل والفناء (**سَمَّجها**) سَمَّج يَسَمَّج تسميجاً يقال سَمَّجها أي أفسَد الفناء في كلّ عضوٍ منهم مُقبحة (**اَشْجَانَقلوب**) أشجان القلُوب هُمومها (**أقذاء العُيون**) ما يسقط فيها فيؤلمها (**غَمْرَةٍ**) بفتح الغين الشّدة (**اَنِيق**) بفتح الهمزة رائق الحسن (**غَذِيٌّ**) بفتح الغين وكسر الذّال إسم بمعنىٰ المفعول أي مُغذىٰ بالنّعيم (**تَرَفٍ**) تنعّم (**السَطّوة**) بفتح السّين والواو وإنصراف النّفس عن الألم بتّخيل اللّذة (**ضّنناً**)أي بُخلاً (**بِغَضَارَةٍ**) غُضارة العيش طيبه (**حَسَكَةُ**) مُحَّركَةُ نَبات تَعلّق ثمرته بصوف الغَنم (**الحُتُوف**) بضّم الحاء جمع حتَف المُهلكات وأصل الحَتف المَوت (**كَثَب**) بالتّحريك أي قَرب (**بثّ**) بفتح الباء وتشديد الثّاء الحُزن (**نَجِيّ**) بفتح النّون وكسر الجيم وتشديد الياء المُناجي (**فَتَرَاتُ**) جمع فَترة إنحطاط القوىٰ (**التّار**) البارد و(**تَعَايَا**) إشتركوا (**أسىٰ**) بالضّم جمع الأسوة وهي ما يتأسىٰ به الإنسان ويتّسلىٰ:

◁ المعنىٰ

قوله ﷺ: (**يَا لَهُ مَرَاماً مَا اَبْعَدَهُ**) أي لا فَخر في ذلك وطلب الفَخر من هذا الباب بعيد (**وَزَوْراً مَا اَغْفَلَهُ**) أي من زار الموتىٰ وفَخر بهم فهو غافل عن الحقّ (**وَخَطَراً مَا اَفْظَعَهُ**) إشارة الىٰ المَوت ما أشدّه (**لَقَدْ اسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ اَيَّ مُدَّكِرٍ**) أي وجدوهم خالين عن الإعتبار أو أنّهم وجدوا الدّيار خالية منهم (**وَتَنَاوَشُوهُمْ**) وتناولُوهم بالمُفاخرة (**مِنْ مَكَانٍ بَعِيداً**) عنها (**اَفَبِمَصَارِعِ**) وقبور (**ابَائِهِمْ يَفْخَرُونَ اَمْ بِعَدِيدِ الْهَلْكَىٰ**) والموتىٰ (**يَتَكَاثَرُونَ**) في المفاخرة (**يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ اَجْسَاداً خَوَتْ**) وخَلَت من أرواحها (**وَحَرَكَاتٍ سَكَنَتْ**) بالمَوت (**وَلأَنْ يَكُونُوا**) هؤلاء (**عِبَراً**) أي موضعاً للإعتبار (**اَحَقُّ مِنْ اَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَراً**) يفتخر بهم من بَعدهم (**وَلأَنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةٍ**) وفنائها (**اَحْجَىٰ**) وأرفق للعقل (**مِنْ اَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ**) والإفتخار بهم (**لَقَدْ نَظَرُوا اِلَيْهِمْ بِاَبْصَارِ الْعَشْوَةِ**)

أيَ بضَعف البَصر (وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةٍ) وشدّةٍ (جَهَالَةٍ وَلَوْ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ) عن الموتىٰ (عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ) المَنهدمة (وَالرُّبُوعِ) والمنازل (الْخَالِيَةِ) عنهم (لَقَالَتْ) الدّيار والرّبُوع في الجواب (ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ضُلاَّلاً) عن طريق الحقّ (وَذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَّالاً) تتفاخرون بهم (تَطَأُونَ) وتضعون أقدامكم (فِي هَامِهِمْ) وأعلىٰ رؤوسهم (وَتَسْتَنْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ) بالمفاخرة (وَتَرْتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا) أي تلعبون وتأكلون فيما تركوه ورَموه اليكم (وَتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا) في حياتهم (وَإِنَّمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَنَوَائِحُ عَلَيْكُمْ) أيِ تبكي وتنوح عليكم وعليهم (أُولٰئِكُمْ سَلَفُ غَايَتِكُمْ) لسَبقهم عليكم في المَوت (وَفُرَّاطِ مَنَاهِلِكُمْ) ومتَقدمون عليكم في ورُودهم علىٰ مناهل المَوت الّتي لابدّ لكم من الوُرود عليها (الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ الْعِزِّ وَحَلَبَاتُ الْفَخْرِ وَمُلُوكاً سُوَقاً) أي كانت لهم مجالس العزّ وأسباب الفخر موجودة حال كونهم ملُوكاً وسلاطين وسُوقاً ورعايا (سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلاً) بعد موتهم (سُلِّطَتِ الْأَرْضِ عَلَيْهِمْ فِيهِ) أي في عالم القبر والبَرزخ (فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ وَشَرِبَتْ مِنْ دَمَائِهِمْ) أي أكلت الأرض منها (فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَاداً لاَ يَنْمُونَ) لأنّ الأرواح خلت من أجسادهم وحياة الجسد بالرّوح (وَضِمَاراً لاَ يُوجَدُونَ) أي غُيَّباً لا يُرجىٰ رجُوعهم الىٰ منازلهم (لاَ يُفْزِعُهُمْ) ولا يُخوفهم (وُرُودُ الْأَهْوَالِ) والحوادث في الدّنيا (وَلاَ يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ الْأَحْوَالِ) وتغيّراتها (وَلاَ يَحْفِلُونَ) أي لا يجتمعون (بِالرَّوَاجِفِ) والزّلازل (وَلاَ يَأْذَنُونَ) ولا يَصغون (لِلْقَوَاصِفِ) والأصوات الهائلة (غُيَّباً) عن الدّنيا (لاَ يَنْتَظَرُونَ) أي لا يُنتظر رجُوعهم (وَشُهُوداً) بأرواحهم (لاَ يَحْضُرُونَ) بأجسادهم (وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً) في الدّنيا (فَتَشَتَّتُوا) وتفرّقوا بالمَوت (وَ الاَفاً) أي كانوا مؤتلفين (فَافْتَرَقُوا) في القبور (وَمَا) أيِ ليس (عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ وَلاَ بُعْدِ مَحَلِّهِمْ) عن الدّنيا (عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ) أي ليس خفاء أخبارهم عن الدّنيا من هذه الجهات بل (وَلٰكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْساً) وهو الموت (بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ) أي بَدل

النّطق (**خَرَساً**) فلا يقدرون على التّكلم (**وَبِالسَّمْعِ**) أي بَدل السّمع (**صَمَماً**) فلا يقدرون على الإستماع (**وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُوناً**) فلا يقدرون على الحَركة (**فَكَأَنَّهُمْ فِي ارْتِجَالِ الصِّفَةِ صَرْعَىٰ سُبَاتٍ**) أي كأنّهم صاروا مصرُوعين نائمين في وصف الواصفين أيّاهم (**جِيرَانٌ لاَ يَتَأَنَّسُونَ**) مع قرب قبورهم (**وَأَحِبَّاءُ لاَ يَتَزَاوَرُونَ**) لعدم قدرتهم علىٰ الزّيارة (**بَلِيَتْ**) أي رَثّت وفَنت (**بَيْنَهُمْ عُرَىٰ التَّعَارُفِ**) أي زالت نسبة التّعارف بينهم (**وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ اَسْبَابُ الْاخَاءِ**) بعد موتهم (**فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ**) فريد ومع ذلك (**وَهُمْ جَمِيعٌ**) لإجتماع قبورهم (**وَبِجَانِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ اَخِلاَّءُ**) أي كلّ منهم في جانب الهَجر واقعاً وجانب الخلّة ظاهراً (**لاَ يَتَعَارَفُونَ لِلَيْلٍ صَبَاحاً وَلاَ لِنَهَارٍ مَسَاءً**)

أي لا يعرفون اللّيل والنّهار (**اَيُّ الْجَدِيدَيْنِ**) أيّ كلّ واحد من اللّيل والنّهار (**كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَداً**) لخروجهم عن الزّمان بعد المَوت (**شَاهِدُوا مِنْ اَخْطَارِ دَارِهِمْ اَفْظَعَ مِمَّا خَافُوا وَرَاَوْا مِنْ آيَاتِهَا اَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا**) أي أنّهم بعد موتهم شاهدوا أشدّ وأعظم ممّا كانوا يخافون منه في الدّنيا:

(**فَكِلْتَا الْغَايَتَيْنِ**) أي غاية المُجرمين والمُتّقين أو الجنّة والنّار (**مُدَّتْ لَهُمْ اِلَىٰ مَبَاءَةٍ**) ومكان التّبوء والإستقرار (**فَاتَتْ مَبَالِغَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ**) بعد موتهم (**فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُّوا**) وعَجزوا (**بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَايَنُوا**) لشدّته وهَوله (**وَلَئِنْ عَمِيَتْ آثَارُهُمْ وَانْقَطَعَتْ اَخْبَارُهُمْ**) عيناً (**لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ اَبْصَارُ الْعِبَرِ وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ**) فإعتبروا بهم ياأولي الأبصار (**وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ**) معكم (**فَقَالُوا**) بلسان الحال (**كَلَحَتِ الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ**) أي عَبَست الوجوه ذات الحسن والبَهجة (**وَخَوَتِ الْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ**) أي سَقطت الأجساد المُنّعمة (**وَلَبِسْنَا اَهْدَامَ الْبِلَىٰ**) أي الأثواب البالية (**وَتَكَاءَدَنَا**) أي شقّ علينا (**ضِيقُ الْمَضْجَعِ**) والقَبر (**وَتَوَارَثْنَا الْوَحْشَةَ**) فيه (**وَتَهَكَّمَتْ**) وتَهدّمت (**عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ**) أي المنازل الصّامتة وهي القبور (**فَانْمَحَتْ**) وأفسدت (**مَحَاسِنُ اَجْسَادِنَا**) بالتّلاشي وتَفرّق الأجزاء (**وَتَنَكَّرَتْ**) وتغيّرت (**مَعَارِفُ**

صُوَرِنَا وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الْوَحْشَةِ اِقَامَتُنَا) والمراد بمساكن الوَحشة القبُور (وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ) وغَم (فَرَجاً وَلاَ مِنْ ضِيقٍ مُتَّسَعاً) بل لابدّ لنا من الإقامة فيه (فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ اَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغِطَاءِ لَكَ وَقَدْ ارْتَسَخْتُ) أي والحال أنّه قد إرتَسَخت وذهبت رطوبتها بالهواء وتَسَلّط حشرات الأرض عليها(اَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِّ) (فَاسْتَكَّتْ) وإنسَدَت (وَاكْتَحَلَتْ اَبْصَارَهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ) وفَقأت (وَتَقَطَّعَتِ الْأَلْسِنَةُ فِي اَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلاَقَتِهَا) وَحِدَّتِها في النُّطق (وَهَمَدَتِ) وسَكَنت (الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقَظَتِهَا) وحياتها (وَعَاثَ) وأوقع الفساد (فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلىً سَمَّجَهَا) وصيّرها قبيح المنظر (وَسَهَّلَ طُرُقَ الآفَةِ اِلَيْهَا) الىٰ الجوارح (مُسْتَسْلِمَاتٍ) مُنقادات (فَلاَ اَيْدٍ تَدْفَعُ) البلاء عنها (وَلاَ قُلُوبٌ تَجْزَعُ) عليها (لَرَاَيْتَ اَشْجَانَ قُلُوبٍ وَاَقْذَاءَ عُيُونٍ) أي لرأيت ما يُورث حُزن القلب وأذىٰ العين (لَهُمْ فِي كُلِّ فَظَاعَةٍ صِفَةُ حَالٍ لاَ تَنْتَقِلُ) الىٰ غيرهم (وَغَمْرَةٌ) وشدّةٍ (لاَ تَنْجَلِي) لأحدٍ غيرهم (فَكَمْ اَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ وَاَنِيقِ لَوْنَ) أي رائق الحسن (كَانَ فِي الدُّنْيَا غَذِيَّ تَرَفٍ) أي من كان فيها مُتغذياً مُترفاً (وَرَبِيبَ شَرَفٍ) أي صاحب عزٍّ وشرف (يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ) أي يتشاغل به لئلّا يحزن مثلاً.

(وَيَفْزَعُ اِلَىَ الصَّلوةِ) وما يصرف نفسه عن الألم (اِنْ مُصِيبةٌ نَزَلَتْ بِهِ ضَنّاً بِغَضَارَةِ عَيْشِهِ) أي لأجل بُخله بسعة عيشه وطيبه (وَشَحَاحَةً) وبخالةً (بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ اِلَىَ الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ الدُّنْيَا اِلَيْهِ) فهو يضحك الىٰ الدّنيا لكونها علىٰ وفق مراده والدّنيا تضحك اليه لكونه من أبنائها (فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ) أي في عيش فيه غفلة (اِذْ وَطِئَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَةً) أي أنشَب شوكه فيه (وَنَقَضَتِ الأَيَّامُ قُوَاهُ) بضَعف جوارحه وإنحلال قِواه النّفسانية (وَنَظَرَاتْ اِلَيْهِ الْحُتُوفُ) المُهلكات، (مِنْ كَثَبٍ) وقرُب (فَخَالَطَهُ بَثٌّ) وحُزن (لاَ يَعْرِفُهُ وَنَجِيُّ هَمٍّ مَا كَانَ يَجِدُهُ) لخفائها عنه (وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتَرَاتُ عِلَلٍ) وإنحطاط قوىٰ (آنَسَ مَا كَانَ بَصِحَّتِهِ) أي حال كونه شديد الأنس بصّحته (فَفَزِعَ اِلَىٰ مَا كَانَ

عَوَّدَهُ الأَطِبَّاءُ مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ) والبارد (وَتَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ فَلَمْ يُطْفِئْ بِبَارِدٍ) شيئاً (إِلَّا ثَوَّرَ حَرَارَةً) أيْ هَيجها (وَلاَ حَرَّكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيَّجَ بُرُودَةً) فلا يَنفعه إستعمال المُسَخِن والمُبَرد (وَلاَ اعْتَدَلَ بِمُمَازِجٍ لِتِلْكَ الطَّبَائِعِ إِلَّا أَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ دَاءٍ) أي لا يصير المزاج مُعتدلاً بل يزيد عليه ما يُقربه الىٰ الموت (حَتَّىٰ فَتَرَ) وضَعف (مُعَلِّلُهُ وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ) ومن يواظب عليه (وَتَعَايَا) وعجزوا (أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ) وشرح مرضه للطبيب وغيره (وَخَرِسُوا) وسَكتوا (عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ) لعَدم علمهم بمَرضه (وَتَنَازَعُوا شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ) أي إختلفوا عنده في خبر ذي حزن يَخفونه منه (فَقَائِلٌ هُوَ لِمَا بِهِ) أي ومنهم من يقول هو علىٰ الحال الّذي كان (وَمُمَنٍّ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ) وآخر يُمنّي عافيته أو يُمنّي السّائل عافية المَريض (وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَىٰ فَقْدِهِ) وثالث يُحمّلهم علىٰ الصّبر علىٰ فَقده (يُذَكِّرُهُمْ أُسَىٰ الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ) فيقول لابدّ له من المَوت كما مات من كان قبله (فَبَيْنَا هُوَ كَذٰلِكَ عَلَىٰ جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا وَتَرْكَ الأَحِبَّةِ) أي مُشرف علىٰ الموت (إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ) وإعترض في حلقه (فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ) أي تاهت إدراكاته وذكائه (وَيَبِسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ) المريض (فَعَيَّ) وعَجز (عَنْ رَدِّهِ) لعدم القُدرة علىٰ التّكلم (وَدُعَاءٍ) أي وكَم من دعاء (مُؤْلِمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ) أي يظهر الصَمّم عنه (مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعَظِّمُهُ) كالوالد والأستاذ (أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ) كالأولاد (وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ) وشدائد (هِيَ أَفْظَعُ) أي أوجع وأشدّ (مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ) وتُوصف (بِصِفَةٍ أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَىٰ عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا) بكثرتها وشدّتها.

◁ الشّرح

إعلم: أنّ هذه الخطبة صَدرت عنه عليه السلام بعد تلاوته قوله تعالىٰ: ﴿أَلْهَيكُمُ التَّكَاثُرُ، حَتّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [1] فكأنّ الخطبة في الحقيقة تفسير للآية الشّريفة

١- التكاثر- ١/٢

ولقد روي المُفسّرون فيها وجوهاً وذكروا أقوالاً:

أحدها: ماذكره الطّبرسي ﷺ من أنّها نزلت في اليهود حيث قالوا نحن أكثر من بني فلان وبنو فلان أكثر من بني فلان ألهاهُم ذلك حتّىٰ ماتوا ضُلاّلاً نقله عن قتادة ونقل عن أبي بريدة أنّها نزلت في قبيلة من الأنصار ثّم قال وقيل نزلت في حيّين من قريش بني عبد مناف بن قصّي وبني سهم بن عمرو تكاثروا وعّدوا أشرافهم فكثّرهم بنو عبد مناف ثمّ قالوا نَعُدُّ موتانا حتّىٰ زاروا القبور فعّدوهم وقالوا هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثّرهم بنو سهم لأنّهم كانوا أكثر عَدداً في الجاهلية عن مقاتل والكلبي انتهىٰ.

وثانيها: ما ذَهب اليه السّيوطي في الدّر المنثور فقد روي فيه بأسناده عن عبد اللّه الشّخير أنّه قال أنتهيت الىٰ رسول اللّه ﷺ وهو يقرأ ألهيٰكُم التّكاثر وفي لفظٍ وقد أُنزلت عليه ألهيٰكُم التّكاثر وهو يقول **يقول أبن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلّا ما أكلت فأفنيت أولَبست فأَبلَيت أو تَصّدقت فَأبقيت وفي حديث آخر زاد أو أعطيت فأفضيت انتهىٰ...**

وروي فيه بهذه المضامين أحاديث كثيرة ويظهر منها أنّ السّورة قد نزلت في ذّم التّكاثر بالمال والأولاد والحَسب وكثرة الأفراد وغيرها وأمّا أنّها نزلت في اليهود أو غيرهم حيث تكاثروا وعدّوا أشرافهم الىٰ أن زاروا القبور فلا دَلالة في كلامه عليه وعلىٰ هذا يصير المعنىٰ صَرفَكم عن اللّه تكاثركم وتفاخركم بالمال والأولاد حتّىٰ زرتم أي دخلتم القبُور:

وثالثها: ما في تفسير المنسوب الىٰ أبن عبّاس وهو موافق لما ذكره الطّبرسي وقد مرّ وقال في آخر كلامه ويقال شَغلكم التّكاثر بالمال والولد حتّىٰ تموتوا وتُدفنوا انتهىٰ.

ورابعها: ما ذكره الرّازي في تفسيره أنّ المراد ألهيٰكُم التّكاثر بالعَدد كما مرّ:

وخامسها: ما ذكره أيضاً وهو أنّ المراد التّكاثر بالمال وروي ما رواه السّيوطي من الحديث.

وسادسها: ما ذكره أيضاً وهو أنّ المراد ألهيٰكم الحرص علىٰ المال وطلب تكثيره حتّىٰ منعتم حقوق المالية الىٰ حين المَوت:

وسابعها: أنّ اللّه يتّكلم بهذه السّورة يوم القيامة تَعييراً للكفّار وقد تقدمت منهم زيارة القبُور.

وثامنها: المعنىٰ ألهيٰكم التكّاثر فلا تَلتَفتون الىٰ الدّين بل قلوبهم كأنّها أحجار لا تنكسر ألبتّة إلّا أذا زرتم المقابر والوجوه المحتملة كثيرة في معنىٰ الآية وأمّا شأن نزولها فلابدّ من أن يكون في قوم فَعلوا هكذا كما ذكره الطّبرسي وأبن عبّاس وكلام أمير المؤمنين في الخُطبة حيث قال **أبَمصارع آباءهم يفخرون**، صريح فيما ذكره الطّبرسي وكيف كان فلا شكّ في أنّ الآية قد دلّت علىٰ ذّم التّفاخر بالمال والأولاد والأفراد وهذا هو الأصل في الباب وهذا ممّا لا خلاف فيه وكلام أمير المؤمنين ﷺ أيضاً ناظر الىٰ هذا الأصل:

- **قوله ﷺ يَا لَهُ مَرَاماً مَا اَبْعَدَهُ وَزَوْراً مَا اَغْفَلَهُ وَخَطَراً مَا اَفْظَعَهُ....**

كلمة (**يا**) حرف النّداء تفيد التّعجب في المقام كما في قولهم يا لَلّه دَخلت علىٰ المُتعجب منه وإستعمال النّداء في التّعجب أنما هو فيما أذا كان المتّكلم يرىٰ أمراً عَجيباً عظيماً وهذا منه ولا يبعد أن يكون تقدير الكلام يا مَن له مراماً ويا مَن له زَوراً ويا مَن له خَطراً فيكون (**مَن**) هو المُتعجب منه حُذِف لدلالة الكلام عليه والمَرام بفتح الميم الطّلب بمعنىٰ المطلوب وكلمة (ما) في الموارد الثّلاثة لِلتّعجب ولأجل هذا قلنا أنّ النّداء للتّعجب وتقدير الكلام في قوله وزَوراً وقوله وخَطَراً واحد بمقتضىٰ العطف والضّمير في قوله ﷺ: (**لَه**) أمّا راجع الىٰ كلمة (مَن) المقّدرة وأمّا راجع الىٰ المُتأخر لفظاً ورتبةً كما في نعم رجلاً زيد، والمعنىٰ أنّ التّفاخر بالتّكاثر الّذي هو مطلوبهم أبعَدَهم عن الحقّ كما أنّ زيارتهم القبور وَعَدّهم المَوتىٰ مِن الأحياء أغفَلَهم عن الواقع وذلك لأنّ زيارة القبور لِلعبرة لا للتّفاخر وقوله خَطَراً ما أفظَعَه فقد قيل أنّ المراد بالخَطَر، الهلاك أي هلاك من في المقابر المشار اليه بقوله زرتم المقابر، والأحسن أن

يقال المراد بالخَطَر الخَطَر الّذي يتّوجه الىٰ الزّائر بقصد التّفاخر فأنّ فيه خطرٌ عظيم علىٰ النّفس شنيعٌ قبيحٌ علىٰ الإنسان حيث أنّه إفتخر بالمَوتىٰ ولم يعتبر:

قال بعض العرفاء في وجه شناعة التّكاثر بزيارة المقابر لأنّ زيارة القبور شرعت لتذّكر المَوت ورفض حبّ الدّنيا وترك المباهاة والتّفاخر وهؤلاء عكسوا حيث جعلوا زيارة القبور سبباً لمزيد القسوة والإستغراق في حبّ الدّنيا والتّفاخر في الكَثْرة:

▫ **قوله ﷺ: لَقَدْ اسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ اَیَّ مُدَّكِرٍ وَتَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيداً...**

المَدّكر أمّا بالدّال المهملة أو بالذّال المعجمة فعلىٰ الأوّل هو إسم الفاعل من الإدّكار يقال إدّكر يدّكر إدّكاراً والإدّكار الإعتبار قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مُدَّكِرٍ﴾**(١) أي فَهَل من مُعتبر، وعلىٰ الثّاني فهو الفاعل من ذكّر يذّكر تذّكيراً، ومعناه واضح ومعنىٰ الكلام أنّهم وَجَدوهم خالين من الإعتبار ثّم قُلّب المعنىٰ في عبارة الإمام فكأنّ أخلوا الإدّكار من آبائهم مبالغة في تقريعهم حيث أخلوهم منه وهو محيط بهم وكلمة (أي) صفة لموصوف محذوف والتقدير إستخلوا منهم مدّكراً أي مُدّكر هذا:

وقال الشّارح المُعتزلي والمعنىٰ أنّه إستعظم ما يوجبه حديثهم عمّا خلا وعمّن خلا من أسلافهم وآثار أسلافهم من التّذكير فقال أي مذّكرٍ وواعظٍ في ذلك انتهىٰ:

أقول: ما ذكره المُعتزلي ما نفهم معناه فأن فهِمته فإغتنمه لأنّه من سِرّ المكنون عنده

وقال الخُوئي أي إستخلوا الدّيار فالمفعول محذوف والمعنىٰ أنّ الزّائرين المُتفاخرين بالأموات وجدوا الدّيار خالية منهم أي من المزورين حال كونهم كاملين في التّذكير والإدّكار انتهىٰ.

أقول: لا دليل علىٰ التّقديرين والأحسن ما ذكرناه وهو أنّهم بعد زيارتهم

١-القمر - ٣٢

لقبورهم وجَدوهم خالين عن الإعتبار هذا أذا كان المُذّكر بصيغة إسم الفاعل وأمّا أن كان بصيغة المفعول فالمعنىٰ أنّهم وجَدوهم غير مُعتَبَرين فَلم يَعتَبر بهم أحدٌ من الأحياء الزّائرين لقبورهم من جهة الغَفلة مع أنّه كان ينبغي لهم الأعتبار بل تناوشُوهم وتناولُوهم بالمُفاخرة من مكانٍ بعيدٍ وبُعد المكان إشارة الىٰ مكان الأحياء وهو الدّنيا ومكان الأموات وهو الآخرة:

▫ **قوله ﷺ: اَفَبِمَصَارِعِ ابَائِهِمْ يَفْخَرُونَ اَمْ بِعَدِيدِ الْهَلْكَىٰ يَتَكَاثَرُونَ...**

ثمّ وَبّخهم علىٰ ما فعلوا من زيارة القبور للتّكاثر والتّفاخر فقال ﷺ أَبمصارع آبائهم وقبُورهم يَفخرون علىٰ غيرهم أم بعديد الهَلكىٰ أيّ عدّهم الهالكين يتكاثرون وكلاهما قبيح فأنّ الفَخر بما لا وجود له يّدل علىٰ الحماقة والسّفاهة إذ المعدوم لا أثر له:

▫ **قوله ﷺ: يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ اَجْسَاداً خَوَتْ وَحَرَكَاتٍ سَكَنَتْ...**

أي يطلبون من الأموات رجوع أجسادهم الخالية عن الأرواح السّاقطة بالكلّية عن حيّز الإنتفاع الىٰ الدّنيا أو رجوع الحَركات اليها بعد سكونها بالمَوت ولم يعلموا أنّ هذا من المحالات أن قلت أنّهم لم يطلبوا ذلك بل عدّوا القبور فيما معنىٰ قوله ﷺ: **يرتجعون** الخ:

قلت ـ غرضهم من عدّ القبور جَعل الأموات بمنزلة الأحياء وإلّا لا يتحقق التّكاثر ولازم ذلك رجُوع الأرواح والحَركات الىٰ الأجساد إذ لو لم ترجع اليها لا يطلق عليهم الأحياء فكأنّهم في طلبهم هذا جُعلوهم كالأحياء فقوله ﷺ يرتجعون منهم أجساداً الىٰ آخر ما قال إشارة الى لازم الطّلب:

▫ **قوله ﷺ: وَلأَنْ يَكُونُوا عِبَراً اَحَقُّ مِنْ اَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَراً وَلَاَنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةٍ اَحْجَىٰ مِنْ اَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ...**

اللّام في قوله ﷺ: **ولأن** في الجُملتين لِلتأكيد وقوله **مُفتخراً** بفتح الخاء بصيغة إسم المفعول والمعنىٰ أنّ الأموات لو كانوا عِبَراً لِلأحياء الزّائرين لهم وغيرهم بمعنىٰ أن يعتبروا بهم حيث خَلَت الدّيار منهم وتركوا أموالهم

وأولادهم وصاروا محبوسين في قبورهم أولىٰ من أن يكونوا مُفتَخراً فيفتخر الأحياء بهم وأيضاً لو يهبطوا بهم أي بالأموات جناب ذلّة أي الفناء المُستفيد بها أحجىٰ وأوفق للعقل من أن يقوموا بهم مقام عِزّةٍ وحاصل الكلام أنّ الأحياء الزّائرين جعلوا الأموات في زمرة الأحياء في العِزّة والشّرف مع أنّ العقل يحكم بذلّتهم وحقارتهم في القبور والعاقل لا يعدّ الحقير الذّليل عَزيزاً:

□ **قوله ﷺ: لَقَدْ نَظَرُوا اِلَيْهِمْ بِاَبْصَارِ الْعَشْوَةِ وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِى غَمْرَةِ جَهَالَةٍ...**

ثمّ أشار ﷺ الىٰ وَجه هذا العَمَل القَبيح الّذي لا يُوافقه العَقل السّليم فكلامه ﷺ هذا كأنّه جواب عن سؤالٍ مقدّر وقد ذكَر وَجهين :

أحدهما: أنّهم أي الأحياء نَظَروا الىٰ أمواتهم بأبصار العَشوة أي الضّعيفة فلو نَظروا اليهم حقّ النّظر لَعلِموا أنّ الأموات السّاكِنة في القبور والأجساد البالية الخالية عن الأرواح تحت الأرض لا يصّح التّفاخر بهم:

وثانيهما: أنّهم ضربوا منهم في شدّة الجهالة أي خاضوا من ذكر الموتىٰ في بحر الجهل والضّلالة فلم يتفطنوا أنّ الإفتخار بمصارع المَوتىٰ عين الجَهل:

□ **قوله ﷺ: وَلَوْ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تَلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لَقَالَتْ ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ضُلَّالاً وَذَهَبْتُمْ فِي اَعْقَابِهِمْ جُهَّالاً...**

قال المُعتزلي وغيره ممّن تبعه في شرح الكلام لو سألوا عنهم ديارهم الّتي خَلَت منهم لقالت الدّيار والرّبوع كذا وكذا، ولم يَعلمُوا أنّ هذا التّفسير ليس بصحيح وذلك لأنّ الأحياء لو سألوا الأموات عن ديارهم وربُوعهم فكيف يعقل أن يكون المُجيب غَير المسئول عنه وبعبارةٍ أُخرىٰ لا معنىٰ لكون السّؤال عن شخصٍ أو أشخاصٍ والجواب عن غيره فلو سَألوا الأموات وإستنطقوهم يكون الجواب منهم أيضاً وعليه فحقّ العبارة **(لقالوا)** بدل قوله ﷺ: **(لقالت)** وحيث كان الجَواب من الدّيار والرّبوع فينبغي أن يكون الإستنطاق منها أيضاً وهو كذلك فأنّ الإستنطاق لها لا لهم وقوله ﷺ: **(عنهم)** يدّل علىٰ ما ذكرناه وهكذا قوله ﷺ: (لقالت) والمعنىٰ أنّ الأحياء الزّائرين

للأموات للتّفاخر بهم لو إستنطقوا أي طلبوا النّطق بَدَلاً عن الأموات أو عَن قِبل الأموات ديارهم الخاوية وربوعهم الخالية لقالت الدّيار والرّبُوع في جواب السّائلين ذَهَبوا أي مَشَوا في الأرض متّصفين بالضّلالة والغواية حتّىٰ ماتوا علىٰ هذا الحال وذهبتم أي مَشيتم بَعدهم فيها مُتّصفين بالجهل والسّفاهة فعلىٰ ما ذكرناه يكون تقدير الكلام لو إستنطقوا هؤلاء الأحياء بَدلاً عن الأموات تلك الدّيار والرّبوع لقالت في جوابهم كذا وكذا أو تقديره لو إستنطقوا عن قِبَلهم العَرَصات لقالت كذا وكذا وهو ظاهر ولازم ذلك هو تفاخر الجُهّال بالضّلال الأموات وهو كما ترىٰ قبيح:

□ **قوله ﷺ: تَظَأُونَ فِي هَامِهِمْ وَتَسْتَنْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ وَتَرْتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا وَتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا...**

وهذا الكلام متّصل بما قبله فهو أيضاً مقول قول الدّيار والرّبوع أي لقالت الدّيار والرّبُوع تطأون في هامهم أي تضعون أقدامكم علىٰ رؤوسهم حين تمشون علىٰ قبورهم وتستثبتون أي تطلبون إثبات أجسادهم البالية وترتعُون فيما لَفَظوا ورَموا من الأموال وتسكنون فيما خَرّبوا وإرتحلوا عنه من البيُوت والعقار وغيرها ممّا تركوه لكم:

وقال الشّارح المُعتزلي في شرح قوله ﷺ: **وَتَسْتَنْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ**، أي تزرعون النّبات في أجسادهم وذلك لأنّ أديم الأرض الظاهر إذا كان من أبدان الموتىٰ فالزّرع لا محالة يكون نابتاً في الأجزاء التّرابية الّتي هي أبدان الحيوانات ورُوي وتستثبتون بالثّاء أي وتنصبون الأشياء الثّابتة كالعَمَد والأساطين للأوطان في أجساد الموتىٰ انتهىٰ:

أقول: يظهر من كلامه أنّه قرأ قوله ﷺ: (**تَسْتَثْبِتُونَ**) بالتّاء (**تَسْتَنْبِتُونَ**) بالنّون من الإنبات ثمّ فسّر الكلام بما فَسّر ونحن لم نجد فيما بأيدينا من النّسخ (**تَسْتَنْبِتُونَ**) بالنّون ولعلّه ظفَر علىٰ نسخةٍ لم نظفر بها وهو بعيد إذ لا معنىٰ للكلام حينئذٍ وذلك لوجهين:

أحدهما: أنّ كون أديم الأرض الظّاهر من أبدان الموتىٰ لم يدّل عليه دليل من العقل ولا من الشّرع وأنّما هو من كلام العوام وعلىٰ المُدّعي إثباته:

وثانيهما: أنّ الأرض خُلقت قبل الحَيوانات وهو ممّا لا كلام فيه فأنّ الآيات والرّوايات مُصّرحة به وكلام أمير المؤمنين في الخطبة الأولىٰ وغيرها أيضاً يُصّرح به ولا خلاف فيه فيما نعلم وإذا كان كذلك فكيف يقول أنّ أديم الأرض من أبدان المَوتىٰ حتّىٰ يكون الزّرع لا محالة نابتاً في الأجزاء التّرابية وليت شعرىٰ ما الّذي دعاه الىٰ ذكر هذه المَوهُومات فلو فرضنا أنّه وجد نُسخة كان ظاهرها (تَسْتَنْبِتُونَ) بالنّون فكان له أن يتأمّل في الكلام فأنّ حذف نقطةٍ من اللّفظ أو زيادتها عليه لا يضّر ولا ينفع عند أهل الكلام .

وثالثها: لو كان الأمر كما ذكره فلقائل أن يقول هذا الكلام أنّما يصّح لمن زار القبُور المُندرسة والأجساد الباليَة الّتي صارت تراباً بمرُور الأيام ثمّ الزّرع كان نابتاً فيها، وأمّا من زار القبور المحفوظة عن الإندراس الّتي كانت جديدة فلا يدخل في كلامه عليه السلام والظّاهر أنّ ما نحن فيه من هذا القبيل وعليه فكلامه عليه السلام خارج عن محلّ البحث والحاصل أن تَسْتَنْبِتُونَ ، بالنَون لا معنىٰ له ومع ذلك لا يليق هذا الكلام شأن أمير المؤمنين لكونه من الموهُومات:

وأمّا تفسيره الكلام في صورة كون اللّفظ بالثّاء كما هو الصّحيح، بقوله أي وتنصبون الأشياء الثّابتة كالعَمد والأساطين للأوطان في أجساد الموتىٰ، فهو أيضاً غلط فاحش وكَذب مَحض بل هو من تفسير الكلام بما لا يرضىٰ صاحبه، وذلك الأجساد الّتي هذا شأنها كيف يمكن عَدُّها والتّفاخر بها وبعبارةٍ أُخرىٰ الأجساد الّتي نُصبت عليها الأشياء الثّابتة كالعَمَد والأساطين فهي صارت تُراباً مَحضاً فلا يكون هناك قبراً أو جَسَداً يمكن تعديدها والتّفاخر بها وهذا ظاهر مع أنّ كلامه عليه السلام لا ينظر الىٰ هذه الأجساد والقبور الّتي ليس لها وجود في الخارج بل الكلام في القبور الموجودة المشّخصة بدليل قوله عليه السلام أبمَصارع آبائهم يفخرون وقوله تعالىٰ:

﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ (١) والمُشتق حقيقة فيما تلبّس بالمبدء فعلاً ومجاز فيما إنقضىٰ عنه وعلىٰ فرض كونه حقيقة في الأعمّ ينافي أصل البحث إذ لا مَصرَع هناك علىٰ الغرض أصلاً والعجب من الشّارح الخوئي حيث ذهب في المقام في تفسير الكلام الىٰ ما ذهب اليه المُعتزلي كما هو شأنه في الكتاب في أمثال هذه الموارد ولم يتّعقل أنّ الكلام في زيارة القبور لأجل التّكاثر فإذا لم يكن هناك قبراً موجوداً فأيّ شئ زارُوه فالحقّ في تفسير الكلام ما قلناه من أنّهم كانوا أَثبَتُوا بذلك ما لا وجُود له فالثّاء في قوله عليه السلام: **وتَتَثبّتُون للطّلب** أي طلبوا هؤلاء ثبوت الأجساد ووجودها من تعديدها فجَعلواها بمنزلة الأحياء مع أنّها كانت فانية:

▫ **قوله عليه السلام: وَإِنَّمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَنَوَائِحُ عَلَيْكُمْ...**

كلمة أنّما تفيد الحَصر والمعنىٰ أنّ الأيّام بينكم وبين المَوتىٰ الّذين تَفتخرون بهم بواكٍ أي الأيّام تبكي عليكم وعليهم وتنوح عليكم وعليهم أمّا عليكم فلجَهلكم وضلالتكم وأمّا عليهم فلأنّهم لم يهتدوا الىٰ الطّريق في حياتهم فماتوا وهم ضُلّال ومن كان حياته ومماته كذلك ينبغي أن تبكي الأيّام عليه:

▫ **قوله عليه السلام: أُولئِكُمْ سَلَفُ غَايَتِكُمْ وَفُرَّاطٍ مَنَاهِلِكُمْ الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ الْعِزِّ وَحَلَبَاتُ الْفَخْرِ وَمُلُوكاً سُوَقاً...**

أي أُولئكم سَلَف غايتكم وهي المَوت الّذي لابدّ فيه لكلّ أحدٍ وأنّما قال عليه السلام: **سَلَفُ غَايَتِكُمْ** لأنّهم أي الأموات كانوا سابقين الىٰ الموت وفي قوله عليه السلام: **غَايَتِكُمْ** إشارة الىٰ أنّ المَوت ليس غاية لهم فقط بل لكم أيضاً فحالكم حالهم ومَصيرهم مصيركم ثمّ شبّه عليه السلام المَوت بالمَنهل والمَشرب فكما أنّ العطاش يتّسرعون الىٰ المَشرَب الّذي فيه الماء كذلك النّاس يتّسرعون الىٰ المَوت وهم غافلون عنه والتّعبير عن الأموات بالفرّاط أعني السّابقين إشارة الىٰ أنّهم وَصلوا

١- التكاثر- ١/٢

الىٰ ما وَصَلوا وأنتم أيضاً تَصلون اليه إلّا أنّهم سَبَقوكم فيه مع أنّهم كانوا من ذوي العزّ والمقام والمراكب الجّيدة المعّدة للّسبق في الرّهان بعضهم ملوكاً وبعضهم رعايا، والحاصل أنّ الموت قطعي لكلّ مخلوق كائناً من كان سلطاناً كان أو رعيّته غنياً كان أو فقيراً عالماً أو جاهلاً وحكم الأمثال واحد وإذا كان الإنسان كذلك فالفَخر منه لِماذا أَلَيس أوّله نُطفة قَذِرة وآخره جيفة نتِنة فإعتبروا يا أُولي الأبصار:

▫ **قوله ﷺ: سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلاً سُلِّطَتِ الْأَرْضِ عَلَيْهِمْ فِيهِ فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ وَشَرِبَتْ مِنْ دَمَائِهِمْ...**

البَرزَخ، بفتح الباء وسكون الرّاء وفتح الزّاء في الأصل الحاجِز المانع والحدّ بين الشّيئين وقيل أَصله (بَرزَه) فَعُرّب والمراد به في لسان الشّريعة عالم القَبر وقيل العالم الحاجز الحائل بين الإنسان وبين بلوغه المنازل الرّفيعة في الآخرة فأنّ العوالم ثلاثة، عالم الدّنيا الىٰ حين المَوت وعالم القَبر وما يَتبعه الىٰ القيامة، وعالم القيامة وأنّما يُسَمىٰ عالم القبر بَرزخاً لكونه حائلاً بين عالم الدّنيا وعالم القيامة ولا يعلم مدّة عالم البَرزخ إلّا اللّه وقد أشار اللّه تعالىٰ في القرآن الىٰ ثبوته في موارد كثيرة:قال اللّه تعالىٰ: ﴿**وَ مِنْ وَرٰائِهِمْ بَرْزَخٌ اِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾(1) و: ﴿**وَ جَعَلَ بَيْنَهُمٰا بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً**﴾(2).

وقيل في تفسير قوله تعالىٰ ﴿**وَمِنْ وَرٰائِهِمْ بَرْزَخٌ**﴾أي حاجز بين المَوت والبَعث في القيامة من القبور وقيل حاجز بينهم وبين الرّجوع الىٰ الدّنيا وهم فيه الىٰ يوم يُبعَثُون، وقيل البَرزَخ الإمهال الىٰ يوم القيامة وهو القبر وكلّ فصلٍ بين شيئين فهو بَرزَخ وقال بعض المُفسرين في تفسير الآية البَرزَخ هو أمر بين أمرين وهو الثّواب والعقاب بين الدّنيا والآخرة وهو ردّ علىٰ من أنكر عذاب القبر والثّواب والعقاب قبل يوم القيامة وهو قول الصّادق ﷺ **واللّه ما أخاف عليكم إلّا البَرزَخ فأمّا إذا صار الأمر الينا فنحن أولىٰ بكم** وقال علّي بن

١- المؤمنون - ١٠٠ ٢- الفرقان - ٥٣

الحسين ﷺ أنّ القبر روضة من رياض الجنّة أو حُفرةٍمن حُفر النّيران فقد علمت ممّا ذكرناه أنّ الورود علىٰ البَرزَخ لا بدّ منه لكلّ أَحَدٍ أمّا مُتَنّعماً فيه او مُعّذَباً فقوله ﷺ: **سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ** لا يختّص بهم بل المقصُود من هذا الكلام هو بيان حَقيقةٍ من الحقائق واقع من الواقّعيات وإثبات البَطن له علىٰ سبيل الإستعارة والمعنىٰ أنّ الّذين تفتّخرون بهم من الأموات وتعدّون قبورهم لأجل التّكاثر قد سَلَكوا في بطُون البَرزَخ والقَبر سبيلاً وأقاموا فيه الىٰ ماشاء اللّه سَلّطت الأرض عليهم فيه أي في البَرزَخ فأَكَلت الأرض من لحُومهم وشَرَبت من دِمائهم، وإسناد الأكل والشّرب الىٰ الأرض علىٰ سبيل المجاز كما يقال أَكَلت الأرض الماء والمقصود أن لحُومهم ودِمائهم صارَت تراباً بالإستحالة بمرُور الزّمان فلم يَبق منها عين ولا أثر حتّىٰ يفتّخروا بها:

▫ قوله ﷺ: **فَاَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَاداً لاَ يَنْمُونَ وَضِمَاراً لاَ يُوجَدُونَ...**

أي أنّهم بعد موتهم ودفنهم في القبُور أَصبحوا فيها جماداً لا يَنمُون أمّا أنّهم جماد فلأنّ الجَسَد اذا لم يكن فيه روح فهو جماد وأمّا أنّهم لا يَنمُون فلأنّ الجَماد لا نمُّو له لعدم وجود الرّوح النّباتي له، وأمّا أنّهم ضمار فلِعَدم إمكان رجُوعهم الىٰ الدّنيا وأن قالوا **ربّ أرجعون لعلّي أعمل صالحاً**، فيقال لهم **كلاّ أنّها كلمة هو قائلها**، فلا جَرم صاروا غُيَباً لا يُوجَدون في الدّنيا بين الأحبّة.

▫ قوله ﷺ: **لاَ يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ الْأَهْوَالِ وَلاَ يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ الْأَحْوَالِ وَلاَ يَحْفِلُونَ بِالرَّوَاجِفِ وَلاَ يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ...**

وذلك لأنّ هذه الأمور من لوازم الإدراك وهو من لوازم الحياة وهي من آثار الرّوح او هي عَينه فإذا لم يكن الرّوح في الجَسَد لا حياة له واذا لم تكن الحياة لا إدراك له فلا فَزع ولا خَوف له والمَفروض أنّهم ميّتون بلا أرواح فلا محالة لا يَفزعهم ورُود الأهوال والأخاويف ولا يَحزنهم تنكر الأحوال وتَقلب الحالات الدّنيوية وتغيراتها الموجبة لحزن أهلها ولا يَحفِلون أي لا يُبالُون بالرّواجف

والزّلازل المُوجبة لِلإضطراب والدّهشة ولا يأذنون أي لا يَصغون ولا يَسمعُون للقواصف والأصوات الشّديدة الهائلة كَصَوت الرَّعد وغيره فهُم مَعزولُون عن إدراك هذه الأمور:

▫ **قوله ﷺ: غُيَّباً لاَ يَنْتَظَرُونَ وَشُهُوداً لاَ يَحْضُرُونَ...**

أي أنّهم غائبون عن الأحياء بحيث لا يُنتظر عَودهم الىٰ الدّنيا وشهُود لا بحضُور أجسادهم بل بحضور أرواحهم فهُم غائبون عنكم بأجسادهم وشاهدون حاضرون فيكم بأرواحهم وذلك لأنّ الرّوح لا تموت بمَوت الجَسَد بل هو باق لتّجرده عن المادّة فإنقطاعه عن الجَسَد لا يُوجب مَوته:

▫ **قوله ﷺ: وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً فَتَشَتَّوا وَ الاَفاً فَافْتَرَقُوا وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ وَلاَ بُعْدِ مَحَلِّهِمْ عَمِيَتْ اَخْبَارُهُمْ وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ...**

أي أنّ الأموات كانوا قبل موتهم في الدّنيا مُجتمعين مأنوسين فَتَشتتوا وتفرّقوا بالمَوت فأنّ المَوت فرّاق الأحبّة وأيضاً كانوا فيها أُلّافاً أي مؤتلفين فإفترقوا بالمَوت وقوله أُلّافاً بضّم الألف واللاّم المُشّددة بَعدها جمع آلِف من آلف يألف فهو آلِف كساكن وسُكّان وطالب وطُلاّب يقال ألِف به اذا آنِس به وأحَبّه والأموات قبل موتهم في الدّنيا كانوا كذلك، وحيث كان هناك مظّنة سؤالٍ وهو أنّ الأموات بعد إرتحالهم عن الدّنيا لطول عهدهم في عالم البَرزَخ وبُعد محلّهم عنّا عُميت أخبارهم وصَمَت ديارهم فكانوا ساكتين صامتين فيها وليس لنا منهم خبرٌ ولا أثر.

فقال ﷺ لَيس الأمر كذلك بل الوجه في سكوتهم وسكونهم أمرٌ آخر وهو.

▫ **قوله ﷺ: وَلٰكِنَّهُمْ سُقُوا كَاْساً بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَساً وَبِالسَّمْعِ صَمَماً وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُوناً...**

أي علّة سكوتهم وسكونهم أنّهم سُقُوا كأساً بدّلت نطقهم بالخَرَس وسمعهم بالصّمم وحَركاتهم بالسّكون وهي كأس المَوت فأنّ من شرب منها لا يقدر على شيءٍ فأنّ المَوت يزيل الإدراك واذا زال الإدراك زالت آثاره وهو واضح:

□ قوله ﷺ: **فَكَأَنَّهُمْ فِي ارْتِجَالِ الصِّفَةِ صَرْعَىٰ سُبَاتٍ جِيرَانٌ لاَ يَتَأَنَّسُونَ وَأَحِبَّاءُ لاَ يَتَزَاوَرُونَ...**

أي إذا وَصَفهم واصِف بلا سبق تأمّلٍ ورَوِيةٍ شبّههم بمصروعي سُبات أي يقول أنّهم سقطوا في الأرض كالنّائِم وأنّما قال ﷺ: **فكأنّهم**، المفيد للتشبيه لأنّهم في الحقيقة ليسوا كذلك لوجود الفَرق بين النّوم والمَوت حيث أنّ النّائم حيٌّ في نَومه والميّت ليس كذلك فأنّ القوىٰ البدّنية في النّائم بحالها وفي المَيّت سَقَطت بالكّلية ومع ذلك كلّه فالنّوم أشبه شيٍ بالمَوت من حيث إنقطاع الرّوح عن البَدن في ظاهر الأمر وعدم توجه النّائم الىٰ شيٍ من أُمور الدّنيا ولعلّه لأجل هذه المُشابهة عُبّر في كثير من الأخبار وكلمات الأجّلاء عن المَوت بالنّوم فقال رسول اللّه ﷺ **النّاس نيام إذا ماتوا إنتَبَهوا**، وقولهم كما تنامون تَموتُون وكما تَستيقظُون تُحيون وتَعيشُون، وقد قالوا أنّ في الموت ينقطع الرّوح عن البَدن رأساً وفي النّوم بعضاً والحاصل أنّ الميّت شبيه بالنّائم في ظاهر الأمر ولعلّه لأجل هذه الفروق الثّابتة بين المَوت والنّوم أتىٰ ﷺ بكلمة (كأنّ) وكلمة (إرتجال) فقال فكأنّهم في إرتجال الصّفة كذلك وأمّا عند التّأمل والتّعمق فبَينَهما بَون بَعيد وأمّا قوله ﷺ: **جِيرَانٌ لاَ يَتَأَنَّسُونَ وَأَحِبَّاءُ لاَ يَتَزَاوَرُونَ**، ففيه إثبات أمرين لهم ونفي أمرين عنهم أمّا الإثبات فكونهم جيران، وكونهم أحبّاء، وأمّا المنّفي فعدم الأنس بينهم وعدم التّزاور عندهم والكلّ صحيح، أمّا كونهم جيران فلقُرب قبورهم، وأمّا عَدم الأنس فلعدم الحياة فيهم فأنّ الأنس والأُلفة من شئُون القلب وفروع العلاقة وإذ لا حياة للقلب فلا أنس له وأمّا أنّهم أحبّاء فلعدم مَنشأ البغض فيهم وهو الدّنيا وقناعها والأصل يقتضي الحُبّ أو لأنّهم أقرباء في كثير من الموارد دُفنوا في موضع واحدٍ أو قُربت قبورهم وأنّهم كانوا في الدّنيا أحبّاء فهكذا بعد المَوت إلّا أنّهم بعد المَوت لا يقدرون علىٰ ترتيب آثار الحُبّ عليه والحُبّ شيٌ وأثره شيٌ آخر ومن آثاره التّزاور الموقوف علىٰ الحيّاة.

أن قلت ـ ماالفرق بين الأُنس والحُبّ حيث نفي الأوّل وأُثبت الثّاني:

قلتُ ـ الفرق واضح فأنّ الأُنس لا يكـون إلّا لأجـل الوحشـة مـن التّفرد والوَحدَة أو لدفع الضّرر وجلب المَنفَعة وغير ذلك مـن الأمـور وأمّـا الحُبّ فليس كذلك إذ كثيراً ما يحبّ الإنسان شيئاً لنَفس ذلك الشّئ وحيث أنّ المَيّت لا يحتاج الىٰ مَيّت آخر ولا أنّه مُستوحش في قبره بكونه وَحدَه فلا أُنس له بغيره وأمّا الحُبّ فهو باق فيه بعد مَوتّه وأن لم يقدر علىٰ إظهار أثره أو آثاره ولعلّه لأجل هذه الدّقيقة ربّما يقال أنّ الأُنس من شئون الأجسام والحُبّ من شئون النّفس والرّوح:

▫ **قوله** ﷺ: **بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَىٰ التَّعَارُفِ وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ اَسْبَابُ الْاخَاءِ...**

العُرىٰ بضّم العين جمع عُروَة بضّم العَين وفتح الواو وهـي مـن الإبـريق ونحوه مقبضة أي أُذنه ومن المال ما يوثق به ما يُعوّل عـليه والمـعنىٰ أنّـهم بالموت قد بَليت واندَرَست بينهم عُرىٰ التّعارف أعني ما كانوا عّولوا عليه في الدّنيا في معرفة النّاس من المال والمقام وغير ذلك من الأمور الرّائـجة بـين النّاس في تعارفاتهم وإنقطعت وإنفصَلَت منهم أسـباب الإخـاء فأنّ المَـوت يقطع كلّ ذلك ويبقىٰ الإنسان في قبره وحيداً فريداً مَرهوناً بعَمَله كما قال ﷺ:

▫ **قوله** ﷺ: **فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ وَبِجَانِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ اَخِلاَّءُ...**

أي فكلّ الأموات في عالم القبر والبَرزَخ وَحيد فَريد والحال أنّهم في عين وحدتهم جميع بَحَسب أجسادهم القريبة وقبورهم المُلتصقة وكلّ واحد منهم مهجورٌ ممنوعٌ عن الآخر والحال أنّهم كانوا أخِلاّء أحبّاء في دار الدّنيا والأن أيضاً كذلك وهو عجيب:

▫ **قوله** ﷺ: **لاَ يَتَعَارَفُونَ لِلَيْلٍ صَبَاحاً وَلاَ لِنَهَارٍ مَسَاءً اَيُّ الْجَدِيدَيْنِ ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَداً...**

أي أنّهم فـي قـبورهم لا يـعرفون لظـلمة اللّيل صـباحاً ولا لنـهارٍ مسـاءً لخروجهم عن الدّنيا ودخولهم في عالمٍ آخر ومن المعلوم أنّ اللّيل والنّهار من

طلوع الشّمس وغروبها فإذا لم تكن شمسٌ لا يكون ليل ولا نهار ولازم ذلك هو أنّ أيّ الجديدَين من اللّيل والنّهار ظَعنُوا فيه أي ماتوا فيه كان عليهم سَرمَداً فأن ماتوا باللّيل كان اللّيل عليهم سَرمَداً وأن ماتوا بالنّهار كذلك إذ المفروض عدم اللّيل والنّهار هناك ومحصّل الكلام أنّهم لخروجهم عن الدّنيا خرجوا عن الزّمان فكلّ وقت ماتوا فيه لا يَتغير أصلاً ليلاً كان أو نهاراً فيكون سَرمَداً عليهم:

▫ **قوله ﷺ: شَاهِدُوا مِنْ اَخْطَارِ دَارِهِمْ اَفْظَعَ مِمَّا خَافُوا وَرَاَوْا مِنْ آيَاتِهَا اَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا...**

الأخطار جمع خطر والمراد بدارهم القبر وعالم البَرزَخ والمعنىٰ أنّهم بعد موتهم ودخولهم عالم البَرزَخ شاهدوا وعاينوا من النِّقمة والشِّدة فيه أفظَع وأوجَع ممّا خافوا منه في الدّنيا وسمعوه بأذانهم ورأوا في دارهم المُوحشة من آيات العذاب الموجودة فيها أعظم ممّا كانوا قدّروه في الدّنيا بأوهامهم وخيالاتهم وذلك لأنّهم قاسوا عذاب القبر وما فيه من النِّقمة بنقمات الدّنيا وعذابها ولم يعلموا أنّ ما فيه من المصائب أشدّ وأعظَم:

▫ **قوله ﷺ: فَكِلْتَا الْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إِلَىٰ مَبَاءَةٍ فَاتَتْ مَبَالِغَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ...**

المراد بالغايَتَين غاية المتّقين وغاية المُجرمين وأراد بالغاية المَوت فهو غاية لكلٍّ منهما والمَباءَة بفتح الميم والهَمزَة مكان الإستقرار والمراد بها في المقام قبورهم التّي إستقّروا فيها الىٰ يوم يُبعثون والمعنىٰ أنّ المتّقين والمجرمين قد مُدت لهما غايتهما فكلٌّ برجع الىٰ غايته أي مَوته وإستقراره في القبر فأتت مبالغ الخوف والرّجاء لهم هناك فأنّ المُتّقين يرجون رحمة الله والمجرمين يخافون عذابه وكلٌّ من الرحّمة والعذاب من الله تعالىٰ يصل اليهم فوق ما كان يبلغهم في الدّنيا بأضعاف كثيرة:

▫ **قوله ﷺ: فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُّوا بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَايَنُوا وَلَئِنْ عَمِيَتْ آثَارُهُمْ وَانْقَطَعَتْ اَخْبَارُهُمْ...**

أي فلو كانوا بقادرين علىٰ التّكلم والنّطق بهذه الأمور الفظيعة الفجيعة لَعَيوا

وعجزوا من أن يصفوها كما كانت بحَسَب المُشاهدة والمُعاينة لكثرتها وعَظمِها ولكنّهم لم يقدروا على النّطق والأخبار عمّا وقَع عليهم ولأجل هذا عَميت وإنقطعت عنّا أخبارهم:

▫ قوله ﷺ: **لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ اَبْصَارُ الْعِبَرِ وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ...**

واللّام في قوله لقد رجعت جواب للشّرط أي لأن عَميت وإنقطعت أخبارهم لَقد رجعت فيهم أبصار العِبَر فيمكن لِلأحياء أن يعتبروا بهم وسمعت عنهم أذان العَقول فيمكن لِلعاقل أن يسمع بسمع قلبه وعقله ما وَقَعوا فيه فأنّهم قد تكلّموا مع الأحياء بلسان الحال وأن لم يتكلّموا بلسان القال والحاصل أنّه إنقطع شئ ورجع ثلاث أشياء، إنقطع الخبر اللّساني ورجع أبصار العِبَر وأسماع العقول والتكّلم بلسان الحال فإعتبروا ياأُولي الأبصار.

▫ قوله ﷺ: **فَقَالُوا كَلَحَتِ الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ وَخَوَتِ الْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ...**

أي فقالوا بلسان الحال من غير جهات النّطق كَلَحَت الوُجوه النّواضر أي عَبَست الوجوه المتّصفة بحسن المَنظَر فتلاشت واضمَحَلت في القبر وَخَوت وتهدّمت وتَفرّقت أعضاء البَدَن الّذي كان في الدّنيا مُتنّعماً بأقسام النِعّم فلم يبق من نضرة الوجوه ولا من الأجساد المُتنّعمة في الدّنيا عين ولا أثر:

▫ قوله ﷺ: **وَلَبِسْنَا اَهْدَامَ الْبِلَىٰ وَتَكَاءَدَنَا ضِيقُ الْمَضْجَعِ وَتَوَارَثْنَا الْوَحْشَةَ...**

أي لَبسنا في القَبر الأثواب البالية المُرقّعة من الأكفان وغيرها إمّا (نّ الأكفان تصير كذلك في القبر بعد تلاشي الجَسَد أو (نّ الميّت له كفن من التّراب وَكَفن من الدّماء الخارجة من جسده وكيف كان شبّه ﷺ هذه الأثواب الحقيقية أو المجازية بالأثواب البالية المحيطة بالبَدَن وقوله ﷺ: **وَتَكَاءَدَنَا ضِيقُ الْمَضْجَعِ** أي شَقّ علينا ضيق القبر وتوارثنا الوَحشة والخوف من عذاب اللّه كما كانت في آبائنا وأسلافنا المتقدمين:

□ **قوله ﷺ: وَتَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ فَانْمَحَتْ مَحَاسِنُ اَجْسَادِنَا وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُوَرِنَا وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجاً وَلاَ مِنْ ضِيقٍ مُتَّسَعاً...**

التّهكُم التّهدم في البئر والرّبوع جمع رَبع بفتح الرّاء وهو المَنزل والمعنىٰ أنّ قبورنا قد تهّدَمت وسقطت علينا ووصف القبُور بالصُّمُوت لأنّها ليست كمنازل الدّنيا فأنّها ليست متّصفة بالصّمت والسّكوت بل فيها أصوات وحركات وأمّا القبور فَليست كذلك والحاصل أنّ قبورنا قد سَقَطت وخربت فأنمحت وإنعدمت بذلك محاسن أجسادنا وتنكرت وتغّيرت معارف صُورنا فلا يمكن لأحدٍ معرفتنا بالصُّور إذ لم تبق منّا إلّا عظاماً بالية بل هي أيضاً صارت تراباً فكيف يمكن معرفة الميّت وطالت في مساكن الوحشة وهي القبور إقامتنا ولم نجد من كَربٍ منها فَرَجاً ومَخلَصاً ولا من ضيق القبر مُتّسعاً أي سِعة وراحة:

□ **قوله ﷺ: فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ اَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغِطَاءِ لَكَ وَقَدْ ارْتَسَخَتْ اَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِّ فَاسْتَكَّتْ...**

أي لو تدبّرت حالاتهم بعقلك أو كُشف عنهم محجُوب الغطاء لك فتراهم بعين بصيرتك والحال أنّه قد إرتسخت أسماعهم أي ذهبت رطُوبتها ونَضَّبَت نداوتها بتسّلط الحشرات عليها، فإستكّت وإنسدّت عن الإستماع والإدراك بالكلّية:

□ **قوله ﷺ: وَاكْتَحَلَتْ اَبْصَارَهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ وَتَقَطَّعَتِ الْاَلْسِنَةُ فِي اَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلاَقَتِهَا...**

أي صار التّراب في القبر بمنزلة الكُحل في أبصارهم ففقَدت بذلك عن الأبصار وتقطعت الألسِنة وانفصَلت عن جَسَدهم وأفواههم بعد ذلاقتها وطلاقتها في النّطق قبل المَوت فلا يقدرون علىٰ الإبصار ولا علىٰ النّطق والإخبار:

▫ **قوله ﷺ: وَهَمَدَتِ الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقْظَتِهَا وَعَاثَ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلىٰ سَمَّجَهَا...**

أي وَسَكنت القلوب في صُدورهم بعد ما كانت مُتيقظة قبل المَوت وعاث أي أَفسَدَ كلّ جارحة منهم بلىٰ متّجدد أوجَب سماجتها وقبح منظرها فصارت سيّئة كريهة المنظَر.

▫ **قوله ﷺ: وَسَهَّلَ طُرُقَ الْآفَةِ اِلَيْهَا مُسْتَسْلِمَاتٍ فَلاَ اَيْدٍ تَدْفَعُ وَلاَ قُلُوبٌ تَجْزَعُ...**

أي وسَهّل طرقَ الآفة الىٰ الأبدان مُستسلمات أي حال كونها مطيعين مُنقادين لها فلا أيد لها تدفع الآفة عنها ولا قلوب تُجزع عليها والمراد بطُرق الآفة التّراب والحشرات وغيرها والأصل عدم وجود الرّوح في الجَسَد وكلّ شئ يرجع الىٰ أصله:

▫ **قوله ﷺ: لَرَاَيْتُ اَشْجَانَ قُلُوبٍ وَاَقْذَاءَ عُيُونٍ...**

جواب لَو، أي لو مثلّتهم بعقلك وهكذا لرأيتَ أشجان قلوبٍ وهُمومها وأقذاء عُيونٍ وما يسقط فيها فيؤلمها وبعبارةٍ أُخرىٰ لرأيت أُموراً فظيعة تُوجب أشجان قلوب وأقذاء عُيون وأنّما قال ﷺ قلوب وعُيون بصفة التّنكير ولم يقل أشجان القلوب وأقذاء العُيون لأنّ همّ القلب وقذء العَين لا يكون في كلّ الأفراد بل في بعضهم أو أنّ التّنكير للنّوع أي لرأيت نوعاً من أشجان القلوب وأقذاء العُيون:

▫ **قوله ﷺ: لَهُمْ فِي كُلِّ فَظَاعَةٍ صِفَةُ حَالٍ لاَ تَنْتَقِلُ وَغَمْرَةٌ لاَ تَنْجَلِي...**

أي لِ(موات في قبورهم من كلّ فظاعة وفاجعةٍ صِفة حال تختّص بهم لا تنتقل الىٰ غيرهم وغَمرةٍ وشِدّةٍ لا تَنجلي ولا تَنكشف وذلك لأنّ البّليات في كلّ عالم بَحَسبه وفي كلّ شخصٍ مَنوطٌ بعَمله:

▫ **قوله ﷺ: فَكَمْ اَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ وَاَنِيقِ لَوْنٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا غَذِيَّ تَرَفٍ وَرَبِيبَ شَرَفٍ...**

إسناد الأكِل الىٰ الأرض علىٰ سبيل الإستعارة بالكّناية تشبيهاً لها بـالأكِـل وإثبات الأكِل لها تخييلاً كإثبات الأنياب لِلأغوال والغَذّي بفتح الغين وكسـر الذّال إسم بمعنىٰ المفعول أي مَغّذي بالنِّعم والتُّرَف بفتح التّاء والرّاء مـصدر قولك تَرَف تَرفاً من باب مَنَع يقال أترَفته النّعمة أطغَته والمعنىٰ أفنَيت الأرض وأبلَت كثيراً من مَيّتٍ طَرىٰ البَدَن ورائق الحُسن من حيث الصّورة كـان فـي الدّنـيا مـتّنعماً بأنـواع النّـعم لبـطَره وطـغيانه ورُبّـي فـي عـزٍّ وشَـرَف وذلك كالسّلاطين والأشراف الّذين كانوا في الدّنيا مُنهمكين في الشّهوات مُنغمرين في النِّعم من حيث الغذاء واللّباس والمَسكن والمَقام ثـمّ صـاروا بـعد ذلك أُسارىٰ لَحَشرات الأرض:

أن قلت ـ لِمَ قال ﷺ وكم أكَلت الأرض وَلم يقل أكَلت الأرض فأنّ كلمة (**كم**) خبرية تفيد الكُثرة ومَفهومها أنّ بعض الأجساد لا يدخل تحت القاعدة:

قلت نعم – لعلّه أشار بهذا التّعبير الىٰ أنّ بعض الأجساد لا يكون مأكولاً لِلأرض كأجساد الأنبياء والأوصياء والشُّهداء والعُلماء العاملين وغيرهم ممّا وَرَد النّص بعدم تلاشي أجسادهم في القـبور وهـذا مـن المُسَـلمات عـندنا بحسب الأخبار الواردة عن المعصُومين وقد ثَبت لنا هذا بالمُشاهدة والعيان أيضاً فلا شكّ فيه:

□ **قوله ﷺ: يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ وَيَفْزَعُ إِلَى الصَّلْوةِ إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ ضَنّاً بِغَضَارَةِ عَيْشِهِ...**

ذكر ﷺ بعض أوصاف هؤلاء المُتّنعمين المُترَفين الّذين أكَلتهم الأرض:

أحدها: أنّهم كانوا في دار الدّنيا يتَعَللون ويَتشاغلون بـالسّرور فـي سـاعة حُزنهم علىٰ غفلةٍ منه ولا ينغص عيشهم أو لا يؤثّر الحُزن عليهم:

وثانيها: أنّهم كانوا يَفزعون الىٰ السّلوة أي الىٰ ما يُسّلي همّهم ويُنَسيهم أن مصيبة نَزَلت بهم ضناً وبُخلاً منهم بسعة عيشه وطيبه والحاصل أنّهم كانوا في الدّنيا يفّرون من الحُزن والمُصيبة فضلاً عن المَوت فـرار الغَـنم مـن الذّئب

ولأجل هذا كانوا يتشاغلون بما يُوجب الغَفلة وعدم التّوجه الىٰ الحوادث ولم يعلموا أنّ الدّنيا دار بالبلاء محفُوفة وغايتها المَوت الّذي لابدّ منه لكلّ أحدٍ ولا محيص عنه لكلّ مخلوق:

▫ **قوله ﷺ: وَشَحَاحَةً بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ...**

أي وثالثها إتّصافهم بالبُخل حتّىٰ لا يشوب لهما ما يكدّرهما.

ومحصّل الكلام أنّ تَعلّلهم بالسّرُور وفَزعهم الىٰ السَّلوة كان مَنشأه الضَّن بغضارة العيش والشُّح باللّهو فقالوا:

لا طـــيب للـعيش مـا دامَت مُـنغصّة
لذّاتـــه بـــإذكـــار المـــوت والهـرَم

▫ **قوله ﷺ: فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ اِلَىَ الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ الدُّنْيَا اِلَيْهِ فِى ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ...**

أمّا أنّه يضحك الىٰ الدّنيا فَلكونها جارية علىٰ وفق مراده ومتّهيئة لمقدمات عيشه ونشاطه وأمّا أنّ الدّنيا تَضحك اليه فلأنّها جَعلته مـن أبـنائها وأتـباعها وأغرَقَته في لذّاتها ونشاطها وأوقَعَته في الغَفلة.

▫ **قوله ﷺ: اِذْ وَطِئَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ وَنَقَضَتِ الْأَيَّامُ قُوَاهُ وَنَظَرَاتْ اِلَيْهِ الْحُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ...**

اي بينا هو يلعب بالدّنيا والدّنيا تَلعب به وهو في ظلّ عـيشٍ غـافلاً عـمّا ينتظره ويتّرصده إذ وَطِئ الدّهر به حَسَكَه أي أنشَبَ شوكه فيه ونقَضت الأيّام قواه فَصارت القوىٰ ضعيفة وكَليلة ونَظَرت اليه الحتُوف والمُهلكات من كَثَبٍ وقُرب وأَصل الحَتف المَوت والمراد بالحتُوف في المقام ما يكون سبباً له من العوارض والحوادث الطّارئة عـلىٰ الجَسَـد كـبياض الشّـعر وإنـحناء الظَّـهر وضـعف السّمع والبَصَر وكَثرة السّهو والنّسيان وعـدم القُـدرة عـلىٰ المَشـي والتّكلم وغير ذلك كما قال ﷺ:

▫ **قوله ﷺ: فَخَالَطَهُ بَثٌّ لاَ يَعْرِفُهُ وَنَجِيُّ هَمٍّ مَا كَانَ يَجِدُهُ وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتَرَاتُ عِلَلٍ آنَسَ مَا كَانَ بَصِحَّتِهِ...**

أي فَخالطه بَثٌّ وحُزنٌ لا يَعرفه أي لا يعلم علّته ومُوجبه ونَجيّ هَم وغَم ما كان يَجده قبل ذلك وتَولّدت فيه فتَرات وأمراض وظهر في مزاجه عِللٌ موجِبة لفتُور بدنه وضعف جسمه والحال أنّه كان مأنوساً بها بل يكون في غاية الأُنس بصحّته وسلامته:

▫ قوله ﷺ: **فَفَزِعَ اِلَىٰ مٰا كَانَ عَوَّدَهُ الْأَطِبّٰاءُ مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ وَتَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ...**

أي لمّا رأىٰ ذلك الضّعف والفتُور والأمراض والعِلَل فَفزِع والتجأ الىٰ ما كان عَوّده الأطباء سابقاً من المُعالجات وأكل الدّواء من تسكين الحَار أي الحرارة البَدنية بالنّار والبارد بالحَار فإذا رأىٰ الطّبيب في مزاجه الحرارة يعالجه بما يُبرّد المزاج وإذا رأىٰ في مزاجه البرودة يُعالجه بما يقتضي الحرارة لقولهم أنّ الأشياء تعرف بأضدادها:

▫ قوله ﷺ: **فَلَمْ يُطْفِئْ بِبَارِدٍ اِلَّا ثَوَّرَ حَرَارَةً وَلاَ حَرَّكَ بِحَارٍّ اِلَّا هَيَّجَ بُرُودَةً وَلاَ اعْتَدَلَ بِمُمَازِجٍ لِتِلْكَ الطَّبَائِعِ اِلَّا اَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ دَاءٍ...**

أي فلم يُطفِئ بدواءه المُبرّد حرارة مِزاجه بل زاد عليها وثوّرها ولا حرّك الطّبيب بدواءه الحَار برودة مِزاجه إلّا زاد عليها ولا قَصَد إعتدال المزاج بما يمازج تلك الطّبائع الحَارة والباردة إلّا أَمَدَّ منها كلّ ذات داءٍ أي أعطىٰ مَدَداً وقوّةً له والحاصل أنّه لم يَنفَعه إستعمال المُسَخن والمُبَرد إلّا عكس المطلوب ولا يقدر الطّبيب علىٰ إعادة الإعتدال الىٰ مزاجه فأنّ ذلك كلّه دليل علىٰ المَوت وهذا هو علاجه فَحَسبُ ولنعم ما قال المولوي بالفارسيّة:

بشنويد اى دوستان اين داستان
خود حقيقت نقد حال ماست آن

نقد حال خويش راگر پى بريم
هم ز دنيا هم ز عقبى بر خُوريم

بــود شــاهی در زمــانی پــیش از ایــن
مُــلک دنــیا بــودش وهــم مُلک دیـن
اتـــــفاقاً شـــاه شـــد روزی ســـوار
بـــا خـواصّ خـویش از بـهر شکـار
بـــهر صـیدی مـیشدی بـرکوه ودشت
نــاگـهان در دام عشــق او صـید گشت
یک کـــنیزک دیـــد شــه در شــاهراه
شـــد غـــلام ان کـنیزک جـان شـاه
مــرغ جـانش در قفص چون مـیطپید
داد مـــال وآن کـــنیزک را خـــرید
چـون خـرید اورا وبـرخـوردار شـد
آن کـــنیزک از قـــضا بـــیمار شـــد
آن یکـــی خـــر داشت یـالانش نـبود
یـافت یـالان گـرگ خـر را دَر ربُود
کــوزه بــودش آب نــی نـامد بـدست
آب را چون یـافت خـود کوزه شکست
شه طـبیبان جـمع کـرد از چپ وراست
گفت جان هـر دو در دست شـما است
جان من سهل است جـان جـانم اواست
دردمَـــند وخســتهام درمــانم او است
هـــرکه درمـــان کـرد مـرجـان مـرا
بُـــرد گـــنج ودُرّ ومـــرجـــان مـــرا
جـملهٔ گـفتندش کـه جـانبازی کـنیم
فَـــهم گِـــرد آریـــم آنـــبازی کـنیم

هـر یکـی از مـا مَسیح عـالمی است
هـر اَلَـم را درکـف مـا مـرهمی است
گـر خـدا خـواهـد نگـفتند از بَطَر
پس خـدا بـنمودشان عـجز بَشر
هـر چـه کـردند از عـلاج واز قـضا
گشت رنـج افـزون وحـاجت نـاروا
آن کـنیزک از مـرض چـون موی شـد
چشم شاه از اشک خون چون جوی شد
از قـضا سـرکـنگین صـفرا فـزود
روغـن بـادام خشکـی مَـی نـمود
از هـلیلة قـبض شـد اطـلاق زِفت
آب آتش را مـدد شـد هـم چـو نَفت
شـربت وادویـه واسـباب او
از طـبیبان ریـخت یَکّـر آبـرو

وقيل لجالينوس حين نَهكته العلّة أَما تَتعالج فقال إذا كان الدّاء من السّماء بَطل الدّواء من الأرض وإذا نَزل قضاء الرّب بَطَل حِرز المربُوب ولنعم ما قيل:

هَـلَك المُـداوي والمُـداواىٰ والّـذي
جـلب الدّواء وبـاعَه والمُشـتري

□ **قوله عليه السلام: حَتّىٰ فَتَرَ مُعَلِّلُهُ وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ...**

أي ما زال يتزايد المَرض في بَدنه حتّىٰ فَتَر وضعف مُعلّله أي طبيبه المُداوي له عن معالجته وقيل أي من يشغله عن التّوجه الىٰ مَرضه ويُمَنيه العافية أو عمّا يضره من الأطعمة والأشربة وذهب مُمَرضه وفي بعض النّسخ وذَهَل مُمَرضُه أي من يُواظب عليه ويقوم بأمر دواءه وغذاءه ورفع حاجاته هذا إذا قلنا مُعَلِلة بكسر اللاّم بصيغة إسم الفاعل وهكذا في قوله عليه السلام: **مُمَرِّضُهُ**

بود شاهی در زمانی پیش از این
مُلک دنیا بودش وهم مُلک دین
اتفاقاً شاه شد روزی سوار
با خواصّ خویش از بهر شکار
بهر صیدی میشدی برکوه ودشت
ناگهان در دام عشق او صید گشت
یک کنیزک دید شه در شاهراه
شد غلام ان کنیزک جان شاه
مرغ جانش در قفص چون میطپید
داد مال وآن کنیزک را خرید
چون خرید اورا وبرخوردار شد
آن کنیزک از قضا بیمار شد
آن یکی خر داشت یالانش نبود
یافت یالان گرگ خر را دَر ربُود
کوزه بودش آب نی نامد بدست
آب را چون یافت خود کوزه شکست
شه طبیبان جمع کرد از چپ وراست
گفت جان هر دو در دست شما است
جان من سهل است جان جانم اواست
دردمَند وخستهام درمانم او است
هرکه درمان کرد مرجان مرا
بُرد گنج ودُرّ ومرجان مرا
جمله گفتندش که جانبازی کنیم
فَهم گِرد آریم آنبازی کنیم

هـر یکـی از مـا مَسیح عالمی است
هـر اَلَـم را در کـف مـا مرهمی است
گـر خـدا خـواهـد نگـفتند از بَطَر
پس خـــدا بـــنمودشان عـــجز بَشَــر
هـــر چـه کـردند از عـلاج واز قـضا
گشت رنـــج افـزون وحـاجت نـاروا
آن کـنیزک از مـرض چـون موی شـد
چشم شاه از اشک خون چون جوی شد
از قـــضا ســـر کـــنگبین صـفرا فـزود
روغـــن بـــادام خشکـــی مَـی نـمود
از هــــلیلة قــــبض شــد اطـلاق زِفت
آب آتش را مــدد شــد هـم چو نَفت
شـــــربت وادویـــــه واســـباب او
از طـــبیبان رِیـــخت یَگَـــر آبــرو

وقيل لجالينوس حين نَهكته العلّة أما تتَعالج فقال إذاكان الدّاء من السّماء بَطل الدّواء من الأرض وإذا نَزل قضاء الرّب بَطَل حِرز المربُوب ولنعم ما قيل:

هَـــلَكَ المُـــداوي والمُـداوىٰ والّـذي
جـــلب الدّواء وبـــاعَه والمُشـــتري

▫ **قوله ﷺ: حَتّىٰ فَتَرَ مُعَلِّلُهُ وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ وَتَعَايَا اَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ...**

أي ما زال يتزايد المَرض في بَدنه حتّىٰ فَتَر وضـعف مُعلّله أي طـبيبه المُداوي له عن معالجته وقيل أي من يشغله عن التّوجه الىٰ مَرضه ويـمّنيه العافية أو عمّا يضّره من الأطعمة والأشربة وذهب مُمَرضه وفي بعض النّسخ وذَهَل مُمَرِضه أي من يُواظب عليه ويقوم بأمر دواءه وغذاءه ورفع حاجاته هذا إذا قلنا مُعَلِّلة بكسر اللاّم بصيغة إسم الفاعل رهكذا في قوله ﷺ: **مُمَرِّضُهُ**

وأمّا بناء على فتح اللاّم والرّاء فيها بصيغة المفعول فالمعنىٰ حتّىٰ ضعف ما كان المريض يُعَلّل به ويُمَرّض به وهو أصل المَرَض من السِّل والقُولنج والسّرطان وأمثالها وقوله ﷺ: **وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ** أي عجزوا عن وصف داءه.

▫ **قوله ﷺ: وَخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ وَتَنَازَعُوا شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ...**

أي اذا سُئل سائل عن مَرَضه خَرسُوا وكَلّوا عن جوابه كالأخرس الّذي لا يقدر علىٰ التّكلم وأنّما خَرسُوا لظهور إمارات المَوت علىٰ المَريض وتنازعوا دونه شَجيّ خبرٍ يكتمونه، معناه أنّهم إختلفوا عنده في خَبرٍ يَخفُونه منه وبعبارةٍ أُخرىٰ يجيبُون السّائل بالتّناجي والمسّارة كي لا يشعر به المريض:

▫ **قوله ﷺ: فَقَائِلٌ هُوَ لِمَا بِهِ وَمُمَنٍّ لَهُمْ أَيَابَ عَافِيَتِهِ وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَىٰ فَقْدِهِ يُذَكِّرُهُمْ أُسَىٰ الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ...**

أي فمنهم من يقول في جواب السّائل أنّ المريض علىٰ ما كان لا تفاوت فيه ومنهم من يقول لا بأس به ويُمَنّيهم عود صحّته وعافيته ومنهم من يأمرهم بالصّبر والتّحمل علىٰ فقده فيقول كلّ نفسٍ ذائقة المَوت والصّبر علىٰ المُصيبة ثوابه كذا وكذا ويذكرهم أُسىٰ الماضين من قبله أي يقول هو يمُوت كما مات من كان قبله فأنّ الموت لا إختصاص به وأمثال ذلك من الكلمات الدّالة علىٰ أنّ الأهل والعيال والأقرباء قد آيسوا من صحّته وعافيته وأنّه أشرف علىٰ المَوت:

▫ **قوله ﷺ: فَبَيْنَا هُوَ كَذٰلِكَ عَلَىٰ جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا وَتَرْكَ الْأَحِبَّةِ إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ...**

أي فَبينا هو مُشرفٌ علىٰ المَوت إذ عَرَض له عارض من غُصّصه وإعتَرض في حَلقه وأَخَذ بخناقه.

▫ **قوله ﷺ: فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ وَيَبِسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ...**

أي تاهت إدراكاته فأنّ نوافذ الفِطنة عبارة عن الأفكار النّافذة فلا يقدر علىٰ الإدراك واقعاً لإختلال حَواسه وتَشتّت أحواله ويَبَست رطوبة لِسانه في فَمه

فهو يَنظر الىٰ أهلِه ولا يقدر علىٰ التّكلم معهم ولا علىٰ تحريك أعضاءه نَعوذ باللّه من هذه الحالة:

□ **قوله عليه السلام: فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ وَدُعَاءٍ مُؤْلِمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعْظِّمُهُ اَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ...**

أي أنّ المَريض في هذه الحالة يعرف الجواب عن أُمورٍ مُهّمة كالوصّية والدّين وقضاء الصّوم والصّلوة وغيرها إلّا أنّه عاجز عن رَدّ السّائل بلسانه لعدم قُدرته علىٰ التّكلم وأيضاً كَم من دُعاءٍ مؤلم موجع بقلبه سمعه فتّصام عنه أي يظهر الصَّمَم من كبير كان يُعظّمه بيان لقوله عليه السلام ودُعاءٍ أي من كبير كان الدّعاء وهو يُعظّم المريض أو من صغير كان يتّرحم عليه وكيف كان فهو عاجز عن الجواب.

□ **قوله عليه السلام: وَاِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ اَفْظَعُ مِنْ اَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ اَوْ تَعْتَدِلَ عَلَىٰ عُقُولِ اَهْلِ الدُّنْيَا...**

أي ما ذكرناه من شدائد المَوت فهو جزء يَسير من شدائده فأنّ لِلموت لَغَمرات وشدائد كثيرة مُفظعة بحيث لا يمكن توصيفها واقعاً أو تعتدل علىٰ قلوب أهل الدّنيا فأنّ النّاس في غفلة عنه كيف لا وهو هادم اللّذات ومُفرّق الجماعات والىٰ شدائد المَوت أشار اللّه في كتابه بقوله: **﴿ وَ جَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَالِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾** (١)

و : **﴿كَلاَّ اِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ وَظَنَّ اَنَّهُ الْفِرَاقُ وَ الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ اِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾** (٢)

و : **﴿فَلَوْلَا اِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ. وَ اَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ. وَ نَحْنُ اَقْرَبُ اِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لكِنْ لَاّ تَبْصُرُونَ. فَلَوْلَا اِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ. تَرْجِعُونَهَا اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَاَمَّا اِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ. فَرَوْحٌ وَ رَيْحَانٌ وَ جَنَّتُ نَعِيمٍ. وَ اَمَّا اِنْ كَانَ مِنْ اَصْحَابِ الْيَمِينِ. فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ اَصْحَابِ الْيَمِينِ. وَ اَمَّا اِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ. فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ. وَ تَصْلِيَةُ**

١- ق - ١٩

٢- القيامة - ٣٠-٢٦

جَحِيمٍ﴾ (1)

وقد قيل في تفسير الآية الأولىٰ وهي قوله:﴿ وَ جَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ ﴾ (2) أي جاءت غمرته وشدّته التّي تغشي الإنسان وتغلب علىٰ عقله وقالوا في الآية الثّانية وهي قوله:﴿كَلَّاإِذَابَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ (3) أي إذا بلغت الرّوح التّراقي، أي العظام المكتنفة بالحلق وكُنّي بذلك عن الإشراف علىٰ الموت وقيل، أي قاله من حضر (من راق) أي هل من راق أي طبيب شاف يُرقيه ويداويه (وظنّ) أي علم عند ذلك أنّه الفراق من الدّنيا والأهل والمال والوَلد:

(روي صاحب كتاب تسلية الفؤاد عن البحار عن العسكري عن آبائه قال قيل للصّادق عليه السلام صف لنا المَوت قال عليه السلام للمؤمن كأطيب ريح يشّمه فَينعس بطيبه ويَنقطع التَّعَب والأَلَم عنه وللكافر كَلَسع الأفاعي وَلَدَغ العقارب أو أشدّ قيل فأنّ قوماً يقولون أنّه أشدّ من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض ورضخ بالأحجار وتدوير قطب الأرحية علىٰ الأحداق قال كذلك هو علىٰ بعض الكافرين والفاجرين ألا ترون منهم من يُعاين تلك الشّدائد فذالكم الّذي هو أشدّ من هذا لا من عذاب الآخرة فأنّه اشدّ من عذاب الدّنيا الخبر « ص ٤٣»...

وروي أيضاً عن الصّادق عليه السلام قال انّ عِيسىٰ بن مريم جاء الىٰ قبر يحيىٰ بن زكريا عليه السلام وكان سال ربّه ان يُحيه له فدعاه فاجابه وخرج اليه من القَبر فقال له ما تريد منّي قال أُريد أن تؤنسني كما كُنت في الدّنيا فقال له ياعيسىٰ ما سَكَنت عنّي حرارة المَوت وانت تُريد ان تُعيدني الىٰ الدّنيا وتعود عَلَّي حرارة المَوت فَتَركه وعاد الىٰ قَبره انتهىٰ « ص ٥١»...

والأحاديث الواردة في الباب كثيرة جدّاً وقد مضىٰ شطر منها سابقاً.

١- الواقعة ـ ٩٤=٨٣
٢- ق ـ ١٩
٣- القيامة ـ ٣٠=٢٦

ومن كلام له عليه السلام (٢٢٠)

قاله عليه السلام: عند تلاوته رجال لا تُلهيهم تجارة

□ قوله عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الذِّكْرَ جِلاَءً لِلْقُلُوبِ تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ وَتَبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ وَمَا بَرِحَ لِلَّهِ عَزَّتْ آلاَؤُهُ فِي الْبُرْهَةِ وَفِي أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقَظَةٍ فِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَفْئِدَةِ يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ بِمَنْزِلَةِ الْأَدِلَّةِ فِي الْفَلَوَاتِ مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ وَمَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَشِمَالاً ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ وَحَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ وَكَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ وَأَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ وَإِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلاً أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلاً فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْهُ يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ وَيَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا فَشَاهَدُوا مَاوَرَاءَ ذَلِكَ فَكَأَنَّمَا اطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الْإِقَامَةِ فِيهِ وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لاَ يَرَى النَّاسُ وَيَسْمَعُونَ مَا لاَ يَسْمَعُونَ فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةِ وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ وَفَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَنْ كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أُمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا عَنْهَا أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا وَحَمَّلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ فَضَعُفُوا عَنِ الاِسْتِقْلاَلِ بِهَا فَنَشَجُوا

جَحِيمٍ﴾(۱)

وقد قيل في تفسير الآية الأولىٰ وهي قوله:﴿ وَ جَاْءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ ﴾(٢) أي جاءت غمرته وشدّته التي تغشي الإنسان وتغلب على عقله وقالوا في الآية الثّانية وهي قوله:﴿كَلَّآإِذَابَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾(٣) أي إذا بلغت الرّوح التّراقي، أي العظام المكتنفة بالحلق وكُنّي بذلك عن الإشراف على الموت وقيل، أي قاله من حضر (من راق) أي هل من راق أي طبيب شاف يُرقيه ويداويه (وظنّ) أي علم عند ذلك أنّه الفراق من الدّنيا والأهل والمال والوَلد:

(روي صاحب كتاب تسلية الفؤاد عن البحار عن العسكري عن آبائه قال قيل للصّادق ﷺ صف لنا المَوت قال ﷺ للمؤمن كأطيب ريح يشمّه فَينعس بطيبه ويَنقطع التَّعَب والأَلَم عنه وللكافر كَلَسع الأفاعي وَلَذِع العقارب أو أشدّ قيل فأنّ قوماً يقولون أنّه أشدّ من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض ورضخ بالأحجار وتدوير قطب الأرحية على الأحداق قال كذلك هو على بعض الكافرين والفاجرين ألا ترون منهم من يُعاين تلك الشّدائد فذالكم الّذي هو أشدّ من هذا لا من عذاب الآخرة فأنّه اشدّ من عذاب الدّنيا الخبر « ص ٤٣»...

وروي أيضاً عن الصّادق ﷺ قال انّ عيسىٰ بن مريم جاء الىٰ قبر يحيىٰ بن زكريا ﷺ وكان سال ربّه ان يُحييه له فدعاه فاجابه وخرج اليه من القَبر فقال له ما تريد منّي قال أُريد أن تؤنسني كما كُنت في الدّنيا فقال له ياعيسىٰ ما سَكَنت عنّي حرارة المَوت وانت تُريد ان تُعيدني الىٰ الدّنيا وتعود عَلّي حرارة المَوت فَتَركه وعاد الىٰ قَبره انتهىٰ « ص ٥١»...

والأحاديث الواردة في الباب كثيرة جدّاً وقد مضىٰ شطر منها سابقاً.

١- الواقعة- ٩٤=٨٣

٢- ق-١٩

٣- القيامة- ٣٠=٢٦

ومن كلام له عليه السلام (٢٢٠)

قاله عليه السلام: عند تلاوته رجال لا تُلهيهم تجارة

□ قوله عليه السلام: إِنّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الذِّكْرَ جَلاَءً لِلْقُلُوبِ تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ وَتَبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمَعَانَدَةِ وَمَا بَرِحَ لِلّٰهِ عَزَّتْ الاَؤُهُ فِي الْبُرْهَةِ وَفِي اَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقَظَةٍ فِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَفْئِدَةِ يُذَكِّرُونَ بِاَيَّامِ اللّٰهِ وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ بِمَنْزِلَةِ الْأَدِلَّةِ فِي الْفَلَوَاتِ مَنْ اَخَذَ الْقَصْدَ حَمِدُوا اِلَيْهِ طَرِيقَهُ وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ وَمَنْ اَخَذَ يَمِيناً وَشِمَالاً ذَمُّوا اِلَيْهِ الطَّرِيقَ وَحَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ وَكَانُوا كَذٰلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ وَاَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ وَاِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلاً اَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلاً فَلَمْ تَشْغَلَهُمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْهُ يَقْطَعُونَ بِهِ اَيَّامَ الْحَيَاةِ وَيَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللّٰهِ فِي اَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ وَيَاْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَاْتَمِرُونَ بِهِ وَيَنْهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ فَكَاَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا اِلَى الآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا فَشَاهَدُوا مَاوَرَاءَ ذٰلِكَ فَكَاَنَّمَا اطَّلَعُوا غُيُوبَ اَهْلَ الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الْاِقَامَةِ فِيهِ وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذٰلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حَتَّى كَاَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لاَ يَرَى النَّاسُ وَيَسْمَعُونَ مَا لاَ يَسْمَعُونَ فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمْ الْمَحْمُودَةِ وَمَجَالِسِهِمْ الْمَشْهُودَةِ وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ اَعْمَالِهِمْ وَفَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ اَنْفُسِهِمْ عَنْ كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أُمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا عَنْهَا اَو نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا وَحَمَّلُوا ثِقَلَ اَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ فَضَعُفُوا عَنِ الاسْتِقْلاَلِ بِهَا فَنَشَجُوا

نَشِيجاً وَتَجَاوَبُوا نَحِيباً يَعِجُّونَ اِلىٰ رَبِّهِمْ مِنْ مَقَاوِمِ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ لَرَاَيْتَ اَعْلاَمَ هُدىً وَمَصَابِيحَ دُجىً قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلاَئِكَةُ وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَفُتِحَتْ لَهُمْ اَبْوَابُ السَّمَاءِ وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ فِي مَقَامٍ اطَّلَعَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ فَرَضِيَ سَعْيَهُمْ وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ رَهَائِنُ فَاقَةٍ اِلىٰ فَضْلِهِ وَأُسَارَىٰ ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ جَرَحَ طُولُ الْأَسىٰ قُلُوبَهُمْ وَطُولُ الْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ لِكُلِّ بَابِ رَغْبَةٍ اِلَىٰ اللّٰهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ يَسْأَلُونَ مَنْ لاَ تَضِيقُ لَدَيْهِ الْمَنَادِحُ وَلاَ يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ.

فِي فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ فَاِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ.

◁ اللغة

(الْوَقْرَةِ) بفتح الواو وسكون القاف وفتح الرّاء بعده ثقل في السّمع (الْعَشْوَةِ) بضم العين وسكون الشّين وفتح الواو ضعف البَصر (الْفَتَرَاتِ) محّركة جمع الفَترة ما بين الشّيئين (الْفَلَوَاتِ) جمع الفلاة وهي الأرض الخالية (يَهْتِفُونَ) من هَتَفت الحمامة اذا صاتَت وصاحَت (عِدَاتِهَا) بكسر العين جمع عِدة بكسرها أيضاً وهي الوَعد (دَوَاوِينَ) جمع ديوان (نَشَجُوا) نَشج الباكي غصّ بالبكاء في حَلقه (نحيباً) بالحاء المهملة رفع الصّوت بالبكاء (يَعِّجُون) أي يَضّجُون ويصيحون من مواقف النّدم (يَتَنَسَّمُونَ) تنسيم النّسيم تشّممه (الأسىٰ) الحُزن (الْمَنَادِحُ) جمع مندُوحة وهي كالنُّدحة بالضّم والفتح المُتّسع من الأرض (حَسِيبٌ) الحسيب المُحاسب.

◁ المعنىٰ

(اِنّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الذِّكْرَ جَلاَءً) وصفاءً (لِلْقُلُوبِ) المُتّصفة به (تَسْمَعُ) القلُوب (بِهِ) بالذّكر (بَعْدَ الْوَقْرَةِ) والصَّمَم فتصير القلُوب مستّعدة لإستماع كلام اللّه وذكره (وَتَبْصِرُ) القلُوب (بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ) أي تصير القلوب بسببه بصيرة بعد ضعفها (وَتَنْقَادُ) القلوب (بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ) أي بعد كونها غير مُنقادة (وَمَا

بَرِحَ) أي ما زال (لِلّٰهِ) أي يكون له تعالىٰ (عَزَّتْ الآؤُهُ) وجلّ ثنائه (فِي الْبُرْهَةِ) بعد البُرهة أي في بُرهةٍ من الزمان بعد بُرهةٍ أُخرىٰ (وَفِي اَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ) من الرُّسُل (عِبَادٌ نَاجَاهُمْ) أي ناجاهم اللّه (فِي فِكْرِهِمْ) وألهَمَهم معرفته (وَكَلَّمَهُمْ) اللّه (فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ) وباطنهم سَراً (فَاسْتَصْبَحُوا) العباد (بِنُورِ يَقَظَةٍ فِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَفْئِدَةِ) بسبب إستيقاظهم عن نوم الغفلة (يُذَكِّرُونَ) النّاس (بِاَيَّامِ اللّٰهِ وَيُخَوِّفُونَ) النّاس (مَقَامَهُ بِمَنْزِلَةِ الْأَدِلَّةِ فِي الْفَلَوَاتِ) أي أنّ المذّكرين في النّاس بمنزلة الأدلّة والعَلائم في البوادي (مَنْ اَخَذَ الْقَصْدَ) أي قَصد السّبيل (حَمِدُوا اِلَيْهِ طَرِيقَهُ وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ) من عذاب اللّه (وَمَنْ اَخَذَ) الطّريق (يَمِيناً وَشِمَالاً) ولم يقصد قصد السّبيل (ذَمُّوا اِلَيْهِ الطَّرِيقَ) فقالوا أنّه مذموم (وَحَذَّرُوهُ) وخوّفوه (مِنَ الْهَلَكَةِ) في الدّارين (وَكَانُوا) المذّكرون (كَذٰلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ وَاَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ) في طريق السّلوك الىٰ اللّه (وَاِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلاً اَخَذُوهُ) أي أخذوا الذّكر (مِنَ الدُّنْيَا بَدَلاً فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ) ولم تَمنعهم (تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ) عن الذّكر (يَقْطَعُونَ بِهِ) أي بالذّكر (اَيَّامَ الْحَيَاةِ وَيَهْتِفُونَ) ويصيحون (بِالزَّوَاجِرِ) والمواعظ (عَنْ مَحَارِمِ اللّٰهِ فِي اَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ وَيَاْمُرُونَ بِالْقِسْطِ) والعَدل (وَيَاْتَمِرُونَ بِهِ) بالعَدل (وَيَنْهَوْنَ) النّاس (عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ) بأنفسهم (فَكَاَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا اِلَى الْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا) في الدّنيا (فَشَاهَدُوا مَاوَرَاءَ ذٰلِكَ) العالَم وهو الآخرة (فَكَاَنَّمَا اطَّلَعُوا غُيُوبَ اَهْلَ الْبَرْزَخِ فِي طَوْلِ الْاِقَامَةِ فِيهِ) بعين البَصيرة واليَقين (وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا) ومَواعيدها (فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذٰلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حَتَّىٰ كَاَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لاَ يَرَى النَّاسُ وَيَسْمَعُونَ مَا لاَ يَسْمَعُونَ) أي أنّهم بسبب المواعظ الحَسَنة يجعلون النّاس علىٰ بصيرة في دينهم (فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ) أي فلو مثّلتَ هؤلاء الأخيار (لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمْ الْمَحْمُودَةِ وَمَجَالِسِهِمْ الْمَشْهُودَةِ وَقَدْ نَشَرُوا) أي والحال أنّهم قد نشروا (دَوَاوِينَ اَعْمَالِهِمْ وَفَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ اَنْفُسِهِمْ عَنْ كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أُمِرُوا) من جانب اللّه تعالىٰ (بِهَا فَقَصَّرُوا) وقَصروا (عَنْهَا اَو

نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا) وقصّروا (**فِيهَا وَحَمَّلُوا ثِقَلَ اَوْزَارِهِمْ**) وآثامهم، (**ظُهُورَهُمْ فَضَعُفُوا عَنِ الاسْتِقْلاَلِ بِهَا**) أي ضعفوا عن حمل الأوزار (**فَنَشَجُوا**) وبكوا (**نَشِيجاً**) أي بكاء متوجع (**وَتَجَاوَبُوا**) أي جاوب بعضهم بعضاً (**نَحِيباً**) بالنّحيب والبكاء الشّديد (**يَعِجُّونَ**) ويتّضرعون أو يرفعون أصواتهم (**اِلىٰ رَبِّهِمْ مِنْ مَقَاوِمِ نَدَمٍ**) على ما فعلوا (**وَاعْتِرَافٍ**) بذنوبهم (**لَرَاَيْتَ اَعْلاَمَ هُدىً**) هذا جواب قوله ﷺ فلو مثّلتهم وتصورتّهم بحالاتهم لرأيت أعلام هدىً يهتدي بآثارهم (**وَمَصَابِيحَ دُجىً**) يقتبس من أنوارهم (**قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلاَئِكَةُ وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَفُتِحَتْ لَهُمْ اَبْوَابُ السَّمَاءِ وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ فِي مَقَامٍ اطَّلَعَ اللّهُ**) وأشرف (**عَلَيْهِمْ فِيهِ**) وهو مقام القُرب (**فَرَضِيَ**) اللّه (**سَعْيَهُمْ**) في الدّنيا (**وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ يَتَنَسَّمُونَ**) ويشّمون (**بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ**) أي يتّوقعون التّجاوز بدعائهم له (**رَهَائِنُ فَاقَةٍ اِلَىٰ فَضْلِهِ**) فأنّهم محتاجون الىٰ فضله (**وَأُسَارَىٰ ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ**) لكونهم كالأسير بالنّسبة الىٰ عظمته (**جَرَحَ طُولُ الْأَسَىٰ**) والحُزن (**قُلُوبَهُمْ وَطُولُ الْبُكَاءِ**) أي وجَرح طول البكاء (**عُيُونَهُمْ لِكُلِّ بَابِ رَغْبَةٍ اِلَىٰ اللّهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ**) بسبب قُربهم الىٰ اللّه (**يَسْاَلُونَ مَنْ لاَ تَضِيقُ لَدَيْهِ الْمَنَادِحُ**) وهو اللّه تعالىٰ لكونه واسع الرّحمة (**وَلاَ يَخِيبُ**) ولا ييأس (**عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ**) اليه من فضله وكرمه (**فِي فَحَاسِبْ نَفْسَكَ**) في الدّنيا (**لِنَفْسِكَ فَاِنَّ غَيْرَهَا غَيْرُكَ**) أي غير نفسك (**مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ**) ومحاسب غيرك:

◁ الشّرح

إعلم: أنّ هذه الكلام أنما صدر عنه ﷺ عند تلاوته قوله تعالىٰ: ﴿ **رِجَالٌ لاٰ تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلاٰ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَأقَامِ الصَّلٰوةِ وَاِيتَاءِ الزَّكٰوةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فيهِ الْقُلُوبُ وَالْاَبْصارُ**﴾ (١)

والمعنىٰ، رجالٌ لا تلهيهم أي لا تشغلهم ولا تمنعهم تجارة ولا بَيعٌ عن ذكر

١- النّور - ٣٧

اللّه وأقام الصّلٰوة وإيتاء الزّكٰوة يخافون يوماً، وهو يوم القيامة، تتقّلب وتضطرب فيه القلوب والأبصار والمقصود أنّ الدّنيا وما فيها من المشاغل والموانع لا تقدر علىٰ منعهم عن ذكر اللّه تعالىٰ فأنّهم يقّدمون الذّكر علىٰ كلّ شيئ أو أنّ من ذاق حلاوة ذّكر اللّه لا يتّوجه الىٰ غيره لقوله تعالىٰ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (١)

▫ قوله ﷺ: **إِنَّ اَللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الذِّكْرَ جَلاَءً لِلْقُلُوبِ تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ وَتَبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمَعَانَدَةِ...**

الذِّكر تارةً يقال ويراد به هَيئتَه لِلنّفس بها يمكن لِلإنسان أن يحفظ ما يقتنيه ويكتسبه من المعرفة وهو كالحِفظ إلّا أنّ الحفظ يقال بإعتبار إحرازه والذّكر يقال بإعتبار إستحضاره، وتارةً أُخرىٰ يقال لحضور الشّيئ في القلب أو القَول قاله الرّاغب في المفردات وسنتكلم فيه في خاتمة البحث إنشاء اللّه تعالىٰ:

والّذي نقول في المقام أنّ المراد بالذّكر إمّا الذّكر اللّساني أو الأعمّ منه ومن العَمَلي والحالي وكيف كان فلا شكّ أنّه يوجب صفاء القلب وقد حثّ اللّه تعالىٰ عباده عليه في كتابه ،قال اللّه تعالىٰ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ فَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ (٢)

وقال تعالىٰ حكاية عن مُوسىٰ ﷺ ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً﴾ (٣)

و: ﴿ اَلَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَ قُعُوداً وَّ عَلىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (٤)

و: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْأَبْكَارِ﴾ (٥)

و: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾ (٦)

و: ﴿يَاأَيُّهَاالَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُو اللَّهَ كَثِيراً﴾ (٧)

و: ﴿وَاذْكُرُوا اللّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٨)

١- الرعد/ ٢٨
٢- البقرة ـ ١٥٢
٣- طه ـ ٣٣/٣٤
٤- آل عمران ـ ١٩١
٥- آل عمران ـ ٤١
٦- الاعراف ـ ٢٠٥
٧- الاحزاب ـ ٤١
٨- الجمعة ـ ١٠

و : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ والآيات كثيرة:

ومن الأخبار الواردة في مَدحه ما رواه في كتاب مشكاة الأنوار عن كتاب المحاسن عن الحسن البزّاز عن أبي عبد اللّه عليه السلام في حديث قال ألا أُحدّثكم بأشدّ ما إفترض اللّه على خلقه فَذَكَر له ثلاثة أشياء، الثّالث منها ذكر اللّه من كلّ موطن إذا هَجم على طاعةٍ أو معصية انتهى «ص ٥٣»...

وعنه عليه السلام قال مِن أشدّ ما فرض اللّه على خلقه ذكر اللّه كثيراً ثمّ قال أما لا أعني سبحان اللّه والحمد لِلّه ولا إله إلّا اللّه واللّه أكبر وأن كان منه ولكن ذكر اللّه عند ما أحلّ وحَرّم فأن كان طاعة عَمل بها وأن كان معصية تركها انتهى«ص ٥٤»...

وعن الباقر عليه السلام ثلاثة - سالم وغانم وشاجب فالسّالم الصّامت والغانم الذّاكر لِلّه والشّاجب الّذي يلفظ ويقع في النّاس انتهى...

وعن بعض أصحاب أبي عبد اللّه عليه السلام قال قلت له من أكرم الخلق على اللّه قال أكثرهم ذكراً لِلّه وأعلمهم بطاعته انتهى«ص ٥٤»...

وعن يونس بن عبد الرّحمٰن رفعه قال لقمان لإبنه يابني إختم المجالس على عَينيك فاذا رأيت قوماً يذكرون اللّه عزّ وجلّ فأجلس معهم فأنك إن تكن عالماً يزيدوك علماً وإن كنت جاهلاً عَلمّوك ولعّل اللّه أن يظلّلهم برحمةٍ فيعمّك مَعهم وإذا رأيت قوماً لا يذكرون فلا تجلس معهم فإنك إن تكن عالماً لا ينفعك علمك وإن تكن جاهلاً يزيدوك جهلاً ولعّل اللّه أن يظلّلهم بعقوبة فَيَعمّك مَعَهم انتهى «ص ٥٤»...

وقال النبّي صلى الله عليه وآله يا علي سيّد الأعمال ثلاث خصال إنصافك من نفسك ومواساة الأخ في اللّه وذكر اللّه على كلّ حال انتهى...

وقال صلى الله عليه وآله -أيّما إمرؤٌ مسلم جلس في مصّلاه الّذي يصلي فيه الفجر يذكر اللّه حتّى تطلع الشّمس كان له من الأجر كحاجّ بيت اللّه وغفر له انتهى «ص ٥٥»...

- الانفال ـ ٢

وقال ﷺ إذا وَجدتُم رياض الجَنّة فأرتَعُوا فيها قالوا وما رياض الجنّة يا رسُول اللّه قال مجالس الذِّكر وقال ما جلس قَومٌ يذكرون اللّه إلّا نادىٰ بهم مناد من السّماء قوموا فقد بُدّلت سيئاتكم حَسَنات وغفر لكم جميعاً وما قعد عدّة من أهل الأرض يذّكرون اللّه إلّا قعد معهم عدّة من الملائكة وقال ما جلس قوم يذكرون اللّه إلّا حفّتهم الملائكة وغَشتهم الرّحمة وتنزّلت عليهم السّكينة فيمن عندهم انتهىٰ «ص ٥۶»...

وقال موسىٰ عليه السلام فما جزاء من ذكرك بلسانه وقلبه قال ياموسىٰ أظلّله يوم القيامة بظلّ عرشي وأجعله في كنفي انتهىٰ...

أقول: الأحاديث في مَدح الذّكر كثيرة وأنت ترىٰ أنّه يظهر من بعضها الذّكر اللّساني ومن بعض آخر الذِّكر العَمَلي ومن بعض آخر الذّكر القَلبي وعليه فحمل الذّكر في كلامه عليه السلام علىٰ معناه العامّ أكمل وأشمل وأمّا أنّ الذّكر جلاء للقلوب فقد ظهر ممّا ذكرناه من الأحاديث اذ أيّ جلاءٍ للقلب أحسَن من ذكر اللّه وقد ورد (عن النبي ﷺ أنّه قال لا تكثروا الكلام بغير ذكر اللّه فأنّ كثرة الكلام بغير ذكر اللّه تقسي القلب وأنّ أبعد النّاس من اللّه القاسي القلب انتهىٰ «مشكاة الانوار ص ۵۶»...

وإذا كانت حياة القلب بذكر اللّه ومماته بعدم ذكره أو بذكر غيره فيكون الذّكر جلاء له وهو المطلوب ثمّ بعد ذلك قد رتّب عليه السلام علىٰ جلاء القلوب بذكر اللّه أموراً ثلاثة كلّها من آثار جلاءه:

أحدها: قوله عليه السلام: **تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ،** أي إذا جَلَت القلوب تَسمَع به أي بسبب الذّكر بعد كونها متّصفة بالوَقرة والثِقل، وبعبارةٍ أخرىٰ القلب قبل صفاءه وجلائه بذكر اللّه يكون ثقيلاً بطيئاً في فهم الحقائق مَحجُوباً عن دَركها مستُوراً تحت غشاء القَسوَة لعدم توجّهه الىٰ ربّه وغفلته عن خالقه والغفلة أكبر الموانع عن درك الواقعيات وقبول الحقائق وقد ثبت أنّ القلب الإنساني كالمرآة الّتي ينظُر فيها فاذا كانت المرآة متّصفة بالصّفاء والجَلاء تنتقش الصّورة فيها وإذا

و: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ والآيات كثيرة:

ومن الأخبار الواردة في مَدحه ما رواه في كتاب مشكاة الأنوار عن كتاب المحاسن عن الحسن البزّاز عن أبي عبد اللّه عليه السلام في حديث قال ألا أُحدّثكم بأشدّ ما إفترض اللّه علىٰ خلقه فَذكَر له ثلاثة أشياء، الثّالث منها ذّكر اللّه من كلّ موطن إذا هَجم علىٰ طاعةٍ أو معصية انتهىٰ «ص ٥٣»...

وعنه عليه السلام قال مِن أشدّ ما فرض اللّه علىٰ خلقه ذكر اللّه كثيراً ثمّ قال أمالا أعني سبحان اللّه والحمد لِلّه ولا إله إلّا اللّه واللّه أكبر وأن كان منه ولكن ذكر اللّه عند ما أحلّ وحَرّم فأن كان طاعة عَمل بها وأن كان معصية تركها انتهىٰ«ص ٥٤»...

وعن الباقر عليه السلام ثلاثة – سالم وغانم وشاجب فالسّالم الصّامت والغانم الذّاكر لِلّه والشّاجب الّذي يلفظ ويقع في النّاس انتهىٰ...

وعن بعض أصحاب أبي عبد اللّه عليه السلام قال قلت له من أكرم الخلق علىٰ اللّه قال أكثرهم ذكراً لِلّه وأعلمهم بطاعته انتهىٰ«ص ٥٤»...

وعن يونس بن عبد الرّحمٰن رفعه قال لقمان لإبنه يابني إختم المجالس علىٰ عَينيك فاذا رأيت قوماً يذكرون اللّه عزّ وجلّ فأجلس معهم فأنك إن تكن عالماً يزيدوك علماً وإن كنت جاهلاً عَلمّوك ولعَل اللّـه أن يـظلّلهم بـرحـمةٍ فيعمّك مَعهم وإذا رأيت قوماً لا يذكرون فلا تجلس معهم فإنك إن تكن عالماً لا ينفعك علمك وإن تكن جاهلاً يزيدوك جهلاً ولعّل اللّه أن يظلّلهم بـعقوبة فَيَعمُّك مَعَهم انتهىٰ «ص ٥٤»...

وقال النبّي صلى الله عليه وآله يا علي سيّد الأعمال ثلاث خصال إنـصافك مـن نـفسك ومواساة الأخ في اللّه وذكر اللّه علىٰ كلّ حال انتهىٰ...

وقال صلى الله عليه وآله –أيّما إمرؤٌ مسلم جلس في مصّلاه الّذي يصلي فيه الفجر يذكر اللّه حتّىٰ تطلع الشّمس كان له من الأجر كحاجّ بيت اللّه وغفر له انتهىٰ «ص ٥٥»...

- الانفال ـ ٢

وقال ﷺ إذا وَجدتُم رياض الجَنّة فأرتَعُوا فيها قالوا وما رياض الجنّة يا رسُول اللّه قال مجالس الذِّكر وقال ما جلس قَومٌ يذكرون اللّه إلّا نادىٰ بهم مناد من السّماء قوموا فقد بُدّلت سيئاتكم حَسَنات وغفر لكم جميعاً وما قعد عدّة من أهل الأرض يذّكرون اللّه إلّا قعد معهم عدّة من الملائكة وقال ما جلس قوم يذكرون اللّه إلّا حفّتهم الملائكة وغَشتهم الرّحمة وتنزّلت عليهم السّكينة فيمن عندهم انتهىٰ «ص ٥٦»...

وقال موسىٰ ؑ فما جزاء من ذكرك بلسانه وقلبه قال ياموسىٰ أظلّه يوم القيامة بظلّ عرشي وأجعله في كنفي انتهىٰ...

أقول: الأحاديث في مَدح الذّكر كثيرة وأنت ترىٰ أنّه يظهر من بعضها الذّكر اللّساني ومن بعض آخر الذِّكر العَمَلي ومن بعض آخر الذّكر القَلبي وعليه فحمل الذّكر في كلامه ؑ علىٰ معناه العامّ أكمل وأشمل وأمّا أنّ الذّكر جلاء للقلوب فقد ظهر ممّا ذكرناه من الأحاديث اذ أيّ جلاءٍ للقلب أحسَن من ذكر اللّه وقد ورد (عن النّبي ﷺ أنّه قال لا تكثروا الكلام بغير ذكر اللّه فأنّ كثرة الكلام بغير ذكر اللّه تقسي القلب وأنّ أبعد النّاس من اللّه القاسي القلب انتهىٰ «مشكاة الانوار ص ٥٦»...

وإذا كانت حياة القلب بذكر اللّه ومماته بعدم ذكره أو بذكر غيره فيكون الذّكر جلاء له وهو المطلوب ثمّ بعد ذلك قد رتّب ؑ علىٰ جلاء القلوب بذّكر اللّه أُموراً ثلاثة كلّها من آثار جلاءه:

أحدها: قوله ؑ: **تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ**، أي إذا جَلَت القلوب تَسمَع به أي بسبب الذّكر بعد كونها متّصفة بالوَقرة والثّقل، وبعبارةٍ أُخرىٰ القلب قبل صفاءه وجلائه بذكر اللّه يكون ثقيلاً بطيئاً في فهم الحقائق مَحجُوباً عن دَركها مستُوراً تحت غشاء القَسوَة لعدم توجّهه الىٰ ربّه وغفلته عن خالقه والغفلة أكبر الموانع عن درك الواقعيات وقبول الحقائق وقد ثبت أنّ القلب الإنساني كالمرآة الّتي ينظّر فيها فاذا كانت المرآة متّصفة بالصّفاء والجَلاء تنقش الصّورة فيها وإذا

كانت كثيفة فلا وهكذا القلب ثمّ أنّ في قوله ﷺ: **تَسْمَعُ بِهِ** حيث أثبَت السّمع للقلب وقوله وتُبصر به وتنقاد به حيث أثبَت له البَصَر والإنقياد وأسند الفعل اليه إستعارات وذلك لأنّه ﷺ شبّه القلب بمَن له السّمع والبَصَر ثمّ أثبتهما له تَخييلاً هذا إذا قلنا أنّ قوله ﷺ: **تَسْمَعُ** أي تَسمَع القلُوب وتُبصر القلُوب وتَنقاد القلُوب فأنّ إسناد الفعل اليها علىٰ سبيل المجاز، ويمكن حَمله علىٰ الحقيقة بناء علىٰ ما هو التّحقيق من أنّ القلب هو الّذي يَسمَع ويَبصر ويَشّم ويذُوق وهكذا لا السّامعة والباصرة والذّائقَة وأنّما هي آلات وأسباب لدرك القلب وعليه فلا تَجُوَز في الكلام بل خَرج مَخرج الحقيقة وقد مَرّ تَحقيق هذا البحث مفّصلاً فيما مضىٰ:

وفي المقام إحتمال آخر وهو أن يكون قوله ﷺ: **تَسمَع وتَبصُر** وتَنقاد، التّاء فيها للخطاب والمعنىٰ أنت تَسمَع بسبب الذّكر وأنت تُبصر وأنت تنقاد وعليه فالفعل لم يُسند الىٰ القلوب بل أُسند الىٰ المخاطب فلا مجاز ولا إستعارة ويُسّمىٰ هذا في علم البلاغة بالإلتفات من الغَيبة الىٰ الخطاب وعليه فالمعنىٰ أنّ اللّه تعالىٰ جَعَل الذّكر جلاءً للقلُوب فإذا جلىٰ القلب تَسمَع أنتَ بسَبَب الذّكر بعد الوَقرة أي بعد ما كُنتَ متّصفاً بثقل السّامعة وضَعف الباصرة وعدم الإنقياد لأوامره تعالىٰ ونواهيه أعني بها الجوارح المخصوصة بل سامعة القلب وباصرته وإنقياده والحاصل أنّ قلبك بعد كونه متّصفاً بعدم درك الحقائق وإطاعة الرّب صار بعد جلائه بالذّكر متّصفاً بهذه الأمور فَخَرجت به عن مِصداق قوله تعالىٰ: **﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لايَفْقَهُونَ بِها وَ لَهُمْ اَعْيُنٌ لايُبْصِرُونَ بِها وَ لَهُمْ آذانٌ لايَسْمَعُونَ بِها﴾** (١)

و: **﴿صُمٌ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لايَرْجَعُونَ﴾** (٢)

ودَخَلت في مصداق قوله: **﴿ اِنَّمَاالْمُؤْمِنُونَ الَّذينَ اِذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾** (٣)

١- الاعراف ـ ١٧٩
٢-البقرة ـ ١٨
٣-الانفال ـ٢

ومحصّل الكلام أنّ القلوب بعد الجلاء بذكر اللّه تصير مستّعدة لإستماع كلام اللّه والمواعظ الحقّة:

وثانيها: قوله ﷺ: **وَتَبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ**، أي والقلوب تصير مُبصرة بعد غشاؤها أو أنت تبصر بسبب الذّكر المُجّلي للقلوب بعد ضعف بصيرتك:

وثالثها: قوله ﷺ: **وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمَعَانَدَةِ** أي تنقاد القلوب لأوامره ونواهيه بعد عنادها أو تنقاد أنت كذلك والمآل واحد من حيث المعنىٰ وأنّما الفَرق بالمجاز والحقيقّة والجامع أنّ القلب الخالي عن ذكر اللّه لا يَسمَع الحقّ ولا يَبصره ولا ينقاد بالنّسبة اليه وهو صحيح فأنّها من ثمرات صفاء القلب لا من ثَمرات نفس القلب وهو واضح وصفاء القلب يسري الىٰ صفاء جميع الأعضاء فأنّه الأصل والأعضاء فروع عليه تدور مداره في الجلاء وعَدمَه:

قال بعض الصّادقين الذّكر مقسوم علىٰ سبعة أعضاء، **اللّسان، والرّوح، والنّفس، والعقل، والمعرفة، والسّر، والقلب**، وكلّ واحدٍ يحتاج الىٰ إستقامة، فإستّقامة اللّسان صدق الإقرار، وإستّقامة الرّوح صدق الإحتضار وإستّقامة النّفس صدق الإستغفار وإستقامة القلب صدق الإعتذار، وإستقامّة العقل صدق الإعتبار وإستقامّة المعرفة صدق الإفتخار وإستّقامة السّر السّرور بعالَم الأسرار وذكر اللّسان الجَهر والثّناء، وذكر النّفس الجهد والعناء وذكر الرّوح الخوف والرّجاء وذكر القلب الصّدق والصّفاء وذكر العقل التّعظيم والحياء وذكر المعرفة التّسليم والرّضا وذكر السّر الرّؤية واللِّقاء والأصل في الكلّ ذكر القلب وصفاءه والباقي فرعٌ عليه:

▫ **قوله ﷺ: وَمَا بَرِحَ لِلَّهِ عَزَّتْ الاَؤُهُ فِي الْبُرْهَةِ وَفِي اَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ...**

أي انّ اللّه تعالىٰ بحكمته البالغة ولطفه الشّامل لم يخل أرضه قطّ من أهل الذّكر بل ما زال كان لِللّه تعالىٰ عزّت آلاءه وجَلت نعمانه في كلّ برهةٍ من الزّمان وفي أزمان الفَترات الخالية من الأنبياء عباد مُكرَمُون ناجاهم اللّه تعالىٰ

في فِكرهم وكلمَهم في ذات عقولهم سِرّاً وباطناً فَحِفظَهم بذلك عن الزّلات وأَبعَدهم عن الخطيئات وجَعَلهم حجّة علىٰ العباد وقد يُعبّر عنهم بالأوتاد:

أن قلت فَمَن كان في زمان الفترة بين عيسىٰ ونبّينا من العباد المشار اليهم في كلامه عليه السلام قلت الأوتاد في زمان الفَترة أبو طالب وعبد المطّلب وهاشم وعبد مناف وهكذا واحداً بعد واحدٍ من الأصلاب الشّامخة الخارجة عن الأرحام المطّهرة فأنّ الوصفين اللّذين ذكرَهَما في المقام كانا موجودين فيهم ألا ترىٰ أنّ عبد المطّلب جَعَل الأشواط حول الكَعبة سبعة ودية المقتول مائة أبل وحرّم نكاح أزواج الأب علىٰ الأولاد وهكذا ثمّ قرّرها الشّريعة المُقدّسة فلو لا أنّه كان ممّن ناجاه ربّه في فكره وكلّمه في عَقله لَما كان كذلك وقد ورد في أحاديثنا ما يدّل علىٰ كونهم أولياء اللّه بل أوصياء ولولا أنّهم كذلك فكيف يقال في الزّيارة **أشهد أنّك كُنت نوراً في الأصلاب الشّامخة** فأنّ العاصي لا يكون شامخاً وحاملاً لنور النبّي صلى الله عليه وآله :

ثمّ أنّ المراد بقوله عليه السلام: **نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ** أنّ اللّه تعالىٰ حَفِظَهم عن الخطأ في الفكر وصانهم عن الزّلة في العقل فإسناد النّجوىٰ والتّكلم اليه تعالىٰ معناه إيجاد النّجوىٰ وإيجاد الكلام كما مَرّ في باب الصّفات وكيف كان ففيه إيماء الىٰ كونهم مشمولين لَرحمته وعنايته:

▫ **قوله عليه السلام: فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقَظَةٍ فِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَفْئِدَةِ...**

أي فأستصبحُوا هؤلاء الرّجال الّذين جَعَل اللّه الذّكر جلاءً لقلُوبهم بنور يقظةٍ في السّمع والبَصر والقلب وذلك لإنتباههم من نوم الغفلة وخروجهم من الظّلمات الىٰ النّور:

▫ **قوله عليه السلام: يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللّٰهِ وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ بِمَنْزِلَةِ الْأَدِلَّةِ فِي الْفَلَوَاتِ...**

شرع في بيان أوصافهم وآثارهم فأنّ لكلّ شيءٍ علامَة وعدّ منها أموراً:

أحدها: أنّهم يذكّرون النّاس بأيّام اللّه أي سُنّته وأفعاله في عباده من أنعامٍ وإنتقامٍ وفيه إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: حيث قال﴿ **وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِأَيَاتِنَا أَنْ**

﴿اَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾(١)

وقد إختلفوا في معنىٰ المراد بأيّام اللّه:

فقال بعض المُفسرين أنّ معناه وأمرناه بأن يذكر قومه وقائع اللّه في الأُمَم الخالية وإهلاك من أُهلك منهم ليحذروا ذلك نقله الطّبرسي في المجمع عن ابن زيد والبّلخي ثمّ قال ويعضده قول عمرو بن كلثوم حيث قال:

وأيّامٌ لنا غُرٌّ طُوالٌ   عصينا الملك فيها أن ندينا

فيكون المعنىٰ الأيّام التّي إنتقم اللّه فيها من القرون الأولىٰ:

وثانيها: ما ذكروه فيه أيضاً أنّ المعنىٰ ذكّرهم بِنَعم اللّه سبحانه في سائر أيّامه عن إبن عبّاس وأُبّي إبن كَعب والحَسن ومجاهد وقتادة وروي ذلك عن أبي عبد اللّه عليه السلام:

وثالثها: أنّه يُريد بأيّام اللّه سننه وأفعاله في عباده من أنعام وإنتقام وكفىٰ بالأيّام عنهما لأنّها ظرف لهما جامعة لكلّ منهما عن أبي مُسلم وهذا جمع بين القولين المُتقّدمين انتهىٰ ما ذكره الطّبرسي وقال البَيضاوي في قوله وذكّرهم بأيّام اللّه، أي بوقائعه التّي وقعت علىٰ الأُمَم الدّارجة وأيّام العرب حُروبها وقيل بنعمائه وبلائه انتهىٰ.

وقال في روح البيان أي علىٰ التّذكير بالوقائع التّي وقعت علىٰ الأُمَم الماضية قبل قوم نوح وعاد وثمود وعظهم وأنذرهم ممّا كان في أيّام اللّه من الوقائع ليحذروا فيُؤمنوا:

أقول: ما ذكره البيضاوي والبَلخي ممّا لا يُعتمد عليه وذلك لأنّ المراد بأيّام اللّه لو كان الوقائع التّي وقعت علىٰ الأُمَم فيمكن فهمها والإطّلاع عليها بمطالعة التّواريخ وكتب السّير ولا يحتاج الىٰ مُذّكرٍ بها فأنّ الوقائع والحوادث مسطورة في الكُتب فقول اللّه تعالىٰ مُخاطباً لمُوسىٰ وهو نبيّه ورسوله أنّ

١- ابراهيم - ٥

﴿اَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلَمَاتِ اِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِاَيَّامِ اللّٰهِ﴾ (١) كلام لا يُناسب شأنه تعالىٰ ولا شأن رسوله إذ التّذكير بالوقائع والحوادث لا يحتاج الىٰ الرّسول ولا الىٰ وصّيه بل ولا أحَد من الصُّلحاء ثمّ أنّه ليس من إخراجهم من الظّلمات الىٰ النّور ضرورة أنّ الإطّلاع علىٰ الوقائع والحروب وأمثالها ليس من النّور والحاصل أنّ هذه التّفاسير من التّفسير بالرّأي ومع ذلك في أكثر الموارد مخالفة للعقل السّليم.

وما نحن فيه من هذا القبيل فأنّ العاقل لا يقول بأنّ موسىٰ إبن عمران أو كلّ نبّي كان مأموراً بتذكير النّاس الوقائع والحروب والحوادث الماضية ممّا وقع علىٰ الأُمَم وأنّ أيّام الحرب أيّام اللّه تعالىٰ.

والمُعتمد في التّفسير ما ورد عن أهل البيت الّذين أذهب اللّه عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً ومَع ذلك هم الرّاسخون في العلم الّذين قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَاْوِيلَهُ إِلَّا اللّٰهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ﴾ (٢) فأنّ أهل البيت أدرىٰ بما في البيت إذا عرفت هذا فنقول:

قال المحّقق البحراني في تفسير البرهان في هذه الآية بأسناده عن مثنىٰ الحَناط قال **سمعت أبا جعفر ﷺ يقول أنّ أيّام اللّه عزّ وجلّ ثلاثة يوم يقوم القائم، ويوم الكرّة ويوم القيامة انتهىٰ...**

بأسناده عن أبي عبد اللّه في قول اللّه وذكّرهم بأيّام اللّه قال بألاء اللّه يعني نِعَمه انتهىٰ...

وبأسناده عنه ﷺ قال أيّام اللّه ثلاثة يوم القائم ويوم المَوت ويوم القيامة انتهىٰ...

أقول: هذا هو الحقّ الّذي لا مرية فيه فأنّ دعوة الأنبياء من أوّلهم الىٰ آخرهم ترجع الىٰ هذه الأمور فأنّ الأيام تنتهي الىٰ ثلاثة يوم القائم أعني به ظهُور الحُجّة في آخر الزّمان ليَملأ اللّه الأرض به قسطاً وعدلاً بعد ما مُلئت ظُلماً

١- ابراهيم ـ ٥
٢-آل عمران ـ ٧

وجَوراً ومن لم يعتقد به لم يعتقد باللّه وبرسُوله بل بجميع أنبيائه من آدم الىٰ خاتم الرُّسُل ويوم الكرّة أي الرّجُوع الىٰ الدّنيا أعني به الرّجعة أو المعاد فأنّ من لا يؤمن بالرّجعة والمعاد فهو ممّن لا دين له ويوم القيامة وهو واضح:

وأمّا أن كان المراد بها ألائه ونِعَمه فهو أيضاً يرجع الىٰ ما ذكرناه إذ لا نعمة أفضل وأشَرف من الإعتقاد الصّحيح بالمَبدء والمَعاد وما بينهما ممّا جاء به الرّسول فهذا أعني الإعتقاد الصّحيح بما جاء به النبي هو الّذي ينبغي التّذكير به من النبّي ومن قام مقامه وحيث أنّ الأحكام كلّها يرجع الىٰ هذه الثّلاثة عبّر عنها بأيّام اللّه وشأن النبّي والوصّي والوَلي التّذكير بها ولأجل ذلك قال ﷺ يذكّرون بأيّام اللّه وقال بعده ويخّوفون مقامه أي ليس شأنهم التّذكير فقط بل التّخويف أيضاً من وظائفهم فأنّ من خاف مقام ربّه ونهىٰ النّفس عن الهَوىٰ فأنّ الجَنّة هي المأوىٰ وقوله ؑ: **بِمَنْزِلَةِ الْأَدِلَّةِ فِى الْفَلَوَاتِ**، كلام خَرج مَخرج التّشبيه واقعاً أي أنّ الرّجال الموصوفين بالأوصاف المذكورة بالنّسبة الىٰ غيرهم ممّن ليس كذلك جُعلوا كالأدّلة في الفَلَوات فكما أنّ السّاري في الفَلات يحتاج الىٰ العلامة لئلاّ يضّل فيها كذلك السّالك في فَلات المعرفة يحتاج الىٰ مُرشدٍ يرشده الىٰ الطّريق الواضح:

▫ **قوله ؑ: مَنْ اَخَذَ الْقَصْدَ حَمِدُوا اِلَيْهِ طَرِيقَهُ وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ وَمَنْ اَخَذَ يَمِيناً وَشِمَالاً ذَمُّوا اِلَيْهِ الطَّرِيقَ...**

أي ومن أوصافهم أنّهم من أَخَذ القَصد أي قصد السّبيل وهو الطّريق المُستقيم حَمِد واليه الطّريق وبشّروه بالنّجاة عن المُهلكات ومن أُخَذ يَميناً وشمالاً أي أَخَذ طريق اليَمين تارةً والشّمال أُخرىٰ ذمّوا اليه الطّريق فقالوا هذا مذموم مطرود ويجب التّجنب عنه كما هو شأن الواعظ الحقيقي:

▫ **قوله ؑ: وَحَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ وَكَانُوا كَذٰلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ وَاَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ...**

أي وحذّروا المُردّد في الطّريق من الهَلَكة في الدّارين فأنّ اليمين والشّمال

مضّلة والجادّة الوسطىٰ هي الحقّ وكانوا هؤلاء الرّجال كذلك مصابيح تلك الظّلمات وأدلّة تلك الشّبهات بهم يُستَصبح في ظلمات الغيّ والضّلالة وبهم يُستَدل في شبهات الواردة في طريق الهُدىٰ:

▫ **قوله ﷺ: وَاِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلاً اَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلاً فَلَمْ تَشْغَلَهُمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْهُ...**

أي ليس كلّ من يدّعي الذّكر متّصفاً به فأنّ كثيراً من النّاس يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم بل للذّكر أيضاً علائم وإمارات في رأسها أنّ أهل الذّكر أخَذوه أي أخَذوا الذّكر من الدّنيا بدلاً فتركوا الدّنيا وأخَذوا به لعلمهم ببقائه وفناء الدّنيا فلم تشغلهم أي لم تمنعهم من ذكرهم تجارة ولا بيع في الدّنيا لا أنّهم لا يتجرون ولا يبيعُون بل أنّ التّجارة والبيع لم تمنعهم عن وظيفتهم.

▫ **قوله ﷺ: يَقْطَعُونَ بِهِ اَيَّامَ الْحَيَاةِ وَيَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللّٰهِ فِي اَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ...**

أي ومن أوصافهم أنّهم يقطعون بالذّكر أيّام الحياة الدّنيا فلا يغفلون عنه طرفة عينٍ أبداً:

(فمن كتاب عيُون الأخبار عن رجا بن أبي الضّحاك قال بَعثني المأمون في أشخاص علّي إبن موسىٰ الرّضا من المدينة وأَمَرني أن آخذ به علىٰ طريق البَصرة والأهواز وفارس ولا آخذ به على طريق قُم وأَمَرني أن أحفظه بنفسي باللّيل والنّهار حتّىٰ أقدم عليه فكنت مَعه من المدينة الىٰ مرو فَواللّه ما رأيت رجلاً كان أتقىٰ لِللّه عزّ وجلّ منه ولا أكثر ذكراً لِللّه تعالىٰ في جميع أوقاته منه ولا أشدّ خوفاً لِللّه تعالىٰ انتهىٰ).

وأمّا قوله ﷺ: **وَيَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ** أي يَصيحون بها في أسماع الغافلين فيقولون لا تعصوا اللّه فأنّ عذاب اللّه لَشديد وفي هذا الكلام إيماء الىٰ كونهم ناهين عن المُنكر وأنّه ليس معنىٰ الذّكر العُزلة عن النّاس والإشتغال بالأوراد والإذكار

في زوايا البيوت بل الذّكر الحقيقي هو اليقظة بالنّسبة الىٰ ما الذّاكر وغيره كما قال عليه السلام:

◻ قوله عليه السلام: وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ...

ومن أوصافهم الأمر بالقسط والعَدل وإئتمارهم بـه والنّهي عـن المُـنكر وتَناهيهُم عنه حتّىٰ لا يكونوا مُصداقين لقوله تعالىٰ: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ (١)

و: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاتَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاتَفْعَلُونَ﴾ (٢)

وذلك لأنّ هذا شأن المُنافق والمُؤمن لا يكون كذلك بل هو يكون مُصداقاً لِقوله تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣).

و: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (٤).

و: ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَ مَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ هُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥).

(قال الصّادق عليه السلام لمّا نَزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَاراً﴾ (٦) جلس رجلاً من المُسلمين يَبكي وقال أنا قد عَجزت عن نفسي كُلّفت أهلي فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله حَسبُك أن تأمُـرهم بـما تأمُـر بـه نـفسك وتَنهاهم عمّا تنتهي عنه نفسك انتهىٰ «مشكاة الانوار ص ٤٩» وقـد مـرّت الآيات والأحاديث فيه بما لا مزيد عليه وأنّما قال عليه السلام ويأتَمِرون به ويَتناهَون عنه لِلإشارة الىٰ أنّ رجال الحقّ قولهم مقّرون بعَمَلهم فلا يَقولون ما لا يَفعلون فأنّ الأمر والنّهي عن المُنكر شئ والإئتمار والتّناهي شئ آخر فكم من رجال في النّاس يأمَرون بالمعروف ولا يَعملون به ويَنهَون عن المُنكر ولا يَتناهون

١- البقرة ـ ٤٤
٢- الصّف ـ ٢/٣
٣- آل عمران ـ ١٠٤
٤- آل عمران ـ ١١٠
٥- النّحل ـ ٧٦
٦- التحريم ـ ٦

عنه إلّا أنّه ليس من شئُون المؤمن الواقعي الّذي جَعل اللّه تعالىٰ ذكره جَلاء قلبه فأنّه يقول لِغيره بعد العَمل بنفسه لِعلمه بأنّ العالم بلا عَمل كالشّجرة بلا ثَمر، وأنّه قبيح أن يُدخل الآمر بالمعروف والنّاهي عن المُنكر في النّـار يـوم القيامة ومن أَمَره به ونَهاه عنه يدخل الجنّة:

قال اللّه تعالىٰ في وصف النّاهين عن المُنكر غير مُتَناهين عنه: **﴿لُعِنَ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْ بَني اِسْرائيلَ عَلى لِسانِ داوُد وَ عيسىَ ابْنِ مَرْيَمِ ذالِكَ بِما عَصَوا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ/ كانُوا لا يَتَناهُونَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ ما كانُوايَفْعَلُونَ﴾** (١)

و: **﴿فَمَنْ جائَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهىٰ فَلَهُ ما سَلَفَ﴾** (٢)

□ قوله عليه السلام: **فَكَاَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا اِلَىٰ الآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا فَشَاهَدُوا مَاوَرَاءَ ذٰلِكَ...**

أي ومن أوصافهم وعلاماتهم كأنّهم قطعوا الدّنيا الىٰ الآخرة والحال أنّهم فيها أي في الدّنيا فشاهدوا بِعَين البَصيرة واليَقين ما وراء ذلك الّذي كانوا فيه وهو الدّنيا والمُراد بقطع الدّنيا قَطع علائقها بعدم الإعتماد عليها وعدم الأنس بها وإخراج حُبّها عن قلُوبهم فأنّ حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة.

□ قوله عليه السلام: **فَكَاَنَّمَا اطَّلَعُوا غُيُوبَ اَهْلَ الْبَرْزَخِ فِي طَوْلِ الْاِقَامَةِ فِيهِ وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا...**

أي كأنّما علمُوا فظائع البَرزَخ وشَدائد أهله في طول الإقامة فيه وحقّقت أي وكأنّما حقّقت القيامة عليهم عِداتها ومَواعيدها الّتي جاء الكتاب والسُّنة بها و فى أسناد التّحقيق الىٰ القيامة تَجوز والمقصود أنّهم لِكونهم علىٰ يقين علُومها بِعِلم اليَقين:

□ قوله عليه السلام: **فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذٰلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حَتَّىٰ كَاَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لاَ يَرَى النَّاسُ وَيَسْمَعُونَ مَا لاَ يَسْمَعُونَ...**

أي أنّهم بعد وصولهم الىٰ مقام اليَقين وَرُؤيتهم الحَقائق بِعَين البَصيرة لم يتصفُوا به لأنفسهم فقط بل تصّدوا لِرفع ذلك الغَطاء عن غيرهم من النّـاس

١- المائدة ـ ٧٨/٧٩ ٢- البقرة ـ ٢٧٥

فَكَشفوا وأظَهروا غطاء ذلك لأهل الدّنيا لِيَروا مارأوه ويعَاينوا ما عايَنُوه فَصاروا وكأنّهم يَرون ما لا يرىٰ النّاس ويسمعون ما لا يسَمعون من الأصوات الخَفية الّتي لا تُدرك إلّا بسمع القلب فعلىٰ ما ذكرناه المراد بالضّمير في قوله ﷺ: **كأنّهم**، هو أهل الدّنيا وهكذا في قوله يَرَون، وقوله ويَسمعُون، وفي المقام إحتمال آخر عليه الشّراح في تفسير الكلام وحاصله أنّ هؤلاء الأوتاد كَشفوا غطاء ذلك لأهل الدّنيا بمعنىٰ أنّهم أثبتوا لأهل الدّنيا أنّ الإنسان يمكن له الوصُول الىٰ هذا المقام حتّىٰ كأنّهم أي كان الكاشفين يَروُن من الحقائق ما لا يرىٰ النّاس ويسمعُون ما لا تَسمعُون النّاس والفرق بين ما ذكروه وبين ما ذكرناه واضح فأنّ العبارة علىٰ المختار تدّل علىٰ أنّهم كشفوا الغَطاء لأهل الدّنيا أي جَعَلوهم بالمَوعِظة الحسَنة الىٰ مقام الكَشف وأمّا علىٰ قولهم فالمعنىٰ أنّهم جَعلوا أنفُسهم كذلك وكلا الشّقين مُحتمل إلّا أنّ ما ذكرناه أوفق بِسَياق العبارة بقرينة قوله ﷺ: **لأهل الدّنيا** إذ علىٰ قولهم فالأحسن أن يُقال فَكشفوا غطاء ذلك لأنفسهم فتأمّل:

وكيف كان فهو إشارة الىٰ وصولهم الىٰ مقام اليَقين الّذي لا يمكن تحصيله إلّا بعد خرق الحُجب المّادية روي إسحاق إبن عمّار عن الصّادق ﷺ أنّ **رسول اللّه صلّىٰ بالنّاس الصّبح فنظر الىٰ شابّ في المسجد وهو يَخفق ويهَوي برأسه مصّفر لونه وقد نَحف جِسمه وغارت عيناه في رأسه ولصق جلده بِعَظمه فقال له رسول اللّه كيف أصبحت ياحارث فقال أصبحتُ يارسول اللّه مُوقِناً قال ﷺ فَعجب رسول اللّه من قوله وقال أنّ لكلّ يقينٍ حَقيقة فما حقيقة يَقينك فقال أنّ يقيني يارسول اللّه هو أحَزنني وأسهَر لَيلي وأظمَأ هواجري فَعزفت نفسي عن الدّنيا وما فيها حتّىٰ كأنّي أنظر الىٰ عرش ربّي قد نُصب للحساب وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم وكأنّي أنظر الىٰ أهل الجنّة يتنعمون فيها ويتعارفون علىٰ الأرائك مُتكئين وكأنّي أنظر الىٰ أهل النّار فيها معذّبون ويَصطرخُون وكأنّي أسمع الآن زفير النّار يدور في**

مسامعي قال فقال رسول اللّه هذا عبدٌ نوّر اللّه قلبه في الإيمان ثمّ قال ألزم ما أنت عليه قال فقال له الشّاب أُدع اللّه لي يارسول اللّه أن أُرزق الشّهادة معك قال فدعا له بذلك فلم يلبث أن خرج في بعض غَزوات النبّي فإستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر انتهىٰ« مشكاة الانوار ص ١٤»...

وسأل أمير المؤمنينَ عليه السلام الحسن والحسين فقال لهما ما بين الإيمان واليَقين فَسكتا فقال عليه السلام للحسن أجب ياأبا مُحمّد قال ما بينهما شِبر قال وكيف ذاك قال لأنّ الإيمان ما سمعناه بأذاننا وصَدّقناه بقلُوبنا واليَقين ما أبصرناه بأعيننا وإستدللنا به علىٰ ما غاب عنّا انتهىٰ «مشكاة الانوار ص ١٥»...

▫ قوله عليه السلام: **فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمْ الْمَحْمُودَةِ وَمَجَالِسِهِمْ الْمَشْهُودَةِ...**

أي فلو مَثّلت هؤلاء الأبدال لِعقلك وتدّبرت في مقاومهم المحمودة ومَجالسهم المشهُودة لهم بعين البَصيرة والكَشف وأنّه لا يُخفىٰ عليهم ما خَفي علىٰ غيرهم من رؤية الحقائق ووَجدت فيهم هذه الأوصاف:

أحدها قوله عليه السلام: وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ اَعْمَالِهِمْ...

أي وقد نَشروا هؤلاء قبل موتهم دواوين أعمالهم لانفسهم فَلاحظُوا أعمالهم فيها خَيرها وشَرّها فأن كانت الخيرات أكثر شكروا اللّه عليه وزادوا عليها وأن كانت السّيئات أكثر تابوا الىٰ اللّه وسَعوا في جبرانها كالتّاجر في تجارته حيث أنّه يبيع ويشترى ينظر الى دفتره ليعلم نفعه وَضره وأنّما فعلوا ذلك لعلمهم بوجودها غداً يوم القيامة فَنشروا وبَسّطوا دَواوين أعمالهم في الدّنيا لِيَستريحوا غداً ولأجل ذلك ورد حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا وزِنُوا أعمالكم قبل أن تُوزن.

وثانيها قوله عليه السلام: وَفَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ اَنْفُسِهِمْ عَنْ كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أُمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا عَنْهَا اَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا...

أي بعد نَشرهم دواوين أعمالهم ورُجوعهم اليها فكأنّهم قد فرغوا عن

محاسبة أنفسهم في صغائر الأعمال وكبائرها التي أُمروا بأتيانها ففرطوا وقصّروا عنها أو أنّهم نُهوا عنها ففرطوا فيها بإتيانها وفيه إشارة الى أُمور أحدها أنّه ينبغي المحاسبة للنّفس قبل القيامة وذلك لأنّ المُحاسبة في الدّنيا تُوجب إصلاح العَمل بالتّوبة وترك السّيئات وفعل الخَيرات بخلاف المحاسبة في الآخرة فأنّ باب التّوبة هناك مسدُود والفُرصة قد فَاتَت فلا يبقى للإنسان إلّا النّدامة والحَسرَة ولأجل هذا قالوا حاسبُوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا وثانيها أنّ المُحاسبة لا إختصاص لها بالكبائر فقط بل ينبغي المُحاسبة على الصّغائر والكبائر معاً، وثالثها أنّ المُحاسبة تارة تكون في ترك المأمُور به وأُخرى في فعل المنّهي عنه والحاصل أنّ الإنسان ينبغي أن لا يغفل عن نفسه في جميع حركاته وسكناته وأقواله بل يجب عليه أن يُواظب لها حقّ المواظبة فأنّ المراقبة من شرائط السّلُوك الى اللّه:

فعن الصّادق عليه السلام أنّه قال لرجلٍ أنّك قد جَعلتَ طبيب نفسك وبيّن لك الدّاء وعرفت آية الصّحة ودُلّلت على الدّواء فأُنظر كيف قيامك على نفسك انتهى «مشكاة الانوار ص ٢٣٤»...

وعنه عليه السلام قال أقصر نفسك عمّا يَضرّها من قبل أن تُفارقك وأسع في فكاكها كما تسعى في طلب معيشتك فأنّ نفسك رهينة بِعَملك انتهى...

وقال عليه السلام إحمل لِنفسك فأن لم تَفعل لم يحملك غَيرك انتهى« ص ٢٣٤»...

وعن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال أيّاك أن تتبع النّفس هواها فأنّ في هواها رداها وتَرك هواها دواءها انتهى « ص ٢٣٤»....

وكان علّي إبن الحسين عليه السلام يقول يابن آدم أنّك لا تزال بخير مادام لك واعظ من نفسك وما كانت المُحاسبة من همّك وماكان الخَوف لك شعاراً والحُزن دثاراً يابن آدم أنّك ميّت ومبعوث وموقوف بين يدي اللّه عزّ وجلّ ومسئول فأعد له جواباً انتهى« ص ٢٣٦»...

وقال الرّضا عليه السلام ليس منّا من لم يُحاسب نفسه في كلّ يوم فأن عَمل حسناً

إســتزاد اللّـه مـنه وأن عَـمِل سـيئاً إسـتغفر اللّـه مـنه وتـاب اليـه انـتهىٰ «ص ٢٤٧»....

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال النّـفس مـجبُولة عـلىٰ سُـوء الأدب والعـبد مأمور بملازمة حُسن الأدب والنّفس تجري في ميدان المُخالفة والعبد يُجهد برّدها عن سُوء المُطالبة فمتىٰ أُطلق عنانها فهو شريك في فسادها ومن أعان نفسه في هوىٰ نفسه فقد أشرك نفسه في قتل نفسه انتهىٰ «ص ٢٤٧»....

ويـدّل عـلى مـاذكـره عليه السلام أعـني المُـحاسبة قـوله تـعالىٰ: ﴿يَـاأَيُّـهَاالَّـذِيْنَ آمَنُواتَّقُوااللَّهَ وَاتَّقُوااللَّهَاِنَّاللَّهَخَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١)

فقوله تعالىٰ ﴿وَلتَنْظُرْ نَفْسٌ مَاقَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾، صريح في المُحاسبة في الدّنـيا قبلها في العُقبىٰ وهو المطلوب.

بحثٌ عرفاني:قال بعض العُرفاء لا يمكن سلُوك طريق المُحاسبة إلّا بـعد العَزيمة علىٰ عقد التّوبة، وَتَوضيحه أنّ المُحاسبة نـظر النّـفس فـيما قـدّمت لِلآخرة وهو العَمل يستلزم وقوفه علىٰ ما يَصدر منه من الحَسَنات والسّيئات فأن كانت الغَلبة للسّيئات فـالتّقوىٰ المأمـور بـها تُـوجب تكـثير الحَسَـنات وتنقيص السّيئات ولا يكون ذلك إلّا بالمُحاسبة وسلُوك طريقها بعد أحكام حقائق التّوبة، والعَزيمة علىٰ عَقد التُّوبة هي الإيفاء بما عَقد عليه وأحكم نيّته ممّا عهد اللّه الىٰ عباده في كُتبه المنزلة علىٰ أنبيائه من الإيمان والتّوبة وغـير ذلك ثمّ أنّ لِلعزيمة ثلاثة أركان:

أحدها: أن تقيس بين نعمته وجنايتك وهذا يشّق علىٰ من ليس له ثـلاثة أشياء، نور الحكمة، سُوء الظّن بـالنّفس، وتـميز النّـعمة مـن الفِـتنة والمـراد بالمقايسة بين النّعمة والجناية هو أن تعلم أنّ حقّ النّعمة أن تشكر وقد كفرته فَتقيس حسناتك التّي هي من باب شكر النّعمة الىٰ سيّئاتك التّـي مـن بـاب كفرانها فتحاسب نفسك لتعلم أيّهما أرجح وأنّما يتّوقف تيّسرها علىٰ الأمُور

١- الحشر - ١٨

الثلاثة أعني بها نور الحكمة وسُوء الظّن بالنّفس، وتميز النّعمة من الفِتنة، لأنّ نور الحكمة هو علم الفقة.

ولا يمكن الإهتداء الىٰ معرفة الحَسَنة والسّيئة إلّا به، وأمّا سُوء الظّن بالنّفس معناه الإعتقاد بأنّها مأوىٰ الشّر ليغلب علىٰ ظنّه أنّها لا تَفعَل خيراً خالصاً لِوجه اللّه أصلاً إلّا أن يرحمه اللّه فأنّ النّفس لأمارّة بالسّوء إلّا ما رَحم ربّي وإذا كانت كذلك فمع حُسن الظّن في حقّها لا يكاد يرىٰ عَيبها، وأمّا تميز النّعمة من الفِتنة فهو أن يفّرق بين النّعم التّي يراد بها الإحسان والنّعم التّي يراد بها الإستدراج فأنّ الأُولىٰ التّي تجمعك علىٰ اللّه بأن تشاهدها فيه ولا تميل بك الىٰ الغير، والثّانية هي التّي تفّرقك عن اللّه بالنّظر الىٰ الغير ولأجل هذا قلنا أنّ العَزيمة علىٰ عقد التّوبة المتّفرع عليها المُحاسبة تتّوقف عليها.

والرّكن الثّاني: للعَزيمة هو التّميز بين ما للحقّ عليك من الفَرائض والواجبات التّي هيالطّاعات فأنّها مِنّة اللّه عليك وبَيّن ما لك نفعه أو ما مِنك يَصدر حتّىٰ تسْتحق به عليه أجراً فأنّ العبد لا يستّحق بالعَمل أجراً إذ القيام بحقّ العبّودية واجب عقلاً ولا تفي طاعة العَبد بشكر نِعمه فأنّها نِعمة أُخرىٰ منضّمة الىٰ سائرها فَليس لك بها أجر وكذا الجناية عليك حُجّة لكونها من مُقتَضيات عَينك وذاتك فهي منك جَنيت بها علىٰ نفسك وعرضتها لِلعقاب وقد أوجب عليك الإجتناب فيها والحُكم بها أي حكم اللّه في قضاءه وقَدَره بها أيضاً حُجّة عليك لأنّ الحُكم بها تابع للعلم والعلم تابع لما عليه عَينك فلا تكون الحُجّة عليك معذرة لك فأن ظَنَنت أنّ الحكم عُذر لك فَلست من هذا المَقام في شيء وهذا هو المراد بالتّمييز بين ما عليك وما لَك.

والرّكن الثّالث: لها أن تعرف أنّ كلّ طاعة رَضيتها منك فهي عليك وكلّ معصية عَيّرت بها أخاك فهي اليك فلا تضع ميزان وقتك من يَديك أمّا أنّ كلّ طاعة رضيتها منك فهي عليك فالوجه فيه هو أنّك إذا رضيت بها فقد توهّمت أنّك وفَيت حقّ اللّه بها ورَضيت من نفسك بأنّها أدّت ما عليها من حقّ اللّه

وهذا أوّل الخَطأ ومتّىٰ أدّت النّفس حقّه تعالىٰ وكيف وفَيت بها حقّه والحال أنّه حقّ منه تعالىٰ عليك فإذا رضيتها له فهي عليك أي هي حقّ آخر منه عليك لا لك وهذا هو السّر في قولهم أنّ العَبد وأن بلغ ما بَلغ في مقام العبّودية لا يقدر علىٰ الإتيان بحقّه تعالىٰ إذ كلّ ما أتىٰ به يُوجب إثبات حقّ آخر منه تعالىٰ علىٰ العبد بتوفيقه علىٰ العَمَل، وأمّا أنّ كلّ معصيةٍ عَيّرت بها أخاك فهي اليك فالوجه فيه هو أنّه إذا عَيّرت أخاك بها فقد نَزّهت نفسك منها ورضيت فيها وأعجبتَ بعصمتها وظَنتَ أنّك خير منه فَمعصيتك أكثر وأعظم من معصية أخيك فقد آلت ورجعت المعصية اليك أفحَش وأعظم ممّا كانت عليه إذ عسىٰ أن يَعفوا اللّه عنه ويغفر له ذنبه ويُعاقبك به وهذا معنىٰ قولنا فلا تضع ميزان المُحاسبة بالعَدل من يديك في تمييز هذه الأشياء، وموازنتها علىٰ ما ينبغي حتّىٰ لا تضيع وقتك فإعرفه أن كنت أهلاً له».

وثالثها قوله ﷺ: وَحَمَّلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ فَضَعُفُوا عَنِ الاسْتِقْلاَلِ بِهَا فَنَشَجُوا نَشِيجاً وَتَجَاوَبُوا نَحِيباً...

أي من أوصافهم أنّهم حمّلوا ثقل أوزارهم وآثامهم ظُهورهم أي علىٰ ظُهورهم فَضعفُوا عن الإستقلال بها أي بالأوزار لثقلها فَنَشجُوا وبَكوا علىٰ ذلك بكاءً وتَجاوبوا في مقام سؤال السّائلين نحيباً أي بالنّحيب والبكاء الشّديد وحاصل هذه الكلمات أنّهم نَسَبوا ما صَدر عنهم من الذّنوب أو ترك الواجب الىٰ تقصير هِمَمهم عن أداء الواجب أو إتيان المعصية ولم يحوّلوه علىٰ ربّهم ولم ينسبوه اليه وحيث أنّ العَبد لا يَقدر علىٰ الإتيان بما هو واجب عليه في مقام العبّودية وأيضاً لا يقدر علىٰ ترك المعاصي بالكلّية تقصيراً وقصُوراً فلا جَرم تصير الأوزار والآثام كثيرة بحيث حَملها علىٰ ظهره يكون ثقيلاً عليه فلا جَرم يبكي علىٰ خطيئاته وآثامه ولا جواب له إلّا البكاء:

ورابعها قوله ﷺ: يَعِجُّونَ اِلَىٰ رَبِّهِمْ مِنْ مَقَاوِمِ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ...

أي ومن أوصافهم أنّهم يَعجُّون ويَضِجُون الىٰ ربّهم ويتضرعون اليه من

مقامات النّدم والإعتراف بالذّنب فيقولون مثلاً بلسان الحال أو المقام إلٰهنا ندِمنا علىٰ ما فعلنا وإعترفنا بذنوبنا فإغفر لنا أنت خير الغافرين ولا شكّ أنّ التّضرع الىٰ اللّه اذا كان عن النّدم والإعتراف بالذّنب واقعاً فهو يُوجب حَطّ الذّنوب وقد أشار ﷺ بذلك الىٰ مقامين من مقامات السّلُوك الىٰ اللّه أحدهما مقام التّضرع والبكاء والدّعاء، وثانيهما مقام النّدامة والتّوبة:

أمّا المقام الأوّل فالأصل فيه قوله تعالىٰ: **﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ، بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾**(١)

و: **﴿أُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾**(٢)

و: **﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾**(٣).

فأن قلت ـ فَسّروا كلامه ﷺ بالبكاء إذا كان فيه صَوت فقالوا أي يرفعون أصواتهم اليه عزّ وجلّ بالتّضرع والإبتهال وأمّا علىٰ ما فسّرته من أنّه التّضرع وهكذا الأيات المذكورة فَليس فيه دفع الصَّوت قُلت العَجُّ من كلّ شيءٍ شديده يقال أَعَجَّت الرّيح أي إشتدت وعليه فهو من البكاء شديده وقد عبّروا عن شدّة البكاء برفع الصّوت فهو بزعمهم من ذكر اللاّزم وإرادة الملزوم ولم يعلموا أنّ رفع الصّوت ليس من لوازم البكاء الشّديد فأنّه قد يكون وقد لا يكون وأن أبيتَ إلّا عن ذلك فالمعنىٰ أنّهم يرفعون أصواتهم الىٰ اللّه عزّ وجلّ بالتّضرع والأمر سَهلٌ بعد وضوح المعنىٰ والمقصود أنّهم لا يعتمدون علىٰ أعمالهم بل يعدّون أنفسهم في مقام العبّودية، مُذنبة وأعمالهم قليلة قاصرة ولأجل هذا قال ﷺ من مقاوم ندمٍ وإعترافٍ أي يكون مَنشأ التّضرع فيهم ندامتهم علىٰ ما فعلوه وإعترافهم بالتّقصير في مقام العبّودية فَيتوبون الىٰ اللّه ويرجعون اليه بعد إعراضهم عنه بالعَمَل ولا تتحقق التّوبة إلّا بالنّدم والإعتذار والإطّلاع.

١- الاعراف ـ ٢٠٥

٢- الاعراف ـ ٥٥

٣- الانعام ـ ٤٢

وهذا هو السِّر في قوله من مقاوم نَدَمٍ وإعترافٍ وحيث أنّها أي التّوبة مشروطة بالنّدم وقد ثبت أنْ شرط الشّيئ ما يتوقف عليه وجوده فوجودها موقوفٌ علىٰ وجوده:

ثمّ أنّ النّدم له أركان ثلاثة، القلب واللّسان والجوارح فبالقلب يعزم علىٰ عدم المَعصية وباللّسان يعتذر عمّا فَعَله سابقاً بكَثرة الإستغفار وبالجوارح يقلع ويكّف عن الذّنب حتّىٰ يَنخرط في سلك الرّجوع عنه بالكلّية وإلّا لم تصّح توبته:

ثمّ أنّ التّوبة تختلف بحسب الغاية والغَرض فهي في العامّة لإستكثار الطّاعة بناء علىٰ قوله تعالىٰ **﴿إلاّ مَنْ تَابَ وَ امَنَ وَعَمَلَ صَالِحاً فَأُولئِكَ يُبدِّلَ اللّـهَ سَيّئاتِهِمْ حَسَنٰاتٍ﴾** (١) فَصارت سيّئاتهم بالتّوبة حَسَنات وأمّا في الأوساط فهي من إستقلال المعصية وفي الخَواص من تضييع الوّقت ولتَفصيل الكلام والبحث فيها مقام آخر والّذي أشار عليه‌السلام اليه هو القسم الثّاني أعني المتّوسط منها:

□ قوله عليه‌السلام: **لَرَاَيْتَ اَعْلاَمَ هُدىً وَمَصَابِيحَ دُجىً قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلاَئِكَةُ وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ...**

هذا جواب لقوله عليه‌السلام فلو مَثَّلتهم لِعقلك، أي لو مَثّلتهم لِعقلك وفيهم الأوصاف المذكورة لَرأيت هؤلاء أعلام هُدىً أي أعلام الهداية ومصابيح دُجىً أي مصابيح الظّلمة شبّه عليه‌السلام طريق السّلوك الىٰ اللّه تارة بالصّحاري الوسيعة المخوفة الّتي يحتاج السّالك فيها الىٰ أعلام وإمارات يستدل بها علىٰ الطّريق وهؤلاء الأوتاد بالأعلام، وأُخرىٰ بالظّلمة وجَعل هؤلاء بمنزلة المَصابيح فيها فكما أنّ السّالك الحسّي يحتاج الىٰ العَلامة في الصّحراء والىٰ المُصباح في الظّلمة كذلك يحتاج السّالك المعنّوي في سيره الىٰ اللّه الىٰ أعلام ومصابيح إذ لا يمكن له طيّ الطّريق بدونهما وفيه إشارة الىٰ لزوم الهادي في سَير طُرق

١-فرقان- ٧٠

الشّريعة وأنّه لا يمكن طيّها والعبُور عنها لأحدٍ من عند نفسه إتّكالاً على عقله وفَهمه:

ثمّ أنّه عليه السلام شرع في بيان أوصافهم وذكر أحوالهم لئلاّ تظّن أنّ كلّ من يدّعي هذا المقام يصّلح له:

منها – قوله عليه السلام: **قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلاَئِكَةُ** أي أحاطَت بهم تشريفاً وإكراماً وعنايةً من اللّه في حقّهم.

ومنها– قوله عليه السلام: **وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ**، والوقار والطّمأنينة والإستقرار في الجوارح والأعضاء والأقوال والأفعال فأنّ المؤمن كالجَبَل الرّاسخ لا تحّركه العواصف وفيه إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: **﴿هُوَ الَّذي اَنْزَلَ السَّكينَةَ في قُلوُبِ الْمُؤْمِنينَ لِيَزْدادوُا ايماناً﴾**(١)

و : **﴿فَعَلِمَ ما في قُلوُبِهِمْ فَاَنْزَلَ السَّكينَةَ عَلَيْهِمْ﴾**(٢)

و : **﴿ثُمَّ اَنزَلَ اللهُ سَكينَتَهُ عَلىٰ رَسُولِهِ وعَلَى الْمُؤْمِنينَ﴾**(٣)

قال بعض العرفاء السّكينة تطلق علىٰ ثلاثة أشياء بالإشتراك اللّفظي:

أحدها: سكينة بني إسرائيل التّي أعطوها في التّابوت كما قال اللّه تعالىٰ: **﴿إنَّ آيَةَ مُلْكِهِ اَنْ يَّأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فيهِ سَكينَةٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ﴾** وهي كانت مُعجزة لأنبياء بني إسرائيل وكرامة لملوكهم كما أشار اليه يوشع عليه السلام في حقّ طالوت أنّها علامة مُلكه وكانوا يقدّمونها في القتال ويَجعلونها مقدّمة العسكر تيَمناً بها في النّصر علىٰ العدّو وذكروا في صفتها ثلاثة أشياء، هي لأنبيائهم مُعجزة ولملُوكهم كرامة وهي آية النّصرة تخلع قلُوب العَدّو بصَوتها رُعباً إذا إلتقىٰ الصّفّان للقتال.

والثّانية: هي التّي تنطق علىٰ ألسن المُحّدثين وليست هي شيئاً يَملك أنّما هو شئ من لطائف صنع الحقّ يُلقىٰ علىٰ لسان المحّدث الحكمة كما يلقي الملك الوَصي علىٰ قلوب الأنبياء فَتنطق المحدّثين بنقط الحقائق مع ترويح

١- الفتح ـ ۴

٢- الفتح ـ ١٨

٣- التّوبة ـ ٢۶

الأسرار وكشف الشّبه وهي التّي تنّور للقلب بنور الحقّ.

والثّالثة: هي التّي أُنزلت في قلب النبّي وقلُوب المؤمنين وهي شيٌ تجمع نوراً وقوّةً وروحاً يسكن اليه الخائف ويتّسلىٰ به الحَزين والزّجر ويستكين له العصّي والجّري والأبّي وأمّا سكينة الوقار التّي تراها نعتاً لأربابها فأنّها ضياء تلك السّكينة الثّالثة التّي ذكرناها إذا عرفت هذا فنقول:

المراد بالسّكينة في كلام أمير المؤمنين هو هذا الأخير من الأقسام الثلاثة وذلك لأنّ الأوّل والثّاني فيها أيضاً يرجعان الىٰ الأخير فأنّ التّابوت بما هو هو لم تكن سكينة بل كانت السّكينة من لوازمه وآثاره فإطلاق السّكينة عليه من قبيل ذكر الملزوم أو ذكر المُسّبب وإرادة السّبب وحيث أنّ التّابوت كان موجباً لوجود السكينّة في قلوبهم أُطلقت عليه ولأجل هذا قال اللّه تعالىٰ:﴿**فيهِ سَكينَةٌ مِنْ رَبِّكُم**﴾

وأمّا رجُوع الوجه الثّاني الىٰ الأخير فلأنّ المحدّث أن كان المراد به معناه العامّ الشّامل لكلّ من يُحّدِث ويُخبر عن النّبي فهو ليس بسديد ولا نسّلم أنّه ممّن يُلقىٰ علىٰ لسانه الحكمة وهو ينطق بنقط الحقائق وذلك لأنّا نعلم علماً قطعياً لا نشّك فيه أنّ كَثيراً من المحدّثين بل أكثرهم كانوا مِمَن يُلقي الشّيطان علىٰ قلوبهم وألسَنَتهم فهم كانوا يتكّلمون بلسان الإسلام في طاعة الشّيطان والآن أيضاً كذلك:

وأن كان المراد بالمحّدِث من حدّث أو يُحدّث مع وجود شرائط التّحديث فيه من الإيمان والصّدق والعلم بكّيفية نقل الحَديث وغير ذلك فهو مُسّلم لكنّه ليس قسماً برأسه بل يدخل في القسم الثّالث لدخوله في المؤمنين الّذين قال اللّه تعالىٰ: ﴿**أنزَلَ اللهُ سَكينَتَهُ عَلىٰ رَسُولِهِ وعَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (١) فالمراد بالسّكينة في المقام ليس إلّا الإيمان باللّه وبرسوله وباليوم الآخر وقد عرّفناه سابقاً بالإعتقاد الجازّم المقرون باللّسان والعَمَل بالأركان وليسَ الإيمان عندنا هو

١- التّوبة ـ ٢٦

الإعتقاد فقط ولا هو الذّكر باللّسان من غير الإعتقاد والعَمَل بالأركان كما عليه العامّة من أهل السُنّة وذلك لأنّ الإيمان بالمعنىٰ الّذي ذكرناه أعني الإعتقاد بالقلب والإقرار باللّسان والعَمَل بالأركان هو الّذي يوجب إستقرار القلب وطمأنينته وعدم إضطرابه في الحوادث المُعبّر عنه بالسّكينة في آلامِه وغيرها فالسّكينة من لوازم الإيمان وآثاره روي المحدث البحراني في تفسير البُرهان الّذي هو التّفسير بالمأثور عندنا ما يؤيد بل يُصّرح بما ذكرناه (فمنه ما رواه بأسناده في تفسير قوله تعالىٰ:﴿ثُمَّ اَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلىٰ رَسُولِهِ وعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) عن محمّد ابن مُسلم عن أبي عبد اللّه ﷺ قال السّكينة الإيمان انتهىٰ...

وروي في تفسير قوله تعالىٰ:﴿هُوَ الَّذي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ في قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) بأسناده عن أبي حمزة عن أبي جعفر قال سألته عن قول اللّه عزّ وجلّ:﴿أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِين﴾ قال هي الإيمان انتهىٰ...

وأيضاً بأسناده عن أبي جعفر قال ﷺ السّكينة هي الإيمان انتهىٰ...

وبأسناده عن جميل قال سألت أبا عبد اللّه عن قوله عزّ وجلّ:﴿هُوَ الَّذي اَنْزَلَ السَّكِينَةَ ﴾ قال ﷺ الإيمان قال قلت وأيّدهم بروَح منه قال هو الإيمان وعن قوله:﴿وَاَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوىٰ﴾ (٣) قال هو الإيمان انتهىٰ...

ومنها قوله ﷺ: وَفُتِحَتْ لَهُمْ اَبْوَابُ السَّمَاءِ، وهذه خصيصة أخرىٰ لهم فأنّ فتح أبواب السّماء كناية عن نزول البَركات السّماوية عليهم وهو لا يكون إلّا للمؤمن الحقيقي كما قال اللّه في كتابه:﴿ وَ لَوْ اَنَّ اَهْلَ الْقُرىٰ اٰمَنُوا وَ اتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّمٰاءِ وَالْأَرضِ﴾ (٤)

و : ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمٰاءِ فَظَلُّوا فيهِ يَعْرُجُونَ﴾ (٥)

□ **قوله ﷺ: وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ فِي مَقَامٍ اطَّلَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ...**

١- التّوبة ـ ٢٦
٢- الفتح ـ ٤
٣-الفتح ـ ٢٦
٤- الاعراف ـ ٩٦
٥- الحجر ـ ١٤

أي بعد صيرورتهم مشمولين لرحمة اللّه وعناياته الخَاصة بنزول السّكينة عليهم وفتح أبواب الرّحمة لهم أُعدت وهُيأت لهم مقاعد الكرامات في مقام إطّلع اللّه وأشرف عليهم في ذلك المقام والمراد بذلك هو مقام القُرب فأنّهم في مقعد صِدقٍ عند مليكٍ مقتدر:

□ **قوله ﷺ: فَرَضِيَ سَعْيَهُمْ وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ رَهَائِنُ فَاقَةٍ اِلَىٰ فَضْلِهِ وَأُسَارَىٰ ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ...**

أي فَرضي اللّه سَعيهم في الدّنيا في مقام العبّودية والطّاعة وحَمِدَ مقامهم الّذي حَصَل لهم بسبب الطّاعة وهو مقام القُرب يتَنَسّمُون ويَشّمُون بدعائه ومناجاته رَوح التّجاوز أي نسيم تجاوز اللّه وعفوه عن تقصيرهم رهائن فاقةٍ الىٰ فضله أي أنّهم كانوا محتاجين الىٰ فضله ورَحمته إحتياج الرّهينة الىٰ فكّها وبعبارةٍ أُخرىٰ أنّهم كانوا كالرّهائن في يد المُسترهن فكما أنّ فكّ الرّهن بيد المُسترهن كذلك فكّ العبد عن العذاب بيده تعالىٰ وأن شئت قلت فك رقباتهم عن النّار وفيه إشارة الىٰ أنّ العبد لولا رحمة الرّب وعنايته يكون مصيره الىٰ النّار بمُقتضىٰ جبّلته وطبيعته وقوله ﷺ: **وأُسارىٰ ذلةٍ لعظمته** معناه أنّهم في جنب عظمته تعالىٰ أُسارىٰ لا يقدرون علىٰ شئ ولا يمكن لهم الخروج عن الإسارة إلّا بتوفيقه ومَدَدَه والحاصل أنّه كلّما حَصَل لهم من المقامات في الدّنيا والآخرة فهو بلطفه ومَنّه.

□ **قوله ﷺ: جَرَحَ طُولُ الْأَسَىٰ قُلُوبَهُمْ وَطُولُ الْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ...**

أي ومن أوصافهم أنّه جَرح طُول الأسىٰ والحُزن قلُوبهم وجَرح طُول البكاء عُيونهم وذلك لأنّهم كانوا في الدّنيا مَحزونين طول عُمرهم لا علىٰ الدّنيا وما فيها وما فات عنهم منها لعدم إعتنائهم بالدّنيا وزخارفها بل علىٰ الآخرة وحُبّها وإذا ثبت الحُزن في القلب لا محالة يتبعه البكاء فتكون عُيونهم باكية:قال اللّه تعالىٰ:**﴿تَوَلَّوا وَ اَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾**(١)

١- التّوبة ـ ٩٢

وحقيقة الحُزن تألم الباطن بالنّسبة الىٰ ما مضىٰ وذلك إمّا لَفائت يمكن تداركه كقضاء الصّيام والصّلوات أو فائت يمتنع تداركه كالتّأسف علىٰ الميّت وإرادة حياته والمراد في المقام هو الأوّل فأنّ الثّاني لا يجرح القلب بطوله ولا يوجب طول البكاء أيضاً وهو واضح وأمّا الّذي يجرح القلب ويدمع العين ويطول ما دام العُمر بل يزيد ولا ينقُص هو الحُزن بالمعنىٰ الأوّل أعني به الحُزن علىٰ شيئ يمكن تداركه ومع ذلك لم يتداركه والحُزن الثّابت في قلوب المؤمنين من هذا القبيل فأنّهم لا يحزنون علىٰ ما لا يمكن تداركه مثل المَوت والصّحة والغنىٰ وأمثال ذلك أبداً لعلمهم بأنّه لا رّاد لقضائه ولا مَرّد لحكمه والمؤمن ينبغي له التّسليم في قبال الحوادث الواقعة بأمره تعالىٰ فلو حَزَن علىٰ هذه الأُمور حُزناً طويلاً في طول عمره لا يكون مؤمناً حقّاً ولا راضياً برضائه ولا تسليماً لأمره:

وأنّما يحزن علىٰ ما فات عنه بتقصيره أو قُصوره من الكّمالات النّفسانية الّتي توجب البلوغ الىٰ مقام العُبودية الكاملة من الصّلٰوة والصّوم والإنفاق وبالجملة أعمال الخير

وأقواله فأنّ الإلتزام بهذه الأُمور والعَمَل بها تحت قدرة العَبد فإذا فاتت عنه قصوراً أو تقصيراً فهو يحزن عليه طول عُمره وحيث أنّ العَبد المؤمن لا يقدر علىٰ الإتيان بجميع ما ينبغي له الإتيان به فلا محالة يكون محزوناً دائماً وإذا كان محزوناً يبكي علىٰ ما فات منه من مدارج الإرتقاء الىٰ الكّمالات ألا ترىٰ أنّ اللّه يقول في كتابه:**﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**(١) أي أنّكم إذا تأمّلتم في أعمالكم وما كسبت أنفسكم في مقام العبودية والطّاعة فلا محالة تضحكون قليلاً وتبكون كثيراً:

□ **قوله ﷺ: لِكُلِّ بَابِ رَغْبَةٍ إِلَىٰ اللّهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ يَسْأَلُونَ مَنْ لاَ تَضِيقُ لَدَيْهِ الْمَنَادِحُ وَلاَ يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ...**

١- التّوبة ـ ٨٢

أي ومن أوصافهم أن لكلّ باب رغبةٍ الىٰ اللّه تعالىٰ من هؤلاء الأخيار يدّ قارعة أي يدّ تقرع باب اللّه في مقام الدّعاء والتّضرع من أنواع العبادات والقُربات اليه يسألون من لا تَضيق لَديه المنادح وهو اللّه تعالىٰ فأنّه باسط اليدين بالعّطية واسع المغفرة عامّ الرّحمة لا ينفد كرمه وجوده وسعت رحمته كل شئ فالمنادح أعني بها رحمته الواسعة لا تضيق أصلاً ولا تنفد أبداً وإذا كان كذلك فلا يخيب ولا ييأس عليه الرّاغبون:

▫ قوله ﷺ: **فِي فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ...**

الفاء للتّفريع أي إذا عرفت ما تلوناه عليك فلا تُحاسب أنفس النّاس ولا تشتغل بعيوبهم وحسناتهم بل حاسب نفسك لنفسك لا لغيرك أي تشتغل بها فأنّ غيرها من الأنفس لها حسيب ومحاسب غيرك وهو اللّه تعالىٰ فأنّ اللّه تعالىٰ قال في كتابه :﴿ **عَلَيْكُمْ اَنْفُسَكُمْ لايَضُرُّكُمْ مَّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾ (١)

و : ﴿**اِنَّ اِلَيْنَا اِيَابَهُمْ، ثُمَّ اِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ**﴾ (٢)

و : ﴿**اِنْ حِسَابُهُمْ اِلاَّ عَلىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ**﴾ (٣)

و : ﴿**وَ وُفِيَّتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّاعَمِلَتْوَ هُوَأَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ**﴾ (٤)

وقال رسول اللّه ﷺ من مَقَت نفسه دون مَقت النّاس آمنَه اللّه من فزع يوم القيامة انتهىٰ «مشكاة الانوار ص ٢٤٥»...

وعن الصادق ﷺ قال أنفع الأشياء للمرء سبقه النّاس الىٰ عيب نفسه انتهىٰ « ص ٢٤٤»...

وعن الرّضا ﷺ قال أنّ رجلاً في بني إسرائيل عَبَد اللّه أربعين سنة ثمّ قرّب قرباناً فلم يُقبل منه فقال لنفسه ما أتيت إلّا منك وما الذّنب إلّا لك فأوحىٰ اللّه تعالىٰ اليه ذّمك نفسك أفضل من عبادتك أربعين سَنة انتهىٰ« ص ٢٤٥»...

١- المائدة ـ ١٠٥ ٢- الغاشية ـ ٢٦
٣- الشعراء ـ ١١٣ ٤- الزمر ـ ٧٠

وقال النبيّ ﷺ أعدىٰ عدّوك نفسك الّتي بين جنبيك انتهىٰ«بحار الانوار ج ١٥ جزء الثاني من الايمان والكفر ص ٤٠»...

وقال ﷺ – في وصيته لأبي ذّر علىٰ العاقل أن يكون له ساعات ساعة يُناجي فيها ربّه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتّفكر فيما صنع اللّه عزّ وجلّ اليه انتهىٰ « ص ٤٠»...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه قال ﷺ ألا فحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا فأنّ في القيامة خمسين موقفاً كلّ موقف مقام ألف سنة ثمّ تلا هذه الآية: ﴿ فِى كُلِّ يَوْمَ كَانَ مِقْدَارَهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (١) الخبر انتهىٰ « ص ١٤٠»...

ثمّ أنّ محاسبة النّفس علىٰ ما ورد عن طريق أهل البيت أنّه إذا أصبح ثمّ أمسىٰ رَجع الىٰ نفسه وقال يا نفس أنّ هذا يوم مضىٰ عليك لا يعود اليك أبداً واللّه يسألك عنه فيما أفنيته فما الّذي عملت فيه أذكِرت اللّـه أم حَمِدتيه أقضَيت حقّ أخٍ مؤمن أنَفّست عنه كُربته أحَفِظتيه في أهله وولده أحَفظتيه بعد الموت في مُخّلفية أكَففت عن غيبة أخٍ مؤمن بفضل جاهك وهكذا فأن فَعَلت الخيرات حمد صاحب النّفس لها وإلّا يذّمها ويتوب الىٰ اللّه من شّرها وترصّد لإصلاحها هذا تمام الكلام في شرح كلامه ﷺ مع رعاية الإختصار ولنرجع الىٰ ما وَعدناك في صدر الخطبة في معنىٰ الذّكر وأقسامه فنقول:

بعد ما عرفت الذّكر والمراد به بحسب الآيات والأخبار فأعلم أنّ الذّكر في إصطلاح العرفاء هو التّخلص من الغفلة والنّسيان وهو من مقامات السّالكين الىٰ اللّه تعالىٰ فله إعتبارات لابدّ للسّالك مراعاتها إذا إستقام الىٰ اللّه في سلُوكه والمراد به في هذا المقام هو وجدان المذكور وحضوره بالقلب لا ذكره باللّسان وحده مع غفلة القلب فأنّه غير معتبر عندهم وأوّل مراتب الذّكر بهذا المعنىٰ نسيان الغير لأنّك إن لم تنس الكلّ ما وجدته ولأنّك إذا كنت موصوفاً بنسيان الغير وذّكر الرّب كانت نفسك مذكورة في ضمن هذا الذّكر في هذه الدّرجة

١– السجده ـ ٥

فإذا وَفقك اللّه علىٰ هذه العلّة نسيت نفسك في ذكر ربّك لأنّ تحقّق المذكور يوجب نفي الغير وإنيّتك تثبت الغيّرية فإذا بلغت هذه الرّتبة كان ذكرك ذكره لغيبتك عن نفسك فنسيت ذكرك في ذكرك ثمّ إذا إسّتمر ذلك وإستحكم شهدته ذاكراً لذاته به فنسيت في ذكر الحقّ عَينك في الأزل بتّحلية الذّاتي في صورة عينك كلّ ذكرٍ وذاكر وهذا هو المراد بقولهم الذّكر هو التّخلص من الغفلة والنّسيان وقال بعضهم في قوله تعالىٰ: **﴿وأذكر ربّك إذا نسيت﴾** يعني إذا نسيت غيره ونسيت نفسك في ذكرك ثمّ نسيت ذكرك في ذكرك ثمّ نسيت في ذكر الحقّ أيّاه والتفسير الأوّل للذّكر أعني به التّخلص من الغفلة والنّسيان يشمل المراتب كلّها فأنّ الكلّ الخلاص عن نسيان المذكور والغفلة عنه بالحضور ثمّ أنّ للذّكر ثلاث درجات في عُرف العُرفاء:

الدّرجة الأولىٰ: الذّاكر الظّاهر من ثناء أو دعاءٍ أو رجاءٍ وبعبارةٍ أُخرىٰ الذّكر اللّساني بكلّ ما ورد في الشّريعة من الصّلوة والدّعاء والمناجاة وتلاوة القرآن وأمثالها ممّا يصدق عليه الذّكر فالثّناء مثل قوله **سبحان اللّه والحمد لِلّه ولا إله إلّا اللّه واللّه أكبر** وأمثال ذلك:

والدّعاء مثل قوله: **﴿رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا﴾**(1) ألخ.

والرّعاء أي المراعاة فكالصّلوة مع حضور القلب فأنّها مع كونها ذكراً لساناً فيها مراعاة الشّرع ورعاية حقوق اللّه وهكذا سائر العبادات وتلاوة كتاب اللّه وكلامه والإذكار المقّوية لحضور القلب ورعاية الوقت:

الدّرجة الثّانية: الذّكر الخّفي وعرّفوه بالخلاص عن الفُتور والبقاء مَع الشّهود ولزوم المسامرة:

والمقصود علىٰ ما لخّصه بعض العُرفاء هو أنّ الذّكر الخّفي حيث أنّه لا يكون إلّا في القلب بدوام الحُضور والمراقبة وبما يرد عليه من الواردات فأنّها وأن كانت ثمرات الذّكر فهي أيضاً لا تخلو منه كالمسامرة فأنّه الخلاص من

١-البقرة ـ ٢٨٦

الفتور بدوام الشّهود والذّهول عن التّفرقة المُوجبة للغفلة والنّسيان والإحتجاب بالرّسوم والإنانيّة والصّفات والطّاعات والبقاء مع الشّهود بملازمة المشاهدة ولزوم المساهرة في مقام السّر والتّلقي من اللّه ويدخل فيها المُكاشفة والمُكالمة والمُناجاة فأنّها تنفي الدّخول عن الحقّ بالطّريق الأولىٰ ويستلزم الحضور مع الأنس بالضّرورة:

الدّرجة الثّالثة: الذّكر الحقيقي وعرّفوه بشهود ذكر الحقّ أيّاك والتّخلص من شهود ذكرك ومعرفة إفتراء الذّاكر في بقائه مع ذكره وذلك لأنّ الذّكر الحقيقي هو إتّحاد الذّاكر والمذكور والذّكر وهو ذكر الحقّ نفسه وأمّا شهود ذكر الحقّ أيّاك فهو أوّل مراتب هذه الدّرجة والمراد ذكر الحقّ في الأزل عينه فيمن إختّصه بالقرب وهو معنىٰ السّابقة الّتي يتَبنىٰ عليها الخاتمة وهو في الحقيقة تجّلي الذّات في صورة عينه فيرجع الىٰ ما قلنا من ذكر الحقّ ذاته وبهذا يمكن التّخلص من شهود الذّكر المنسوب الىٰ العبد فأنّ نسّبة الشّهود اليه زورٌ وإفتراء إذ لا وجود للعبد حقّاً فلا شهود له ولا ذكر فليس ذكره ذكراً حقيقياً بل يكون مجازياً لظهوره علىٰ مظهره وبه يتحقق إفتراء الذّاكر في بقائه مع ذكره ألا ترىٰ الىٰ قوله تعالىٰ: **﴿شَهِدَ اللهُ اَنَّهُ لاَ اِلَهَ اِلاَّ هُوَ﴾** (١)

ولشهود ذكر الحقّ أيّاك وجه آخر ومرتبة أعلىٰ وهو آخر مراتب أهل النّهاية وأرفعها وأفضلها ونعبّر عنه بمرتبة البقاء بعد الفناء وهو أن يذكرك بإيجاده أيّاك بوجوده فتكون موجوداً بالحقّ في الحقّ وللبحث فيه وفي غيره من المراتب موضع آخر ولنعم ما قيل:

لقد كُنت دهراً قبل أن يُكشف الغطاء
أخالك أنّي ذاكرٌ لك شاكرُ
فلمّا أضاء اللّيل أصبحت شاهداً
بأنّك مذكورٌ وذكرٌ وذاكرُ

١- آل عمران- ١٨

ولمّا كان كمال الذّكر بكمال معرفة الذّاكر مقام المذكور وفضائله فلا محالة يكون أكمل مَراتب الذِّكر هو ذكر اللّه نفسه إذ لا أحد أعرَف بذاته منه ثمّ بعده ذكر الإنسان الكامل له تعالىٰ لأنّه أعرَف به من غيره وهكذا فذّكر كلّ شيءٍ بحَسبه ومع ذلك لا يخلو المخلوق عن ذكر الخالق فأنّه من لوازم المخلوقية إلّا أنّ أصل الذّكر شيءٌ والتّوجه اليه شيءٌ آخر والكلام في الثّاني والحَمد لِلّه (ربّ العالمين .

ومن كلام له عليه السلام (٢٢١)

قاله عند تلاوته:(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)

□ قوله عليه السلام: اَدْحَضُ مَسْئُولٍ حُجَّةً، وَاَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْذِرَةً لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ.

يَا اَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا جَرَّاَكَ عَلَى ذَنْبِكَ وَمَا غُرَّكَ بِرَبِّكَ وَمَا اَنَّسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ اَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ أَمْلَيْسَ مِن نَوْمَتِكَ يَقَظَةٌ أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ فَلَرُبَّمَا تَرَىٰ الضَّاحِيَ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ اَوْ تَرَىٰ الْمُبْتَلىٰ بِأَلَمٍ يُمِضُّ جَسَدَهُ فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ فَمَا صَبَّرَكَ عَلىٰ دَائِكَ وَجَلَّدَكَ عَلَى مُصَابِكَ وَعَزَّاكَ عَنْ الْبُكَاءِ عَلىٰ نَفْسِكَ وَهِيَ اَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكَ وَكَيْفَ لاَ يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ فَتَدَاوَ مِنْ دَاءِ الْفَتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ وَمِنْ كَرَى الْغَفْلَةِ فِي نَاظِرِكَ بِيَقْظَةٍ وَكُنْ لِلَّهِ مُطِيعاً وَبِذِكْرِهِ آنِساً وَتَمَثَّلْ فِي حَالِ تَوَلِّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ يَدْعُوكَ اِلَىٰ عَفْوِهِ وَيَتَغَمَّدُكَ بِفَضْلِهِ وَاَنْتَ مُتَوَلٍّ عَنْهُ اِلَىٰ غَيْرِهِ. فَتَعَالَىٰ مِنْ قَوِيٍّ مَا اَكْرَمَهُ وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا اَجْرَاَكَ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ وَاَنْتَ فِي كَنَفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلَهُ وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ بَلْ لَمْ تَخْلُ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ عَيْنٍ فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ اَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ اَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عِنْكَ فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ اَطَعْتَهُ وَايْمُ اللّٰهِ لَوْ أَنَّ هٰذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَّفِقَيْنِ فِي الْقُوَّةِ مُتَوَازِيَيْنِ فِي الْقُدْرَةِ لَكُنْتَ اَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَىٰ نَفْسِكَ بِذَمِيمِ الْأَخْلاَقِ وَمَسَاوِيْ الْأَعْمَالِ. وَحَقّاً اَقُولُ مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ وَلٰكِنْ بِهَا اَغْتَرَرْتَ وَقَدْ كَاشَفَتْكَ الْعِظَاتُ وَاذَنَتْكَ عَلىٰ سَوَاءٍ وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُكَ مِنْ نُزُولِ

الْبَلاَءِ بِجِسْمِكَ وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ اَصْدَقُ وَاَوْفَىٰ مِنْ اَنْ تَكْذِبَكَ اَوْ تَغُرَّكَ وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ وَلَئِنْ تَعَرَّفْتَها فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ وَبَلاَغِ مَوْعِظَتِكَ بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ وَالشَّحِيحِ بِكَ وَلَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَاراً وَمَحَلُّ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْهَا مَحَلًّا وَاِنَّ السُّعَدَاءَ بِالدُّنْيَا غَداً هُمْ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ.

اِذَارَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ وَحَقَّتْ بِجَلاَئِلِهَا الْقِيَامَةُ وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ اَهْلُهُ وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبَدَتُهُ وَلِكُلِّ مَطاَعٍ اَهْلُ طَاعَتِهِ فَلَمْ يُجْزَ فِي عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرْقُ بَصَرٍ فِي الْهَوَاءِ وَلاَ هَمْسُ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ اِلَّا بِحَقِّهِ فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٌ وَعَلاَئِقِ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ!

فَتَحَرَّمَنْ اَمْرَكَ مَا يَقُومَ بِهِ عُذْرُكَ وَتَثْبُتُ بِهِ حُجَّتُكَ وَخُذْ مَا يَبْقَىٰ لَكَ مِمَّا لاَ تَبْقَىٰ لَهُ وَتَيَسَّرْ لِسَفَرِكَ وَشَمَّ بَرْقَ النَّجَاةِ وَأَرْحَلْ مَطَايَا التَّشْمِيرِ.

◁ اللّغة

(أدحَضَ) من دحَضَت الحجّة إذا بطَلَت ويتعدىٰ بالهمزة فيقال أدحَضَ أي أبطَلَ (أَبْرَحَ) من بَرَح به الضّرب إشتّد وعظم يقال هذا أبرَحَ منه أي أشدّ وأعظم (بُلُولُ) كقعُود من بلّ مرضه إذا بَرَء وحَسُنت حاله (**الضَّاحِيَ**) البارز للشّمس من ضحىٰ ضَحواً إذا بَرَز في الشّمس (**يُمِضُّ**) مَضَضتُ الشّئ مُضضاً تألمّت (تَوَرَّطْتَ) التَّورط الوقوع في الوَرطة وهي المَهلكة (كرىٰ) وزان عَصا النُّعاس (**مَطْرَفَ**) المَطرَف اللَّحظة (**الْعِظَاتُ**) بكسر العين جمع عِظة وهي الموعظة (**الرَّاجِفَةُ**) النّفحة الأُولىٰ (**حَقَّتْ**) أي ثبتت (**مَنْسَكٍ**) بفتح الميم والسّين العبادة أو مكانها (**هَمْسُ**) الهَمس الصّوت الخفّي (**دَاحِضَةٌ**) باطلة (**فَتَحَرَّ**) من التّحري أي أُطلب (**التَّشْمِير**) شمّر أي جَدّ.

◁ **المعنىٰ**

(**اَدْحَضُ مَسْئُولٍ حُجَّةً**) أي أنّ الإنسان الّذي هو المسئول في الآية الشّريفة حُجّته باطلة (**اَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْذِرَةً**) أي إعتذاره عن إغتراره بعُذرٍ من المعاذير مقطوعة ممنوعة (**لَقَدْ أَبْرَحَ**) الإنسان وإشتد (**جَهَالَةً بِنَفْسِهِ**) فأعجبته نفسها بجهالتها (**يَا اَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا جَرَّاَكَ عَلَىٰ ذَنْبِكَ وَمَا غُرَّكَ بِرَبِّكَ وَمَا اَنَّسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ**) أي ما الّذي صار سبب الجُرأة علىٰ الذّنب والإغترار بالرّب والأنس بهلاكة النّفس لك (**اَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولُ**) أي الصِحّة وحُسن الحال (**أَمْ لَيْسَ مِن نَوْمَتِكَ**) وغفلتك (**يَقَظَةٌ أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ فَلَرُبَّمَا تَرَىٰ الضَّاحِيَ**) البارز (و **مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ**) بسبب حرارتها والتّأذي بها (**فَتُظِلُّهُ**) بالظّلال ترحُّماً وتعطّفاً (**اَوْ تَرَىٰ الْمُبْتَلىٰ بِاَلَمٍ**) ووَجع (**يُمِضُّ جَسَدَهُ**) ويُؤلمه (**فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ**) وتعطّفاً عليه وإذا كان كذلك (**فَمَا صَبَّرَكَ عَلىٰ دَائِكَ**) وجهلك (**وَجَلَّدَكَ عَلَى مُصَابِكَ**) العظيم (**وَعَزَّاكَ**) وسلّاك (**عَنْ الْبُكَاءِ عَلىٰ نَفْسِكَ وَهِيَ**) والنّفس (**اَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكَ وَكَيْفَ لاَ يُوقِظُكَ**) عن نوم الغفلة (**خَوْفَ بَيَاتِ نِقْمَةٍ**) أي خوف أن تبيت بنقمةٍ من الله (**وَقَدْ تَوَرَّطْتَ**) ووقعت (**بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ**) وسَخطاته (**فَتَدَاوَ مِنْ دَاءِ الْفَتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ**) أي عالج من مرض الفتور والضّعف بقصدٍ وإرادة (**وَمِنْ كَرَىٰ الْغَفْلَةِ**) ونومها (**فِي نَاظِرِكَ**) أي ناظر بصيرتك (**بِيَقْظَةٍ**) أي بسبب اليقظة (**وَكُنْ**) في جميع الأمور (**لِلّٰهِ مُطِيعاً وَبِذِكْرِهِ آنِساً**) فأنّ ذكره يوجب إطمئنان القلب (**وَتَمَثَّلْ فِي حَالِ تَوَلِّيكَ**) وإعراضك () تعنْهُعالىٰ (**إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ**) فأنّه (**يَدْعُوكَ إِلىٰ عَفْوِهِ**) ورحمته (**وَيَتَغَمَّدُكَ بِفَضْلِهِ**) وكَرَمه (**وَاَنْتَ مُتَوَلٍّ**) ومُعرض (**عَنْهُ إِلىٰ غَيْرِهِ**).

من مخلوقه (**فَتَعَالَىٰ مِنْ قَوِيٍّ مَا اَكْرَمَهُ**) مع قدرته علىٰ مواخذتك (**وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ**) وحقير (**مَا اَجْرَاَكَ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ**) ومخالفته (**وَاَنْتَ**) أي والحال أنت (**فِي كَنَفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلَهُ**) ورحمته (**وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ**) بطغيانك وعصيانك (**بَلْ لَمْ تَخْلُ مِنْ لُطْفِهِ**

مَطْرَفَ عَيْنٍ) ولحــــظة (فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ اَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ اَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا) ويمنعها (عِنْكَ فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ اَطَعْتَهُ) أي إذا كان اللّه تعالىٰ رؤفاً بالنّسبة اليك في حال عصيانك فهو في حال طاعتك أولىٰ بالرّحمة والرّأفة (وَايْمُ اللّٰهِ) وأقسم به (لَوْ أَنَّ هٰذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَّفِقَيْنِ فِي الْقُوَّةِ مُتَوَازِيَيْنِ فِي الْقُدْرَةِ لَكُنْتَ اَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَىٰ نَفْسِكَ بِذَمِيمِ الْأَخْلاَقِ وَمَسَاوِئِ الْأَعْمَالِ) فكيف الحال وهو تعالىٰ أقوىٰ منك (وَحَقّاً اَقُولُ) لا كذباً (مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ وَلٰكِنْ بِهَا اَغْتَرَرْتَ) أي أنت إغـتـرت بـها لا أنـها غـرّتك (وَقَدْ كَاشَفَتْكَ) أي والحال أنّ الدّنيا قد أظهرت لك (الْعِظَاتُ) والمواعظ الحِسّية فضلاً عن العقليّة (وَاٰذَنَتْكَ) أي أعلمتك (عَلَىٰ سَوَاءٍ) أي علىٰ مَساوئها ومعايبها (وَلَهِيَ) أي الدّنيا (بِمَا تَعِدُكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلاَءِ بِجِسْمِكَ وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ اَصْدَقُ وَاَوْفَىٰ مِنْ اَنْ تَكْذِبَكَ اَوْ تَغُرَّكَ) فأنها صادقة فيما وعدتك والدّليل هو الحِسّ (وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ) وأنت لا تقبل قوله (وَصَادِقٍ)أي ولرّب صادقٍ (مِنْ خَبَرِهَا) أي في خَبر الدّنيا (مُكَذَّبٌ) عندك (وَلَئِنْ تَعَرَّفْتَهَا) أي تعرّفت الدّنـيا (فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ) السّاقطة (وَالرُّبُوعِ) والمنازل (الْخَالِيَةِ) من أهلها (لَتَجِدَنَّهَا) أي لتجدنّ الدّنـيا (مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ وَبَلاَغِ مَوْعِظَتِكَ بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ) أي تـجدها مشفقة في موعظتها وتذكيرها (وَالشَّحِيحِ بِكَ) أي تجدها بَخيلاً بأن يصيبك ما يسوئك (وَلَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَاراً) أي أنّ الدّنيا نِعم الدّار لِمن جَعَلها ممرّاً لا قصّراً (وَمَحَلُّ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْهَا مَحَلًّا) أي وأنّـها لنـعم المـحلّ لمـن لم يــجعلها مـحّلاً للتّوطن دائـماً (وَاِنَّ السُّعَدَاءَ بِالدُّنْيَا غَداً) يـوم القـيمة (هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا) من الدّنيا (الْيَوْمَ) أي يوم الحياة فيها (اِذَارَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ) في النّفحة الأولىٰ (وَحَقَّتْ) أي وقعت وثبتت (بِجَلاَئِلِهَا) وعظائمها (الْقِيَامَةُ وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ اَهْلَهُ وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبَدَتُهُ وَلَكُلِّ مطاعٍ اَهْلُ طَاعَتِهِ) أي إذا وقعت القيامة وكان كذلك (فَلَمْ يُجْزَ) ولم يُعطي (فِي عَدْلِهِ) تعالىٰ (يَوْمَئِذٍ خَرْقُ بَصَرٍ فِي الْهَوَاءِ وَلاَ هَمْسُ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ اِلَّا بِحَقِّهِ) لأنّ اللّه تعالىٰ لا يظلم (فَكَمْ

حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ) أي يوم القيٰمة (دَاحِضَةٌ) باطلة (وَعَلاَئِقِ عُذْرٍ) أي وكَم من علائق عذر (مُنْقَطِعَةٌ فَتَحَرَّ) أي أطلب (مَنْ اَمْرَكَ مَا يَقُومَ بِهِ عُذْرُكَ وَتَثْبُتُ بِهِ حُجَّتُكَ وَخُذْ مَا يَبْقَىٰ لَكَ) من الدّنيا (مِمَّا لاَ تَبْقَىٰ لَهُ وَتَيَسَّرْ) واستَعد (لِسَفَرِك وَشَمَّ بَرْقَ النَّجَاةِ وَأَرْحَلْ مَطَايَا التَّشْمِيرِ)لئَلا تموت علىٰ غفلةٍ .

◁ الشّرح

إعلم: أنّ هذا الكلام قد صدر عنه عند تلاوته قوله تعالىٰ:﴿**يٰا ايُّها الإنسانُ مَا غَرَّك بِرَبِّكَ الكَرِيمِ**﴾(١) وقال تعالىٰ بعد هذه الآية: ﴿**اَلّذي خَلَقَكَ فَسَوّيٰكَ فَعَدَلَكَ. فِي اَىِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ**﴾(٢) وكلمة (ما) في قوله تعالىٰ إستفهامية إنكارّية علىٰ سبيل التّوبيخ أي أيّ شئ غرّك بربّك:

فهذا الكلام من أمير المؤمنين في الحقيقة صَدَر في ذّم الغُرور وهـو من صفات القَبيحة ولأجل هذا ترىٰ الآيات والأخبار في ذمّه وذّم المتّصف بـه كثيرة: قال اللّه تعالىٰ :﴿**وَغَرَّتْكُمُ الْاَمٰانى حَتّٰى جٰاءَ اَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ**﴾(٣)

و : ﴿**فَلاٰ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيٰا وَلاٰ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ**﴾(٤)

و : ﴿**إِنَّ الْكَافِرُونَ اِلاّٰ فِى غُرُورٍ**﴾(٥)

و : ﴿**وَ مٰا يَعِدُهُمْ الشَّيْطٰانُ اِلاّٰ غُرُوراً**﴾(٦) وغيرها من الآيات:

ثمّ أنّ الغُرور هو سكون النّفس الىٰ ما يوافق الهَوىٰ ويميل اليه الطّبع عن شبهة وخدعة من الشّيطان فمن إعتقد أنّه علىٰ خير أمّا في العاجل أو في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مَغرُور فيكون من رذائل القوة العاقلة والغضب والشّهوة وكيف كان فهو مَنبَع كلّ هلكة وأُمّ كلّ شقاوة:

قال الصّادق عليه السلام المغرور في الدّنيا مسكين وفي الآخرة مغبون لأنّه باع الأفضل بالأدنىٰ ولا تعجب من نفسك فربّما إغتررت بمالك وصحّة جسدك

١ - الانفطار ـ ٦
٢- الانفطار ـ ٧/٨
٣- الحديد ـ ١٤
٤- فاطر ـ ٥ ولقمان ـ ٣٣
٥- الملك ـ ٢٠
٦- النساء ـ ١٢٠

أن لعلّك تبقىٰ وربّما إغتررت بطول عُمرك وأولادك وأصحابك لعلّك تنجو بهم وربّما إغتررت بجمالك ومُنيتك وإصابتك مأمولك وهواك فَظَننت أنّك صادق ومُصيب وربّما إغتررت من النّدم علىٰ تقصيرك في العبادة ولعلّ اللّه يعلم من قلبك بخلاف ذلك وربّما أقمت نفسك علىٰ العبادة متكلفاً واللّه يريد الإخلاص وربّما إفتخرت بِعِلمك ونَسَبك وأنت غافل عن مغمرات ما في غيب اللّه تعالىٰ وربما توهمّت أنّك تدعو اللّه وأنت تدعو سواه وربما حَسبت أنّك ناصح للخِلق وأنت تريدهم لنفسُك أن يميلوا اليك وربما ذَممّت نفسك وأنت تَمدحها علىٰ الحقيقة انتهىٰ «جامع السّعادات ج ٣ ص ٥»...

▫ قوله عليه السلام: **أَدْحَضُ مَسْئُولٍ حُجَّةً، وَأَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْذِرَةً لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ...**

والمراد أنّ الإنسان أدحض مَسئولٍ حجّة وأقطع مغترٍ معذرةً فقوله عليه السلام حجّةً وعذرةً منصوبان علىٰ التّمييز والمعنىٰ أنّ الإنسان المُخاطب في الآية الشّريفة أبطَل مسئول من حيث الحُجّة وأقطع مُغترٍ من حيث المَعذرة أي أنّ حُجّته باطلة ومعذرته مُنقطعة غير صحيحة في جواب اللّه تعالىٰ حيث خاطبه وقال يا أيّها الإنسان ما غرّك بربّك الكريم، ووجه بطلان حجّته وإنقطاع معذرته واضح إذ النّعمة من اللّه تعالىٰ قد تمّت عليه فما يقول في جواب ذلك السّؤال، ولجل هذا أتىٰ بالإستفهام الإنكاري علىٰ سبيل التّوبيخ أي ليس لغرورك وجهٌ أصلاً.

وذلك لأنّ الإنسان إن إغتّر بقدرته فهو باطل إذ لا قدرة له في جنب قدرة اللّه مع أنّ الموجود فيه من القدرة أيضاً منه تعالىٰ وإنّ إغتّر بماله فهو أيضاً باطل فأنّ المال مال اللّه مُضافاً الىٰ أنّ ماله لا يُقاس بمال اللّه وأن إغتّر بعلمه أو حَسَبه أو مقامه أو غير ذلك من الأُمور فالكلّ باطل وإن إغتّر بكرمه تعالىٰ ورحمته فهو أيضاً باطل فأنّه تعالىٰ أشّد المعاقبين في موضع النّكال والنّقمة وإذا كان الإغترار بأعماله وأفعاله فهو أيضاً باطل لعدم علمه بقبولها وعدم قبولها وحيث أنّ الإغترار لا وجه له فكلّ حجّةٍ منه في جوابه السّؤال باطلة

وكلّ معذرةٍ منقطعة غداً يوم القيامة وقوله ﷺ: **لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ** كأنه جواب عن سؤالٍ مقدر وهو أنّ الإنسان إذا كانت حجّته باطلة وعذره مُنقطعاً فلا وجه لغروره مع إنّا نرىٰ أنه مغرور فما الوجه فيه فأجاب ﷺ أنّ الوجه فيه هو جهله بنفسه فأنّه شديد الجَهل بها وهذا هو مَنشأ الغرور فيه وذلك لأنّ الإنسان لو تأمّل في نَفسه حقّ التأمّل ليعلم قطعاً أنّه ضعيف فقير ذليل محتاج الىٰ ربّه الغنّي لا يقدر علىٰ شيئ من قبل نفسه ومن كان كذلك فكيف يَغتّر.

▫ **قوله ﷺ: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا جَرَّأَكَ عَلَىٰ ذَنْبِكَ وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ وَمَا أَنَّسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ...**

أي إذا كان الأمر علىٰ ما وصفناه من ضعفك وعَجزك ومخلوقيتك فما جّرأك علىٰ ذنبك أي ما الّذي صار سبباً لِجُرأتك علىٰ اللّه حتّىٰ أذنَبته وما الّذي غرّك بربّك حتّىٰ صِرت مغروراً ثمّ ما الّذي آنسك واشتاقك الىٰ هَلَكة نفسك بالعصيان والطّغيان وفيه إيماء الىٰ أنّ الذّنب من العَبد لا يضر اللّه شيئاً وأنّما يضّر بنفسه فهو به يُقدم علىٰ هَلاك نَفسه وهو كذلك.

▫ **قوله ﷺ: اَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ أَمْ لَيْسَ مِن نَوْمَتِكَ يَقَظَةٌ أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ...**

قالوا أنّ هذه الإستفهامات كسابقتها واردة في مقام الإنكار لكنّها لدخولها علىٰ النّفس تفيد العَرض والطّلب أي طلب البراءة من داء الذّنوب وأسقام الآثام والإنتباه من نومة الغَفلة وحاصله أنّه لا ينبغي لك عدم البراءة واليَقظة والرّحمة انتهىٰ.

أقول: أمّا كون الإستفهام فيها للإنكار فهو مسّلم وأمّا أنّ دخولها علىٰ النّفي تفيد الطّلب أي طلب البراءة لا نفهم معناه فأنّ هذا إصطلاح خاصّ خارج عن قانون الأدبيّة:

والحقّ أن يقال أنّ كلمة (ما) في المَوضعين للسّلب بمعنىٰ ليس وتقدير الكلام أَليس من دائك بَلُول وأَليس ترحم أو أَلست تَرحَم أو ألا تَرحم

وبالجملة كلّ ما يفيد معنىٰ السّلب والدّليل علىٰ ما ذكرناه هو قوله أَليس من نومك، فأنّ الجُمل علىٰ سياق واحدٍ في النّفس ولعلّه عليه السلام أتىٰ بكلمة (ليس) لإفادة هذا المعنىٰ فكأنّه قرينة للسّابق واللّاحق وإذا كان كذلك فَنقول الإنكار في قوة النّفي أو بمعناه وكلمة ما في الموضعين أيضاً للنّفي.

والنّفي في النّفي يفيد الإثبات وعليه فالمعنىٰ يكون من دائك بُلول وهكذا وذلك كما إذ قلنا لِزيد أما قلت كذلك أي قلت أَلست بخيلاً أي أنت بخيل ومنه قوله تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ (١) أي هو كافٍ له وهو واضح وليت شعري ما الّذي أوقَعهم في هذا الإشتباه وحملوا كلامه عليه السلام علىٰ الطَّلب وما الفرق بين قوله عليه السلام: **أَمْ لَيْسَ مِن نَوْمَتِكَ يَقَظَةٌ** وبين قوله تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ (٢) اللّهم إلّا أنّ يقولوا بالفصل بين الجُمل الثلاثة من حيث المعنىٰ ولا أظنّهم يقولون به:

وعلىٰ ما ذكرناه فالمقصود أنّ دائك هذا وهو داء الجهل والغَفلة له عَلاج ولنومك هذا يقظة فلِم لا تعالجه ولِمَ لا تستيقظ من نومك فَتداو دائك وإستيقظ من نومك وارحم نفسك كما ترحم من غَيرك أي إجعل نفسك بمنزلة الغير فكما تَرحم غيرك إرحَم نفسك.

▫ قوله عليه السلام: **فَلَرُبَّمَا تَرَىٰ الضَّاحِيَ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ اَوْ تَرَىٰ الْمُبْتَلىٰ بِاَلَمٍ يُمِضُّ جَسَدَهُ فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ...**

فكأنّه قيل له عليه السلام أنا أرحم نفسي أكثر من غيري وذلك لأنّ أحبّ الأشياء الىٰ الإنسان نفسه فكيف يقول عليه السلام أما ترحَم من نفسك ما تَرحم من غيرك.

فَأجاب عليه السلام عنه بأمرٍ محسوس وهو أنّك ربّما ترىٰ الضّاحي البارز للشّمس المتألم من حّرها فَتظلّه أي تَجعله في ظَلٍ ترّحماً عليه لئَلا يتأذىٰ من حَرّها أو ترىٰ المُبتلي بألمٍ ووجعٍ وهو يمضّ جَسَده فَتبكي له رحمةً له وهذا غيرك،

١- الزمر - ٣٦

٢- الزمر - ٣٦

فكيف لا تبكي ولا تَرحم علىٰ نفسك وهي في مَعرَض الهَلَكة وهذا دليل علىٰ أنّك لا تَرحم نفسك كغيرك فضلاً عن أكثر كما قال ﷺ:

□ قوله ﷺ: **فَمَا صَبَّرَكَ عَلىٰ دَائِكَ وَجَلَّدَكَ عَلَى مُصَابِكَ وَعَزَّاكَ عَنْ الْبُكَاءِ عَلىٰ نَفْسِكَ وَهِيَ اَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكَ...**

أي إذا كان دائك قبلاً للعلاج فما الّذي صار سبباً علىٰ صبرك عليه وجَلّدك بمُصابك العظيم وعَزّك عن البكاء أي سَلاّك عنه والحال أنّ نفسك هي أعزّ الأنفس عليك، وبعبارةٍ أُخرىٰ لا شكّ أنّ النّفس من أحَبّ الأشياء بالنّسبة الىٰ الإنسان بل الإنسان في الحقيقة ليس إلّا هي وإذا كان كذلك فَلِم لا تُعالجها ولا تبكي عليها وهي فريضة مُشرفة علىٰ المَوت وهل العاقل المتّوجه الىٰ نفسه يفعل بها هذا.

□ قوله ﷺ: **وَكَيْفَ لاَ يُوقِظُكَ خَوْفَ بَيَاتِ نِقْمَةٍ وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ...**

أي وكيف لا يُوقظك عن نوم الغَفلة خوف أن تبيت بِنقمةٍ من اللّه والحال أنّك قد توّرطت ووَقَعت بإكتساب آثامه في وَرَطات الهَلَكات بسبب إرتكابك المعاصي مدارج سَطَواته وسَخَطاته أي جَعَلت نفسك بذاتك مورداً لسخط اللّه وغَضبه:

□ قوله ﷺ: **فَتَدَاوَ مِنْ دَاءِ الْفَتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ وَمِنْ كَرَى الْغَفْلَةِ فِي نَاظِرِكَ بِيَقْظَةٍ...**

أي فَتَداو نفسك وعالجها من داء الفَترة أي من مرض الفتور والضّعف الّذي في قلبك بدواء الجدّ والعَزم علىٰ العبوديّة والطّاعة ومن نوم الغَفلة الّذي في ناظرك وبصيرتك بدواء اليَقَظة والفكر فأنّ هذا الداء في قلبك ليس ممّا لا دواء له بل:

دوائك مـــنك ولا تشـــعر وداتك فـــيك ولا تُـــبصر

□ **قوله عليه السلام: وَكُنْ لِلّٰهِ مُطِيعاً وَبِذِكْرِهِ آنِساً...**

أي كُن لِلّه تعالىٰ في أوامره ونواهيه مُطيعاً كما هو شأن العَبد وبذكره تعالىٰ آنساً كما هو شأن العبّودية أمّا الطّاعة فلأنّها من شكر المُنعم الّذي إتّفقوا علىٰ وجوبه عقلاً ولقوله تعالىٰ: **﴿يا اَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اَطيعُوا اللّٰهَ﴾**(١)

و: **﴿مَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذينَ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ﴾**(٢).

وأمّا الأنس بذكره تعالىٰ فلأنّه يُوجب إطمئنان القلب وصفائه والقُرب الىٰ المعبُود:

إعلم: أنّ الأنس عند العُرفاء عن رَوح القُرب وذلك لأنّ القُرب يُوجب الجّمعية ظاهراً وباطناً ولا لذّة إلّا في الجّمعية فيُوجب الرَّوح أي الرّاحة بالأُنس، والبُعد يُوجب التّفرقة ولا ألَم إلّا فيها فيُوجب التّرح بالوَحشة ولِلأُنس ثلاث درجات:

الدّرجة الأولىٰ: الأنس بالشّواهد وهو إستحلاء الذّكر والتّغذي بالسّماع والوقوف علىٰ الإشارات والمراد بإستحلاء الذّكر هو الإستلذاذ بشئٍ بعد أن لم يكن يستّلذ به، والتّغذي بالسّماع هو أن يحدث له ذوق السّماع بعد ما لم يكن ذوق منه وليس المراد بالسّماع الغناء بل المراد به فهم الإشارات والإعتبارات اللّطيفة من كلّ كلام ومن كلّ محسوس بأيّ حّسٍ كان وإدراك المعاني من كلّ شئ يدركها القلب اللّطيف الصّافي فَيَجد منه رَوحاً ولذّة في الباطن وأُنساً يصل اليه، ومعنىٰ الوقوف علىٰ الإشارات سماع القلب إشارات الأشياء بلسان الحال وهي في الحقيقة شهادات أعلام الوجود كما نُقل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال **يشهد له أعلام الوجود علىٰ إقرار قلب ذي الجحود** وكما قال بعض العرفاء في هذا المعنىٰ:

الرّوض نُضرته بُحسنك تشهد والوَرد جاء لَمدح خدّك يُودد

١- النّساء - ٥٩
٢- النّساء - ٦٩

والرَّوح يرقص والغدير مُصّفقُ | والوَرق مـن طَـرَب اليك تُـغرّد
كـلٌّ غـدا بك فـي سماع دائـمٍ | وسماع من يَهوىٰ هواك مُسَرمَد

وفي هذا المقام كأنّه يتجّلىٰ له المحبُوب لقوّة أُنسه به من كلّ وجهة علىٰ كلّ وجهٍ فيدركه ويشاهده بكلّ حُسٍ لتنور حواسه وجميع مشاعره بنور التّوحيد ومعان تشير الحقيقة اليها علىٰ لسان كلّ صامتٍ وناطق وتدعوه اليه والىٰ قُربه من وراء حجابٍ رقيق أو من بُعدٍ وذلك لصفاء الباطن وجمعية السِر ونُورية النّفس والحِسّ كما قال بعضهم:

سلام عليكم صدق الخَبَر الخَبر | وقد نَزَل المستور وإرتفع السّتِر
تلألأ نور الحقّ مـن كـلّ وجـهةٍ | علىٰ كلّ وجهٍ فإستوىٰ السِّر والجَهر

والدّرجة الثّانية: الأنس بنور الكَشف وهو أُنسٌ شاخص عن الأنس الأوّل تشوبه صولة الهَيمان ويَضْربه مَوج الفناء وهذا الّذي غلب قوماً علىٰ عقُولهم وسَلب قوماً طاقة الإصطبار وحلّ عنهم قيود العلم وفي هذا ورد الخَبر بهذا الدّعاء أسألك شوقاً الىٰ لقائك من غير ضَراء مضّرة ولا فتنة مـضّلة وذلك لأنّ الأنس بجمال الحقّ بسبب نور الكَشف أو الأنس بالجمال الّذي كشـف عليه بالتّجلي هو أُنسٌ شاخص عن الأنس الأوّل أي فوقه بـمرتبة لأنّ الأوّل أُنسٌ بالشّواهد وهذا بالمشهُود الّذي تجّلىٰ له بجماله ولذلك تشـوبه صـولة الهَيمان لأنّ الجمال يَبهر العقل ويقهره بشّدة نوريّته فأنّه بالنّسبة الىٰ نور العَقل كَضوء الشّمس بالنّسبة الىٰ نور السّراج وإذا غَلب العَقل حـيّره لكـونه فـوق إدراكه ولذلك جَعل الهَيمان صَولة قاهرة فلإنجذابـه بـقُوة الحُبّ الىٰ تـجلّي الجمال إشتدّ الأنس ولكون الكشف بَهر العقل بنوره إختلط به قهر الهَـيمان الغالب علىٰ العقل ويضّر به موج الفناء أي لا يزال قوي هذا الكشـف حـتّىٰ يستغرق العقل ويشرف بصاحبه الىٰ بحر الفناء يجذبه تجّلي أنـوار الجـمال الأقدس فيضّر به موجه قبل إستحكام الفناء وظهور سلطانه بإنكشاف الحُجب

النّورية وطلوع الوجه الباقي كما قال ﷺ أنّ لِلّه سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهىٰ اليه بَصره من خَلقه وإذا وصَل الأنس الىٰ هذا المقام فلا محالة يغلب علىٰ عقول فلم يقدر وأن يمنعوه فالعقل يعجز عن التّدبير والقياس لأنّه قد ورد عليه ما هو فوق إدراكه وطَوره إلّا من عَصَمه اللّه تعالىٰ قيل بالفارسية:

نيست اين وادى چنين سهل اى سليم
سَهل پندارى تو از جهل اى لئيم
تو چنين دانى كه اين بازار عشق
هست چون بازار بغداد ودمشق
صد هزاران خلق در زنّار شد
تا كه عيسىٰ مَحرم اسرار شد
صد هزاران طفل سَر بُبريده شد
تا كليم اللّه صاحب ديده شد
صد هزاران تاج وسر تاراج رفت
تا محمّد يكشبى معراج رفت

ولآخر بالفارسية أيضاً:

چنان سَرمست وشيدايم كه پا از سر نميدانم
دِل از دلبر نميدانم مَى از ساغر نميدانم
برو اى عقل سرگردان مرا باكار من بگذار
كه من سرمَست وحيرانم بجز دلبر نميدانم
شدم از ساحل صورت بسوى بحر معنىٰ باز
چه جاى بَحر وبر باشد بجز گوهر نميدانم
دلم چون مجمر وجان عود وعشق او شده آتش
همى قلبم روان چون عُود ومن مجمر نميدانم

مـــن ان نـــادان دانـــايم كـــه مـــى‌بينم نـــمى‌بينم

از آن ميگريم از صورت كـه سيم از زّر نـميدانـم

چـه ديـده سـو بسُـو گشـتم نـظر كـردم بـهر گـوشه

بـجز آب دو چشـم خـود در ايـن مـنظر نـميدانـم

زهر بابى كـه مـيخواهـى بـخوان از لوح مـحفوظم

كـه هسـتم حـافظ قـرآن ولى دفـتر نـميدانـم

بـر آمـد نُـور سبحانى چـه كـفر وچـه مسـلمانى

طـــريق كـــافران دارم ولى كـــافر نـــميدانـــم

والدّرجة الثّالثة: أُنس إضمحلال في شهود الحَضَرة لا يعبّر عن عـينه ولا يشار الىٰ حدّه ولا يوقف علىٰ كُنهه قالوا الإضمحلال بطلان الرّسم وفناؤه في شهود الحَضَرة الأحدّية لا يعبّر عن عينه أي حقيقته لأنّ العـبادة حـدّ العـقل وليس هذا الحال معنىً عقلياً يُعبّر عنه لأنّ الأُمور الذّوقية وجدانـية فـمن لم يذُقها لم يمكنه فهمه ولا التّعبير عنه وأمّا أنّه لايشار الىٰ حدّه لأنّ المشار اليه لا بدّ أن يكون محدوداً بحدٍّ يُمّيزه عن غيره فيصّح اليه الإشارة العقّلية والحِسّية كما قال أمير المؤمنين في بيان الحقيقة هي كشف سبحان الجلال مـن غـير إشارة، فأنّ الحقيقة إذا ظهرت لم يبق غيرها فكلّ ما يورد في بيانها لا يزيد إلّا الإبهام في عرفانها إلّا أنّ الوصول الىٰ هذا المقام من الأنس لا يتّيسر إلّا للإنسان الكامل الّذي هو في مقام العقل بالمستفاد وقد عَصَمه اللّه عن الخطأ والنّسيان والهَفوة والزّلة ولعلّ هذا المقام هو الّذي أُشير اليه في بعض الأخبار وعُبّر عنه بالغَشْوة فقيل غُشِيَ علىٰ أمير المؤمنين أو غيره من الأئمّة ويقول المولوي:

نكـتـه‌ها چـون تـيـغ پـولاد است تـيز

چـــون نـــدارى فـهم آن واپس گُـريز

ولولا مخافة الإطناب والخُروج عن طَور الكتاب وضعف أكثر العقول عن فهم هذه الأُمور والرّمُوز لَذكرتُ لك من هذا الباب الّذي هو نـهاية مـقاصد العُشاق ما يعجبك العَجب العُجاب ولكن صَرف القلم عن بيان هذه الأسرار

الّتي لا يعقلها إلّا أُولوا الألباب أحرىٰ وأَولىٰ للدّين والدّنيا ولكن أقول:

اگـــــر دَردَت دواى جـــان نگـــردد
غـــم دشـــوار تـــو اســـان نگـــردد
دَمـــــى دَرمـــان يک دَردت نســـازم
کـــه بـــر مـــن دَرد صد چندان نگـردد
کـــه بـــايَد از سَـــرِ زلف تـو مُـوئى
کـــه دايـم بـى سَـر وسـامان نگـردد
کـــه بـايَد از سَـرِ کُـوى تـوگـردى
که هم چون چرخ سَرگردان نگـردد
کـه نُـو شـد از مَـى عشق تو جامى
کـه جـانش مَست جـاويدان نگـردد
نـدانـم تـا چـه خورشيد است عِشقت
کـــه انـــدر آســـمان جـان نگـردد
دِلا هـــــرگز بـــقاى کُـــلّ نـــيابى
کـه تـا جـانان نـيابى جـان نگـردد
اگـــر قـربان نگـردى نـيست مـمکن
کـه بـر تـو عـمر تـو تـاوان نگـردد
يـقين مـيدان کـه جـان در نـزد جـانان
نـــيابد قـــرب تـــا قـــربان نگـــردد
اگـــر آدم کَـــفى گِـل بـود کـو بـاش
بگـــل خـــورشيد تـــو پـنهان نگـــردد
چـــه خَـفّاشى مـعانى حشـم بَـسته
اگـــر خـورشيد تــو رخشـان نگـردد
در آن خـورشيد حـيران گشت عـطّار
چـــنان جـائى کسـى حـيران نگـردد

□ قوله ﷺ: **وَتَمَثَّلْ فِي حَالِ تَوَلِّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ يَدْعُوكَ إِلَىٰ عَفْوِهِ وَيَتَغَمَّدُكَ بِفَضْلِهِ وَأَنْتَ مُتَوَلٍّ عَنْهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ...**

أي تمّثل في ذّهنك وتدّبر في عقلك في حال تّوليك وإعراضك عنه تعالىٰ بسبب الطّغيان والعصيان وإقباله تعالىٰ وتوّجهه اليك يدعوك الىٰ عَفوه ويَتّغمدك بفضله العميم والحال أنت متّولٍ ومُعرضٍ عنه الىٰ غيره من المخلوقات وهذا يدّل علىٰ كمال رحمته وفضله وسوء سريرتك وخُبث طينتك حيث ما أدّيت شكره وما وَفَيت حقّه ألَيس اللّه يقول لك في كتابه: **﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾**[1].

: **﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾**[2]

قال العطّار:

ای کـه بـر خوان خدا نان میخوری
ویـن هَـمة فـرمان شیطان میبَری
ره روان رفـتند وتـو در مـاندهای
حـلقه بَـردَر زن کـه بس وامـاندهٔای
گـر نـداری آرزوی وصِـل یـار
خـیز بـاری مـاتم هـجران بـدار
ای سـرا وبـاغ تـو زنـدان تـو
خـانمانِ تـو بـلای جـانِ تـو
در غـم دنـیا گـرفتار آمـدی
خـاک بـر فَـرقت کـه مُـردار آمـدی
چشـم هِـمّت بـرگشا ورَه بـبین
پس قَـدَم در رَه نـه ودَرگـه بـبین

١- الزّمر - ٥٣

٢- الزّمر - ٥٤

دست‌هـــا أوّل ز خـــود کُـــوتاه کُـــن
بـــعد از آن مَـــردانـــه عَـزم راه کُـن
از قَـــدَم تـا فَـرق نـعمت‌های اوست
عَـرض کُن بـرخویش نـعمتهای دوست
تـــا بـــدانـی کـز کـه دُور افـتادهٔای
واز جـــدائـــی چـه صـبور افـتاده‌ای
گـر تـو مَرد زاهـدی شب زنـده بـاش
بـنده گـی کُـن تـا بـروز وبـنده بـاش
وار تـــو مَـــرد عـاشقی رَو شـرم دار
خـــواب را بـــا دیـده عـاشق چکــار
چـــون نـه ایـنی ونـه آن ای بـیفرُوغ
پس مَـــزَن در عشـــق مـا لاف درُوغ

▫ قوله عليه السلام: **فَتَعَالَىٰ مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ...**

التّعالي التّفاعل جيئ به لمبالغة العُلُو كما ورد في الكتاب العزيز حيث قال عليه السلام **﴿وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾**(١) وقوله تعالىٰ **﴿عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً﴾**(٢) وهو مأخوذ من العُلُو ضدّ السُّفل والعُلو الإرتفاع.

والمعنىٰ فتعال اللّه من قوّيٍ قادرٍ علىٰ موآخذتك ما أكرمه وأجزَل إحسانه، والحال أنّك تَواضعت من ضعيفٍ أي أُنظر الىٰ رحمة اللّه وعظمته فأنّه تعالىٰ مع القُدرة علىٰ المُوأخذة لم يأخذك بذنبك بل أكرَمك وتَغمّدك بفضله وأمّا أنت ما أَطعتَه ولا تَواضعت له بالعبّودية بل تواضعتَ من ضعيف من مخلوقه وذلك لأنّك تَوّليت عنه تعالىٰ الىٰ غيره وغيره تعالىٰ كائناً من كان ضعيف لكونه مخلوقاً والمخلوق ضعيف:

١- الروم - ٤٠   ٢-اسراء - ٤٣

▫ قوله عليه السلام: مَا أَجْرَأَكَ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ وَأَنْتَ فِي كَنَفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ...

أي إذا كان الخالق في نهاية القُدرة والرّحمة وأنت في نهاية العجز والضّعف والإحتياج اليه فَما أَجرَأك علىٰ معصيته أي ما الّذي صار سبباً لهذه الجُرأة والحال أنت في كنف سِتره مُقيم حيث سَتَر من شنائع أعمالك وقبائح ذنوبك ما لا يعلمه إلّا هو ومع ذلك كلّه أنت في سعة فضله وعنايته متّقلب ومُستفيد وليس هذا إلّا الكفران بنعمته والخروج عن مقام الإنسانية:

▫ قوله عليه السلام: فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلَهُ وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ بَلْ لَمْ تَخْلُ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ عَيْنٍ فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عِنْكَ فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطَعْتَهُ...

يعني أنّ اللّه بمنّه وكرمه لم يمنعك فَضله ولم يَهتك عنك سِتره لأنّه أجلّ شأناً من أن يكون هاتك السّتر فأنّه ستار العُيوب بل لم تَخل في مدّة عُمرك من لُطفُه ورَحمته مَطرف عينٍ أي لحظة يتّحرك فيها الجُفن في نعمةٍ يُحدثها ويُعطيها لك أو سيّئة يَسترُها ويخفيها عليك أو بلّية وآفة يصرفها ويمنعها عنك هذا كلّه وأنت تعصيه فما ظنّك باللّه لو أَطَعتَه أي إذا كان اللّه تعالىٰ كذلك بالنّسبة الىٰ عبده العاصي فشمول لُطفه وعنايته ورَحمته وجوده بالنّسبة الىٰ المُطيع بطريق أولىٰ كما قال في كتابه: ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً﴾ (١)

و : ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢)

و : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ (٣)

و : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (٤) هذا في

١- الفتح ـ ١٦
٢- الحجرات ـ ١٤
٣- الاحزاب ـ ٧١
٤- الفتح ـ ١٧

الآخرة وأمّا في الدّنيا فقال تعالىٰ: ﴿ وَ لَوْ اَنَّ اَهلَ القُرىٰ اٰمَنُوا وَ اتَّقَوا لَفَتَحنَا عَلَيهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالأَرضِ﴾ (١) ولا شكّ أنّ سعادة الدّارين في الإطاعة كما أنّ خسرانهما في المعصية:

▫ **قوله ﷺ: وَايْمُ اللّٰهِ لَوْ أَنَّ هٰذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِى مُتَّفِقَيْنِ فِى الْقُوَّةِ مُتَوَازِيَيْنِ فِى الْقُدْرَةِ لَكُنْتَ اَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَىٰ نَفْسِكَ بِذَمِيمِ الْأَخْلَاقِ وَمَسَاوِئِ الْأَعْمَالِ...**

أي أقسم باللّه تعالىٰ لو أنّ هذه الصفّة الخبيثة الّتي تكون فيك موجودة من كفران النّعمة والجُرأة علىٰ المعصية كانت بينك وبين من ساواك في القّوة والقُدرة لحَكَمت علىٰ نفسك بذميم الأخلاق ومساوئ الأعمال أي لَحَكمت علىٰ نفسك بأنّك ذميم الخلق سيّئ العمل وبالجملة أنت مُقصّر فكيف وأنت العبد الضعيف الحقير المسكين وهو الرّب القّوي الغنّي وبعبارةٍ أُخرىٰ ما تفعله في قِبال الرّب من العصيان والطّغيان علىٰ ضعفك وإحتياجك اليه لا يفعله العاقل بالنّسبة الىٰ مثله في القّوة والقُدرة ألا ترىٰ أنّ الإنسان عبيد الإحسان وأنّه يتواضع عند من أعطاه أو أعانه علىٰ شئ أو عالجه في مرضه وغير ذلك مع العلم بأنّ هذه النّعم كلّها لِلّه تعالىٰ والمخلوق واسطة لإيصال النّعمة الىٰ الغير لا مُوجدها ومُحدثها وإذا كان شأن المخلوق هكذا بالنّسبة الىٰ مخلوق مثله فَلِمَ لا يحمد اللّه ولا يشكره ولا يقوم بوظائف عبّوديته:

▫ **قوله ﷺ: وَحَقّاً اَقُولُ مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ وَلٰكِنْ بِهَا اَغْتَرَرْتَ...**

أن قلنا بأنّ الواو عاطفة فالمعنىٰ وأيّم اللّه حقّاً أقول وأن قُلنا أنّها مستأنفة فالمعنىٰ أقول لك قولاً حقّاً لا مرية فيه ولا يأتيه الباطل لكونه مطابقاً للواقع وهو أنّك إغتّررت بالدّنيا لا أنّ الدّنيا غرّتك خلافاً لأكثر النّاس حيث زعموا أنّ الدّنيا قد غرّت النّاس:

▫ **قوله ﷺ: وَقَدْ كَاشَفَتْكَ الْعِظَاتُ وَاٰذَنَتْكَ عَلىٰ سَوَاءٍ...**

١- الاعراف ـ ٩٦

ثمّ إستدل ﷺ على قوله بأمور كلّها يدّل على أنّ الإنسان يغتّر بها لا أنّها إغترّته:

أحدها قوله ﷺ: **وَقَدْ كَاشَفَتْكَ الْعِظَاتُ**، أي أنّ الدّنيا قد أظهَرَت لك ما فيه موعظة فأنّ العِظات بكسر العين جمع عِظة وهي الموعظة والنّصيحة وفي لعض النّسخ الغطاء، بالغين المُعجمة والطّاء المُهملة ذكره الشّارح المعتزلي وعليه فالمعنى أنّها أظهَرَت وأبرزت الحجاب والسّتر لك لترى ما فيها من العُيوب والنّواقص، والعِظات كما في أكثر النّسخ بل تمّامها فيما بأيدينا أدنى وأشمل وأحسَن كما لا يخفى:

وثانيها قوله ﷺ: **وَآذَنَتْكَ** أي أعلمتك الدّنيا على سواء والمراد بالسّواء على قول المُعتزلي العَدل والإنصاف وعلى قول غيره من الشّراح المساويَ والمعايب:

□ **قوله ﷺ: وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلاَءِ بِجِسْمِكَ وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ أَوْ تَغُرَّكَ...**

وهذا ثالثها، وملّخصه أنّ الدّنيا بما تعِدك من نزول البلاء بجسمك من المَرض والفتُور والضّعف أو الحوادث النّازلة والنّقص في قوّتك بسبب هِرمك كانت أَصدَق وأَوفى من أن يكَذّبك في وعده أو تَغرك والحاصل أنّها صدقت في وعدها ووَفت بعهدها وهو أي وَعدها عدم بقائها ومعلوم أنّها عملت بما وَعَدت وصدقت بما قالت فبهذه الوجوه ظَهَر لك أنّ الدّنيا ما غرّتك بل أنت اغتَرَرت بها حيث لم تتوجه الى مواعظها المحسوسة والعقلية وقد إتّفقوا على أنّ الدّنيا بما فيها من التّقلّبات والتّغيرات والحوادث الغير المُترقبة وأنّها لا تبقى على حالٍ لمن يتّذكر بها ومن لم يتّعِظ بها لا واعظ له:

□ **قوله ﷺ: وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ...**

كلمة ربّ تُفيد الكثرة كقوله تعالى: **(وربّ تال القُرآن والقرآن يلعنه)** وقولهم **ربّ حامل فقهٍ ليس بفقيهٍ** والمعنى أنّ كثيراً من النّاصحين لِلدّنيا عندك متّهم

بالكذب أو غرضٍ آخر فأنت لا تقبل قولهم وأيضاً كثيراً من المُخبرين عنها مع أنّهم صادقون فيما أُخبروا به عندك مُكَذَّب فَتحكم بكَذبهم وهذا كما أنّ النّاس لم يقبلوا نصائح الأنبياء والأوصياء وأخبارهم عنها مع أنّهم كانوا صادقين في قولهم وأعجب من ذلك تَكذيب النّاس كُتب السّماوية التّي لا ريب في صحّتها فكذّبوها وأنكروا أخبارها مع أنّ تَكذيبها تكذيب اللّه فهم في الحقيقة كذّبوا الخالق ومن لم يقبل نصيحة خالقه فكيف يقبل نصيحة غيره مع إحتمال الصّدق والكذب فيه وأيّ ناصح أشفق من اللّه وأيّ مُخبرٍ أصدق منه وهو تعالىٰ قال في كتابه في ذمّ الدّنيا والإغترار بها ما قال:ألَيس يقول في كتابه **﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَ الدَّارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾** (١)

و : **﴿وَ ذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَ غَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾** (٢)

و : **﴿ يَا أيُّهَا النَّاسُ إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلاَتَغُرَّنَّكُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا﴾** (٣).

و : **﴿ذٰلِكَ بِأَنَّكُمُ إتَّخَذتُم اياتِ اللَّه هُزُواً و غرتْكُم الحَيوةُ الدُّنيا﴾** (۴).

و : **﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةُ خَيْرٌ وَ أَبقىٰ ﴾** (۵)

و : **﴿وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا إلاّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾** (۶) وغيرها من الآيات التّي وَرَدت في النّصيحة وأمّا التّي وَرَدت في خَبَرها وأنّها فانية ونِعَمها زائلة داثرة فهي أيضاً كثيرة:قال اللّه تعالىٰ: **﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ وَ زُرُوعٍ وَ مَقَامٍ كريمٍ وَ نَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ. كَذَالِكَ وَ اَوْرَثْنَا قَوْماً اٰخَرِينَ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمْ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضَ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾** (٧) ومن أَصدَق من اللّه قيلاً نعم أنّما يتّذكر أُولوا الألباب وهم قليلون:

□ قوله عليه السلام: **وَلَئِنْ تَعَرَّفْتَهَا فِى الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ وَبَلاَغَ مَوْعِظَتِكَ بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ وَالشَّحِيحِ بِكَ...**

١- الانعام ـ ٣٢
٢- الانعام ـ ٧٠
٣- الفاطر ـ ٥
۴- الجاثية ـ ٣۵
۵- الاعلىٰ ـ ١۶
۶- الحديد ـ ٢٠
٧- الدّخان ـ ٢٩=٢۵

أي لأن عرفت الدّنيا في الدّيار الخاوية السّاقطة التّي لا تصلح للسّكونة فيها والرّبُوع والمنازل الخالية من أهلها لتجدنّ الدّنيا في تَذكيرها ومَوعِظتها أيّاك بِمنزلة النّاصح الشّفيق عليك ولَعلِمت أنّها لم تكذب بل علمت أنّها كالبخيل بك علىٰ الشّقاء والهَلَكة ولكنّك ما تعرّفت الدّنيا فيها بل تعرّفتها في القصُور العالية والرّبُوع العامرة والزّروع النّاضرة ولذلك إغترَرت بها.

□ قوله ﷺ: **وَلَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَاراً وَمَحَلٌّ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْهَا مَحَلًّا...**

أي أنّ الدّنيا لِنعم الدّار لمن لم يرض بها داراً أي دار قرارٍ وثَباتٍ ولِنعم المَحلّ لمن لم يوطّنها محلاً أي لم يجعلها مَحلّ التّوطن فيها دائماً وبعبارةٍ أُخرىٰ الدّنيا أن جُعلت دار مجازٍ فهي خير الدّار لِتحصيل الزّاد وأن جُعلت دار قرارٍ فلا حُسن فيها فهي بما هي هي لا عيب فيها وأنّما العَيب فينا حيث إتّخذناها علىٰ خلاف ما خُلِقَت له كمن إتّخذ السّكين لقتل المؤمن والدّرهم والدّينار لِلمَعصية وهكذا فأنّ كلّ موجودٍ في الدّنيا له جُنبتان خيرٌ وشرٌ والدّنيا أيضاً كذلك فأنّ الدّنيا ليست إلّا مجموع هذه الموجودات حيث إنّا قد تكلّمنا سابقاً فيها تفصيلاً فلا نُطيل الكلام بذكرها ثانياً:

□ قوله ﷺ: **وَاِنَّ السُّعَدَاءَ بِالدُّنْيَا غَداً هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ...**

أي أنّ السّعداء يوم القيامة هم الّذين يَفِرّون منها أي من الدّنيا اليوم وأمّا الّذين لم يَفِرّوا مِنها بل إعتمدوا عليها ورَكَنُوا بها فهم يوم القيامة من المغبُونين قال العطّار:

مَشَو مغرورچندين‌نقش زيراک — بناى جملة بر دريا نهاديم
اگر موجى از آندريا بر آيد — شود ناچيز هر چه اينجا نهاديم
اگر اينجا ز دريا بر كنارى — جهانى پر غَمَت آنجا نهاديم
اگر همرنگ درياگردى امروز — ترا سلطانى فردا نهاديم
دِل عطّار را در عشق اين راه — چه گوئى بى سر وبى پا نهاديم

بالكذب أو غرضٍ آخر فأنت لا تقبل قولهم وأيضاً كثيراً من المُخبرين عنها مع أنّهم صادقون فيما أُخبروا به عندك مُكَذَّب فتحكم بكَذبهم وهذا كما أنّ النّاس لم يقبلوا نصائح الأنبياء والأوصياء وأخبارهم عنها مع أنّهم كانوا صادقين في قولهم وأعجب من ذلك تكذيب النّاس كُتب السّماوية التّي لا ريب في صحّتها فكذّبوها وأنكروا أخبارها مع أنّ تكذيبها تكذيب اللّه فهم في الحقيقة كذّبوا الخالق ومن لم يقبل نصيحة خالقه فكيف يقبل نصيحة غيره مع إحتمال الصّدق والكذب فيه وأيّ ناصح أشفق من اللّه وأيّ مُخبرٍ أصدق منه وهو تعالى قال في كتابه في ذمّ الدّنيا والإغترار بها ما قال:ألَيس يقول في كتابه **﴿وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا اِلاّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَ الدّارُ الاْخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذينَ يَتَّقُونَ اَفَلا تَعْقِلُونَ﴾** (١)

و : **﴿وَ ذَرِ الَّذينَ اتَّخَذُوا دينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَ غَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا﴾** (٢)

و : **﴿ يا اَيُّهَا النّاسُ اِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلاتَغُرَّنَّكُمُ الْحَيوةُ الدُّنْيا﴾** (٣).

و : **﴿ذٰلكَ بِأَنَّكمُ اِتَّخَذتُم اياتِ اللَّه هُزُواً و غرتّكُم الحَيوةُ الدُّنيا﴾** (۴).

و : **﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيوةُ الدُّنْيا وَالاْخِرَةُ خَيْرٌ وَ أبقىٰ ﴾** (۵)

و : **﴿وَما الْحَيوةُ الدُّنْيا اِلاّ مَتاعُ الْغُرُور﴾** (۶) وغيرها من الآيات التّي وَرَدت في النّصيحة وأمّا التّي وَرَدت في خَبَرها وأنّها فانية ونِعَمها زائلة داثرة فهي أيضاً كثيرة:قال اللّه تعالىٰ: **﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنّاتٍ وَ عُيُونٍ وَ زُرُوعٍ وَ مَقامٍ كريمٍ وَ نَعْمِةٍ كانُوا فيها فاكِهينَ. كَذٰلِكَ وَ اَوْرَثْنا قَوْماً اخَرينَ فَما بَكَتْ عَلَيْهِمْ السَّماءُ وَ الأَرْضَ وَما كانُوا مُنْظَرينَ﴾** (٧) ومن أَصدَق من اللّه قيلاً نعم أنّما يتّذكر أُولوا الألباب وهم قليلون:

□ قوله ﷺ: **وَلَئِنْ تَعَرَّفْتَها فِى الدِّيارِ الْخاوِيَةِ وَالرُّبُوعِ الْخالِيَةِ لَتَجِدَنَّها مِنْ حُسْنِ تَذْكيرِكَ وَبَلاَغَ مَوْعِظَتِكَ بَمَحَلَّةِ الشَّفيقِ عَلَيْكَ وَالشَّحِيحِ بِكَ...**

١- الانعام ـ ٣٢
٢- الانعام ـ ٧٠
٣- الفاطر ـ ۵
۴- الجاثية ـ ٣۵
۵- الاعلىٰ ـ ١۶
۶- الحديد ـ ٢٠
٧- الدّخان ـ ٢٩=٢۵

أي لأن عرفت الدّنيا في الدّيار الخاوية السّاقطة التّي لا تصلح للسّكونة فيها والرّبُوع والمنازل الخالية من أهلها لتجدنّ الدّنيا في تَذكيرها ومَوعِظتها أيّاك بِمنزلة النّاصح الشّفيق عليك ولَعلِمت أنّها لم تكذب بل علمت أنّها كالبخيل بك علىٰ الشّقاء والهَلَكة ولكنّك ما تعرّفت الدّنيا فيها بل تعرّفتها في القصُور العالية والرّبُوع العامرة والزّروع النّاضرة ولذلك إغترَرت بها.

▫ قوله عليه السلام: **وَلَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَاراً وَمَحَلٌّ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْهَا مَحَلًّا...**

أي أنّ الدّنيا لِنعم الدّار لمن لم يرض بها داراً أي دار قرارٍ وثَباتٍ ولِنعم المَحلّ لمن لم يوطّنها محلاً أي لم يجعلها مَحلّ التّوطن فيها دائماً وبعبارةٍ أُخرىٰ الدّنيا أن جُعلت دار مجازٍ فهي خير الدّار لِتحصيل الزّاد وأن جُعلت دار قرارٍ فلا حُسن فيها فهي بما هي هي لا عيب فيها وأنّما العَيب فينا حيث إتّخذناها علىٰ خلاف ما خُلِقَت له كمن إتّخذ السّكين لقتل المؤمن والدّرهم والدّينار لِلمَعصية وهكذا فأنّ كلّ موجودٍ في الدّنيا له جُنبتان خيرٌ وشرٌ والدّنيا أيضاً كذلك فأنّ الدّنيا ليست إلّا مجموع هذه الموجودات حيث إنّا قد تكلّمنا سابقاً فيها تفصيلاً فلا نُطيل الكلام بذكرها ثانياً:

▫ قوله عليه السلام: **وَإِنَّ السُّعَدَاءَ بِالدُّنْيَا غَداً هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ...**

أي أنّ السّعداء يوم القيامة هم الّذين يَفِرون منها أي من الدّنيا اليوم وأمّا الّذين لم يَفِرّوا مِنها بل إعتمدوا عليها ورَكنُوا بها فهم يوم القيامة من المغبُونين قال العطّار:

مَشَو مغرورچندین‌نقش زیراک	بناى جملة بر دريا نهاديم
اگر موجى از آندريا بر آيد	شود ناچيز هر چه اينجا نهاديم
اگر اينجا ز دريا بر كنارى	جهانى پر غَمَت آنجا نهاديم
اگر همرنگ درياگردى امروز	ترا سلطانى فردا نهاديم
دِل عطّار را در عشق اين راه	چه گونى بى سر وبى پا نهاديم

□ **قوله ﷺ: إِذَارَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ وَحَقَّتْ بِجَلاَئِلِهَا الْقِيَامَةُ وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ أَهْلَهُ وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبَدَتُهُ وَلِكُلِّ مَطاَعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ فَلَمْ يُجْزَ فِي عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرْقُ بَصَرٍ فِي الْهَوَاءِ وَلاَ هَمْسُ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ...**

الرَّجْف بفتح الرّاء وسكون الجيم في الأصل الإضطراب الشّديد يقال رَجفت الأرض والبَحر قال اللّه تعالىٰ: ﴿**يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ**﴾(١)

و: ﴿**يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ**﴾(٢) قيل المراد بالرّاجفة النّفحة الأولىٰ حين تَهب ريح الفَناء فَتَنسف الأرض نسفاً والمعنىٰ إذا رَجفت الأرض وتزلزلت وإضطربت وحُقّت أي وقعت وثَبتت بجلائها وعظائمها القيامة ولَحِق بكلّ مَنسكٍ أي عبادة أو مكان عبادة أهله وبكلّ معبُودٍ عَبَدته وبكلّ مُطاع وإمام أهل طاعته فلم يُجز أي لم يُعط في عَدله تعالىٰ يومئذٍ خرق بصرٍ في الهواء ولا همس قدمٍ في الأرض أي لا تُجازي لمحة البَصر تنفذ في الهواء ولا همَسة القدم في الأرض إلّا بحقّه كما هو مقتضىٰ العَدل فأنّه وَضع الشّيء في محلّه وحيث ثبت أنّه تعالىٰ عادل عقلاً وشرعاً فلا محالة لا يُجزىٰ أحدٌ إلّا بما هو حقَيق له والمقصود من هذه الكلمات هو أنّ اللّه تعالىٰ ليس بظّلامٍ للعبيد وفيه إشارة الىٰ قوله تعالىٰ ﷻ ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ**﴾(٣)

و: ﴿**وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ**﴾(٤)

و: ﴿**إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا، يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا، بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا، يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ،فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ**﴾(٥)

١- النّازعات ـ ٨=۶ ٢- المزمل ـ ١۴
٣- الانبياء ـ ۴٧ ۴- الاعراف ـ ٧/٨
۵- الزّلزال ـ ٨=١

و : ﴿فَالْيَوْمَ لاٰ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلاٰ تُجْزَوْنَ إِلاّٰ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١)

و : ﴿ثُمَّ تُوَفّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مٰا كَسَبَتْ وَهُمْ لاٰيُظْلَمُونَ﴾ (٢)

و : ﴿وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاٰ يُجْزىٰ إِلاّٰ مِثْلَها وَهُمْ لاٰيُظْلَمُونَ﴾ (٣) والآيات كثيرة:

□ **قوله ﷺ: فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٌ وَعَلاٰئِقِ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ...**

وذلك لأنّه لم يبق لِلنّاس بعد الرّسُل حُجّة علىٰ اللّه يحتّجون بها يوم القيامة ولا عُذرٌ لهم بعد إتمام الحُجّة من اللّه عليهم ليعتذروا به يوم القيامة فكلما ظنّوه في الدّنيا حجّة وعُذر يكون غداً داحضة باطلة ولا يبقىٰ لهم إلّا الحَسرَة والنّدامة والخِسران وهذا هو الدّاء الّذي لا دواء له:

□ **قوله ﷺ: فَتَحَرَّمَنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومَ بِهِ عُذْرُكَ وَتَثْبُتُ بِهِ حُجَّتُكَ وَخُذْ مَا يَبْقَىٰ لَكَ مِمَّا لاَ تَبْقَىٰ لَهُ...**

قوله فَتحر أمرٌ من التّحري وهو الطّلب أي أطلب ليوم القيامة من أمرك ما يقوم به عُذرك وتثبت به حجّتك أي فكّر في أمرك وهَيّ نفسك لِلجواب وخُذ من الدّنيا لآخرتك من الأعمال ما يبقىٰ لك وهو العمل الصّالح: ﴿ فَإِنَّ الْبٰاقِيٰاتُ الصّٰالِحٰاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوٰاباً وَّخَيْرٌ أَمَلاً﴾ (٤)

و : ﴿وَالْبٰاقِيٰاتُ الصّٰالِحٰاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوٰاباً وَّخَيْرٌ مَرَدّاً﴾ (٥)

وقوله ﷺ ممّا لا تبقىٰ له هو الدّنيا ونِعمها الفانية حيث لا بقاء لها فالمعنىٰ خُذ الباقي من الفاني وأن شئت قلت خُذ الآخرة من الدّنيا

□ **قوله ﷺ: وَتَيَسَّرْ لِسَفَرِكَ وَشَمَّ بَرْقَ النَّجَاةِ وَأَرْحَلْ مَطَايَا التَّشْمِيرِ...**

تَيسر أمرٌ من التّيسر والمراد بالسّفر هو سفر الآخرة وشِم أمر من شام يشيم نحو باع يبيعُ والأمر منه شِم أي أُنظروا البرق لَمِحه والمطايا جمع مَطيّة وهي المَركَب والتّشمير مصدر قولك شمّر يشّمر تشميراً يقال شّمر الثوب دَفَعه ومعناه الجدّ:

١- يس ـ ٥٤
٢- البقرة ـ ٢٨١
٣- الانعام ـ ١٦٠
٤- الكهف ـ ٤٦
٥- مريم ـ ٧٤

والمعنىٰ تَيَسر وَتَأهب لِسَفرك ولا تكن في غفلة منه وأنظُر بَرق النّجاة ولَمحها أي أَنظَر الىٰ بوارق النّجاة ولوامع الأنوار الّتي فيها نَجاتك فحصّلها لِنَفسك قبل المَوت وأرحَل مطايا التشّمير ومراكب الجدّ والإجتهاد فَضَع عليها رَحلها لِلسّفر فأستعد لِسفرك وحصّل زادك قبل حلُول أجَلَك وفي إستعارة لفظ المطايا لآلات العَمَل ما لا يخفىٰ من اللّطف والحُسن:

ومن كلام له ﷺ (٢٢٢)
من المختار في باب الخُطَب

□ قوله ﷺ: وَاللّٰهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَىٰ حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً وَأُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللّٰهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبِلَى قُفُولُهَا وَيَطُولُ فِي الثَّرَىٰ حُلُولُهَا؟!

وَاللّٰهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّىٰ اسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ غُبْرَ الأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ مُفَارِقاً طَرِيقَتِي فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا فَقُلْتُ لَهُ ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ وَتَجُرُّنِي إِلَىٰ نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ أَتَئِنُّ مِنَ الْأَذَىٰ وَلَا أَئِنُّ مِنْ لَظَىٰ وَأَعْجَبُ مِنْ ذٰلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِهَا وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا فَقُلْتُ أَصِلَةٌ أَمْ زَكَاةٌ أَمْ صَدَقَةٌ فَذٰلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَقَالَ لَا ذَا وَلَا ذَاكَ وَلٰكِنَّهَا هَدِيَّةٌ فَقُلْتُ: هَبِلَتْكَ الْهَبُولُ أَعَنْ دِينِ اللّٰهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي أَمُخْتَبِطٌ أَنْتَ أَمْ ذُو جِنَّةٍ أَمْ تَهْجُرُ، وَاللّٰهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَىٰ أَنْ أَعْصِيَ اللّٰهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ

جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يُفْنَىٰ وَلَذَّةٍ لاَ تَبْقَىٰ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ وَقُبْحِ الزَّلَلِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ.

◁ **اللغة**

(**حَسَكِ السَّعْدَانِ**) الحَسَك بفتحتين الشّوك والسّعدان بفتح السّين وسكون العين نبتٌ ترعاه الإبل له شَوك تشبه به حُلمة الثّدي (**مسّهداً**) إسم المفعول من سَهّد يُسّهد أي مُسّهراً يقال سَهّده إذا أسهَره (**أُجَرّ**) بضم الألف وفتح الجيم مجهول ماضٍ من أَجَرّ (**والأغلال**) جمع غُلّ (**مُصّفداً**) بضم الميم إسم مفعولٍ من صَفّد إذا قيّد والمُصَفد المُقّيد (**قُفولِها**) بضّم القاف القُفول الرّجوع يقال قفل قفولاً إذا رجَع (**أملَق**) أي إفتَقَر (**اسْتَمَاحَنِي**) الإستماحة طلب المَنح وهو العطاء أي طلب منّي العطاء (**بُرِّكُمْ**) البُر بضّم الباء الحِنطة (**صَاعاً**) الصّاع أربعة أمداداً (**شُعث**) بضّم الشّين وسكون العين جمع أشعَث وهو من الشَّعر المُتَلَبّد بالوَسخ (**غُبَر**) بضّم الغين المعجّمة وفتح الباء جمع أغبَر مُتغّير اللّون (**الْعِظْلِمِ**) بكسر العين علىٰ وزن زبرج سوادٌ يُصبَغ به وقيل هو النّيلة (**قِيادة**) القِياد بكسر القاف كالزّمام لفظاً ومعنىً وهو ما يُقاد به (**دَنَف**) محركّة المَرَض (**مِيسَمها**) بكسر الميم وفتح السّين المِكواة (**ثَكِلَتْكَ**) ثَكل كَفَرِح أصاب ثُكلاً بالضّم وهو فُقدان الحبيب أو خاصّ بالوَلَد (**والثّواكل**) النّساء (**أَتَئِنُّ**) من أنّ يأن أنيناً تأوّه والهمزة لِلإستفهام (**أَئِنُّ**) وحدة من أَنّ يأنّ (لظىٰ إسم جهنّم (**شَنِئْتُهَا**) كرهتها (**هَبِلَتِكَ الْهَبُول**) هَبِلتك بفتح الهاء وكسر الباء وسكون التّاء أي ثَكلتك والهَبول بفتح الهاء التّي لا يبقىٰ لها ولد من النّساء (**تَهجُر**) أي تهذو بما لا معنىٰ له (**جُلْبَ شَعِيرَةٍ**) الجِلب بكسر الجيم القشر (**تَقْضَمُهَا**) القَضم بفتح القاف وسكون الضّاد والميم الأكل بأطراف الأسنان (**سُبَاتِ**) بضّم السّين النّوم:

◁ المعنىٰ

(وَاللّهِ) أي أُقسم بالله (لَأَنّ أَبِيتَ عَلَىٰ حَسَكِ السَّعْدَانِ) وشوك النبْت (مُسَهَّداً) ممنُوعاً من النّوم (وَأُجَرَّ فِي الْأَغْلالِ مُصَفَّداً) أي أُجرّ على الأرض موثّقاً بالسّلاسِل (أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ) لانّ الظّالم ملعُون مَطرود (وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ) والأموال من العباد (وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً) في الدّنيا (لِنَفْسٍ) أي لاجل نفس (يُسْرِعُ إِلَىٰ الْبِلَى قُفُولُهَا) ورجوعها (وَيَطُولُ فِي الثَّرَىٰ) تحت الأرض (حُلُولُهَا) وإستقرارها (وَاللّهِ) أي أُقسم به (لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً) وهو أخي (وَقَدْ أَمْلَقَ) أي والحال أنّه قد إفتقر أشدّ الفقر (حَتَّىٰ اسْتَمَاحَنِي) وطلب منّي العطاء (مِنْ بُرِّكُمْ) وحِنطتكم (صَاعاً) منه وهو أربعة أمداد (وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ) صبيان أخي (شُعْثَ الشُّعُورِ) أي مُتلبد الشَّعر (غُبْرَ الأَلْوَانِ)مُغبّر الرؤوس مُـتّغير الألوان (مِنْ فَقْرِهِمْ كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ) والصِّبغ أو النّيلة (وَعَاوَدَنِي) عقيل في إستماحته عنّي (مُؤَكِّداً) جدّاً (وَكَرَّرَ) غير مّرةٍ (عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً) وبعد ما أُصّر علىٰ سؤاله (فَأَصْغَيْتُ) وأملتُ (إِلَيْهِ سَمْعِي فَظَنَّ) عقيل (أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ) أي ظنّ أنّي صرتُ مُنقاداً له في إجابة سُئله (مُفَارِقاً طَرِيقَتِي) أي ظنّ أنّي أُفارق طريقتي وهي العَدل والأسوة (فَأَحْمَيْتُ) بالنّار (لَهُ حَدِيدَةً ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا) أي قربتُها (مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ) عقيل (بها بالحديدة المُحماة)فضَج عقيل وَتأوّه (ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا) أي كضجيج المريض من وَجعه (وَكَادَ) وقرب (أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مَيسَمِهَا) أي من أثرها في يده(فَقُلْتَ لَهُ ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ).

أي النّساء النّادبات (أَتَئِنُّ) وتضّجّ (مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ) وهو خلاف الجِدّ (وَتَجُرُّنِي) وَتدعوني (إِلَىٰ نَارٍ سَجَرَهَا) وأَوقدها (جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ) فأنّ الله أوقدها في جهنّم كذلك (أَتَئِنُّ) وتضجّ (مِنَ الْأَذَىٰ) وحرارة النّار (وَلاَ أَئِنُّ) ولاأَضُجّ (مِنْ لَظَىٰ) وجهنّم (وَأَعْجَبُ مِنْ ذٰلِكَ) وهو قصة عقيل (طَارِقٌ طَرَقَنَا) أي أتىٰ إلينا ليلاً (بِمَلْفُوفَةٍ) وهديةٍ (فِي وِعَائِهَا) وظرفِها (وَمَعْجُونَةٍ

شَنِئْتُهَا) وكرهتُها (كَأَنَّمَا عُجِنَتْ) المعجُونة (بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا) أي بَسّمها (فَقُلْتُ) له (أَصِلَةٌ) هذه المعجُونة (أَمْ زَكَاةٌ أَمْ صَدَقَةٌ فَذٰلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتَ) فلا يجوز لنا أكله (فَقَالَ لاَ ذَا وَلاَ ذَاكَ) أي ليست بصَدَقة ولا زكٰوة (وَلٰكِنَّهَا هَدِيَّةٌ) منّي إليك (فَقُلْتُ) له (هَبِلَتْكَ الْهَبُولُ) أي ثكلتك أُمّك (أَعَنْ دِينِ اللّٰهِ اَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي اَمُخْتَبِطٌ) أنت (اَنْتَ أَمْ ذُو جِنَّةٍ) ومجنُون (اَمْ تَهْجُرُ) فتقول ما لا معنىٰ له (وَاللّٰهِ) أي أقسم به (لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلاَكِهَا عَلىٰ اَنْ أَعْصِيَ اللّٰهَ فِي نَمْلَةٍ اَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ) أي علىٰ أن آخذ منها جلب شعيرتها (مَا فَعَلْتُهُ) ذلك (وإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ) وأدوَن (مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا) وتأكلها (مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يُفْنَىٰ) ويزول (وَلَذَّةٍ لاَ تَبْقَىٰ) بحالها (نَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ) ونَومه (وَقُبْحِ الزَّلَلِ) والخَطأ في دينه (وَبِهِ) أي باللّٰه (نَسْتَعِينُ) فإنّه خيرُ مُعين:

◁ الشرح

▫ قوله ﷺ: وَاللّٰهِ لَأَنَّ اَبِيتَ عَلَىٰ حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً وَأُجَرَّ فِي الْأَغْلاَلِ مُصَفَّداً اَحَبُّ اِلَيَّ مِنْ اَنْ اَلْقَى اللّٰهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ...

الواو لِلقسم واللّٰه إسم الجلالة وهو عَلَمٌ علىٰ الأصّح للذّات الواجب الوجود المُستّجمع لجميع الصّفات الكمّالية وقوله أبيت، متكّلم وحدة من بات يَبيتُ بيتاً وبياتاً ومَبيتاً وَالمعنىٰ أُقسم باللّٰه لأن أبيت أي أقوم باللّيل علىٰ حَسِك السّعدان وهو من إضافة الصّفة الىٰ الموصوف فأنّ الحَسك صفة السّعدان أي علىٰ نَبتٍ له شَوك ويقال له بالفارسية (خار مغيلان) ترعاه الأبل مُسهّداً أي مُسّهراً مَمنُوعاً من النّوم وأُجَرّ علىٰ الأرض في الأغلال أي مغلولاً مؤثقاً به أحبّ إلّي من ألقىٰ اللّٰه ورسوله يوم القيامة ظالماً أي حال كوني ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشيءٍ من الحُطام الدُنيّوية وفي هذا الكلام لطائف تُشير اليها إجمالاً:

منها أنّه صدّر كلامه بالقَسم وإسم الجلالة وقال واللّه لِلإشارة الىٰ أنّ ما قاله ﷺ حقّ لا شكّ فيه فأنّ القَسم بإسم الجلالة من الإمام المعصوم أدّل دليلٍ علىٰ صِدق المُدّعىٰ:

ومنهاـ أنّه قال لان أبيت علىٰ حَسَك السّعدّان مُسَهّداً ولم يقل لان أقوم علىٰ حَسَك السّعدان مثلاً لِلدّلالة علىٰ صُعوبة البيتُوتة عليه من غير نومٍ ففي الحقيقة فيه صعوبتان

أحدايهما: الإقامة علىٰ حَسَك السّعدان ليلاً كانت أو نهاراً وثانيتهما عدم القُدرة علىٰ النّوم في هذه الحالة وهذا هو الوجه في تعبيره ﷺ بكلمة (أبيتُ)

ومنهاـ أنّ الجَرّ مغلولاً مُصَّفداً وموثقاً من أصعَب الصُعوبات حيث أنّ الإنسان كذلك لا يقدر علىٰ تحريك يَديه ورِجلَيه بل ورأسه أيضاً إذ المفروض أنّه مغلول:

ومنهاـ الإشارة الىٰ أنّ هذه الشّدائد في الدّنيا أهوَن وأسهَل من شدائد الآخرة وعذابها وذلك لأنّه ﷺ قال هذه الأُمور أحَبّ إلّي من الظّلم الّذي يتبعه العذاب في الآخرة

ومنها – أنّه ﷺ قال **ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ** ولم يقل ظالماً أو ظالماً للعباد وغاصباً للحُطام وفيه إشارة الىٰ أنّ الظّلم علىٰ الغير وغصب مال الغير من حقوق النّاس وحقّ النّاس أعظم وأشدّ من حقّ اللّه والتّخصيص بالبعض لِلإشارة الىٰ أنّ الظّلم علىٰ جميع العباد والغصب لجميع الحُطام ممّا لا يُوجد لأحدٍ لو لم نقل بَعدم إمكانه عادةً:

□ **قوله ﷺ: وَكَيْفَ اَظْلِمُ اَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ اِلَى الْبِلَى قُفُولُهَا وَيَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا...**

الظّاهر أنّ المراد بالنّفس في هذا المقام هو النّفس الأمارة أعني بها الشّهوة فأنّها ترجع الىٰ الإندراس والبِلىٰ ويطول حلولها في التُّراب أعني القبور، دون النّفس النّاطقة القُدّسية المَلكُوتّية لأنّها لا ترجع الىٰ البِلىٰ والإندراس بل تصعد وتترّقىٰ الىٰ الكمال ما دامت تتعلق بالبَدَن ثمّ بعد مفارقتها عنه ترجع الىٰ عالم

الملكوت ولا تكون في القبر بمستقرة حتّى يقال يطول فيه حلولها هذا:

وأمّا الشّارح الخوئي ﷺ فقد حمل النّفس في كلامه ﷺ على الجسد وما ذكرناه أولى وأن كان المآل في الإحتمالين واحداً لأنّ إطلاق النّفس على الجسد بعيد وكيف كان فالمعنى كيف أظلم لأجل هذه النّفس الّتي تبلى وتندرس ثمّ تدخل تحت الثّرى الى ما شاء اللّه والغرض أنّه لا بقاء لها في الدّنيا بل هي فانية لا محالة فالظّلم على الغير لأجل ما يرجع الى الفنى والدّثور خروج عن طريق الحقّ والصّواب وقد مرّ الكلام في الظّلم وقبحه وأقسامه وما أعدّ اللّه من العذاب لِلظّالم وكفى في ذمّه بعد حُكم العقل بقبحه بل قيل أنّه من المستقلات العقليّة كما أن حُسن العَدل أيضاً كذلك، ما وَرد من الآيات في ذمّه وذمّ من إتّصف به، قال اللّه تعالى: ﴿وَاَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً اَلِيماً﴾ (١)

و: ﴿وَاِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (٢)

و: ﴿اِنَّا اَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً اَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ (٣)

و: ﴿اِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ﴾ (٤)

و: ﴿فَاَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَينَهُم اَنْ لَعنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (٥)

و: ﴿وَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ وَ بِئْسَ مَثْوَىٰ الظَّالِمِين﴾ (٦)

و: ﴿وَ اللّٰهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (٧) وغيرها من الآيات الكثيرة وأمّا قوله ﷺ وغاصباً لشئ من الحُطام، فالغَصب أيضاً يدخل في الظُّلم والفرق أنّ الغصب يختّص بالمال والظّلم أعمّ منه وذلك لأنّ الغصب هو التّصرف في مال الغير من غير إذن صاحبه عُدواناً ولأجل هذا قالوا أنّ الغَصب في الأُمور المالية والظّلم أعمّ من المال وغيره من الحقوق:

▫ **قوله ﷺ: وَاللّٰهِ لَقَدْ رَاَيْتُ عَقِيلاً وَقَدْ اَمْلَقَ حَتَّىٰ اسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً...**

الواو للقسم أي أُقسم باللّه لقد رأيتُ عقيلاً والحال أنّه قد أَملَقَ وإفتَقَر حتّى

١- الفرقان - ٣٧
٢- الحج - ٥٣
٣- الكهف - ٢٩
٤- ابراهيم - ٢٢
٥- الاعراف - ٤٤
٦- آل عمران - ١٥١
٧- آل عمران - ١٤٠

إستماحني أي طلب منّي العطاء من بُرّكم وحِنطتكم صاعاً، والصّاع أربعة أمداد وكلّ مّدٍ رِطل وثلث والرِّطل أثنتا عشرة أُوقية والأُوقية أستار وثلثا أستار والأستار أربعة مثاقيل ونصف والمثقال درهم وثلاثة أسباع درهم وقال بعضهم الصّاع ألف ومائة وسبعون درهماً وثمان مائة وتسعة عشر مثقالاً.

▫ قوله ﷺ: **وَرَاَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ غُبْرَ الْأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ كَاَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ...**

أي ورأيت صبيان أخي شعث الشّعُور أي مغبر الرّؤوس متّغير الألوان من فقرهم كأنّما سّوّدت وجُوههم أي وجوه الصّبيان بالعِظلِم والصِّبغ وقيل هو النّيلة كلّ ذلك من شدّة الجُوع:

▫ قوله ﷺ: **وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً فَاَصْغَيْتُ اِلَيْهِ سَمْعِي فَظَنَّ اَنِّي اَبِيعُهُ دِينِي وَاَتَّبِعُ قِيَادَهُ...**

أي وعاودني العقل مؤكداً للإستماحة وكَرّر علّي القول وألَحّ علّي فأصغيتُ أي أَملتُ اليه سَمعي فظنّ أن أبيعه ديني وأتبّع قياده أي أطيعه وأنقاده وجعلتَ زمام أمري اليه:

▫ قوله ﷺ: **مُفَارِقاً طَرِيقَتِي فَاَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدةً ثُمَّ اَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا...**

قوله مفارقاً منصوب علىٰ الحّالية من فاعل (أتبع) أي أنه ظنّ أنّي أبيعه ديني وأتّبع قياده حال كوني مفارقاً طريقي وهي العَدل والأسوة بالنبّي وذلك لأنّ المال الّذي إستماحه عقيل كان للمُسلمين فأعطاؤه المال يوجب خروجه عن جادّة العدالة ودخوله في الظّلم فأنّ إعطاء النّاس مال الغير ظُلم فاحش ومع ذلك يُنافي الأسوة بالنّبي ﷺ وقد قال اللّه تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1] وكيث كان كذلك وهو أيضاً كان مُصراً علىٰ الإستماحة فأحمَيت له حديدة، أي جعلت الحديدة في النّار فلمّا أُحميت أَدنَيتها وقَرّبتها من جسمه ليعتبر بها ويذكر نار الآخرة.

١- الاحزاب- ٢١

▫ قوله عليه السلام: **فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا...**

أي لمّا مسّته الحرارة ضجّ كضجيج ذي دَنَف أي مَن له مَرض مُؤلِم من أَلَمها أي من ألَم الحَرارة وكاد وقرب أن يحترق من مِيسمها أي من أثر في يده:

▫ قوله عليه السلام: **فَقُلْتَ لَهُ ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ وَتَجُرُّنِي إِلَىٰ نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ أَتَئِنُّ مِنَ الْأَذَىٰ وَلاَ أَئِنُّ مِنْ لَظَىٰ...**

أي لمّا ضجّ عقيل من حرارة الحديدة المُحماة قلت له ثُكلتك الثَّواكل أي النّساء النّادبات ياعقيل أتَئن وتَضّج من حديدة أحماها إنسانها لِلَعبه من غير جِدٍّ بل لَغرض التّنبيه والإعتبار وتَجرّني وتدعُوني الىٰ نارٍ سَجَرها وأوقَدها جبّارها لِغَضبه وأَعدَّها للظّالمين وأنّما قال عليه السلام: **وتَجرّني**، إشعاراً بأنّ إجابة مسئول عقيل تلزم ذلك ثمّ قال عليه السلام له **أَتَئّن** وتضّج من الأذىٰ في الدّنيا ولا أَئِنّ من لَظىٰ أي من جهنّم ونارها والفرق بين المَوردين كثير فهو خروج عن الإنصاف:

▫ قوله عليه السلام: **وَأَعْجَبُ مِنْ ذٰلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِهَا وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا...**

يعني وأَعجب ممّا ذكرته لك من قصّة عقيل قصّة الأشعث ابن قيس الكِندي وذلك أنّه أتىٰ الينا ليلاً بملفُوفةٍ أي بَهديّةٍ لَفّها في وعائها وظرفها ومعجُونة شَنئتها وكَرِهتها قيل أنّ المعجُونة كانت نوعاً من الحَلو تأنق فيه ذكره الشّارح المُعتزلي والعلم عند اللّه وأنّما قال عليه السلام: **شِنئتها** أمّا لأنّها كانت من يد أشعث وهو رأس المنافقين أو أنّه عليه السلام كان يبغضها لِنفسها وكيف كان قال عليه السلام: كأنّما عُجنت بريق حيّةٍ أو قيّها وهو كناية عن سَمّها والتّعبير بكأنّما، لأنّ المَعجُونة ليست بِظاهرها مَسمُومة إلّا أنّ الأشعث حيث أراد بها تخديعه عليه السلام وإغفاله فكأنّها مسمُومة من هذه الجهَة لأنّ هذه المَعجُونات من يدَ هذه الأشخاص تُوجب قتل الإنسان من حيث لا يُحتسب:

▫ قوله عليه السلام: **فَقُلْتُ أَصِلَةٌ أَمْ زَكَاةٌ أَمْ صَدَقَةٌ فَذٰلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتَ...**

أي فقلت للطّارق ما هذه المعجُونة أَصِلة وهدية أَم زَكْوة أَم صَدقة فذلك أي كلّ منهما محرّم علينا أهل البيت قال الشّارح المُعتزلي الصّلة العَطية لا يراد بها الأجر بل يراد بها وصِلة التّقرب الىٰ الوصول وأكثر ما تُفعل للذِّكر والصِّيت والزّكْوة هي ما تجب في النّصاب من المال، وتصدّقه ههنا هي صَدقة التّطوع الىٰ أن قال:

فأن قلت كيف قال عليه السلام: **فَذٰلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا اَهْلَ الْبَيْتَ** وأنّما يحرّم عليهم الزّكْوة الواجبة خاصّة ولا يحرم عليهم صدقة التّطوع ولا قبول الصِّلات، قُلت أراد بقوله أهل البيت الأشخاص الخمسة مُحمّد وعلّي وفاطمة وحسن وحسين فهؤلاء خَاصّته دون غيرهم من بني هاشم مُحرّم عليهم الصِّلاة وقبول الصّدقة وأمّا غيرهم من بني هاشم فلا يحرم عليهم إلّا الزّكْوة الواجبة ثمّ قال:

فأن قلت كيف أنّ هؤلاء الخمسة يحرم عليهم قبول الصِّلاة وقد كان حسن وحسين عليهما السلام يَصِلان صلة معاوية قلت كلّا لم يَصَلا صِلته وأنّما قبلا منه ما كان يدفعه اليها من جملة حقّهما من بيت المال فأنّ سهم ذوي القربىٰ مَنصوص عليه في الكتاب العَزيز وأنّما غير سهم ذوي القُربىٰ سهم آخر للإسلام من الغنائم انتهىٰ ما ذكره في المقام بعباراته وألفاظه:

وقال الشّارح الخوئي بعد نقله عنه ما نقلناه عنه بما حاصله أنّ الصِّلاة فلم يقل أحَد بحرمتها عليهم ولا علىٰ غيرهم من الهاشّميين والصّدقة فكذلك علىٰ المشهور من أصحابنا إذا كانت مندوبة ثمّ دَفع الإشكال بجعل المشار اليه بقوله عليه السلام: **(فذلك)** أحد الأخيرين، الزّكاة أو الصّدقة، أو الصّدقة المندوبة بناء علىٰ مذهب من حرّمها عليهم من الأصحاب والمراد بالصّدقة الكفّارات الواجبة ثمّ قال:

ويؤيد ذلك أعني كون الإشارة الىٰ أحد الأخيرين فقط، جواب الأشعث بقوله لا ذا ولا ذاك حيث نفي الأثنين من الثّلاث دون الثّلاث جميعاً فيكون قوله ولكنّها هدّية بمعنىٰ أنها صِلة وعلىٰ كون المشار اليه جميع الثلاث فاللّازم حمل الصِّلة علىٰ ما كان علىٰ وجه المُصانعة وللرّشوة وعلىٰ كون المراد

بالصّدقة صَدقة التّطوع والبناء علىٰ مذهب المشهور فلابُدّ من إرتكاب المجاز في التّحريم وحمل قوله ﷺ محرّم علىٰ ما تعم الكراهة والحرمة المُصطلحة انتهىٰ:

وأنا أقول: في المقام أمور ثلاثة ينبغي التّعرض لكلّ واحدٍ منها:

أحدها: الصِّلة بكسر الصّاد وهي الهَدّية ولا نعلم فَرقاً بينهما إلّا بحسب الإعتبار وهي جائزة لكلّ واحدٍ من الأفراد في حقّ كلّ واحدٍ منهم فأنّها عبارة عن إعطاء المال الىٰ الغير لأجل العلاقة والمحبّة ولم يخالف في هذا الحكم أحد فيما نعلم سواء كان المُعطي أو المُعطىٰ له من الأنبياء والأوصياء أم كان من غيرهم فقول الشّارح المُعتزلي بكونها محرّمة علىٰ أهل البيت مطلقاً أو الأشخاص الخمسة أعني بهم محمّداً وعلّياً وفاطمة والحَسن والحسين ممّا لا دليل عليه بل الدّليل علىٰ خلافه موجود وهو السّيرة المستمرة في عهد النّبي والأئمّة والأخبار مشحونة بوجودها في حقّهم كيف وهي من الإحسان ورّد الإحسان لا يجوز إذا لم يكن فيه غرض آخر غيره مضافاً الىٰ أنّ الأصل يقتضي الإباحة والجواز، وأمّا الحُرمة فهي مؤنة زائدة تحتاج الىٰ دليل خاصّ وإذ ليس فليس وفي صورة الشّك نقول بجوازها حتّىٰ يثبت خلافه وعلىٰ المدّعي الإثبات:

وأمّا كلام الشّارح في أنّ الحَسَنين لم تقبلا ما كانا قبلاه من معاوية من جهة الصّلة بل قبلاه من جهة حقّهما في بيت المال فهو خارج عن البحث فأنّه لم يكن من ذاك ولا من ذاك بل كان شئ آخر وهكذا الكلام في جميع الأئمة بالنّسبة الىٰ جميع الخلفاء ولا فرق فيهم من هذه الجهة علىٰ أُصول مذهَبنا ولتفصيل الكلام فيه مقام آخر وحاصله أنّهم عليهم السّلام أخذوا ما أَخذوا عن الخلفاء بعد رسول اللّه ﷺ لكونهم عليهم السّلام أوصياء رسول اللّه وولاة أمر النّاس بعده بنّص منه ﷺ في الواقع والظّاهر إلّا أنّهم عليهم السّلام بعده صاروا مظلومين مقهورين ممنوعين عن حقوقهم المسّلمة والخلفاء قد غَصبوا حَقّهم ومنعُوهم عن إستيفائه وقد ثبت في مَذهَبنا.

أنّ الغاصب إذا لم يمكن أخذ جميع المال منه فكلّ ما أَمكَن أخذه يجب أخذه فأنّ الميسور لا يترك بالمعسُور وما لا يُدرك كلّه لا يُترك كلّه وحيث أنّ الإمام ولّي أمُور المُسلمين في جميع شئونهم ومنها الحقوق المـاليّة فـيجب عليه الأخذ من مال المغصُوب بقدر الإمكان ثمّ إيصاله الىٰ من هو أهله فلو فرضنا أنّ واحداً من الخلفاء أعطىٰ جميع الأموال الموجودة في بيت المال الىٰ أحد الأئمّة في زمانه لكان الإمام قد أَخَذه مع أنّ الجميع لم يكـن حـقّه عليه السلام بشخصه فقول المُعتزلي بأنّ المال الّذي أَخَذه الحَسن أو الحُسين كـان مـن حقّهما ليس كما زَعَمه من حيث أنّهما كغيرهما من آحاد المسلمين بل كـان حقّهما بالمعنىٰ الّذي ذكرناه أي حقّهما لإيصاله الىٰ مصالح المسلمين ألا ترىٰ أنّ الإمام الحُسين إبن علّي عليه السلام في سفره الىٰ العَراق أمَر بتوقيـف الأموال الّتي كانت في يد عُمّال يزيد لَعَنه اللّه وكانوا يحملونها الىٰ الشّام أيقول المُعتزلي أنّ هذا كلّه كان حقّه عليه السلام بالمعنىٰ الّذي فَهمه من الحـقّ أمّ يـقول أنّ الإمـام عليه السلام غَصَب أموال النّاس أو أموال يزيد فأن قال بالثّاني وأظنّ أنه يقول به فهو كافر باللّه وبرسوله حيث أنكر العِصمة في حقّه واللّه يقول: **﴿إنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُم الرِّجسَ أَهلَ البَيتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطهِيراً﴾**[1] وإنكار العِصمة هو إنكـار الآيـة وقد إتّفقوا علىٰ أنّ نزولها في أصحاب الكساء ومنهم الحُسين عليه السلام وأيّ رجسٍ أشدّ وأعظم من غَصب مال الغير وأن قال بالأوّل كما هو الحقّ فَثبت ما إدّعيناه وإذا ثبت هذا في حقّه عليه السلام ثبت في الكلّ فأنّ حكم الأمثال واحـد ومـحصّل الكلام أنّ قبولهم المال من خلفاء زمانهم لم يكن من باب الصِّلة ولا من باب أخذ الحقّ من بيت المال بالمعنىٰ الّذي زَعمه المعتزلي وأنّما هو كان لأجل ما ذكرناه:

والدّليل علىٰ المدّعىٰ أنّ الغاصب لا يجوز له التّصرف في المـغصُوب إذ ليس المغصُوب من ماله حتّىٰ يتّصرف فيه بأيّ نحوٍ شاء وإذا كان علىٰ هـذا المنوال فكيف يجوز لأحَدٍ من المُسلمين أخذ المال المغصُوب من الغاصب

١- الحزاب ـ٣٣

مع علمه بالغَصب إلّا علىٰ وجه التّقاص بحسب سَهمه من بيت المال أن قلنا بجوازه في المشاع من الأموال المغصُوبة كما هو المشهور فيما إذا كان السّهم مُشَخصاً معّيناً وأمّا في غير المَعين فالإحتياط في تركه وعليه فإذا فَرضنا أنّ سهام المسلمين كانت معّينة في بيت المال فَيجوز لكلّ واحدٍ منهم أن يأخذ سَهمه من الغاصب وأمّا أكثر من سَهمه فلا يجوز له قطعاً لأنّه مال الغير ولأجل هذا نقول بعدم جواز أخذ العطاء من الغاصب إذا كان أكثر من حقّ الآخذ إلّا أن يأخذه ويعطيه الىٰ أهله وعلىٰ هذا فكان أكثر الوجوه المأخوذة من الخلفاء علىٰ خلاف الشّرع لأنّها كانت علىٰ غير التّساوي بحَسَب آراء الخلفاء في المسلمين وأوّل من أسّس هذا الأساس في الإسلام هو عُمر ابن الخطاب فأعطىٰ من بيت المال كلّ واحدٍ منهم بحسب رأيه ومَيله وهم قد أخَذوه مع إدّعائهم الإسلام هذا بالنّسبة الىٰ المُسلمين.

وأمّا الإمام فحيث أنه ولّي أمر المسلمين شرعاً فحقّه تّقاص الأموال المغصُوبة عن الغاصب وإيصالها الىٰ مواردها ولأجل هذا يجوز له الأخذ بكلّ ما أَمكن له ولو لجميع ما في بيت المال ولا يعدّ هذا من الصِلّة ولا من سَهمه من بيت المال وأمّا الشّارح المُعتزلي فَحيث حكم بصّحة خلافة الحلفاء وأنّهم كانوا غير غاصبين وجَعَل الحسن والحُسين وغيرهما من الأئمّة كَغيرهم من آحاد المُسلمين أمثال عبد اللّه بن عُمر وطلحة والزُّبير وسعد وابن عوف وغيرهم فَحكم في الأئمة كما حَكَم في غيرهم وليس الأمر علىٰ ماظَنّه وأنىٰ كان لمعاوية وغيره من الخلفاء مال أعطوه لغيرهم حتّىٰ يقال أنّه كان صلة أو لم تكن بها والحاصل أنّ الصّلة كانت جائزة لهم ولغيرهم من الهاشمين غيرهم ولا دليل علىٰ عدم جوازها في حقّ أحَدٍ من النّاس.

وأمّا الزّكوة فهي علىٰ قسمين - زكوة الأموال، وزكوة الأبدان أعني بها الفطرة لِلصّوم، أمّا الأُولىٰ فهي مُحرّمة علىٰ الهّاشميين بقولٍ مطلق وأمّا الثّانية فهي مُحرّمة علىٰ الهاشميين من غيرهم وأمّا زكوة الهاشمي للهاشمي فلا إشكال فيها عندنا إجماعاً وهذا ممّا لا كلام فيه فقول المعتزلي بحرمتها عليهم

مطلقاً يدّل على عدم إطّلاعه وقصور فَهمه وأمّا الصّدقة فهي على قسمين واجبة ومندوبة والواجبة فيها حكمها أحكم الزّكٰوة في كثير من الموارد بل هي عينها والأصل فيها لقوله تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (١) وأُنزلت الآية في شهر رمضان فأمر رسول اللّه مناديه فَنادىٰ في النّاس أنّ اللّه تعالىٰ فَرض عليكم الزّكٰوة كما فَرض عليكم الصّلٰوة فَرض اللّه عليهم من الذّهب والفِضّة وفَرض عليهم الصّدقة من الإبل والبقر والغنم والحنطة والشّعير والتّمر والزّبيب ونادىٰ فيهم بذلك في شهر رمضان وعفىٰ لهم عمّا سوىٰ ذلك وتفصيل الكلام فيها في كتب الفقه وقد ظهر لك أنّ الصّدقة الواجبة هي الزّكٰوة بعينها وأمّا أنّها محرّمة علىٰ الهاشميين فهو متّفق عليه بين الأصحاب فقد تحصّل ممّا ذكرناه أنّ القول بتحريم الصّدقات الواجبة عليهم علىٰ سبيل الإطلاق ممّا لا وجه له هذا كلّه في الصّدقة الواجبة وأمّا المندوبة فلا إشكال عندنا في جواز الأخذ بها لهم اذا عرفت هذا في الصِّلة والزّكٰوة والصّدقة وأنّ الصِّلة يجوز لهم الأخذ بها وأمّا الصّدقة بمعناهاالعامّ الذّي يشمل الزّكٰوة في الفِطرة فأن كانت من هاشمّي يجوز أخذها لهاشمّي آخر وأمّا من غيره فلا وأمّا المَندوبة فهي جائزة مطلقاً فلنرجع الىٰ شرح كلامه ﷺ ونقول:

قوله ﷺ: **فذلك محرّم علينا أهل البيت،** إشارة الىٰ الصّدقة فقط بمعناها العامّ الشّامل للزّكٰوة فأنّ الزّكٰوة أيضاً من الصّدَقة كما مرّ الكلام فيه ولو كان قوله ﷺ فذلك، إشارة الىٰ الكلّ، فحقّ العبارة الإتيان بالإشارة بصيغة الجمع ولو كانت الزّكٰوة غير الصّدقة فحقّ العبارة في الإشارة ذلكما وحيث أنّه ﷺ أتىٰ بلفظ المفرد وقال فذلك، نفهم منه أنّ المُشار اليه واحد وهو لا يكون إلّا الصّدقة التّي هي أعّم من الزّكٰوة المُصطلحة خرجت منها المَندوبة وبقيت الواجبة تحت الحُكم إذا كانت من غير هاشمي كما عَرفت:

وأمّا الأشعث حيث زَعَم أنّ الصّدَقة قسيم الزّكٰوة فقال لا ذا ولا ذاك أي لا

١-التوبة-١٠٣

صدقة ولا زكوة فأخرَج الصّدقة والزّكوة وأبقىٰ الصِلة تحت الحُكم والدّليل عليه قوله ولكنّها هدّية، فأنّها ليست إلّا الصِلة وكيف كان فالصِلة خارجة عن الحُكم أعني به الحُرمة فهي جائزة وهو المطلوب:

▫ قوله ﷺ: **فَقُلْتُ: هَبِلَتْكَ الْهَبُولُ اَعَنْ دِينِ اللَّهِ اَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي اَمُخْتَبِطٌ اَنْتَ أَمْ ذُو جِنَّةٍ اَمْ تَهْجُرُ...**

أي قلت له ثكلتك الثّواكل وندبتك النّادبات أَعَن دين اللّه أتيتني لتخدعني أي تريد أن تخدعني عن ديني بقولك ولكنّها هدّية، أمُختبطٌ أنتَ فأختّل نظام إدراكك أم أصابك جنون أم تهجُر وتهذو بما لا معنىٰ له ويظهر من كلامه ﷺ أنّه عَلِم أنّ الأشعث كذب في قوله ولكنّها هـدّية، والدّليـل عـليه قـوله ﷺ: **لَتخدعني**، أي أنتَ تُريد شيئاً آخر من إعطائك ولست من أهل الهدّية والصِلة وأنّما قال ﷺ ذلك لأنّ الأشعث كان رأس المُنافقين في عصره ولذلك قال ﷺ له أمُختبطٌ الىٰ آخر كلامه ولَنِعم ما قيل في هذا المعنىٰ بالفارّسية:

بـرو ايـن دام بـر مـرغ دگـر نِـه   كـه عـنقارا بـلند است آشـيانة

▫ قوله ﷺ: **وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَىٰ اَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمْلَةٍ اَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ...**

أَقاليم بفتح الهمزة جمع إقليم بكسرها قال في لسان العرب الإقليم واحد أقاليم الأرض السّبعة وأقاليم الأرض أقسامها واحدها إقليم قال ابن دُريد لا أحسب الإقليم عَربّياً وقال الأزهري وأحسَبه عَربّياً وأهل الحساب يزعُمون أنّ الدّنيا سبعة أقاليم كلّ إقليم معلوم كأنّه سّمي إقليماً لأنّه مقلوم من الإقليم الّذي يُتاخمه أي مقطوع وإقليم موضع بمصر عن اللّحياني انتهىٰ« مادة قَلَم ج ١٢ ص ٤٩١»...

وقال في المجمع والإقليم معروف مأخوذ من قلامة الظّفر لأنّه قطعة من الأرض وإختلف في كونه عربّياً والأقاليم عند أهل الحِساب سبعة كلّ إقـليم يمتّد من المغرب الىٰ نهاية المشرق طُولاً، وفي العُرف ما يختّص بإسم ويتّميز به عن غيره فمِصر إقليم والشّام إقليم واليمن إقليم وإذا أطلق الإقليم حُمل علىٰ

العُرفي انتهىٰ أقول يظهر من كلماتهم أنّ الأقاليم السّبعة عبارة عن الدّنيا بمجموعها وذلك لأنّها أي الدّنيا هي المقسَم لها وعليه فالمعنىٰ أُقسم باللّه لو أُعطيتُ الأقاليم السّبعة أي الدّنيا بأسرها بما تحت أفلاكها من الموجودات علىٰ أن أُعصي اللّه في نملةٍ وأظلم عليها بأن أَسلُبها وآخذَ عنها ظُلماً جلب شعيرةٍ وقشرها الّذي في فَمها ما فَعَلتُ وأنّما قال ﷺ ذلك لأنّه أهوَن وأسهَل أقسام الظّلم وأمّا ما فوقه فبطريق أولىٰ:

▫ قوله ﷺ: **وإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا...**

هذا تعليل لقوله السّابق وحاصله أنّه كيف أظلم لأجل الدّنيا مع أنّها عندي لأَهون وأَسهَل من وَرَقةٍ كانت في فَم جرادةٍ تَقضُمها وتأكلها وإذا كانت الدّنيا عندي كذلك فلا معنىٰ لأَخذ الدّنيا وإرتكاب الظّلم:

▫ قوله ﷺ: **مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يُفْنَىٰ وَلَذَّةٍ لاَ تَبْقَىٰ نَعُوذُ بِاللّهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ وَقُبْحِ الزَّلَلِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ...**

لمّا قال ﷺ في الجملة السّابقة ما قال من هوان الدّنيا أَوضحه بذلك فقال ما لعلّي الخ وحاصله أنّ نِعَم الدّنيا فانية داثِرة ولذّاتها غير باقية بل خيالية وإذا كانتْ كذلك فنعوذُ باللّه من سُبات العَقل أي نَومه وغَفلته وقُبح الزّلل والسّقوط في الخطأ.

وبه أي باللّه نستعينُ في ذلك إذ لَولا مَدده وإعانته لا يمكن لأَحدٍ الخلاص من آفة الزّلَل وفي قوله ﷺ: وسُبَاتِ **الْعَقْلِ** إشارة الىٰ أنّ العاقل الحقيقي لا يعتمد علىٰ الدّنيا الّتي لا بقاء لها ولا يُؤثرها علىٰ الآخرة ومن فَعل ذلك فهو من سُبات عقله وأنّه غير مُعتَدل ووجه الإستعاذة باللّه فيه ظاهر فأنّ الإنسان في معرض الخطأ والإشتباه لو لَم يَعصمه اللّه منه ولأجل ذلك أُمرنا بالإستعاذة به فنقول أعوذ باللّه من الشّيطان الرّجيم وبالإستعانة به بقولنا ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ وقد تحَصل لنا من كلامه ﷺ أنّه كان عادلاً في جميع أُموره ولم يظلم أَحَداً في حياته وأنّ الدّنيا لفنائها وزوالها لا قيمة لها وحيث إنجَر الكلام الىٰ هنا فلا بأس بالإشارة الىٰ بعض ما ورد في عَدله ﷺ ونقدّم لك أوّلاً بعض

الآيات الواردة في مَدح العَدل وحُسن العَدالة: قال اللّه تعالى مُخاطباً لِنبّيه: ﴿فَلِذٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللّٰهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللّٰهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (١)

و: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّٰهِ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ لِلّٰه وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللّٰهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ (٢).

و: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّٰهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (٣)

و: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللّٰهِ أَوْفُوا ذٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٤).

و: ﴿إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّٰهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللّٰهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ (٥).

و: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ (٦)

و: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ، وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (٧) والآيات كثيرة.

روي في المناقب عن حمزة بن عطاء عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ (٨) قال هو عليّ ابن أبي طالب يأمر بالعدل

١- الشورى ـ ١٥
٢- النّساء ـ ١٣٥
٣- المائدة ـ ٨
٤- الانعام ـ ١٥٢
٥- النّساء ـ ٥٨
٦- النّحل ـ ٩٠
٧- ص ـ ٢٦/٢٧
٨- النّحل ـ ٧٦

وهو علىٰ صراطٍ مستقيم وروي نحواً منه أبو المضا عن الرّضا ﷺ انتهىٰ «ص ١٠٧ ج ٢»...

فضائل أحمد بن حنبل قال ﷺ علّيٌ أحاجّ النّاس يوم القيمة بتسع بإقام الصّلوة، وإيتاء الزّكوة والأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر والعَدل في الرّعية والقسم بالسّوية والجهاد في سبيل اللّه وإقامة الحدود وأشباهه انتهىٰ« ص ١٠٧»...

وروي عن أُمّ عثمان أُمّ ولد علّي قالت جئت علّياً وبين يديه قُرنفل مكتوب في الرّحبة فقلت ياأمير المؤمنين هب لأنتبي من هذا القُرنفل قلادة فقال ﷺ هاك ذا ونفذ بيده إِلَّي دِرهماً فأنّما هذا للمُسلمين أوّلاً فإصبري حتّىٰ يأتينا حَظّنا منه فَنَهب لأنبتك قلادة انتهىٰ« ص ١٠٩ المناقب ج ٢»...

وسأله عبد اللّه ابن زمعة مالاً فقال ﷺ أنّ هذا المال ليس لي ولا لك وأنّما هو للمُسلمين وجلب أسيافهم فأن شركتهم في حَربهم كان لك مثل حَظّهم وإلّا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم انتهىٰ « ص ١١٠»...

وجاء اليه عاصم إبن ميثم وهو يُقسم مالاً فقال ياأمير المؤمنين أنّي شيخ كبير مُثقل قال ﷺ واللّه ماهو بكدّ يدي ولا بتراثي عن والدي ولكنّها أمانة أوعَيتها ثمّ قال رَحِم اللّه من أعان شيخاً كبيراً مُثقلاً انتهىٰ«ص ١١٠»...

وروي عن الخُدري أنّه قال شكا النّاس علّياً ﷺ فقام رسول اللّه ﷺ خطيباً فقال أيّها النّاس لا تشكوا علّياً فَواللّه أنّه لَخِشن في ذات اللّه انتهىٰ «ص ١١٠»...

وروي أبو حريز أنّ المجوس أهدوا اليه يوم النّيروز جامات من فِضّة فيها سِكّر فقّسم السِّكر بين أصحابه وحَسَبها من جَزيتهم انتهىٰ «ص ١١١»...

وروي أنّه قام سهل إبن حنيف فَأخذ بيد عبده فقال ياأمير المؤمنين قد أعتقتُ هذا الغلام فأعطاه ثلاث دنانير مثل ما أُعطَىٰ سَهل إبن حنيف انتهىٰ«ص ١١١»...

وروي في البحار بأسناده عن إبن نباتة قال كان أمير المؤمنين علّي إبن أبي طالب إذا أُتي بالمال أدخَله بَيت مال المسلمين ثمّ جمع المستّحقين ثمّ ضرب يده في المال فَنشره يُمنةً ويُسرةً وهو يقول ياصَفراء يابَيضاء لا تَغُرّيني غُرّي غيري الىٰ أن قال ثمّ لا يخرج حتّىٰ يفرّق ما في بيت مال المُسلمين ويؤتي كلّ ذي حقٍ حقّه ثمّ يأمر أن ينكس ويرّش ثمّ يصّلي فيه ركعتين ثمّ يُطلّق الدّنيا ثلاثاً يقول بعد التّسليم يادنيا لا تتّعرضين لي ولاتتّشوقين الّي ولا تغرّيني فقد طّلقتك ثلاثاً لا رجعة لي عليك انتهىٰ « ج ١ ص ٥٢٢»...

وبأسناده عن الضّحاك إبن مزاحم قال ذكر علّي عند ابن عبّاس بعد وفاته فقال وا أسفاه علىٰ أبي الحسن مضىٰ واللّه ما غَيَّر ولا بَدَّل ولا قصر ولا جمع ولا منع ولا آثر إلّا اللّه واللّه لقد كانت الدّنيا عليه أَهَون من شَسِع نعله ليث في الوَغا بحر في المجالس حكيم في الحُكماء وهيهات قد مضىٰ الىٰ القبر انتهىٰ «ص ٥٣٢»...

وروي بأسناده عن جعفر إبن محمّد عن آبائه عليهم السّلام أنّ أمير المؤمنين كتب الىٰ عُمّاله أرقوا أقلامكم وقاربوا بين سطُوركم وأحذفوا عنّي فضولكم وأقصدوا قصد المعاني وأيّاكم والإكثار فأنّ أموال المُسلمين لا تحتمل الإضرار انتهىٰ« ص ٥٣٢»...

والأحاديث في الباب أكثر من أن تُحصىٰ كما لا يخفي علىٰ أُولي الألباب وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعَدلاً.

ومن دُعاء له عليه السلام (٢٢٣)

▫ قوله عليه السلام: **اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ وَلاَ تَبْذُلْ جَاهِيَ بِالْإِقْتَارِ فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبِي رِزْقِكَ وَاسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ وَأَبْتَلِي بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي وَأُفْتَتَنَ بِذَمِّ مِنْ مَنَعَنِي وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْاعْطَاءِ وَالْمَنْعِ اِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ...**

◁ اللغة

(صُن) بضم الصّاد وسكون النُّون أمر من صان يَصُون أي إحفظ (الْيَسَارِ) ضدّ الإعسار (الْإِقْتَارِ) مصدر قولك إقتر يقتر إقتاراً وهو الضّيق في النّفقة والباقي واضح:

◁ المعنىٰ

(**اللَّهُمَّ صُنْ**) وأحفظ (**وَجْهِي بِالْيَسَارِ**) وسَعة الرّزق (**وَلاَ تَبْذُلْ**) أي لا تسقط (**جَاهِيَ**) ومنزلتي (**بِالْإِقْتَارِ**) والفقر (**فَأَسْتَرْزِقَ**) أي فأطلب الرّزق (**طَالِبِي رِزْقِكَ**) من المخلوق (**وَاسْتَعْطِفَ**) أي أطلب الشّفقة (**شِرَارَ خَلْقِكَ**) من الأغنياء (**وَأَبْتَلِي بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي**) من خلقك لوجوب شكر المُنعِم عقلاً (**وَأُفْتَتَنَ**) وأختبر (**بِذَمِّ مِنْ مَنَعَنِي**) من ماله (**وَأَنْتَ**) والحال أنت (**مِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْاعْطَاءِ وَالْمَنْعِ**) والكلّ مُحتاج اليك (**إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) وبالاجابة جدير:

◁ الشّرح

▫ قوله ﷺ: **اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِى بِالْيَسَارِ وَلاَ تَبْذُلْ جَاهِيَ بِالْإِقْتَارِ...**

أي إجعل جاهي ومنزلتي بين النّاس بسبب اليَسار وَسَعة الرّزق ولا تبذل أي لا تسقط منزلتي بالإقتار أي ضيق العَيش والإحتياج الىٰ النّاس وفيه إشارة الىٰ أنّ الإحتياج الىٰ الخلق يوجَب سقوط المنزلة عندهم وأنّهم ينظرون اليه بنَظَر الحَقارة والذّلة وهو كذلك وأنّما قال ﷺ صُن وَجهي باليَسار، ولَم يقل اللّهم إجعلني من الأغنياء، أو كثّر مالي وأمثال ذلك لِلإشارة الىٰ أنّ المطلوب هو هذا القدر من المال الّذي يُصان به وجه صاحبه عن السّؤال وأمّا الأكثر من هذا فلا كما قال رسول اللّه ﷺ **اللّهم أرزق آل محمّد** وفي حديث آخر **مُحمّداً وآل محمّد ومن أحبّ مُحمّداً وآل مُحمّد العفاف والكفاف** ففي كلام أمير المؤمنين إشارة الىٰ هذا المعنىٰ فأنّ صَون الوجه باليَسار عبارة أُخرىٰ عن قدر الكفاف وأمّا قوله ولا تبذل الخ فهو إشارة الىٰ أنّ الفقر عند أبناء الزّمان الّذين لا يَرون إلّا المّادة وتوابعها يكون موجباً لسقوط المَقام عندهم وأن كان في الواقع بخلافه وما ذكره ﷺ في المقامين حقّ لا مرية فيه: **﴿فَإِنَّ اَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زَيـنَةُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيا﴾**(١) والفقر رأس كلّ بلاء بل كاد أن يكون كُفراً:

قال بعضهم الفقر رأس كلّ بلاء وداعية الىٰ مَقت النّاس وهو مع ذلك مُسلبة للمرؤة مُذهبة لِلحياء فمتىٰ نزل الفقر بالرّجل لم يجد بُدّاً من ترك الحياء ومن فَقَد حياؤه فَقَد مُرؤته ومَن فَقَد مُرؤته مَقت ومَن مَقت إزدرىٰ به ومن صار كذلك كان كلامه عليه لا له:

وروي بعض العامّة عن رسول اللّه ﷺ أنّه قال **أنّك أن تَذر وَرَثتك أغنياء خير من أن تَذرهم عالة يتكفّفُون النّاس** قال وفي الحديث **لا خير فيمن لا يحبّ المال ليصل به رَحِمَه ويُؤدّي به أمانته ويستغني به عن خَلق ربّه وعن**

١ـ الكهف ـ ٤٦.

علّي عليه السلام الفقر الموت الأكبر وقد إستعاذ رسول اللّه صلى الله عليه وآله من الكُفر والفَقر وعذاب القبر وقيل وَمن حفظ دنياه حفظ الأكرمين دينه وعرضِه واليه أشار الشّاعر بقوله:

لا تَلُمني إذا وقيتُ الأواقي   فالأواقي لماء وجهي واقي

وقال لقمان لإبنه يا بنّي أكلتُ الحَنظل وذُقتُ الصّبر فلم أرَ شيئاً أمّر من الفَقر فأن إفتقرتَ فلا تحدّث به النّاس كيلا ينتقصوك ولكن إسأل اللّه تعالىٰ من فضله فَمن ذا الّذي سأل اللّه فلم يُعطه أو دعاه فلم يُجبه أو تضّرع اليه فَلم يكشف ما به:

وكان العَبّاس يقول النّاس لصاحب المال ألزَم من الشّعاع لِلشّمس وهو عندهم أعذَب من الماء وأرفَع من السّماء وأحلىٰ من الشّهد وأذكىٰ من الوَرد خطأه صواب وسيّئاته حسنات وقوله مقبول يرفع مجلسه ولا يمّل حديثه والمُفلس عند النّاس أكذب من لمعان السّراب وأثقل من الرصّاص لا يسلم عليه أن قدم ولا يُسأل عنه أن غاب أن حضَر ازدروه وأن غاب شَتَموه وأن غضب صفعوه مصافحته تنقض الوضُوء وقراءته تقطع الصّلٰوة:

وقال بعض الحكماء نظرت الىٰ كلّ ما يُذّل القوّىٰ ويكسره فلم أرَ شيئاً أذَل له والأكثر من الفاقة:

وكلّ مُقّلٍ حين يَغدُو لحاجةٍ
الىٰ كلّ ما يُلقي من النّاس مُذنبٌ
وكانت بنو عمّي يقولون مَرحَباً
فلمّا رأوني مُعدماً مات مَرحَبٌ

ولآخر:

المال يرفع سَقفاً لا عماد له
والفقر يُهدم بَيتُ العِزّ والشَّرَف

ولآخر :

وحسـبك أنّ المـرء فـي حـال فـقره
تُـحمِقّه الأقـوام وَهـو لبـيبُ
وَمَـن يَـغترر بـالحادثات وصـرفها
يَـبتُ وهـو مـغلوب الفـؤاد سَـليب
ومـا ضَـرنّي أن قـال أخـطأتَ جـاهلُ
إذا قـال كـلّ النّـاس أنت مُـصيب
جـروح اللّـيالي مـا لهـنّ طـبيب
وعـيش الفـتىٰ بـالفقر ليس يـطيب

□ قوله عليه السلام: **فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبِى رِزْقِكَ وَاسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ وَأَبْتَلى بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِى وَأُفْتَتَنَ بِذَمِّ مِنْ مَنَعَنِى وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْاعْطَاءِ وَالْمَنْعِ اِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ...**

وأوصىٰ بعض الحكماء ولده فقال يا بنّي عليك بطلب العلم وجمع المال فأنّ النّاس طائفتان خاصّة وعامّة فالخاصّة تُكرمك للعلم والعامّة تُكرمك للمال وقال بعض آخر إذا إفتقر الرّجل إتّهمه من كان به واثقاً وأساء به الظّن من كان ظّنه به حَسناً ومن نزل به الفقر والفاقة فلم يجد بدّاً من ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهب بهائه وما من خلّةٍ هي للغنىٰ مدح إلّا وهي للفقير عيب فأن كان شجاعاً سُمّي أهوج وأن كان مؤثراً سمّي مُفسداً وأن كان حليماً سُمّي ضعيفاً وأن كان وقوراً سُمّي بليداً وأن كان لسِناً سُمّي مهذاراً وأن كان صموتاً سُمّي عَيِياً قال الشّاعر:

النّاس أتـباع مـن دامت له نِـعمُ والويل للمَرء أن زلّت به القدم
المال زيـنٌ ومَـن قـلّت دراهـمه حـيٌّ كـمن مـات إلّا أنّـه صَـنمُ
لمّـا رأيت أخـلّائي وخـالصتي والكلّ مُـستبشرٌ عـنّي ومُـحتشم

أبدوا جفاءً وإعراضاً فقلت لهم   أَذنبتُ ذنباً فقالوا ذنبك العَدم

▫ **قوله عليه السلام: فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبِي رِزْقِكَ وَاسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ وَأُبْتَلى بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي وَأُفْتَتَنَ بِذَمِّ مِنْ مَنَعَنِي...**

الفاء للتّفريع والمعنىٰ أنّك ياإلٰهي وسيّدي لو لم تصن وجهي باليسار وأسقطت منزلتي بالفقر فلا محالة أُصير محتاجاً الىٰ الخَلق فأستَرزق أي أطلّبه ممّن يطلبه منك وذلك لأنّ كلّ مخلوق مَرزوق لك محتاج اليك في رزقه وأيضاً يلزم أن أطلب التّرحم من شرار خَلقك لإعطائي ما أحتاج اليه، وأبتلىٰ بحمد مَن أعطاني منهم فأنّ شكر المُنعم ممّا يحكم به العَقل وأُفتَن بذّم من مَنَعني من ماله وفي بعض النّسخ أُفتَتَن والمعنىٰ واحد وحاصل هذه الكلمات هو أنّك لو لم تَقض حاجتي يلزم لي هذه المحاذير:

▫ **قوله عليه السلام: وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْاعْطَاءِ وَالْمَنْعِ اِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ...**

أي كيف يكون ذلك أو كيف يظّن بك هذا والحال أنت من وراء ذلك كلّه ولّي الإعطاء والمنع أن شئت أعطيت وأن شئت مَنَعت والقُدرة بيدك فتُعز من تشاء وتَذّل من تشاء بيدك الخير أنّك علىٰ كلّ شيءٍ قدير فعلىٰ العَبد السّؤال وعلىٰ الرّب الإجابة كما قال في كتابه: **﴿اُدْعُونِي اَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾**(1)

والّذي حَصَل لنا من هذا الكلام هو أنّ العَبد محتاج الىٰ ربّه مُستَغن عن غيره فهو فقير وخالقه غَني **﴿يَا اَيُّهَا النَّاسُ اَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ اِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾**(2) فينبغي له التّوجه الىٰ مَعبوده في جميع شئونه وأُموره فأنّ اللّه تعالىٰ رحيم بعباده ومع ذلك فهو غَني في ذاته قادر علىٰ كلّ شيء، وهو المُجيب لمن سَأله والمُغيث لِمن استَغاثه ضامن لرزق الخَلق قادر علىٰ إجابتهم وحيث أنّ السّؤال من غيره تعالىٰ يُوجب الذّلة والحقارة مُضافاً الىٰ أنّ

١ـ الغافر ـ ٦٠

٢ـ الفاطر ـ ١٥

الخَلق لا يقدر علىٰ قَضاء حوائج الخَلق لأنّ غـناه مـحدود وقـدرته مُتناهية فالعبّودية تَقتضي عَدم التّمسك بغير المعبود وإلّا فَيكون عبداً بعبدٍ مثله وهو من أعظم المصائب في الدّين والدّنيا أعاذنا اللّه منه:

ومن خطبة له ﷺ (٢٢٤)

□ قوله ﷺ: دَارٌ بِالْبَلاَءِ مَحْفُوفَةٌ وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ لاَ تَدُومُ أَحْوَالُهَا وَلاَ يَسْلَمُ نُزَّالُهَا.

احْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ وَالْأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ وَإِنَّما أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ تَرْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا.

وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللّهِ أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا عَلَىٰ سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَىٰ قَبْلَكُمْ مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً وَأَعْمَرَ دِيَاراً وَأَبْعَدَ آثَاراً أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً وَرِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً فَاسْتَبْدَلُوا بِالْقُصُورِ الْمُشَيَّدَةِ وَالنَّمَارِقِ الْمُمَهَّدَةِ الصُّخُورَ وَالْأَحْجَارَ الْمُسَنَّدَةَ وَالْقُبُورَ اللَّاطِئَةَ الْمُلْحَدَةَ الَّتِي قَدْ بُنِيَ بِالْخَرَابِ فِنَاؤُهَا وَشُيِّدَ بِالتُّرَابِ بِنَاؤُهَا فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ وَسَاكِنُهَا مُغْتَرِبٌ بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ وَأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ لاَ يَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطَانِ وَلاَ يَتَوَاصَلُونَ تَوَاصُلَ الْجِيرَانِ عَلَى مَابَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجِوَارِ وَدُنُوِّ الدَّارِ وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ الْبِلَىٰ وَأَكَلَتْهُمُ الْجَنَادِلُ وَالثَّرَىٰ وَكَأَنْ قَدْ صِرْتُمْ إِلَىٰ مَا صَارُوا إِلَيْهِ وَارْتَهَنَكُمْ ذٰلِكَ الْمَضْجَعُ وَضَمَّكُمْ ذٰلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ وَبُعْثِرَتِ الْقُبُورُ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ.

◁ اللغة

(تَسلَم) اي تخلص (نُزّالها) بضّم النّون جمع نازل والضّمير يرجع الىٰ الدّنيا (تَارَاتٌ) جمع تارة وهي المرّة (الأغراض) جمع غَرَض وهي الهَدَف الّـذي تُرمي اليه السّهام (مُسْتَهْدَفَةٌ) بصيغة الفاعل اي مُـنتصبة (هَامِدَةٌ) اي سـاكـنة (نَّمَارِقِ) جمع نُمرَقة وهي الوسادة (اللَّاطِئَةَ) من لَطأ بالأرض إذا لَـصِق بـها (الكَلَكل) الصّدر (الْجِنَادِلُ) جمع جَندَل وهي الحجارة (الثَّرَىٰ) التُّراب:

◁ المعنىٰ

(دَارٌ) اي انّ الدّنـيا دارٌ (بِالْبَلاَءِ مَحْفُوفَةٌ) ومُـحاطة (وَبِالْغَدْرِ) والمَكـر (مَعْرُوفَةٌ) عند العقلاء (لاَ تَدُومُ) ولا تثبت (اَحْوَالُهَا) علىٰ حالةٍ واحدة (وَلاَ يَسْلَمُ) عن الخطرات والآفات (نُزَّالُهَا) وساكـنوها (احْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ وَتَارَاتٌ) متغيرة (الْعَيْشُ فِيهَا) في الدّنيا (مَذْمُومٌ وَالْأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ) إذ لا امان لأحدٍ فيها (وَأَنَّما أَهْلُهَا فِيهَا اَغْرَاضٌ) وأهداف (مُسْتَهْدَفَةٌ) أي جُعلوا كذلك لِلرّمي اليهم (تَرْمِيهِمْ) الدّنيا (بِسِهَامِهَا وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا) ومَـوتها (وَأعْلَمُوا عِبَادَ اللّهَ انَّكُمْ وَمَا اَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا عَلَىٰ سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَىٰ قَبْلَكُمْ) من النّاس من حيث عدم البقاء فيها (مِمَّنْ كَانَ اَطْوَلَ مِنْكُمْ اَعْمَاراً) من حيث العُمر (وَاَعْمَرَ دِيَاراً) في العمارات والأبنية (اَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةٌ) سـاكـنة بـالمَوت (وَرِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً) كناية عن سكون احوالهم وخمُول ذكـرهـم (وَاَجْسَادُمْ) فـي القـبُور (بَالِيَةً) بعد نضارتها، (وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً) بـعد كـونهم مـقيمين فـيها (وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً)

مُندرسة (فَاسْتَبْدَلُوا بِالقُصُورِ الْمُشَيَّدَةِ) المُحكمة (وَالنَّمَارِقِ المُمَهَّدَةِ) أي الوسائِد المُتَّهيئَة (الصُّخُورَ وَالْأَحْجَارَ الْمُسَنَّدَةَ)المُستَندة بـعضها الىٰ بـعض (وَالْقُبُورَ اللَّاطِئَةَ) اللاصـقة (الْمُلْحَدَةَ) المـعمول لهـا اللَّحد (الَّتِى قَدْ بُنِىَ بِالْخَرَابِ فَنَاؤُهَا) وسـاحتها (وَشُيِّدَ) وأُحكـم (بِالتُّرَابِ بِنَاؤُهَا) دون الجُصّ

والأجر (**فَمَحَلُّهَا**) أي محلّ القبُور (**مُقْتَرِبٌ**) أي بعضها قرب بعضٍ (**وَسَاكِنُهَا**) اعني الأموات (**مُغْتَرِبٌ**) أي في نهاية الغُربة (**بَيْنَ اَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ**) ليس بينهم أُنس ومودّة (**وَاَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ**) أي فراق من الدّنيا ومُشتغل بالآخرة (**لاَ يَسْتَأْنِسُونَ**) أي لا أُنس لهم (**بِالْأَوْطَانِ**) الّتي تركوها (**وَلاَ يَتَوَاصَلُونَ تَوَاصُلَ الْجِيرَانِ**) أي كتَواصُل اهل الدّنيا بجيرانهم (**عَلَى مَابَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجِوَارِ وَدُنُوِّ الدَّارِ**) وذلك لقُرب قبُورهم (**وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ**) أي زيارة احدهم للآخر، (**وَقَدْ طَحَنَهُمْ**) أي والحال انّه قد طَحَنهم (**بِكَلْكَلِهِ**) وصدره (**الْبِلَىٰ**) والفَناء (**وَاَكَلَتْهُمُ الْجَنَادِلُ**) والأحجار (**وَالثَّرَىٰ**) والتُّراب (**وَكَأَنْ قَدْ صِرْتُمْ**) وذهبتم (**اِلَىٰ مَا صَاروا اِلَيْهِ**) من المَوت (**وَارْتَهَنَكُمْ ذٰلِكَ الْمَضْجَعُ**) والقَبر (**وَضَمَّكُمْ ذٰلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ**) وصرتم أُسارىٰ (**الْقُبُورُ هُنَالِكَ**) أي في المعاد (**تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا اَسْلَفَتْ**):

◁ الشّرح

▫ **قوله ﷺ: دَارٌ بِالْبَلاَءِ مَحْفُوفَةٌ وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ لاَ تَدُومُ اَحْوَالُهَا وَلاَ يَسْلَمُ نُزَّالُهَا...**

أي هي دارٌ أو الدّنيا دارٌ كذلك ثمّ اثبت ﷺ لها وصفين ونفي عنها امرين:

امّا الأوّل: ممّا أثبتَه لها فهو أنّ الدّنيا دارٌ بالبلاء محفُوفة أي أحاطتها البلايا والحَوادث المُؤلمة من المَرض والفقر والمصائب الواردة فأنّ الإنسان مادام كونه في الدّنيا قرين لهذه الآلام مُصاحب لهذه المَشَقّات لا يمكن له الخَلاص منها وهذا أمرٌ محسوس لا يحتاج الىٰ دليلٍ أصلاً:

وثانيهما: أنّها عُرفت بالغَدر والمَكر عند أهل النّظر فشبّه ﷺ الدّنيا تارة بشئٍ مُحاط وأُخرىٰ بإمرأةٍ مُتزينة أو غيرها ممّا يُوجب النّظر اليه الإغترار به فالمُراد بغَدرها ما يتَوهم الإنسان دوامها وبَقائها كَسرابٍ بقيعةٍ يَحسبه الظّمآن ماءً وقد مرّ الكلام في الباب غير مرّةٍ في ما مضىٰ:

وأمّا المَنفي فهو عبارة عن عَدم بقائها علىٰ حالةٍ واحدة وأنّ السّاكن بها لا

يَسلم ولا يُحفظ عن الآفات والبَليات وما كان كذلك لا يَنبغي الإعتماد عليه:

□ قوله عليه السلام: **احْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ وَالْأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ...**

أمّا أنّها أحوال مُختَلفة وتاراتٌ متّصرفة فلانّ التّغيُر والتّصرُف من لوازمها الّتي لا تَنّفك عنها بل الدّنيا ليست إلّا هي وأمّا أنّ العَيش فيها مذمُوم فَلكونه محفُوفاً بالآلام والهمُوم من الفَقر والمَرض والذّلة وآخرها المَوت وإذا كان العَيش مَلحُوقاً بهذه النّقائص والآلام لا طيب له كما قيل:

لا طيب للعيش مادامت مُنَغصةٌ　　لذّاته بإدّكار المَوت والهَرِم

وقال بعضهم:

وغـايـة هـذه الدّار لذّة ساعةٍ
وتَـعقبها الأحـزان والهَـمّ والنّـدم
وهـاتيك دار الأمـن والعِـزّ والتّـقىٰ
ورحـمة ربّ النّـاس والجـود والكَـرم

وأيضاً:

حَسُنت ظنّك بالأيّام إذ حَسُنت　　ولَم تخف سُوء مايأتي به القَدَر
وسالمتك اللّيالي فإغترَرتَ بها　　وعند صفوِ اللّيالي يَحدث الكَدِر

وأمّا أنّ الأمان فيها مَعدُوم فهو أيضاً لا خَفاء فيه بعد قوله تعالىٰ: **﴿ إنَّكَ مَـيِّتٌ وإنَّـهُمْ مَـيِّتُونَ﴾**(١) وقـوله: **﴿كـلّ مَـن عـليها فـان ويَـبقىٰ وجـه ربّك ذو الجـلال والأكرام﴾** مُضافاً الىٰ دليل الحِسّي والمُشاهدة:

يـامَن تـمّلك مَـلكاً لا بـقاء له
حَـمَلت نَـفسك أوثـاماً وأوزاراً
هـل الحـياة بـذي الدّنـيا وأن غَـربت
إلّا كَـطيف خـيال فـي الكَـرىٰ زارا

١- الزّمر-٣٠

وأيضاً:

رأيت خيال الظّل أعظم عبرةٍ لمَن كان في علم الحقائق راقي
شخُوصاً وأصواتاً يُخالف بعضها لبعضٍ وأشكالاً لغير وفاق
تجئ وتمضي بابةٍ بعد بابةٍ وتَفنىٰ جميعاً والمّحرك باقي

وأيضاً:

ألا أنّما الدّنيا غرورٌ وباطلٍ فطُوبىٰ لِمَن كفاه فيها تفرّغا
وما عَجبي إلّا لمَن بات واثقاً بأيّام دَهرٍ ماوعىٰ حقّ يَبلغا

□ **قوله ﷺ: وَإِنَّما أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ تَرْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا...**

شبّه ﷺ أهل الدّنيا بالأغراض الّتي صارت مُستهدفة لِراميها فكأنّ الدّنيا هي الرّامية وأهلها مُستهدفة لها تَرميهم الدّنيا بسهامها وهي سهام الحَوادث وتَفنيهم الدّنيا بحمامها ومَوتها فلا يمكن لأحَدٍ الخَلاص من آفاتها وبلّياتها والنّجاة من المَوت فيها:

الىٰ اللّه أَشكُو أنّ كلّ قبيلةٍ من النّاس قدأفنىٰ الحمام خيارها

ولآخر:

أن كُنت جَرَّعتَ كأس المَوت واحدةً
فــي كــلّ يـوم أذوق المَـوت ألوانـا

وقيل في الباب:

مــا أنــعم اللّــه علىٰ عـبده بــنعمةٍ أوفــىٰ مـن العـافية
وكــلّ مــن عُـوفي في جسـمه فأنّــه فــي عــيشةٍ راضـية
والمــال حُـلوٌ حَسَـنٌ حـبّيذٌ عــلىٰ الفَـتىٰ لكـنّه عـارية
مــا أَحسَــن الدّنـيا ولكـنّها مــع حُســنِها غَـدّارة فـانية

□ **قوله ﷺ: وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللّٰهِ أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا عَلَىٰ سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَىٰ قَبْلَكُمْ...**

فأنّكم تَموتون كما ماتوا وتَتركون الدّنيا كما تَركوها فأنّ حكم الأمثال واحد ولنعم ما قيل:

قِف بالدّيار فَهذه آثارهم   تَبكي الأحِبَّة حَسرةً وتَشّوقاً
كَم قد وَقفت بها أُسائل أهلها   عن حالها مُترجِماً أو مُشفِقاً
فأجابني داعي الهوىٰ في رَسمها   فارقت من تَهوىٰ وعَزّ المُلتقىٰ

وأيضاً:

أيّها الرَّبع الّذي قد دثرا   كان عَيناً ثمّ أَضحىٰ أثرا
أين سكّانك ماذا فَعلوا   خَبّرن عنهم سقيت المطرا
فَلقد نادىٰ منادي دارهم   رَحَلوا وإستَودعوني عبراً

وأيضاً:

هذي منازل أقوام عَهدتَهُم   يَوفون بالعَهد مُذ كانوا وبالذّمم
تَبكي عليهم ديار كان يَطربها   تَرَنم المجد بين الجود والكَرم

□ **قوله** عليه السلام: **مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً وَأَعْمَرَ دِيَاراً وَأَبْعَدَ آثَاراً...**

كلمة (مِن) بيانيّة والمعنىٰ أنّ من مضىٰ قبلكم كانوا أَطول أعماراً منكم وأَعمر دياراً وأَبعَد آثاراً ومع ذلك كلّه قد ماتوا بأجمعهم ولم يبق منهم واحد فأنتم بطريق أولىٰ وذلك لأنّ القوي إذا مات ولم يقدر علىٰ دفع المَوت عن نَفسه فَكيف يبقىٰ الضّعيف فيّحصل أنّ الموت لابدّ منه لكلّ أحد قوّياً كان أو ضعيفاً طويلاً كان من حيث العُمر أو قصيراً غنّياً كان أو فقيراً قال اللّه تعالىٰ في كتابه: ﴿ **أَوَلَمْ يَسيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُروا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ أثارُو الْأَرْضَ وَ عَمَرُوها أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوها وَ جائَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ** ﴾(١)

ومن المُعَّمرين التّبسَع الفزاري نقلوا أنّه دخل علىٰ بعض خلفاء بني أُمّية فسأله عن عُمره فقال عشت أربع مائة وعشرين سنة في فترة عيسىٰ ابن مريم

١- الزوم- ٩

في الجاهليّة وستين في الإسلام قال له أخبرني عمّا رأيت في سالف عمرك.

قال رأيت الدّنيا ليلة في أثر ليلة ويوماً في أثر يوم ورأيت النّاس بين جامع مالٍ ومُفرّق مالٍ مجموع وبين قويّ يَظلم وضعيفٍ يُظلم وصَغيرٍ يكبر وكبيرٍ يَهرم وحيّ يموت وجَنين يُولد وكلّهم بين مَسرُورٍ بموجودٍ ومحزون بمَفقودٍ.

وقال إبن الجوزي أنّ آدم عليه السلام عاش ألف سنة وعاش إبنه شيث تسع مائة سنة وعاش إبنه مهلابيل ثمان مائة وخمساً وتسعين سنة وعاش إبنه إدريس ثلاث مائة وخمساً وتسعين سنة وعاش إبنه هُود تسع مِائة وإثنتين وستّين سنة وعاش إبنه متوشلخ تسع مِائة وستّين سنة وأمّا إبنه نوح فَروي عن إبن عبّاس أنّه عاش ألفاً وأربع مِائة وخمسين عاماً وأمّا الخِضر عليه السلام وإسمه خضرون فهو أطول بني آدم عُمراً وذكر أنّ لقمان عليه السلام عاش ثلاثة ألاف وخمس مِائة سنة وعاش أكثم ابن صيفي ثلاث مِائة وستّين سنة وأدرك الإسلام وعاش سطيح سبع مِائة سنة وعاش قسّ ابن ساعدة الأيادي سبع مِائة سنة وكان من حكماء العَرب وعاش لُبيد ابن ربيعة الشّاعر مِائة وعشرين سنة وأدرك الإسلام وعاش دُريد إبن الصّمة مِائة وسبعين سنة حتّىٰ سَقَط حاجباه علىٰ عينيه وأيضاً من المُعَمرين عدّي إبن حاتم الطّائي وطهير إبن جنادة عاشا مائتين وعشرين سنة وذو الأصابع العذري عاش مائتين وعشرين سنة وعمرو إبن معد يكرب الزّبيدي عاش أكثر من مِائة سنة وعبد المسيح إبن نفيلة عاش ثلاث مائة وعشرين سنة وهكذا غيرهم وقد ماتوا ولم يبق منهم أحد وأمّا الّذين كانوا أكثر آثاراً وأَعمر دياراً فلا نحتاج الىٰ ذكرهم فأنّ الآثار العجيبة الباقية عنهم في الدّنيا أَدّل دليل علىٰ المدّعىٰ إذ لا يوجد في العالم نقطة إلّا وفيها أثر من آثارهم.

▫ قوله عليه السلام: **اَصْبَحَتْ اَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً وَرِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً وَاَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً...**

أي بعد موتهم صارت أصواتهم هامدة ساكنة ورياحهم أي أعمالهم وحركاتهم مُنقطعة وأجسادهم في القبُور بالية مُتلاشية وديارهم عنهم خاليه وآثارهم عافية مُندرسة:

وقـــفتُ فأبكـــتني ديـــار عَشــيرتي
عـــلىٰ رزئــهنّ البـاكـيات الحـواســر
غَـــدو كَســـيوف الهِـند ورّاد حَـومةٍ
مـــنالمَـوت أعـيا وردّهـن المـصادر
فـوارس حـافوا عـن حـريمى وحـافظوا
بـــدار المـــنايا والفـــنا مـــتشاجر
ولو أنّ ســـــلمىٰ نـــالها رَزئـــنا
لَـــهدّت ولكـــن مـحمل الرّزي عـامر

▫ قوله ﷺ: **فَاسْتَبْدَلُوا بِالقُصُورِ الْمُشَيَّدَةِ وَالنَّمَارِقِ المُمَهَّدَةِ الصُّخُورَ وَالْأَحْجَارَ الْمُسَنَّدَةَ وَالْقُبُورَ اللَّاطِئَةَ الْمُلْحَدَةَ...**

أي أنّ قصورهم المُشّيدة الّتي بنوها في غاية التّشيد والإستحكام ونمارقهم أي وسائدهم المُمَهدة لهم في الدّنيا بُدلّت بالصّخُور والأحجار المُسّندة الّتي إعتمدوا عليها في القبور اللّاطئة أي اللّاصقة أحدها بالآخر المعمُول لها اللّحد ولنعم ما قيل في المقام:

باتوا علىٰ قُلل الأجبال تَحرسهم — قلب الرّجال فلم تَنفعهم القِـلل
وأُستُنزلوا من أعالي عزّ مَعقلهم — فأُسكنوا حفرةً يابئس مـا نَـزلُوا
ناداهم صارخٌ من بعد ما دُفِـنوا — أيـن الأسّـرة والتّـيجان والحُـلِل
أين الوجوه الّتي كانت مُـحجّبة — وكان من دونها الأستار والكَـلل
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم — تلك الوجوه عـليها الدّود يـفتل
قد طالما أَكلوا دَهراً وما شَربوا — فأَصبَحوا بعد ذاك الأكل قد أُكلوا

▫ قوله ﷺ: **الَّتِي قَدْ بُنِيَ بِالْخَرَابِ فَنَاؤُهَا وَشُيِّدَ بِالتُّرَابِ بِنَاؤُهَا فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ وَسَاكِنُهَا مُغْتَرِبٌ...**

ثمّ وَصَف ﷺ القُبور بأنّها بُني بالخراب فِناؤها أي ساحتها وأساسها وشُيّد أي أُحكِم بالتُّراب بناؤها لا بالجُصّ والآجر فمحلّها أي محلّ القبُور مُقترب

ملتصق أحدها بالآخر وساكنها أي ساكن القبور أعني الأموات مُغترب أي غريب لا يُزار ولا يَزور كما قال عليه السلام:

▫ قوله عليه السلام: **بَيْنَ اَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ وَاَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ لاَ يَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطَانِ وَلاَ يَتَوَاصَلُونَ تَوَاصُلَ الْجِيرَانِ...**

أي أنّهم بعد موتهم وأستقرارهم في القبور وقعوا بين أهل محَلةٍ مُوحشين أمّا بكسر الميم بصيغة إسم الفاعل أو بفتحها بصيغة المفعول فعلى الأوّل معناه أنّه ليس بينهم أُنس ولا أُلفة وعلى الثّاني إستيحاش الأحياء منهم ومحصّل الكلام أنّ الوَحشة قد إستَولَت عليهم ومع ذلك أنّهم أهل فراغٍ عن الأُمور الدنّيوية مُتشاغلين بالأُمور البرزّخية ليس لهم أُنس بالأوطانٍ ولا تواصل كتواصل الجيران في الدّنيا فأنّهم أي الجيران فيها مُتواصلون وأمّا هناك فلا:

▫ قوله عليه السلام: **عَلَى مَابَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجِوَارِ وَدُنُوِّ الدَّارِ وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ الْبِلَى وَاَكَلَتْهُمْ الْجَنَادِلُ وَالثَّرَى...**

أي أنّهم على ما وصفناه مع قرب الجوار ودُنّو الدّار فأنّ قبورهم مُلتصقة أو قريبة وكيف يمكن التّزاور بينهم والحال أنّ الفناء قد طَحَنهم بَكَلكَله وصدره فلم يبق شيئاً يصلح له شبّه عليه السلام المَوت والفَناء بالطّاحُونة وَهؤلاء بالحنطة والشّعير وغيرهما من الحُبوبات فكما أنّ الحبّة تُطحَن بالرّحى وتتلاشى أجزاؤها كذلك بدن الإنسان بعد المَوت والإستقرار في القبر تتلاشى أجزاؤه من اليد والرّجل والعين والبَصر وغيرها ولا يبقى منه ما يصلح له مضافاً الى أنّ البَدن صار في الحقيقة مأكولاً للتُّراب والأحجار والسّالبة تنتفي بإنتفاء موضوعه.

▫ قوله عليه السلام: **وَكَأَنْ قَدْ صِرْتُمْ إِلىٰ مَا صَاروا إِلَيْهِ وَارْتَهَنَكُمْ ذٰلِكَ الْمَضْجَعُ وَضَمَّكُمْ ذٰلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ...**

والظّاهر أنّ كلمة (كَأَنْ) مُخفّفة والأصل وكَأَنّ بالتّشديد على حَذو قول الشّاعر:

كأنَ لم يكـن بَـين الحجُون الى الصَفَا

أنـــيسُ ولم يَســـمُر بـــمكّة ســـامرُ

وحيث أنّ المستقبل المُحقق الوقوع في حكم الماضي كما قال تعالىٰ:**﴿اِقْتَرَبَتِ السَاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾**(١) والمَوت من هذا القبيل قال ﷺ وكأنّ قد صِرتم الىٰ ما صاروا اليه أي كأنّكم مِتّم وصِرتّم الىٰ ما صاروا اليه من النّزول فـي القبر لأنّكم تنتقلون اليه لا محالة وكأنّه إرتَهنكم أي جَعَلكم القَبر رَهيناً وأسيراً في بَطنه وَضَمّكم الىٰ جنادله فلا تكونوا في غفلةٍ منه وفي قـوله ﷺ: **المستودع** إشارة الىٰ أنّ الميّت وديعة اللّه في قَبره فلابدّ له من ردّه الىٰ صاحبه متىٰ شاء فليس لِلأرض أن تفنيه بالكلّية بل يجب عليها حِفظ الوديعة بمادّتها الأصّلية الىٰ الوقت المعلوم وهو يوم البَعث ويدّل علىٰ هذا المعنىٰ قوله ﷺ وإرتَهنكم أيضاً إلّا أنّ المُستودع أظهر وإلّا فالرّهن أيضاً لا يصير مِلكاً للمُرتهن وأنّما هو باق علىٰ ملكيّة الرّاهن وحاصل الكلام أنّ الميّت كـالرّهن والوَديـعة تـحت الأرض والرّاهن والمُودّع هو اللّه تعالىٰ وأمّا يوم فكّ الرّهن وَرّد الوديعة فهو يوم البَعث فكلامه ﷺ هذا إشارة الىٰ قوله تعالىٰ:**﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرىٰ﴾**(٢)

▫ قوله ﷺ: **فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ وَبُعْثِرَتِ الْقُبُورُ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا اَسْلَفَتْ وَرُدُّوا اِلَىٰ اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**)...

يعني ما تُصنعُون لو تَناهت بكم الأُمور الدّنيوية وقطعت عـلائقكم فـيها بالمَوت وبُعثرت القُبور أي قُلّب ثراها وأخرج موتاها هنالك أي بعد الموت والدّخول في عالم البرزخ تَبلُوا وتظهر كلّ نفسٍ ما أسلَفت وعَمِلت بـه فـي الدّنيا وقيل تَبلوه أي تخبره فتقف النّفس علىٰ خيره وشّره قال اللّه تعالىٰ:**﴿وَ إذا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ، عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾**(٣)

١-القمر-١

٢-طه-٥٥

٣-الانفطار-٤/٥

و : ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ، وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ (١)

: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (٢)

والّذي حَصَل لنا من مجموع كلامه عليه السلام في هذا المقام هو أنّ الإنسان لابدّ له من المَوت وأنّ الدّنيا لا بقاء لها والسّاعة آتية لا ريب فيها ففي المقام أُمور ثلاثة، عدم إعتبار الدّنيا، وتَحقّق المَوت لكلّ مَن فيها، ونشأة الآخرة والحساب بعد الموت فإذا كان الأمر على هذا المنوال ينبغي للعاقل أن لا يغفل عن المَوت وما بَعده من الحساب إذ الغفلة تُوجب النّدامة ولا فائدة فيها هناك فأنّ اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عَمل فكل نفسٍ بما كَسَبت رَهِينة والله تعالى ليس بظّلام للعبيد:

---

١ ـ العاديات ـ ٩

٢ـ الحج ـ ٧

ومن دعاء له عليه السلام (٢٢٥)

◻ قوله عليه السلام: اللَّهُمَّ إِنَّكَ آنَسُ الآنِسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ وَاحْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَةِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ تَشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ وَتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ فَأَسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ إِنْ أَوْحَشَتْهُمُ الْغُرْبَةُ آنَسَهُمْ ذِكْرُكَ وَ إِنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ لَجَأُوا إِلَى الإِسْتِجَارَةِ بِكَ عِلْماً بِأَنَّ أَزِمَّةَ الأُمُورِ بِيَدِكَ وَمَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِكَ.

اللَّهُمَّ إِنْ فَهِهْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي أَوْ عَمِيتُ عَنْ طِلْبَتِي فَدُلَّنِي عَلَى مَصَالِحِي وَخُذْ بِقَلْبِي إِلَى مَرَاشِدِي فَلَيْسَ ذٰلِكَ بِنُكْرٍ مِنْ هِدَايَاتِكَ وَلاَ بِبِدْعٍ مِنْ كِفَايَاتِكَ اللَّهُمَّ احْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ وَلاَ تَحْمِلْنِي عَلَى عَدْلِكَ...

◁ اللغة

(الآنِسِينَ) بضّم الألف ضدّ الوحشة والآنس أفضل التفضيل منه (مَلْهُوفَةٌ) من لهف يلهف لَهفاً من باب فرَح أي حَزن (فَهِهت) الفِهة والفهاهة العيّ.

◁ المعنى

(اللَّهُمَّ إِنَّكَ آنَسُ الآنِسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ) الّذين آنسوا بك وأعرضوا عن غيرك (وَاحْضَرُهُمْ) أي أنّك أحضرهم (بِالْكِفَايَةِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ) ومن يتوكل على اللّه فهو حسبه (تَشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ) وضمائرهم (وَتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ) وقلوبهم (وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ) فأنّك علام الغيوب وقد أحاط

بكلّ شيئ عِلمك (**فَاَسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ وَقُلُوبُهُمْ اِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ**) أي مَحزونة، (**اِنْ اَوْحَشَتْهُمُ الْغُرْبَةُ**) في الدّنيا بعدم أنسهم بأهلها (**آنَسَهُمْ ذِكْرُكَ**) ﴿**الاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ (١) (**وَ اِنْ صُبَّتْ**) وَوَرَدت (**عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ**) والحوادث في الدّنيا (**لَجَأُوا**) ولاذُوا (**اِلَىٰ الإِسْتِجَارَةِ بِكَ**) وإستندوا الىٰ طلب الأمان منك في دفعها ورفعها(**عِلْماً بِأَنَّ اَزِمَّةَ الْأُمُورِ بِيَدِكَ وَمَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِكَ**) الّذي لا مَرَدّ له (**اَللَّهُمَّ اِنْ فَهِهْتُ**) وعجزت (**عَنْ مَسْأَلَتِي**) وحاجتي (**اَوْ عَمِيتُ عَنْ طِلْبَتِي فَدُلَّنِي عَلَىٰ مَصَالِحِي**) فأنّ المَصلَحة بيدك (**وَخُذْ بِقَلْبِي اِلَىٰ مَرَاشِدِي**) وطرق هدايتي فأنّ القلوب مُسَخرة لك (**فَلَيْسَ ذٰلِكَ بِنُكْرٍ مِنْ هِدَايَاتِكَ**) أي أنّه غير قابل للإنكار (**وَلاَ بِبِدْعٍ**) وغير معهود (**مِنْ كِفَايَاتِكَ**) بل كان معهوداً منك (**اَللَّهُمَّ احْمِلْنِي عَلَىٰ عَفْوِكَ**) أي إجعلني مشمولاً له (**وَلاَ تَحْمِلْنِي عَلَىٰ عَدْلِكَ**) فأنّه ثقيل:

◁ الشرح

▫ قوله ﷺ: **اَللَّهُمَّ اِنَّكَ آنَسُ الآنِسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ...**

آنَس بفتح النّون أصله آءنَس قُلبَت الهمزة ألفاً فَصارَ آنَس وهو أفعل التّفضيل من الأُنْس بضّم النّون والآنسين جمع الآنَس والمعنىٰ أنّك أحقّ وأولىٰ بالأُنس لأوليائك وعبادك الصّالحين من غيرك فأنّهم لا يأنسون إلّا بك ولا يحتاجون إلّا اليك ولا يستّمِدون إلّا منك وأنّما خصّ الأنس به تعالىٰ بأوليائه إذ غيرهم لا أُنسَ لهم به بل أُنسهم بالشّيطان والنّفس الأمّارة.

(قال الصّادق ﷺ من أخرجه اللّه من ذّل المعاصي الىٰ عزّ التّقوىٰ أغناه من غير مال وأعزّه من غير عشيرة وآنَسه من غير بَشَر انتهىٰ...

وأنّما قال ﷺ: **اِنَّكَ آنَسُ الآنِسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ** لأنّ أوليائه من عباده الصّالحين لا أُنس لهم إلّا به في الحقيقة وذلك لِعلمهم بأنّ كلّ موجود غيره تعالىٰ فهو في

١- الرعد ـ ٢٨

مَعرض الفناء والزّوال وما كان كذلك فالأُنس به بعيد عن العقل بل العقل يحكم بأنّ الأنس لا يصّح إلّا بالموجود الدّائم وهو لا يكون إلّا بعد وجوب وجوده وليس في الوجود موجود متّصف بالبقاء إلّا هو تعالىٰ فيجب الأنس به:

قال الشّارح الخوئي ﷺ ما حاصله أنّ الإستئناس والإستيحاش لا يجوز عليه تعالىٰ فلابدّ لنا من حَمل الأنس علىٰ المَحبّة أي أنتَ أشدّ حُبّاً لأوليائك من جميع المُحبّين:

وأنا أقول: لا حاجة لنا الىٰ هذا الحَمل فأنّ المراد بالأُنس به تعالىٰ أو أُنسه تعالىٰ بعبده هو الأنس بذكره فإذا قلنا أنّ العبد آنَس به تعالىٰ معناه أنّه آنَس بذكره لإطمئنان قلبه لقوله تعالىٰ:﴿ **أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾(1) والأنس ما يُوجب إطْمئنان القلب وقد مرّ الكلام في شرح قوله عليه السلام أنّ اللّه سبحانه جعل الذّكر جلاء القلوب، ما ينفعك في المقام ولا سيّما عند شرح قوله عليه السلام وبذكرك آنَساً:

أن قلت ـ كلامه عليه السلام مشعر بأنّ اللّه تعالىٰ آنَس الآنسين لأوليائه أي له تعالىٰ أُنس وعلاقة بهم أكثر من أُنس غيره بهم لا أنّهم آنَسوا به تعالىٰ أكثر من أُنسهم بغيره وتفسيرك ناظر الىٰ الثّاني قلتُ الأنس لا يتّحقق إلّا بتَحقق معناه في الطّرفين فإذا لم يكن للعبد أُنسٌ به تعالىٰ كيف يمكن تحقّق الأنس منه تعالىٰ اليه وقد ثبت في السّلوك أنّ الأنس من العبد يتحقق أوّلاً ومنه تعالىٰ ثانياً قال تعالىٰ:﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُم تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُمُ اللهُ** ﴾(2) ثمّ أنّ المراد بأُنسه تعالىٰ لأوليائه كشف الحجاب عن قلبه وتصفيته عن الأخلاق الذّميمة والوساوس النّفسانية الشّيطانية وتنويره بنور جماله في شواهد مُلكه وملكوته وجَعله مشمُولاً لعنايته الخاصّة ورحمته الواسعة فأنّ من كان مأنوساً لِلّه تعالىٰ ينبغي أن يكون متّصفاً بصفاته ومُتزيناً بكمالاته وذلك لأنّ السّنخية بين الأنِس

1 ـ الرعد ـ ٢٨

2 ـ آل عمران ـ ٣١

والمأنوس والمُحبّ والمحبُوب والعاشق والمَعشوق لابدّ من وجودها وحيث أنّ الخالق والمَخلوق لا سنّخية بينهما ذاتاً أين التّراب وربّ الأرباب وأينَ الواجب من الممكن فلا محالة توجد في الصّفات وأن كانت هي أيضاً منه تعالىٰ في الأصل فلو لم تُوجد لا في الذّات ولا في الصّفات لا تتّحقق المُآنسة أصلاً وهذا هو السّر في تخصيصه الكلام بالأولياء فأنّ غيرهم لا يصلح لهذا المقام ولأجل هذا ترىٰ العرفاء قد عبّره عن الأنس بالرّوح أي رَوح القُرب وذلك لأنّ القُرب يُوجب الجمعّية ظاهراً وباطناً ولا لذّة إلّا في الجمّعية فيوجب الرُّوح أي الرّاحة بالأُنس، كما أنّ البُعد يوجب التّفرقة ولا اَلم إلّا فيها فيوجب التّرح بالوَحشة:

وأمّا الشّارح البحراني فقد إستفاد من كلامه ﷺ أُنس أولياء اللّه به تعالىٰ لا أُنسه تعالىٰ بأوليائه كما ذهب اليه الخوئي وحَمَل الأنس علىٰ المحبّة وأطال الكلام في معناها وأمّا علىٰ ماذهبنا اليه من أنّ الأنس لا يتّحقق إلّا بوجوده في الطّرفين ولا يمكن وجوده في طَرَفٍ واحد ففي الحقيقة جَمَعنا بين الكلامين وأمّا بحسب القواعد العَقلية والأدبيّة فالحقّ مع البحراني ﷺ إذ لو كان المراد ما ذكره الخوئي فكان حقّ العبارة بأوليائك فتأمّل .

▫ قوله ﷺ: **وَاحْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَةِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ...**

أي أنت أحَضَر الأشياء وأقرب الموجودات بالكفاية للمتّوكلين عليك وعليه فالضّمير في قوله ﷺ: (هم) يرجع الىٰ الأولياء علىٰ مذهب الخوئي والىٰ الأنسين علىٰ مذهب البحراني وعلىٰ التّقديرين فالمعنىٰ أنّك تكفي من توكلّ عليك وهذا ممّا لا شكّ فيه عقلاً ونقلاً:

أمّا العقل فلأنّ الواجب تعالىٰ قادر علىٰ كلّ شئ عالم بكلّ شئ غَنّي في ذاته كامل في صفاته لا يحتاج الىٰ غيره وغيره محتاج اليه وإذا كان كذلك فالتّوكل والإعتماد عليه لا يخلو عن أمرين:

احدهما: أنّه لا يكفي **وثانيهما:** أنّه يكفي فعلىٰ الأوّل يلزم ضعفه وعجزه

وقد فرضناه قادراً علىٰ كلّ شيءٍ وعلى الثّاني فهو المطلوب وأمّا نقلاً فمن الآيات:قوله تعالىٰ:﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾(١)

و : ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(٢)

و : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(٣)

و : ﴿اللَّه لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(٤)

و : ﴿ فَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾(٥) وأمّا الأخبار في مدح التّوكل فكثيرة جدّاً، قال النّبي ﷺ من أحَبَّ أن يكون أتقىٰ النّاس فليتّوكل علىٰ اللّه انتهىٰ...

وقال الباقر عليه السلام من توكّل علىٰ اللّه لا يُغلَب ومَن إعتصَم باللّه لا يُهزَم انتهىٰ...

وقال عليه السّلام – من إنقطع الىٰ اللّه كفاه اللّه مؤنته ورزقه من حيث لا يحتسب ومن إنقطع الىٰ الدّنيا وكلّه اليها انتهىٰ وقال النّبي ﷺ من سّره أن يكون أقوىٰ النّاس فليتّوكل علىٰ اللّه الحديث وقال ﷺ لو أنّ رجلاً توكّل علىٰ اللّه بصدق النّية لإحتاجت اليه الأُمراء فَمن دونهم فكيف يَحتاج هو ومولاه الغنّي الحميد انتهىٰ وقال أمير المؤمنين عليه السلام الإيمان له أركان أربعة، التّوكل علىٰ اللّه وتفويض الأمر الىٰ اللّه والرّضاء بقضاء اللّه والتّسليم لأمر اللّه انتهىٰ والأحاديث نقلناها عن كتاب «مشكاة الانوار ص ١٦ الى ص ١٨»...

ثمّ إعلم أنّ لِلتّوكل ثلاث درجات علىٰ مَسلك العرفاء:

الدّرجة الأوّلى: التّوكل مع الطّلب ومعطاة السّبب علىٰ نيّة شغل النّفس ونفع الخلق وترك الدّعوىٰ.

الدّرجة الثّانية: التّوكل مع إسقاط الطّلب وغضّ العين عن السّبب إجتهاداً

١- يوسف - ٦٧
٢- آل عمران - ١٥٩
٣- النّحل - ٩٩
٤- التغابن - ١٣
٥- الطّلاق - ٣

في تصحيح التّوكل وقمع تشّرف النّفس وتفرّغاً الىٰ حِفظ الواجبات:

الدّرجة الثّالثة: التّوكل مَع معرفة عِلله النّازعة الىٰ الخلاص من علّة التّوكل فأنّ من ضرورة العبّودية أن يعلم العبد أنّ الحقّ هو مالك الأشياء كلّها وَحده لا يشاركه فيها مشارِك ولتفصيل الكلام فيه محلّ آخر.

▫ قوله ﷺ: **تَشَاهِدُهُمْ فِى سَرَائِرِهِمْ وَتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِى ضَمَائِرِهِمْ وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ...**

أي تُشاهدهم في ما يَسرونّه ويَكتمونه وأنت خبير بما يضمرونه في قلوبهم وعالم بمبلغ بصائرهم ونياتّهم والأصل في ذلك كلّه هو أنّه تعالىٰ محيط بكلّ شيءٍ عالم بالأسرار والخفيّات كما أنّه عالم بالمَحسُوسات والمشاهَدات فلاٰ يعزب عن علمه مثقال ذرةٍ لا في الأرض ولا في السّماء كما قال تعالىٰ في كتابه: ﴿**اَوَلا يَعْلَمُونَ اَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ**﴾ (1) و: ﴿**وَ اعْلَمُو اَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مافِى اَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ**﴾ (2)

و: ﴿**وَ يَعْلَمُ ما فِى السَّمٰواتِ وَ ما فِى الْاَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْىءٍ عَلِيمٌ**﴾ (3)

و: ﴿**رَبَّنا اِنَّكَ تَعْلَمُ ما نُخْفِى وَما نُعْلِنُ**﴾ (4)

و: ﴿**يَعْلَمُ خائِنَةَالْاَعْيُنِ وَ ما تُخْفِى الصُّدوُرُ**﴾ (5)

و: ﴿**وَيَعْلَمُ ما تُخْفُونَ وَما تُعْلِنُونَ**﴾ (6) وغيرها من الآيات.

▫ قوله ﷺ: **فَاَسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ وَقُلُوبُهُمْ اِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ...**

أمّا أنّ أسرارهم له تعالىٰ مَكشوفة فقد ظهر ممّا ذكرناه من الآيات وأمّا أنّ قلُوبهم اليه ملهُوفة محزُونة وبعبارة أُخرىٰ مُحترقة مُشتعلة بنار الإشتياق والمحبّة فأنّ نار الشّوق الىٰ اللّقاء أَحرق للقلب من نار المحسُوسة بالنّسبة الىٰ ما يحتَرق بها وهذا ممّا يُدرك لأهله ولا يمكن وَصفَه فأنّ أكثر النّاس لا

١- البقرة ـ ٧٧
٢- البقرة ـ ٢٣٥
٣- آل عمران ـ ٢٩
٤- ابراهيم ـ ٣٨
٥- غافر ـ ١٩
٦- النّمل ـ ٢٥

يَفهمُون هذه المعاني فضلاً عن دَركها ولنعم ما قاله العطّار بالفارسيّة:

در دَرد عشق يكدل بيدار مِى‌نه بينم
مَستند جُملة در خود هُشيار مِى‌نَه بينم
جملة زخُودپرستى مشغول‌كارخويش‌اند
در راه او دِلى را بر كار مِى‌نه بينم
عُمرى بسَر دَويدم گُفتم مگر رسيدم
باداست هرچه ديدم چون يار مِى‌نه‌بينم
گفتم مگر كه باشم از خاصگان كُويش
خود از سگان كُويش آثار مى‌نه بينم
دَعوى‌ست‌جملةدعوى كُوعاشقى‌وكُوعشق
كَز كُشتگان عشقش دَيآر مِى نه بينم
گر عاشقى بر آور از جان دَم أنا الحقّ
زيرا كه جاى عاشق جُز دار مى‌نه بينم
چون مَرد دين نبودم كِيش مَغان گزيدم
دين رفت وبر ميان جُز زِنّار مى‌نه بينم
اكنون زناتمامى نه مؤمنم نه تَرسا
اندک زدست دادم بسيار مى‌نه بينم
دَرداكه داد چون گل عطّار دل ببادش
واز گُلبُن وصالش يک خار مى‌نه بينم

◘ **قوله ﷺ: إِنْ أَوْحَشَتْهُمُ الْغُرْبَةُ آنَسَهُمْ ذِكْرُكَ وَ إِنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ لَجَأُوا إِلَىٰ الإِسْتِجَارَةِ بِكَ عِلْماً بِأَنَّ أَزِمَّةَ الْأُمُورِ بِيَدِكَ وَمَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِكَ...**

أي أن أوَحَشَتهم الغُربة وجَعَلتهم في خَوفٍ ودِهشةٍ بسبب عَدم أُنسهم بأهل الدّنيا وقَطع علائقهم عنها فقد آنَسَهم ذكرك لأنّه يُوجب إطمئنان القَلب

ويَزيل الرُّعب عنه ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[1] وقد مَرّ الكلام في معنىٰ الذّكر والأُنس وقُلنا أنّ الأُنس به يُوجب الإعراض عمّا سواه لعدم الإحتياج الىٰ غيره فأنّه تعالىٰ من حيث كونه علّة الإيجاد يكون كلّ الموجودات ضرورة أنّ العلّة التّامة كلّ المعلول مع زيادة عليه ولأجل هذا قال تعالىٰ: ﴿فَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُه﴾[2] وأن شئت قُلت لا موجود في العالم غيره تعالىٰ في الحقيقة حتّىٰ يُقال ما يقال فلا مؤثر في الوجود إلّا هو قال العطّار:

دى پير من از كُوى خرابات بر آمد
واز دل شده گان نعرهٔ هيهات بر آمد
شوريده به محراب فنا سر به بر افكند
سرمَست بمعراج مناجات بر آمد
چون دَردى جانان بَره سينه فروريخت
از مَشرق جان صُبح تَحيّات بر آمد
چون دُوست نقاب از رخ پرنور برانداخت
بادُوست فروشد بمقامات بر آمد
آن ديده كز آن ديده توان ديد جمالش
آن ديده پَديد آمد وحاجات بر آمد
مقصود بحاصل شد ومطلوب به تعيين
محبُوب قَرين گشت ومُهمّات بر آمد
اين داشت كرامات بيک جُرعه مِى عشق
بى خود شد واز دين كرامات بر آمد
عطّار بدين كُوى سراسيمه همى گشت
تا نفى شد وازرَهِ إثبات بر آمد

١- الرعد - ٢٨
٢- الطّلاق - ٣

وإذا كان الإنسان في سلوكه الىٰ اللّه آنَسَه ذكره فلا محالة لا يأنس بغيره ولا يَحصل هذا المقام للسّالك إلّا بعد وصوله الىٰ مقام التّسليم لأمره والرّضاء بقَدره إذ لا يرىٰ في هذا المقام نفسه فضلاً عن غيره وقد يعبّر عنه بمقام الفناء الّذي يتبعه البقاء وعليه فأن وَرَدت المصائب من المحبوب عليه لَجأ اليه وإستَجار به لعلمه بأنّ أزمّة الأُمور بيد اللّه ولا مؤثر في الوجود إلّا اللّه ومصادر الأُمور تُنشأ عن قضائه فكلّ ما وَرَد منه علىٰ العَبد أنّما وَرد لمصلحةٍ رأها الخالق له ولا يمكن دفعه عنه إلّا مِن قِبله والمَخلوق لا يَلجأ إلّا الىٰ خالقه:

أَزمّــة الأمــور طــرّاً بـيده والكــلّ مستمدة مـن مَـدده

والحاصل أنّ السّالك في طريق العبّودية لا يـعرف إلّا مـعبوده ولا يأنس إلّا بذكره ولا يَلجأ في الشّدة والمُصيبة إلّا اليه لعلمه بأنّ غيره محتاج اليه واللّه تعالىٰ هو الغنّي القاهر القادر:

□ قوله ﷺ: **اللَّهُمَّ اِنْ فَهِهْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي اَوْ عَمِيتُ عَنْ طِلْبَتِي فَدُلَّنِي عَلَىٰ مَصَالِحِي وَخُذْ بِقَلْبِي اِلَىٰ مَرَاشِدِي...**

أي أن عجزت عن مَسألتي ولم أَقدر علىٰ بيانها أو عَميت وفي بعض النّسخ عَمهتُ بالهاء من التّردد والحيرة أي أن تردّدت وتحيّرت فلم أدر ما أطلب منك فدّلني وأهدني علىٰ مصالحي وخُذ بقلبي الىٰ مراشدي ومَوارد صلاحي في مَبدءي ومَعادي وذلك لأنّك أعلم بمصالحي منّي وأعرف بما هو خيرٌ لي في دنياي وآخرتي فأنّك أن تَكِلني الىٰ نفسي لَضللتُ عن ديني:

□ قوله ﷺ: **فَلَيْسَ ذٰلِكَ بِنُكْرٍ مِنْ هِدَايَاتِكَ وَلاَ بِبِدْعٍ مِنْ كِفَايَاتِكَ...**

أي ما طلبتُ منك من دلالتك أيّاي علىٰ مصالحي وأخذ قلبي الىٰ مراشدي ليس بمُنكرٍ وغير معروف من هداياتك بل هو معروف حيث قُلت: **﴿اُدْعُونِي اَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾**[1] وأيضاً ليس هو ببدعٍ أي أوّل ما تَكفيني من كفاياتك بل

١-الغافر- ٦٠

عادتك التّوفيق والأرشاد في حقّ جميع العباد:

◻ **قوله ﷺ: اللَّهُمَّ احْمِلْنِي عَلَىٰ عَفْوِكَ وَلاَ تَحْمِلْنِي عَلَىٰ عَدْلِكَ...**

أي اللّهم إجعلني مشمولاً لِعفوك ولا تَحملني علىٰ عَدلك كما وَرد في الحديث **إلٰهنا عاملنا بفضلك ولا تعامِلنا بعَدلك**، وأنّما قال ﷺ ذلك لأنّ الجَزاء إذا كان بمُقتضىٰ عَدله فهو مشكل لعَدم قدرة المخلوق علىٰ تَحمّل عَدله وخُروجه عن الوظائف المُقرّرة بعَمَله وهو واضح:

ومن كلام له عليه السلام (٢٢٦)

□ قوله عليه السلام: لِلّٰهِ بَلاَءُ فُلاَنٍ فَقَدْ قَوَّمَ الْأَوَدَ وَدَاوَى الْعَمَدَ خَلَّفَ الْفِتْنَةَ وَاَقَامَ السُّنَّةَ، ذَهَبَ نَقِيَّ الثَّوْبِ قَلِيلَ الْعَيْبِ اَصَابَ خَيْرَهَا وَسَبَقَ شَرَّهَا اَدَّىٰ اِلَىٰ اللّٰهِ طَاعَتَهُ وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِى طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ لاَ يَهْتَدِى بِهَا الضَّالُّ وَلاَيَسْتَيْقِنُ الْمُهْتَدِى.

◁ اللغة

(الْأَوَدَ) أَوَد الشّيئ أوداً أي إعوج (الْعَمَدَ) بالتّحريك العلّة (نَقِيَّ) النّقي من النّقاوة وهي الطّهارة (مُتَشَعِّبَةٍ) مُختلفة:

◁ المعنىٰ

(لِلّٰهِ بَلاَءُ فُلاَنٍ فَقَدْ قَوَّمَ الْأَوَدَ) والإعوجاج (وَدَاوَى الْعَمَدَ) أي العلّة والمَرَض والمقصود الجهل والضّلالة (خَلَّفَ الْفِتْنَةَ) وتَركها (وَاَقَامَ السُّنَّةَ) أي سنّة النّبي (ذَهَبَ) ومات (نَقِيَّ الثَّوْبِ) عن المعاصي (قَلِيلَ الْعَيْبِ اَصَابَ خَيْرَهَا) أي خير الفِتنة أو خير السّنّة (وَسَبَقَ شَرَّهَا) بموته (اَدَّىٰ اِلَىٰ اللّٰهِ طَاعَتَهُ وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ) أي لم يعص اللّه تعالىٰ وراعىٰ حقوقه (رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ) أي تَرك النّاس (فِى طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ) مُختلفة (لاَ يَهْتَدِى بِهَا الضَّالُّ وَلاَ يَسْتَيْقِنُ الْمُهْتَدِى) أي من أراد الإهتداء لا يَستَيقن في طريقه:

◁ الشّرح

إعلم: أنّ هذا الكلام صار مَعرَكة الأراء بين الشّراح فمنهم من قال بأنّ قوله عليه السلام: (**فلان**) كناية عن عُمر إبن الخطّاب ذهب اليه الشّارح المعتزلي وأصّر عَلَيه في شرحه وإدّعىٰ أنّه وَجَد نسخة من الكتاب بخطّ الرّضي جامع نهج البلاغة وتحت كلمة فلان (عُمر) قال حدّثني بذلك مخار بن معد الموسوي وقال سألت النّقيب أبا جعفر يحيىٰ إبن زيد العلوي فقال لي هو عُمر الىٰ آخر ما قال ومنهم من قال بأنّه عليه السلام مَدح بعض أصحابه بحُسن السيّرة وكلمة (**فلان**) كناية عنه ذهب اليه القَطب الرّاوندي في شرحه علىٰ ما نقل عنه الشّارح المعتزلي ثمّ قال أنّه بعيد:

ومنهم من قال كَونه كناية عن أبي بكر أشبه إختاره المحقق البحراني في شرحه:

وقال الشّارح الخوئي بعد نقله ما نقلناه أنّ ما قاله القطب الرّاوندي فأستعاد الشّارح المُعتزلي له بموقعه وكذلك ما زعَمه الشّارح البحراني فأنّه أيضاً بعيد وتقريبه له بأنّه ذّم خلافة عُمر في خطبته الشّقشقية فيه أنّه عليه السلام ذّم هناك خلافة أبي بكر أيضاً حسبما عرفت وأمّا ما زعمه الشّارح المُعتزلي من أنّ المراد به عُمر ومبالغته فيه وإستظهاره له بما فصّله في كلامه ففيه أنّه أن كان هذا الرّجل الجلف هو المراد به وأبقينا الكلام علىٰ ظاهره علىٰ ما توهمه الظّاهر من كون عُمر أهلاً للأوصاف المذكورة لا غير كان هذا الكلام مناقضاً صريحاً لما تقدم عنه في الخطبة الشّقشقية من مثالب عُمر ومعايب خلافته فلاحظ المقام وأُنظر ماذا ترىٰ، ثمّ ذكر الشّارح رحمه الله كثيراً من الرّوايات الدّالة علىٰ عدم صلاحية عُمر للخلافة كغيره من الخلفاء فضلاً عن كونه مُستحقاً للمَدح والثّناء أن شئت فراجع شرحه، ثمّ قال وعليه فلا يبعد أن يكون مراده عليه السلام هو مالك إبن الحرث الأشتر فلقد بالغ في مدحه وثنائه في غير واحدٍ من كلماته وذَكرَ بعض ما يدّل علىٰ مَدحه وثنائه وقال والحاصل أنّه علىٰ كون المكنّىٰ عنه هو عُمر لابدّ من

تأويل كلامه وجعله من باب الإيهام والتّورية على ما جرت عليها عادة أهل البيت في أغلب المقامات فأنّهم لمّا رأوا من النّاس جَمهورهم إلّا النّادر من خواصّ أصحابهم الإفتتان بمحبّتهما وَوَلَعوا بعبادة الجبت والطّاغوت سلكوا في كلماتهم كثيراً مَسلك التّورية والتّقية حِقناً لِدمائهم وَدِماء شيعتهم حيث لَم يَتّمكنّوا من إظهار حقيقة الأمر انتهى.

وأنا أقول: تحقيقاتهم في المقام عاطلة باطلة لا ترجع الىٰ مُحصّلٍ أصلاً وذلك لأنّ الأوصاف الّتي ذكرها عليه السلام في هذا الكلام كلّها للمكنّىٰ عنه بقوله **(فلان)** وهو غير معلومٍ لنا ولغيرنا ولتوضيح المرام نقول:

أمّا ما ذهب اليه الشّارح المعتزلي وهو الأصل في هذا الخلاف من أنّ المراد بقوله عليه السلام: **(فلان)** هو عُمر إبن الخطاب فهو مُجرّد إدّعاءٍ لا دليل عليه من العقل والنّقل بل الملاك في حمله ذلك هو أنّ الإنسان الخالي عن الإنصاف يجّر النّار الىٰ قُرصته وأنّ حُبّ الشّيْ يُعمي ويُصّم وإلّا فما الدّليل علىٰ هذا المُدّعىٰ:

أمّا إستناده الىٰ الرّضي وأنّه وُجِد نسخة قديمة بخطه تحت كلمة (فلان) عُمر فغير مسمُوع لوجهين:

أحدهما: أنّه أي الشّارح المعتزلي مُتفرد في هذا القول وهذه النّسبة الىٰ الرّضي، وهو خبرٌ واحد عَمّن لم يثبت عدالته بل ثَبَت عكسها لأنّه مُتهمٌ عندنا في مذهبه ومن كان كذلك فكيف يُسمع قوله ولا سيّما في هذا المورد الّذي فيه نَصرةٌ لَمذهبه لو ثبت مدّعاه وقد قال اللّه تعالىٰ: **﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾**[1]

وثانيهما: أنّه علىٰ فرض ثبوت ما قاله المُعتزلي في إدّعائه وصدقه في إستناده وبعبارةٍ أُخرىٰ علىٰ فرض وجود النّسخة الّتي إدّعاها المُعتزلي في زماننا هذا ورؤيتنا فيها ما رآه فيها بقوله لا نقول بصحّته وذلك لأنّ الرّضي رحمه الله كان جامعاً لكلام أمير المؤمنين لا مُفسّراً له وليس لنا قبول قوله في تعيين مراد

١ - الحجرات - ٦

أمير المؤمنين مطلقاً بل نقبل منه ما يصّح ويُوافق المذهب ونترك ما لايصّح ولا يُوافقه وعليه فلو فرضنا أنّه قال في المقام المراد بقوله عليه السلام: **فلان**، هو عُمر أو غيره لا دليل لنا علىٰ القبُول مع أنّه لم يقل أو لم يثبت قوله وحاصل الكلام أنّ المراد بالمكنّىٰ عنه مَجهولٌ علينا وهذه الأقاويل علىٰ فرض ثبوتها لا تفيد في المقام شيئاً فالكلام علىٰ إبهامه:

وأمّا ما نقل عن أبي جعفر النّقيب وأنّه قال هو عُمر فهو أوهن من بيت العنكبوت وذلك لأنّه أيضاً مُتّهم في مذهبه ويأوّل الكلام علىٰ مرامه كالشّارح المعتزلي مضافاً الىٰ أنّه مُجّرد دعوىٰ من غير دليلٍ فيقال للنّقيب من أين ثبت لك أنّ مراده عليه السلام من كلمة (فلان هو عُمر):

وأمّا ما ذهب اليه الشّارح البحراني من أنّ المُكنىٰ به لو كان أبو بكر فهو أشبه من كونه عُمر لما ذكر عليه السلام في خلافة عُمر وذّمها في الخطبة الشّقشقية ففيه أنّ حكم الأمثال واحد والذّم فيها كان لهما لا له وحده ألا ترىٰ أنّ علّياً عليه السلام قال فيها، **أما واللّه لقد تقمصها ابن أبي قحافة** الخ حيث صدّر الخُطبة بذّمه مضافاً الىٰ أنّه الأصل في غصب الخلافة وأنّه فوضّها الىٰ عُمر حين مَوته فَذنبه أعظم من ذنبه وقد مَرّ الكلام فيه هناك:

وأمّا قول الرّاوندي علىٰ ما نقله المُعتزلي لو صّح النّقل عنه فهو أحسن من جميع الأقوال وذلك لأنّه لم يُعيّن المكنّىٰ عنه في كلامه حتّىٰ يَرد عليه ما يرد علىٰ غيره بل قال أنّه عليه السلام مَدح بعض أصحابه ومن المعلوم أنّه عليه السلام مَدَح شخصاً في كلامه هذا وأنّما الإشكال في تعيين المراد وأنّ مَن عَيّن مراده عَيّنَه من غير دليلٍ:

بقىٰ الكلام في ما ذهب اليه الشّارح الخوئي رحمه الله وهو أنّ المراد به مالك إبن الحرث الأشتر وأنّه عليه السلام بالغ في مَدحه وثنائه في غير واحدٍ من كلماته الىٰ آخر ما قال:

فنقول ما ذكره أيضاً لا دليل عليه كغيره من الأقوال وذلك لأنّ مُجّرد مَدحه عليه السلام عن مالك في غير واحدٍ من كلماته لا يدّل علىٰ المُدّعىٰ وأنّ المكنّىٰ عنه

هو مالك كما هو ظاهر مُضافاً الىٰ أنّ الأشتر مات في مسيره الىٰ مِصر قبل الوصُول الىٰ الحكُومة وظاهر الخُطبة أنّ المكنّىٰ عنه كان والياً علىٰ النّاس فكيف يمكن أن يكون المراد من قوله ﷺ: **فلان** مالك إبن الحَرث وهو لم يكن والياً في خلافته ﷺ قطّ فقد تحصّل ممّا ذكرناه أنّ هذه الأقاويل والإستظهارت كلّها ممّا لا ينبغي الإعتماد عليها إذا عرفت هذا فنقول لا شكّ لنا ولكلّ عاقلٍ أنّ المكنّىٰ عنه بقوله ﷺ: (**فلان**) لابدّ من أن يكون متّصفاً بالأوصاف الّتي ذكرها ﷺ في كلامه فَمن لم يتّصف بها لم يكن مُراده قطعاً ولأجل هذا نقول أنّ عُمر وأبي بكر وأمثالهما غير مرادٍ له بعدم إنطباق الأوصاف المذكورة عليهم فحينئذٍ لابدّ لنا من الإلتزام بأحد الأمرين:

أحدهما: القول بأنّا لا نعلم المراد بقوله ﷺ: **فلان** ولا إشكال فيه.

وثانيهما: حَمل الكلام علىٰ من إتّصف بالأوصاف كلاً أو بعضاً ولو علىٰ سبيل الإحتمال إذ القطع بمراده ﷺ ممّا لا يمكن لأحدٍ إدّعائه:

والّذي أحتَمِلُه في المقام واللّه العالم بحقيقة الأمر هو أنّه ﷺ قال هذا الكلام بعد شهادة مُحمّد ابن أبي بكر بمِصر وإفتتاحها علىٰ أيدي الكَفرة الفَجرة عمر بن العاص ومن معه من أصحاب معاوية وإجمال القصّة علىٰ ما ذكره المؤرخون هو أنّ أمير المؤمنين بعد تصديه لأمر الخلافة وتعيينه الولاة جَعل قيس إبن سعد بن عبادة الأنصاري والياً علىٰ مِصر وكان قيس رجلاً شجاعاً دِيّناً ذا رأيٍ وَحَزم وكان أثقل خلق اللّه علىٰ معاوية لقرب مِصر وأعمالها من الشّام وقد ذكروا ما وقع بينه وبين معاوية من المكاتبات والمُراسلات وذلك لأنّ معاوية كان قد طَمع في قيس ودعاه الىٰ نفسه وأمّا قيس فلم يُجبه إلّا بالإنكار عليه والبراءة منه ولنذكر لك شطراً ممّا وقع لهما من السّؤال والجواب:

كتب اليه معاوية في بعض مكاتيبه أمّا بعد فقد قرأت كتابك فلم أرَكَ تَدنُو فأعُدّك سِلماً ولم أرَكَ تَتباعد فأعُدّك حَرباً أراك كخيل الحرون وليس مثلي يُصانع من يُصانع بالخدائع ولا يخدع بالمكائد ومعه عدد الرّجال وأعِنّته

الخيل فأن قبلتَ الّذي عرضتُ عليك فلك ما أعطيتك وأن أنت لم تفعل مَلأتُ مِصر عليك خيلاً وَرجلاً والسّلام فلمّا قيس قرأ كتابه وعلم أنّه لا يقبل منه المُدافعة والمُطاولة ظهر له ما في نفسه فكتب اليه من قيس إبن سعد الىٰ معاوية بن أبي سفيان أمّا بعد فالعجب من إستقاطك رأيي والطّمع فيّ تُسّوفني لا أبا لغيرك الخُروج في دمه فيما تسوفنّي منّي لا أبا لغيرك الخروج من طاعة أولىٰ النّاس بالأمر وأقوَلهم بالحقّ وأهداهم سبيلاً وأقربهم من رسول اللّه وسيلة وتأمرني بالدّخول في طاعتك طاعة أبعد النّاس من هذا الأمر وأقوَلهم بالزُّور وأضّلهم سبيلاً وأبعدهم من رسول اللّه ﷺ وسيلة ولديك قوم ضّالون مُضّلون طواغيت من طواغيت إبليس وأمّا قولك أنّك تَملأ عَلّي مِصر خيلاً ورجلاً فلأن لَم أَشغلك عن ذلك حتّىٰ يكون منك أنّك ذو جدّ والسّلام انتهىٰ.

ثمّ أنّ أصحاب أمير المؤمنين إضطّروه الىٰ عَزل قيس كما إضطّروه في قصّة التّحكيم فَعَزله عليه السلام وإستَعمل علىٰ مِصر مُحمّد إبن أبي بكر ووقَع من أَمره ما وقَع حتّىٰ إنّجر الىٰ قَتله وتفصيله مذكور في التّواريخ وعليه فالأَمر يدور بين قيس إبن سعد ومُحمّد إبن أبي بكر بعد غلبته معاوية وأصحابه علىٰ مِصر وقتل مُحمّد إبن أبي بكر وأمّا الأشتر فقد مات بالسّم في مسيره الىٰ مِصر في القُلزم إذا عرفت هذا فَلنرجع الىٰ شرح كلماته ونقول:

▫ **قوله عليه السلام: لِلّهِ بَلاَءُ فُلاَنٍ فَقَدْ قَوَّمَ الْأَوَدَ وَدَاوَى الْعَمَدَ خَلَّفَ الْفِتْنَةَ وَاَقَامَ السُّنَّةَ...**

اللاّم في قوله عليه السلام: لِلّه لِلإختصاص وهو في معرض المَدح كما يقال لِللّه دّر فلان والمعنىٰ أنّ البلاد الّتي نَشأ فيها أو كان حاكماً والياً عليها تكون مستّحقة للمدح من حيث إجراء الحقّ والعَدالة فيها وإستعدادها لقبوله وقوله فلان قد قلنا أمّا أنّ المُكنىٰ به هو قَيس بن سَعد بن عبادة أو مُحمّد إبن أبي بكر والأوّل أولىٰ بسياق العبارة وإنطباق الأوصاف عليه:

فمنها أنّه قوّم الأَوَد أي الإعوجاج في بعض الأفراد بحُسن التّدبير والتّصلّب في الدّين فقد روي أنّ قَيس إبن سعد لمّا دَخل مصر والياً عليها قام خطيباً في

النّاس فَحَمد اللّه وأثنىٰ عليه ثمّ قال الحمد لِلّه الّذي جاء بالحقّ وأمات الباطل وكَبَت الظّالمين أيّها النّاس إنّا بايعنا خير من نعلم بعد نبيّنا ﷺ فقوموا وبايعوا علىٰ كتاب اللّه وسنّة نبيّه فأن نحن لم نَعمل فيكم بكتاب اللّه وسنّة رسول اللّه فلا بيعة لنا عليكم فقام النّاس وبايعوا وإستقامت مِصر وأعمالها لِقَيس وبعث عُمّاله ﷺ إلّا أنّ قرية فيها أعظم أهلها قتل عثمان وبها رجل من بني كنانة يقال له يزيد بن الحارث فَبعث الىٰ قيس إنّا لا نأتيك فإبعث عمّالك فالأرض أرضك ولكن أقرّنا علىٰ حالنا حتّىٰ نَنظُر الىٰ مايصير أمر النّاس ووَثَب مسلمة بن مخَلد الأنصاري به فبغىٰ ودعا الىٰ الطّلب بدم عثمان فأرسل اليه قيس ويحك أَعلّي تثب واللّه ما أحبّ أنّ لي ملك الشّام ومِصر وأنّي قَتلتك فإحقِن دَمَك فأرسل اليه مسلمة أنّي كافٍ عنك ما دُمتَ أنت والي مِصر وكان قيس ذا رأيٍ وحَزم فَبعث الىٰ الّذين إعتزلوا أنّي لا أُكرهكم علىٰ البيعة ولكنّي أدعكم وأكفّ عنكم فهاونهم وهاون مسلمة بن مخلّد وجبي الخراج وليس أحد يُنازعه انتهىٰ ومنه يظهر أنّ قيساً قد قوّم بحُسن تدبيره الأوَد والإعوجاج الّذي كان في شيعة عثمان وكانوا ساكتين صامتين في حكومته:

ومنها ـ أنّه دَاوىٰ العَمَد والعِلّة وهي الجهل والغواية والتّعصب فلم يقدر علىٰ القيام وإظهار المُخالفة شبّهه بالطبّيب الّذي يكون عارفاً بكيفية العلاج في المريض والوالي أيضاً كذلك إذ لو لم يعلم كيفية المُماشاة والمُعاشرة في كلّ شخص أو قبيلة يلزم الهَرج والمَرج في حكومته.

ومنهاـ أنّه خلّف الفِتنة أي تَركها خَلفاً لا هو أدركها ولا هي أدركته وكان قيس كذلك مع أهل الإعتزال كما عَرفت ولو لا ذلك لَطَغوا عليه كما طَغوا علىٰ محمّد إبن أبي بكر بعده:

ومنها ـ أنّه أقام السّنّة وهو أيضاً ممّا لا شكّ فيه لأنّه كان مؤمناً ورعاً صالحاً عادلاً والمراد بإقامة السّنّة إجراء أحكام الدّين ومتابعة سنّة الرّسول الأمين في جميع الموارد:

□ **قوله ﷺ: ذَهَبَ نَقِيَّ الثَّوْبِ قَلِيلَ الْعَيْبِ اَصَابَ خَيْرَهَا وَسَبَقَ شَرَّهَا اَدَّىٰ اِلَىٰ**

اللّٰهِ طَاعَتَهُ وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ لاَ يَهْتَدِي بِهَا الضَّالُّ وَلاَ يَسْتَيْقِنُ الْمُهْتَدِي...

ومنهاـ أنّه ذهب نّقي الثّوب قليل العَيب أمّا نقاوة ثوبه فهي كناية عن صلاحه وسداده يقال فلان نقّي الثّوب إذا كان صالحاً غير مّتصفٍ بالأخلاق الذّميمة مراعياً للكتاب والسّنّة عادلاً في الرّعية وذهابه كناية عن عزله عن الحكومة والمعنىٰ أنّه عُزل عنها في عين صلاحّيته للحكومة لا لعدم لياقته وظلمه وقوله قليل العَيب إشارة الىٰ أنّه لم يكن مَعصُوماً حتّىٰ لا يكون منه عيب أصلاً فانّ الإنسان محلّ الخَطأ والنّسيان لولا مقام العصمة فيه:

ومنهاـ أنّه أصاب خيرها وسبق شّرها أي أصاب خير الفِتنة وسبق شّرها أو أصاب خير الإمارة وسبق شّرها والأوّل أولىٰ بحسب القاعدة فأنّ مرجع الضّمير لابدّ من تقدّمه لفظاً أو معناً أو حكماً والإمارة والخلافة لم يتّقدم ذكرها كذلك والمقصود أنّه ذَهِبَ قبل الفِتنة الّتي وقعت بمِصر وقُتل فيها محمّد إبن أبي بكر وأمّا في حكومة قيس فلم يكن كذلك فشّر الفِتنة ظهورها وفِعْليتها وخيرها خمُودها وعدم إشتعال نارها وكلّ شيءٍ له خير وشّر في عالم الخِلقَة والفتنة كذلك:

ومنهاـ أنّه أدّىٰ الىٰ اللّه طاعته وإتّقاه بحقّه كما هو شأن المؤمن العارف باللّه وقوله ﷺ: **رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ** معناه أنّه رَحَل عنها وترك النّاس في طرقٍ مختلفة من حيث العقائد والآراء لأنّه كان باعثاً عليه بل أنّهم كانوا كذلك قبل مجيئه والياً عليهم وتركهم علىٰ ماكانوا ولم يقدر علىٰ إصلاحهم وإرشادهم لعدم قبولهم منه فلا محالة بَقوا مُختلفين متّفرقين بحيث لا يهتدي فيها أي في الطّرق المختلفة الضّال ولا يستيقن المُهتدي أنّه علىٰ طريق الحقّ لكونه شاكاً في طريقه ومحصّل الكلام أنّه لم يقدر علىٰ رفع الإختلاف عنهم واللّه أعلم بحقائق الأمور:

ومن كلام له عليه السلام (٢٢٧)
في وصف بيعته بالخلافة

◘ قوله عليه السلام: **وَبَسَطْتُم يَدِي فَكَفَفْتُهَا وَمَدَدْتُمُوهَا فَبَقَضْتُهَا ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ عَلَىٰ حِيَاضِهَا يَوْمَ وُرُودِهَا حَتَّىٰ إنْقَطَعَتِ النَّعْلُ وَسَقَطَتِ الرِّدَاءُ وَوُطِئَ الضَّعِيفُ وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّاىَ أَنِ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ وَهَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكِعَابُ.**

◁ **اللغة**

(**تَدَاكَكْتُمْ**) التّداك الإزدحام الشّديد (**الْهِيمِ**) بكسر الهاء العطاش (**هَدَج**) أي مَشىٰ مشياً ضعيفاً (**تحَامَلَ**) التّحامُل التّكلف في الأمر علىٰ مشّقةٍ (**حَسَرَتْ**) أي كَشفت (**الْكِعَابُ**) كسحاب الجارية حين يبدو ثديها لِلهُنود وهي الكاعبة:

◁ **المعنىٰ**

(**وَبَسَطْتُم يَدِي**) لتُبايعوني بالخلافة (**فَكَفَفْتُهَا**) أي مَنعتُ يدي عن بيعتكم لعَدم ميلي ورغبتي الىٰ الخلافة بعد عثمان (**وَمَدَدْتُمُوهَا**) أي مَددتم يدي (**فَبَقَضْتُهَا**) إستنكافاً منّي (**ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ**) وازدَحمتم إزدحاماً شديداً (**عَلَيَّ تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ**) أي كان إزدحامكم عَلَي لِلبَيعة مثل إزدحام الإبل العطاش (**عَلىٰ حِيَاضِهَا يَوْمَ وُرُودِهَا**) أي علىٰ محالّ مشربها يوم ورُودها عليه لِلشُرب (**حَتَّىٰ إنْقَطَعَتِ النَّعْلُ**) عن الرُجل(**وَسَقَطَتِ الرِّدَاءُ**) عن المنكَب لِكثرة الإزدحام

(وَوُطِئَ الضَّعِيفُ) تحت الأقدام (وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ اَنِ ابْتَهَجَ) وسُّر (بِهَا) أي بالبيعة (الصَّغِيرُ وَهَدَجَ) أي مشىٰ (إِلَيْهَا الْكَبِيرُ) شغفاً بها (وَتَحَامَلَ) وتكلف (نَحْوَهَا الْعَلِيلُ وَحَسَرَتْ) وانكشفت (إِلَيْهَا الْكِعَابُ) والجارية:

◁ الشرح

▫ قوله عليه السلام: وَبَسَطْتُم يَدِي فَكَفَفْتُهَا وَمَدَدْتُمُوهَا فَبَقَضْتُهَا...

إعلم: أنّ الظّاهر من هذا الكلام أنه مُلتقطٌ من كلامٍ آخر أبسَط والدّليل عليه وجود واو العَطف في قوله وبَسطتم يدَي، وقد مرّ نظير هذا الكلام منه عليه السلام في موارد كثيرة، منها قوله عليه السلام: **قبضت يدي فبسطتموها ونازعتكم يدي فجاذبتموها** خطبة (١٣٧) ومنها قوله عليه السلام: **فتداكوا علّيَ تداّك الإبل الهِيم يوم ورُودها** خطبة (٥٣) فقوله عليه السلام: **وَبَسَطْتُم يَدِي** إشارة الىٰ حِرصهم علىٰ بيعته وقوله عليه السلام: **فَكَفَفْتُهَا**، أي كَففتُ يدي عنها إشارة الىٰ عدم رغبته عليه السلام الىٰ الخلافة بعد قتل عُثمان وهو لا يدّل علىٰ عَدم مَيله الىٰ الخلافة مُطلقاً فأنّ الخلافة بعد النّبي غير الخلافة بعد عُثمان وقد مرّ الكلام سابقاً في وجهه وقلنا أنّ علّة عدم رغبته اليها بعد قتل عُثمان فساد أخلاق النّاس في عهد الخلفاء الثلاثة ووجود البّدع المُستحدثة من الخلفاء فيهم ولا سيّما في خلافة عُثمان وعلمه عليه السلام بأنّ إرجاع النّاس الىٰ عهد النّبي وإجراء أحكام الإسلام فيهم من جميع الجهات لا يمكن عادةً فلأجل هذا كان عليه السلام مُعرضاً عنها بعد عُثمان ومائِلاً راغباً اليها بعد النّبي وبهذا يندفع الإشكال .

▫ قوله عليه السلام: ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ عَلَىٰ حِيَاضِهَا يَوْمَ وُرُودِهَا...

أي ثمّ أنّكم إجتمعتم وإزدَحمتم عَلّيَ مثل إزدحام الإبل العطاش علىٰ حياضها ومشربها يوم ورُودها عليها وفي هذا التّشبيه إشارة الىٰ شدّة إحتياجهم الىٰ أمير المؤمنين وأنّه عليه السلام كان مجبوراً علىٰ قبول الخلافة بحيث لم يمكن له عليه السلام دَفعَهم عن نفسه كما قال:

□ **قوله ؛: حَتَّىٰ اِنْقَطَعَتِ النَّعْلُ وَسَقَطَتِ الرِّدَاءُ وَوُطِئَ الضَّعِيفُ...**

أي كان إزدحام النّاس بحيث إنقطعت النّعل عن الرّجل وسقطت الرّداء عن المنكب ووُطئ الضّعيف تحت الأقدام كما قال ؛: **في الخطبة الشقشّقية، فما راعني إلّا والنّاس كعُرف الضّبع الّي ينثالُون عَلّي من كلّ جانب حتّىٰ لقد وُطئ الحَسَنان وشقّ عِطفاي مُجتمعين حَولي كربيضة الغَنم**، وقد مرّ الكلام هناك تفصيلاً والمراد بقوله وُطئ الضّعيف بحسب البدن والجسم:

□ قوله ؛: **وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ اِيَّاىَ اَنِ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ وَهَدَجَ اِلَيْهَا الْكَبِيرُ وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ وَحَسَرَتْ اِلَيْهَا الْكِعَابُ...**

أي أنّ النّاس صغيرهم وكبيرهم صاروا مُبتهجين مسرورين فالصّغير قَنع بسُروره والكبير لم يَقنع به بل هَدَج ومشىٰ إلّي ليبّايعني حتّىٰ أنّ المعلولين والمَرضىٰ تَحامَلوا وتَكلّفوا نحو البيعة، والكِعاب والجارية حَسَرت وكَشَفت عن وجهها متّوجهة الىٰ البيعة لتعقدها بلا إستَحياءٍ لشدّة الرّغبة والحرص علىٰ إتمام الأمر والمقصود من هذه الكلمات الإحتجاج علىٰ المُخالفين وأنّ الأُمّة بايعته مُختارة وقد قال الشّعبي لمّا قُتل عثمان أقبل النّاس الىٰ علّي ليبّايعوه ومالوا اليه فمدّوا يده فكفّها وبَسطوها فَقَبضها حتّىٰ بايعوه وقيل أنّ أوّل من بايعه طلحة بن عبيد اللّه وكانت إصبعه أُصيبت يوم أُحد فَشلّت فبصر بها أعرابي حين بايع فقال إبتدأ هذا الأمر يد شلاّء لا يتمّ ثمّ بايعه النّاس في المسجد ويروي أنّ الرّجل كان عبيد بن ذويب فقال يدٌ شلاّء وبيعة لا تتمّ وفيه قال الشّاعر:

ولقد تيقّن من تيقّن غدرهُم ... إذ مدّ أوّلهم يدٌ شلاّءُ

وفي بيعته ؛ قال الشّاعر:

رأيت علّياً خير من وطئ الحصا ... وأكرم خلق اللّه من بعد أحمد

وصّي رسول المُرتضىٰ وإبن عَمّه ... وفارسه المشهور في كلّ مشهدِ

تخّيره الرّحمٰن من خير أسرة ... لأطهر مولودٍ وأطيب مولدُ

إذا نـحن بـايَعنا عَـلّياً فَـحيبُنا بـيعته بـعد النّـبي مـحمّدُ

وحيث إنّا قد تكلّمنا في قتل عثمان وبيعة النّاس أمير المؤمنين عليه السلام في سالف القول تفصيلاً فلا نُعيدُ الكلام بذكره ثانياً مُضافاً الىٰ أنّه لم يختلف فيما ذكره عليه السلام في المقام وغيره أحَدٌ من ارباب السِّير والتّواريخ:

ومن خطبة له عليه السلام (٢٢٨)

▫ قوله عليه السلام: فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ وَعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ وَيَنْجُو الْهَارِبُ وَتَنَالُ الرَّغَائِبُ.

فَاعْمَلُوا وَالْعَمَلُ يُرْفَعُ وَالتَّوْبَةُ تَنْفَعُ وَالدُّعَاءُ يُسْمَعُ وَالْحَالُ هَادِئَةٌ وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ عُمُراً نَاكِساً وَمَرَضاً حَابِساً أَوْ مَوْتاً خَالِساً فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمُ لَذَّاتِكُمْ وَمُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُمْ وَمبَاعِدُ طِيَّاتِكُمْ زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ وَقِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ وَوَاتِرٌ غَيْرُ مَطْلُوبٍ قَدْ أَعْلَقَتْكُمْ حَبَائِلُهُ وَتَكَنَّفَتْكُمْ غَوَائِلُهُ وَأَقْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ وَتَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدْوَتُهُ وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلَلِهِ وَاحْتِدَامُ عِلَلِهِ وَحَنَادِسُ غَمَرَاتِهِ وَغَوَاشِي سَكَرَاتِهِ وَأَلِيمُ إِرْهَاقِهِ وَدُجُوُّ إِطْبَاقِهِ وَجُشُوبَةُ مَذَاقِهِ فَكَأَنْ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً فَأَسْكَتَ نَجِيَّكُمْ وَفَرَّقَ نَدِيَّكُمْ وَعَفَّى آثَارَكُمْ وَعَطَّلَ دِيَارَكُمْ وَبَعَثَ وُرَّاثَكُمْ يَقْتَسِمُونَ تُرَاثَكُمْ بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ وَآخَرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ.

فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ وَالتَّأَهُّبِ وَالِاسْتِعْدَادِ وَالتَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ وَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ الَّذِينَ احْتَلَبُوا دِرَّتَهَا وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا وَأَفْنَوْا عِدَّتَهَا وَأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا وَأَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَاثاً وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثاً لَا يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ وَلَا يَحْفِلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ وَلَا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَدَّارَةٌ خَدُوعٌ مُعْطِيَةٌ

مَنُوعٌ مُلْبِسَةٌ نَزَعٌ لاَ يَدُومُ رَخَاؤُهَا وَلاَ يَنْقَضِي عَنَاؤُهَا وَلاَ يَرْكُدُ بِلاَؤُهَا:

مِنْهَا فِي صِفَةِ الزُّهَادِ - كَانُوا قَوْماً مِن اَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ اَهْلِهَا فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ وَبَادَرُوا فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ تَقَلَّبُ اَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ اَهْلَ الْأَخِرَةِ يَرَوْنَ اَهْلَ الدُّنْيَا يُعْظِّمُونَ مَوْتَ اَجْسَادِهِمْ وَهُمْ اَشَدُّ إِعْظَاماً لَمَوْتِ قُلُوبِ اَحْيَائِهِمْ.

◁ **اللّغة**

(**المَلَكة**) بالتّحريك الرّق (**يَنْجَحُ**) من نَجَح اذ ظَفَر (**الرَّغائب**) بفتح الرّاء جمع رغيبة وهو الأمر المرغوب فيه (**هَادِئَةٌ**) هَدَ، هَدءً أي سَكَن (**بَادِرُوا**) أي سابقوا (**ناكساً**) إسم فاعل من نَكَس يَنكس نكساً إذا قُبح وسَقَط (**حَابِساً**) أي مانعاً (**خَالِساً**) الخالس الخاطف (**طِيَّاتِكُمْ**) الطيّات بكسر الطّاء وتشديد الياء جمع طِيّة وهي القَصد (**قِرْنٌ**) بكسر القاف الكُفوء في الشّجاعة (**وَاتِرٌ**) بكسر التّاء إسم فاعل من وَتَر إذا جَنىٰ والواتر الجاني وقيل القاتل (**حَبَائِلُهُ**) جمع حبالة المصيدة من الحبال (**تَكَنَّفَتْكُمْ**) أي أحاطتكم (**غَوائله**) الغوائل جمع غائلة وهي الدّاهية والحادثة (**غَوَائِلُهُ**) جمع مِعبلة بكسر الميم كَمِكنسة وهي النّصل الطّويل العَريض (**عَدْوَتُهُ**) بفتح العين وسكون الدّال وفتح الواو وهي العدوان (**نَبْوَتُهُ**) النّبوة بفتح النّون وسكون الباء الخطأ في الضّربة (**دَوَاجِي**) جمع داجية أي مُظلِمة (**ظُلَلِهِ**) الظّلل جمع ظّلة وهي السّحابة (**احْتِدَامُ**) مصدر إحتَدم يَحتدم، وهو الإشتداد (**حَنَادِسُ**) بفَتح الحاء جمع حِندِس بكسر الحاء والدّال الظّلمة (**غَمَرَاتِهِ**) الغمرات جمع غمرة وهي الشّدة (**دُجُوّ**) بضّم الدّال والجيم وتشديد الواو الأظلام (**أَطباقه**) بالفتح جمع طَبَق غطاء كلّ شيء (**جُشُوبَةُ**) بضّم الجيم والشّين وهي الخشونة (**نَجِيِّكُمْ**) النَّجي بفتح النّون وكسر الجيم القوم يتناجون (**نَدّيكم**) النَّدىٰ أيضاً بالفتح الجماعة يَجتمعون للمُشاورة (**عَفَّىٰ**) أي محىٰ (**تُرَاثُكُمْ**) التّراث الميراث (**حَمِيم**) بفتح الحاء الصّديق (**دِرَّتها**) بكسر الدّال اللّبن (**غِرَّتَهَا**) الغِرّة بكسر الغين الغَفلة (**اَجْدَاثاً**) الأجداث

القبُور (يَحْفِلُونَ) حَفل القوم حفلاً إجتمعوا (عَنَاؤُهَا) العناء الشّدة والمَشّقة (يَرْكُدُ) أي يسكن (تَقَلَّب) أي تَنقلب (ظَهْرَانَيْ) يقال هو بين ظهرانيّهم أي بينهم حاضراً ظاهراً.

◁ المعنىٰ

(فَإِنَّ تَقْوَى اللّهَ مِفْتَاحُ سَدَادٍ) أي الصّواب من القول والعَمَل (وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ) في يوم لا ينفع مال ولا بنون (وَعِتْقٌ) أي مُعتِقٌ (مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ) ورقٌّ (وَنَجَّاةٌ) أي مُنجية (مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ) في الدّنيا والأخرة (بِهَا) أي بالتّقوىٰ (يَنْجَحُ) ويظفر (الطَّالِبُ) بها للسّعادة (وَيَنْجُو الْهَارِبُ) من الهَلكة (وَتَنَالُ الرَّغَائِبُ) أي تَصل الىٰ ما يَرغب فيه (فَاعْمَلُوا) في الدّنيا (وَالْعَمَلُ يُرْفَعُ) ويُصعد الىٰ اللّه (وَالتَّوْبَةُ) عن الذّنوب (تَنْفَعُ) التّائب في الدّارين (وَالدُّعَاءُ يُسْمَعُ) أي يَسمَعه اللّه تعالىٰ (وَالْحَالُ هَادِئَةٌ) ساكنة (وَالْأَقْلَامُ) من الملائكة الكاتبين لِلأعمال (جَارِيَةٌ وَبَادِرُوا) وسابقوا (بِالْأَعْمَالِ عُمُراً نَاكِساً) أي قبل أن يَمنعكم منه الهَرم والضّعف (وَمَرَضاً حَابِساً) يُسلبكم النّشاط (أَوْ مَوْتاً خَالِساً) يَعرض بَغتةً (فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمُ لَذَّاتِكُمْ) في الدّنيا (وَمُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُمْ وَمبَاعِدُ طِيَّاتِكُمْ) ونيّاتكم (زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ) لكم (وَقِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ) بل هو الغالب دائماً (وَوَاتِرٌ) وقاتل (غَيْرُ مَطْلُوبٍ) لكم (قَدْ أَعْلَقَتْكُمْ حَبَائِلُهُ) أي حبائل المَوت فلا نجاة لأحدٍ منها (وَتَكَنَّفَتْكُمْ) أي أحاطت بكم (غَوَائِلُهُ) ومصائبه (وَاقْصَدَتْكُمْ) ورَمَتكم (مَعَابِلُهُ) ونصاله (وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ) وهَيبَته (وَتَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدْوَتُهُ) وعِداوته (وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ) وضَربَته (فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلَلِهِ) أي تَستركم ظلمات من ظُلله (وَاحْتِدَامُ عِلَلِهِ) أي إشتداد عِلل المَوت ومصائبه (وَحَنَادِسُ غَمَرَاتِهِ) أي ظلماته الشّديدة (وَغَوَاشِي سَكَرَاتِهِ وَأَلِيمُ إِرْهَاقِهِ وَدُجُوُّ إِطْبَاقِهِ) وتَراكم ظلماته (وَجُشُوبَةُ) وخشونة (مَذَاقِهِ فَكَأَنْ قَدْ أَتَاكُمْ) المَوت (بَغْتَةً) وفَجأة (فَأَسْكَتَ نَجِيَّكُمْ) ومُتكلّمكم (وَفَرَّقَ) وتَشتّت (نَدِيَّكُمْ) وجماعتكم (وَعَفَّىٰ) ومَحىٰ (آثَارَكُمْ وَعَطَّلَ دِيَارَكُمْ وَبَعَثَ وُرَّاثَكُمْ)

يَقْتَسِمُونَ تُرَاثَكُمْ) وميراثكم بينهم (**بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ)** أي صديق خاصّ (**وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ)** عنكم المَوت (**وَآخَرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ)** عليكم بعد مَوتكم (**فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ وَالتَّأَهُّبِ**) والتهيأ (**وَالِاسْتِعْدَادِ وَالتَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ**) أعني به الدّنيا (**وَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ الَّذِينَ احْتَلَبُوا دِرَّتَهَا)** ولَبَنها وهو كناية عن إستيفائهم منامُها ولذائذها (**وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا)** وغَفلتها (**وَأَفْنَوْا عِدَّتَهَا)** أي العدد الكثير من آياتها وهو كناية عن طول عُمرهم فيها (**وَاخْلَقُوا جِدَّتَهَا)** وجديدها (**وَاصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ اَجْدَاثاً)** وقبوراً (**وَاَمْوَالُهُمْ مِيرَاثاً)** بين ورّاثهم (**لاَ يَعْرِفُونَ مَنْ اَتَاهُمْ**) لزيارتهم (**وَلاَ يَحْفِلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ)** بعد موتهم (**وَلاَ يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ**) لعدم قُدرتهم على الإجابة (**فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا)** ولا تَركنوا اليها(**فَإِنَّهَا غَدَّارَةٌ**).

أي تغتّر وتغدر (**خَدُوعٌ مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ لاَ يَدُومُ رَخَاؤُهَا وَلاَ يَنْقَضِي عَنَاؤُهَا وَلاَ يَرْكُدُ بِلاَؤُهَا)** أي أنّها تَعطي وتَخدع فيه وتَلبس وتنزع ليس لسرُورها دوام ولا لشدائدها إنقضاء ولا لبلائها سكون (**مِنْهَا)** أي من الخُطبة (**فِي صِفَةِ الزُّهَادِ -كَانُوا قَوْماً مِنْ اَهْلِ الدُّنْيَا)** في ظاهر الأمر (**وَلَيْسُوا مِنْ اَهْلِهَا)** من أهل الدّنيا في باطن الأمر لكونهم تاركين لها (**فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا**) واقعاً (**عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ**) بـبَصيرتهم (**وَبَادَرُوا)** وسابَقُوا (**فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ)** من النّواهي (**تَقَلَّبُ)** وتنقلب (**اَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ اَهْلَ الْآخِرَةِ**) فكأنّهم فيهم (**يَرَوْنَ اَهْلَ الدُّنْيَا يُعَظِّمُونَ مَوْتَ اَجْسَادِهِمْ**) فيعالجونها إذا مرضوا (**وَهُمْ)** أي والحال أنّهم (**اَشَدُّ إِعْظَاماً لَمَوْتِ قُلُوبِ اَحْيَائِهِمْ)** فلا ينالون بمَوتها:

◁ الشرح

□ **قوله ﷺ: فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ وَعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ...**

شبّه عليه السلام السّداد والإستقامة ببيتٍ له مفتاح لا يمكن دخوله إلّا بـفتح بـابه وشبّه عليه السلام التّقوىٰ بالمفتاح فمن أراد الدّخول ببيت الإستقامة في العلم والعمَل والقول والفعل فَعليه بالتّقوىٰ فأنّها مفتاحه ولا يمكن الدّخول فيه إلّا بها وفيه إيماء الىٰ أنّه من لا تقوىٰ له لا يَنتفع بعلمه وعَمَله كما قال اللّه تعالىٰ في كتابه: **﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾**(١)

وثانيا: جَعَلها ذخيرة معاد، وهو أيضاً مـمّا لا شكّ فـيه لقـوله تـعالىٰ: **﴿وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوىٰ ﴾**(٢)

وثالثاً: أنّها **عِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ**، والمَصدر هنا بمعنىٰ إسم الفاعل أي مُعتق والمقصود أنّ التّقوىٰ مُعتَقة صاحبها عن كلّ مَلَكةٌ ورّقٍ أي عن رّقـية نـفس الأمّارة وغيرها من المخلوقين والحاصل أنّ الإنسان بسبب التّقوىٰ يخلص عن عبُودّية غير الخالق ويدخل في عبّوديته فَحسب وذلك لأنّ المتّقي يعلم بأنّ من يتّوكل علىٰ اللّه فهو حَسبه وأنّ الإعتماد علىٰ غيره تعالىٰ نوع من الشّرك الّذي يُنافي التّقوىٰ وقال بعضهم أنّ التّقوىٰ سبب للعِتق فَجَعلها نفسه من قبيل إطلاق السّبب علىٰ المُسَّبب والوجه الأخر أن يقال أنّ الكلام من قبيل زيـد عَدلٌ أي أنّ التّقوىٰ صارت نفس العِتق والمآل واحد وأظّن أنّ ماذكرناه أولىٰ والإحتمالات جارية في قوله عليه السلام: **وَنَجَّاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ** فـعلىٰ الأوّل أي أنّـها مُنجية عن الهَلاك في الدّارين وعلىٰ الثّاني سبب لها وعلىٰ الثّالث نفسها علىٰ طريق المُبالغة والمقصود أنّها تُنجي صاحبها عن الهَلَكة في العاجل والآجل فأنّ العاقبة للمُتّقين وقد مرّ منّا الكلام فيها مِراراً وذكرنا الآيات والأخبار فيها مُفصّلاً فلا نُعيد الكلام بذكرها ثانياً:

□ **قوله عليه السلام: بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ وَيَنْجُو الْهَارِبُ وَتَنَالُ الرَّغَائِبُ...**

أي بسبب التّقوىٰ يظفر الطّالب بمقصوده ويصل اليه وينجو الهارب مـن سخط اللّه وعذابه وتنال الرّغائب أي العطايا الكثيرة المّادية والمعنّوية الّـتي تَرغب اليها النّفوس وتَميل اليها الطّباع والكلّ واضح لا خلاف فيه أمّا الأوّل

١- المائدة ـ ٢٧
٢ـ البقرة ـ ١٩٧

فلأنّ المتّقي من حيث كونه في مقام الرّضا والتّسليم فلا محالة يظفر بمقصوده دائماً اذ لا يطلب شيئاً غير رضىٰ الخالق وهو حاصل له وأمّا الثّاني فلأن الخلاص من العذاب لا يمكن إلّا بالتّقوىٰ أعني بها إتيان الواجبات وترك المحرّمات وأمّا الثّالث فلأنّ الوصول الىٰ ما يُرغب فيه من المادّيات والمعنّويات يتّحقق بها ففيها خير الدّنيا وخير الأخرة ومَن لا تَقوىٰ له لا ينال الىٰ مايرغب فيه أصلاً هذا:

والظّاهر أنّ قوله ﷺ: **تنال**، بصيغة المجهول لا المعلوم وإلّا فحقّ العبارة كان (ينال) وهو واضح:

□ **قوله ﷺ: فَاعْمَلُوا وَالْعَمَلُ يُرْفَعُ وَالتَّوْبَةُ تَنْفَعُ وَالدُّعَاءُ يُسْمَعُ وَالْحَالُ هَادِئَةٌ وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ...**

أمّا أنّ العَمَل يُرفع فلقوله تعالىٰ: **﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾**(١)

وأمّا أنّ التّوبة تنفع للتّائب فلقوله تعالىٰ: **﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾**(٢)

و : **﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**(٣)

وأمّا أنّ الدّعاء يُسمع فلقوله تعالىٰ: **﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾**(٤)

و : **﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾**(٥)

وأمّا قوله ﷺ: **والحال هادئة** أي ساكنة فلعلّ المراد به أنّه ليس فيها ما في أحوال الموقف من الحركات الفظيعة كتطائر الكتب ونطق الجوارح وأمّا أنّ الأقلام جارية فالمراد بها أقلام الملائكة الكاتبين قال اللّه تعالىٰ:**﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَاماً كَاتِبِينَ﴾**(٦)

١- الفاطر ـ ١٠
٢- القصص ـ ٦٧
٣- الاعراف ـ ١٥٣
٤-الغافر ـ ٦٠
٥- البقرة ـ ١٨٦
٦- الانفطار ـ ١١

و : ﴿ بَلَى وَ رُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾(١)

وهذا هو الّذي أُشير اليه في الآية الشّريفة حيث قال: ﴿مَالِ هٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَ لَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾(٢)

▫ قوله ﷺ: وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ عُمُراً نَاكِساً وَمَرَضاً حَابِساً أَوْ مَوْتاً خَالِساً...

أي بادروا بالأعمال الصّالحة قبل حلول آجالكم الّتي تنكسكم وتقلّبكم من الحياة الىٰ المَوت وقبل المَرَض الّذي يحبسكم ويمنعكم عن العَمَل وقبل المَوت الّذي يخطفكم ويأتيكم بَغتَةً والحاصل أعملوا في الدّنيا لآخرتكم قبل الهَرَم والمَرَض والمَوت:

▫ قوله ﷺ: فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمُ لَذَّاتِكُمْ وَمُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُمْ وَمبَاعِدُ طِيَّاتِكُمْ...

اولاً: وَصَف ﷺ الْمَوْتَ أوّلاً بأنّه هادم اللّلّذات وقاطعها اذ لا يمكن الإلتذاذ بها بعد حلوله فأنّ اللّلّذات الحِسّية المادّية من شئون الحياة المادّية فإذا إنقطعت الحياة إنقطعت اللّذات وأمّا المعنّويات منها فلا يقطعها المَوت بل هي باقية قبله وبعده أكمَل وأشدّ.

وثانياً: بأنّه مُكدّر الشّهوات فأنّ الشّهوات والأميال النّفسانية تتكدر بذكر المَوت فضلاً عن وقوعه وحلوله كما قال الشّاعر:

لاطيب للعيش ما دامت منغّصةً ... لذّاته بإذّكار المَوت والهَرم

وثالثاً: بأنّه مباعد طيّاتكم أي أنّه يحول بينكم وبين مقاصدكم فيبّعدها وذلك لأنّ الإنسان لا يظفر بمطلوبه ولا يصل الىٰ مقصوده بسبب المَوت ولذلك ترىٰ أكثر النّاس أنّهم ماتوا وقلوبهم مملّوءة من الآمال والمقاصد بل نقول لم يتّفق لأحدٍ الوصول الىٰ مقاصده ولن يتّفق لأحدٍ أبداً سواء كان من أهل الدّنيا أم كانَ من أهل الآخرة:

▫ قوله ﷺ: زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ وَقِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ وَوَاتِرٌ غَيْرُ مَطْلُوبٍ...

ورابعاً: وَصَفه بأنّه زائر غَير مَحبُوب أي أنّ المَوت يجئ النّاس ويَزورهم وهم له كارهون ومن المعلوم أنّ هذا الحكم بأعتبار الأغلَب فلا يُنافيه كونَ

١- الزّخرف - ٨٠

٢- الكهف - ٤٩

المَوت مَحبُوباً لبعض النّاس من الأنبياء، والأوصياء والصّلحاء من الأمّة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام والله لإبن أبي طالب آنَس بالمَوت من الطّفل بثدي أمّه وأمّا عند عامّة النّاس فهو غير محبوب بل مبغوض يفرّون منه فرار الذّئب من الأسد قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقيكُمْ﴾ (١) وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ﴾ (٢)

والفرار منه أدّل دليل علىٰ أنّه غير محبُوب لهم إذ الفرار من المحبُوب لا معنىٰ له وحيث أنّ الله تعالىٰ أثبت لهم الفرار عنه فقد ثبت المطلوب هذا بحسب الظّاهر وأمّا في الواقع فهو غير محبُوب للكلّ بحسب ذاته وأن كان محبُوباً من جهةٍ أُخرىٰ وتوضيحه أنّ للمَوت إعتبارين إعتبار بحسب ذاته وماهيّته وإعتبار بحسب أثاره ونتائجه أمّا بحسب الذّات والحقيقة فهو شّر وألَم فأنّ المَوت هو الفراق أو قطع الإتّصال وبهذا الإعتبار هو أمرٌ عَدمّي لا يُحبّه أحَد وأمّا بالإعتبار الثّاني فهو مَحبُوب مطلوب للأولياء الّذين عرفوا آثاره ونتائجه وهي الخلاص من هموم الدّنيا وآفاتها والوصول الىٰ مقام القُرب وما أعدّه الله للمُتّقين في جنات النّعيم ومعلوم أنّ هذه المحبّوبية له ليست بأعتبار ذاته بل لأنّه يُوجب إيصال العبد الىٰ مطلوبه وعليه فقوله عليه السلام: **زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ** يمكن حمله علىٰ الأغلب ويمكن حمله علىٰ الظّاهر وأنّه غير محبُوب في ذاته مع قطع النّظر عن نتائجه وآثاره:

وخامساً: أنّه قرِن غير مغلوب أي أنّ المَوت كُفوءٌ لا يمكن لأحدٍ الغلبة عليه بل هو الغالب دائماً هو المَشهُود المحسُوس ولا يحتاج الىٰ دليل:

وسادساً: بأنّه واترٌ غير مطلوب والواتر الجاني أو القاتل والمقصود أنّه قاتل لا يُطالب بالقصاص في جنايته.

□ **قوله عليه السلام: قَدْ اَعْلَقَتْكُمْ حَبَائِلُهُ وَتَكَنَّفَتْكُمْ غَوَائِلُهُ وَاقْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ...**

شبّه عليه السلام المَوت بالصّياد ثمّ أثبت له حبائل تخييلاً وشبّه الإنسان بالطّائر الّذي وقع في حبالة الصّياد فلا يقدر علىٰ التّخلص منها والمعنىٰ أنّ حبائل

١- الجمعة - ٨ ٢- الاحزاب - ٦

المَوت قد أوَقَعتكم فيها فلا يمكن لكم الفرار منها:

وتَكّفنتكم أي أحاطتكم غَوائل المَوت ومَصائبه وأَقصَدتكم معابله أي أُصابتكم نصال المَوت وحُسن الإستعارات ممّا لا يُخفىٰ عليك ولا يحتاج الىٰ بيان:

هو المَوت لا مُنجي من المَوت والّذي
نُحاذر بعد المَوت أدهىٰ وأَفظَع

▫ **قوله ﷺ: وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ وَتَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدْوَتُهُ وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ...**

أمّا أن سَطوة المَوت وهَيبَته قد عَظُمَت فلا شكّ فيه والدّليل عليه خوف الكلّ من المَوت وأمّا أن عَداوته تَتابَعت فهو أيضاً لا خفاء فيه وقيل أنّ العَدوة الظّلم والتّجاوز وعليه فالمعنىٰ أنّ ظلمه تَتابع عليكم والمآل واحد وقوله قَلّت عنكم نَبوته معناه قَلّما يتّفق لأحَدكم أن يَعرض له المَوت ويظهر عليه شئ من آثاره ثمّ يَفلّت عنه وبعبارةٍ أُخرىٰ يتّفق قليلاً أن يكون الإنسان مُشرفاً علىٰ المَوت بَحيث يقطع هو ومَن حَوله بمَوته ثمّ يبرأ من مَرضه ويدرك صحّته:

▫ **قوله ﷺ: فَيُوشِكُ اَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلَلِهِ وَاحْتِدَامُ عِلَلِهِ وَحَنَادِسُ غَمَرَاتِهِ وَغَوَاشِي سَكَرَاتِهِ وَاَلِيمُ اِرْهَاقِهِ وَدُجُوُّ اِطْبَاقِهِ وَجُشُوبَةُ مَذَاقِهِ...**

أي لا تكونوا في غفلة منه فيُوشك ويقرب أن تَغشاكم وتَستركم دواجي أي ظلمات من ظُلله وسُحُبه وإشتداد عِلَله وغَمراته وشدائده المُظلمة وغَواشي سَكراته الّتي تُوجد عند الإحتضار وأليم إزهاقه أي إخراجه من الجسد وهو أليم جدّاً وفي بعض النّسخ إرهاقه بالرّاء المُهملة وهو مصدر أرهقته أي أعجلته والمعنىٰ يرجع الىٰ ماذكرناه، ودُجوّ أطباقه أي تَراكم ظُلماته، طَبَقاً بعد طَبَق، وجشُوبة مَذاقه أي خُشُونة طَعمه والكلّ علىٰ سبيل الإستعارة كما لا يخفىٰ:

▫ **قوله ﷺ: فَكَأَنْ قَدْ اَتَاكُمْ بَغْتَةً فَاَسْكَتَ نَجِيَّكُمْ وَفَرَّقَ نَدِيَّكُمْ وَعَفَّىٰ آثَارَكُمْ وَعَطَّلَ دِيَارَكُمْ...**

قوله فكأنْ مخففة عن مثّقلة أي فكأنّ المَوت قد أتاكم بَغتةً وفجاةً فأسكت

نَجيّكم أيِ قَومكم الّذي يَتناجون وفرّق وشتّت نـدّيكم وجماعتكم الّتي إجتمعوا للمُشاورة وعفىٰ ومَحىٰ آثاركم وعَطّل دياركم عن ساكنيها وحيث أنّ المُستقبل إذا كان وقوعه مُحققاً فهو في حكم الماضي، قال ﷺ فكأن قد أتاكم الىٰ آخر كلامه بصيغة الماضي:

▫ **قوله ﷺ: وَبَعَثَ وُرَّاثَكُمْ يَقْتَسِمُونَ تُرَاثَكُمْ بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ وَآخَرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ...**

أي أنّ المَوت صار مُوجباً وسبباً لإنتقال أموالكم الىٰ ورثتكم فيقتسمونها بينهم وفي إسناد البَعث الىٰ المَوت نوع تجّوزٍ وقوله ﷺ: **بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ** الىٰ آخر كلامه إشارة الىٰ طبقات الوَراث وذلك لأنّ الوارث تارة يكون حميماً قريباً خاصّاً بالميّت كالأب والإبن مثلاً وتارةً لا يكون كذلك وهو علىٰ قسمين محزون علىٰ مَوته وشامت عليه وكلّهم في عدم القُدرة علىٰ دَفع المَوت عنه سواء وحاصل الكلام أنّ الإنسان بعد مَوته رهين عَمَله وأمّا الورّاث والأحبّاء فحالهم كما ذكره ﷺ بين من لم ينفع أو لَم يمنع أو لا يَجزع ففكِّر أيّها العاقل أن كنت أهلاً له ولا تكن من الغافلين كما قال ﷺ:

▫ **قوله ﷺ: فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ وَالتَّأَهُّبِ وَالِاسْتِعْدَادِ وَالتَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ...**

الفاء للتّفريع أي إذا كان الأمر علىٰ ماوَصفناه من أنّ المَوت لا مَحيص عنه فَعليكم بالجدّ والإجتهاد في الخَيرات وكَسب الأعمال خالصاً لوجه اللّه في الدّنيا والتّأهب أي التّهيّأ والإستعداد للمَوت وتحصيل الزّاد الّذي هو التّقوىٰ في منزل الزّاد وهو الدّنيا فأنّ اليَوم عَمَل ولا حساب وغداً حساب ولا عَمَل والىٰ هذا المعنىٰ أشار الأمام الثّاني في وصّيته لجُنادة، إستّعد لِسَفرك وحَصّل زادك قبل حلول أجلك وقال أمير المؤمنين ﷺ في بعض مواعظه أنتم في مَهل من وراءه أجل ومَعكم أَمَل يعترض دون العَمَل فإغتنموا المَهل وبادروا الأجل وكذّبوا الأمل وتزّودوا من العَمل هل من خلاص أو مناص أو فرار أو مجاز أو معاد أو ملاذ أو لا فأنّىٰ تؤفكون:

□ قوله عليه السلام: وَلاَ تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ...

وذلك لأنّ الدّنيا فانية وحياتها واهية وما كان كذلك لا ينبغي الإعتماد عليه فأنّ الإعتماد على المَوهُوم مَوهُوم ولا نعني بالغُرور إلّا هذا قال اللّه تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا اِلاّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (١)

و: ﴿فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾ (٢)

و: ﴿وَلَقَدْ اَنْزَلْنَا اِلَيْكُمْ اٰيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٣)

□ قوله عليه السلام: الَّذِينَ احْتَلَبُوا دِرَّتَهَا وَاَصَابُوا غِرَّتَهَا وَاَفْنَوْا عِدَّتَهَا وَاَخْلَقُوا جِدَّتَهَا...

وصف عليه السلام الأُمَم الماضية بأُمور أربعة قد دلّت على كونهم مُتنعمين فيها مُنهَمكين في لذّاتها مُغتّرين بها أحدها أنّهم إحتلبوا دِرّتها، شبّه عليه السلام الدّنيا بالحيوان الّذي له لَبَن، ومَن فيها بمن يدّر لَبَن الحيوان وهو كناية عن إستيفائهم منافع الدّنيا من مالها ومقامها والمعنىٰ أنّهم أخذوا منها نَصيبهم الأوفر وقوله عليه السلام: وَاَصَابُوا غِرَّتَهَا أي غِرّة الدّنيا فصاروا مُغتّرين بها على غَفلة عن حقيقتها ولأجل ذلك تَمتّعوا بلذّاتها وقوله عليه السلام: وَاَفْنَوْا عِدَّتَهَا أي أفنوا العدد الكثير من أيّامها ولم يَنتفعوا بها وقوله أخلَقوا جِدّتها أي لَبَسوا الألبسة الجديدة وأخلَقوها بالإستعمال ومحصّل الكلام أنّهم كانوا مُتمتّعين فيها من حيث اللّباس والمال والمقام وغيرها ومع ذلك قد ماتوا بأجمعهم وتَركوا ما جمعوا فيها لها وبَقيت لهم الحَسرة والنّدامة:

□ قوله عليه السلام: وَاَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ اَجْدَاثاً وَاَمْوَالُهُمْ مِيرَاثاً لاَ يَعْرِفُونَ مَنْ اَتَاهُمْ وَلاَ يَحْفِلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ وَلاَ يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ...

أي صارت مساكنهم ومنازلهم وقصُورهم المُشَيدة قبُوراً وألبستهم الفاخرة

١- آل عمران - ١٨٥
٢- الحديد - ١٤
٣- النّور - ٣٤

أكفاناً وأموالهم الّتي تَركوها ميراثاً بين الوَرَثة فلا يَعرفون في قبُورهم من أتاهم لِزيارتهم ولا يَحفلون أيِ لا يُبالون من بكاهم والحاصل أنّهم بعد مَوتهم ودَفنهم تحت التّراب قد قطعت علائقهم مع الأحياء ولذلك لا يَقدرون على إجابة من دَعاهم فكأنّهم لَم يكونوا في الدّنيا:

▫ قوله ﷺ: **فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَدَّارَةٌ خَدُوعٌ مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ مُلْبِسَةٌ نَزُعٌ لاَ يَدُومُ رَخَاؤُهَا وَلاَ يَنْقَضِي عَنَاؤُهَا وَلاَ يَرْكُدُ بِلاَؤُهَا...**

أيِ إذا كانت الدّنيا كذلك فأحذروها ولا تَعتمدوا عليها فأنّها غَدّارة أي كثيرة الغَدر غَرّارة كثيرة الإغترار خدُوعٌ كثيرة الخُدعة مُعطية منوع أي تُعطي وتَمنع مُلبسة نَزوع، أي تُلبس وتُنزع لا يَدوم رخاؤها ويُسرها ولا ينقضي عَناؤها أي عُسرها وبَلاؤها ولا يَركد أيِ لا يسكُن بلاؤها وحوادثها وما كان كذلك كيف يَعتمد العاقل عليه ولنعم ما قاله الشّاعر بالفارسّية:

ايدل بكام خويش جهان را تو ديده گير
در وَى هزار سال چو نوح آرميده گير
هر گَنج وهر خزانه كه شاهان نهاده‌اند
آن گنج وآن خزانه بدست آوريده گير
هر نعمتى كه هست ببلغار وروم وچين
آنها همه بسيم وزر خود خريده گير
هراطلس ونسيج كه در روم وشُشتراست
آنها براى خويش قباها بريده گير
تركان تنگ چشم سهى قد خويش خرام
سيب ذقن گزيده ولبها مُزيده گير
بادوستان همدم وياران هم نفس
بنشسته وشراب مُرّوق كشيده گير
مال‌توهست چون مگس‌وتوچه‌عنكبوت
چون عنكبوت گِرد مگس برتنيده گير

دَردا وحَسَــرتا ودريـغا بـروز مـرگ

صد بار پشت دست بدندان گـزيده گـير

سَمئى تو چون قَفَس ورُوح هم چو مرغ

روزى قفس شكسته ومُرغش پريده گـير

□ **مِنْهَا فِي صِفَةِ الزُّهَادِ ﷺ: كَانُوا قَوْماً مِن أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا...**

الزُّهاد بضّم الزّاء جمع زاهد وهو المُتّصف بالزُّهد يقال زِهـد فـي الشّئ بكسر الزّاء زُهداً وزهادةً بمعنئ تَركه وأعَرَض عنه فهو زاهد وأمّا زَهَد يَزهَد بالفتح فهو لُغَة:

ثمّ أنّ الزّهد في الدّنيا من أَحَسن الصّفات وهو شعار الأنـبياء والأوصـياء والصُّلحاء وقال اللّه تعالئ في كتابه: ﴿**فَمَا مَـتَاعُ الـحَيٰوةِ الدُّنْـيَا فِـى الْأخِـرَةِ إلَّا قَلِيلٌ**﴾(١).

والعقل يحكم بتَرك القليل لأجل أخذ الكثير وهو الزُّهد:

وعن معاني الأخبار الزّاهد من يَحبّ ما يحبّ خالقه ويُبغض مـا يُـبغض خالقه ويتّحرج من حلال الدّنيا ولا يَلتفت الئ حرامـها انـتهئ وعـن بـعض الأعلام الزّهد يحصل بتَرك ثلاثة أشياء تَرك الزّنية وتَرك الهوئ وتَرك الدّنـيا فالزّاء علامة الأوّل والهاء علامة الثّاني والدّال علامة الثّالث والأخبار في مَدحه كثيرة.

فَعن كتاب المحاسن قال أمير المؤمنين أنّ من أعوان الأخلاق علئ الدّين الزّهد في الدّنيا انتهئ....

وسُئل علّي ابن الحُسين ﷺ عن الزّهد قال ﷺ الزّهد عشرة أشياء فَأعلئ درجات الزّهد أدنئ درجات الوَرَع وأعلئ درجات الوَرَع أدنئ درجات اليَقين وأعلئ درجات اليَقين أدنئ درجات الرّضا ألا وأنّ الزّهد في آيةٍ من كتاب اللّه :﴿**لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَافَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا اتَاكُمْ**﴾(٢) انتهئ...

وعن أبي عبد اللّه ﷺ قال ليس الزّهد في الدّنيا بإضاعة المال ولا بتحريم

١ـ التّوبة ـ ٣٨

٢ـ الحديد ـ ٢٣

الحلال بل الزّهد في الدّنيا أن لا تكون بما في يدك أوثَق منك (منه) بما في يد اللّه انتهىٰ...

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام أنّ علامة الرّاغب في ثواب الأخرة زهده في عاجل زهرة الدّنيا أما أنّ زهد الزّاهد في هذه الدّنيا لا ينقصه ما قسم اللّه له فيها وأن زهد، وأنّ حرص الحريص علىٰ عاجل زهرة الدّنيا لا يَزيد فيها وأن حرص فالمغبُون من حرم حَظّه في الأخرة انتهىٰ...

وعنه عليه السلام قال من زَهد في الدّنيا أثبت اللّه الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وبصّره عيوب الدّنيا داءها ودواءها وأخرَجه من الدّنيا سالماً الىٰ دار السّلام انتهىٰ...

وعنه عليه السلام قال إذا أراد اللّه بعبدٍ خيراً زهده في الدّنيا وفقّهه في الدّين وبصّره عيُوبه ومن أُوتي هذا فقد أُوتي خيراً كثيراً (خير الدّنيا والأخرة) وقال عليه السلام لم يطلب أحَد الحقّ بباب أفضل من الزّهد في الدّنيا وهوضدّ ماطلب أعداء الحقّ قلت جُعلت فَداك مِمّاذا قال من الرّغبة فيها وقال عليه السلام ألا من صبار كريم فأنّما هي أيام قلائل إلّا أنّه حرام عليكم أن تجدوا طَعم الإيمان حتّىٰ تَزهدوا في الدّنيا انتهىٰ...

وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله ليس الزّهد في الدّنيا لبس الخَشن وأكل الجَشب ولكنّ الزّهد في الدّنيا قَصر الأمل انتهىٰ...

وعن أبي أيوب الأنصاري قال قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله لعلّيٍ عليه السلام أنّ اللّه زَينك بزينةٍ لم يُزين العباد بشئٍ أحبّ الىٰ اللّه منها ولا أبلَغ عندهٌ منها الزّهد في الدّنيا وأنّ اللّه تعالىٰ قد أعطاك ذلك وجَعل الدّنيا لا تَنال منك شيئاً وجَعَل لك سيماء تُعرف بها انتهىٰ...

وسُئل الصّادق عليه السلام عن الزّهد في الدّنيا قال الّذي يَترك حلالها مخافة حسابه ويَترك حرامها مخافة عذابه انتهىٰ...

وقال النّبي صلى الله عليه وآله إذا رأيتم الرّجل قد أُعطي الزّهد في الدّنيا فإقتربوا منه فأنّه يلقي الحكمة انتهىٰ...

والأخبار في مَدحه كثيرة جدّاً وما نَقلناه نقلناه عن كتاب« مشكاة الانوار ص ١١٣ الى ص ١١٥»...

إذا عرفت هذا فإعلم أنّ لِلزّهد درجات:

الأولىٰ: أن يَزهد في الدّنيا ونفسه مشتاقة اليها طالبة لها غير مطمئنة في الإعراض عنها فيزهد فيها خوفاً من عذاب اللّه ومن الإغترار بالدّنيا لأنّ حبّها رأس كلّ خطيئة فهذا زهد المُجاهدين والمرتاضين:

والثّانية: أن يزهد فيها لما عرف من نعيم الآخرة وجليل آلاء الجنّة وعلم أنّ الدّنيا حقيرة زهيدة ومتاع قليل أن رغب اليها مُنع من الآخرة وحرم عظيم أجرها فيترك شيئاً ويأخذ شيئاً أحسن منه:

والثّالثة: أن يزهد فيها لأنّها مبغوضة لِلّه ولرُسله ولأوليائه ويزهد في الآخرة لأنّها غير اللّه وفيها حظّ النّفس ولذّاتها فيزهد فيهما ويتركهما حتّىٰ لا يشتغل بهما عن محبوبه وهذا هو الزّهد الواقعي الحقيقي وذلك لأنّ ترك الدّنيا لأجل الوصول الىٰ الجنّة أو عدم دخول النّار ليس فيه مَدحٌ كثير ضرورة أنّ الأوّل نشأ من الطّمع والثّاني من الخوف فالزّاهد بهذين المَعنيين لم يترك الدّنيا لِلّه تعالىٰ بل تركها لنفسه أمّا لجلب المنفعة العائدة اليه في الآخرة وأمّا لدفع المضّرة كذلك وأمّا القسم الثّالث أعني ترك الدّنيا لِلّه فهو مقام رفيع ولأجل هذا وَصَف عليه السلام الزّهاد بقوله كانوا قوماً من أهل الدّنيا وليسُوا من أهلها، أمّا أنّهم من أهلها فهو ظاهر وأمّا أنّهم ليسوا من أهلها فلأنّهم مع كونهم فيها تركوها ورفضوا لذّاتها فهم فيها وليسوا منها فيها بأبدانهم خارجون عنها بأرواحهم وأن شئت قلت أجسادهم في الدّنيا وقلُوبهم عنها مُتنفرة فقوله عليه السلام: **كَانُوا قَوْماً مِن أَهْلِ الدُّنْيَا** يعني بحسب الأبدان وقوله ليسوا من أهلها يعني بحسب الأرواح وهذا معنىٰ قوله عليه السلام في بعض كلماته:**كُن فيهم ولا تكُن مَعهم.**

مَردان همة أصل باك دارند	نسبت چه بآب وخاك دارند
آبند ولى گذارشان نى	خاكند وَلى غبارشان نى
در بحر وجود خويش غرقاند	فارغ ز قبول وَرَد خَلقاند
جون آتش اگر زبان ندارند	سوزند ولى زبان ندارند

چـون آب رَونـد بَـى عـلائق　　آمـيخته بـاهمة خـلائق
در صحبت خار وخَس نشينند　　رَه پـيش بَـرند وپس نشـينند
در علم وعَمل زبانشان راست　　ميزان صَفت اندمى كم وكاست

□ **قوله ﷺ : فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ وَبَادَرُوا فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ...**

أي ومن علاماتهم أنّهم كانوا في الدّنيا كمن ليس من الدّنيا حيث لم يعملوا فيها بما عَمل غيرهم من أهلها فكأنّهم ليسوا من أهل الدّنيا وذلك لأنّهم عملوا فيها بما يبصرون بعين البَصيرة لا بما يُبصروا النّاس بعين الباصرة المادّية ويادروا فيها أي في الدّنيا ما يحذرون وهو الخَيرات أو المَوت وهذا هو الفرق بين أهل الدّنيا وأهل الآخرة فيها فأنّ أهل الدّنيا لا يعملون بما يبصرون والزّهاد يَعملُون به وأيضاً أهل الدّنيا لم يبادروا فيها أي في الدّنيا ما يحذرون منه من أعمال الخير أو الموت وأهل الآخرة بادروا فيها ما يحذرون وعليه فالفعل في الأوّل: أعني قوله ﷺ: **يُبْصِرُونَ** أُسند الىٰ الزّهاد.

وفي الثّاني: وهو قوله ﷺ: **يَحْذَرُونَ** الىٰ أهل الدّنيا فأنّهم يحذرون عن الموت والأعمال الصّالحة هذا:

□ قوله ﷺ: **تَقَلَّبُ اَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَىْ اَهْلَ الْأَخِرَةِ يَرَوْنَ اَهْلَ الدُّنْيَا يُعْظِّمُونَ مَوْتَ اَجْسَادِهِمْ وَهُمْ اَشَدُّ اِعْظَاماً لَمَوْتِ قُلُوبِ اَحْيَائِهِمْ...**

أي ومن أوصاف الزّهاد أنّه تقلّب أبدانهم بين أظهُر أهل الآخرة والحال أنّهم في الدّنيا وأيضاً من أوصافهم أنّهم يرون أهل الدّنيا يُعظّمون موت أجسادهم فيراجعون الىٰ الطّبيب إذا مرضوا والحال أنّهم أشدّ إعظاماً لمَوت قلوب أحيائهم فأهل الدّنيا يحفظون الأجساد وهُم أي الزّهاد يحفظون القلوب عن الموت وهذا هو الفرق بين الطّائفتين ولأجل هذا ترىٰ الأولياء لا يَعتنون بأجسادهم وأجساد غيرهم الاّ بقدر الضرورة ويَهتمّون بالقلوب وإحياؤها لعلمهم بأنّ الشّقاوة والعذاب في موت القلب لا في موت الجَسَد الّذي هو بمنزلة المَركب لِلرّوح والقلب:

ومن خطبةٍ له عليه السلام (٢٢٩)

خَطبها بذي قار،

و هو متّوجه الیٰ البَصرة، ذكرها الواقدي في كتاب الجَمَل:

▫ قوله عليه السلام: فَصَدَعَ بِمَا أُمِرَ وَبَلَّغَ رِسَالاَتِ رَبِّهِ فَلَمَّ اللَّهُ بِهِ الصَّدْعُ وَرَتَقَ بِهِ الْفَتْقَ وَأَلَّفَ بِهِ بَيْنَ ذَوِي الْأَرْحَامِ بَعْدَ العَدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ فِي الصُّدُورِ وَالضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ.

◁ **اللّغة**

(لَمَّ) أي جَمَع (الصَّدع) الشَّق (رَتَقَ) الرّتق الإتّصال (الْفَتْقَ) الإنفصال (الْوَاغِرَةِ) الدّاخلة (والقادحة) المُشتعلة:

◁ **المعنیٰ**

(فَصَدَعَ) أي فَصَدع النّبي صلى الله عليه وآله وقام بالأمر (بِمَا أُمِرَ) به من عند اللّه من شقّ عصا الكُفّار فأنّ الصّدع في الأصل الشّق في الشّيْ الصّلب (وَبَلَّغَ) النّبي (رِسَالاَتِ رَبِّهِ) الیٰ من أُرسِل اليهم (فَلَمَّ اللَّهُ) أي جمع اللّه (بِهِ الصَّدْعُ) والتّفرقة (وَرَتَقَ) وَسّد (بِهِ الْفَتْقَ) والإختلاف (وَأَلَّفَ) اللّه (بِهِ) بالرّسول (بَيْنَ ذَوِي الْأَرْحَامِ بَعْدَ العَدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ) الدّاخلة (فِي الصُّدُورِ وَالضَّغَائِنِ) والأحقاد (الْقَادِحَةِ) المُشتعلة (فِي الْقُلُوبِ):

◁ الشّرح

▫ قوله عليه السلام: **فَصَدَعَ بِمَا أُمِرَ وَبَلَّغَ رِسَالاَتِ رَبِّهِ ...**

إعلم: أنّ هذه الخطبة ذُكر فيها أوصاف النّبي صلى الله عليه وآله والآثار المُترتبة على بَعثتها فقوله عليه السلام: فَصَدع الضّمير فيه لِلنّبي أي فَصَدع النّبي وهو مأخوذ من قوله تعالى حيث قال مُخاطباً لنّبيه صلى الله عليه وآله: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾ (١) فكان الرّسول مأموراً من قِبل اللّه تعالى بالصّدع أي شَق عصا الكفّار وأصل الصّدع الشّق في الشّيء الصّلب ومنه قوله تعالى في وَصف القرآن: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً**﴾ (٢) ومعناه مُتلاشياً أجزاءه مع صلابته وحيث أنّ شَق عصا الكفّار وتفرّقهم وتَلاشيهم كان من الأمور الصّعبة عبّر اللّه تعالى عنه بالصّدع والحاصل أنّ النّبي صلى الله عليه وآله أدّى وظيفته في رسالته وفَرّق شمل الكفّار وشَتّتهم وحَقّرهم بتأييدٍ من اللّه تعالى وعنايته:

وأمّا قوله عليه السلام: **وَبَلَّغَ رِسَالاَتِ رَبِّهِ** فهو إشارة الى أنّ الرّسول لم يأتِ بشيءٍ من عند نفسه بل كلّ ما أتى به كان من عند ربّه وأنّما وظيفته تبليغ الأحكام كما قال اللّه تعالى: ﴿**فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ**﴾ (٣)

و: ﴿**مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ**﴾ (٤)

و: ﴿**فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ**﴾ (٥)

و: ﴿**وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾ (٦)

▫ قوله عليه السلام: **فَلَمَّ اللّهُ بِهِ الصَّدْعُ وَرَتَقَ بِهِ الْفَتْقَ وَأَلَّفَ بِهِ بَيْنَ ذَوِي الْأَرْحَامِ...**

أي جَمع اللّه تعالى به متَفرق القلوب ومُتَشتت الأحوال كما قال اللّه تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً**﴾ (٧)

١- الحجر ـ ٩٤
٢- الحشر ـ ٢١
٣- آل عمران ـ ٢٠
٤- المائدة ـ ٩٩
٥- المائدة ـ ٩٢
٦- المائدة ـ ٦٧
٧- آل عمران ـ ١٠٣

و :﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1] وحيث أنّ اللّه تعالىٰ هو المؤلف بين القلوب قال عليه السلام فلّم اللّه به الصّدع فأنّ الباء لِلسّببية أي أنّ النّبي كان سَبَباً فيه أبىٰ اللّه أن يجري الأمور إلّا بأسبابها، وهذا أعني تأليف القلوب من أهَمّ المنافع الدّينية وأعظمها كما لا يخفىٰ:

▫ قوله عليه السلام: **بَعْدَ العَدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ فِي الصُّدُورِ وَالضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ...**

أي أنّ اللّه تعالىٰ ألّف بالرّسول بين قلوبهم بَعد العداوة الواغرة أي الدّاخلة في صدُورهم والضّغائن والأحقاد المُشتعلة في قلُوبهم وفيه إشارة الىٰ أنّ العداوة والبَغضاء والحِقد والحَسَد كانت في صدورهم وقلُوبهم قبل الإسلام وأمّا بَعده فأصبَحوا بنعمته إخواناً وهو كما قال:

١- الانفال -٦٣

ومن كلام له عليه السلام (٢٣٠)

كَلَّمَ بِهَا عَبْدَ اللّٰهِ بْنَ زَمْعَةَ، وَهُوَ مِنْ شِيعَتِه، وَ ذٰلِكَ اَنَّهُ قَدِمَ عَلَيْهِ فِى خَلاَفَتِهِ يَطْلُبُ مِنْهُ مَالاً، فَقَالَ عليه السلام

▫ قوله عليه السلام: اِنَّ هٰذَا الْمَالَ لَيْسَ لِى وَلاَ لَكَ وَاِنَّمَا هُوَ فَيْءٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَجَلْبُ اَسْيَافِهِمْ فَاِنْ شَرِكْتَهُمْ فِى حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ وَاِلَّا فَجَنَاةُ اَيْدِيهِمْ لاَ تَكُونُ لِغَيْرِ اَفْوَاهِهِمْ...

◁ **اللّغة**

(**الفيْ**) الخراج والغنيمة (**الجَباة**) بفتح الجيم ما يُجبىٰ من الشّجر أي يُقطف.

◁ **المعنىٰ**

(**اِنَّ هٰذَا الْمَالَ**) الّذي تطلبه منّي (**لَيْسَ لِى وَلاَ لَكَ**) حتّىٰ أعطيك منه (**وَاِنَّمَا هُوَ فَيْءٌ لِلْمُسْلِمِينَ**) أخذوه من الكفّار (**وَجَلْبُ اَسْيَافِهِمْ**) أي كسبوه بها(**فَاِنْ شَرِكْتَهُمْ فِى حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ**) وسهمهم لتساوي الحقوق فيه (**وَاِلَّا**) أي وإلّا شركتهم في الحرب (**فَجَنَاةُ اَيْدِيهِمْ**) أي ما جمعوه بها (**لاَ تَكُونُ لِغَيْرِ اَفْوَاهِهِمْ**) إذ كلّ ما يكسبه الإنسان فهو له لا لغيره.

◁ الشَرح

▫ قوله ﷺ: **إِنَّ هٰذَا الْمَالَ لَيْسَ لِى وَلاَ لَكَ وَإِنَّمَا هُوَ فَيْءٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ...**

لمّا سأله عبد اللّه بن زمعة مالاً أجابه ﷺ بأنّ هذا المال الّذي تطّلبه منّي ليس لي ولا لك وأنّما هو فيّ أي غنيمة أو خَراج حَصَلت لهم بالحَرب والمُقاتلة مَعَ الكفّار ولا يجوز التّصرف في مال الغير إلّا بأذنه لقوله تعالىٰ: ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ** ﴾(١)

▫ قوله ﷺ: **فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِى حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ وَإِلَّا فَجَنَاةُ أَيْدِيهِمْ لاَ تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ...**

أي إذا كان المال لهم فلا حقّ لك فيه نعم أن شركتهم في حَربهم كان لك مثل مالهم منه لِعَدم الفرق بينكم فيه حينئذٍ وإلّا فما كَسبوه بأيديهم لا يكون إلّا لهم وحيث أنّك ما شركتهم فلا حقّ لك فيه فأيّ شئٍ تطّلب منّي وهذا الكلام منه ﷺ يدّل علىٰ كمال عَدله وأنّه لا يجوز للوالي كائناً من كان التّصرف في أموال النّاس من طريق ولايته إلّا بأذنهم إذ لو كان مُجازاً فيه من طريق الولاية فينبغي في المقام إعطاء السّائل وحيث أنّ أمير المؤمنين ﷺ لم يعطيه شيئاً من بيت المال وإستدّل علىٰ عدم الاعطاء بأنّ الأموال للمُسلمين لا له ﷺ إستفدنا منه عدم جواز التّصرف في مال الغير بغير إذنه قولاً واحداً فإفهم أن كُنت أهلاً له ثمّ أنظر ماذا ترىٰ:

ثمّ أنّ قوله ﷺ: **وَإِلَّا فَجَنَاةُ أَيْدِيهِمْ لاَ تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ** يُؤيد المدّعىٰ وهو أنّ لكلّ إنسانٍ ما كَسَبه من طريق المَشرُوع ولا يجوز أخذه عنه وإعطائه لغيره من غير مُجَوزٍ شرعي وهو ظاهر:

---

١ - البقره ـ ١٨٨

ومن كلام له ﷺ (٢٣١)

◘ قوله ﷺ: اَلَا اِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الْاِنْسَانِ فَلاَ يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ اِذَا امْتَنَعَ وَلاَ يُمْهِلُهُ النُّطْقُ اِذَا اتَّسَعَ وَاِنَّا لَأُمَرَاءُ الْكَلَامِ وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ:

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ اِنَّكُمْ فِى زَمَانٍ الْقَائِلُ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ وَاللِّسَانُ عَنِ الصِّدْقِ كَلِيلٌ وَاللاَّزِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ اَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى الْعِصْيَانِ مُصْطَلِحُونَ عَلَى الْاَدْهَانِ فَتَاهُمْ عَارِمٌ وَشَائِبُهُمْ آثِمٌ وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ وَقَارِنُهُمْ مُمَازِقٌ لاَ يُعْظِمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ وَلاَ يَعُولُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرَهُمْ.

◁ اللّغة

(لاَ يُسْعِدُهُ) اي لا يُعنيه (تنَشّبتَ) أي تعلّقت وتَشَبّثت (تَهّدلَت) أي تدلّت فأنّ التّهدل التّدلي (غُصُونُهُ) أي فُروعه (كَلِيلٌ) أي عاجز (عارم) شرِس سيّئ الخلق (مُماذق) من يمزج وُدّه بالغِش وهو من صَنف المنافقين:

◁ الشّرح

◘ قوله ﷺ: اَلَا اِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الْاِنْسَانِ...

البَضعة بفتح الباء القَطعة والجُزء من الشّئ كما ورد في الحديث المشهور **فاطمة بَضعة منّي من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذىٰ الله** أي جُزء منّي كما أنّ القِطعة من اللّحم جُزء منه ولا شك أنّ الِلّسان بالنّسبة الىٰ الإنسان كذلك

أي أنّه جُزءٌ منه وقطعةٌ من لَحمه:

▫ قوله ﷺ: **فَلاَ يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ وَلاَ يُمْهِلُهُ النُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ...**

والمقصود أنّ اللِّسان لمّا كان آلة لِلإنسان يَنطق به فأن إمتنع الإنسان عن التّكلّم به إمتنع اللِّسان عن النُّطق لا محالة وإذا إتّسع في ذهنه المعاني وأراد إظهارها باللِّسان فينطق به ومحصّل الكلام أنّ اللِّسان بما هو هو لا ذَنب له لأنّه تابع لِلإنسان وداخل تحت قُدرته كغيره من الأعضاء والجوارح والحاكم على الكلّ هو النّفس ومع ذلك خطره عظيم:

فعن كتاب المحاسن قال رسول اللّه ﷺ إمسك لِسانك فأنّها صدقة تتّصدق بها على نفسك ثمّ قال ولا يعرف عبد حقيقة الإيمان حتّى يخزن لِسانه انتهى «مشكاة الانوار ص ١٧٥»...

وعن أمير المؤمنين ﷺ من حفظ لِسانه سَتر اللّه عَورته انتهى «ص ١٧٥»...

وعن أبي جعفر ﷺ قال كان أبو ذر يقول في خطبته يا مُبتَغي العِلم أنّ هذا اللِّسان مُفتاح خيرٍ ومُفتاح شّر فأختم على لِسانك كما تختم على ذهبك وورقك انتهى« ص ١٧٥»...

وعن أبي عبد اللّه ﷺ عن أمير المؤمنين قال قال رسول اللّه ﷺ أن كان في شئ شُؤم ففي اللِّسان انتهى «ص ١٧٥»...

وقال أبو عبد اللّه ﷺ من علم أنّ كلامه من عَمله قَلّ كلامه إلّا من خير.

وقال ﷺ وهل يَكبّ النّاس على مناخرهم في النّار إلّا حَصائِد ألسِنَتهُم انتهى...

وقال ﷺ من عَرف اللّه كَلّ لِسانه انتهى« ص ١٧٦»...

وقال ﷺ من يتّكفل لي بما بين لحَييه ورجلَيه أتكّفل له بالجنّة انتهى «جامع السعادات ج ٢ ص ٣٣٦»...

وقال ﷺ – من وقى شّر قبقَبه وذبذَبه ولقَلقه فقد وُقي والقَبقب البَطن

والذّبذب الفُرج واللّقلق اللِّسان انتهىٰ« ص ٣٣٦»...

وقيل له ﷺ ما النّجاة قال أملك عليك لِسانك، وقال ﷺ أكبر ما يدخل النّاس النّار الأَجوفان الفَم والفَرج انتهىٰ...

وقال له رجل ما أخوف ما يَخاف علّيَ فأخذ بِلِسانه وقال هذا انتهىٰ

وقال ﷺ – لا يستقيم إيمان عبدٍ حتّىٰ يستقيم قلبه ولا يَستقيم قلبه حتّىٰ يستقيم لِسانه انتهىٰ...

وقال ﷺ إذا أصبَح ابن آدم أصبَحت الأعضاء كلّها تكفر اللِّسان فتقول إتّق اللّه فينا فأنّما نحن بك فأن إستقمت إستقمنا وأن إعوجت إعوَجَجنا انتهىٰ...

وقال ﷺ –يعذّب اللّه اللِّسان بعذابٍ لا يُعذّب به شيئاً من الجوارح فيقول أي ربّ عذّبتني بعذابٍ لم تُعذّب به شيئاً من الجوارح فيُقال له خَرجت منك كلمة بلغت مشارق الأرض ومغاربها فسَفك بها الدّم الحرام وإنتهبت بها المال الحرام وإنتهك بها الفَرج الحرام وعزّتي وجلالي لأعذّبنك بعذابٍ لا أُعذّب به شيئاً من جوارحك انتهىٰ« جامع السّعادات ص ٣٣٧»... والأحاديث فيه كثيرة ويَكفيك في ذلك قوله تعالىٰ:﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (١)

والسِّر في ذلك هو أنّ أكثر الرّذائل من الكَذب والغَيبة والبُهتان والشّماتة والسّخرية والتّكلم بما لا يعني والفضُول والخوض في الباطل بل والكفر والإرتداد كلّها من آفات اللِّسان وليس في الأنسان عضوٌ كان بهذه المثابة ولأجل ذلك قيل هو أضّر الجوارح بالإنسان وأعظمها إهلاكاً له وآفاته أكثر من أن تُحصىٰ اذ لا يتّبين الإيمان والكفر إلّا بدلالته وما من موجودٍ أو معدومٍ إلّا وهو يتناوله ويتّعرض له بإثبات أو نفي إذ كلّ ما يتناوله العلم يعبّر عنه اللّسان أمّا بحقٍ أو باطلٍ ولا شئ إلّا والعِلم يتناوله وهذه خاصّية لا تُوجد في سائر

١- ق- ١٧

الأعضاء فأنّ العين مثلاً لا تصل الىٰ غير الألوان والصّور والأذن لا تصل الىٰ غير الأصوات واليد لا تصل الىٰ غير الأجسام وكذا سائر الأعضاء واللّسان رحب الميدان وسيع الجولان ليس له مرّد ولا لمجاله منتهىٰ ولا حدّ فله في الخير مجال رحب وفي الشّر ذيل سَحب فَمن أطلق عذبة اللّسان وأَهمله مرخي العنان سلك به الشّيطان في كلّ ميدان وأوقعه في أَودية الضّلالة والخذلان وساقه الىٰ شفا جرف هار الىٰ أن يضطّره الىٰ الهلاك والبَوار:

إحفظ لسانك أيّها الإنسان ... لا يلدغنك أنّه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقائه الشّجعان

قيل أنّ الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصّمت والعاشر في عزلة النّاس:

لعُمرك أنّ الحلم زين لأهله ... ومـاالحلم إلّا عادةٌ وتحلّمُ
اذالم يكن صَمتُ الفتىٰ عنندامةٍ ... وعيّ فأنّ الصّمت أولىٰ وأَسلَم

ولآخر:

إحفظ لسانك لا تقول فتبتلي ... أنّ البلاء موكّلٌ بالمَنطِق

□ **قوله ﷺ: وَإِنَّا لَأُمَرَاءُ الْكَلَامِ وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ...**

روي أنّ أمير المؤمنين ﷺ - قال هذا الكلام في واقعةٍ اقتَضت ذلك وهي أنّه أَمَر إبن أُخته جعدة إبن هبيرة المخزومي يوماً أن يخطب النّاس فصعد المنبر فحصروا ولم يستطع الكلام فقام أمير المومنين ﷺ فَتَسَنّم ذروة المنبر وخَطب خطبةً طويلة ذكر الرّضي فيها هذه الكلمات:

أقول: النّاقل لهذه القصّة هو الشّارح المعتزلي ولا يهّمنا البحث في علّة صدور الكلام وأنّما المهّم أصل الكلام ولا شكّ عند من تتّبع الكتب وعرف موازين الفصاحة والبلاغة أنّ ما قاله حقّ فقوله إنّا لأمراء الكلام يمكن أن يُراد به أهل البيت ويمكن أن يُراد به قُريش والأوّل أصّح لقول الرّسول ﷺ **أنا أفصّح العَرَب بيد أنّي من قُريش**، والدّليل عليه موجود في خطب الرّسول والأئمّة وكلماتهم فقد إتّفق أهل العلم علىٰ أنّ كلام الرّسول وبعده كلام أمير

المؤمنين والأئمّة من وُلده بعد القرآن أفصّح الكلمات وأبلغها في العَرَب وكتابنا هذا من أقوىٰ الشّواهد علىٰ المُدّعىٰ ولذلك سُمّي بنهج البلاغة هذا كلّه مع أنّه قد ثَبَت عندنا بالأدلّة العقلية والنّقلية أنّ الرّسول والوصّي بعده لابدّ من أن يكون أفصّح النّاس لما يكون أعلَمهم وأشجَعهم وأعدَلهم وفي قوله عليه السلام وفينا تَنشّبت أي علّقت عُروقه إشارة الىٰ أنهم الأصل في الباب والباقي فرع عليه فمن أراد أن يتّكلم بكلام صحيح لابدّ له من إتباعهم فيه أيضاً وكلامهم حجّة في الباب وهذا هو المراد بقوله وتَهدلّت أي تَدلّت غُصونه هذا إذا أردنا بالكلام الألفاظ وأمّا إذا قلنا بأنّ الكلام ليس هذه الألفاظ بل الكلام أمر نفساني تدّل عليه الألفاظ كما قال الشّاعر:

أنّ الكـلام لفـي الفـؤاد وأنّـما ... جُعل اللّسان علىٰ الفـؤاد دليـلاً

فهو أيضاً ثابت في حقّهم ومَن يقدر علىٰ التّكلم بالكلام الصّحيح ظاهراً وباطناً مثلهم وهو واضح لمَن أنَصَف.

▫ قوله عليه السلام: **وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمْ اللّهُ اِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ الْقَائِلُ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ وَاللِّسَانُ عَنِ الصِّدْقِ كَلِيلٌ وَاللاَّزِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ...**

وذلك لانّ الحقّ مُرّ لاهل الباطل والحكومة الباطلة وأكثر النّاس عبيد الدّنيا والدّنيا في ذاتها باطلة فالمناسب لها هو الباطل لا الحقّ ولذلك ترىٰ في كلّ زمانٍ جريان الباطل ورغبة أكثر النّاس اليه وإعراضهم عن الحقّ وهذا لا يحتاج الىٰ دليلٍ لكونه مشاهداً مَحسُوساً وقوله عليه السلام: **وَاللاَّزِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ**، أي في نظر أهل الدّنيا الّذين لا يعرفون الحقّ أو لا يعملون به وإلّا فهو في نَظر أهل المعنىٰ عزيز بل أعزّ من كبريت الأحمر:

▫ قوله عليه السلام: **اَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَىٰ الْعِصْيَانِ مُصْطَلِحُونَ عَلَىٰ الْاُدْهَانِ فَتَاهُمْ عَارِمٌ وَشَائِبُهُمْ آثِمٌ وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ وَقَارِئُهُمْ مُمَازِقٌ...**

أي أهل ذلك الزّمان مُعتكفُون علىٰ العصيان لا علىٰ الحقّ وذلك لأنّ فتاهم أي شبابهم عارمٌ سيّئ الخلق وشائبهم أي كُبرائهم ومُسنّوهم آثم بما يرتكبون

الإثم من الكذب والغيبة وأكل الحرام وغير ذلك وعالمهم مُنافق يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ويأولّون الآيات والأخبار على مذاق القوم وقارئهم مُمازق يمزج الرّد ولا يخلصه وهو نوع من النّفاق فهو مِمّن قال اللّه تعالىٰ فيه، **ربّ قال القرآن والقرآن يلعَنه:**

▫ **قوله ﷺ: لاَ يُعَظِّمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ وَلاَ يَعُولُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرَهُمْ...**

أي لا يعتني الصّغير بالكبير وقد قال رسول اللّه ﷺ: **وَقِرّوا كباركم ولا** يرحم ولا يعطي غنّيهم فقيرهم مع أنّ اللّه تعالىٰ جعل حقّ الفقراء في أموال الأغنياء وأمَرَهم بالتّعاطف والتّوادد وهذا كلّه دليل علىٰ فساد الزّمان فأنّ فساده بفساد أهله وألاّ فهو في ذاته لا فساد فيه:

ومن كلام له عليه السلام (٢٣٢)

روى اليماني عن أحمد بن قُتيبة، عن عبد الله ابن يزيد، عن مالك بن دَحية، قال: كنّا عند امير المؤمنين عليه السلام، وقد ذكر عنده إختلاف النّاس.

□ قوله عليه السلام: إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبادِئُ طِينتِهِمْ وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذْبِهَا وَحَزْنِ تُرْبَةٍ وَسَهْلِهَا فَهُمْ عَلَىٰ حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ وَعَلَىٰ قَدْرِ اخْتِلاَفِهَا يَتَفَاوَتُونَ فَتَامُّ الرُّوَاءِ نَاقِصُ الْعَقْلِ وَمَادُّ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهِمَّةِ وَزاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمَنْظَرِ وَقَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبْرِ وَمَعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ وَمُنْكَرُ الْجَلِيبَةِ وَتَائِهُ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللُّبِّ وَطَلِيقُ اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ.

◁ اللّغة

(طِينتِهِمْ) الطّين بكسر الطّاء جمع طِيّنة (فِلْقَةً) بكسر الفاء وهي القطعة والشّق من الشّيء (سَبَخِ) مصدر قولك سَبخ يَسبخ يقال سَبِخت الأرض من باب تعب فهي سَبخة بكسر الباء وهي ارض مالحة يَعلُوها الملوحة ولا تكاد تَنبت إلّا بعض الأشجار وضدّها العذبة يقال ارض عذبة اذا كانت مُستعدة للنّبات (حَزْنِ) بفتح الحاء وسكون الزّاء ضدّ السّهل (الرُّوَاءِ) بضم الرّاء والمدّ المَنظر الحسن (مَادُّ الْقَامَةِ) طويلها (قَرِيبُ الْقَعْرِ) أي قصير الجسم (السَّبْرِ) بالباء يقال بَسرت الرّجل أي إختبرتُ باطنه (الضَّرِيبَةِ) الطّبيعة والسّجية (الْجَلِيبَةِ) ما يتصنعه الإنسان علىٰ خلاف طبعه (تَائِهُ الْقَلْبِ) التّيه الضّلال والحَسرة والكِبر (حَدِيدُ الْجَنَانِ) حدّة الجنّان فِطنته وبُردته.

◁ الشَرح

▫ قوله ﷺ: **إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِئُ طِينِهِمْ وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذْبِهَا وَحَزْنِ تُرْبَةٍ وَسَهْلِهَا...**

إعلم: أنّ الشّارح المُعتزلي ذكر في شرحه لهذا الكلام أُموراً ينبغي التّنبيه عليها:

أحدهما: أنّه قال ذعلب وأحمد وعبد اللّه ومالك رجال من رجال الشّيعة وحُجّة فيهم:

وثانيها: قال وهذا الفَصل عندي لا يجوز حمله علىٰ ظاهره ومايَتسارع الىٰ إفهام العامّة فيه وذلك لأنّ قوله ﷺ: **أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذْبِهَا**، أمّا أن يريد به أنّ كلّ واحدٍ من النّاس ركّب من طين أو يريد به أنّ الطّين الّذي ركّبت منه صورة آدم فقط كان مُختلطاً من سبخ وعذب فأن أُريد الأوّل فالواقع خلافه فأن البَشر الّذين نُشاهدهم والّذين بلغنا أخبارهم لم يخلقوا من الطّين كما خُلق آدم وأنّما خُلقوا من نطف آبائهم وأطال الكلام فيما قال في النّقض والإبرام الىٰ أن قال في آخر كلامه وكيف يؤثر إختلاف طين آدم من ستّة ألاف سنة في أقوام يَتَوالدون الأن:

وثالثها: أنّه حَمل كلامه ﷺ أعني قوله ﷺ: **مَبَادِئُ طِينِهِمْ** علىٰ إختلاف نفوسهم المدّبرة لِلأبدان وقال وكنّي عنها بقوله، مبادئ طينهم ثمّ ذكر في توجيه ما إدّعاه ما هو مذكور في شرحه أن شئت الإطّلاع عليه فَراجعه.

وأنا أقول أمّا ما ذكره أوّلاً من أنّ هؤلاء النّفر من رجال الشّيعة ومُحدّثيهم فنحن بعد الفحص في كتب الرّجال لم أرَ منهم عين ولا أثر ولا نَعلم من أين ثبت له كونهم من رجالنا ومُحدّثينا ثمّ كيف نَسَب الينا من لَيس منّا أَليس هذا من الكذب والتّهمة وأنّي أظنّ ظنّاً قريباً باليَقين أنّ الشّارح المُعتزلي حيث لم يَفهم معنىٰ كلام أمير المؤمنين في المقام وزعم أنّه بظاهره غير صحيح ولذلك أوّله بما أوّله أراد بهذا الإنتساب العاري عن الحقيقة أن يبرز مافي بطنه وهو أنّ

الشّيعة، تَروون هذا الحديث وأمثاله عن أئمّتهم:

وأمّا ماذكره ثانياً من عَدم صحّة الكلام بظاهره وأنّ البشر خُلقوا من نطف آبائهم لا من الطّين الىٰ آخر كلامه ففيه أمّا **أوّلاً**:

أنّ أمير المؤمنين لم يذكر في كلامه هذا أنّ البشر الموجود في كلّ زمانٍ خُلِق من الطّين بالفعل بل قال ﷺ مبادئ طينهم كذلك ومبدأ الشّئ غير فعلّيته:

وثانياً: أنّه لم يُفرّق بين المادّة والصّورة ولذلك قال أنّ البشر الموجود خُلق من النُطّفة ولو كان عالماً بالفرق لَعلِم أنّ الموجود المحسوس من البَشَر الّذي شاهده المُعتزلي هو صُورته الجسّمية لا مادّته والمادّة وأن كانت محفُوظة في الصّورة إلّا أنّها ليست هي بل هي أي الصّورة طارئة عليها والمادّة ليست بمَحسُوسة حتّىٰ يُقال كذا وكذا ألا ترىٰ أنّ البخار مادّته الماء مع أنّ الماء لا يُشاهد فيه فالشّارح المُعتزلي لابدّ له من القول بعَدم كون البخار المُتصاعد من الماء وحاصل الكلام هو أنّ المُشاهَد المحسوس غير المادّة:

وثالثاً: أنّ البَشر المخلوق من النّطفة ظاهراً مخلوق من التّراب واقعاً ولا منافاة بينهما فأنّ النّطفة ترجع بالآخرة الىٰ التّراب لأنّه الأصل فيها وفي غيرها وأنّما الإختلاف في الصّور وقد ثبت أنّ إختلاف الصّورة لا يُوجب إختلاف المادّة فأنّ المادّة بالقياس الىٰ الصّورة لا بشرط ولأجل هذا تَقبل الصّور الكثيرة المُختلفة علىٰ التّعاقب مع أنّها أي المادّة محفوظة في جميع المراتب ألا ترىٰ أنّ مادة النّفط تتّشكل بأشكال مُختلفة وصور مُتنوعة لا تُعدّ ولا تُحصىٰ في زماننا هذا فهل يجوز للعاقل أن ينكرها أو يستّدل علىٰ مدّعاه بأنّ المَنسُوجات تُنسج من الخيوط لا من النّفط ولا من القُطن ولا من الصّوف مع أنّ الأصل في الخيوط هذه المّواد ومانحن فيه من هذا القبيل فمادة التّرابية لها صُور مُختلفة وأشكال مُتفاوتة في عالم الأسباب بحسب قاعدة الكَون والفَساد ومع ذلك فهي محفوظة لا تتّغير ولا تتّبدل أصلاً كما هو شأنها ومُقتضىٰ ذاتها هذا كلّه عقلاً:

ورابعاً: ما يقول المُعتزلي في قوله تعالى: **﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾**(١)

و: **﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾**(٢)

و: **﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾**(٣)

و: **﴿وَبَدَءَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾**(٤)

و: **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾**(٥).

و: **﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾**(٦)

و: **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾**(٧) فأنّ هذه الآيات كما ترىٰ تُنادي بأعلىٰ صوتها أنّ الإنسان خُلق من تراب وما أورده المُعتزلي علىٰ ظاهر كلامه ﷺ وارد علىٰ الآيات طابق النّعل بالنّعل إذ له أو لكلّ قائل أن يقول أمّا أن يُريد به كلّ واحد من النّاس ركّب من طينٍ فليس كذلك لما نُشاهد أنّهم خُلقوا من نُطف آبائهم وأمّا أن يريد أنّ طين آدم كان كذلك لا أولاده فكيف قال اللّه تعالىٰ: **﴿إنّا خَلَقناكُم﴾** بل الحقّ أن يُقال إنّا خَلقنا آدم من كذا وأمّا أنتم فلا، واذ كان أصل التّراب مادّة خلق آدم وأولاده بصريح الآيات والأخبار والإجماع فقد ثبت صحّة قوله ﷺ أنّ الطّين مبادئ خلقهم فهذا ممّا لا إشكال فيه وأن كان الإشكال في قوله ﷺ: **وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذْبِهَا** الخ كما هو الظّاهر من كلامه فنقول أنّ ثبت أصل المادّة فلا جَرم ثبتت لوازمها فأنّ وجود المَلزوم يَستلزم وجود اللاّزم كما أنّ وجود النّار في الخارج يَستلزم وجود الحرارة فالمادّة التّرابية اذا وُجدت في الخارج فلا محالة تُوجد معها لوازمها وهي السّبخة والعَبة والحَزنة والسّهلة والتّراب لا تَخلو من هذه الأوصاف الأربعة ولأجل هذا عبّرنا عنها باللّوازم فأنّ الوَصف إذا كان ثابتاً

١- طه ـ ٥٥
٢- الحجّ ـ ٥
٣- الصّافات ـ ١١
٤- السّجدة ـ ٧
٥- الرّوم ـ ٢٠
٦- الفاطر ـ ١١
٧- الغافر ـ ٦٧

للموصوف من جهة وجوده فهو اللاّزم بعينه ألا ترىٰ أنّ الحرارة وصف للنّار ومع ذلك لازمة لها وأنّما قُلنا أنّ التّراب لا يخلو من هذه الأوصاف الأربعة لأنّ التّراب بَحَسَب الطّعم أمّا عذب أو غير عَذب وبحَسب الكيف إمّا خشنٌ أو سَهل ولكلّ منها مراتب لا بحث لنا فيها ويَدخل في غير العَذب المالح وهذا مسّلمٌ وكلّ واحدٍ منها لا ينّفك عن ملزومه فَمَن التَزَم بكون المادّة في الإنسان هي التّراب من آدم الىٰ آخر البَشَر فَكيف لا يَلتزم بلوازم المادّة وتأثيرها في الإنسان الىٰ آخر الدّنيا فإذا فَرضنا أنّ زيداً مثلاً خُلِق من تراب مالح أو تراب عَذب فهل يجوز لنا قبول أصل المادّة فيه وإنكار لازمها، وحيث أنّ المفروض كون آدم من تراب وهذه المادّة تجري وتسري في أولاده الىٰ يوم القيامة فلا جَرم نقول بسريان لوازمها أيضاًكذلك و عليه فما معنىٰ قول المُعتزلي في آخر كلامه وكيف يؤثر إختلاف طين آدم من ستّة ألاف سنة في أقوام يتوالدون الأن».

فيقال لو لَم يؤثر لَلَزم إنفكاك اللاّزم عن الملزوم والأثر عن المؤثر ولا يقول به إلّا من إعتَزَل عن القواعد العقلّية:

وأمّا ماذكره ثالثاً: من أنّ المراد بإختلاف مبادئ الطّينة، هو إختلاف نَفوس المدّبرة لِلأبدان ففيه أمّا أوّلاً، أنّ النّفوس لا تُكنّىٰ عنها بمبادئ الطّين وذلك لأنّ النّفُوس من عالم المُجّردات والطّين من عالم العناصر والعُنصر الماديّ كيف يُكنّىٰ به عن المُجّرد وأيّ ربطٍ بين هذين الشّيئين ليكون أحدهما كناية عن الأخر فهذه الكناية لا يفهمها إلّا الشّارح المُعتَزلي:

وثانياً: أنّ مبادئ الطّين قد وُضعت في كلامه ؑ: **بكونها سَبخة عَذبة حَزنة سَهلة**، والنّفُوس لا توصف بهذه الأمور فكيف تكون مبادئ الطّين كناية عنها وأمّا قوله أنّ الباريْ جلّ جلاله لمّا خَلق النّفوس خَلَقها مُختلفة في ماهيّتها فمنها الزّكية ومنها الخَبيثة ومنها العفيفة ومنها الفاجرة وهكذا فهو عَين الجَبر الّذي لا مَفّر عنه للقائل بهذه المقالة والعَجب أنّه من المُعتزلة وسَلَك في المقام

ورابعاً: ما يقول المُعتزلي في قوله تعالى: ﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نعِيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ**﴾(١)

و: ﴿**إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ**﴾(٢)

و: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ**﴾(٣)

و: ﴿**وَبَدَءَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ**﴾(٤)

و: ﴿**وَمِنْ ايَاتِهِ اَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ اِذَا اَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ**﴾(٥).

و: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ**﴾(٦)

و: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ**﴾(٧) فأنّ هذه الآيات كما ترىٰ تُنادي بأعلىٰ صوتها أنّ الإنسان خُلق من تراب وما أورده المُعتزلي علىٰ ظاهر كلامه ﷺ وارد علىٰ الآيات طابق النّعل بالنّعل إذ له أو لكلّ قائل أن يقول أمّا أن يُريد به كلّ واحد من النّاس ركّب من طينٍ فليس كذلك لما نُشاهد أنّهم خُلقوا من نُطف آبائهم وأمّا أن يريد أنّ طين آدم كان كذلك لا أولاده فكيف قال اللّه تعالىٰ: ﴿**إنّا خَلقناكُم**﴾ بل الحقّ أن يُقال إنّا خَلقنا آدم من كذا وأمّا أنتم فلا، واذ كان أصل التّراب مادّة خلق آدم وأولاده بصريح الآيات والأخبار والإجماع فقد ثبت صحّة قوله ﷺ أنّ الطّين مبادئ خلقهم فهذا ممّا لا إشكال فيه وأن كان الإشكال في قوله ﷺ: **وَذٰلِكَ اَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً مِنْ سَبَخِ اَرْضٍ وَعَذْبِهَا** الخ كما هو الظّاهر من كلامه فنقول أنّ ثبت أصل المادّة فلا جَرم ثبتت لوازمها فأنّ وجود المَلزوم يَستلزم وجود اللاّزم كما أنّ وجود النّار في الخارج يَستلزم وجود الحرارة فالمادّة التّرابية اذا وُجدت في الخارج فلا محالة تُوجد معها لوازمها وهي السّبخة والعَبة والحَزنة والسّهلة والتّراب لا تَخلو من هذه الأوصاف الأربعة ولأجل هذا عبّرنا عنها باللّوازم فأنّ الوَصف إذا كان ثابتاً

١- طه ـ ٥٥
٢- الحجّ ـ ٥
٣- الصّافات ـ ١١
٤- السّجدة ـ ٧
٥- الروم ـ ٢٠
٦- الفاطر ـ ١١
٧- الغافر ـ ٦٧

للموصوف من جهة وجوده فهو اللاّزم بعينه ألا ترىٰ أنّ الحرارة وصف للنّار ومع ذلك لازمة لها وأنّما قُلنا أنّ التّراب لا يخلو من هذه الأوصاف الأربعة لأنّ التّراب بَحَسَب الطّعم أمّا عذب أو غير عَذب وبحَسب الكيف إمّا خشنٌ أو سَهل ولكلّ منها مراتب لا بحث لنا فيها ويَدخل في غير العَذب المالح وهذا مسّلمٌ وكلّ واحدٍ منها لا ينّفك عن ملزومه فَمَن التَزَم بكون المادّة في الإنسان هي التّراب من آدم الىٰ آخر البَشَر فَكيف لا يَلتزم بلوازم المادّة وتأثيرها في الإنسان الىٰ آخر الدّنيا فإذا فَرضنا أنّ زيداً مثلاً خُلِق من تراب مالح أو تراب عَذب فهل يجوز لنا قبول أصل المادّة فيه وإنكار لازمها، وحيث أنّ المفروض كون آدم من تراب وهذه المادّة تجري وتسري في أولاده الىٰ يوم القيامة فلا جَرم نقول بسريان لوازمها أيضاًكذلك و عليه فما معنىٰ قول المُعتزلي في آخر كلامه وكيف يؤثر إختلاف طين آدم من ستّة ألاف سنة في أقوام يتوالدون الأن».

فيقال لو لَم يؤثر لَلَزم إنفكاك اللاّزم عن الملزوم والأثر عن المؤثر ولا يقول به إلّا من إعتَزَل عن القواعد العقلّية:

وأمّا ماذكره ثالثاً: من أنّ المراد بإختلاف مبادئ الطّينة، هو إختلاف نَفوس المدّبرة لِلأبدان ففيه أمّا أوّلاً، أنّ النّفوس لا تُكنّىٰ عنها بمبادئ الطّين وذلك لأنّ النّفُوس من عالم المُجّردات والطّين من عالم العناصر والعُنصر الماديّ كيف يُكنّىٰ به عن المُجّرد وأيّ ربطٌ بين هذين الشّيئين ليكون أحدهما كناية عن الأخر فهذه الكناية لا يفهمها إلّا الشّارح المُعتَزلي:

وثانياً: أنّ مبادئ الطّين قد وُضعت في كلامه ﷺ: **بكونها سَبخة عَذبة حَزنة سَهلة**، والنّفُوس لا توصف بهذه الأمور فكيف تكون مبادئ الطّين كناية عنها وأمّا قوله أنّ الباريُ جلّ جلاله لمّا خَلق النّفوس خَلَقها مُختلفة في ماهيّتها فمنها الزّكية ومنها الخَبيثة ومنها العفيفة ومنها الفاجرة وهكذا فهو عَين الجَبر الّذي لا مَفّر عنه للقائل بهذه المقالة والعَجب أنّه من المُعتزلة وسَلَك في المقام

مَسلك الأشاعرة القائلين بالجَبر وذلك لأنّه يقال له لو خلق النّفوس هكذا فما ذنب النّفس الخبيثة والفاجرة مثلاً فأنّ ما خُلق كذلك لا يمكن له التّعدي عنه ولا نَعني بالجَبر إلّا هذا وأمّا أهل بيت العِصمة ومنهم أمير المؤمنين فأنّهم لا يقولون بالجَبر بل يَقولون لا جَبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين فَحملُ كلامه عليه السلام علىٰ هذه الخُرافات والأوهام الشّيطانية من أعلىٰ مَراتب التَّجري علىٰ أولياء اللّه ولا يجوز للعاقل إذا لم يفهم مراد المُتكلم أن يحمل كلامه علىٰ ما يفهمه بفكره القاصر أوبإلقاء الشّيطان في قلبه أعاذ اللّه منه:

إذا عرفت هذا فَلنرجع الىٰ شرح كلامه عليه السلام وحاصله أنّه لما ذُكر عنده عليه السلام إختلاف النّاس أي إختلافهم في سُرعة الفهم وبُطئه وكثرته وقلته مع أنّ الأصل فيهم هو التّراب من حيث الجَسَد فقال في حلّ الإشكال أنما فَرّق بينهم مبادئ طِينهم وذلك أنّهم كانوا فِلقةً أي قطعةً من سَبخ أرض وعذبها أي قطعة من الأرض المالحة والعَذبة والخَشنة والسَّهلة ولمّا كانت مبادئ الطّينة فيهم مُختلفة بالملُوحة وغيرها فلا جَرم صاروا مُختَلفين فأنّ كلّ شيئ يرجع الىٰ أصله:

▫ قوله عليه السلام: **فَهُمْ عَلَىٰ حَسَبِ قُرْبِ اَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ وَعَلىٰ قَدْرِ اخْتِلاَفِهَا يَتَفاوَتُونَ...**

أي فأنّ النّاس علىٰ حسب قُرب أرضهم أي الطّينة الّتي خُلقوا منها يتَقاربون فَمن كانت طينته قريبة مع طينة الأُخرىٰ من حيث الطّعم والكيف المَحسُوس فالتّقارب فيه ثابت ومن كانت بعيدة فالتّفاوت ثابت والحاصل أنّ الملاك في قُربهم وبُعدهم هو هذا.

▫ قوله عليه السلام: **فَتَامُّ الرُّوَاءِ نَاقِصُ الْعَقْلِ وَمَادُّ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهِمَّةِ وَزاَكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمَنْظَرِ وَقَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبْرِ وَمَعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ وَمُنْكَرُ الْجَلِيبَةِ وَتَائِهُ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللُّبِّ وَطَلِيقُ اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ...**

أي فالحَسن المَنظَر يكون ناقص العَقل وطويل القامة يكون قصير الهمّة

ودَينها وذاكي العَمَل أي طاهره يكون قبيح المَنظَر وقريب القَعر أي قصير الجسم يكون داهي الفؤاد ومعروف الضّريبة والطّبيعة يكون منكَر الجَليبة وهي جلب الإنسان ما يتّكلفه لكونه علىٰ خلاف طبعه وتائه القلب بالحيرة والضّلالة يكون متّفرق اللُّب والعَقل وطليق اللّسان وفصيحه يكون حديد الجنان أي ذو الفِطنة فهذا تَفسير الألفاظ:

أن قُلت ـ ما الدَّليل من العَقل أو النّقل علىٰ ذلك قُلت أمّا النّقل فموجود وهو ما ذكره في المقام وأيّ نقلٍ أحسَن منه وأمّا العَقل فيمكن الإستدلال من طريقه بوجوهٍ:

أحدها: إنّا لا نشكّ في إختلاف النّاس في العقل والفهم والهِمّة والذّكاوة وسُرعة الإنتقال والحافظة وغيرها وهذا من المحسوسات والمُشاهدات في كلّ عصر وزمانٍ بل لا تجد في العالم شخصين كانا مُتساويين في هذه الأمور الباطّنية كما لا تجد شخصين مُتساويين في الصّورة الشّخصية وهذا ممّا لَم يُخالف فيه أحَد:

ثمّ إنّا لا نشكّ بحسب الآيات والأخبار أنّ الإنسان خُلق من تراب عالِمه وجاهله غَنّيه وفَقيره سفيهه وغير سفيهه وهكذا فإذا كان الأصل أعني المادّة الأصلية في خلقتهم التّراب فما المُوجب لهذه الإختلافات مع أنّ القاعدة تقتضي بظاهرها عَدمه:

فنقول إختلاف الأثار يدّل علىٰ اختلاف المؤثر وهذا حُكم عقلّي وحيث إنّا نرىٰ هنا الإختلافات في آثار التّراب نَقطع بأنّ المادّة ليست هي التّراب بما هو هو بل المادّة الأصّلية هي التّراب المُقيد بقيد السَباخة والعَذبة والحُزونة والسّهلة وهذه الأوصاف هي الّتي صارت مُوجبة لِتَفاوت ما يُوجد منها وتقاربه قلّةً وكثرةً وشدّةً وضعفاً وأنّما قُلنا ذلك لأنّ كلّ شئ يَرجع الىٰ أصله فلا يُمكن رفع الإشكال إلّا برّد الفَرع علىٰ الأصل وإختلاف الأثر إلىٰ المُؤثّر:

وثانيها: أنّ هذه الإختلافات في أفراد البَشَر إمّا أنّها مُستَندة إلىٰ المادّة

الأصّلية أو الى النّفس والرّوح أو الى الخالق لهما ولا رابع في المقام:

لا سبيل الى الثّالث لكونه مُستلزماً للجَبر الّذي يستَحيل على الخالق ولا الى الثّاني فأنّ الرّوح المَلكوتي والنّفس النّاطقة القُدّسية أو ماشئت فَسّمِه شأنـه التّدبير لا غير وأمّا كَثرة الفَهم وقلّته وتَفَرق اللُّب وحدّة الجنان وأمثال ذلك من الأمور فلا مَدخَل للنّفس والرّوح فيها:

نعم خرُوجها عن القُوة الى الفعل ببركة الرّوح إذ مع قطع النّظر عن تَعلق الرّوح بالبَدن لا فعلّية لهذه الأوصاف فيه فالرّوح في البَدن بمنزلة الشّمس في عالم الحّس فكما أنّها بنُورها تصّير الموجود مَرئياً محسوساً كذلك الرّوح في البَدن يُوجب ظهور القَوي فيه وخرُوجها عن القُوّة الى الفعل وأمّا أنّ النّفس تُوجد فيه الإستعداد فلا كما قال العارف بالفارّسية:

اعـيان هـمه شـيشهاى گوناگون بـود
كـافتاد ودر آن پـرتو خـوشيد وجـود
هر شيشه كـه سـرخ بـود يازرد وكـبُود
خورشيد در او هـر آنـچه او بـود نـمود

فَثَبت أنّ العلّة والمَنشأ لهذه الإختلافات والإستعدادت ليست النّفس إذ شأنها الإظهار والإخراج من القُوّة الى الفعل فالعلّة فيها هي المـادّة الأصّـلية أعـني الطّينة وهو المطلوب.

وثالثها: أنّ هذه الإختلافات لو لَم تُستند الى المادّة الأصّلية يلزم وجود الأثر من غير مُؤثّره والمعلول من غير علّته وهو محال هذا كـلّه بـحسب القـاعدة العقّلية:

أن قُلت ـ إنّا نُشاهد كثيراً من النّاس على خلاف ما ذكره عليه السلام فـي المـقام وبعبارةٍ أُخرى هذه الأحكام مَنقُوضة في موارد كثيرة فالأنبياء والأوصياء مثلاً داخلون في قوله تامّ الرّواء مع أنّهم كانوا من أعقل العُقلاء وقد نرى كثيراً ممّن هو ذاكي العَمل وليس بقبيح المَنظر وهكذا:

قُلت ـ الحكم بإعتبار الأعَمّ والأغلَب فوجود بعض الأفراد على خلافه لا يضّره إذ ما من عامٍّ إلّا وقد خُصّ مضافاً الىٰ أنّ الحكم ناظرٌ الىٰ أصل الخِلقة مع قَطع النّظر عمّا يَحصُل لِلإنسان بحسب المُجاهدات النَفسانية والرّياضات البّدنية والإلتزام بالنّواميس الإلٰهية والعَمَل بها فأنّ هذه الأمور كأنّها تُحدِث في الإنسان طبيعةً ثانيةً أو أنّها تُوجب تَغيير الطّينة الأصّلية وحيث إنّجر الكلام الىٰ البَحث في الطّينة فلنذكر في المقام بعض ما ورد من الأخبار منها:

منها – ماروّاه في الوافي بأسناده عن أبي عبد اللّه ﷺ قال أنّ اللّه خَلق المؤمن من طِينة الجنّة وخَلق الكافر من طِينة النّار وقال ﷺ إذا أراد اللّه بعبدٍ خيراً طيّب روحه وجسده فلا يسمع شيئاً من الخبر إلّا عرفه ولا يسمع شيئاً من المُنكر إلّا أنكره وقال سَمعته يقول الطّينات ثلاث طينة الأنبياء والمؤمن من تلك الطّينة إلّا أنّ الأنبياء من صفوتها هم الأصل ولهم فضلهم والمُؤمِنون الفَرع من طين لازب كذلك لا يُفرّق اللّه بينهم وبين شيعتهم وقال طينة النّاصب من حمأٍ مسنون وأمّا المُستَضعفون فمن تراب لا يتّحول مؤمن عن ايمانه ولا ناصب عن نصبه ولِلّه المشيئة فيهم انتهىٰ «الجزء الثالث ج ١ ص ٧»...

ومنها – ماروّاه فيه بأسناده عن صالح إبن سَهل قال قلت لأبي عبد اللّه جَعلت فَداك من أي شيءٍ خلق اللّه طينة المؤمن فقال ﷺ من طينة الأنبياء فلن تنجس أبداً انتهىٰ« ص ٧»...

ومنها – ماروّاه عن الثّمالي عن أبي جعفر ﷺ أنّه قال أنّ اللّه تعالىٰ خلقنا من أعلىٰ علّيين وخَلق قلوب شيعتنا ممّا خُلقنا منه وخَلق أبدانهم من دون ذلك وقلُوبهم تهوي الينا لأنّها خُلقت ممّا خُلقنا ثمّ تلا هذه الآية: **﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِينَ، وَمَا أَدْرٰيكَ مَا عِلِيُّونَ، كِتَابٌ مَّرْقُومٌ، يَّشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُوْنَ﴾**[1] وخلق عدّونا من سجين وخلق قلوب شيعتهم ممّا خَلقهم منه وأبدانهم من دون

١ - المصطفين - ٢١=١٩

ذلك فقلُوبهم تهوي اليهم لأنّها خُلقت ممّا خُلقوا منه ثمّ تلا هذه الآية: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ، وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ، كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١) انتهىٰ «ص ٧»...

ومنها – ماروواه بأسناده عن علّي ابن الحسين قال ﷺ أنّ اللّه عزّ وجلّ خَلق النّبيين من طينة علّيين قلوبهم وأبدانهم وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطّينة وجَعَل خَلق أبدان المؤمنين من دون ذلك وخَلق الكفّار من طينة سجّين قلوبهم وأبدانهم فَخلط بين الطّينتين فَمن ذلك يلد المؤمن الكافر ويَلد الكافر المؤمن ومن هيٰهنا يصيب المؤمن السّيئة ومن هيٰهنا يصيب الكافر الحَسنة فقلوب المؤمنين تَحِنّ الىٰ ماخُلقوا منه وقلوب الكافرين تَحِنّ الىٰ ماخُلقوا منه انتهىٰ «ص ۶»....

ومنها – ماروواه أيضاً بأسناده عن أبي جعفر ﷺ قال لو عَلم النّاس كيف إبتُدأ الخلق ما إختلف إثنان أنّ اللّه عزّ وجلّ قبل أن يَخلق الخَلق قال كُن ماء عذباً أخلق منك جنّتي وأهل طاعتي وكُن ملحاً أُجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي ثمّ أمرهما فإمتزجا فمن ذلك صار يلد المؤمن الكافر والكافر المؤمن ثمّ أخذ طيناً من أديم الأرض فَعَرَكه عركاً شديداً فإذا هم كالذّر يدّبون فقال لأصحاب اليَمين الىٰ الجنّة بسلامٍ وقال لأصحاب الشّمال الى النّار ولا أُبالي ثمّ أمر ناراً فأُسعرت فقال لأصحاب الشّمال إدخلوها فَهابوها وقال لأصحاب اليَمين إدخلوها فَدخلوها فقال كوني برداً وسلاماً فكانت برداً وسلاماً فقال أصحاب الشّمال ياربّ نقلنا فقال قد أقلتكم فإدخلوها فَذهبوا فَهابوها فثمّ ثبتت الطّاعة والمعصية فلا يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء ولا هؤلاء من هؤلاء انتهىٰ «ص ٨»...

ومنها – ماروواه في البحار بأسناده عن محمّد ابن سنان عن أبي عبد اللّه ﷺ قال سألته عن أوّل ما خَلق اللّه عزّ وجلّ قال أنّ أوّل ما خَلق اللّه عزّ وجلّ

١- المصطفين- ١٠=٧

ما خَلق منه كلّ شيءٌ قُلت جعلت فداك وماهو قال الماء قال أنّ اللّه تبارك وتعالىٰ خَلق الماء بحرين أحدهما عذب والأخر مالح فلمّا خلقهما نظر الىٰ العذب فقال يابحر فقال لبيك وسعديك قال فيك بركتي ورحمتي ومنك أخلق أهل طاعتي وجَنّتي ثمّ نَظر الىٰ الأخر فقال يابحر فلم يجب فأعاد عليه ثلاث مرات يابحر فلم يجب فقال عليك لعنتي ومنك أخلق أهل معصيتي ومن أسكنته ناري ثمّ أمرهما فإمتزجا فَمن ثمّ يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن انتهىٰ« ج ٣ ص ٦٦»... وغير ذلك من الأخبار.

وأنت ترىٰ أنّ الطِّينة في هذه الأخبار قد عُبّر عنها بالماء وفي بعضها لم يُعبّر عنها بشيءٍ من الماء والتّراب بل عُبّر عنها بالعلّيين والسّجين ولنا في المقام أخبار تدّل علىٰ أنّ الطِّينة كانت تراباً ممتزجاً بالماء وهو المُسّمىٰ بالطّين:

فقد روي في البحار بأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال أنّ القبضة الّتي قبضها اللّه عزّ وجلّ من الطّين الّذي خَلق منه آدم أرسل اليها جبرئيل أن يقبضها الحديث« ج ٥ ص ٢٧»....

وبأسناده قال أتىٰ أمير المؤمنين يهودي فقال لِمَ يُسّمىٰ آدم آدم وحوّاء حوّاء قال عليه السلام أنّما سُمّي آدم آدم لأنّه خُلق من أديم الأرض وذلك أنّ اللّه تبارك وتعالىٰ أمر جبرئيل أن يأتيه من أديم الأرض بأربع طينات طينة بيضاء وطينة حمراء وطينة غبراء وطِينة سوداء وذلك من سَهلها وحزنها ثمّ أمره أن يأتيه بأربع مياه ماء عذب وماء ملح وماء مُرّ وماء مُنتن ثمّ أمره أن يفرغ الماء في الطّين وأدمه اللّه بيده فلم يفضل شيءٌ من الطّين يحتاج الىٰ الماء ولا من الماء شيءٌ يحتاج الىٰ الطّين فجعل الماء العَذب في حَلقه وجَعل الماء المالح في عينه وجَعَل الماء المُرّ في أُذنيه وجَعل الماء المُنتن في أنفه وأنّما سُمّيت حوّاء حوّاء لأنّها خُلقت من الحيوان الخبر انتهىٰ« ص ٢٧»...

والآيات في الباب أيضاً مُختلفة فمنها ما دلّت علىٰ أنّ الإنسان خُلق من

تراب كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ اٰيٰاتِهِ اَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرٰابٍ ثُمَّ اِذٰا اَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ (١) ومنها مادلّت على أنّه خُلق من الطّين كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ طينٍ ثُمَّ قَضىٰ اَجَلاً﴾ (٢)

و: ﴿وَبَدَءَ خَلْقَ الْاِنْسٰانِ مِنْ طِينٍ﴾ (٣)

و: ﴿خَلَقْتَني مِنْنٰارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طينٍ﴾ (٤) ومنها مادلّت على أنّه خُلق من صلصال وهو الطّين اليابس، كقوله تعالى: ﴿اِنّي خٰالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصٰالٍ مِنْ حَمٰاءٍ مَسْنُونٍ﴾ (٥) ومنها مادلّت على أنّه خُلق من طينٍ لازبٍ كقوله تعالى: ﴿اِنّٰا خَلَقْنٰاهُمْ مِنْ طينٍ لاٰزِبٍ﴾ (٦)

وأمّا كلام أمير المؤمنين في المقام يشعر بأنّ آدم خُلق من الأرض السّبخة والعَذبة والحَزنة والسّهلة وأمّا أنّ هذه الأوصاف فيها كانت بسبب خلطها بالماء أو كانت من أوصافها بنفسها فالكلام ساكت عنه ومطلق بالنّسبة اليه وعليه فَيحتمل أن يكون الكلام مُشعراً بأنّ الطّينة الأصّلية كانت تراباً متّصفاً بالأوصاف المذكورة وأن يكون تراباً مُمتزجاً بالماء المَوصوف بها فَتكون الطّينة طيناً لا تراباً مَحضاً ويؤيّد الإحتمال الثّاني في قوله ﷺ في الخُطبة الأولىٰ حيث قال هناك، **ثمّ جمع سُبحانه من حزن الأرض وسَهلها وعَذبها وسَبخها وتربةً سبّغها بالماء حتّىٰ خلُصت ولاطَها بالبلّة حتّىٰ لزيت الىٰ قوله واصلدها حتّىٰ صَلصَلت** وبه يمكن الجمع بين الأخبار والآيات وقد مرّ الكلام في الباب هناك ولِتَفصيل الكلام فيه مقام آخر:

١- الرّوم - ٢٠
٢- الانعام - ٢
٣- السّجدة - ٧
٤- الاعراف - ١٢
٥- الحجر - ٢٨
٦- الصّافات - ١١

ومن كلام له عليه السلام (٢٣٣)

قاله عليه السلام وهو يَلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله، وتَجهيزه:

▫ قوله عليه السلام: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدْ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَالَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْأَنْبَاءِ وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ خَصَّصْتَ حَتَّىٰ صِرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاكَ وَعَمَّمْتَ حَتَّىٰ صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَوَاءً وَلَوْلاَ أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ لَأَنْفَذْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤُنَ وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلاً وَالْكَمَدُ مُحَالِفاً وَقَلاَّ لَكَ وَلٰكِنَّهُ مَا لاَ يُمْلَكُ رَدُّهُ وَلاَ يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ!

◁ اللّغة

(إنقَطَع) إنفَصَل (مُسلّياً) من التّسلية أي مُوجباً لِلتّسلي (الشُّؤُنَ) منابع الدّمع من الرّاس (الْكَمَدُ) الحُزن (مُحَالِفاً) أي ملازماً (قلاّ) فعل ماضي متّصل بألف التّثنية:

◁ المَعنىٰ

(بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدْ انْقَطَعَ) وإنفَصَل (بِمَوْتِكَ مَالَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْأَنْبَاءِ وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ) لكون النبوة منحصرة في زمانه (خَصَّصْتَ) بأهل بيتك (حَتَّىٰ صِرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاكَ) أي كان موتك موجباً لتسلية نفوسهم عن موت غيرك (وَعَمَّمْتَ حَتَّىٰ صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَوَاءً) لكونه صلى الله عليه وآله مبعُوثاً الىٰ كافة الخلق (وَلَوْلاَ أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ) علىٰ المُصيبة (وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ)

للمَوت (**لَأَنْفَذْنَا**) واجرينا (**عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤُنَ**) المُنبعث من منابع الدّمع والرّاس (**وَلَكَانَ الدَّاءُ**) أي داء المَصيبة (**مُمَاطِلاً وَالْكَمَدُ**) والحزن (**مُحَالِفاً**) مُلازماً (**وَقَلاَّ لَكَ**) أي هما قليلتان لك (**وَلٰكِنَّهُ**) أي الموت (**مَا لاَ يُمْلَكُ رَدُّهُ وَلاَ يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ**) انّك ميّت وانّهم ميّتون (**بِأَبِي انْتَ وَأُمِّي اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ**).

◁ الشّرح

▫ قوله عليه السلام: **بِأَبِي انْتَ وَأُمِّي لَقَدْ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَالَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْأَنْبَاءِ وَاَخْبَارِ السَّمَاءِ...**

إعلم: أنّ هذا الكلام قاله عليه السلام وهو يلي غسل رسول اللّه صلى الله عليه وآله وتجهيزه بأمرٍ منه صلى الله عليه وآله ووصّيةٍ الىٰ أمير المؤمنين كما ستعرف الكلام فيه فقال عليه السلام لقد إنقطع بموتك الىٰ آخر كلامه وهو واضح فأنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله كان واسطة بين الخالق وخلقه ورسولاً من قبله اليهم وكان يهبط عليه جبرئيل وأمّا بعد موته صلى الله عليه وآله فقد إنقطع ماكان في حياته من النّبوة والأنباء وأخبار السّماء اذ لا نبّي بعده الىٰ يوم القيٰمة فهو كان خاتم الأنبياء والرُّسُل مضافاً الىٰ

▫ قوله عليه السلام: **خَصَّصْتَ حَتَّىٰ صِرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاكَ وَعَمَّمْتَ حَتَّىٰ صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَوَاءً...**

قال الشّارح المُعتزلي أي خصَصت (خصّت) مُصيبتك أهل بيتك وعَمّت هذه المُصيبة أيضاً النّاس فهي مصيبة خاصّة بالنّسبة وعامّة بالنّسبة انتهىٰ.

أقول: لا بأس بما ذكره والأظهر أنّ المراد من التّخصيص والتّعميم في المقام أثَر موته صلى الله عليه وآله بالنّسبة الىٰ أهل بيته وأَثَره بالنّسبة الىٰ العامّة أو أَثَره لخواص أصحابه وأقاربه ولغيرهم من أفراد الأُمّة والجامع في المعنىٰ أنّ أَثَر موتك في الخَواص هو التّسلي عمّن سواكَ بمعنىٰ أنّهم يسلّون أنفسهم بعد مَوتك في كلّ مُصيبة فأنّ المصائب كلّها دون مُصيبتك وأمّا في العامّة فيقولون

نحن نموت كما مات رسول اللّه ﷺ أو أنّ الموت حقّ في الجميع لا فرق بينهم فيه:

▫ قوله ﷺ: وَلَوْلاَ أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ لَأَنْفَذْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤُنَ...

يعني إنّا نصبر على مُصيبتك ولا نجزع عليها لما وَعَد اللّه الصّابرين ولولا ذلك لأنفذنا وأجرينا عليك وقيل أفنينا على فراقك ماء عيوننا الجاري من شؤونه وهي منابع الدّمع من الرّأس وحاصل الكلام لو لا الأمر بالصّبر من اللّه ومنك لكان حقّاً علينا أن نبكي عليك حتّى أفنينا دمُوعنا فأنّ فراقك صعبٌ علينا ومُصيبتك من أعظم المصائب:

▫ قوله ﷺ: وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلاً وَالْكَمَدُ مُحَالِفاً وَقَلاَّ لَكَ...

أي ولكان داء المُصيبة مُماطلاً بالشّفاء والكَمَد والحَزن مُحالفاً ملازماً وقلاّ لك أي أنّها قلاّ لك وبعبارةٍ أُخرىٰ مُماطلة الدّاء ومحالفة الكَمَد قليلتان لك:

▫ قوله ﷺ: وَلٰكِنَّهُ مَا لاَ يُمْلَكُ رَدُّهُ وَلاَ يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ...

أي لا يقدر أحدٌ على ردّ الموت عن نفسه وعن نفس غيره ولا يستطيع أحد دَفعه بأبي أنت وأُمّي أُذكرنا عند ربّك بالخير واجعلنا في بالك وحمايتك فأنّك نبّي الرّحمة:

تنبيهٌ: إعلم أنّه لا خلاف عندنا وعند الصّادقين من علماء الأمّة أنّ أمير المؤمنين ﷺ قد تكفّل لغسله ﷺ وتجهيزه ودَفنه بعد مَوته بوصّيةٍ منه ﷺ اليه ولنذكر في الباب بعض الأخبار روي الطّبرسي في أعلام الورىٰ عن الصّادق ﷺ أنّه قال – جبرئيل يا محمّد هذا آخر نزولي الىٰ الدّنيا أنّما كنت أنت حاجتي منها قال ﷺ وصاحت فاطمة وصاح المُسلمُون وصاروا يضعون التّراب علىٰ رؤسهم ومات ﷺ لليلتين بقيتا من صفر سنة عشر من هجرته وروي أيضاً لاثني عشرة من شهر ربيع الأوّل يوم الاثنين ولّما أراد عليّ ﷺ غسله إستدعىٰ

الفضل بن عبّاس فأمره أن يُناوله الماء بعد أن عصب عينيه فشقّ قميصه من قبل جيبه حتّىٰ بلغ الىٰ سُرتّه وتولىٰ غسله وتحنيطه وتكفينه والفضل يناوله الماء فلمّا فرغ من غسله وتجهيزه تقدم فصلّىٰ عليه:

قال أَبان وحدثّني أبو مريم عن أبي جعفر عليه السلام قال قال النّاس كيف الصّلاة عليه صلى الله عليه وآله فقال علّيّ عليه السلام أنّ رسول اللّه أمامنا حيّاً وميّتاً فدخل عليه عشرة عشرة فصّلوا عليه يوم الإثنين وليلة الثّلاثاء حتّىٰ الصّباح ويوم الثّلاثاء حتّىٰ صلّىٰ عليه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأُنثاهم وضواحي المدينة بغير إمام وخاض المسلمون في موضع دفنه فقال علّي عليه السلام أنّ اللّه لم يقبض نبّياً في مكان إلّا وإرتضاه لرمسه فيه وأنّي دافنه في حجرته الّتي قُبض فيها فرضي المُسلمون بذلك فلمّا صلّىٰ المُسلمون عليه أنفذ العبّاس رجلاً الىٰ أبي عبيدة الجرّاح وكان يحضر لأهل مكّة ويضرّح وأنفذ الىٰ زيد بن سهل أبي طلحة وكان يحضر لأهل المدينة ويلحد فإستدعاهما فقال اللّهم خبر لنبيك فوجد أبو طلحة فقيل إحفر لِرسُول اللّه فَحفَر له لَحداً ودَخل أمير المؤمنين عليه السلام والعبّاس والفضل وأُسامة بن زيد لِيتّولوا دَفن رسول اللّه فنادت الأنصار من وراء البَيت ياعلّي إنّا نذكر اللّه وحقّنا اليوم من رسول اللّه أن يذهب أدخل منّا رجلاً يكون لنا خطّ من مواراة رسول اللّه صلى الله عليه وآله فقال عليه السلام ليدخل أوس بن خولي رجل من بني عوف بن الخزرج وكان بدْرياً فَدخل البيت فقال له علّي عليه السلام أنزل القَبر فَنزل ووضع علّي عليه السلام رسول اللّه علىٰ يديه ثمّ دلاّه في حفرته ثمّ قال له أخرج فَخرج ونزل علّي فَكشف من وجهه ووضع خدّه علىٰ الأرض مُوجّهاً الىٰ القبلة علىٰ يمينه ثمّ وضع عليه اللّبن وأهال عليه التّراب وإنتهزت الجماعة الفُرصة لإشتغال بني هاشم برّسول اللّه صلى الله عليه وآله وجلوس علّي عليه السلام للمُصيبة فتنازعوا الىٰ تقرير ولاية الأمر وإتّفق لأبي بكر ما إتّفق لإختلاف الأنصار فيما بينهم وكراهة القوم تأخير الأمر الىٰ أن يفرغ بنو هاشم من مُصاب رسول اللّه فيستّقر الأمر فبايعوا أبا بكر لحضوره وليس هذا الكتاب بموضع لشّرح ذلك

وتجده في مواضعه أن شئت وروي أنّ أبا سفيان جاء الىٰ باب رسول اللّه فقال:

بني هاشم لا يطمع النّاس فيكم ولا سيّما تيم بن مّرة أو عدّي

فما الأمر إلّا فيكم واليكم وليس لها إلّا أبا حسنٍ علّي

أبا حسنٍ فأُشدد بها كّف حازم فأنّك بالأمر الّذي يرتّجي ملّي

ثمّ نادىٰ بأعلىٰ صوته يا بني هاشم يا بني عبد مناف أرضيتم أن يلي عليكم أبو فصيل الرّذل بن الرّذل أمّا واللّه لأن شئتم لأملأنّها عليكم خيلاً ورجلاً فناداه أمير المؤمنين عليه السلام إرجع يا أبا سفيان فو اللّه ما تريد اللّه بما تقول وما زلت تكيد الإسلام وأهله ونحن مشاغيل برسول اللّه صلى الله عليه وآله علىٰ كلّ امرؤٍ ما إكتسب وهو ولّي ما إحتقب انتهىٰ« ص ١٤٣»...

ومنها- ما رواه في البحار بأسناده عن ابن مسعود قال نعىٰ الينا حبيبنا ونبّينا صلى الله عليه وآله نفسه فأبي وأُمّي ونفسي له الفداء قبل موتِه بشهر فلمّا دنا الفراق جمعنا في بيت ونظر الينا فدَمعت عيناه ثمّ قال صلى الله عليه وآله **مرحباً بكم حيّاكم اللّه حَفَظكم اللّه نَصَركم اللّه نَفَعكم اللّه وَفقكم اللّه سلّمكم اللّه رزَقكم اللّه رفَعَكم اللّه أوصيكم بتقوىٰ اللّه وأوصي اللّه بكم أنّي لكم نذير مُبين أن لا تعلوا علىٰ اللّه في عباده وبلاده فأنّ اللّه قال لي ولكم:﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾**(١) وقال سبحانه:**﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾**(٢) **قُلنا متّىٰ يا نّبي اللّه أجلك قال دنا الأجل والمُنقلب الىٰ اللّه والىٰ سدرة المنتهىٰ وجنّة المأوىٰ والعرش الأعلىٰ والكأس الأوفىٰ والعيش الأهنىٰ قُلنا فَمَن يُغسلك قال أخي وأهل بيتي الأدنىٰ فالأدنىٰ انتهىٰ»** ج ٦ ص ٧٩١»...

أقول: والعجب أنّ الشّارح المُعتزلي نقل في شرحه في هذا المقام هذا الحديث عن إبن مسعود وقال (فيه أهلي الأدنىٰ فالأدنىٰ) فحُذِفَ منه قوله صلى الله عليه وآله أخي وأهل بيتي فراجعه أن شئت ثمّ ساق الحديث وذكر فيه ما لم نجده في

١- القصص- ٨٣

٢- الزمر- ٦٠

غيره والله العالم:

وفيها ما رواه في البحار أيضاً بأسناده قال رسول اللّه ﷺ **يا علّي أضمنت دَيني تقضيه عنّي قال ﷺ نعم قال اللّهم فأشهد ثمّ قال يا علّي تغسلني ولا يغسلني غيرك فيعمىٰ بصره قال علّي ﷺ ولِمَ يا رسول اللّه قال كذلك قال جبرائيل عن ربّي أنّه لا يرىٰ عورتي غيرك إلّا عُمي بصره قال علّي فكيف أقوىٰ عليك وّحدي قال يعينك جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وإسماعيل صاحب السّماء الدّنيا قلت فمن يناولني الماء قال ﷺ الفضل بن العبّاس من غير أن ينظر الىٰ شئ منّي الحديث** «ج ۶ ص ۸۰۰»...

أقول: الأحاديث فيه كثيرة والأشعار الّتي أنشدوها في موته ﷺ في صدر الإسلام أيضاً تؤمي اليه.

قال الحميري:

هـــذا الّــذي ولّـيته عــورتي ... ولو رأىٰ عَــورتي ســواه عــمىٰ

وأيضاً له:

مــن ذا تشــاغل بــالنّبي وغسـله ... ورأىٰ عــن الدّنـيا بـذاك عـزاء

وقال العبدي:

مـــن ولىٰ غســل النّـبي ومَــن ... لفّــفه مــن بــعده فــي الكَـفَن

وقال السّروجي :

غسّـــله إمـــام صــدقٍ طــاهرٍ ... من دنس الشّرك وأسباب الغير
فأورث اللّـــه عـــليّاً عـــلمه ... وكــان مــن بــعد اليـه يـفتقر
كــان بــغسل النّبي مُشــتغلاً ... فــأفتتنوا والنّــبي لم يُــقبر

قال الحميري:

وكـــفاه تـــغسيله وحـــده ... أحمد ميّتاً ووضعه فـي اللّحد

وقال العبدي:

من كان صِنو النّبي غير علّي ... مـــن غسّـل الطّـهر ثـمّ واراه

العَوني:

مـن غسّـل المُرسل من أنزَله | فـي لَحده وعنه للدّين قضىٰ

وقال أمير المؤمنين عليه السلام

أمِـن بـعد تكـفين النّـبي ودَفـنه
بأثـوابـه آسـىٰ عـلىٰ هـالكٍ ثـرىٰ
رُزئـنا رسُـول اللّـه فـينا فَـلن نـرىٰ
بـذلك عَـديلاً مـا حـيينا مـن الورىٰ
وكـان لنـا كـالحِصن مـن دون أهـله
لهـم مـعقل حـرزٌ حـريزٌ من العَدىٰ
وكـنّا بـه شّـم الأنـوف بِـنحوه
عـلىٰ مـوضعٍ لا يسـتطاع ولا يـرىٰ
فـيا خـير مـن ضّم الجوانح والحَشا
ويـا خـير ميّتٍ ضّمه التّرب والثّرىٰ
كأنّ أُمـور النّـاس بـعدك ضـمّنت
سـفينة مـوج البحر والبـحر قد طمىٰ
وضـاق فـضاء الأرض عـنهم بـرَحبه
لفـقد رسُـول اللّـه إذ فـيه قـد قـضىٰ
فـياحَزناً إنّـا رأيـنا نـبّينا
عـلىٰ حـين تـمّ الدّيـن وإشتّدت القـوىٰ

وأيضاً له عليه السلام عند زيارة سيّد الأنام:

مـاغاض دمـعي عـند نـائبة | إلّا جـعلتك للـبكاء سَـبباً
وإذا ذكـرتك سـامحتك بـه | مـنّي الجِفون ففاض وإنسكبا
أنّـي أجـلّ ثـرىٰ حَـللتُ بـه | عـن أن أرىٰ بسـواه مُكـتئبا

وأيضاً له عليه السلام في مرثيته:

غيره والله العالم:

وفيها ما رواه في البحار أيضاً بأسناده قال رسول الله ﷺ **يا علّي أضمنت دَيني تقضيه عنّي قال ؑ نعم قال اللّهم فأشهد ثمّ قال يا علّي تغسلني ولا يغسلني غيرك فيعمىٰ بصره قال علّي ؑ ولِمَ يا رسول اللّه قال كذلك قال جبرائيل عن ربّي أنّه لا يرىٰ عورتي غيرك إلّا عُمي بصره قال علّي فكيف أقوىٰ عليك وَحدي قال يعينك جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وإسماعيل صاحب السَّماء الدّنيا قلت فمن يناولني الماء قال ﷺ الفضل بن العبّاس من غير أن ينظر الىٰ شيءٍ منّي الحديث** «ج ۶ ص ۸۰۰»...

أقول: الأحاديث فيه كثيرة والأشعار الّتي أنشدوها في موته ﷺ في صدر الإسلام أيضاً تؤمي اليه.

قال الحميري:

هــذا الّـذي ولّـيته عـورتي ... ولو رأىٰ عَـورتي سـواه عـمىٰ

وأيضاً له:

مـن ذا تشـاغل بـالنّبي وغسـله ... ورأىٰ عـن الدّنـيا بـذاك عـزاء

وقال العبدي:

مـن ولىٰ غسـل النّـبي ومَـن ... لفّـفه مـن بـعده فـي الكَـفَن

وقال السّروجي :

غسّـله إمـام صـدقٍ طـاهرٍ ... من دنس الشّرك وأسباب الغير

فأورث اللّـه عـلّياً عـلمه ... وكـان مـن بـعد اليـه يـفتقر

كـان بـغسل النّـبي مُشـتغلاً ... فـأفتتنوا والنّـبي لم يُـقبر

قال الحميري:

وكـفاه تـغسيله وحـده ... أحمد ميّتاً ووضعه فـي اللّحد

وقال العبدي:

من كـان صِنو النّبي غير علّي ... مـن غسّل الطّهر ثمّ واراه

العَوني:

مـن غسّـل المُرسل من أنـزَله فـي لَـحده وعنه للدّين قـضىٰ

وقال أمير المؤمنين عليه السلام

أمِـن بـعد تكـفين النّـبي ودَفـنه
بأثـوابـه آسـىٰ عـلىٰ هـالكٍ ثـوىٰ
رُزئـنا رسُـول اللّـه فـينا فَـلن نـرىٰ
بـذلك عَـديلاً مـا حـيينا مـن الورىٰ
وكـان لنـا كـالحِصن مـن دون أهـله
لهـم مـعقل حـرزٌ حـريزٌ مـن العَـدىٰ
وكـنّا بـه شّـم الأنـوف بِـنحوه
عـلىٰ مـوضعٍ لا يسـتطاع ولا يـرىٰ
فـيا خـير مـن ضّم الجوانح والحَشا
ويـا خـير ميّتٍ ضّمه التّرب والثّرىٰ
كأنّ أُمـور النّـاس بـعدك ضـمّنت
سـفينة مـوج البحر والبحر قـد طمىٰ
وضـاق فـضاء الأرض عـنهم بـرَحبه
لفـقد رسُـول اللّـه إذ فـيه قـد قـضىٰ
فـياحَزناً إنّـا رأيـنا نـبّينا
عـلىٰ حـين تمّ الدّين وإشتّدت القـوىٰ

وأيضاً له عليه السلام عند زيارة سيّد الأنام:

مـاغاض دمـعي عـند نـائبة إلّا جـعلتك للـبكاء سـبباً
وإذا ذكـرتك سـامحتك بـه مـنّي الجِفون ففاض وإنسكبا
أنّـي أجـلّ ثـرىٰ حَـللتُ بـه عـن أن أرىٰ بسـواه مُكـتئبا

وأيضاً له عليه السلام في مرثيته:

ألا طـــرق النّـــاعي بـــليلٍ فـــراعـني
وأرّقــــــني لمّـــا إســـتّقل مـــناديا
فــقُلت له لمّـــا سـمعت الّـذي نـعىٰ
أَغـــير رســول اللّــه أن كُـنت نـاعياً
فــحقّق مـا أشـفقت مـنه فـلم أجـد
وكـــان خـــليلي عـــزّتي وجـــماليا
فـــواللّـــه مـا أنسـاك أحـمد مـاتَ
بـىالعيش فـى أرضٍ و جـاوزت واديـا
وكُـنت مـتىٰ أهـبط مـن الأرض قـلعة
أجـــد أثـــراً مـــنه جـــديداً وبــاليا
شـــجاعاً تَشـــطّ الخـيل عـنه كأنّـما
بـــرين بـــه ليـــثاً عـــليهن عـــاديا

وأيضاً له عليه السلام:

ألا يـارسول اللّـه كُـنتَ رجـائيا | وكـنتُ بـنا بَـراً ولم تك جـافيا
كأنّ عـلىٰ قـلبي لذكـر مـحمّدٍ | وماجاء من بعد النّبي المكـاويا
أفـاطم صـلىٰ اللّـه ربّ مـحمّدٍ | علىٰ حَدثٍ أمسىٰ بيثرب ثـاويا
فلو أنّ ربّ العَرش أبقاك بيننا | سعدنا ولكـن أمـره كـان مـاضيا
عـليك مـن اللّـه السّلام تـحيةً | وأُدخلتجنّات من العَدنراضيا

وقالت الزّهراء عليها السلام :

قُل للمغّيب تحت أثواب الثّرىٰ | أن كُنت تَسمع صرختي وندائـيا
صُـبّت عَـلّي مَـصائب لو أنّـها | صُبّت علىٰ الأيام صِرن ليـاليا
قد كُنتُ ذات حمىٰ بظّل محمّدٍ | لا أخشىٰ من ضّيم وكان جماليا
فـاليوم أخشـع للـذّليل وأتّـقي | ضـيمي وأدفـع ظـالمي بـردائـيا
فـإذا بَكت قـمرية فـي ليـلها | شجناً علىٰ غُصنٍ بكيتُ صباحيا

فلأجعلنّ الحُزن بعدك مُؤنسي ولأجعلنّ الدّمع منك وشاحيا
ماذا علىٰ من شمّ تُربة أحمد أن لا يشّم مدىٰ الزّمان غَواليا

ولها عليها السلام:

كُنتَ السّواد لمُقلتي تبكي عليك النّاظر
من شاء بعدك فليَمت فَعليك كنت أُحاذر

ولها عليها السلام:

قد كُنتَ لي جبلاً ألُوذ بظلّه
فاليوم تسلمني لاجرد ضاحي
قد كنتَ جار حمّيتي ما عشت لي
واليوم بعدك من يريش جناحي
وأغضّ من طرفي وأعلم أنّه
قد مات خير فوارسي وسلاحي
حضرت مَنيَّتُه فأسلمني العزاء
وتَمكّنت رَيب المَنون جوارحي
نَشر الغُراب عَلّي ريش جناحه
فَظللتُ بين سيوفه ورماح
أنّي لأعَجب من يروح ويغتدي
والمَوت بين بكوره ورواح
فاليوم أخضع للذّليل وأتّقي
ذُلّي وأدفع ظالمي بالرّاح
وإذا بَكت قُمَّرِيةُ شجناً بها
ليلاً علىٰ غُصنٍ بحيثُ صباحي
فالله صبّرني علىٰ ما حلّ بي
مات النّبي قد إنطَفىٰ مصباحي

وقالت أُمّ سلمة رضي اللّه عنها:

فُجعنا بالنّبي وكان فينا إمام كرامةٍ نعم الإمام
وكان قوامنا والرأس منّا فنحن اليوم ليس لنا قوام
نَنوح ونَشتكي ماقد لقينا ويَشكو فقدك البَلد الحَرام
فلا تَبعد فكلّ فتىً كريم سيُدركه وأن كره الحمام

وقالت صفّية بنت عبد المطّلب:

ياعين جودي بدمعٍ منك مُنحدر ولا تمّلي وإبكّي سيّد البَشر
إبكّي الرّسول فقد هدّت مصيبته جميع قومي وأهلالبدو والحَضر
ولا تمّلي بُكاكِ الدّهر معولة عليه ماغرّد القمري في السّحر

وقال سالم بن زهير المحاربي:

أفاطم أبكّي ولا تَسأمي فقد فاتَك الماجد الطّيب
جوىً حلّ بين الحشا والشّغاف فخّيم فيه فلا يذهب
فيا عين ويحك لا تَهجعي ومابال دمعك لا يَسكِبُ
فمن ذلك الويل بعد الرّسول يبكّي من النّاس أو يَندِبُ

وقال كعب إبن مالك:

ألا أنعي النّبي الىٰ العالمينا جميعاً ولا سيّما المُسلمينا
ألا أنعي النّبي لأصحابه وأصحاب أصحابه التّابعينا
ألا أنعي النّبي الىٰ من هُدي من الجنّ ليلة إذ تَسمعونا
لفقد النّبي إمام الهُدىٰ وفَقد الملائكة المُنزلينا

وقال حسان بن ثابت:

أنّ الّرزية لا رزّية مثلها ميّت بطيبة مثله لم يفقد
ميّت بطيبة أشرقت لحياته ظلم البلاد لميّتهم أو مُنجدٍ
والكوكب الدّري أصبح آفلاً بالنّور بعد تبّلجٍ وتصّعدٍ
لِللّه ماضمنت حفيرة قبره منه ومافقدت سوادي المسجد

وله :

بـطيبة رسـم للرسوم ومَعهَد | أضحىٰ تعفّيه الرّسوم وتمهد
ولا تمتحي الآيات من دار حُرمةٍ | بها منبر الهادي الّذي كان يصعد
وواضح آيـات وبـاقي معالم | وربـعٍ له فيه مصّلىٰ ومسجد
عرفت بها رسم الرّسول وعَهده | وقبراً بها واراه في التّرب مُلحد
وما فَقد الماضون مثل محمّدٍ | ولا مثله حتّىٰ القيامة يُفقد

ورثاه ﷺ بعض أصحابه فقال :

أرِقت فبات ليلي لا يزول | وليلي أخي المصيبة فيه طول
وأَسعَدني البُكاء وذاك فيما | أُصيب المُسلمون به قليلُ
لقد عَظُمت مُصيبتنا وجَلّت | عَشّية قيل قد قُبض الرّسول
وأَضحَت أرضنا ممّا عَراها | تكاد بنا جوانبها تَميلُ
فقدنا الوَحي والتّنزيل فينا | يَرُوح به ويَغدُو جبرئيل
وذاك أحقّ ماسالت عليه | نفوس النّاس أو كادت تَسيلُ
نبّي كان يجلو الشك عنّا | بما يُوحىٰ اليه وما يَقول

قال النّبي ﷺ ياعلّي من أُصيب بمُصيبة فليذكر مصيبته بي فأنّها من أعظم المصائب وقد نُسب الىٰ أمير المؤمنين:

المَوت لا والداً يُبقِي ولا ولداً | هذا السّبيل الىٰ أن لا ترىٰ أحداً
هذا النّبي ولم يخَلد لأُمّته | لو خلّد اللّه خَلقاً قبله خَلدا
للمَوت فينا سهام غير خاطئةٍ | من فاته اليوم سَهمٌ لم يُفته غداً

وقال ديك الجِن :

تأمّل إذا الأحزان فيك تكاثرت | أعاش رسول اللّه أم ضمّه القبر

وقال إبراهيم بن المهدي :

إصبر لكلّ مُصيبةٍ وتجلُّدِ | وأعلم بأنّ المَرء غير مُخَلدِ
أَوَ ما ترىٰ أنّ الحوادث جُمّة | وترىٰ المّنية للرّجال بمرصدِ

فإذا ذكرت مُصيبة تشجي بها فاذكُر مُصابك بالنّبي محمّد

ولغيره:

فلو كانت الدّنيا يَدوم بقاءها لكان رسول اللّه فيها مُخلّداً

وأمّا نَسَبَه ﷺ ومُدّة حياته وعَدد أزواجه وغَزواته وغير ذلك ممّا يَتّعلق به فقد مرّ الكلام فيها في المجلد الأوّل من هذا الكتاب فلا نُعيد الكلام بذكرها ثانياً والحمد لِللّه ربّ العالمين.

ومن كلام له عليه السلام (٢٣٤)

إقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله، ثمّ لحاقه به:

□ قوله عليه السلام: فَجَعَلْتُ اَتْبَعُ مَأْخَذَ رَسُولِ اللّٰهِ صلى الله عليه وآله فَاَطَاءَ ذِكْرَهُ حَتّٰى انْتَهَيْتُ اِلَى الْعَرَجِ...

فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ: قَوْلُهُ عليه السلام: فَأَطَاءَ ذِكْرَهُ، الَّذِي رُمِيَ بِهِ اِلَىٰ غَايَتَيِ الايجَازِ وَ الْفَصَاحَةِ، اَرادَ اَنّي كُنْتُ أُعْطَىٰ خَبَرَهُ صلى الله عليه وآله مِنْ بَدْءِ خُرُوجِي اِلَىٰ اَنْ انْتَهَيْتُ اِلىٰ هٰذَا الْمَوْضِعِ، فَكَنّىٰ عَنْ ذٰلِكَ بِهٰذِهِ الْكِنَايَةِ الْعَجِيبَةِ.

إعلم: أنّ هذا الكلام قاله بعد هجرة النّبي من مكّة الىٰ المدينة ولحاقه عليه السلام به صلى الله عليه وآله بعد ذلك فقال عليه السلام فجعلت أتبّع مأخذ رسول اللّه صلى الله عليه وآله في الجهة والطّريق الّتي أَخَذ فيها وسار فيها حتّىٰ إنتَهيتُ الىٰ العَرَج وهو موضع بين مكّة والمدينة قال الرّضي رحمه الله قوله عليه السلام: فَاَطَاءَ ذِكْرَهُ في غاية الإيجاز والفصاحة والمعنىٰ أنّي كنتُ أُعطي خبره بسبب العيون والجواسيس أو بسبب الإلهام من اللّه تعالىٰ من بدو خروجي من مكّة الىٰ أن إنتهيت الىٰ هذا الموضع فهو كناية عن إطّلاعه عليه السلام عن مسير الرّسول صلى الله عليه وآله أقول، يجب علينا أن نذكر لك قصّة الهجرة وسببها علىٰ سبيل الإجمال ليتّضح الحال:

قال في المناقب: كان النّبي صلى الله عليه وآله يعرض نفسه علىٰ قبائل العرب في الموسم فلقىٰ رهطاً من الخزرج فقال ألا تجلسون أُحدثّكم قالوا بلىٰ فجلسوا اليه فدعاهم الىٰ اللّه وتلا عليهم القرآن فقال بعضهم لبعض يا قوم تعلمُوا واللّه أنّه

النّبي الذّي كان يوعدكم به اليهود فلا يسبقنّكم اليه أحد فأجابوه وقالوا له إنّا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشّر مثل ما بينهم وعسىٰ أن يجمع اللّه بينهم بك فتقدم عليهم وتدعوهم الىٰ أمرك وكانوا ستّة نفر قال فلمّا قدموا المدينة فأخبروا قومهم بالخبر فما دار حول إلّا وفيها حديث رسول اللّه ﷺ حتّىٰ إذا كان العام المُقبل أتىٰ الموسم من الأنصار إثنا عشر رجلاً فلقوا النّبى فبايعوه علىٰ بيعة النّساء أن لا يشركوا باللّه شيئاً ولا يسرقوا الىٰ آخرها ثمّ انصرفوا وبعث معها مُصعب بن عُمير يصّلي بهم وكان بينهم بالمدينة يُسّمىٰ المقرىٰ فلم تبق دارٌ في المدينة إلّا وفيها رجال ونساء مُسلمون إلّا دار أُميّة وحطيمة ووائل وهم من الأوس ثمّ عاد مُصعب الىٰ مكّة وخرج من خرج من الأنصار الىٰ الموسم مع حُجّاج قومهم فإجتمعوا في الشّعب عند العَقَبة ثلاث وسبعون رجلاً وإمرأتان في أيّام التّشريق باللّيل فقال ﷺ أبايعكم علىٰ الإسلام فقال له بعضهم نريد أن تُعرفنا يا رسول اللّه تاللّه علينا ومالك علينا ومالنا علىٰ اللّه قال ﷺ **أمّا لِلّه عليكم فأن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأمّا مالي عليكم فتنصرونني مثل نساءئكم وأبناؤكم وأن تصبروا علىٰ عَضّ السّيف وأن يقتل خياركم قالوا فإذا فعلنا ذلك مالنا علىٰ اللّه قال أمّا في الدّنيا فالظّهور علىٰ من عاداكم وفي الآخرة الرّضوان والجنّة** فأخذ البراء بن معرور بيده ثمّ قال:

والّذي بعثك بالحقّ لنمنّعك (لَنمنعك) كما نمنع أزرنا فبايَعنا رسول اللّه فنحن واللّه أهل الحروب وأهل الحلقة ورثناها كباراً عن كبار فقال أبو الهيثم أنّ بيننا وبين الرّجال حبالاً وإنّا وأن قطعناها أو قطعوها فهل عسيت أن فَعَلنا ذلك ثمّ أظهرك اللّه أن ترجع الىٰ قومك وتَدَعنا فتَبَسم رسول اللّه ثمّ قال **بل الدّم الدّم والهَدم الهَدم أُحارب من حاربتم وأُسالم من سالمتم ثمّ قال أخرجوا إلّي منكم أثني عشر نقيباً** فإختاروا ثمّ قال **أُبايعكم كبيعة عيسىٰ ابن مريم للحواريّين كُفلاء علىٰ قومهم بما فيهم وعلىٰ أن تَمنعُوني مِمّا تَمنَعون**

منه نساءكم وأبناءكم فبايعوه علىٰ ذلك فصَرخ الشَيطان في العَقبة يـا أهـل الجباجب هل لكم في محمّد والصّباة معه قد إجتمعوا علىٰ حَربكم ثـمّ نَـفر النّاس من منىٰ وفشىٰ الخبر فخرجوا في الطّلب فأدركوا سعد بن عبادة والمُنذر بن عمرو فأمّا المُنذر فأعجز القوم وأمّا سعد فأخذوه وربـطوه بـنَسع رحـله وأدخلوه مكّة يضربونه فَبلغ خبره الىٰ جُبير بن مطعم والحرث بن حرب بن أُمّية فأتياه وخلّصاه وكان النّبي لم يؤمر إلّا بالدّعاء والصّبر علىٰ الأذىٰ والصّفح عن الجاهل فطالت قُريش علىٰ المُسلمين فلمّا كثر عُتوّهم أُمِر بالهُجرة:

فقال ﷺ أنّ اللّه قد جعل لكم داراً وأُخواناً تأمنون بها فخرجـوا إرسـالاً حتّىٰ لم يبق مع النّبي إلّا علّي وأبو بكر فَحذّرت قُريش خروجه وعرفوا أنّه قد أجمع لحربهم فإجتمعوا في دار النّدوة وهي دار قُصّي بن كِلاب يتشاورُون في أمره فتّمثل إبليس في صورة شيخ من أهل نجد فـقال أنـا ذو رأي حـضرتُ لِمَوازرتكم فقال عُروة بن هشام فتربص به رَيب المنون وقال إبن الغـجري أخرجوه عنكم تستريحوا من أذاه وقال العاص بن وائل وأُميّة وأبي إبنا خلف نبني له علماً ونَترك فرجاً نستودعه فيه فلا يخلص من الصّباة اليه أحد وقال عُتبة وشيبة وأبو سفيان نَدخل بعيراً صعباً ونوثّق محمّداً عليه كتافاً وشدّاً ثمّ نَقطع البعير بأطراف الوُقاح فيوشك أن يقطّعه بين الدّكادك إرباً إرباً فقال أبو جهل أرىٰ لكم أن تعمدوا الىٰ قبائلكم العشر فَتندبُوا من كلّ قبيلة منها رُجلاً نجداً ويأتونه بياتاً فيذهب دمه في قبائل قُريش جميعاً فلا يستطيع بنو هاشم وبنوا المُطّلب مناهضة قُريش فيه فيرضون في العقل فقال أبو مُرّة أصبت يا أبا الحكم هذا الرّأي فلا نعدل به رأياً فنزل ﴿وإذ يمكر بك﴾ فجاء جبرائيل الىٰ النّبي فقال له لا تُبت هذه اللّيلة علىٰ فِراشك الّذي كُنت تَبيت عليه فدعا عـليّاً ﷺ وقال أنّ اللّه أوحىٰ إلّي أن أهجر دار قومي وأن أنطلق الىٰ غار ثـور أطـحل ليلتي وأنّه أمرَني أن آمرك بالمَبيت علىٰ مَضجعي وأن ألقي عـليك شـبهي فقال علّيٌ أَوَ تَسلم بِمَبيتي هناك فقال ﷺ نعم فَتَبسم علّي ضاحكاً وأهوىٰ

الىٰ الأرض ساجِداً فكان أوّل من سَجد لِللّه شُكراً وأوّل من وضع وجهه علىٰ الأرض شُكراً وأوّل من وضع وجهه علىٰ الأرض بعد سجدتَه.

فَلمّا رفع رأسه قال له أمضِ لِما أُمرت فداك سَمعي وبَصَري وسُويداء قلبي قال فأرقُد علىٰ فِراشي وأشمل بُرد الحضرمي ثمّ أنّي أخبُرك يا علّي أنّ اللّه تعالىٰ يمَتحن أوليائه علىٰ قدر إيمانهم ومنازلهم من دينه فأشّد النّاس بلاءً الأنبياء ثمّ الأمثل فالأمثل وقد إمتَحَنك يا بن أُمّ وإمتَحنني فيك بمثل ما إمتَحن به خليله إبراهيم والذّبيح إسماعيل فصبراً صَبراً فأنّ رحمة اللّه قريب من المُحسنين ثمّ ضَمه الىٰ صدره وإستتبع رسول اللّه أبا بكر وهند بن أبي هالة وعبد اللّه بن فهيرة ودليلهم أريقطة اللّيثي فأمرهم بمكان ذكره ولبث هو مع علّي يُوصيه ثمّ خرج في فَحمة العشاء والرّصد من قُريش قد أطافوا به ينتظرون إنتصاف اللّيل وكان ﷺ يقرأ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ (١) وكانت بيده قبضة تراب فرمىٰ بها في رؤوسهم ومضىٰ حتّىٰ انتهىٰ إليهم فمضُوا معه حتّىٰ وصلوا الىٰ الغار وإنصرف هند وعبد اللّه فهجم الكُفّار علىٰ علّي عليه السلام القصّة فركب في طلبه الصّعب والذّلول وأمهل حتّىٰ إذا أعتَم من اللّيلة القابلة إنطلق هو وهند حتّىٰ دخلا علىٰ النّبي في الغار فأمر النّبي بأداء أمانته حتّىٰ أدّىٰ الجميع فكان مقام رسول اللّه ﷺ فيه ثلاثاً ومَبيت علّي علىٰ فراشه أوّل ليلة ولمّا ورد المدينة نزل في بني عمرو بن عوف بقبا ترصّداً لعلّي وكتب اليه يأمره بالمَسير اليه علىٰ يدي أبي واقد اللّيثي متّهيأً لِلهُجرة وأمر ضُعفاء المؤمنين أن يتّسللوا أو يتّخففوا إذا جلا اللّيل بطن كلّ وادٍ وخرج علّي عليه السلام الىٰ ذي طوىٰ بالفواطم (فاطمة الزّهراء وفاطمة بنت أسد اللّه وفاطمة بنت حمزة عمّ النّبي مؤلف) وأيمن بن أُمّ أيمن مُولاة رسول اللّه وغير ذلك وأبو واقد يَسُوق الرّواحل فأعنَف بهم فقال عليه السلام أرفق بالنّسوة أبا واقد أنّهن من الضّعائف قال أنّي أخاف أن يدركنا الطّلب فقال عليه السلام أربع عليك أنّ النّبي قال لي يا علّي

١- يس ـ ٩

أنّهم لن يصلوا اليك من الآن إليك بأمرٍ تكرهه ثمّ جَعل علّيٌ يَسُوق بهنّ سَوقاً رَفيقاً ويرتجل:

وليس إلّا اللّـــه فـأرفع ظّـنكا يكـفيك ربّ النّـاس مـا أهـمّكا

فلمّا شارف ضَجنان (جبل قرب مكّة) أدركه الطّلب بثمانية فـوارس فأنـزل النّسوة وإستقبلهم مُنتضياً سيفه فأقبلوا عليه فقالوا أظَننت يا غـدّار أنّك نـاج بالنّسوة إرجع لا أبا لك قال ﷺ فأن لم أفعل أترجـعُون راغـمين ودَنُـوا مـن النّسوة فحال بينهم وبينها وقتل جناحاً وكان يشدّ علىٰ قومه شدّ الأسد علىٰ فريسته وهو يقول:

خـلّوا سـبيل الجـاهد المُـجاهد ألَست لا أعــبد غـير الواحـد

فإنتشروا عنه فسار ظاهراً قاهراً حتّىٰ نزل ضَجنان فتلوم بها قدر يومه وليلته ويروي أنّه لحق به نفر من المُستضعفين فصّلىٰ ليلته تلك والفواطم **﴿يَذْكُرُونَ اللّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَّ عَلىٰ جُنُوبِهِمْ﴾**(١) حتّىٰ طلع الفجر فصّلىٰ بهم صّلوٰة الفجر ثمّ سار لوجهه حتّىٰ قدم المدينة وقد نزل الوحي بما كـان مـن شأنـهم قـبل قدومهم **﴿اَلَّذينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِياماً﴾**(٢) الىٰ قوله الأنثىٰ، فالذّكر عـلّي والأُنـثىٰ فاطمة بعضكم من بعض يقول علّي من الفواطـم وهـنّ مـن عـلّي: **﴿فَالَّذينَ هاجَرُوا وَاُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ﴾**(٣) الىٰ قوله حسن الثـواب وقـال رسـول اللّـه ﷺ: **﴿اِنَّ اللهَ اشْتَرىٰ﴾**(٤) ثمّ قال يـا عـلّي أنت أوّل هـذه الأُمّـة إيـماناً بـاللّه ورسوله وأوّلهم هجرة الىٰ اللّه ورسوله وآخرهم عهداً بـرسوله لا يـحبك والّذي نفسي بيده إلّا مؤمن قد إمتَحَن اللّه قلبه بالإيمان ولا يبغضك إلّا مُنافق أو كافر انتهىٰ ما ذكره في المناقب «ج ١ ص ١٨١». وقد نـقلوها بـغير ذلك والأصُول واحدة:

روي عن ابن شهاب الزّهري أنّه قال كان بين ليلة العقبة الّتي بايعته الأنصار

١-آل عمران - ١٩١
٢-آل عمران - ١٩١
٣-آل عمران - ١٩٥
٤-توبة - ١١١

فيها وبين مُهاجرة الرّسول الىٰ المدينة ثلاثة أشهر وكانت البيعة في ذي الحجة وقدوم رسول اللّه الىٰ المدينة في شهر ربيع الأوّل لإثنتي عشرة ليلة خلت منه يوم الإثنين فلمّا ورد المدينة جاء النّساء والصّبيان فقُلن:

طَلَع البَدرعلينا من ثنيات الوداع

وَجب لشّكر علينا مادعا لِللّه داع

وقد روي أنّه ﷺ بقىٰ خمسة عشر يوماً لم يدخل المدينة فجاء أبو بكر وقال يا رسول اللّه تدخل المدينة فأنّ القوم مُتشوقون الىٰ نزولك عليهم فقال لا أريم من هذا المكان حتّىٰ تُوافي أخي علّي ﵇ وكان رسول اللّه قد بعث اليه أن أحمل العيال فقال أبو بكر ما أحسب علّياً يُوافي قال ﷺ بلىٰ ما أسرعه إن شاء اللّه فبقىٰ خمسة عشر يوماً فوافىٰ علّي ﵇ بعياله وبقىٰ رسول اللّه ﷺ بعد قدوم علّي يوماً أو يومين ثمّ ركب راحلته فإجتمعت اليه بنو عمرو وبن عوف فقالوا يا رسول اللّه أقم عندنا فإنّا أهل الجدّ والجَهد والحلفة والمنعة فقال فأنّها مأمورة وبلغ الأوس والخزرج وخرج رسول اللّه فَلبسوا السّلاح وأقبلوا يعدون حَوله وحَول ناقته لا يمّر بحّيٍ من أحياء الأنصار إلّا وَثبوا في وجهه وأخذوا بزمام ناقته وتطّلبواليه أن ينزلّ عليهم ورسول اللّه يقول خلّوا سبيلها فأنّها مأمورة حتّىٰ مرّ ببني سالم وكان خروج رسول اللّه من قبا يوم الجمعة فوافىٰ بني سالم عند زوال الشّمس فَعرضت له بنو سالم وقالوا هلّم يارسول اللّه الىٰ الجدّ والجِلد والحِلفة والمِنعة فبركت ناقته عند مسجدهم وقد كانوا بنوا مسجداً قبل قدوم رسول اللّه ونزل في مسجدهم وصّلىٰ بهم الظّهر وخطبهم وكان أوّل مسجدٍ خطب فيه رسول اللّه بالجمعة وصّلىٰ الىٰ بيت المقدس وكان الّذين صّلوا مَعه في ذلك الوقت مِائة رجل ثمّ ركب رسول اللّه ناقته فأرخىٰ زمامها فإنتهىٰ هي الىٰ عبد اللّه ابن أُبي فوقف عليه وهو يقدر أنّه يعرض عليه النّزول عنده فقال عبد اللّه بعد أن ثارت الغبرة وأخذ كمّه وَضعه علىٰ أنفه يا هذا إذهب الىٰ الّذين غرّوك وخدعوك وأتوا بك فأنزل عليهم ولا

تغشّنا في ديارنا فسّلط اللّه علىٰ دُور بني الحبلي الذّر فخرب دُورهم فصاروا نُزولاً علىٰ غيرهم وكان جدّ عبد اللّه ابن أُبّي يقال له إبن الحبلي فقام سعد إبن عبادة وقال يا رسول اللّه لا يعرض في قلبك من قول هذا شئ فإنّا كنّا إجتمعنا علىٰ أن نمّلكه علينا وهو يرىٰ الآن أنّك قد سلبته أمراً قد كان أشـرف عـليه فأنزل علّي يا رسول اللّه فأنه ليس في الخزرج ولا في الأوس أكثر فم بئرٍ منّي ونحن أهل الجلد والعِزّ فلا تجزنا يا رسول اللّه فأرخىٰ زمام ناقته ومرّت تخبّ به حتّىٰ إنتهت الىٰ باب المسجد الّذي هو اليوم ولم يكن مسجداً وأنّما كان مربد اليتيمين من الخزرج يّقال لهما سَهل وسُهيل وكانا في حجر أسعد بـن زرارة فبركت النّاقة علىٰ باب أبي أيّوب خالد بن يزيد فينزل عنها رسول اللّه ﷺ فلمّا نزل إجتمع عليه النّاس وسألوه أن ينزل عليهم فَوثب أُمّ أبي أيّوب الىٰ الرّحل فحلّته وأدخلته منزلها فلمّا أكثر وعليه قال رسول اللّه أين الرّحل فقالوا أُمّ أبي أيّوب قد أدخلته بيتها فقال ﷺ المرء مع رَحلَه وأخذ أسعد بن زرارة بزمام النّاقة فَحوّلها الىٰ منزله الحديث وقد نقلناه عن كتاب أعلام الوَرىٰ للطّبرسي ﵀« ص ٧٧ »وفي هجرته ﷺ قال حسان:

لقد خاب قومٌ زال عنهم نَبيّهم ... وقد سَرَّ من يسري اليه ويهتدي
أَتَرّحل عن قوم فزالت عقولهم ... وَحَـلّ عـلىٰ قومٍ بنورٍ مجدّد
هداٰيهم به بعدَ الضّلالة ربّهم ... وأرشدهم من يّتبع الحقّ يُرشد
نبّي يرىٰ ما لا يرىٰ النّاس حَوله ... ويتلو كتاب اللّه في كلّ مشهدِ

إذا عرفت هذا فإعلم أنّ قوله ﵇ فجعلت أتّبع مأخذ رسول اللّه ﷺ فأطأ ذكره حتّىٰ إنتهيت الىٰ العَرج مُشعر بأنّه كان تابعاً لرسول اللّه ﷺ في جميع أفعاله وقوله ﵇: **فأطاء ذكره**، معناه أنّي وأن كُنت بحسب الظّاهر غـائباً عـنه ﷺ ولكنّني في الواقع كنتُ حاضراً معه غير غافلٍ عنه ﷺ من بَدو خروجي الىٰ لحاقي به ومن المعلوم أنّ الحضور القـلبي والرّوحي أفـضل مـن حـضور الجسمي وفيه رّد علىٰ المخالفين حيث زعموا أنّ أبا بكر أفضل منه ﷺ لكونه

صاحب الغار ولم يعلموا أنّ المَصاحبة الواقعية بالعَمل لا بالجَسد وحيث أنّ أمير المؤمنين عليه السلام بات على فِراشه صلى الله عليه وآله ثمّ سار الى المدينة بأمره صلى الله عليه وآله فهو عليه السلام في الحقيقة كان مَعَه صلى الله عليه وآله ألا ترى أنّ الرّسول بقى في قُبا خمسة عشر يوماً ليلحق به أمير المؤمنين وهو دليل على شدّة الحضُور قلباً وهذا هو السّر في قوله فأطاء ذكره والحمد لِلّه ربّ العالمين.

ومن خطبةٍ له ﷺ (٢٣٥)

□ قوله ﷺ: فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفَسِ الْبَقَاءِ وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ وَالتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ وَالْمُدْبِرُ يُدْعَىٰ وَالْمُسِيءُ يُرْجَىٰ قَبْلَ أَنْ يَخْمُدَ الْعَمَلُ وَيَنْقَطِعَ الْمَهَلُ وَيَنْقَضِيَ الْأَجَلُ وَيُسَدَّ بَابُ التَّوْبَةِ وَتَصْعَدَ الْمَلَائِكَةُ.

فَأَخَذَ امْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ وَأَخَذَ مِنْ حَيٍّ لِمَيِّتٍ وَمَنْ فَانٍ لِبَاقٍ وَمَنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ امْرُؤٌ خَافَ اللّٰهَ وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَىٰ أَجَلِهِ وَمَنْظُورٌ إِلَىٰ عَمَلِهِ إِمْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِيَ اللّٰهِ وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَىٰ طَاعَةِ اللّٰهِ.

◁ اللّغة

(نَفَس) بفتح النّون والفاء السّعة (الصُّحُفُ) بضّم الصّاد والحاء جمع صَحيفة وهي الكتاب (يُحمَد) أي يُترك وينقطع (زَمَّهَا) أي قادها:

◁ المعنىٰ

(فَاعْمَلُوا) في الدّنيا (وَأَنْتُمْ) أي والحال أنتم (فِي نَفَسِ الْبَقَاءِ) وسَعته (وَالصُّحُفُ) وكُتب الأعمال (مَنْشُورَةٌ) مفتوحة لكتابة الصّالحات والسّيئات (وَالتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ) مقبولة (وَالْمُدْبِرُ) المُعرض عن الطّاعة (يُدْعَىٰ) اليها (وَالْمُسِيءُ يُرْجَىٰ) إحسانه (قَبْلَ أَنْ يَخْمُدَ الْعَمَلُ) وانقطع بحلول المَوت (وَيَنْقَطِعَ الْمَهَلُ) في الدّنيا (وَيَنْقَضِيَ الْأَجَلُ وَيُسَدَّ بَابُ التَّوْبَةِ وَتَصْعَدَ

الْمَلاَئِكَةُ) كلّ ذلك بسبب المَوت (**فَاَخَذَ**) أي فليأخذ (**امْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ**) لأنّ ماكسبته فلها (**وَاَخَذَ**) وليأخذ (**مِنْ حَيٍّ**) في الدّنيا (**لِمَيِّتٍ**) بعد المَوت (**وَمَنْ فَانٍ**) وهو الدّنيا (**لِبَاقٍ**) وهو الآخرة (**وَمَنْ ذَاهِبٍ لِدَائِم**) كذلك (**امْرُؤٌ خَافَ اللّهَ**) أي ولناجي من العذاب إمرؤٌ خاف اللّه (**وَهُوَ مُعَمَّرٌ**) أي له مُهلة (**اِلَىٰ اَجَلِهِ**) ومَوته (**وَمَنْظُورٌ اِلَىٰ عَمَلِهِ**) أي مُمَهلٌ من اللّه لا يأخذه بالعقاب (**اِمْرُؤٌ اَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا**) وهو التّقوىٰ (**وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا**) وترك متابعتها (**فَاَمْسَكَهَا**) أي النّفس (**بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِيَ اللّهِ**) فلا يرتكبها (**وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا**) وزمامها (**اِلَىٰ طَاعَةِ اللّهِ**) الّتي تُوجب النّجاة:

◁ الشّرح

▫ قوله ﷺ: **فَاعْمَلُوا وَاَنْتُمْ فِي نَفَسِ الْبَقَاءِ وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ وَالتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ وَالْمُدْبِرُ يُدْعَىٰ وَالْمُسِئُ يُرْجَىٰ...**

أي فاعملوا في الدّنيا لآخرتكم والحال أنتم في سِعة البقاء قبل ضيقه والمراد بِسعة البقاء أمّا الحياة في الدّنيا قبل المَوت وإمّا الصّحة قبل المَرض والجامع زمان يمكن له العَمَل فيه فأنّ الإنسان لا يكون قادراً علىٰ إتيان العَمَل في تمام حياته لوجود الموانع في بعض الأوقات، والمراد بالصّحف المنشُورة هو صحائف الأعمال الّتي ليست بمَسدُودة مادام كون الإنسان حيّاً ويمكن له الزّيادة والنّقص فيها ومعلوم أنّ هذا بعد المَوت محال إذ لا عَمَل هناك، وهكذا بالنّسبة الىٰ التّوبة فأنّ وقتها قبل المَوت وقوله والمُدبر يُدعىٰ، معناه أنّه يُدعىٰ الىٰ الخيرات بعد إعراضه عنها من اللّه و رسوله وقوله ﷺ: **والمُسيُ يُرجىٰ**، أي يُرجىٰ له التّوبة والرّجوع الىٰ الطّاعة وكلّ هذه الأمور أنّما يمكن تحصيلها في الدّنيا قبل حلول الأجل:

▫ قوله ﷺ: **قَبْلَ اَنْ يَخْمُدَ الْعَمَلُ وَيَنْقَطِعَ الْمَهَلُ وَيَنْقَضِيَ الْأَجَلُ وَيُسَدَّ بَابُ التَّوْبَةِ وَتَصْعَدَ الْمَلاَئِكَةُ...**

أي إعملوا في الدّنيا قبل أن لا تقدرو علىٰ العَمَل وقبل إنقطاع المُهلة وإنقضاء الأجل وسدّ باب التّوبة وصعُود الملائكة الكِرام الكاتبين لِلأعمال في الصّحائف وذلك لأنّ بعد تحّقق هذه الأمور لا يبقىٰ لِلإنسان إلّا النّدامة والحَسرة والخسران والوَحشة ولنعم ما قيل بالفارسيّة:

برخيز دلا كه وقت كاراست	جان را هوس وصال ياراست
تـرگشته بـچاه تـن گرفتار	چشم دو جهان در انتظار است
زايـن اسَفَل سافلين بُرون آى	جانت چه خريم آن نگار است
از هر دو جهان فراغتى هست	آنرا كه به بَزم وصل باراست

▫ **قوله ﷺ: فَاَخَذَ امْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ وَاَخَذَ مِنْ حَيٍّ لِمَيِّتٍ وَمَنْ فَانٍ لِبَاقٍ وَمَنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ...**

قوله ﷺ: **فَاَخَذَ** وهكذا قوله وأَخَذ فعل أمرٍ بصيغة الماضي أي فَليأخذ إمرؤٌ من نفسه لِنفسه الخ والمراد بالأخذ من النّفس للنّفس هو حثّ النّفس علىٰ الطّاعات وإتّصافها بالمَلَكات وتجنّبها عن الإنغماس في الشّهوات ورذائل الأخلاق لتصير متّخلقة بأخلاق اللّه وبالجُملة حثّها علىٰ العَمل الصّالح ومن المعلوم أنّ النّتيجة ترجع بالآخرة اليها في الدّنيا والآخرة لا الىٰ نفسٍ آخر كما قال اللّه تعالىٰ في كتابه:﴿وَ وُفِيَّتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّاعَمِلَتْ وَ هُوَاَعْلَمُ بِمَايَفْعَلُونَ﴾ (١)

و: ﴿اَلْيَوْمَ تُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ (٢).

و: ﴿وَلِتُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ وَهُمْ لايُظْلَمُونَ﴾ (٣)

و: ﴿يااَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَلتَنْظُرْ نَفْسٌ مَاقَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (٤)

و: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٥) وغيرها من الآيات الدّالة علىٰ أنّ النّفس تُجزىٰ بما كَسَبت وأمّا قوله ﷺ: وأَخَذ من حيٍّ لميّتٍ أي فَليأخذ من حيٍّ

١- الزّمر - ٧٠
٢- الغافر - ١٧
٣- الجاثية - ٢٢
٤- الحشر - ١٨
٥- المدّثر - ٣٨

لميّتٍ أي من حياته لِمماته فأنّ اليوم عَمل ولا حساب وغداً حساب ولا عَمَلّ وقوله من فانٍ لباقٍ، أي من الدّنيا الفانية الدّائرة لآخرته الباقية الدّائـمة ومـن ذاهبٍ لدائمٍ أي من النّعم الذّاهبة الىٰ الفناءِ والدّثور للنِعَم الباقية في الآخـرة ومحصّل الكلام هو إغتنام الفُرصة في حياته قبل مَوته:

□ **قوله ﷺ: امْرُؤٌ خَافَ اللّٰهَ وَهُوَ مُعَمَّرٌ اِلَىٰ اَجَلِهِ وَمَنْظُورٌ اِلىٰ عَمَلِهِ...**

أي هو إمرؤٌ فحُذف المبتدء وبقىٰ الخبر والمعنىٰ أنّ من أخَذ مـن نـفسه لِنفسه الخ فهو إمرؤٌ خاف اللّه تعالىٰ والحال أنّه مُعمَّرٌ في الدّنيا الىٰ حلول أجله ولا يكون باقياً فيها أبداً وأيضاً منظورٌ الى عَمَله وذلك لأنّ اللّه تعالىٰ هو النّاظر بأعمال العباد وفي هذا الكلام أشارﷺ الىٰ مقامين للعبد:

أحدهما مقام الخوف وثانيهما اليقظة وذلك لأنّ الخوف إذا لم يكن عـن يقظة لا أثر له والمراد بها التّوجه الىٰ أعماله وأنّه لا يخفىٰ علىٰ اللّه تعالىٰ منها شئ.

والىٰ الأوّل:

أشار اللّه تعالىٰ بقوله: ﴿**قُلْ اِنّي اَخَافُ اِنْ عَصَيْتُ رَبّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظيمٍ**﴾ (١)

و: ﴿**وَاَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنَ الْهَوىٰ، فَاِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوىٰ**﴾ (٢)

و: ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾ (٣)

و: ﴿**ذَالِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَ خَافَ وَعِيدِ**﴾ (۴).

والىٰ الثّاني:

أشار بقولهﷺ ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِى الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**﴾ (۵)

وقال بعض الشّراح من العامّة في قوله ﷺ ومنظور الىٰ عمَله ما لفظه

١- الانعام- ١۵
٢- النازعات- ۴٠
٣- الرّحمن- ۴۶
۴- ابراهيم- ١۴
۵- يونس- ١۴

ومنظور أي مُمّهل من اللّه لا يأخذه بالعقاب الىٰ أن يَعمل فيعفُوا عن تَقصيره ويُثيبه علىٰ عَمَله انتهىٰ.

□ قوله عليه السلام: **اِمْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِيَ اللَّهِ وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا اِلَىٰ طَاعَةِ اللَّهِ...**

أي من كان علىٰ ما وصفناه فهو إمرؤٌ لَجَّم نفسه بلجامها أي باللّجام المُناسب وهو التّقوىٰ وزَمَّها أي النّفس بزمامها المُناسب لها وهو المُحاسبة عليها ثمّ ذكر عليه السلام فائدة اللّجام والزّمام وقال فأَمسَكها أي النّفس بلجامها عن معاصي اللّه وهذا هو فائدة اللّجام كما ترىٰ في الحيوان الملّجم باللّجام أنّه لا يقدر علىٰ أكل شيئ ولا الىٰ مشي طريق علىٰ خلاف إرادة صاحبه وقادها أي النّفس بزمامها الىٰ طاعة اللّه وفعل الخَيرات شبّه عليه السلام النّفس بالحَيوان وأَثبَت لها لِجاماً وزماماً تَخييلاً فبالأوّل لا تعصي وبالثّاني تطيع ولا شكّ أنّ الوصول الىٰ الكمال في ترك السّيئات وفَعل الخَيرات:

فقد روي في مشكاة الأنوار عن علّي ابن الحَسين قال عليه السلام حقّ نَفسك عليك أن تَستعملها بطاعة اللّه انتهىٰ« ص ٢٤٦»...

وعنه عليه السلام أنّه قال يابن آدم أنّك لا تزال بخير مادام لك واعظ من نَفسك وما كانت المُحاسبة من همّك وماكان الخوف لك شعاراً والحُزن دثاراً يابن آدم أنّك ميّت ومَبعُوث وموقوف بين يدي اللّه عزّ وجلّ ومسئول فأعدّ له جواباً انتهىٰ« ص ٢٤٦»...

وقال الرّضا عليه السلام ليس منّا من لم يُحاسب نفسه في كلّ يوم فأن عَمل حسناً إستزاد اللّه منه وأن عَمل سيئاً إستغفر اللّه منه وتاب اليه انتهىٰ «ص ٢٤٧»...

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال عليه السلام النّفس مجبولة علىٰ سوء الأدب والعبد مأمور بمُلازمة حُسن الأدب والنّفس تَجري في ميدان المُخالفة والعبد يَجهد برّدها عن سوء المُطالبة فمتىٰ أطلق عنانها شريك في فسادها ومن أعان

لميّتٍ أي من حياته لِمماته فأنّ اليوم عَمل ولا حساب وغداً حساب ولا عَمَلٌ وقوله من فانٍ لباقٍ، أي من الدّنيا الفانية الدّاثرة لآخرته الباقية الدّائمة ومن ذاهبٍ لدائمٍ أي من النّعم الذّاهبة الىٰ الفناءِ والدّثور للنِعّم الباقية في الآخرة ومحصّل الكلام هو إغتنام الفُرصة في حياته قبل مَوته:

□ **قوله ﷺ: امْرُؤٌ خَافَ اللّهَ وَهُوَ مُعَمَّرٌ اِلَىٰ اَجَلِهِ وَمَنْظُورٌ اِلىٰ عَمَلِهِ...**

أي هو إمرؤٌ فحُذف المبتدء وبقىٰ الخبر والمعنىٰ أنّ من أخَذ من نفسه لِنفسه الخ فهو إمرؤٌ خاف اللّه تعالىٰ والحال أنّه مُعمّرٌ في الدّنيا الىٰ حلول أجله ولا يكون باقياً فيها أبداً وأيضاً منظورٌ الىٰ عَمَله وذلك لأنّ اللّه تعالىٰ هو النّاظر بأعمال العباد وفي هذا الكلام أشار ﷺ الىٰ مقامين للعبد:

أحدهما مقام الخوف وثانيهما اليقظة وذلك لأنّ الخوف إذا لم يكن عن يقظة لا أثر له والمراد بها التّوجه الىٰ أعماله وأنّه لا يخفىٰ علىٰ اللّه تعالىٰ منها شيئ.

والىٰ الأوّل:

أشار اللّه تعالىٰ بقوله: **﴿قُلْ اِنّي اَخافُ اِنْ عَصَيْتُ رَبّي عَذابَ يَوْمٍ عَظيمٍ﴾** (١)

و: **﴿وَاَمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنَ الْهَوىٰ، فَاِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوىٰ﴾** (٢)

و: **﴿وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ﴾** (٣)

و: **﴿ذالِكَ لِمَنْ خافَ مَقامِي وَ خافَ وَعِيدِ﴾** (٤).

والىٰ الثّاني:

أشار بقوله ﷻ **﴿ ثُمَّ جَعَلْناكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾** (٥)

وقال بعض الشّراح من العامّة في قوله ﷺ ومنظور الىٰ عمَله ما لفظه

١- الانعام ـ ١٥
٢- النازعات- ٤٠
٣- الرّحمن ـ ٤٦
٤- ابراهيم ـ ١٤
٥- يونس ـ ١٤

ومنظور أي مُمّهل من اللّه لا يأخذه بالعقاب الىٰ أن يَعمل فيعفُوا عن تَقصيره ويُثيبه علىٰ عَمَله انتهىٰ.

□ قوله عليه السلام: **اِمْرُؤٌ اَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا فَاَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِيَ اللّٰهِ وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا اِلَىٰ طَاعَةِ اللّٰهِ...**

أي من كان علىٰ ما وصفناه فهو إمرؤٌ لَجَّم نفسه بلجامها أي باللّجام المُناسب وهو التّقوىٰ وزَمَّها أي النّفس بزمامها المُناسب لها وهو المُحاسبة عليها ثمّ ذكر عليه السلام فائدة اللّجام والزّمام وقال فأمسَكها أي النّفس بلجامها عن معاصي اللّه وهذا هو فائدة اللّجام كما ترىٰ في الحيوان الملّجم باللّجام أنّه لا يقدر علىٰ أكل شيئ ولا الىٰ مشي طريق علىٰ خلاف إرادة صاحبه وقادها أي النّفس بزمامها الىٰ طاعة اللّه وفعل الخَيرات شبّه عليه السلام النّفس بالحَيوان وأثبَت لها لِجاماً وزماماً تَخييلاً فبالأوّل لا تعصي وبالثّاني تطيع ولا شكّ أنّ الوصول الىٰ الكمال في ترك السّيئات وفَعل الخَيرات:

فقد روي في مشكاة الأنوار عن علّي ابن الحسين قال عليه السلام حقّ نَفسك عليك أن تَستعملها بطاعة اللّه انتهىٰ« ص ٢۴۶»...

وعنه عليه السلام أنّه قال يابن آدم أنّك لا تزال بخير مادام لك واعظ من نَفسك وما كانت المُحاسبة من همّك وماكان الخوف لك شعاراً والحُزن دثاراً يابن آدم أنّك ميّت ومَبعُوث وموقوف بين يدي اللّه عزّ وجلّ ومسئول فأعدّ له جواباً انتهىٰ« ص ٢۴۶»...

وقال الرّضا عليه السلام ليس منّا من لم يُحاسب نفسه في كلّ يومٍ فأن عَمل حسناً إستزاد اللّه منه وأن عَمل سيئاً إستغفر اللّه منه وتاب اليه انتهىٰ «ص ٢۴٧»...

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال عليه السلام النّفس مجبولة علىٰ سوء الأدب والعبد مأمور بمُلازمة حُسن الأدب والنّفس تَجري في ميدان المُخالفة والعبد يَجهد برّدها عن سوء المُطالبة فمتىٰ أطلق عنانها شريك في فسادها ومن أعان

نفسه في هوىٰ نفسه فقد أشرك نفسه في قتل نفسه انتهىٰ» ص ٢٤٧»...

أقول: وقد مرّ الكلام غير مرّة في النّفس ومضّارها ووجوب المُحافظة عليها تفصيلاً:

ومن كلام له عليه السلام (٢٣٦)

في شأن الحكَمين وذمّ أهل الشام

□ قوله عليه السلام: جُفَاةٌ طَغَامٌ عَبِيدٌ اَقْزَامٌ جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَتُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ مِمَّنْ يَنْبَغِي اَنْ يُفَقَّهَ وَ يُؤَدَّبَ وَيُعَلَّمَ وَيُدَرَّب وَيُوَلَّى عَلَيْهِ وَيُؤْخَذَ عَلَىٰ يَدَيْهِ لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَلاَ مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ.

اَلاَ وَاِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ اَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا يُحِبُّونَ وَاِنَّكُمْ اَخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ اَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ وَاِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ اللّٰهِ بْنِ قَيْسٍ بِالأَمْسِ يَقُولُ اِنَّهَا فِتْنَةٌ فَقَطِّعُوا اَوْتَارَكُمْ وَشِيمُوا سُيُوفَكُمْ، فَاِنْ كَانَ صَادِقاً فَقَدْ اَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ وَاِنْ كَانَ كَاذِباً فَقَدْ لَزِمَتْهُ التُّهَمَةُ فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِعَبْدِ اللّٰهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَخُذُوا مَهَلَ الأَيَّامِ وَحُوطُوا قَوَاصِيَ الإِسْلاَمِ اَلا تَرَوْنَ اِلَىٰ بِلاَدِكُمْ تُغْزَىٰ وَاِلَىٰ صَفَاتِكُمْ تُرْمَىٰ؟

◁ اللّغة

(الجُفاة) بضّم الجيم جمع جافٍ أي غليظٌ فظٌ (الطّغام) كسحاب أوغاد النّاس وأشرارهم وهي للواحد والجمع (اَقْزَامٌ) جمع قَزَم بالتّحريك وهو الرّذل (أَوْبٍ) بفتح الألف وسكون الواو والباء النّاصية (شَوْبٍ) بفتح الشّين الخلط (تَبوّؤا الدّار) أي نزلوا المدينة (شِيمُوا) أي أغمدوا (قَوَاصِيَ) جمع قاصية وهي الطّرف والقواصي الأطراف (صَفاة) بفتح الصّاد صفواة جمع صفاة الحجر الصّلد.

نفسه في هوىٰ نفسه فقد أشرك نفسه في قتل نفسه انتهىٰ« ص ٢٤٧»...

أقول: وقد مرّ الكلام غير مرّة في النّفس ومضّارها ووجوب المُحافظة عليها تفصيلاً:

ومن كلام له عليه السلام (٢٣٦)
في شأن الحكَمين وذمّ أهل الشام

□ قوله عليه السلام: جُفَاةٌ طَغَامٌ عَبِيدٌ اَقْزَامٌ جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَتُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ مِمَّنْ يَنْبَغِي اَنْ يُفَقَّهَ وَ يُؤَدَّبَ وَيُعَلَّمَ وَيُدَرَّب وَيُوَلَّى عَلَيْهِ وَيُؤْخَذَ عَلَىٰ يَدَيْهِ لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَلاَ مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْايمَانَ.

اَلاَ وَاِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ اَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا يُحِبُّونَ وَاِنَّكُمْ اَخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ اَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ وَاِنَّمَا عَهْدَكُمْ بِعَبْدِ اللّٰهِ بْنِ قَيْسٍ بِالْأَمْسِ يَقُولُ اِنَّهَا فِتْنَةٌ فَقَطِّعُوا اَوْتَارَكُمْ وَشِيمُوا سُيُوفَكُمْ، فَاِنْ كَانَ صَادِقاً فَقَدْ اَخْطَاَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ وَاِنْ كَانَ كَاذِباً فَقَدْ لَزِمَتْهُ التُّهَمَةُ فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِعَبْدِ اللّٰهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَخُذُوا مَهَلَ الْأَيَّامِ وَحُوطُوا قَوَاصِيَ الْإِسْلاَمِ اَلا تَرَوْنَ اِلَىٰ بِلاَدِكُمْ تُغْزَىٰ وَاِلَىٰ صَفَاتِكُمْ تُرْمَىٰ؟

◁ اللّغة

(الجُفاة) بضّم الجيم جمع جافّ أي غَليظٌ فَظّ (الطّغام) كسحاب أوغاد النّاس وأشرارهم وهي للواحد والجمع (اَقْزَامٌ) جمع قَزَم بالتّحريك وهو الرّذل (أَوْبٍ) بفتح الألف وسكون الواو والباء النّاصية (شَوْبٍ) بفتح الشّين الخلط (تَبوّؤوا الدّار) أي نزلوا المدينة (شِيمُوا) أي أغمدُوا (قَوَاصِيَ) جمع قاصية وهي الطَرَف والقواصي الأطراف (صَفاة) بفتح الصّاد صفراة جمع صفاة الحجر الصّلد.

◁ المعنىٰ

(جُفَاةٌ طَغَامٌ) أي أنّ أهل الشّام من أصحاب معاوية متّصفون بالغِلظة والرّذالة (عَبِيدٌ اَقْزَامٌ) رَدِي الأخلاق سَيئ الأعمال (جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ) وناحية (وَتُلُقِّطُوا) وإلتقطوا، (مِنْ كُلِّ شَوْبٍ) وخَلِط وهو كناية عن كونهم غير صحيحي النّسب (مِمَّنْ يَنْبَغِي اَنْ يُفَقَّهَ) في الدّين (وَ يُؤَدَّبَ) في الأخلاق والأعمال (وَيُعَلَّمَ وَيُدَّرب) في الأحكام الشّرعية (وَيُوَلَّى عَلَيْهِ) السّفاهة (وَيُؤْخَذَ عَلَىٰ يَدَيْهِ) لعدم أمانته (لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَلاَ مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالايمَانَ) أي ولا من الّذين نزلوا المدينة كالأنصار الأوّلين (اَلاَ وَاِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ اَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا يُحِبُّونَ) أي أنّ أهل الشّام إختاروا لأنفسهم أقرب النّاس اليهم وهو ابن العاص (وَاِنَّكُمْ اَخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ اَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ) وهو أبو موسىٰ الأشعري (وَاِنَّمَا عَهْدَكُمْ) في أمر الحكومة (بِعَبْدِ اللّٰهِ بْنِ قَيْسٍ) وهو أبو موسىٰ الأشعري (بِالْأَمْسِ يَقُولُ) في الكوفة قبل فراره الىٰ مكّة المكّرمة (اِنَّهَا فِتْنَةٌ فَقَطِّعُوا اَوْتَارَكُمْ وَشِيمُوا) وأغمدوا (سُيُوفَكُمْ) فلا تَنصَروا عليّاً (فَاِنْ كَانَ صَادِقاً) في قوله (فَقَدْ اَخْطَاَ بِمَسِيرِهِ) الىٰ الحكّمية (غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ) أي والحال أنّه لم يكن مُستكرهاً عليه (وَاِنْ كَانَ كَاذِباً) في قوله (فَقَدْ لَزِمَتْهُ التُّهَمَةُ) أعني تُهمة النّفاق (فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِعَبْدِ اللّٰهِ بْنِ عَبَّاسٍ) فأنّه أَليق بهذا الأمر من غيره (وَخُذُوا مَهَلَ الْأَيَّامِ) وإغتنموها (وَحُوطُوا قَوَاصِيَ الإِسْلاَمِ) وأطرافه (اَلاَ تَرَوْنَ اِلَىٰ بِلاَدِكُمْ تُغْزَىٰ وَاِلَىٰ صَفَاتِكُمْ تُرْمَىٰ) أي ألا تَرون أنّ بلادكم صَارت مستّعدة للتّهاجُم وطمع العدّو فيها:

◁ الشّرح

أنّ هذه الخُطبة قد صدرت عنه ﷺ في شأن الحَكَمين وهما أبو موسىٰ الأشعري وعمرو بن العاص وذمّ أهل الشّام الّذين نصروا معاوية ودخلوا في

حزب الشّيطان لتّعصبهم وجهلهم وضلالتهم فقال ﷺ:

▫ **قوله ﷺ: جُفَاةٌ طَغَامٌ عَبِيدٌ أَقْزَامٌ جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَتُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ...**

وهذه كلّها أوصاف أهل الشّام أنّهم جُفاة أي متّصفون بالجَفوَة والغِلظة وقساوة القَلب وثانيها أنّهم طَغام أي أنّهم أوغاد النّاس وأراذلهم وأشرارهم وذلك لبُعدهم عن الآداب والأخلاق الإنسانية فضلاً عن الإسلامية وثالثها أنّهم عبيد لمعاوية فكأنّه لا إرادة لهم فأنّ العبد وما في يده كان لمولاه هذا أن أردنا معناه المُصطَلح ويمكن أن يُراد بكونهم عبيداً له معناه الواقعي أعني العبودية وعليه فالمعنىٰ أنّهم يعبدون معاوية ولا يعبدون اللّه واقعاً وأن كانوا ظاهراً من المُسلمين وقال بعض الشّارحين من المصّريين العبيد كناية عن رديْ الأخلاق، وليس بشيْ إذ لا دليل علىٰ أنّ العَبد يكون كذلك فأنّ منهم من يكون كذلك ومنهم من لا يكون كذلك كغيرهم من النّاس ولا فرق من هذه الجهة بينهم وبين غيرهم فالأمر يدور بين المَعنيين اللّذين ذكرناهما، وثالثها أنّهم أقزام، والأقزام جمع القَزَم مُحّركة وهو الدّناءة والمعنىٰ أنّهم كانوا مُتّصفين بها والدّليل عليه إختيارهم للإمامة والحكومة أخسّ النّاس وأدناهم وأَخبَثَهم وهو معاوية ومن لا يكون دَنياً لا يتبع دَنياً ورابعها خَلط أنسابهم فلا يُعلم مَن هم وذلك لأنّهم جُمّعوا من كلّ ناحيةٍ من نواحي البلدان وتُلُقّطوا من كلّ قبيلة وغير قبيلة، والحاصل أنّهم مِمّن لا يُعبأ بهم في الإسلام بل ولا يُنظر اليهم إلّا في صورة الإنسان ومن كان كذلك لا يُتوقع منه الخَير والصّلاح ولأجل هذا قال ﷺ:

▫ **قوله ﷺ: مِمَّنْ يَنْبَغِي اَنْ يُفَقَّهَ وَ يُؤَدَّبَ وَيُعَلَّمَ وَيُدَرَّب وَيُوَلَّى عَلَيْهِ وَيُؤْخَذَ عَلَىٰ يَدَيْهِ...**

أي أنّه ينبغي أن يُفقّه أوّلاً في دينه لقوله تعالىٰ: **﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾**[1] ولقوله ﷺ **تفقهوا في الدّين فأنّ من لم يتفقه منكم في**

١-توبه ـ ١٢٢

الدّين فهو إعرابي، وقوله ﷺ الكمال كلّ الكمال التّفقه في الدّين وتقدير المعشية والصّبر على النّائبة وأمثال ذلك من الأحاديث الواردة في الباب ويُؤدّب بالآداب الشّرعية ثانياً فأنّ مُجرد التّفقه لا يكفي إذا لم يكن هناك آداب الدّين، ويُعلّم الأحكام ثالثاً ليعلم أنّ معاوية وأمثاله لا يصلح لِلإمامة المُفترض طاعته يجب أن يكون معصوماً متّصنعاً بالأوصاف الصّالحة، ويُدّرب ويُجرّب رابعاً فأنّ التّجربة في الأمور مقدّم على العلم بها لكون العلم من المعقولات والتّجربة من المَحسُوسات والمَحسُوس مقدّم على المعقول ويُولّي عليه خامساً، ولعلّ المراد به جعله ولاية الإمام وتفهيمه الولاية وفضلها، ويُؤخذ على يَدَيه، لعدم أمانته أو المراد أنّه لجهله وسفاهته ينبغي أَخذ يَده كالأعمى الّذي يأخذ بيده البصير بل أنّ الأعمى في دينه أحوج الى غيره من الأعمى في بَصره.

وفيما ذكره ﷺ من الأمور المذكورة إشارة الى أنّ أهل الشّام الّذين إجتمعوا حَول معاوية وحالهم كذلك لا تَفّقه لهم ولا أَدَب ولا تَجربة ولا علم ولا معرفة لهم بالولّي ولا يُوجد من يُربّيهم ومن المعلوم أنّ الإنسان إذ فُقدت هذه الأوصاف فيه فهو وَحشّي في الحقيقة كالحَيوان بل أضّل منه:

□ **قوله ﷺ: لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَلاَ مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ...**

أي أنّهم ليسوا من المُهاجرين الّذين هاجروا من مكّة الى المدينة مع النّبي ﷺ ولا من الأنصار الّذين نَصروا النّبي بعد نزوله المدينة ولا من الّذين تَبوُّوا والدّار أي نَزلوا المَدينة لمعرفة الرّسول وأصحابه وماذكره ﷺ صحيحٌ لأنّ الشّام قد إستولى عليه المُسلمون وفَتحوه بعد مَوت الرّسول في خلافة أبي بكر وأمّر عليه يزيد بن أبي سفيان أوّلاً ومعاوية بعد موته ثانياً فهم لم يعرفوا من الإسلام إلّا ما عَلّمهم يزيد ومعاوية ولا من الأصحاب إلّا آل أبي سفيان وابن العاص ولم يدخلوا المدينة لا في عهد الرّسول ولا بعده ليعرفوا أصحابه وأهل بيته فهم كأعراب البَوادي الّذين لا يَعلمون الحّر من البّر الّذين قال اللّه فيهم

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً﴾[1]

وملخص الكلام من صَدر الخطبة الىٰ هُنا هو أنكم لا تتوقعوا من أهل الشّام ونظرائهم أن يعملوا بالإسلام ويقتدوا بالإمام ويأخذوا بالكتاب والسُنّة ويتركوا الشّيطان وأوليائه وذلك لكونهم من المُسلمين إسماً لا واقعاً فحقّ الكلام فيهم أن يُقال أنّهم لم يؤمنوا باللّه ولا برسوله بل آمنوا بآل أبي سفيان وآل العاص وتَدّينُوا بدينهم وهو دين الشّيطان وأخذوا منهم أحكام دينهم وتأدّبوا بآدابهم فَينبغي لهم أن يُسلموا من الآن ليصّح إطلاق المُسلِم عليهم حقّاً ثمّ يُنتظر منهم العَمَل بأحكامه:

▫ **قوله ﷺ: وَالْايمَانَ اَلاَ وَاِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ اَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا يُحِبُّونَ وَاِنَّكُمْ اَخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ اَقْرَبَ الْقَوْمَ مِمَّا تَكْرَهُونَ...**

بعد ما وَصَف ﷺ أهل الشّام بما وَصَف من كونهم جُفاة طَغام عبيدٌ أقزام الىٰ آخر ما قال ونَبَّ أصحابه الّذين كانوا بزعمهم من المُسلمين بل المؤمنين حقّاً وفيهم المُهاجرين والأنصار والّذين يَتَبؤوا الدّار وقال لهم ألا وأنّ القوم أي أهل الشّام مع حماقتهم وسفاهتهم وضلالتهم إختاروا لأنفسهم في قصّة الحكومة أقرب القوم ممّا يحبّون وهو عمرو بن العاص لكونه قريباً لهم في المَسلَك والمَذهَب وأمّا أنتم فقد إخترتم لأنفسكم من كان أقرب اليكم كراهةً وهو أبو موسىٰ الأشعري فما سَلَك به أهل الشّام مع جهلهم كان أحسن ممّا سَلَكتم اليه مع معرفتكم وعِلمكم وذلك لأنّهم اختاروا رجلاً لا تُحبّونه وهذا غريب جدّاً.

▫ **قوله ﷺ: وَاِنَّمَا عَهْدَكُمْ بِعَبْدِ اللّٰهِ بْنِ قَيْسٍ بِالْأَمْسِ يَقُولُ اِنَّهَا فِتْنَةٌ فَقَطِّعُوا اَوْتَارَكُمْ وَشِيمُوا سُيُوفَكُمْ...**

كأنّه قيل له ﷺ وأيّ إشكالٍ في إختيارنا أبا موسىٰ الأشعري في قصّة الحكُومة فقال ﷺ في الجواب وأنّما عَهدكم بعبد اللّه بن قيس المراد به أبو

1-التّوبه - ٩٧

الدّين فهو إعرابي، وقوله ﷺ الكمال كلّ الكمال التّفقه في الدّين وتقدير المعشية والصّبر علىٰ النّائبة وأمثال ذلك من الأحاديث الواردة في الباب ويُؤدّب بالآداب الشّرعية ثانياً فأنّ مُجرد التّفقه لا يكفي إذا لم يكن هناك آداب الدّين، ويُعلّم الأحكام ثالثاً ليعلم أنّ معاوية وأمثاله لا يصلح لِلإمامة المُفترض طاعته يجب أن يكون معصوماً متّصنعاً بالأوصاف الصّالحة، ويُدّرب ويُجرّب رابعاً فأنّ التّجربة في الأمور مقدّم علىٰ العلم بها لكون العلم من المعقولات والتّجربة من المَحسُوسات والمَحسُوس مقدّم علىٰ المعقول ويُولّي عليه خامساً، ولعلّ المراد به جعله ولاية الإمام وتفهيمه الولاية وفضلها، ويُؤخذ علىٰ يَدَيه، لعدم أمانته أو المراد أنّه لجهله وسفاهته ينبغي أَخذ يَده كالأعمىٰ الّذي يأخذ بيده البصير بل أنّ الأعمىٰ في دينه أحوج الىٰ غيره من الأعمىٰ في بَصره.

وفيما ذكره ﷺ من الأمور المذكورة إشارة الىٰ أنّ أهل الشّام الّذين إجتمعوا حَول معاوية وحالهم كذلك لا تَفقّه لهم ولا أَدَب ولا تَجربة ولا علم ولا معرفة لهم بالولّي ولا يُوجد من يُربّيهم ومن المعلوم أنّ الإنسان إذ فُقدت هذه الأوصاف فيه فهو وَحشّي في الحقيقة كالحَيوان بل أضّل منه:

□ **قوله ﷺ: لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَلاَ مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ...**

أي أنّهم ليسوا من المُهاجرين الّذين هاجروا من مكّة الىٰ المدينة مع النّبي ﷺ ولا من الأنصار الّذين نَصروا النّبي بعد نزوله المدينة ولا من الّذين تَبوّوا والدّار أي نَزلوا المَدينة لمعرفة الرّسول وأصحابه وماذكره ﷺ صحيحٌ لأنّ الشّام قد إستولىٰ عليه المُسلمون وفَتحوه بعد مَوت الرّسول في خلافة أبي بكر وأَمّر عليه يزيد بن أبي سفيان أوّلاً ومعاوية بعد موته ثانياً فهم لم يعرفوا من الإسلام إلّا ما عَلّمهم يزيد ومعاوية ولا من الأصحاب إلّا آل أبي سفيان وابن العاص ولم يدخلوا المدينة لا في عهد الرّسول ولا بعده ليعرفوا أصحابه وأهل بيته فهم كأعراب البَوادي الّذين لا يَعلمون الحّر من البّر الّذين قال اللّه فيهم

﴿اَلْاَعْرَابُ اَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً﴾ (١)

وملّخص الكلام من صَدر الخطبة الىٰ هُنا هو أنّكم لا تتّوقعوا من أهل الشّام ونظرائهم أن يعملوا بالإسلام ويَقتدوا بالإمام ويأخذوا بالكتاب والسُنّة ويتركوا الشّيطان وأوليائه وذلك لكونهم من المُسلمين إسماً لا واقعاً فحقّ الكلام فيهم أن يُقال أنّهم لم يؤمنوا باللّه ولا برسوله بل آمنوا بآل أبي سفيان وآل العاص وتَدّينُوا بدينهم وهو دين الشّيطان وأخذوا منهم أحكام دينهم وتأدّبوا بآدابهم فَينبغي لهم أن يُسلموا من الآن ليصّح إطلاق المُسلِم عليهم حقّاً ثمّ يُنتظر منهم العَمَل بأحكامه:

▫ **قوله ﷺ: وَالْاِيمَانَ اَلاَ وَاِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ اَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا يُحِبُّونَ وَاِنَّكُمْ اَخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ اَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ...**

بعد ما وَصَف ﷺ أهل الشّام بما وَصَف من كونهم جُفاة طَغام عبيدٌ أقزام الىٰ آخر ما قال ونَجّ أصحابه الّذين كانوا بزعمهم من المُسلمين بل المؤمنين حقّاً وفيهم المُهاجرين والأنصار والّذين يَتَبؤوا الدّار وقال لهم ألا وأنّ القوم أي أهل الشّام مع حماقتهم وسفاهتهم وضلالتهم إختاروا لأنفسهم في قصّة الحكومة أقرب القوم ممّا يحبّون وهو عمرو بن العاص لكونه قريباً لهم في المَسلَك والمَذهَب وأمّا أنتم فقد إخترتم لأنفسكم من كان أقرب اليكم كراهةً وهو أبو موسىٰ الأشعري فما سَلَك به أهل الشّام مع جهلهم كان أحسن ممّا سَلَكتم اليه مع معرفتكم وعِلمكم وذلك لأنّهم اختاروا رجلاً لا تُحبّونه وهذا غريب جدّاً.

▫ **قوله ﷺ: وَاِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ اللّهِ بْنِ قَيْسٍ بِالْأَمْسِ يَقُولُ اِنَّهَا فِتْنَةٌ فَقَطِّعُوا اَوْتَارَكُمْ وَشِيمُوا سُيُوفَكُمْ...**

كأنّه قيل له ﷺ وأيّ إشكالٍ في إختيارنا أبا موسىٰ الأشعري في قصّة الحكُومة فقال ﷺ في الجواب وأنّما عَهدكم بعبد اللّه بن قيس المراد به أبو

١ ـ التّوبه ـ ٩٧

موسىٰ وذلك لأنّ إسم أبي موسىٰ كان عبد اللّه وإسم أبيه قيس وكنيته أبو موسىٰ، قوله بالأَمس إشارة الىٰ مامَضىٰ من الزّمان حيث قال أبو موسىٰ أنّها أي الخلافة أو حربِ الجَمَل فِتنة فقطّعوا أوتاركم وشيموا أي أغمدوا سيوفكم فيها والحاصل أنّها فِتنة فلا تَدخلوها ونحن نذكر لك إجمال القصّة بعد الفراغ من شرح كلماته عليه السلام.

□ قوله عليه السلام: **فَإنْ كَانَ صَادِقاً فَقَدْ اَخْطَاَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ وَاِنْ كَانَ كَاذِباً فَقَدْ لَزِمَتْهُ التُّهَمَةُ...**

أي ما قاله أبو موسىٰ (أنّها فتنة الخ) لا يخلو من وجهين الصّدق والكذب لعدم الواسطة بينهما فأن كان كلامه صدقاً فهو صادق فيه وأن كان كذباً فهو كاذب فيه وقد عرّفنا الصّدق والكذب غير مرّةٍ وأنّ الصّدق هو المطابق للواقع والكذب عدمه ثمّ قال عليه السلام أن كان أبو مُوسىٰ صادقاً في قوله هذا فقد أخطأ بمسيره الىٰ دَومة الجندل لأنّه من الدّخول في الفِتنة مع أنّه في قبوله الحكُومة ومَسيره الىٰ دومة الجندل غير مستكرهٍ اذ لو كان مُستكرهاً فكان معذوراً، وأمّا أن كان كاذباً في قوله كما هو كذلك فقد لزمته التّهمة أي أنّه علىٰ هذا مُتّهمٌ في دينه إذ المُسلم لا يمنع المُسلم عن الجهاد في سبيل اللّه والقتال مع أعداءه وهو أي أبو مُوسىٰ منع أهل الكوفة منه وكيف كان فَمن إخترتموه لأنفسكم من المُنافقين الكاذبين ومن كان كذلك لا يصلح لأن يكون حَكَماً في هذا المقام:

□ قوله عليه السلام: **فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِعَبْدِ اللّٰهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَخُذُوا مَهَلَ الْأَيَّامِ وَحُوطُوا قَوَاصِيَ الْإِسْلَامِ...**

أي إجعلوا عبد اللّه إبن عبّاس حَكَماً فأنّه كالسّهم في صدر عمرو بن العاص وخذوا مَهَل الأيّام أي إغتنموا الفُرصة ولا تُضيعوها ولا تغفلوا عنها فأنّ القضّية مُهمّة والمُسامحة والإهمال فيها تُوجب تضييع حقُوقكم وحقُوق المُسلمين بعدكم الىٰ يوم القيٰمة فأنّ الخلافة وأن خَرَجت بعد النّبي عن محورها الأصلي إلّا أنّها عادت اليه بعد قتل عثمان فلو خَرَجت مرّةً ثانية فعلىٰ

الإسلام السّلام فلا تعدّو أمر الحكومة بين الطّائفتين سَهلاً يسيراً إذ فيه إحياء الحقّ كلّه أو إماتة الحقّ كذلك ومفتاح هذا الأمر بيد الحَكَمين ولذلك قال ﷺ وحوطُوا قواصي الإسلام أي أطرافها ونواحيها:

▫ **قوله ﷺ: اَلاَ تَرَوْنَ اِلَىٰ بِلاَدِكُمْ تُغْزَىٰ وَاِلَىٰ صَفَاتِكُمْ تُرْمَىٰ...**

أي ألا تـرون أنّ معاوية وأصحابه هجموا الىٰ بلادكم غير مرّةٍ والىٰ صفواتكم تُرمىٰ والصَّفوات جمع الصَّفاة بفتح الصّاد وهي في الأصل الحجر الصّلد يُراد منها القوّة وفي المقام كناية عن طمع العدّو فيما باليَد والمعنىٰ أنّ ما في أيديكم صار محّلاً لطمع أعداءكم ولنرجع الىٰ ما وعدناك فنقول.

لمّا قُتل عثمان وبايعوا أمير المؤمنين علىٰ ما مَرّ ذكره مفّصلاً ونَكَث عهده الزّبير وطلحة وغيرهما من النّاكثين وخرجوا من مكّة الىٰ البَصرة وبعد الوصول اليها فعلوا ما فعلوا من القبائح عَزَم علّيّ ﷺ على الخُروج من المدينة قاصداً البَصرة فخلف فيها سَهل إبن حنيف وخرج منها في ستّة آلاف الىٰ الرّبذة ومنها الىٰ ذي قار وأرسل الحسن ﷺ وعمّار الىٰ الكوفة وكتب الىٰ أهل الكوفة ما كتب وقال في آخر كتابه أنّ دار الهجرة قد قلعت بأهلها وقلعوا بها وجاشت جيش المَرجل وقامت الفِتنة علىٰ القطب فأسرعوا الىٰ أميركم وبادروا عدّوكم، فلمّا بلغا الكوفة قال أبو موسىٰ الأشعري وكان عاملاً عليها من قبل عثمان، **﴿وَلاَتَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾** (1) و: **﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً﴾** (2) ثمّ قال أنّها فِتنة فقطّعوا أوتاركم الخ فسكّته عمّار فقال أبو موسىٰ هذا كتاب عائشة تأمرني أن تكّف أهل الكوفة فلا تكونن لنا ولا علينا ليَصل اليهم صلاحهم الخبر:

ومنه يظهر أنّ أبا موسىٰ كان من المُنافقين المُعاندين لأهل بيت رسول الله بل رأسهم ورئيسهم وذلك لأنّه كان من حواري الخُلفاء الثّلاثة ولمّا وصلت النّوبة الىٰ إبن عمّ رسول الله ﷺ خَلّفه وعانَدَه ومنع النّاس من حمايته وإعانته

1- النساء ـ 29

2- النساء ـ 93

بل حَرَّصهم ورَغبَّهم على قتاله ولولا مخافة الإطالة والخُروج عـن مـوضوع الكتاب لذكرت لك من أحواله وأطواره ما يُعجبك:

وأمّا نَسَبه: فهو عبد اللّه بن قيس بن سليم بن حصار بن حرب بن عامر بن غنم بن بكر بن عامر بن عدب بن وائل بن ناجية بن الجماهير بـن الأشـعر وكنيته أبو موسىٰ وهو أشهر من كفر إبليس، وأُمّه طيبة بنت وهب بن عَك قدم المدينة بعد فتح خيبر صادفت سفينته سفينة جعفر بـن أبـي طـالب فـقدموا جميعاً إستعمله عُمر علىٰ البَصرة بعد المُغيرة ثمّ إستعمله عُثمان علىٰ الكوفة وبقىٰ عليها حتّىٰ قُتل عُثمان عَزله أمير المؤمنين عنها لما عَـلمت مـن حـاله ونفاقه مات سنة إثنتين وقيل أربع وأربعين وهو إبن نيّف وستّين وقال أبو بكر بن أبي شيبة عاش أبو موسىٰ ثلاثاً وستّين وإختلفوا في محّل مَوته وأنّه هل مات بمكّة أو الكوفة وأمّا قصّة الحَكَمين فقد مَضت سابقاً علىٰ سبيل الإجمال ونذكرها في المقام بوجهٍ أبسَط فَنقول:

قال اللّه تعالىٰ:﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلىٰ حَرْفٍ**﴾(١) رُوي أنّه كان أبو موسىٰ وعَمرو:

رُوي إبن مردويه بأسناده عن سويد إبن غفلة أنّه قال كُنت مع أبي موسىٰ علىٰ شاطئ الفرات فقال سمعت رسول اللّه ﷺ يقول أنّ بني إسرائيل إختلفوا فلم يزل الإختلاف بينهم حتّىٰ بَعثوا حَكَمين ضّالين ضّل من إتبعهما ولا تنّفك أُموركم تختلف حتّىٰ تبعثوا حَكَمين يضّلان ويضل من تَبعهما فقُلت أعيذك باللّه أن تكون أحدهما قال فَخلع قميصه فقال برأ من اللّه من ذلك كما بَرأني من قَميصي ولمّا جرىٰ ليلة الهرير صاحوا يامعاوية هَلَكت العرب فقال معاوية ياعمرو نضّر أو نستأمن قال نرفع المصاحف علىٰ الرّماح ونقرأ :﴿(**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِلِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ**﴾(٢)

فأن قبلوا حكم القرآن رفضا الحَرب ورافعنا بهم الىٰ أَجل وأن أبىٰ بعضهم

١- الحج ـ ١١   ٢- البقرة ـ ٢٣

إلّا القتال قلّلنا شوكتهم وتقع بينهم الفرقة وآمر بالنّداء وقال:

فَلسنا ولستم من المُشركين ... ولا المُجمعين علىٰ الوّدة
فأن قبلوها ففيها البقاء ... وأن تَدفعوها ففيها الفناء
وكلّ بلاءٍ الىٰ مدّة

فقال عوف بن عبد اللّه:

رميناهم حتّىٰ أزلنا صفوفهم
فلم يَر إلّا بُرجةُ وكآبيا
وحتّىٰ إستغاثوا بالمصاحف والقنا
بها وقَفات يَختطض المحاميا

وقال الجماني:

هَبلت أُمّ قُريش حين تَدعون الهبل
حين ناطوا بكتاب اللّه أطراف الأسل

فقال مسعر بن فدكي وزيد بن حُصين الطّائي والأشعث بن قيس الكندي أجب القوم الىٰ كتاب اللّه فقال أمير المؤمنين ويحكم واللّه ما رَفعوا المصاحف الأ خُديعة ومكيدة حين عَلوتَموهم وقال خالد بن معمّر السّدوسي ياأمير المؤمنين أحبّ الأمور الينا ماكفينا مؤنته وأنشد رفاعة البجلي:

وأن حَكموا بالعَدل كانت سلامة
وإلّا أثرناها بيوم قماطر

فقصد اليه عشرون ألف رجل يقولون ياعلي أجب الىٰ كتاب اللّه اذا دُعيت وإلّا دفعناك برّمتك الىٰ القوم أو نَفعل بك ما فعلنا بعثمان فقال ﷺ فأحفظوا عنّي مقالتي فأنّي آمركم بالقتال فأن تَعصوني فإفعلوا مابدا لكم قالوا فأبعث الىٰ الأشتر ليأتيك فَبعث يزيد بن هاني السّبيعي يدعوه فقال الأشتر أنّي قد رجوت أن يفتح اللّه لا تعجلني وشدوا في القتال فقالوا حرضته في الحَرب فأبعث اليه

بعزيمتك ليأتيك وإلّا واللّه إعتزلناك قال ﷺ يايزيد عُد اليه وقُل له أقبل الينا فأنّ الفِتنة قد وَقَعت فأقبل الأشتر يقول لأهل العراق ياأهل الذّل والوَهن أحين عَلوتم القوم وعلموا أنّكم لهم قاهرون رفعوا لكم المصاحف خديعة ومكراً، فقالوا قاتلناهم في اللّه فقال أَمهلوني ساعة وأحسستُ بالفتح وأيقنت بالظّفر قالوا لا، قال أَمهلوني عدوة فرس قالوا إنّا لسنا نُطيعك ولا نُصاحبك ونـحن نرىٰ المصاحف علىٰ رؤوس الرّماح نُدعىٰ اليها فقال خُدعتم واللّه فإنخدعتم ودُعيتم الىٰ وضع الحَرب فأَجبتم فقام جماعة من بكر بن وائل فقالوا ياأمير المؤمنين أن أَجبتَ القَوم أَجبنا وأن أَبيت أَبينا فقال ﷺ نحن أحقّ من أجاب الىٰ كتاب اللّه وأنّ معاوية وعمرواً وإبن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وإبن أبي سرج، والضّحاك بن قيس ليسوا بأصحاب دينٍ وقرآن أنا أعرف بهم منكم وقد صحبتهم أطفالاً ورجالاً فقال أهل الشّام فإنّا قد إخترنا عمرواً وقال الأشعث وإبن الكّوا ومسعر بن فدكي وزيد الطّائي نحن إخترنا أبا موسىٰ.

فقال علّيّ ﷺ فأنّكم قد عَصيتموني في أوّل الأمر فلا تَعصوني الآن فقالوا أنّه (أي أبو موسىٰ) قد كان يُحذرنا من الحَرب فقال أمير المؤمنين ﷺ أنّه ليس بِثقةٍ قد فارقني وخَذل النّاس ثمّ هَرب منّي حتّىٰ أمنته بعد شهرٍ ولكن هذا إبن عبّاس أولّيه ذلك قالوا واللّه ما نُبالي أنت كُنت أم إبن عبّاس قال ﷺ فالأشتر قال الأشعث وهل سَعَر الحَرب غير الأشتر وهل نحن إلّا في حكمه.

قال الأعمش حدّثني من رأىٰ علّياً يوم صفّين يصفق بيديه ويقول يا عجبا أُعصىٰ ويُطاع معاوية وقال ﷺ قد أَبيتم إلّا أبا موسىٰ قالوا نعم قال ﷺ فأصنعُوا مابدا لكم اللّهم أنّي أبرأ اليك من صنيعهم وقال الأحنف إذا إخترتم أبا موسىٰ فأرقبوا ظهره فقال خزيم إبن فاتك الأسدي:

لو كـــان للـــقوم رأيــاً يُــرشدون بــه
أهــــل العــــراق رمــوكم بــإبن عــبّاس

لكـــن رَمـوكم بشـيخٍ مـن ذوي يَـمنٍ
لم يَـدر مـا ضـرب أسـداس وأخـماس

فلمّا إجتمعوا كان كاتب علّيٍ ﷺ عُبيد اللّه بن أبي رافع وكاتب معاوية عمير بن عباد الكلبي فَكتب عُبيد اللّه هذا ما تَقاضىٰ عليه أمير المؤمنينِ علّي إبن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان فقال عمرو وأكتبوا إسمه وإسم أبيه هو أميركم وأمّا أميرنا فلا فقال الأحنف لا تَمح إسم إمارة المؤمنين أمح ترحه من اللّه فقال علّي ﷺ اللّه أكبر سُنّة بِسُنّة ومثل بِمثل وأنّي لكاتب يوم الحُدَيبية فأمر النّبي أن أكتب بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم فقال سهيل إبن عمرو هذا كتاب بيننا وبينك فأفتحه بما نعرفه وأكتب بإسمك اللّهم فأمر بمحو ذلك وكتبتُ بإسمك اللّهم هذا ما إصطلح عليه محمّد رسول اللّه وسهيل إبن عمرو وأهل مكّة فقال سهيل لو أَجبتك الىٰ هذا لأقررتُ لك بالنّبوة فقال أَمحها ياعلي فـجعل ﷺ يَـتَلكأ ويأبىٰ فَمحاها النّبي وكتب هذا ما إصطلح به محمّد بن عبد المُطّلب وأهل مكّة الخبر.

روي محمّد إبن كعب أنّ النّبي قـال لعـلّي فأنّ لك مـثلها تُـعطاها وأنت مُضطهد، وقال الماوردي في أعلام النّبوة أنّه قال سَتُسأم مثلها يوم الحَكَمين، وفي رواية ستُدعىٰ الىٰ مثلها فَتَجيب وأنت علىٰ مُضض وفي روايـةٍ أنّ لك يَوماً يا علّي بمثل هذا أنا أكتبُها للآباء وأنت تَكتبُها لِلأبناء وفيه قال الشّاعر:

سـيُدعىٰ الىٰ مـثلها صَـنوه ... له قـال والأمـر مُـستجمعٌ
وبـين الرّضـا وبـين بـن هـند ... كَـيوم الحُـديبيّة المُسـرع
سـهيلٌ مَحىٰ ثـمّ إسـم الرّسـول ... كـإسم الأمـير مـحا المُـبدع
فـفي دومـة الجَـندَل الإقـتداء ... بـيوم السّـقيفة إذ شَـنعُوا

فقال عُمر ياسُبحان اللّه تَشبهنا بالكفّار ونحن مؤمنون فقال علّي يابن النّابغة أَوَلَم تكن للمُشركين ولّياً وللمؤمنين عدّواً أَوَلَم تكن في الضّلالة رأساً وفـي الإسلام ذَنباً، فَكتبوا أن يحكموا بما في كتاب اللّه ويـنصرفوا والمـدّة سـنة

واحدة كاملة ويكون مجتمع الحَكَمين بدَومة الجَندَل قال الصّاحب:

ودعا الىٰ التّحكيم لمّا عضّه حدّ الرّماح

فَمَضىٰأبوموسىٰ وعمرو جالبالشّرالبراح

بابان قد فُتحا الىٰ شّرٍ يدوم علىٰ إنفتاح

فلمّا إجتمعا قال عمرو ياأبا موسىٰ أنت أولىٰ أن تُسمّىٰ رجلاً يلي هذه الأُمّة فسّم لي فأنّي أقدر أن أُبايعك منك علىٰ أن تُبايعنَي قال أبو موسىٰ أُسمّي لك عبد اللّه بن عُمر فيمن إعتزله فقال عمرو فأنّي أُسمّي لك معاوية بن أبي سفيان وفي روايةٍ قال عمرو أنّهما ظالمان وأنّ عليّاً آوىٰ قتلة عثمان وأنّ معاوية خاذله فَنَخلعهما ونُبايع عبد اللّه بن عُمر لِزهادته وإعتزاله عن الحَرب فقال أبو موسىٰ نعم ما رأيت قال عمرو فأنّي قد خلعتُ معاوية فأخلع عليّاً أن شئت وأن شئت فأُخلعه غداً يوم الإثنين:

فلمّا أصبحا خرجا الىٰ النّاس فقالا قد إتّفقنا فقال أبو موسىٰ لعمرو تقّدم وأخلع صاحبك بحضرة النّاس فقال عمرو سُبحان اللّه أتّقدم عليك وأنت في موضعك وسنّك وفضلك مقّدم في الإسلام والهجرة ووفد رسول اللّه الىٰ اليَمن وصاحب مقاسم أبي بكر وعامل عُمر وحاكم أهل العراق فتّقدم أنت فقال أبو مُوسىٰ إنّا واللّه أيّها النّاس قد إجتهدنا رأينا لم نَر أصلح لِلأُمّة من خلع هذين الرّجلين وقد خَلعتُ عليّاً ومعاوية كَخلع خاتمي هذا فقال عمرو ولكنّي خَلعتُ صاحبه عليّاً كما خَلع وأُثبتُ معاوية كخاتمي هذا وجعله في شماله فقال كُوفي:

لعُمرك ما ألقىٰ يد الدّهر خالعاً

عليك بقول الأشعري ولا عَمرو

وكتب عمرو الىٰ معاوية :

أَتــــتك الخـــلافة مـــن خـــدرها

هـــنيئاً مـــريئاً تـــقّر العُـــيونا

وقال العوني:

فأعـــملوا الحـــيلة فـــي التّـــحكيم

بـــمكر شـــيطانهم الرّجـــيم

فـــفي الرّعـــاة حكـــموا الرّعـــيا

فأصـــبح القـــوم عـــلىٰ تـــخالف

إذ شكت الأرمـــاح فـــي المـــصاحف

وأخـــذ الإنـــحدار والرّقـــيا

فـــجاء أهـــل الشّـــام بـإبن العـاص

فـــإحتال فـــيها حـــيلة القـــنّاص

غَـــرَّ أبـــا مـــوسىٰ الأشـــعريا

قـــام أبـــو مـــوسىٰ فـــويق المَـــنبر

فـــقال أنّـــي خـــالعٌ لحـــيدرٍ

كـــما إخـــتلعت خـاتمي من خُـنصرى

يـــاعُمر قُـــم أنت أخـــلع الشّـــاميا

فـــقال عـــمرو أيّـــها النّـاس أشـــهدوا

جـــمعاً لإبـــن هـــندٍ أعـــقد

فأســـتشهدوه مـــذهباً عُـــمرياً

قالوا لمّا عَزل معاوية عمرواً من مصر كتب عمرو اليه هذه الأبيات:

مـــعاوية الخـــير لا تَـــنسني

وعـــن مـــذهب الحـــقّ لا تَـــعدل

أَتـــنسىٰ مُـــحاورة الأشـــعري

ونـــحن عـــلىٰ دومـــة الجَـــندَل

أليـــــنُ فــــيَطمع فــــي غـــرّتي
وقـــد غـــاب فَـــصليْ فــــي المَـــقتل
أُلَـــــعّقُه عَسَـــــلاً بـــــارداً
وأمـــــزجــــه بـــجنبي الحَـــنظَل
ورقّـــــيتك المَـــــنبر المُشـــمخر
بــــــلا حــــدّ سـيفٍ ولا مــنصِل
ونــــــزّعنها مـــــنهم بـــــالخِداع
كَـــخلع النّـــعال مـــن الأرجـــل
وثـــــبّتها فــــيك لمّـــا يَـــئست
كـــمثل الخـــواتـــيم فــــي الأنـــمل
فـــــلمّا مَـــلكت ومـــات الهـــمام
وألَقت عـــــصاها يـــــد الأفـــضل
مـــــنحت ســــواي بـــمثل الجـبال
ونـــــولّتني حـــــبّة الخَــــــردَل
فأن تَكُ فــــيها بَـــــلغت المُـــنىٰ
فـــــفي عُــــنقي يَــــعلق الجَـــلجَل
ومــــــادَم عـــــثمان مُـــــنج لنـــا
مــــن اللّـــــه والحَسَب الأطـــوَل
وأنّ عـــــليّاً غـــــداً خــــصمُنا
وتـــــغتّر بـــــاللّه والمُــــــرسَل
يُســــــائلنا عــــــن أُمـــورٍ جَـــرَت
ونـــحن عـــن الحـــقّ فـــي مَـــعزَل

ومن خطبة له عليه السلام (٢٣٧)

يذكر فيها آل محمّد صلىٰ الله عليه وآله

□ قوله عليه السلام: هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ لاَ يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَلاَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَهُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلاَمِ وَ وَلاَئِجُ الاِعْتِصَامِ بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَىٰ نِصَابِهِ وَإِنْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِه عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ لاَ عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ فَأَنَّ رُوَاةُ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ.

◁ اللّغة

(وَلاَئِجُ) جمع وَليجة وهي المأمَن عن كلّ خَطر (نِصَابِهِ) نصاب الحقّ أصله (إِنْزَاحَ) أي زال وأنقطع (بِنَبته) بكسر الباء أيِ عن أصله (وِعَايَةٍ) مصدر وَعى يَعي إذا حَفظ:

◁ المعنىٰ

(هُمْ) يعني آل محمّد (عَيْشُ الْعِلْمِ) وحياته (وَمَوْتُ الْجَهْلِ) وبطلانه (يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ وَصَمْتُهُمْ) وسكوتهم (عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ) أي عن صوابه (لاَ يُخَالِفُونَ الْحَقَّ) أصلاً (وَلاَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ) أي في الحقّ (وَهُمْ) أي آل محمّد (دَعَائِمُ الْإِسْلاَمِ) وأركانه (وَ وَلاَئِجُ الاِعْتِصَامِ) ومحَال أمنه (بِهِمْ) أي بسببهم (عَادَ الْحَقُّ إِلَىٰ نِصَابِهِ) وأصله (وَإِنْزَاحَ) وانزال (الْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ

وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ) لسان الباطل (**عَنْ مَنْبِتِه**) وأصله (**عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وَرِعَايَةٍ**) أي حفظٍ، (**وِعَايَةٍ**) برعاية آدابها به وسُنَنه (**لاَ عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ**) من غير تعقّل وتدّبر فيه **فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ**) وحفّاظه قليل:

◁ الشّرح

هذه الخُطبة الشّريفة في وَصف آل محمّد وهم الإثنىٰ عشر وفاطمة الزّهراء عليهم السّلام عقلاً ونقلاً أمّا العقل فلأنّ هذه الأوصاف لا تُوجد في غيرهم كما ستعرف الكلام فيه وأمّا النّقل فالنّصوص الواردة في الباب ونحن نشير الىٰ بعض النّصوص فنقول:

إعلم أنّ الآل والأهل واحد قال الرّاغب الآل مقلوب عن الأهل ولذلك يُصّغر علىٰ أُهيل الىٰ أنّه خصّ بالإضافة الىٰ أعلام النّاطقين دون النّكرات ودون الأزّمنة ودون الأمكنة يقال آل فُلان ولا يقال آل رجل ولا آل زمانٍ كذا أو موضع كذا ولا يُقال آل الخّياط بل يضاف الىٰ الأشراف الأفضل يُقال آل اللّه وآل السُلطّان، والأهل يضاف الىٰ الكلّ يقال أهل اللّه وأهل الخّياط كما يقال أهل زمن كذا وبَلد كذا، وقيل هو في الأصل إسم الشّخص ويُصّغَر أُويلاً ويستعمل فمن يختص بالإنسان إختصاصاً ذاتياً أمّا بقرابة قريبة أو بموالاةٍ الىٰ أن قال وقيل آل النّبي أقاربه وقيل المختّصون به من حيث العِلم وذلك إنّ أهل الدّين ضربان، ضَرب متخصصٌ بالعلم المتقن والعَمَل المحكم فيقال لهم آل النّبي وضَرب يختصون بالعلم علىٰ سبيل التّقليد ويقال لهم أُمّة محمّد ولا يقال لهم آله فكلّ آل للنّبي أُمّة له وليس كلّ أُمّةٍ له آله انتهىٰ.

وقال في المجمع أهل الرّجل آله وهم أشياعه وأتباعه وأهل ملته ثمّ كثر إستعمال الأهل والآل حتّىٰ سمّي بهما أهل بيت الرّجل انتهىٰ إذا عرفت ذلك فقوله عليه السلام آل محمّد المراد بهم أهل بيته علىٰ المشهور أو المختّصون بعلمه علىٰ قول الرّاغب في أحد قولَيه:

روي في البحار بأسناده عن أبي جعفر عن أبيه في قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَأْمُرْ

أَهْلَكَ بِالصَّلٰوةِ وَا صْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾[1] قال ﷺ نزلت في علّي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السّلام كان رسول اللّه ﷺ يأتي باب فاطمة كلّ سحرة فيقول السّلام عليكم أهل البيت ورحمة اللّه وبركاته الصّلٰوة يرحمكم اللّه:﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذهَبَ عَنْكُم الرِّجسَ أهلَ البَيتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطهِيراً ﴾[2] انتهىٰ» ج ٧ ص ٢٣١»...

وبأسناده عن الرّيان بن الصّلت قال حَضر الرّضا ﷺ مجلس المأمون بمَرو وقد إجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان فقال المأمون أخبروني عن هذه الآية:﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[3] فقالت العلماء أراد اللّه عزّ وجلّ بذلك الأُمّة كلّها فقال المأمون ما تقول يا أبا الحسن فقال الرّضا لا أقول كما قالوا ولكنّي أقول أراد اللّه عزّ وجلّ بذلك العترة الطّاهرة فقال المأمون وكيف عني العترة من دون الأُمّة فقال له الرّضا أنّه لو أراد الأمّة لكانت بأجمعها في الجنّة يقول اللّه عزّ وجلّ ﷺ ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللّهِ ذٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الكَبِيرُ﴾[4] ثمّ جمعهم كلّهم في الجنّة فقال ﷺ ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾[5] فصارت الوراثة للعترة لا لغيرهم فقال المأمون مَن العترة فقال الرّضا ﷺ الّذين وصفهم اللّه في كتابه جلّ وعزّ :﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذهَبَ عَنْكُم الرِّجسَ أهلَ البَيتِ﴾[6]

وهم الّذين قال رسول اللّه ﷺ أنّي مخلّف فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي ألّا وأنّهما لن يفترقا حتّىٰ يردا علّيَ الحوض فانظروا كيف تخلفون فيهما أيّها النّاس لا تعلّموهم فأنّهم أعلم منكم قالت العلماء أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة أهُم الآل أم غيرهم فقال الرّضا ﷺ هُم الآل فقالت العلماء فهذا رسول اللّه ﷺ يؤثر عنه أنّه قال أُمّتي آلي وأصحابه يقولون بالخبر

١- طه - ١٣٢
٢- الحزاب - ٣٣
٣-فاطر - ٣٢
٤-فاطر - ٣٢
٥-فاطر - ٣٣
٦- الحزاب - ٣٣

المستفاض الّذي لا يمكن دفعه آل محمّد أُمّته، فقال الرّضا عليه السلام فأخبروني هل تحرم الصّدقة على الآل قالوا نعم قال عليه السلام فتحرم على الأُمّة قالوا لا قال عليه السلام هذا فرق بين الآل والأُمّة ويحكم أين يذهب بكم أضربتم عن الذّكر صفحا أم أنتم قوم مُسرفون أما علمتم أنّه وقعت الوراثة والطّهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم، قالوا ومن أين ياأبا الحسن قال عليه السلام من قول اللّه عزّ وجلّ ﴿وَلَقَدْ اَرسَلْنا نُوحاً وَاِبْراهيمَ وَجَعَلْنا فِى ذُرِّيَتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ﴾(١) فصارت وراثة النّبوة والكتاب للمهتدين دون الفاسقين الحديث بطوله« ص ٢٣٥»...

أقول: لا خلاف عندنا ولا عند المَنصفين من العامّة أنّ المراد بالأهل أو الآل الأئمّة عليهم السّلام والأحاديث في الباب كثيرة من الطّرفين وقد ذكرنا شطر منها في المجلد الأوّل من الكتاب وأثبتنا هناك أنّ المراد بأهل البيت الأئمّة إذا عرفت هذا فلنرجع الى شرح الكلمات:

▫ قوله عليه السلام: **هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ...**

شَرَعَ عليه السلام في بيان الأوصاف وهي أُمور: أحدها أنّهم أي آل محمّد عيش العلم.

وثانيهما: أنّهم موت الجَهل أمّا كونهم عيش العلم: قال الرّاغب في المُفردات العيش الحياة المُختصة بالحيوان وهو أخصّ من الحياة لأنّ الحياة تُقال في الحيوان وفي الباريْ وفي المَلَك ويُشتق منه المعيشة لما يُتّعيش منه قال تعالىٰ في وصف أهل الجنّة ﴿فَهُوَ فِى عِيْشَةٍ راضِيَةٍ﴾(٢) وقال رسول اللّه لا عيش الاّ عيش الآخرة انتهىٰ...

والعلم إدراك الشّيْ بحقيقته سواء تعلّق الإدراك بذات الشّيْ كَعِلمِنا بالماء والنّار والشّجر والحجر والإنسان والحيوان وغير ذلك، أم تعلّق بالحكم على الشّيْ بوجود الشّيْ الثّابت له أو المنفّي عنه كعِلمِنا بوجود الباريْ من جهة آثاره

١-الحديد_٢٦
٢- القارعة _ ٧

الثّابتة له في الخارج وعِلمِنا بعدم وجود شريك له لعدم وجود آثارٍ له في الخارج، والعلم بوجهٍ آخر يتّقسم الىٰ النّظري والعَمَلي والأوّل يحصل بالنّظر والدّليل وبعبارةٍ أُخرىٰ يحصل بالكَسب والتّحصيل والثّاني يحصل بالعَمَل كالعلم بالعبادات، وبوجهٍ آخر ينقسم الىٰ عقلي وسَمْعي وهكذا والكلّ إعتبارات:

ثمّ أنّ العلم من حيث أنّه موجود من الموجودات له حياة ومَوت فحياته عبارة عن ترتب آثاره عليه ومَوته عن عدم ترتّبها عليه وبذلك يظهر الفرق بين وجود العلم وحياته ومَوته عدمه فمن ظنّ أنّ حياة العلم وجوده وموته عَدمه فقد أخطأ وذلك لأنّ العلم إذا لم يكن له أثر فهو موجود واقعاً وليس بحيّ وحيث العيش هو الحياة المخصوصة فحياة العلم عَيشه وأمّا وجوده فلا وهذا هو السّر في قوله عليه السلام: **هُم عيش العلم** ولم يقل هم حياة العلم أو وجود العلم لأنّ الحياة أعمّ من العيش كما عرفت من قول الرّاغب إذا عرفت هذا فأعلم أنّ معنىٰ قوله والله العالم أنّ عيش العلم بآل محمّد أي أنّ العلم إذا لم يؤخذ منهم فلا عيش له ولا أثر فيه وعليه فهم الأسباب لهذا المُسبّب ضرورة أنّ آل محمّد ليسوا نفس عيش العلم فأنّ العلم من مقولة الإضافة أو مقولة الكيف أو غيرهما علىٰ إختلاف فيه وأمّا الإنسان من مقولة الجوهر والجوهر لا يكون عَرَضاً وبالعكس فالإسناد مجازّي ويمكن أن يكون الكلام من باب المبالغة نحو زيدٌ عدل فكما أنّ زيدٌ لكثرة عدالته كأنّه صار نفس العَدل هكذا آل محمّد لكثرة ظهور العلوم منهم كأنّهم صاروا نفس عيش العلم وكيف كان فالمقصود أنّ العلوم الحقيّقية تؤخذ منهم لكونهم منابعها ومآخذها ويدّل عليه غير واحدٍ من الأخبار:

منها ـ ما رواه في البحار بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال أبىٰ الله أن يجري الأشياء إلّا بالأسباب فجعل لكلّ شيءٍ سبباً وجعل لكلّ سبب شرحاً وجعل لكلّ شرحٍ مُفتاحاً وجعل لكلّ مفتاح علماً وجعل لكلّ علمٍ باباً ناطقاً من

عرفَه عرف اللّه ومن أنكره أنكر اللّـه ذلك رسـول اللّـه ﷺ ونـحن انـتهىٰ «ج ١ ص ٩٣»...

ومنها ـ ما رواه بأسناده عن أبي بصير قال سألت أبا جعفر عن شهادة ولد الزّنا، تجوز قال لا فقلت أنّ الحَكم بن عُتيبة يزعم أنّها تجوز فقال اللّهم لا تغفر له ذنبه ما قال اللّه لِلحَكم أنّه لذكرٌ لك ولقومك وسوف تسئلون فليذهب الحَكم يميناً وشمالاً فواللّه لا يُوجد العلم إلّا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل انتهىٰ« ص ٩٣»...

ومنها ـ ما رواه بأسناده عن أبي مريم قال قال أبو جعفر لسلمة ابن كُهيل والحَكَم بن عُتبة شَرِقا وغرّبا لن تجدا علماً صحيحاً إلّا شيئاً يخرج من عندنا أهل البيت انتهىٰ« ص ٩٣»...

ومنها ـ ما رواه بأسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال من دان اللّه بغير سماعٍ عن صادق أَلزَمه اللّه التّيه الىٰ يوم القيمة انتهىٰ « ص ٩٣»...

ومنها ـ ما رواه بأسناده عن جابر الجعفي قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول أنّ لنا أَوعية نملأوها علماً وحكماً وليست لها بأهل فما نملأوها إلّا لتنتقل الىٰ شيعتنا فأنظروا الىٰ ما في الأوعية فخذوها ثمّ صفوها من الكدورة تأخذونها بيضاء نقيّة صافية وأيّاكم والأوعية فأنّها وعاء سُوء فتنكبوها انتهىٰ« ص ٩٣»...

ومنها ـ ما رواه بالأسناد المتقدم قال سمعت أبا عبد اللّه يقول أطلبوا العلم من معدن العلم وأيّاكم والولائج فيهم الصّدادون عن اللّه ثمّ قال عليه السلام ذهب العلم وبقىٰ غبرات العلم في أوعية سُوء وأحذروا باطنها فأنّ في باطنها الهَلاك وعليكم بظاهرها فأنّ في ظاهرها النّجاة انتهىٰ« ص ٩٤»...

ومنها ـ ما رواه بأسناده عن فُضيل قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول كلّما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل انتهىٰ« ص ٩٤»...

ومنها ـ ما رواه بأسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال إنّا أهل بيتٍ من

علم اللّه عَلِمنا ومن حكمه أخذنا ومن قـول الصّـادق سـمعنا فأن تـتّبعونا تهتدوا انتهىٰ« ص ۹۴»...

ومنها ـ ما رواه بأسناده عن زرارة قال كنت عند أبي جعفر فقال لي رجل من أهل الكوفة سَله عن قول أمير المؤمنين سلُوني عمّا شئتم ولا تَسئلون عن شيءٍ إلّا أنبأتكم به قال فسألته فقال أنّه ليس أحدٌ عنده علم شيءٍ إلّا خَرج من عند أمير المؤمنين فليذهب النّاس حيث شاؤوا فواللّه ليأتيَن الأمر هيٰهنا وأشار بيده الىٰ صدره انتهىٰ« ص ۲۴»...

ومنها ـ ما رواه بأسناد عن الفضّل قال قال أبو عبد اللّه ﷺ من دان اللّـه بغير سماعٍ من عالمٍ صادق أَلَزمه اللّه التّيه الىٰ الفناء ومن إدّعىٰ سماعاً من غير الباب الّذي فَتَحه اللّه لخلقه فهو مُشرك وذلك الباب هو الأمين المأمون علىٰ سّر اللّه المكنون انتهىٰ« ص ۹۷»...

وأمّا العقل: فلأنّهم الرّاسخون في العلم والرّاسخ في العلم لا يصدق إلّا علىٰ من أخذ علمه عن اللّه تعالىٰ أو من رسوله بحيث لا يدخل في علمه شك له وبعبارةٍ أُخرىٰ الرّاسخون في العلم هم الّذين لم يأخذوا علومهم عن البَشَر فلا تكون كَسَبّياً بل تكون لَدُنياً حُضورياً و هو العلم الّذي لا خطأ فيه أصلاً ألا ترىٰ أنّ العلوم المُتداولة المُصطلحة مشوبة بالأوهام والخيالات والظّنون الفـاسدة وحيث أنّ علوم أهل البيت ليست كذلك نستكشف منه أنّ علـومهم صـافية خالصة ولا نعني بعيش العلم إلّا هذا:

وثانيهما: أنّهم موت الجهل وفيه إيماء الىٰ أنّ الجهل في مكتبهم لا حياة له أصلاً فالجاهل أيضاً لا قيمة له عندهم وأن كان من مُحبّيهم بل وشيعتهم وهذا هو الفرق بين مكـتب الحـقّ ومَكـتَب البـاطل ولأجـل هـذا تـرىٰ رواياتهم وأخبارهم مشحونة بمدح العالم وذمّ الجاهل بل في أكثرها حرضوا شعبهم علىٰ تحصيل العلم والخروج عن وادي الجَهل فأنّ مذهب أهل البيت لا يوافق الجهل والحماقة:

قال رسول اللّه ﷺ أغدِ عالماً أو متّعلماً أو أحبّ العلماء ولا تكن رابعاً فَتهلك ببغضهم انتهىٰ...

وعن الصّادق عليه السلام قال النّاس إثنان عالم أو متّعلم وسائر النّاس هِمَج والهِمَج في النّار انتهىٰ...

وعنه عليه السلام النّاس يغدون علىٰ ثلاثة عالم ومتّعلم وغثاء فنحن العلماء وَشيعَتنا المتّعلمون وسائر النّاس غثاء انتهىٰ...

وعن أبي ذر قال سمعنا رسول اللّه ﷺ يقول إذا جاء المَوت طالب العلم وهو علىٰ هذه الحال مات شهيداً انتهىٰ« بحار الانوار ج ١ ص ٥٩»...

وبأسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال سمعت رسول اللّه ﷺ يقول طَلب العِلم فَريضة علىٰ كلّ مسلمٍ فأطلبوا العِلم من مَظّانه وأقتبسُوه من أهله فأنّ تعليمه لِلّه حسنة وطلبه عبادة والمذاكرة به تسبيح والعَمل به جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قُربة الىٰ اللّه تعالىٰ لأنّه معالم الحلال والحرام ومنار سُبل الجنّة والمُؤنس في الوحشة والصّاحب في الغُربة والوَحدة والمحدّث في الخَلوة والدّليل علىٰ السّراء والضّراء والسِّلاح علىٰ الأعداء والزّين عند الأخِلاء يرَفع اللّه به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة تقتبس آثارهم ويهتدي بفِعالهم وينتهي الىٰ رأيهم وترغب الملائكة في خَلّتهم وبأجنحتها تمسحهم وفي صَلاتِها تُبارك عليهم يَستغفر لهم كلّ رطبٍ ويابسٍ حتّىٰ حيتان البحر وعوامه وسباع البّر وأنعامه أنّ العلم حياة القلوب من الجَهل وضياء الأبصار من الظُّلمة وقُوة الأبدان من الضّعف يبلغ بالعبد مَنازل الأخيار ومجالس الأبرار والدّرجات العُلىٰ في الدّنيا والآخرة الذّكر فيه يَعدل بالصّيام ومدارسته بالقيام به يُطاع الرّب ويُعبد وبه تُوصل الأرحام وبه يُعرف الحلال والحرام العلم أمام العَمل والعَمل تابعه يلّهمه السّعداء ويحرمه الأشقياء فطُوبىٰ لمن لم يحرمه اللّه منه حَظّه انتهىٰ «بحار الانوار ج ١ ص ٥٥»...

أقول: الأحاديث في مدح العلم وذمّ الجهل كثيرة وهذا الحديث يكفينا في المقام لتماميته وجامعيته ومَعَه وأمثاله لا يبقي لِلجهل موضع في مذهب أهل البيت ومكتبهم فبهم يَموت الجهل وهو المطلوب وأمّا الكلام في المبالغة أو أنّ الإسناد مجازي فكما مرّ في قوله ﷺ **هُم عيش العلم** ولنعم ما قيل فيهم:

قـومٌ عُـلُومهُم عـن جَـدّهم أُخِـذت
عـن جـبرائـيل وجـبريلُ عـن اللّـه
هُـم السَّـفينة مـا كـنّا لِـنطمع أن
ينجو من الهَول يوم الحشر لولا هي
الخـاشعون إذا جَـنَّ الظّـلام فـما
تَـغشّاهم سـنة تـنفي بأنـباء
سـحائبُ لا تـزال العـلم هـامية
أجّـلِ مـن سُـحُب تـهمي بأمـواه

ولآخر:

سـلامُ عـلىٰ آل النّـبي مـحمّد
ورحـمة ربّـي دائـماً أبـداً يـجري
وصـلّىٰ عـليهم ذو الجـلال مُـعَظماً
وزادهـم فـي الفـضل فخراً علىٰ فخرِ
فـهم خـير خـلق اللّـه أصلاً ومُحتداً
وأكـرمهم فـرعاً علىٰ الفحص والسّـدر
وأوسـعهم عـلماً وأحسَـنهم هـدىً
وأتـقاهُمُ لِـلّه فـي السّـر والجَـهر
وأفـضَلهم فـي الفَـضل في كـلّ مفضل
وأقـوالهـم بالحكم في محكم الذّكـر

وأشجَعَهم في النّازلات وفي الوغىٰ

وأجوَدَهم لِلّه في العُسر واليُسر

أُنـاس عَلواكلّ المعاني بأسرها

فدّقت معانيهم علىٰ كلّ ذي منكرٍ

▫ **قوله ﷺ: يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ...**

أثبت ﷺ في المقام لهم أمرين، أحدهما أنّ حِلم آل محمّد يخبركم عن عِلمهم، والثّاني أنّ صَمتهم وسكوتهم يخبركم عن صواب منطقهم وأنّهم لا ينطقون باطلاً:

أمّا الأوّل: فيدّل علىٰ كون الحِلم والعِلم متلازمين بمعنىٰ أنّ الحِلم دليل علىٰ العِلم وهو كذلك لأنّ الحِلم هو طمأنينة النّفس بحيث لا يحرّكها الغَضَب بسهولةٍ ولا يزعجه المكروه بسرعةٍ وهو لا يتّحقق إلّا بعد العلم بمضّار ضدّه وهو الغضب فأنّ الأشياء تُعرف بأضدادها وبعد المَعرفة بمضّار ضدّه يُعرف حسن العلم ومدحه ونفعه كما هو مقتضي الضدّية فيحلم لا محالة لأنّ فيه جلب منفعة ودفع مضّرةٍ وأمّا إذا لم يعرف جهات حُسنه أو جهات قُبح ضدّه وهو الغَضب ومع ذلك لا يَعمَل غضبه لمصالح يراها فيه فهو التّحلم لا الحِلم أي تكّلف الحِلم وهذا هو الفرق بينهما وقيل الفرق بوجود الملكة وعدمه فأن وجَدت فهو الحِلم وإلّا فهو التّحلم وكيف كان لا شكّ أنّ العلم ممّا لا يَنّفك عن الحِلم ولا ينفع بدونه قال رسول اللّه ﷺ **اللّهم أغنني بالعلم وزّيني بالحِلم**، فالحِلم زينته العِلم وكلّ زينةٍ تحكي وتخبر عمّا زُيّن بها فقول أمير المؤمنين ﷺ في المقام يشعر بأنّ آل محمّد عليهم السّلام كانوا حُلماء وعُلماء والحِلم من أحسن الصّفات قال رسول اللّه ﷺ **خمس من سنن المرسلين** وعدّ منها الحِلم وقد مّر الكلام منّا في تعريف الحِلم ومَدحه عقلاً ونقلاً:

وأمّا الثّاني: أعني صَمتهم عن حِكم منطقهم، والصّمت من فضائل قوّة الغضب أو الشّهوة وفضيلته عظيمة، والحِكَم بكسر الحاء وفتح الكاف جمع

حِكَمة وقد فُسّرت بالعَدل والعِلم والحِلم والفلسفة والكلام الموافق لِلحقّ، صواب الأمر وسداده فالمنطق إذا كان موافقاً لِلحقّ فهو موصوف بالحِكمة وإلّا فلا فالحِكمة وصفٌ لِلمنطق فكلامه ﷺ من إضافة الصّفة الىٰ الموصوف والمعنىٰ أنّ صَمتهم وسكوتهم فيما ينبغي السّكوت فيه يخبركم عن كون منطقهم علىٰ طريق الحكمة والصّواب وذلك لأنّ الصّامت السّاكت يتفكر ويتّدبر فيما يقول بعد سكوته وبعبارةٍ أُخرىٰ الكلام إذا كان مسبوقاً بالفكر يكون من الحكمة وبالعكس بالعكس والىٰ هذا المعنىٰ أشار الرّسول ﷺ

حيث قال ﷺ إذا رأيتم المؤمن صمُوتاً وقوراً فأدنوا منه فأنّه يُلقّن الحِكمة...

وقال ﷺ أنّ لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتّكلم بشئ تدّبره بقلبه ثمّ أمضاه بلسانه وأنّ لسان المنافق أمام قلبه فإذا همّ بشئ أمضاه بلسانه ولم يتّدبره بقلبه»..

وقال المسيح ﷺ العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصُمت وجزء في الفرار عن النّاس، وقال لقمان لإبنه يا بنّي أن كُنت زعمت أنّ الكلام من فضّة فالسّكوت من ذهب، وقال الباقر ﷺ الصُمّت كنزٌ وافر وزين الحِلم وستر الجاهل، وغيرها من الأخبار« جامع السعادات ج ٢ ص ٣٣٩» ولنعم ما قاله الحميري...

وإذا وَصَلتُ بحبل آل محمّدٍ
حَبل المودّة منك فأبلغ وأزدد
بمُطّهرٍ لمُطّهرين أبوّة
نالوا العُلىٰ ومكارم لَم تنفد
أهل التّقىٰ و ذوى النّهىٰ و أُولى العُلىٰ
والنّاطقين عن الحديث المُسند

الصّــــائمين القـــــانتين القـــائمين

العـــائفين بـــني الحـــجىٰ والسّـــؤدد

الرّاكـــعين السّـــاجدين الحـــامدين

السّــــابقين الىٰ صَـــلٰوة المســـجد

القــــانتين الرّانـــــقين السّـــابحين

العــــابدين آلِـــــههم بَـــــتوَدّدٍ

الواهــــبين المـــــانعين القــادرين

القـــاهرين لحـــاسد المُـــتحسِد

▫ قوله ﷺ: **لاَ يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَلاَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَهُمْ دَعَائِمُ الإِسْلاَمِ وَ وَلاَئِجُ الْاِعْتِصَامِ...**

أثبت لهم أربعة أوصاف في المقام بعد الأوصاف السّابقة الأربعة:

أحدها: أنّهم لا يخالفون الحقّ وهو يطلق علىٰ أربعة أوجه:

الأوّل:

يقال لِموجد الشّئ وخالقه بسبب ما تقتضيه الحكمة ولهذا قيل في اللّه تعالىٰ: **﴿هُوَ الْحَقّ، ثُمَّ رَدُّوا إِلَى اللهِ مَولاهُمُ الْحَقِّ﴾** (١) وقوله: **﴿فَذٰالِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾** (٢)

والثّاني:

يقال لمُوجَد الشّئ ومخلوقه بحسب مقتضىٰ الحكمة ولهذا يقال فعل اللّه تعالىٰ كلّه حقّ، قال تعالىٰ: **﴿مٰا خَلَقَ اللهُ ذٰالِكَ اِلاّ بِالْحَقِّ﴾** (٣) وقال ﷺ **﴿اَلَمْ تَرَ اِنَّ اللّٰهَ خَلَقَ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾** (٤)

والثّالث:

يقال في الإعتقاد لِلشّئ المطابق لما عليه ذلك الشّئ في نفسه كقولنا إعتقاد

١- الانعام ـ ٦٢
٢- يونس ـ ٣٢
٣- يونس ـ ٥
٤- ابراهيم ـ ١٩

فلان في البعث والثّواب والعقاب والجنّة والنّار حقّ، قال تعالى: ﴿ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ﴾ (١)

و: ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ (٢)

والرّابع:

للفعل والقول الواقع بحسب ما يجب وبقدر ما يجب وفي الوقت الّذي يجب كقولنا فعلك حقّ وقولك حقّ، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾ (٣) وقال: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ (٤) إذا عرفت هذا فقوله ﷺ أنّهم لا يخالفون الحقّ معناه أنّهم لا يخالفونه بكلّ معانيه، فلا يخالفون الخالق المُوجد لِلأشياء بل يطيقُونه وينقادون اليه ولا يخالفون خَلقه أيضاً بل يقولون ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا﴾ (٥) ولا يخالفون الإعتقاد الصّحيح بل يثبتونه ويُريدونه ولا يخالفون الفعل والقول الواقع بحسب ما يجب وبقدر ما يجب وهذا أيضاً واضح فهم لا يخالفون الحقّ بقولٍ مطلق ولازم ذلك موافقتهم له إذ لا واسطة بين النّفي والإثبات بحسب الواقع وإذا ثبت موافقتهم له في جميع الشّئون فهم معصُومون إذ لا نعني بالعِصمة إلّا مخالفة الباطل وموافقة الحقّ قولاً وعملاً وقلباً وحيث ثبتت العِصمة ثبتت الأمانة لقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (٦) وجه الإستدلال بها أنّ المخالف للحقّ يجب أن يُهدىٰ اليه فلا يكون إماماً لقبح تقديم المفضول علىٰ الفاضل ولازم ذلك أن يكون الموافق له هو الإمام لعدم خلّو الإمامة عن هذين الوجهين وحيث يكون المخالف مأموماً فالموافق الهادي اليه هو الإمام لا محالة وهو المطلوب وإلّا يلزم خروج الإمام عنهما وهو محال:

روي في البحار بأسناده قال رسول الله ﷺ لعلّي ثلاث إسم أنّهن حق،

١- البقرة - ٢١٣
٢- البقرة - ٢١٣
٣- يونس - ٣٣
٤- السّجدة - ١٣
٥- آل عمران - ١٩١
٦- يونس - ٣٥

الصّائمين القانتين القائمين
العائفين بني الحجیٰ والسّؤدد
الرّاكعين السّاجدين الحامدين
السّابقين الیٰ صّلوة المسجد
القانتين الرّانقين السّابحين
العابدين آلهههم بتوَدّدٍ
الواهبين المانعين القادرين
القاهرين لحاسد المُتّحسِد

□ **قوله ﷺ: لاَ يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَلاَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَهُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلاَمِ وَ وَلاَئِجُ الْاِعْتِصَامِ...**

أثبت لهم أربعة أوصاف في المقام بعد الأوصاف السّابقة الأربعة:

أحدها: أنّهم لا يخالفون الحقّ وهو يطلق علیٰ أربعة أوجه:

الأوّل:

يقال لِموجد الشّئ وخالقه بسبب ما تقتضيه الحكمة ولهذا قيل في اللّه تعالیٰ: **﴿هُوَ الْحَقّ، ثُمَّ رَدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ﴾** (١) وقوله: **﴿فَذٰالِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾** (٢)

والثّاني:

يقال لمُوجَد الشّئ ومخلوقه بحسب مقتضیٰ الحكمة ولهذا يقال فعل اللّه تعالیٰ كلّه حقّ، قال تعالیٰ: **﴿ما خَلَقَ اللهُ ذٰالِكَ الاَّ بِالْحَقِّ﴾** (٣) وقال ﷺ **﴿اَلَمْ تَرَ اِنَّ اللّهَ خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾** (۴)

والثّالث:

يقال في الإعتقاد لِلشّئ المطابق لما عليه ذلك الشّئ في نفسه كقولنا إعتقاد

١- الانعام ـ ٦٢
٢- يونس ـ ٣٢
٣- يونس ـ ٥
۴- ابراهيم ـ ١٩

فلان في البعث والثّواب والعقاب والجنّة والنّار حقّ، قال تعالى: ﴿ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ﴾ (١)

و: ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فيهِ ﴾ (٢)

والرّابع:

للفعل والقول الواقع بحسب ما يجب وبقدر ما يجب وفي الوقت الّذي يجب كقولنا فعلك حقّ وقولك حقّ، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ (٣) وقال: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ (٤) إذا عرفت هذا فقوله عليه السلام أنّهم لا يخالفون الحقّ معناه أنّهم لا يخالفونه بكلّ معانيه، فلا يخالفون الخالق المُوجد لِلأشياء بل يطيقّونه وينقادون اليه ولا يخالفون خَلقه أيضاً بل يقولون ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا﴾ (٥) ولا يخالفون الإعتقاد الصّحيح بل يثبتونه ويُريدونه ولا يخالفون الفعل والقول الواقع بحسب ما يجب وبقدر ما يجب وهذا أيضاً واضح فهم لا يخالفون الحقّ بقولٍ مطلق ولازم ذلك موافقتهم له إذ لا واسطة بين النّفي والإثبات بحسب الواقع وإذا ثبت موافقتهم له في جميع الشّئون فهم معصُومون إذ لا نعني بالعِصمة إلّا مخالفة الباطل وموافقة الحقّ قولاً وعملاً وقلباً وحيث ثبتت العِصمة ثبتت الأمانة لقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (٦)

وجه الإستدلال بها أنّ المخالف للحقّ يجب أن يُهدىٰ اليه فلا يكون إماماً لقبح تقديم المفضول علىٰ الفاضل ولازم ذلك أن يكون الموافق له هو الإمام لعدم خلّو الإمامة عن هذين الوجهين وحيث يكون المخالف مأموماً فالموافق الهادي اليه هو الإمام لا محالة وهو المطلوب وإلّا يلزم خروج الإمام عنهما وهو محال:

روي في البحار بأسناده قال رسول الله ﷺ لعلّي ثلاث إسم أنّهن حقّ،

١- البقرة - ٢١٣
٢- البقرة - ٢١٣
٣- يونس - ٣٣
٤- السّجدة - ١٣
٥-آل عمران - ١٩١
٦- يونس - ٣٥

أنّك والأوصياء من بعدك عُرفاء لا يعرف اللّه إلّا بسبيل معرفتكم، وعرفاء لا يدخل الجنّة إلّا من عَرَفكم وعرفتموه، وعُرفاء لا يدخل النّار إلّا من أنكركم وأنكرتموه انتهىٰ «ج ٧ ص ٢١»...

روي في كشف الغُمّة بأسناده عن أبي ليلىٰ قال قال رسول اللّه ستكون من بعدي فِتنة فإذا كان ذلك فألزموا علّي بن أبي طالب فأنّه الفارق بين الحقّ والباطل انتهىٰ« ج ١ ص ١٤٣»...

وعن أبي أيّوب الأنصاري قال سمعت رسول اللّه يقول لعمّار بن ياسر تَقتلك الفئة الباغية وأنت مع الحقّ والحقّ معك ياعمّار إذا رأيت علّياً سَلَك وادياً وسَلَك النّاس وادياً غيره فأُسلك مع علّي ودَع النّاس أنّه لن يدليك في رَدِّي ولن يخرجك من الهُدىٰ الحديث« ص ١٤٣»...

وبأسناده عن عبد الرّحمٰن بن أبي سعيدقال كنّا جلوساً عند النّبي في نفرٍ من المُهاجرين ومَرّ علّي ابن أبي طالب فقال ﷺ الحقّ مع ذا انتهىٰ« ص ١٤٣»...

ومنه عن عائشة أنّ النّبي قال الحقّ مع علّي يزول مَعه حيث مازال انتهىٰ...

وعن أبي ذر عن أُمّ سلمة قالت سمعت رسول اللّه يقول أنّ علّياً مع الحقّ والحقّ مَعه لن يزولا حتّىٰ يردا علّي الحَوض انتهىٰ...

وعن أُمّ سلمة قالت كان علّي علىٰ الحقّ من إتّبعه إتبع الحقّ ومن تَركه تَرك الحقّ عهداً معهُوداً قيل يريد هذا انتهىٰ...

وقال رسول اللّه ياعلّي أنّ الحقّ معك والحقّ علىٰ لسانك وفي قلبك وبين عَينيك انتهىٰ...

وعن أبي موسىٰ الأشعري قال أشهد أنّ الحقّ مع علّي ولكن مالت الدّنيا بأهلها ولقد سمعت النّبي ﷺ يقول له ياعلّي أنت مع الحقّ والحقّ بعدي معك انتهىٰ...

وعن أبي حيان التميمي (التّيمي) عن أبيه عن علّيٍ أنّ النّبي قال رحَم اللّه علّياً اللّهم أدر الحقّ معه حيث دار انتهىٰ.

ومنه عن عائشة لمّا عُقر جملها ودخلت داراً بالبَصرة فقال لها أخوها محمّد أنشدك باللّه أتذكرين يوم حدّثتني عن النّبي ﷺ أنّه قال الحقّ لن يزال مع علّي وعلّي مع الحقّ لن يَختلفا ولن يَفتَرقا فقالت نعم انتهىٰ والأحاديث كلّها رويتها عن كشف الغمّة «ج ١ ص ١٤٢ الى ص ١٤٧»...

وفيه روايات كثيرة لم نذكرها حذراً عن الأطناب أن شئت الإطّلاع عليها فَراجعه.

أن قُلت ـ هذه الأحاديث تدّل علىٰ أنّ الحقّ مع علّيٍ وعلّيٌ مَعه لا يخالفه أصلاً ولا كلام لنا فيه فعلاً وأنّما الكلام في آل محمّدٍ وهُم لا يختّصون به:

قُلت ـ ما ثبت في حقّه ثبت في حقّ الأئمّة بعده واحداً بعد واحدٍ الىٰ الإمام الثّاني عشر وذلك لعدم القول بالفصل بينهم فما ثبت فيه ثبت في الأئمّة بعده ويدّلك علىٰ هذا ما ورد في غير واحدٍ من الأخبار من أنّ إنكار واحدٍ من الأحياء منهم إنكار الجميع وهو يدّل علىٰ أنّهم نور واحد ولا فَرق بينهم ولازم ذلك ماذكرناه من عَدم القول بالفصل:

فقد روي في البحار بأسناده عن ابن سكان عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال من أَنكر واحداً من الأحياء فقد أَنكر الأموات انتهىٰ...

وبأسناده عن أبان بن تَغلب قال قُلت لأبي عبد اللّه من عَرف الأئمّة ولم يَعرف الإمام الّذي في زمانه أمؤمنٌ هو قال لا قُلت أمسلم هو قال نعم انتهىٰ...

وبأسناده عن محمّد بن نمام قال قُلت لأبي عبد اللّه أنّ فلاناً مَولاك يَقرؤك السّلام ويقول لك إضمن لي الشّفاعة فقال عليه السلام أمِن موالينا قُلت نعم قال أمره أرفع من ذلك قُلت أنّه رجل يُوالي علّياً ولم يَعرف مَن بعده من الأوصياء قال عليه السلام ضّال قُلت فَأقّر بالأئمّة جميعاً وجَحَد الآخر قال عليه السلام هو كمن أَقّر بعيسىٰ وجَحَد بمحمّدٍ وجَحَد بعيسىٰ نعوذ باللّه من جَحَد حُجّةٍ من حُججه انتهىٰ...

وبإسناده عن محمّد بن مسلم قال قُلت لأبي عبد اللّه عليه السلام رجل قال لي أعرف الأخير من الأئمّة ولا يضرّك أن لا تعرف الأوّل قال فقال عليه السلام لعن اللّه هذا فأنّي أبغضه ولا أعرفه وهل يُعرف الأخير إلّا بالأوّل انتهىٰ...

والأحاديث فيه أيضاً كثيرة بحار الأنوار« ج ٧ ص ٢٠» ولنعم ما قيل:

ليس من الغرب الىٰ الشّرق مثل علّي سيّد الخَلق
لو رجع الحقّ الىٰ أهله لكان أولىٰ النّاس بالحقّ

ولآخر:

علّيُ بلا شكّ مع الحقّ لم يزل به الحقّ مقرمناً كسنيين في فمٍ

وثانيها: أنّهم لايختلفون فيه، أي في الحقّ والفرق بين الوصفين واضح لا خفاء فيه فَليس لأحد أن يقول قوله عليه السلام: **لاَ يُخَالِفُونَ الْحَقَّ** يُغنينا عن هذا الكلام لإنّا نقول عَدم مخالفة الحقّ شئ وعَدم الإختلاف فيه شئ آخر ولا ملازمة بينهما أصلاً ففي قوله عليه السلام: **لاَ يُخَالِفُونَ الْحَقَّ** إثبات طاعتهم وإنقيادهم وعصمتهم كما مرّ.

وفي قوله عليه السلام: وَلاَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ إثبات أنّهم نُور واحد وأنّ علومهم من اللّه ورسوله لا من الخلق فما يقوله أحدهم يقوله الآخر وما ينفيه كذلك فهم إثني عَشر خليفة ومع ذلك واحد وعَلىٰ قول العُرفاء هم كثيرون في عين الوحدة وواحد في عين الكثرَة ففي عالم الكثرات أعني به عالم الحِسّ والشّهود كانوا أثني عَشر وفي عالم المعنىٰ الّذي لا تكثّر فيه واحد فالّذي يحصل لنا في المقام من هذا الكلام أمور ينبغي التّنبيه عليها:

أحدها : الوحدة في الكثرة والكثرة في الوحدة الّتي أشرنا اليها ويلزم فيه أن يكون إنكار الواحد منهم إنكار الجميع كما مّرت الأحاديث فيه وأن يصّح الإستناد في حديث كلّ واحدٍ منهم الىٰ الآخر مثل إستناد حديث علّي الىٰ الباقر والباقر الىٰ الصّادق والكلّ الىٰ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وهذا أيضاً ثابت في مذهبنا ولا إشكال فيه:

وثانيها: أنّ مَنشأ العلوم فيهم واحد وذلك أيضاً لا كلام فيه فأنّ علومهم عن رسول اللّه وعلمه عن اللّه تعالىٰ وهذا هو السّر في عَدم إختلافهم في الأحكام وغيرها فلو أخذوا علومهم عن النّاس كَغيرهم لكان الإختلاف فيهم مسلماً قطعياً ألا ترىٰ أنّ العلوم الرّسمية من الفلسفة والأصول والمنطق وغيرها ليست بخالية عن الإختلاف بين العُلماء وأمّا آل محمّد فلا تَجد واحداً منهم إختَلف في حكم من الأحكام مع إمام آخر بل كثيراً كان يُسأل عن الصّادق عليه السلام فقال عليه السلام في الجواب قال علّي كذا أو قال الباقر كذا ولم يجب السّائل بشيٍ غيره مشعراً بأنّ قوله قولي وحكمه حُكمي وهو دليل علىٰ عدم إختلافهم فيه:

وثالثها: وَحدة المقصَد وهو الحقّ وذلك لأنّ الإنسان إذا عرف الحقّ ولم يقصد غيره من المقاصد الدّنيوية والآمال النّفسانية من الحسد والكِبر وحبّ الجاه وأمثال ذلك من المُوبقات فلا معنىٰ لمخالفته غيره إذا كان الغير أيضاً مثله فالأئمّة سلام اللّه عليهم أوصياء الرّسول وَهَدفهم وغرضهم كان منحصراً في إرشاد النّاس الىٰ الحقّ وقد عرفوا الحقّ حقّ المعرفة فلا معنىٰ لإختلافهم لأنّ منشأ الإختلاف أمّا الجهل بالحقيقة أو تعدد الغَرض أو غير ذلك والكلّ لم يكُن.

و رابعها: كونهم دعائم الإسلام، والدّعائم جمع دّعامة الخَشب المنصوب للعريش ويقال لها بالفارسية (ستُون) وقد يقال ويراد بها سيّد القوم قال في المنجد دعامة القوم سيّدهم وكلا المعنيين يطلقان عليهم إلّا أنّ إطلاق الأوّل من باب الإستعارة حيث شبّه عليه السلام الإسلام بالبيت أو السّقف وآل محمّدٍ بالدّعائم الّتي بنىٰ السّقف عليها فكما أنّ قوام السّقف بدعائمه كذلك قوام الإسلام بهم وأمّا إطلاق الثّاني فلا مجاز فيه بل هو علىٰ سبيل الحقيقة إذ كونهم عليهم السّلام سادات الإسلام والمسلمين ممّا لم يختلف فيه أحد:

روي في البحار بأسناده عن أبي جعفر عليه السلام عن آبائه عن علّي عليه السلام قال أنّ اللّه إفترض خمساً ولم يفترض إلّا حُسناً جميلاً الصّلوة والزّكوة والحج

والصّيام وولايتنا أهل البيت فعمل النّاس بأربع واستّخفوا بالخامسة واللّه لن يستكملوا الأربع حتّىٰ يستكملوها بالخامسة انتهىٰ« ج ٧ ص ٢٢»...

وبأسناده قال رسول اللّه ﷺ أنا ميزان العلم وعليّ كَفتّاه والحسن والحسين حباله وفاطمة علاقته والأئمّة من بَعدهم يَزِنُون المُحبّين والمُبّغضين والناصّبين الّذين عليهم لعنة اللّه ولعنة اللّاعنين انتهىٰ« ص ٢٢»...

وفي الوسائل عن الصّادق عليه السلام قال بُني الإسلام علىٰ خمس علىٰ الصّلٰوة والزّكٰوة والصّيام والحجّ والولاية وما نودي بشيءٍ منها كما نُودي بالولاية فأخذوا النّاس بالأرّبع وتركُوها انتهىٰ...

وبأسناده عن أبي اليَسع قال قلت لأبي عبد اللّه حدّثني عن دعائم الإسلام الّتي بنىٰ عليها ولا يسع أحد من النّاس تقصير في شيءٍ منها الّتي من قصر عن معرفة شيءٍ كتب عليه ذنبه ولم يقبل منه عمله ومن عرفها وعمل بها صلح دينه وقبل منه عمله ولم يضّر به ما فيه بجهل شيءٍ من الأمور جهله قال فقال شهادة أن لا إله إلّا اللّه والإيمان برسول اللّه والإقرار بما جاء به من عند اللّه ثمّ قال الزّكٰوة والولاية شيءٌ دون شيءٍ فضل يعرف لمن أخذ به قال رسول اللّه ﷺ من مات لا يعرف إمامه مات ميتّة الجاهليّة (جاهليّة) الحديث «الحديث بحار الانوار ج ٧ ص ١٩»...

نَعِم آل طه خير من وَطَأَ الحصىٰ
وأكرم أبصاراً علىٰ الأرض تطرف
هُم الكلمات الطّيبات الّتي بها
يُثاب علىٰ الخاطئ فيجبىٰ ويزلف
هُم البَركات النّازلات علىٰ الورىٰ
تَعُمّ جميع المؤمنين وتكنف

هُــم البــاقيات الصّــالحات بــذكرها

لذاكــرها خــير الثّــواب المُـضّعف

هُــم الصّــلوات الزّاكـيات عـليهم

يَــدّل المــنادي بــالصّلوة ويـعكف

هُــم الحَــرم المأمَــون آمـن أهـله

وأعــدائــه مِــن حَــوله تـتّخطفُ

هُم الوجـه وجـه اللّه والجنب جَنبه

وهُـم فُـلك نـوح خـاب عـنه المخَلف

هُـم البـاب بـاب اللّـه والحبل حبله

وعــروته الوُثــقىٰ تــواري وتكـتف

وأسـماءه الحسـنىٰ الّـتي مَـن دعـا بـها

أُجـيب فـما للـنّاس عـنها تَـحَرُّف

هُـم الآيـة الكبرىٰ بهم صارت العـصا

لمــوسىٰ الكــليم حــيّة تــتّلقفُ

وخامسها: قوله وَوَلائج الإعتصام، الولائج جمع وَليجة كالغرائز جمع غريزة والوَليجة ما يدخل فيه السّائر إعتصاماً من مَطَرٍ أو توقّياً من مُفترس والإعتصام التّمسك والتّوصل والمعنىٰ أنّ من إعتصم بكم فقد نجىٰ من المَهالك في الدّنيا والآخرة وهذا الحكم أيضاً ثابت لهم بالعقل والنّقل:

أمّا العقل: فلأنّهم أقرب النّاس الىٰ اللّه تعالىٰ فمن اعتَصم بهم فقد إعتَصم باللّه تعالىٰ والإعتصام باللّه يُوجب النّجاة فكذلك الإعتصام بهم وهو المطلوب أمّاكونهم أقرب اليه تعالىٰ فلِما ورد عن رسول اللّه ﷺ أنه قال **أوّل ما خَلق اللّه نوري**، وقال ﷺ **أنا وعليّ من نور واحدٍ** فنور رسول اللّه ونور علّي واحدٍ، وهكذا الأئمّة لعَدم القول بالفصل بينهم ولما مرّ من الأحاديث الدّالّة علىٰ أنّ إنكار الواحد منهم إنكارٌ للجميع.

وأمّا النّقل: فكثيرة فمنها حديث الثّقلين الّذي رَوته العامّة والخاصّة قال

رسول اللّه أنّي تارك فيكم الثّقلين ما أن تَمسّكتم بهما لن تضّلوا بعدي كتاب اللّه وعترتي،

أو قال ﷺ أنّي تارك فيكم الثّقلين كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي وقد روي هذا الحديث بأسانيد مُختلفة وهو ممّا لا خلاف فيه).

ومنها- حديث السّفينة الّذي هو أيضاً في حدّ التّواتر بل فوقه قال رسول اللّه ﷺ مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح فَمن ركَبها نجىٰ ومن تـخلّف عـنها غَرق وهذا الحديث أيضاً ممّا لا كلام فيه...

ومنها- ماروواه السّجستاني وهو من أعلام العامّة عن مطرف قال سمعت النّبي يقول من أحبّ أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجنّة الّتي وعدني بها وهي جنّة الخُلد فليتّول علّي ابن أبي طالب وذرّيته من بعده فأنّهم لن يخرجوهم من باب هُدىٰ ولن يدخُلوهم في باب ضلالة انتهىٰ...

ومنها - مارواه الزّمخشري بأسناده قال النّبي ﷺ فاطمة بـهجة قـلبي وأبناها ثمرة فؤادي وبعلها نور بصري والأئمّة من ولدها أُمناء ربّي وحبل ممدود بينه وبين خَلقه من إعتصم بهم نجىٰ ومن تخلّف عنهم هوىٰ انتهىٰ...

ومنها - مارواه السّجستاني عن زيد بن أرقم عن النّبي قال ﷺ من أُحبّ أن يتّمسك بالقَضيب اليّاقوت الأحمر الّذي غرسه اللّه تعالىٰ في جنّة عدنٍ فليتّمسك بحبّ علي بن أبي طالب وذرّيته الطّاهرين عليهم السّلام انتهىٰ...

أقول: الأحاديث كلّها من طرق العامّة رويناها عن البحار« ج ٧ ص ٢٣» ولا نحتاج الىٰ ذكر أكثر منها لكون الموضوع من المسّلمات عند الفَريقين وأمّا عند الخاصّة فالأمر أوضح:

يـابني طَـه ونـونٌ والقَـلَم ... حـبّكم فَرضٌ علىٰ كلّ الأمَـم
مـن يُـدانيكم ولولاكُـم لما ... خُـلِق اللّوح ولا أُجري القَلَم
أنـتم أكـرم أن عُـدّ الورىٰ ... أنـتُم أعـلم مـاشٍ بـقَدم

قال ابن حماد:

ولاء النّـبي وآل النّـبي ... عَـقدي وأمـني مـن مَـفزعي

ووجّهت وجهي لا أبتغي سوىٰ السّادة الخُشّع الرُّكع
ومالي هداة سوىٰ الطّاهرين بدُور الهُدىٰ الكُمّل اللُمَّع
بحار النّوال بُدور الكمال غيوث الورىٰ الهُطّل الهُمّع
هم شفعائي الىٰ ربّهم وليس سواهم بمستشفع
بهم يرفع اللّه أعمالنا ولولا الولاية لم ترفع

وقال النّاشي:

بآل محمّدٍ عُرف الصّواب وفي أبياتهم نزل الكتاب
وهُم حُجج الإله علىٰ البرايا بهم وبحكمهم لا يُستراب
وأنوارٌ ترىٰ في كلّ عَصرٍ لإرشاد الورىٰ منهم شهابٌ
ذراري أحمدٍ وبني علّيٍ خليفته وهُم لُبّ اللّباب
إذا ما أعوز الطّلاب عِلمٌ ولم يُوجد فعندهم يُصاب
تناهوا في نهاية كلّ مُجدٍ فَطُهرُ خَلقهم وزكوا وطابوا
وحبّهم صراطٌ مستقيمٌ ولكن في سالكه عقابٌ

ولآخر:

هُم صفوة اللّه الّتي ليس مثلها وماثلهم في العالمين بديلٌ
خيار خيار النّاس من لا يَحبّهم فليس له إلّا الجحيم مُقيلٌ

ولآخر:

وإذا الرّجال توَسّلوا بوسيلةٍ فَوسيلتي حُبّي لآل محمّدٍ
اللّه طّهرهم بفضل نبّيهم وأبان شيعتهم بطيب المولد

ولآخر:

يا آل أحمد أنتم سُفن النّجاة لمن عَقل
أنتم سماء للسّماء وبهَديكم ضُرب المثل

□ قوله عليه السلام: **بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَىٰ نِصَابِهِ وَإِنْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِه...**

الباء للسّبب والمعنىٰ أنّ الحقّ رجع الىٰ أصله ببركة وجود آل محمّد

وبإرشادهم زال الباطل عن مقامه وإنقطع لسانه أي لسان الباطل عن مَنبَته أي أصله، أمّا الأوّل أعني رجوع الحقّ الىٰ نصابه بهم فهو إشارة الىٰ أنّهم معيار الحقّ وميزانه فلا يُعرف الحقّ إلّا بهم لكونهم مع الحقّ والحقّ معهم يدور معهم حيثما داروا وقد مرّ الكلام فيه وأمّا الثّاني أعني زوال الباطل وإنقطاع لسانه فهو إشارة الىٰ غلبة حُججهم علىٰ الخَصم بحيث لا يبقىٰ له مجال في البحث وهذا ممّا لا خفاء فيه ويَكفيك في ذلك الإحتجاجات والمُناظرات المسطُورة في الكُتب الموضوعة لها.

فأنّه لم يغلب عليهم أحدٌ من العلماء في كلّ عصرٍ بشهادة التّواريخ والآثار من الموافق والمُخالف كما قيل:

إذا جئت شبهة في الدّين مُبهمةٌ — فهُم مصابيحها للخلق والسُّروج
هم الشّموس الّتي تدي الأنام وما — غير المنيف إذا يعزىٰ ولا فَرج
مشكوة نورٍ ومصباح يُضيّ بها — كأنّه كوكبٌ يُوري وينسرج

وقد ورد عنهم، **بنا عُرف اللّه وبنا عُبد اللّه لولانا ماعُرف اللّه** وأمثال ذلك ولأجل هذا أَمَرنا النّبي بإتّباعهم والإقتداء بهم ولكن القوم ماعرفوهم أو عرفوهم وأعرضوا عنهم للوصول الىٰ الحُطام الدّنيوية حتّىٰ قيل إرتّد النّاس بعد النّبي إلّا ثلاثة أو سبعة ولنعم ما قيل:

عَجبت لقومٍ أضلوا السّبيل — ولم يبتغوا إتّباع الهُدىٰ
فما عرفوا الحقّ حين إستنار — ولا أبصروا الفجر لمّا بدا
ألا أيّها المعشر النّائمون — أُحذّركم أن نَعضّوا الكرىٰ
أفيقوا فما هي إلّا أثنتان — أمّا الرّشاد وأمّا العَمىٰ
وما خفىٰ الرّشد لكنّما — أضّل الحُلوم أتّباع الهوىٰ
وما خُلقت عبثاً أُمّة — ولا ترك اللّه قوماً سُدىٰ

□ قوله ﷺ: **عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ لاَ عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ...**

العقل تارة يُطلق ويُراد به القوّة المُتهيئة لقبول الصّور المعقولة الحاصلة من

الشّيء عند تصّورها وأُخرىٰ يُراد به العلم الّذي يستفيده الإنسان بتلك القوّة والأوّل يُعبّر عنه بالمطبوع والثّاني بالمسموع فأنّ نفس القوّة موجودة لكلّ إنسان وأمّا الفعلية فلا تحصل لِلكلّ وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام هذا التّعبير ولم أرهما من غيره قال عليه السلام العقل عقلان مَطبُوع ومَسمُوع ولا ينفع مَسمُوعٌ إذا لم يك مطبوع كما لا ينفع ضوء الشّمس وضوء العين ممنُوع والىٰ الأوّل أشار الرّسول صلى الله عليه وآله بقوله **ما خَلق اللّه خلقاً أكرم عليه من العقل** والىٰ الثّاني بقوله ما كَسبَ أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه الىٰ هُدىٰ أو يردّه عن رَدىٰ وهذا العقل هو المعنّىٰ بقوله تعالىٰ **﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاّ الْعَالِمُونَ﴾**

أقول: لعلّ المراد بالعقل بالمعنىٰ الثّاني العلم الّذي يحصل للإنسان بعد أن لم يكن وهذا هو الفرق بينهما في الأصل وإلّا فالعلم مُكمِلٌ للعقل ومُحصِلٌ له وأن شئت قُلت يخرجه من القوّة الىٰ الفعل وللبحث فيه مقام آخر وكيف كان غَرضه عليه السلام في المقام واللّه العالم أنّ آل مُحمّدٍ عقلوا الدّين وعَرفُوه وغيرهم أيضاً عَقلوه وعَرفُوه ظاهراً والفَرق بين العقلين دقيق لا يعقله إلّا العاقلون من ذوي الألباب وحاصله أنّ العقل كما عرفت مطبُوع ومَسمُوع والأوّل يكون بحسب الطّبع والجّبلة من غير سماعٍ ورواية.

والثّاني بخلافه لا نقول أنّ المسمُوع يُقابل المطبُوع تقابل التّضاد أو السّلب والإيجاب بل نقول تقابلهما تقابل العدم والمَلَكة فالمطبُوع عدم المسمُوع عمّا من شأنه أن يكون مَسمُوعاً كما أنّ العِمىٰ عدم البصر عمّا من شأنه أن يكون بصيراً والمسمُوع حيث أنّه يَتوقف علىٰ وجود المطبُوع لإستحالة وجوده بدونه فلا محالة لا ينفع مع قطع النّظر عن المطبُوع ولا عكس ولأجل هذا قال عليه السلام ولا ينفع مسمُوع إذا لم يك مطبُوع ولم يقل ولا يَنفع مطبُوع إذا لم يك مسمُوع ضرورة أنّ الأصل لا يتوقف وجوداً ولا نفعاً علىٰ الفرع نعم يكون الفَرع من نتائجه وآثاره وهو غير المدّعىٰ إذا عرفت هذا فَنقول التّحقيق أنّ العقل في الإنسان الكامل أعني به الأنبياء والأوصياء لا يكون مسمُوعاً بل يكون مطبُوعاً فقط خلافاً لبعض الفلاسفة حيث ذهب الىٰ أنّ عقول الأنبياء

وبإرشادهم زال الباطل عن مقامه وإنقَطع لسانه أي لسان الباطل عن مَنبَته أي أصله، أمّا الأوّل أعني رجوع الحقّ الىٰ نصابه بهم فهو إشارة الىٰ أنّهم معيار الحقّ وميزانه فلا يُعرف الحقّ إلّا بهم لكونهم مع الحقّ والحقّ معهم يدور معهم حيثما داروا وقد مرّ الكلام فيه وأمّا الثّاني أعني زوال الباطل وإنقطاع لسانه فهو إشارة الىٰ غلبة حُججهم علىٰ الخَصم بحيث لا يبقىٰ له مجال في البحث وهذا ممّا لا خفاء فيه ويَكفيك في ذلك الإحتجاجات والمَناظرات المسطُورة في الكُتب الموضوعة لها.

فأنّه لم يغلب عليهم أحدٌ من العلماء في كلّ عصرٍ بشهادة التّواريخ والآثار من الموافق والمُخالف كما قيل:

إذا جذت شبهة في الدّين مُبهمةٌ — فهُم مصابيحها للخلق والشُّروج
هم الشّموس الّتي تدي الأنام وما — غير المنيف إذا يعزىٰ ولا فَرج
مشكوة نورٍ ومصباح يُضئ بها — كأنّه كوكبٌ يُوري وينسرج

وقد ورد عنهم، بنا عُرف اللّه وبنا عُبد اللّه لولانا ماعُرف اللّه وأمثال ذلك ولأجل هذا أَمَرنا النّبي بإتّباعهم والإقتداء بهم ولكن القوم ماعرفوهم أو عرفوهم وأعرضوا عنهم للوصول الىٰ الحُطام الدّنيوية حتّىٰ قيل إرتّد النّاس بعد النّبي إلّا ثلاثة أو سبعة ولنعم ما قيل:

عَجبت لقومٍ أضّلوا السّبيل — ولم يبتغوا إتّباع الهُدىٰ
فما عرفوا الحقّ حين إستنار — ولا أبصروا الفجر لمّا بدا
ألا أيّها المعشر النّائمون — أُحذّركم أن تَعضّوا الكرىٰ
أفيقوا فما هي إلّا أثنتان — أمّا الرّشاد وأمّا العَمىٰ
وما خفىٰ الرّشد لكنّما — أضّل الحُلوم أتّباع الهوىٰ
وما خُلقت عبثاً أُمّة — ولا ترك اللّه قوماً سُدىٰ

□ قوله ﷺ: **عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ لاَ عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ...**

العقل تارة يُطلق ويُراد به القوّة المُتهيئة لقبول الصّور المعقولة الحاصلة من

الشّيءِ عند تصّورها وأُخرىٰ يُراد به العلم الّذي يستفيده الإنسان بتلك القوّة والأوّل يُعبّر عنه بالمطبوع والثّاني بالمسموع فأنّ نفس القّوة موجودة لكلّ إنسان وأمّا الفعّلية فلا تحصل لِلكلّ وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام هذا التّعبير ولم أَرهما من غيره قال عليه السلام العقل عقلان مَطبُوع ومَسمُوع ولا ينفع مَسمُوعٌ إذا لم يك مطبوع كما لا ينفع ضوء الشّمس وضوء العين ممنُوع والىٰ الأوّل أشار الرّسول صلى الله عليه وآله بقوله **ما خَلق اللّه خلقاً أكرم عليه من العقل** والىٰ الثّاني بقوله ما كَسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه الىٰ هُدىٰ أو يردّه عن رَدىٰ وهذا العقل هو المعنّىٰ بقوله تعالىٰ **﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاّ الْعَالِمُونَ﴾**

أقول: لعلّ المراد بالعقل بالمعنىٰ الثّاني العلم الّذي يحصل للإنسان بعد أن لم يكن وهذا هو الفرق بينهما في الأصل وإلّا فالعلم مُكمِلٌ للعقل ومُحصِلٌ له وأن شئت قُلت يخرجه من القوّة الىٰ الفعل وللبحث فيه مقام آخر وكيف كان غَرضه عليه السلام في المقام والله العالم أنّ آل مُحمّدٍ عقلوا الدّين وعَرفُوه وغيرهم أيضاً عَقلوه وعَرفُوه ظاهراً والفَرق بين العقلين دقيق لا يعقله إلّا العاقلون من ذوي الألباب وحاصله أنّ العقل كما عرفت مطبُوع ومَسمُوع والأوّل يكون بحسب الطّبع والجّبلة من غير سماعٍ ورواية.

والثّاني بخلافه لا نقول أنّ المسمُوع يُقابل المطبُوع تقابل التّضاد أو السّلب والإيجاب بل نقول تقابلهما تقابل العدم والمَلَكة فالمطبُوع عدم المسمُوع عمّا من شأنه أن يكون مَسمُوعاً كما أنّ العِمىٰ عدم البصر عمّا من شأنه أن يكون بصيراً والمسمُوع حيث أنّه يَتوقف علىٰ وجود المطبُوع لإستحالة وجوده بدونه فلا محالة لا ينفع مع قطع النّظر عن المطبُوع ولا عكس ولأجل هذا قال عليه السلام ولا ينفع مسمُوع إذا لم يك مطبُوع ولم يقل ولا يَنفع مطبُوع إذا لم يك مسمُوع ضرورة أنّ الأصل لا يتوقف وجوداً ولا نفعاً علىٰ الفرع نعم يكون الفَرع من نتائجه وآثاره وهو غير المدّعىٰ إذا عرفت هذا فَنقول التّحقيق أنّ العقل في الإنسان الكامل أعني به الأنبياء والأوصياء لا يكون مسمُوعاً بل يكون مطبُوعاً فقط خلافاً لبعض الفلاسفة حيث ذهب الىٰ أنّ عقول الأنبياء

وبإرشادهم زال الباطل عن مقامه وإنقطع لسانه أي لسان الباطل عن مَنبَته أي أصله، أمّا الأوّل أعني رجوع الحقّ الىٰ نصابه بهم فهو إشارة الىٰ أنّهم معيار الحقّ وميزانه فلا يُعرف الحقّ إلّا بهم لكونهم مع الحقّ والحقّ معهم يدور معهم حيثما داروا وقد مرّ الكلام فيه وأمّا الثّاني أعني زوال الباطل وإنقطاع لسانه فهو إشارة الىٰ غلبة حُججهم علىٰ الخَصم بحيث لا يبقىٰ له مجال في البحث وهذا ممّا لا خفاء فيه ويَكفيك في ذلك الإحتجاجات والمُناظرات المسطُورة في الكُتب الموضوعة لها.

فأنّه لم يغلب عليهم أحدٌ من العلماء في كلّ عصرٍ بشهادة التّواريخ والآثار من الموافق والمُخالف كما قيل:

إذا جذت شبهة في الدّين مُبهمةٌ — فهُم مصابيحها للخلق والسُّروج
هم الشّموس الّتي تدي الأنام وما — غير المنيف إذا يعزىٰ ولا فَرج
مشكوة نورٍ ومصباح يُضيءُ بها — كأنّه كوكبٌ يُوري وينسرج

وقد ورد عنهم، **بنا عُرف اللّه وبنا عُبد اللّه لولانا ماعُرف اللّه** وأمثال ذلك ولأجل هذا أَمَرنا النّبي بإتّباعهم والإقتداء بهم ولكن القوم ماعرفوهم أو عرفوهم وأعرضوا عنهم للوصول الىٰ الحُطام الدّنيوية حتّىٰ قيل إرتّد النّاس بعد النّبي إلّا ثلاثة أو سبعة ولنعم ما قيل:

عَجبت لقومٍ أضّلوا السّبيل — ولم يبتغوا إتّباع الهُدىٰ
فما عرفوا الحقّ حين إستنار — ولا أبصروا الفجر لمّا بدا
ألا أيّها المعشر النّائمون — أُحذّركم أن تَعصّوا الكرىٰ
أفيقوا فما هي إلّا أثنتان — أمّا الرّشاد وأمّا العَمىٰ
وما خفىٰ الرّشد لكنّما — أضّل الحُلوم أتّباع الهوىٰ
وما خُلقت عبثاً أُمّة — ولا ترك اللّه قوماً سُدىٰ

▫ **قوله ﷺ: عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ لاَ عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ...**

العقل تارة يُطلق ويُراد به القوّة المُتهيئة لقبول الصّور المعقولة الحاصلة من

الشّيّ عند تصّورها وأُخرىٰ يُراد به العلم الّذي يستفيده الإنسان بتلك القوّة والأوّل يُعبّر عنه بالمطبوع والثّاني بالمسموع فأنّ نفس القوّة موجودة لكلّ إنسان وأمّا الفعليّة فلا تحصل لِلكلّ وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام هذا التّعبير ولم أرهما من غيره قال عليه السلام العقل عقلان مَطبُوع ومَسمُوع ولا ينفع مَسمُوعٌ إذا لم يك مطبوع كما لا ينفع ضوء الشّمس وضوء العين ممنُوع والىٰ الأوّل أشار الرّسول صلى الله عليه وآله بقوله **ما خَلق اللّه خلقاً أكرم عليه من العقل** والىٰ الثّاني بقوله ما كَسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه الىٰ هُدىٰ أو يردّه عن رَدىٰ وهذا العقل هو المعنّىٰ بقوله تعالىٰ **﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾**

أقول: لعلّ المراد بالعقل بالمعنىٰ الثّاني العلم الّذي يحصل للإنسان بعد أن لم يكن وهذا هو الفرق بينهما في الأصل وإلّا فالعلم مُكمِلٌ للعقل ومُحصِلٌ له وأن شئت قُلت يخرجه من القوّة الىٰ الفعل وللبحث فيه مقام آخر وكيف كان غَرضه عليه السلام في المقام والله العالم أنّ آل مُحمّدٍ عقلوا الدّين وعَرفُوه وغيرهم أيضاً عَقلوه وعَرفُوه ظاهراً والفَرق بين العقلين دقيق لا يعقله إلّا العاقلون من ذوي الألباب وحاصله أنّ العقل كما عرفت مطبُوع ومَسمُوع والأوّل يكون بحسب الطّبع والجّبلة من غير سماعٍ ورواية.

والثّاني بخلافه لا نقول أنّ المسمُوع يُقابل المطبُوع تقابل التّضاد أو السّلب والإيجاب بل نقول تقابلهما تقابل العدم والمَلَكة فالمطبُوع عدم المسمُوع عمّا من شأنه أن يكون مَسمُوعاً كما أنّ العِمىٰ عدم البصر عمّا من شأنه أن يكون بصيراً والمسمُوع حيث أنّه يَتوقف علىٰ وجود المطبُوع لإستحالة وجوده بدونه فلا محالة لا ينفع مع قطع النّظر عن المطبُوع ولا عكس ولأجل هذا قال عليه السلام ولا ينفع مسمُوع إذا لم يك مطبُوع ولم يقل ولا يَنفع مطبُوع إذا لم يك مسمُوع ضرورة أنّ الأصل لا يتوقف وجوداً ولا نفعاً علىٰ الفرع نعم يكون الفَرع من نتائجه وآثاره وهو غير المدّعىٰ إذا عرفت هذا فَنقول التّحقيق أنّ العقل في الإنسان الكامل أعني به الأنبياء والأوصياء لا يكون مسمُوعاً بل يكون مطبُوعاً فقط خلافاً لبعض الفلاسفة حيث ذهب الىٰ أنّ عقول الأنبياء

والأوصياء في بَدو الأمر كانت ناقصة ثُمّ صارت كاملة تدريجاً ولمّا سُئِل عن الفَرق بين عقل النّبي مثلاً وعقل غيره من النّاس أجاب بأنّ العقل في الإنسان الكامل يكتفي بذاته في الوصول الىٰ الكمال بخلافه في غيره حيث أنّ العقل فيه يحتاج الىٰ غيره وعليه ففي أصل النّقص في بدو الخَلقة هو أي العقل فيهما سيّان والفرق في الإكتفاء بذاته في مقام الصّعود أو بغيره هذا ملخصّ كلامه وتبعه عليه غير واجد من كبار المحقّقين أمثال صدر المُتألهين والسّبزواري وغيرهما وأمّا نحن فقد أثبتنا خلافه في مقام البحث وليس كتابنا هذا موضوعاً لتحقيق هذه المباحث المعضلة العقّلية والّذي حَصَل لنا في المقام بعد التّعمق في دلائلهم وأقوالهم هو أنّ ماذكروه مجّرد دعوىٰ بلا بَيّنةٍ وبرهانٍ والّذي دعاهم الىٰ هذا القول هو أنّهم ذهبوا الىٰ جسّمانية النّفس في مقام الحدوث وروحانيّته في مقام البقاء كما قال السّبزواري ﷺ:

النّفس في الحدوث جسّمانية وفي البقاء تكون روحانيّة

ثمّ جعلوا العقل من قوىٰ النّفس فقالوا أنّ لها قوّتان باعتبار تأثرهما عمّا فوقها وتأثيرها فيما دونها والأوّل يُعبّر عنه بالعقل النّظري أي الكَسبي والثّاني يُعبّر عنه بالعقل العَمَلي أو أنّ الأوّل قوّة علامّة والثّاني قوّة عمّالة والنّفس بسبب هاتين القّوتين تَصعد من حضيض النّاسوت الىٰ أوج (أعلىٰ) المَلكوت وعليه فالعقل لا شئ برأسه وأنّما هو جناح النّفس قال:

للنّفس قوّتان عقلٌ نظري وعَمَليٌ أن تَشاء فَعبّر
عَلامّة عمّالة فالمبتدء لأربع مراتب قد صعدا

وغَرضه من المبتدء هو العقل النّظري ومن مراتبه الأربعة الّتي يصعد العقل اليها، العقل الهَيوَلاني، و بالقّوة، والعقل بالمَلَكة، والعقل بالفعل، والعقل بالمُستفاد كما أشار اليها بقوله:

بحسب الكمال وإستعدادُ ذي الضّعف والتّوسيط إشتدادُ
كقّوة الطّفل ومن تَرعَرعا لِضعةٍ وماهرٍ ماصَنعا
فما هو إستعداد الأوّلي سُمّىٰ بالعقل الهيُولاني

وعقلُ إستعداد كسب المُدركة — مــن أوّليــات له بــالمَلَكة
بــالفعل وإستعداد الإستحضار — للـــنّظريات بـــلا إنـــتظارُ
والعـقل حيث العَدم إستعدادُ — وإســتحضر العــلوم مسـتفادُ

وعلىٰ هذا الأساس فالنّفس في بدُو حدُوثها تكون في مقام العقل بالمَلَكة ثمّ تصير عقلاً بالمَلَكة ثمّ عقلاً بالفعل ثمّ عقلاً بالمُستفاد وتفصيل البحث في كلّ واحدٍ منها موكول الىٰ محلّه:

ثمّ أنّهم لمّا رأوا جريان القاعدة في العقول كلّها لعدم جواز التّخصيص في العقلّيات ويلزم أن يكون النّبي والوصّي كغيرهما من النّاس من حيث شمول الحكم لهما مع إنّا نرىٰ في الآيات والأخبار ما يشعر بخلافه وأنّ عقولهم ليست كعقول غيرهم أرادوا بقولهم هذا بيان الفرق بين العقلين من أنّه فيهم يكتفي بذاته في مقام الوصول الىٰ الكمال وفي غيرهم يحتاج الىٰ غيره، ولم يعلموا أنّ هذا القدر من الفرق مُضافاً الىٰ أنّه غير معقول إذ كيف يتصور الوصول من النّقص الىٰ الكمال بذاته، لا يُسمن ولا يُغني وذلك لأنّهم أثبتوا العقل في مقام القّوة للكلّ وأنّما فَرّقوا في كيّفية الوصول الىٰ الكمال وعليه فالعقل كان في الأنبياء وبعدهم في الأوصياء في بدوَ الأمر أعني حين تعلّق النّفس بأبدانهم في مقام القوّة المَحضَة كما كان في غيرهم كذلك وهذا من الأغلاط لو لم نقُل من عدم المعرفة بحالهم وليت شعري ماالّذي دعاهم الىٰ هذا القول فأن كان الباعث عليه عدم جواز التّخصيص في العقّليات كما أشرنا اليه فيقال لهم أمّا أوّلاً فلا نسّلم القاعدة وعلىٰ فرض التّسليم فهي تجري فيما يحكم العقل به حكماً بَطّياً كقولنا كلّ جسم له أبعاد ثلاثة وكلّ أربعة زوج وكلّ ثلاثة فردٍ وأمثال ذلك مِمّا لم يخالف فيه أحَد وما نحن فيه ليس كذلك فأنّ كثيراً من الفلاسفة في الإسلام وفي غيره خالفوا أصل الحكم أعني كون النّفس جسمانية الحدوث وروحانيّة البقاء وأنّما نشاء هذا القول من صدر المتألهين وتبعه عليه من قلّده وأمّا قبله فالأكثر من المشائين لولا كلّهم كانوا لا يقولون به وأمّا الأشراقّيون من الفلاسفة وفي رأسهم أفلاطون فلم يأخذوا به أصلاً فكيف

تكون القاعدة عقلية حتىٰ يقال بعدم جواز التّخصيص فيها بناءً علىٰ القول به بل الحقّ أنها مظنونة موهومة هذا إذا كان السّبب في قولهم القاعدة المشهورة وأمّا أن كان السّبب قاعدة أُخرىٰ أو شئ آخر من النّصوص الّتي لم نَقف عليها فكان عليهم بيانه وإذ ليس فَليس.

فتّحصل ممّا ذكرناه أنّ الأصل الّذي بَنوا عليه الفرع ممّا لا ينبغي أن يُعتمد عليه في المقام علىٰ سبيل الإطلاق ليشمل الأنبياء وغيرهم وأن قُلنا به بالنّسبة الىٰ غيرهم ومجّرد كونهم بحسب الظّاهر من البَشر لا يُوجب أن يحكم عليهم بما يحكم على غيرهم وإلّا فالإنسان كائناً من كان يخطئ ويسهُو قلّ أوكثر مع أنّ الأنبياء معصُومين لا يخطئون ولا يَجهلون ولا يَسهون ولا ينسُون كما قيل:

كار پاكان را قياس‌از خود مگير　　　گر چه باشد در نوشتن شير شير

فلابدّ لنا من مَخلَصٍ آخر عن هذه الوَرطة العَويصة وحيث إنّا لم نجد من حقّق القول في المقام من المتأخرين بل المُتقدمين فيما نعلم فالّذي نقول يرجع الينا صحيحاً كان أو باطلاً وبه نستعين فنقول - الحقّ أنّ عقول الأنبياء كانت من أوّل الأمر كاملة لا ناقصة حتّىٰ تحتاج الىٰ مُكّملٍ من ذواتها أو من غيرها وذلك لأنّ الإنسان الكامل لا يكون ناقصاً أصلاً ولو في مدّةٍ قليلة فلو فَرضنا أنّهم عليهم السّلام كانوا في بدو خلقهم نواقص العقول ثمّ صاروا كاملين فيها يلزم أن يكون النّبي أو الوصّي قبل وصوله الىٰ الكمال ناقصاً ومن كان ناقصاً في عقله يكون ناقصاً في جميع صفاته وهو لا يصلح للنّبوة والوصاية فأنّ النّبي والوصّي لابدّ من أن يكون كامل العقل جامع الصّفات ظاهراً وباطناً ويمكن الإستدلال عليه بالعقل والنّقل أمّا العقل فمن وجوهٍ:

أحدها: أنّ النّبي أو الوصّي لو كان ناقص العقل في بَدو الخَلق ثمّ صار كاملاً فيه فلا محالة يتّعلم من غيره وذلك الغير إمّا الخالق وإمّا المخلوق لا سبيل الىٰ الثّاني لأنّه يستّلزم تقديم المفضول علىٰ الفاضل وهو قبيح عقلاً والقبح عليه تعالىٰ مُحال وأمّا الأوّل فلا إشكال فيه بل الأمر كذلك إلّا أنّ الخالق الّذي خَلقه أن كان قادراً علىٰ إيجاده كامل العقل فَلِمَ لم يَخلقه كذلك وأيّ مانعٍ مَنَعه منه

وأن لم يقدر فهو ليس بخالق:

وثانيها: أنّ الفرق بين الإنسان الكامل والنّاقص أنّما هو بكمال العقل ونقصه لا بشئ آخر ضرورة عدم الفرق في الصّورة الجسّمية والأعضاء والقُوىٰ وغير ذٰلك من الأُمور في أصل الوجود فلو فرضنا تساويهما في العقل في بدو الخلقة فهما معاً ناقصان ثمّ صار أحدهما كاملاً والآخر ناقصاً ولا دليل عليه عقلاً ونقلاً.

وثالثها: أنّ النّبي أو الوصّي حالهما غير أحوال النّاس في زمن الطّفولية وعَهد الصّباوة أيضاً قولاً وفعلاً ألا ترىٰ أنّ الأنبياء والأوصياء لم يفعلوا عبثاً ولم يقولوا كذباً ولم يظلموا أحداً وهكذا وهذا ماشهدت به التّواريخ واعتقد به أهل المِلل وهو دليل علىٰ كمال عقلهم ووفُور دَركهم وأنّهم غير النّاس من أوّل الخَلق الىٰ آخره والمَنشأ فيه هو كمال العقل لا غيره وهو واضح.

وأمّا النّقل - فلقوله تعالىٰ في قصّة مريم وعيسىٰ حيث قال: **﴿فَاَشارَتْ اِلَيْهِ قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِى الْمَهْدِ صَبِيّا، قالَ اِنّي عَبْدُ اللهِ اٰتانِىَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنى نَبِيّاً، وَّ جَعَلَني مُبارَكاً اَيْنَ ما كُنْتُ وَاَوْصاني بِالصَّلٰوةِ وَ الزَّكٰوةِ مادُمْتُ حَيّاً﴾**(١)

تقريب الإستدلال بها أنّ المسيح قال: **﴿إنّي عَبْدُ اللهِ اٰتانِىَ الْكِتابَ وَجَعَلَني نَبِيّاً﴾**(٢)، وظاهر الآية أنّه حين التّكلم وهو صبّي كان متّصفاً بهذه الأوصاف ومعلوم أنّ ناقص العقل لا يكون نبّياً فكان كامل العقل وهو صبّي وهو المطلوب:

وأن قُلت ـ لو كان الأمر كذلك لكان النّاس مأمورين بإتّباعه في عَهد الصّباوة ولم يقل به أحد قُلت فرق بين أصل النّبوة وإظهارها والنّاس مأمورون بإتّباع النّبي بعد إظهاره النّبُوة في زمانٍ معين وأمّا قبله فلا فَعدم الإظهار لا يدّل علىٰ عدم الوجود وكلامنا في الوجود والتّحقيق وهذا أصلٌ نَبتني عليه فروع كثيرة في الأنبياء والأوصياء فكلّ نبّي قبل إظهار النّبوة بأمر الله تعالىٰ كان نبّياً وهكذا نقول في الأوصياء إذا لا فرق عندنا بينهم من هذه الجهة وعليه فكلّ إمامٍ قبل

١- مريم - ٢٩/٣٠/٣١

٢- مريم - ٣٠

إمامٍ سابقٍ عليه إمامٌ إلّا أنّ إظهار الإمامة يتوقف على موت السّابق فافهم وتأمل فيه فأنّه دقيق ونحن بعد الآية الشّريفة لا نحتاج الى ذكر الرّوايات الدّالة على تكلّم الأنبياء والأوصياء حين ولادتهم كما ورد في حقّ أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (١) الآيات وهكذا الكلام في الأوصياء بعده وقد تظافرت الأخبار بذكر الشّهادتين منهم حين الولادة ووضع جباههم على الأرض خضوعاً لِللّه تعالى وأنّهم وُلِدُوا مختوناً وغير ذلك من الأمور الّتي تدّل على المُدّعى فأنّ ناقص العقل لا يكون كذلك والكلام في الباب طويل وفيما ذكرناه كفاية لأُولي الألباب إذا عرفت هذا فَنقول قوله عليه السلام: **عقلوا الدّين عقل وعاية** الخ معناه أنّ آل محمّد عقلوا الدّين عقلاً كاملاً مطبُوعاً لا عقلاً ناقصاً مسمُوعاً من زيد وعمرو والعقل المَطبُوع لا محالة يكون عقل وعايةٍ ورعايةٍ بخلاف المسمُوع فأنّه ليس كذلك بل يقبل الشّدة والضّعف والكمال والنّقص والسّهو والنّسيان وخلط الأوهام وغير ذلك وهذا هو الفَرق بين العقلين وأن شئت قُلت عقل الوعاية والرّعاية هو العقل الّذي لا يعرض عليه السّهو والنّسيان والغلط والشّك وهذا العقل مخصوص بالأنبياء والأوصياء وأمّا عقل السّماع والرّواية فليس كذلك كما نرى في عقولنا المُكتسبة المُختلطة بالأوهام والشّكوك وعليه فَرواة العلم كثير ورعاته قليل ونتيجة البحث أنّ آل محمّد لكونهم كذلك لا يُقاس بهم أحَد من أفراد الأمّة فَينبَغي الإقتداء بهم وأخذ الدّين منهم فأنّ أهل البيت أدرى بما في البَيت فمن توهم أنّه عقل الدّين عقل وعاية ورعاية غيرهم فقد أخطأ خطأً فاحشاً فهم الأئمّة حقّاً لمن أراد معرفة الدّين والحمد لِللّه ربّ العالمين.

١- المؤمنون- ٢

ومن كلام له عليه السلام (٢٣٨)

قَالَهُ لِعَبْدِ اللّٰهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَقَدْ جَاءَهُ بِرِسَالَةٍ مِنْ عُثْمَانَ، وَهُوَ مَحْصُورٌ يَسْأَلُهُ فِيهَا الْخُروجَ اِلَىٰ مَالِهِ بِيَنْبُعَ، لِيَقِلَّ هَتْفُ النَّاسِ بِاسْمِهِ لِلْخِلَافَةِ، بَعْدَ أَنْ كَانَ سَأَلَهُ مِثْلَ ذٰلِكَ مِنْ قَبْلُ، فَقَالَ عليه السلام:

▫ قوله عليه السلام: **يَا بْنَ عَبَّاسٍ مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ اِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلاً نَاضِحاً بِالْغَرْبِ أَقْبِلْ وَأَدْبِرْ بَعَثَ اِلَيَّ اَنْ اَخْرُجَ ثُمَّ بَعَثَ اِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَبْعَثُ اِلَيَّ اَنْ اَخْرُجَ وَاللّٰهَ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّىٰ خَشِيتُ أَنْ اَكُونَ آثِماً.**

◁ اللغة

(**نَاضِحاً**) النّاضح البعير يستقي عليه (**الْغَرْبِ**) بالغين المعجمة الدلو العظيمة.

◁ المعنىٰ

(**يَا بْنَ عَبَّاسٍ مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ**) من رسالته هذا إلّي (**اِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلاً نَاضِحاً بِالْغَرْبِ**) أي إلّا أن يجعلني كالجَمَل النّاضح ليسقي به الزّرع بالدّلو العظيمة والكَلام تمثّل للتّسخير (**أَقْبِلْ**) تارةً (**وَأَدْبِرْ**) أُخرىٰ (**بَعَثَ**) عثمان إلّي من قبل (**اَنْ اَخْرُجَ**) من المدينة فخرجت (**ثُمَّ بَعَثَ اِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ**) اليها فقدمت (**ثُمَّ هُوَ**) عثمان (**الْآنَ يَبْعَثُ اِلَيَّ اَنْ اَخْرُجَ**) من المدينة (**وَاللّٰهَ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ**) عن عثمان (**حَتَّىٰ خَشِيتُ أَنْ اَكُونَ آثِماً**) عند اللّه أو عند النّاس.

إمام سابقٍ عليه إمامٌ إلّا أنّ إظهار الإمامة يتوقف علىٰ موت السّابق فافهم وتأمل فيه فأنّه دقيق ونحن بعد الآية الشّريفة لا نحتاج الىٰ ذكر الرّوايات الدّالة علىٰ تكلّم الأنبياء والأوصياء حين ولادتهم كما ورد في حقّ أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قَرأ ﴿قَدْ اَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، اَلَّذينَ هُمْ في صَلاٰتِهِمْ خـاشِعُونَ﴾ [1] الآيـات وهكـذا الكلام في الأوصياء بعده وقد تظافرت الأخبار بذكر الشّهادتين منهم حين الولادة ووضع جباههم علىٰ الأرض خضوعاً لِللّه تعالىٰ وأنّهم وُلِدُوا مختوناً وغير ذلك من الأمور الّتي تدّل علىٰ المُدّعىٰ فأنّ ناقص العقل لا يكون كذلك والكلام في الباب طويل وفيما ذكرناه كفاية لأُولي الألباب إذا عرفت هذا فَنقول قوله عليه السلام: **عقلوا الدّين عقل وعاية** الخ معناه أنّ آل محمّد عقلوا الدّين عقلاً كاملاً مطبُوعاً لا عقلاً ناقصاً مسمُوعاً من زيد وعمرو والعقل المَطبُوع لا محالة يكون عقل وعايةٍ ورعايةٍ بخلاف المسمُوع فأنّه ليس كذلك بل يقبل الشّدة والضّعف والكمال والنّقص والسّهو والنّسيان وخلط الأوهام وغير ذلك وهذا هو الفَرق بين العقلين وأن شئت قُلت عقل الوعاية والرّعاية هو العقل الّذي لا يعرض عليه السّهو والنّسيان والغلط والشّك وهذا العقل مخصوص بالأنبياء والأوصياء وأمّا عقل السّماع والرّواية فليس كذلك كما نرىٰ في عقولنا المُكتسبة المُختلطة بالأوهام والشّكوك وعليه فَرواة العلم كثير ورعاته قليل ونتيجة البحث أنّ آل محمّد لكونهم كذلك لا يُقاس بهم أحَد من أفراد الأمّة فَينبَغي الإقتداء بهم وأَخذ الدّين منهم فأنّ أهل البيت أدرىٰ بما في البَيت فمن توهم أنّه عقل الدّين عقل وعاية ورعاية غيرهم فقد أخطأ خطأً فاحشاً فهم الأئمّة حقّاً لمن أراد معرفة الدّين والحمد لِللّه ربّ العالمين.

١- المؤمنون- ٢

(٢٣٨) ومن كلامٍ له عليه السلام

قَالَهُ لِعَبْدِ اللّٰهِ بْنِ عَبّاسٍ، وَقَدْ جَاءَهُ بِرِسَالَةٍ مِنْ عُثْمَانَ، وَهُوَ مَحْصُورٌ يَسْأَلُهُ فِيهَا الْخُروجَ إِلَىٰ مَالِهِ بِيَنْبُعَ، لِيَقِلَّ هَتْفُ النَّاسِ بِاسْمِهِ لِلْخِلاَفَةِ، بَعْدَ أَنْ كَانَ سَأَلَهُ مِثْلَ ذٰلِكَ مِنْ قَبْلُ، فَقَالَ عليه السلام:

▫ قوله عليه السلام: يَا بْنَ عَبَّاسٍ مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلاً نَاضِحاً بِالْغَرْبِ أَقْبِلْ وَأَدْبِرْ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ وَاللّٰهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّىٰ خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً.

◁ اللغة

(نَاضِحاً) النّاضح البعير يستقي عليه (الْغَرْبِ) بالغين المعجمة الدلّو العظيمة:

◁ المعنىٰ

(يَا بْنَ عَبَّاسٍ مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ) من رسالته هذا إلّي (إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلاً نَاضِحاً بِالْغَرْبِ) أي إلّا أن يجعلني كالجَمَل النّاضح ليسقي به الزّرع بالدّلو العظيمة والكَلام تمثّل للتّسخير (أَقْبِلْ) تارةً (وَأَدْبِرْ) أُخرىٰ (بَعَثَ) عثمان إلّي من قبل (أَنْ أَخْرُجَ) من المدينة فخرجت (ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ) اليها فقدمت (ثُمَّ هُوَ) عثمان (الْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ) من المدينة (وَاللّٰهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ) عن عثمان (حَتَّىٰ خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً) عند اللّه أو عند النّاس.

◁ الشّرح

روي أنّ أمير المؤمنين قال هذا الكلام لعبد اللّه بن عبّاس بعد أن جاءه برسالةٍ من عثمان بن عفّان وهو محصور في بيته يسأله فيها الخروج من المدينة الىٰ ماله مُينبَع (مُينَبع بضّم الميم وقيل بفتحها وسكون النّون وفتح الباء إسم موضع بقرب المدينة كان لعثمان) ليقّل هتف النّاس بإسمه للخلافة وذلك لأنّهم كانوا يهتفون بإسم أمير المؤمنين لها وينادونه به:

◘ **قوله ﷺ: يَا بْنَ عَبَّاسٍ مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ اِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِى جَمَلاً نَاضِحاً بِالْغَرْبِ أَقْبِلْ وَأَدْبِرْ...**

فأجاب أمير المؤمنين عبد اللّه بن عبّاس وقال له ما يريد عثمان من هذه الرّسالة إلّا أن يجعلني كالجمل النّاضح يستسقي عليه بالدّلو العظيمة حيث قال لي أقبل تارة وأدبر أُخرىٰ وذلك لأنّ عثمان كان قبل ذلك أيضاً إستدعىٰ منه الخروج فخرج ﷺ ثمّ إستدعاه لينصره فَحَضر ثمّ عاود الأمر بالخروج مرّةً ثانية فقال ﷺ هذا الكلام وفي قوله ﷺ: **إلّا أن يَجعَلني جَمَلاً ناضحاً بالغرب،** إستعارة دقيقة وهي أنّه ﷺ شبّه نفسه الشّريفة بالجَمَل النّاضح من ماء البئر أو النّهر ليسقي به الزّرع بالدّلو العظيمة الّتي لا يقدر علىٰ إخراجها من الماء إلّا البعير وشبّه عثمان بمن أراد سَقي زرعه به والمقصود من هذا الكلام أنّ عثمان قد وقع في الفِتنة بما كسبت نفسه ولا يمكن له التّخلص منها إلّا بالإستعانة والإستمداد مِنّي لتدوم خلافته فهو أراد الإستفادة من مَوضعي في النّاس لنفسه:

◘ **قوله ﷺ: بَعَثَ اِلَيَّ اَنْ اَخْرُجُ ثُمَّ بَعَثَ اِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ ثُمَّ هُوَ الآنَ يَبْعَثُ اِلَيَّ اَنْ اَخْرُجَ...**

وهذا كلّه دليل علىٰ صحّة قوله ﷺ وأنّ عثمان جَعَله ﷺ كما ذكره:

◘ **قوله ﷺ: وَاللّهَ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتّىٰ خَشِيْتُ أَنْ اَكُونَ آثِماً...**

أي أقسم باللّه لقد دفعتُ عن عثمان حتّىٰ خشيت أن أكون آثماً في دفاعي

عنه وفيه إشارة الىٰ أنّه عليه السلام كان مدافعاً عنه إلّا أنّ عثمان بلغ في ظلمه وتعدّيه علىٰ المُسلمين مَبلَغاً لا ينفعه الدّفاع أصلاً بل يصير المُدافع متّهِماً بحماية الظّالم ونحن نشير الىٰ شطرٍ مِمّا فعل عثمان في خلافته لتعلم صدق قوله عليه السلام وقد ذكرنا فيما سبق نَسَبه وكيفيّة إسلامه وأحواله قبل الخلافة والآن فنقول:

قد علمت في شرح الخطبة الشقشقّية قصّة الشّوري الّتي بناها عُمر بن الخطاب وجعل أَمرَها بيد عبد الرّحمٰن بن عوف وأنّه بايع عثمان بن عفان علىٰ ما مضىٰ شرحه وأمّا الأُمور الّتي نقموا بها علىٰ عثمان الىٰ أن قتلوه فكثيرة جدّاً ونذكر لك شطراً منها:

منهاـ أنّه ولّىٰ أُمور المُسلمين من لا يصلح ولا يؤتمن عليه ومن ظهر منه الفسق والفساد والظّلم والجور، كلّ ذلك مراعاة منه لحرمة القرابة وعدولاً عن مراعاة حرمة الدّين والنّظر للمُسلمين وقد تكرّر منه ذلك وقد كان عمر حذّره منه حيث وَصَفه بأنّه كلّف بأقاربه وقال له إذا ولّيت هذا الأمر فلا تحمل بني أبي معيط على رقاب النّاس فوقع منه ما حذّره أيّاه وعُوتب عليه فلم يَنفع العتب وذلك مثل إستعماله الوليد بن عقبة وتقليده أيّاه حتّىٰ ظهر منه شرب الخمر في الكوفة، مثل إستعماله سعيد بن العاص حتّىٰ ظهرت منه الأُمور الّتي أخرجه أهل الكوفة منها، ومثل تولّيه عبد اللّه بن أبي سَرح علىٰ مِصر وعبد اللّه بن عامر علىٰ البَصرة وهكذا سائر حكّامه ووُلاته:

أمّا الوليد بن عُقبة فقد قال بن عبد البّر في الإستيعاب في ترجمته أنّه أخو عثمان لأُمّه وأُمّهما أروىٰ بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس أسلم ظاهراً يوم فتح مكّة وولّاه عُثمان بالكوفة وعزَل عنها سعد بن أبي وقّاص وكان عاملاً بها من قبل عُمر بن الخطاب روي أنّه لمّا قدم الوليد علىٰ سعد قال له سعد واللّه ما أدري أكِست بعدنا أم حَمَقنا بعدك فقال لا تجزعنّ أبا إسحاق فأنّما هو المُلك يتّغداه قوم ويتّغشاه آخرون فقال سعد أراكم واللّه ستجعلونها مُلكاً وروي عن ابن سيرين قال لمّا قدم الوليد بن عقبة أميراً علىٰ الكوفة أتاه

إبن مسعود فقال ما جاء بك قال جئت أميراً فقال إبن مسعود ما أدري أصلحت بعدنا أم فَسَد النّاس وله أخبار فيها نكارة وشناعة نقطع علىٰ سوء حاله وقبح أفعاله وكان الأصمعي وأبو عبيدة وإبن الكلبي وغيرهم يقولون كان الوليد فاسقاً يشرب الخمر وأخباره في شرب الخمر كثيرة وهو الّذي صلّىٰ بأهل الكوفة صلٰوة الصّبح أربع ركعات ثمّ إلتفت اليهم فقال أزيدكم فقال عبد اللّه بن مسعود ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم ولمّا شهدوا عليه بشرب الخمر فقال الحطيئة:

شهد الحطيئة يوم يلقىٰ ربّه — أنّ الوليد أحقّ بالعذر
نادىٰ وقد تمّت صلواتهم — أزيدكم سكراً ومايدري
فأبوا أبا وهب ولو أذنوا — لقرنت بين الشّفع والوَتر

قال ولا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت أنّ قوله تعالىٰ: ﴿إنْ جَائَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَاءٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (١) الآية نزلت في الوليد بن عقبة وقصّة الرّجل أشهر من أن تُخفىٰ علىٰ أحد فأنّه في الفسق كان ممّا يَضرب به المَثل في صدر الإسلام ونَقل المسعودي قصّة شرب حمزة بوجه أبسَط في تاريخه ولم يكن ذَنبه مُنحصراً فيه وأن شئت الإطّلاع علىٰ خُبث ذاته ونفاقه بل كُفره فراجع التّواريخ:

وأمّا عامل عُثمان علىٰ الشّام فكان معاوية ابن أبي سفيان الّذي يعجز القلم عن شرح حاله ويكّل الفكر عن درك حقيقة لعنة اللّه عليه وعلىٰ أبيه وأُمّه وبنيه الىٰ يوم القيامة:

وأمّا عامله علىٰ مِصر كان إبليساً مُجسّماً وزنديقاً مُلحداً وظالماً مُعانداً لِللّه ولرسُوله يُسمّىٰ بعبد اللّه بن أبي سَرح المَلعُون وهو أيضاً من نوادر زمانه في الفسق والطّغيان:

وعلىٰ البَصرة عبد اللّه بن عامر بن كريز وهو أيضاً رأس الملاحدة وقس

١- الحجرات ـ ٦

علىٰ ما ذكرناه غيرهم من العُمّال والولاة الّذين سلّطهم عثمان علىٰ رقاب النّاس وفي رأسهم مروان بن الحَكم في المدينة الّذي نفاه رسول اللّه مع أبيه من المدينة الىٰ الطّائف ولم يُرجعها أبو بكر ولا عمر ولمّا وصلت نوبة الحكومة الىٰ عثمان جاء بهما وفوّض أمر الحكومة الىٰ مروان فهذا كلّه بالنّسبة الىٰ حُكّامه وعُمّاله.

ومنهاـ ما صَنَع عثمان بأبي ذر ﷺ من الأهانة والضّرب والشّتم والتّيسير والوجه فيه علىٰ ماذكره الشّارح المُعتزلي وغيره من العامّة هو أنّ عثمان لمّا أعطىٰ مروان بن الحَكم ما أعطاه وأعطىٰ الحرث بن الحَكم ثلاث مِائة ألف درهم من بيت المال وزيد بن ثابت مِائة ألف درهم أنكَر عليه أبو ذر وكان يقول **﴿وَبَشّر الكافِرين بِعَذابٍ أليم﴾**[1] ويتلو قوله تعالىٰ: **﴿وَ الَّذينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الفِضَّةَ ﴾**[2] الآية فَرفع ذلك مروان الىٰ عثمان فأرسل الىٰ أبي ذَر نائلاً مولاه أن أنته عما يبلغني عنك فقال أنهاني عثمان عن قراءة كتاب اللّه وعيب من تَرك أمر اللّه فواللّه لأن أَرضَ اللّه بسَخط عثمان أحَبّ الّي وخيرٌ لي من أن أَرض عثمان بِسخَط اللّه فقال عثمان له أيَجُوز لِلإمام أن يأخذ من المال شيئاً قرضاً فإذا أيسَر قضاه فقال كعب الأحبار لا بأس بذلك فقال أبو ذَر يابن اليّهوديّتين أتعلّمنا ديننا فقال عُثمان قد كثر أذاك لي وتوّلعك بأصحابي الحقّ بالشّام فأَخرجه اليها فكان أبو ذّر ينكر علىٰ معاوية أشياء يفعلها فَبعث اليه معاوية ثلاث مِائة دينار فلم يقبلها وجرىٰ بينه وبين معاوية ما جرىٰ من إنكاره عليه أعماله وأفعاله وكان يقول واللّه لقد حَدثت أعمال ما أعرفها واللّه ما هي في كتاب اللّه ولا في سنّة نبّيه واللّه أنّي لا أرىٰ حقّاً يُطفأ وباطلاً يحيىٰ وصادقاً مكّذباً وأثرة بغير تقىٰ وصالحاً مستأثراً عليه فقال حبيب إبن مسلمة لمعاوية.

أنّ أبا ذّر لَفسد عليكم الشّام فَتدارك أهله أن كانت لكم فيه حاجة فَكتب معاوية بذلك الىٰ عثمان فَكتب عثمان اليه أمّا بعد فأحمل جُنَيدباً الّي علىٰ

١- التوبة ـ ٢

٢-التوبه ـ ٣٤

أغلظ مَركب وأوعره فوّجه به مع من سار به اللّيل والنّهار وحَمله علىٰ شارف ليس عليها إلّا قتب حتّىٰ قدم به المدينة وقد سَقَط لحم فخذيه من الجُهد فلمّا قدم أبو ذَر المدينة بعث اليه عثمان أن ألحق بأيّ أرضٍ شئت فقال بمكّة قال لا قال فَبيت المقدس قال لا قال فبأحد المصرين (الكوفة والبَصرة) قال لا ولكنّ مُسّيرك الىٰ الرّبذة فسّيره اليها فلم يزل بها حتّىٰ مات.

وعن الواقدي أنّ أبا ذّر لمّا دَخَل علىٰ عثمان قال له لا أنعم اللّه بك عيناً يا جُندب فقال أبو ذَر أنا جُندب وسمّاني رسول اللّه عبد اللّه فقال له عثمان أنت الّذي تَزعم انّا نقول أنّ يد اللّه مغلولة وأنّ اللّه فقير ونحن أغنياء فقال أبو ذّر لو كنتم لا تَزعمون لأنفقتم مال اللّه علىٰ عباده ولكنّي أشهد سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول **إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جَعلوا مال اللّه دُوَلاً وعباد اللّه خولاً ودين اللّه دَخَلاً ثمّ يُريح اللّه العباد منهم** فقال عثمان لمن حَضر أسمعتموها من نبّي اللّه فقالوا ماسمعناه فقال عثمان ويلك يا أبا ذَر أتكذب علىٰ رسُول اللّه فقال أبو ذَر لمن حَضره أَما تَظنّون أنّي صدقت فقالوا لا واللّه ما ندري فقال عُثمان أدعو لي عليّاً فدُعي فلمّا جاء قال عثمان لأبي ذَر أقصص عليه حديثك في بني أبي العاص فَحدّثه فقال عثمان لعلّيٍ هل سمعت هذا من رسول اللّه فقال لا وصدق أبو ذَر فقال كيف عرفت صدّقه فقال عليه السلام لأنّي سمعت رسُول اللّه ﷺ يقول **ما أظلّت الخَضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجةٍ أصدق من أبي ذّر** فقال من حَضر من أصحاب النّبي جميعاً لقد صدق أبو ذَر فقال أبو ذَر أُحدّثكم أنّي سمعت هذا من رسول اللّه ثمّ تتّهموني ماكُنتُ أظّن أنّي أعيش حتّى أسمع هذا من أصحاب محمّد وروي الواقدي أيضاً في خبر آخر عن صهبان مولىٰ الأسلميين قال رأيت أبا ذر يوم أُدخل بـه علىٰ عثمان فقال له أنت الّذي فعلت وفعلت فقال له أبو ذَر قد نَصحتك فأستغششتني ونَصحتُ صاحبك فأستّغشني فقال عثمان كذبت ولكنّك تريد الفِتنة وتَحبّها وقد قلبت الشّام علينا فقال له أبو ذّر إتّبع سُنّة صاحبيك لا يكون لأحد عليك

كلام فقال له عثمان مالك ولذلك لا أمّ لك فقال أبو ذّر والله ما وجدت لي عُذراً إلّا الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر فَغضب عثمان وقال أشيروا عَلّي في هذا الشّيخ الكذّاب أمّا أن أضربه أو أحبسه أو أقتله فأنّه قد فرّق جماعة المُسلمين أو أنفيه من الأرض فتّكلم علّي عليه السلام وكان حاضراً فقال اشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون:﴿ **وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾ (1) ولو ألقىٰ مَعاذيره فأجابه عثمان بجواب غليظ.

لا أَحبّ أن أذكره وأجابه علّي بمثله (أقول قال المجلسي نقلاً عن تقريب المعارف أنّ الجواب الغليظ هو أن قال عثمان له عليه السلام بفيك التّراب فأجابه عليه السلام بل بفيك التّراب مؤلف)

ثمّ أنّ عثمان أَمر النّاس وخطر عليهم أن يقاعدوا أبا ذّر ويكّلموه فَمكث كذلك أيّاماً ثمّ أَمر أن يُؤتىٰ به فلمّا أُوتي به ووقف بين يديه قال ويحك ياعثمان أما رأيت رسول اللّه صلى الله عليه وآله ورأيت أبا بكر وعُمر هل رأيت هذا أهدايهم أنّك لتبطش في بطش جبّار فقال عثمان أُخرج عنّا من بلادنا فقال أبو ذّر فيما أَبغَض إلّي جوارك قال إذن أُخرج الىٰ العراق قال لا قال الىٰ الشّام أرض الجهاد قال لا ثمّ أخرجه الىٰ الرّبذة.

وروي المسعودي في تاريخه أنّ أبا ذّر قال صدق رسول اللّه صلى الله عليه وآله قد أخبرني بكلّ ما أنا لاق قال وما قال لك قال فأخبرني أن أُمنع من مكّة والمدينة وأموت بالرّبذة ويتّولىٰ دفني نفر يَردون من العراق نحو الحجاز وأَمر عثمان أن يتجافاه النّاس حتّىٰ يسير الىٰ الرّبذة ولمّا طلع عن المدينة ومروان يسّيره عنها طلع عليه علّي بن أبي طالب ومعه إبناه الحسن والحُسين وعقيل أخوه وعبد اللّه بن جعفر وعمّار بن ياسر فإعترض مروان وقال ياعلّي أنّ عُثمان ينهىٰ النّاس أن يمنحوا أبا ذّر أو يسقوه فأنْ كُنت لم تعلم بذلك فقد أعلمتك

1- الغافر - 28

فَحَمل ﷺ عليه بالسّوط بين أُذني ناقة مروان وقال تَنّح نحّاك اللّه الىٰ النّار ومضىٰ مع أبي ذّر وشيّعه ثمّ ودّعه وإنصَرف فلمّا أراد علّي الإنصراف بكىٰ أبو ذّر وقال رحَمَكم اللّه أهل البيت إذ رأيتك يا أبا الحسن وولدك ذكرت بكم رسول اللّه فَشكىٰ مروان الىٰ عثمان ما فعل به علّيٌ فقال عثمان يا معشر المُسلمين من يَعذوني من علّيٍ ردّ رسُولي عمّا وَجّهتُه له وفعل وفعل واللّه لِنُعطّينه حقّه فلمّا رجع عَلّي إستّقبله النّاس وقالوا أنّ عثمان عليك غضبان لتَشيعك أبا ذّر فقال علّي ﷺ غضب الخيل علىٰ اللّجم فلمّا كان بالعشي وجاء عثمان قال ما حَمَلك على ما صَنعت بمروان ولِمَ اجترأت عَلّي ورَددتَ رسولي وأمري فقال ﷺ أمّا مروان فإستقبلني برّدي فَرَددته عن ردّي وأمّا أمرك لم أَردّه فقال عثمان أَلَم يبلغك أنّي قد نهيت النّاس عن أبي ذّر وشيّعه فقال علّي ﷺ أو كلّما أمرتنا به من شيئ ممّا نرىٰ طاعة اللّه والحقّ في خلافه أتبعنا فيه أمرك لعمر اللّه ما نفعل فقال عثمان أَقِد مروان قال ﷺ ومِمّ أُقيد، قال ضربت بين أُذني راحلته وشتمته فهو شاتمك وضارب بين أُذني راحلتك قال ﷺ أمّا راحلتي فهي تلك فأن أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فعل وأمّا أنا فَوَاللّه لأن شتمني لأشتمنّك بمثله لا كذب فيه ولا أقول إلّا حقّاً قال عثمان ولِم لا يشتمك إذا شَتَمته فواللّه ما أنت بأفضل عندي منه فغَضب علّي ﷺ وقال، تقول هذا القول لي، أَمَروان يعدل بي فلا واللّه أنا أفضل منك وأبي أفضل من أبيك وأُمّي أفضل من أُمّك وهذه نبلي قد نثلتها فأنثل بتلك فغضب عثمان واحمّر وجهه وقام فدخل وإنصرف علّي ﷺ وكيف كان فمناقب أبي ذّر كثيرة من طرق الخاصّة والعامّة:

ومنهاـ ما صنع عثمان بعبد اللّه بن مسعود حتّىٰ كسر ضلعه وكان السّبب فيه أنّ إبن مسعُود كان يذمّه ويشهد بفسقه وظلمه وهو النّهي كان يقول ما يزن عثمان عند اللّه جناح بعوضة وأوصىٰ أن لا يُصلي عليه عثمان بعد موته ولمّا أتاه عثمان في مرضه وطلب منه الإستغفار قال أسأل اللّه أن يأخذ لي بحقّي منك:

ومنها- ما صنع بعمّار بن ياسر رحمة اللّه عليه وكان ذنبه تشنيعه علىٰ أفعاله وأعماله وحُبّه لعلّي إبن أبي طالب.

ومنها- جَمعه النّاس علىٰ قراءة زيد بن ثابت خاصة وإحراقه المصاحف غير مُصحفة:

ومنها- أنّه كان يُؤثر أهل بيته بالأموال العظيمة من بيت مال المُسلمين فقد روي أنّه دفع الىٰ أربعة من قريش زوجّهم بناته أربع مِائة ألفي دينار وأعطىٰ مروان مائة ألف عند فتح أفريقية ووهب إبل من إبل الصّدقة للحرث بن الحكم بن أبي العاص ويروي أنّه ولّي الحَكم بن أبي العاص صدقات قصاعة فبلغت ثلاث مائة ألف فَوَهبها له حين أتاه بها وأعطىٰ سعيد بن العاص مِائة ألف ولمّا كلّموه فيه قال أنّ لي قرابة ورَحِماً فقالوا ما كان لأبي بكر وعُمر قرابة وذو رَحِم، ولمّا قدم عليه عبد اللّه بن خالد بن أسيد بن أبي العاص من مكّة وناس معه أمر عبد اللّه بثلاث مِائة ألف ولكلّ واحدٍ واحدٍ من القوم بمائة ألف وأعطىٰ عبد اللّه بن الأرقم ثلاث مِائة ألف فأبىٰ أن يقبله وهكذا ممّا يطول الكلام بذكره وأمّا البَدع الحادثة منه فكثيرة ايضاًكأتمامه الصّلوٰة بمنىٰ مع كونه مسافراً مع أنّ رسُول اللّه وبعده أبا بكر وعُمر كانوا يصّلون فيها قصراً على ما روته العامّة وإحداثه الأذان يوم الجمعة زائداً علىٰ ما سنّه رسول اللّه وتقديمه الخطبتين في العيدين وغير ذلك ممّا أشرنا الىٰ شطرٍ منها عند شرحنا للخطبة الشّقشقية فراجع هناك فهذه الأمور هي التّي صارت موجبة لقتله ولأجل هذا قال أمير المؤمنين **حتّىٰ خشيتُ أن أكون آثماً فأن الحماية عن عثمان في الحقيقة كانت حماية عن أعماله ومُصّححاً لشنائعه ومُجّوزاً لقبائحه** وتفصيل قضاياه يطلب من التّواريخ والعجب من السّيوطي في تاريخ الخلفاء حيث ذكر في مَدحه ما ذكر ونقل في فضائله ما نقل ولا بأس بالإشارة الىٰ بعض ما نقله فيه تكميلاً للبحث قال:

أخرج التّرمذي عن إبن عمر قال ذكر رسول اللّه ﷺ فتنته فقال يُقتل هذا

مظلوماً لعثمان انتهىٰ...

وأخرج التّرمذي والحاكم عن عائشة أنّ النّبي ﷺ قال يا عثمان لعلّ اللّه يقّمصك قميصاً فأن أرادك المُنافقون علىٰ خلعه فلا تخلعه حتّىٰ تلقاني انتهىٰ...

أقول: وعليه فهو الآن خليفته في مكانه:

وأخرج إبن عساكر عن علّي قال سمعت رسول اللّه ﷺ يقول لقمان لو أنّ لي أربعين إبنة زوجتك واحدة بعد واحدة حتّىٰ لا يبقي منّهن واحدة انتهىٰ...

وأخرج إبن عساكر عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول اللّه يقول مرّ بي عثمان وعندي مَلَك من الملائكة فقال شهيد يقتله قومه إنّا نستحي منه انتهىٰ...

وأخرج أبو يعلي عن إبن عُمر أنّ النّبي ﷺ قال أنّ الملائكة لتستحي من عثمان كما تستحي من اللّه ورسوله انتهىٰ...

وأخرج إبن عساكر عن أبي هريرة أنّ النّبي قال عثمان من أشبه أصحابي خُلقاً انتهىٰ...

أقول: أُنظر الىٰ هذه الأحاديث الّتي مضامينها تدّل علىٰ صحتّها عند من صدرت عنه وممّن رثاه بعد قتله عاتكة بنت زيد بن عُمرو بن نفيل فقالت:

عين جودي بعبرةٍ ونحيبِ　　　لا تملّي علىٰ الإمام الصّليب

الىٰ آخر الأشعار ونقل السّيوطي أنّها رثت بها عُمر بن الخطاب، أقول لا إشكال فيه فأنّهما من نورٍ واحدٍ، ولُد عثمان في السّنة السّادسة من عام الفيل وقُتل في سنة خمس وثلاثين بعد الهجرة وكانت مدّة خلافته أثنتي عشرة سنة وعُمره أثنتان وثمانون سنة وقيل أربع وثمانون وقيل ستّ وقيل غير ذلك.

ومن كلام له عليه السلام (٢٣٩)
يحث أصحابه على الجهاد

□ قوله عليه السلام: وَاللّٰهُ مُسْتَادِيكُمْ شُكْرَهُ وَمُوَرِّثُكُمْ أَمْرَهُ وَمُمْهِلُكُمْ فِي مِضْمَارٍ مَحْدُودٍ لِيَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ فَشُدُّوا عُقَدَ الْمَازِرِ وَاطْوُوا فُضُولَ الْخَوَاصِرِ وَلاَ تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ وَأَمْحَىٰ الظُّلَمَ، لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ!

وَصَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَعَلَىٰ آلِهِ مَصَابِيحِ الدُّجَىٰ وَالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

◁ اللّغة

(**مُسْتَادِيكُمْ**) أي طالب منكم أداء شُكره (**مُمْهِلُكُمْ**) إسم فاعل من أمهَل أي أنّ اللّه مُعطيكم مُهلة (**فِي مِضْمَارٍ**) أي مضمار الحياة (**تتنازعوا**) أي تتنافسوا (**عُقَد**) بضم العين وفتح القاف جمع عُقدة (**الْمَازِرِ**) علىٰ وزن المَقاتل جمع مئزَر.

◁ المعنىٰ

(**وَاللّٰهُ مُسْتَادِيكُمْ شُكْرَهُ**) أي طلب الشّكر منكم علىٰ نِعَمه (**وَمُوَرِّثُكُمْ أَمْرَهُ**) أي يُورثكم أرضَه (**وَمُمْهِلُكُمْ فِي مِضْمَارٍ مَحْدُودٍ**) أي أنّه يعطيكم المهلة في مضمار الحياة المحدُودة (**لِيَتَنَازَعُوا**) وتثابروا (**سَبَقَهُ**) أي في سَبَقه والمراد به الجَنّة (**فَشُدُّوا عُقَدَ الْمَازِرِ**) كناية عن الجدّ والتّشمير (**وَاطْوُوا فُضُولَ**

الْخَوَاصِرِ) أي إجعلوها تحت أقدامكم (**وَلاَ تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ**) أي طلب المعالي (**وَوَلِيمَةٌ**) مع الرّكون الىٰ اللّذائذ (**مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ**) أي ما أشدّ النّوم نقضاً لعزيمة النّهر (**وَأَمْحَىٰ الظُّلَمَ**) أي ظلمات الجهل والضّلالة (**لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ**) أي تذكار الهمم العالية.

◁ الشّرح

▫ **قوله ﷺ: وَاللَّهُ مُسْتَادِيكُمْ شُكْرَهُ وَمُوَرِّثُكُمْ أَمْرَهُ وَمُمْهِلُكُمْ فِي مِضْمَارٍ مَحْدُودٍ...**

أي أنّ اللّه تعالىٰ طلب منكم الشّكر علىٰ نِعَمه المُتظافرة وقد مَرّ الكلام منّا في الشّكر غير مرّةٍ وقلنا أنّ الشّكر علىٰ النّعمة ممّا يحكم به العقل ويؤيده الشّرع وأنّه يوجب إزدياد النّعمة لقوله تعالىٰ: ﴿**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**﴾[1] وغيرها من الآيات والأخبار وحيث أنّ الشّكر بمعناه الواقعي لا يصدر إلّا عن قليلٍ من عباده.

قال تعالىٰ: ﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُور**﴾[(1)] قال بعض العُرفاء الشّكر إسم لمعرفة النّعمة لأنّها السّبيل الىٰ معرفة المُنعم ولهذا سُمّي اللّه تبارك وتعالىٰ الإسلام والإيمان في القرآن شكراً حيث جعله قسيماً للكفر ومقابلاً له فقال: ﴿**وَ مَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**﴾[(2)]

وأمّا قوله ومُورثكم أمره فالمراد بالأمر هو السّلطان والمعنىٰ مورثكم سلطانه في الأرض وفيه إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**إِنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾[(3)]

و: ﴿**وَ أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا**﴾[(4)]

١- السباء- ١٣
٣- الانبياء- ١٠٥
١-ابراهيم- ٧
٢-النّمل- ٤٠
٤- الاعراف- ١٣٧

و : ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾(١) وغيرها من الآيات.

وقوله ﷺ: ومُمهِلكم في مضمار محدُود، إشارة الىٰ أنّ الحياة في الدّنيا محدودة فالبقاء فيها يُعدّ من المُهلة الّتي أمهَلَ اللّه عباده في الدّنيا بها ليختبرهم فيها وقد حَصَل لنا من مجموع كلامه ﷺ أنّ اللّه تعالىٰ جَعل ثَمن الشّكر في الدّنيا السّلطنة عليها والعزّة فيها وجعل الغاية الموت:

▫ **قوله ﷺ: لِيَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ فَشُدُّوا عُقَدَ الْمَآزِرِ وَاطْوُوا فُضُولَ الْخَوَاصِرِ...**

السَّبَق بالتّحريك في الأصل الخطر يوضع بين المسابقين يأخذه السّابق منهم والمراد به هنا الجنّة، والمعنىٰ أنّ اللّه تعالىٰ أمهلكم في الدّنيا مدّة معيّنة لتتنازعوا سَبَقه أي لتسبقوا الىٰ الجنّة بالعَمَل الصّالح فمن سبق بالعَمَل من غيره سبقه الىٰ الجنّة فشُدوا عُقَد المآزر أي اذا كان كذلك فشّمروا عن ساق الجدّ والإجتهاد في طلب الخيرات وأطووا فضول الخواصر أي إجعلوا ما فضل من مآزركم تحت أقدامكم فأنّه يلتّف بها وتمنعكم عن الإسراع في العَمَل وقوله وأطووا، فعل أمرٍ من طوىٰ يطوي ومحصّل الكلام أنّه لا تكونوا عن عاقبة الدّنيا بغافلين:

▫ **قوله ﷺ: وَلاَ تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ وَأَمْحَىٰ الظُّلَمَ، لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ...**

أي لا تجتمع طلب المعالي مع الرّكون الىٰ اللّذائذ في الدّنيا، ما أنقض النّوم أي ما أشدّ نقض النّوم لعزائم النّهار أي من أراد الوصُول الىٰ مقاصده في النّهار فينبغي له السّير في اللّيلة فمن بات ونام فيها كيف يصل الىٰ مَقصده في النّهار وهكذا حال الدّنيا والآخرة فمن أراد الآخرة ينبغي له عدم النّوم في الدّنيا أي عدم الغفلة فأنّ النّوم كناية عنها وأمّا من كان علىٰ غفلةٍ في الدّنيا فكيف يصل الىٰ مقامات العالية في الآخرة، وقوله وأمَحىٰ الظّلم الواو للعطف أي وما أمحىٰ

١- القصص- ٥

الظُّلَم والظُّلم بضم الظّاء وفتح اللاّم جمع ظلمة والمعنىٰ ما أشدّ إمحاء الظّلمة لتذكار الهِمَّة في النّهار والمقصود أنّ الظّلمة متىٰ دخلت محت تذكار الهِمّة الّتي كانت في النّهار هكذا قيل:

والّذي نقول هو أنّ مراده عليه السلام والله العالم أنّ الإنسان ما دام كونه في ظّلمة المادّة لا يتّوجه الىٰ المقاصد العالية الّتي خُلق للوصول اليها وأمّا إذا خَرَج عنها فيتّوجه اليها وبعبارةٍ أُخرىٰ اليقظة من نوم الغفلة لا تحصل إلّا بالخروج عن ظلمة المادّة وغواشيها:

فانى شَو اگر بقات بايد	بگذر زخود ار خدات بايد
مردان كه رَه خدا سپردند	در عالم زندگي بمُردند
گر مُردن تو ز خود تمام است	حشر تو هم اندر اين مقام‌ست
حقّاكه بهر دو كَون اميرى	گر بيشتر از اجل بميرى
فانى شو از اين خودى بمردى	تازندهٔ لا يموت گردى
گر مَرد رَهي محال بگذار	تحقيق طلب خيال بگذار

ثمّ لا يذهب عليك من كلامه عليه السلام ولا يجتمع عزيمة وَوَليمة، أنّ الدّنيا والآخرة لا تجتمعان بل المراد أنّ حُبّ الدّنيا والإنغمار في نعمها ولذائذها لا يجتمع مع العزيمة والدّرجات العالية المعنّوية لكون اللّذات المّادية شاغلة عن الكمالات الإنسانية والوصول الىٰ مقام القُرب فالإنسان الّذي أراد الوصول الىٰ اللّب لابدّ له من الإعراض عن القشر بل وعن تَعيّنه ومقام إنيّته فضلاً عن اللّواحق والتّوابع فأنّ العاشق الحقيقي لا يرىٰ إلّا المعشوق بل ولا يرىٰ نفسه إلّا مرآةً لجمال معشوقه:

ايـن تَـعيُّن شد حجاب روى دوست
چونكه بر خيزد تَعيُّن جملة او است
آنچه تو جوياي آنـي روز وشب
در تُوئي شد او نهان يا لَلعجَب

چـون دلَت صافي شـود از غـير وزَيـن

پـــردهٔ مـــا وتـــو بـــر خـــيزد ز بَـــين

نـــيست گـــردد صـــورت بـــالا وپست

چون عيان بيني به نقش هـرچـه هست

تـــا تَـــعَيُّن بـــر نـــخيزد از مـــيان

حـقّ نـهانست ونـخواهـد شـد عـيان

وصلّىٰ اللّه علىٰ سيّدنا محمّد وآله مصابيح الدّجىٰ والعـروة الوثـقىٰ الّـتي لا إنفصام لها وسلّم تسلّيماً كثيراً هذا آخر الكلام في باب الخُطَب ونشّكر اللّـه تعالىٰ علىٰ توفيقه وتأييده ونرجو منه أن يجعله ذخراً ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلّا من أتىٰ اللّه بقلبٍ سليم ونرجو منه تعالىٰ أن يُوفقّنا لشَرح كـتبه ﷺ ورسائله الىٰ أعداءه وأُمراء بلاده أنّه تعالىٰ لطيف بعباده آمين يا ربّ العالمين.

رسائل امير المؤمنين عليه السلام

باب المختار
من كتب مولانا امير المؤمنين على عليه السلام
و رسائله إلى أعدائه و امراء بلاده.
و يدخل فى ذالك ما اختير من عهود
إلى عماله، و وصاياه
لأهله و اصحابه،

ومن كتاب له عليه السلام (١)

الىٰ أهل الكوفة، عند مسيره اليهم من المدينة الىٰ البَصرة

▫ قوله عليه السلام: مِنْ عَبْدِ اللّٰهِ عَلِيٍّ اَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام اِلَىٰ اَهْلِ الْكُوفَةِ جَبْهَةِ الْأَنْصَارِ وَسَنَامِ الْعَرَبِ.

اَمَّا بَعْدُ فَاِنِّى أُخْبِرُكُمْ عَنْ اَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّىٰ يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ اِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ فَكُنْتُ رَجُلاً مِنَ الْمُهاجِرِينَ أُكْثِرُ اسْتِعْتَابَهُ وَاُقِلُّ عِتَابَهُ وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ اَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ وَاَرْفَقُ حِدَائِهِمَا الْعَنِيفُ وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةُ غَضَبٍ فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ وَبَايَعَنِى النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرِهِينَ وَلاَ مُجْبَرِينَ بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ.

وَاعْلَمُوا اَنَّ دَارَ الْهِجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِاَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا وَجَاشَتْ الْمِرْجَلِ وَقَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُطْبِ فَاَسْرِعُوا اِلَىٰ اَمِيرِكُمْ وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ اِنْ شَاءَ اللّٰهَ .

◁ **اللّغة**

(الجَبهة) بفتح الجيم وسكون الباء مقدّم القوم ورئيسهم (**السّنام**) بفتح السّين حدبة في ظهر البعير جمعه أسنمة يُقال فلان سنام قومه أي كبيرهم (**اسْتِعْتَابَهُ**) أي إسترضاؤه (**الْوَجِيفُ**) بفتح الواو وكسر الجيم ضرب من سير الخيل والابل سريع (**حِدَائِهِمَا**) حَداء الابل زجرها وسياقها (**الْعَنِيفُ**) الشّديد (**أُتِيحَ**) أي قُدّر (**دَارَ الْهُجْرَةِ**) المدينة (**جَاشَتْ**) أي غَلَت والجيش الغليان.

◁ المعنىٰ

(مِنْ عَبْدِ اللّٰهِ عَلِيٍّ اَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ اِلَىٰ اَهْلِ الْكُوفَةِ جَبْهَةِ الْأَنْصَارِ) ورئيسهُم (وَسَنَامِ الْعَرَبِ) وكبيرهم قدراً ورفعةً (اَمَّا بَعْدُ فَاِنِّي اُخْبِرُكُمْ عَنْ اَمْرِ عُثْمَانَ) من أوله الىٰ آخره (حَتَّىٰ يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ) وغيابه كَشهوده (اِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ) علىٰ عُثمان (فَكُنْتُ رَجُلاً مِنَ الْمُهاجِرِينَ) فيهم (أُكْثِرُ اسْتِعْتَابَهُ) وإسترضاؤه (وَاُقِلُّ عِتَابَهُ) وتعنيفه علىٰ الأمور (وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ اَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ) أي أنّهما كانا شديدين عليه (وَاَرْفَقُ حِدَائِهِمَا الْعَنِيفُ) وهو كناية عن تحريضهما عليه وتحريض النّاس علىٰ قتله (وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ) في عثمان (فِيهِ فَلْتَةُ غَضَبٍ) وكانت مُخالفة لحكُومته (فَاُتِيحَ) وقدّر (لَهُ قَوْمٌ) من نواحي المدينة وأقاصي البلاد (فَقَتَلُوهُ وَبَايَعَنِي النَّاسُ) بعد قَتلهم أيّاه (غَيْرَ مُسْتَكْرِهِينَ وَلاَ مُجْبَرِينَ) أي من غير كراهةٍ واجبارٍ (بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ) أي بل بايعوني بالطّوع والإختيار (وَاعْلَمُوا) عباد اللّه (اَنَّ دَارَ الْهُجْرَةِ) أعني بها المدينة (قَدْ قَلَعَتْ بِاَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا) أي نبذتهم ونَبَذوها فلم تَصلح لإستيطانهم فيها (وَجَاشَتْ الْمِرْجَلِ) والقِدر (وَقَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُطْبِ) وغَلَت والمحور الأصلي (فَاَسْرِعُوا اِلَىٰ اَمِيرِكُمْ وَبَادِرُوا) وسابقوا (جِهَادَ عَدُوِّكُمْ اِنْ شَاءَ اللّٰهَ) أي جاهدوا أصحاب الجَمَل.

◁ الشَرح

▫ قوله ﷺ: مِنْ عَبْدِ اللّٰهِ عَلِيٍّ اَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ اِلَىٰ اَهْلِ الْكُوفَةِ جَبْهَةِ الْأَنْصَارِ وَسَنَامِ الْعَرَبِ...

إعلم: أنّ قوله ﷺ أمير المؤمنين يدّل علىٰ أنّه ﷺ كان مُلقباً به حقّاً وذلك لأنّه معصوم وقوله حُجّة فحيث أنّه ﷺ أطلق علىٰ نفسه الشّريفة هذا علِمنا صحّته في حقّه ومع ذلك تدّل عليه أخبار كثيرة:

منها - ماروواه في البحار بأسناده عن الرّضا عن آبائه عن الحسين بن

علّي عليه السلام قال لي بريدة أمَرنا رسول اللّه صلى الله عليه وآله أن نسلّم علىٰ أبيك بأمرة المؤمنين انتهىٰ« ج ٩ ص ٣٤٦»...

وبأسناده عن أبي الحسن الثّالث عن آبائه عن علّيٍ عليه السلام قال قال لي رسول اللّه لما أُسري بي الىٰ السّماء كُنتُ من ربّي كَقاب قوسين أو أدنىٰ فَأوحىٰ الّي ربّي ما أوَحىٰ ثمّ قال يامحمّد أقر علىٰ بن أبي طالب فما سمّيت به أحداً قبله ولا أُسمّي بهذا أحداً بعده انتهىٰ« ص ٣٤٦»...

وبأسناده عن أبي داود عن بريدة قال أَمَرنا النّبي أن نَسلّم علىٰ علّيٍ بإمرة المُؤمنين انتهىٰ« ص ٣٤٦»...

وبأسناده عن عُمر وبن حصيب أخي بريدة بن حصيب قال بينا وأخي بريدة عند النّبي إذ دَخل أبو بكر فسلّم علىٰ رسول اللّه صلى الله عليه وآله فقال له أنطلق فسلّم علىٰ أمير المؤمنين فقال يارسول اللّه ومن أمير المؤمنين قال صلى الله عليه وآله علّي بن أبي طالب قال عن أمر اللّه وأمر رسُوله قال نعم ثمّ دخل عُمر فسلّم فقال صلى الله عليه وآله أنطلق فسلّم علىٰ أمير المؤمنين فقال يارسُول اللّه ومن أمير المؤمنين قال علّي بن أبي طالب قال عن أمر اللّه وأمر رسوله قال نعم انتهىٰ «ص ٣٤٦ ج ٩»...

وبأسناده عن مُحمّد بن الحسن بن علّي بن أبي طالب عن أبيه عن جدّه عن النّبي قال صلى الله عليه وآله في اللّوح المحفوظ تحت العرش علّي بن أبي طالب أمير المؤمنين انتهىٰ« ص ٣٤٨»...

وبأسناده عن عبد اللّه بن أسعد بن زرارة عن أبيه قال قال رسول اللّه أُوحي في علّيٍ أنّه أمير المؤمنين وسيّد المُسلمين وقائد الغّر المُحجلين انتهىٰ« ص ٣٤٨»...

والأحاديث كثيرة وأمّا أنّه لِمَ سَمّي به:

فقد روي في البحار بأسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال قُلت جَعلت فداك لِمَ سُمّي أمير المؤمنين به قال عليه السلام لأنّه يميرهم العلم أما سمعت كتاب

اللّه ونمير أهلنا انتهىٰ« ص ٣٤٧»...

وفي المناقب روي بأسناده عن النّبي ﷺ أنّه قال ماأنزل اللّه تعالىٰ آية في القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾إلّا وعلّي أميرها وشريفها وفي رواية حُذيفة إلّا كان لعلّيٍ لبّها ولبابها وفي روايات إلّا علّيٌ رأسها وأميرها وفي رواية يوسف بن موسىٰ القطان ووكيع بن الجراح أميرها وشريفها لأنّه أوّل المؤمنين إيماناً وفي رواية إبراهيم الثّقفي وأحمد بن حنبل وإبن بطة العَكبري عن عكرمة عن إبن عبّاس إلّا علّيٌ رأسها وشريفها وأميرها انتهىٰ «ج ٣ ص ٥٢»...

وأقول: وكان هذا اللّقب له ؑ من اللّه تعالىٰ وكان المُسلمون يُنادونه به في حياة رسُول اللّه ﷺ فلمّا مات الرّسُول تَركوه وأعطوه غيره كما روىٰ محمّد بن مسلم عن أبي جعفر ؑ في قوله تعالىٰ﴿وَ لَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ قال ؑ نَزلت في رجل أمره رسول اللّه ﷺ أن يسلّم علىٰ علّيٍ لإمرة المؤمنين فلما قُبض رسول اللّه تَرك ما أَمره به وما وفىٰ انتهىٰ «المناقب ج ٣ ص ٥٣»...

ولأجل هذا ترىٰ الشّعراء من صدر الأسلام الىٰ زماننا هذا كانوا علىٰ هذا المنوال في أشعارهم قال الشّاعر:

ومَن بالإمرة إجتمعت عليه ... ملائكة السّماء مُسلّمينا
وسلّم فيه جبرئيل عليه ... علانيةً برغم السّاخطينا

ولَم يُجّوز أصحابنا أن يُطلق هذا اللّفظ لغيره من الأئمّة عليهم السّلام لكونه مختّصاً به ؑ قال رجل للصّادق يا أمير المؤمنين فقال ؑ صه لا يرضىٰ بهذه التّسمية أحد إلّا أُبتلي ببلاء أبي جهل انتهىٰ «المناقب ج ٣ ص ٥٥»...

قال الحميري:

وبأهلي وبمالي وبناتي والبنينا
وفَدتك النّفس منّي يا إمام المتّقينا

وأمـــين اللّـــه والوارث عـلم الأوّليـنا
ووصّي المُصطفىٰ أحمد خـير المُـرسلينا
وولّـي الحـوض والذّائـد عنـه المُـحدثينا

ولغيره:

فَرَض الإلٰـه علىٰ الأنـام ولائـه / وعليه في القرآن حثّ وحَـرَّضا
واللّـه عـلّمه العـلوم بأسـرها / مـمّا أبـان لخـلقه أو أغـمضا
سَـمّىٰ أمـير المؤمنين كـرامةً / من ربّنا لإمـامنا العـدل الرّضـا

وأيضاً:

عـــلّيُ إمـــامُ رضَـــي النّـــبي / بـــمحضرهم قـــد دعـــاه أمـــيراً
وكـان الحـفيص بـه فـي الحياة / فَـــصاهره وإجـــتباه عشـــيراً

ثمّ أنّهم إتّفقوا علىٰ أنّ أوّل من سَمّىٰ نفسه به بعد رسُول اللّه ﷺ عُـمر بـن الخطاب ثمّ الخُلفاء بعده إقتدوا به فصار معاوية وإبنه يـزيد الفـاسق الكـافر وهكذا كلّهم أمير المؤمنين ولم يعلموا أنّ إطلاق اللّفظ علىٰ شئ من الأشياء أمرٌ سهل وأمّا ما تحّقق المعنىٰ فيه أمر صَعب فأنّ اللّفظ لا يُوجد المعنىٰ بل يحكي عنه فإذا لم يكن المعنىٰ محّققاً فاللّفظ يكون بلا مُسمّىٰ.

وأمّا قوله عليه السلام: **جَبهة الأنصار وسَنام العَرب**، ففيه إشارة الىٰ فَضلَهم وشَرفهم بين المُسلمين حيث عبّر عليه السلام عنهم بجَبهة الأنصار ورئيسهم وسَـنام العَـرب وشريفهم، وشبّه عليه السلام العَرب بالبعَير وأهل الكوفة بالسّنام أي الحدبة الّتي في ظهره ويظهر من التّواريخ أنّ هذا الكتاب أَرسله الىٰ أهل الكوفة مع الحَسن بن علّي عليه السلام وجمع من الصّحابة وقد رواه إبن قتيبة في كتابه الإمـامة والسّـياسة بإختلاف يسير في ألفاظه وزيادة علىٰ ماذكره الرّضي رحمه الله في آخره وهذا لفظه:

أمّا بعد فأنّي أخبركم عن أمر عثمان حتّىٰ يكون سامعه كمن عاينه أنّ النّاس طَغوا علىٰ عُثمان فَكُنت رجلاً من المُهاجرين أُقلّ عيبه وأُكثر إستعتابه وكان

هذان الرّجلان طلحة والزّبير أهون سيرهما في اللّهجة والوَجيف وكان من عائشة فيه قول علىٰ غَضب فإنتحىٰ له قوم فَقتلوه وبايعني النّاس غير مُستَكرهين وهما أوّل من بايعني علىٰ ما بُويع عليه من كان من قبلي ثمّ إستأذنا الىٰ العمرة فأذنت لهما فَنقضا العَهد ونَصبا الحَرب وأخرجا أُمّ المؤمنين من بيتها ليتّخذاها فِتنة وقد سارا الىٰ البَصرة إختباراً لأهلها ولعَمري ما أيّاي تَجيبون ما تَجيبون إلّا اللّه وقد بَعثت إبني الحَسن وإبن عمّي عبد اللّه بن عبّاس وعمّار بن ياسر وقيس بن سعد فكونوا عند ظنّنا بكم واللّه والمُستعان انتهىٰ ماذكره إبن قتيبة بألفاظه:

□ قوله عليه السلام: **اَمَّا بَعْدُ فَإِنِّى أُخْبِرُكُمْ عَنْ اَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّىٰ يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ...**

أي أنّي أَخبركم عن كيفية قتل عثمان وعلته وجهٍ يكون سَمعه للغائب كَعيانه للحاضر أي لا أخفي عنكم شيئاً ممّا جرىٰ عليه وهو أنّ النّاس طَعنُوا علىٰ عثمان بأُمور كثيرة مذكورة في التّواريخ وقد أشرنا الىٰ شطرٍ منها والإطّلاع علىٰ تفصيلها يحصل بمراجعتها:

□ قوله عليه السلام: **فَكُنْتُ رَجُلاً مِنَ الْمُهاجِرِينَ أُكْثِرُ اسْتِعْتَابَهُ وَاُقِلُّ عِتَابَهُ...**

قوله عليه السلام أكثر وأُقلّ متكلم وحدة من فعل المُضارع، يُقال أكثَر يُكثر إكثاراً، وأُقلّ يُقل إقلالاً والمعنىٰ أنّي كنتُ كثير الإسترضاء وقليل العتاب بالنّسبة الىٰ عثمان وفي هذا الكلام إشارة الىٰ ردّ المعاندين حيث إتّهموه بقتل عثمان أو تحريص النّاس علىٰ قتله وذلك لأنّه عليه السلام أفاد في هذا الكلام كونه أكثر إستعتاباً وإسترضاءً وأقلّ عتاباً له ومن كان كذلك فهو بريءٌ عن الإتّهام بقتله ومن راجع التّواريخ علم صحّة قوله عليه السلام وأنّه لو قَبل عثمان نصيحته لم يُقتل:

□ قوله عليه السلام: **وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ اَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ وَاَرْفَقُ حِدَائِهِمَا الْعَنِيفُ...**

أي أنّ طلحة والزّبير كانا بالنّسبة الىٰ عثمان علىٰ خلاف ما كُنتُ وذلك لأنّ

أَهوَن وأَسَهل سيرهما فيه الوَجيف والسّريع أي أنهما كانا سارعين لإثارة الفِتنة عليه وأرفق حدائهما وسوقهما العَنيف والشِّدة شبّه عليه الفِتنة بالبعير السّائر وطلحة والزّبير بسائق البعير ومحصّل الكلام أنّهما كانا باعثين لإثارة الفِتنة والآن يطلبان بدمه وهو عجيب:

ذكر إبن قُتيبة في كتابه الإمامة والسّياسة في قصّة الحصار ما لفظه فأقام أهل الكوفة وأهل مِصر بباب عثمان ليلاً ونهاراً وطلحة يُحرض الفريقين جميعاً علىٰ عثمان ثمّ أنّ طلحة قال لهم أنّ عثمان لا يُبالي ما حصرتموه وهو يُدخل اليه الطّعام والشّراب فأمنعوه الماء أن يدخل عليه انتهىٰ« ص ٤٠»...

وقال بعد ذلك وذكروا أنّ عثمان لمّا مُنع الماء صعد علىٰ القصر وإستوىٰ في أعلاه ثمّ نادىٰ أين طلحة فأتاه فقال ياطلحة أما تعلم أنّ بئر رومة كانت لفلان اليهودي لا يسقي أحداً من النّاس منّها قطرة إلّا بثمن فإشتريتها بأربعين ألفاً فجعلت رشائي فيها كرشاء رجل من المُسلمين إستأثر عليهم قال نعم قال فهل تعلم أحدً يُمنع أن يشرب منها اليوم غيري لِمَ ذلك قال لأنّك بدّلت وغيّرت قال فهل تعلم أنّ رسول اللّه قال:

من إشترىٰ هذا البيت وزاده في المسجد فله به الجنّة فإشتريته بعشرين ألفاً وأدخلته في المسجد قال طلحة نعم قال فهل تعلم اليوم أحداً يمنع فيه من الصّلوة غيري قال لا، قال لِمَ قال لأنك غيّرت وبدّلت، ثمّ إنصرف عثمان وبعث الىٰ علّي يخبره أنه مُنع من الماء ويستغيث به فبعث اليه علّي ثلاث قرب مملؤة ماءٍ الحديث ص ٤٠.

▫ **قوله عليه: وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةُ غَضَبٍ...**

الفَلتَة بفتح الفاء وسكون اللاّم وقوع الأمر من غير تدّبرٍ ومنه قول عُمر كانت بيعة أبي بكر فَلتَة وقىٰ اللّه شرها، والفَلتة الّتي كانت من عائشة لعثمان كناية عن ترغيبها وتحريصها النّاس علىٰ مخالفة عثمان والطّعن عليه حتّىٰ إنجّر الىٰ قتله وذلك لما رَوي غير واحدٍ من عُلماء العامّة ومنهم ابن أبي

الحديد في شرحه على النّهج أنّ عائشة كانت أشدّ النّاس على عثمان، قال الشّارح - قال كلّ صنفٍ من أهل السّير والأخبار أنّ عائشة كانت من أشدّ النّاس على عثمان حتّى أنّها أخرجت ثوباً من ثياب رسول الله ﷺ فنصبته في منزلها وكانت تقول للدّاخلين عليها هذا ثوب رسول الله لم يبْل وعثمان قد أبلى سُنته قالوا أوّل من سمّي عثمان نعثلاً عائشة والنّعثل الكثير الشّعر واللّحية والجسد كانت تقول إقتلوا نعثلاً قتله الله أو قتل الله نعثلاً، وروى المدائني في كتاب الجمل أنّه لما قُتل عثمان كانت عائشة بمكّة وبلغ قتله اليها وهي بشراف فلم تشّك في أنّ طلحة صاحب الأمر فقالت بُعداً لنعثل وسُحقاً به ذا الأصبع إيه أبا شبل إيه يا بن عمّ لكأنّي أنظر الى إصبعه وهو يبايع له حنوها لا بل وذغذوها وقال أبو مخنف في كتابه أنّ عائشة لمّا بلغها قتل عثمان وهي بمكّة أقبلت مُسرعة وهي تقول إيه، ذا الإصبع لِلّه أبوك أما أنّهم وجدوا طلحة والزّبير لها كفواً فلمّا إنتهت الى شراف إستقبلها عُبيد بن أبي سلمة فقالت له ما عندك قال قُتل عثمان قالت ثمّ ماذا قال ثمّ جارت بهم الأمور الى خيرٍ بايعوا عليّاً فقالت لوَددتُ أنّ السّماء إنطبقت على الأرض أن تمّ هذا أُنظر ما تقول قال هو ما قلت لك يا أُمّ المؤمنين فولّت فقال لها ما شأنكِ يا أُمّ المؤمنين والله ما أعرف أحداً أولى بها منه ولا أحقّ ولا أرى له نظير في جميع حالاته فلماذا تكرهين ولايته قال فما ردّت جواباً:

وفي رواية قيس بن حازم ثمّ رددت ركابيها الى مكّة فرأيتها في مَسيرها تخاطب نفسها قتلوا بن عفّان مظلوماً فقلت لها يا أُمّ المؤمنين ألم أسمعك آنفاً تقولي أبعده الله وقد رأيتك قبل أشدّ النّاس عليه و وأقبحهم فيه قولاً فقالت لقد كان ذلك ولكنّي نظرت في أمره فرأيتهم إستتابوه حتّى إذا تركوه كالفضّة البيضاء أتوه صياماً محرماً في شهر حرام فقتلوه، والكلام في الباب طويل وقضياها مع عثمان كثيرة مذكورة في كتب القوم وفيما ذكرناه كفاية لأولي الدّراية:

□ قوله ﷺ: فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ وَبَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرِهِينَ وَلاَ مُجْبَرِينَ بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ...

أُتيح مجهول أتاح يُقال أتاح اللّه له المال أي قدّر، أتاح اللّه له الشّئ قدّره له وأنزله به والمعنىٰ أنزل له قوم فقتلوه وفي التّعبير بهذا الكلام إشارة الىٰ أنّه كذا قُدّر له وأنّه أي قتل عثمان كان من الفِتن فأنّ هذه اللّفظة أعني بها قوله ﷺ (أُتيح) كثيراً ما تستعمل في الفِتنة والحادثة الغير المُترقبة كما ورد في حديث الإمامة أُتيحت بعد موسىٰ فتنةٌ عَمياء حندس، هذا كلّه مُضافاً الىٰ أنّ في الكلام إشعار بأنّ المُسلمين بعد رسول اللّه وقعوا في الفِتنة كما أنّ بني إسرائيل قبلهم وقعوا فيها بعد موسىٰ وأمّا كيفية قتله علىٰ سبيل الإجمال هو أنّ المُسلمين بعد ما نقموا علىٰ عثمان وطّعنوا به بما أشرنا اليه إجمالاً إجتمع ناس من أصحاب النّبي ﷺ فكتبوا كتاباً ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول اللّه وسنّة أبي بكر وعُمر وما كان من هِبته من خمس أفريقية لمروان وفيه حقّ اللّه ورسوله ومنهم ذوو القُربىٰ واليتامىٰ والمساكين وما كان من تطاوله في البنيان حتّىٰ عدّو سبع دور بناها بالمدينة داراً لفائلة وداراً لعائشة وغيرها من أهله وبناته، وبنيان مروان القصور بذي خشب وعمارة الأموال بها من الخمس الواجب لِللّه ولرسوله وما كان من إفشائه العَمل والولايات في أهله وبنىٰ عمّه من بني أمّية أحداث وغلمة لا صحبة لهم من الرّسول ولا تجربة لهم بالأُمور وما كان من الولِيد بن عقبة بالكوفة اذ صلّىٰ بهم الصّبح وهو أمير عليها سكران أربع ركعات ثمّ قال لهم أن شئتم أزيدكم صَلٰوة زدتكم وتعطيله إقامة الحدّ عليه وتأخيره ذلك عنه وتركه المهاجرين والأنصار لا تستعملهم علىٰ شئ ولا تستشيرهم وإستغنىٰ برأيه عن رأيهم وغير ذلك من الأمور:

ثمّ تعاهد القوم ليدفعن الكتاب في يد عثمان وكان ممّن حصر الكتاب عمّار بن ياسر والمقداد بن الأسود وكانوا عشرة إلّا أنّهم جعلوا يتّسللون عن عمّار حتّىٰ بقىٰ وحده فمضىٰ حتّىٰ جاء دار عثمان فَدَخل عليه وعنده مَروان

بن الحكم وأهله من بني أُمّية فدفع اليه الكتاب فقرأه فقال له أنت كتبت هذا الكتاب قال نعم قال ومن كان مَعَك قال كان معي نفر فتّفرقوا فِرقاً منك قال من هُم قال لا أخبرك بهم قال فَلِمَ اجترأت علّيَ من بينهم فقال مروان يا أمير المؤمنين أنّ هذا العبد الأسود (يعني عمّاراً) قد جرأ عليك النّاس وأنّك أن قتلته نكلت به من وراءه قال عثمان أضربوه فضربوه وضرب عثمان معهم حتّىٰ فتقوا بطنه فغشي عليه فجّروه حتّىٰ طرحوه علىٰ باب الدّار فأمرت به أُمّ سلمة زوج النّبي ﷺ فأُدخل منزلها وغضب فيه بنو المُغيرة وكان حليفهم فلما خرج عثمان لصّلوة الظّهر عرض له هشام بن الوليد بن المُغيرة فقال أما واللّه لأن مات عمّاراً من ضربه هذا لأقتلنّ به رجلاً عظيماً من بني أُمّية فقال عثمان لست هناك.

أقول: ما ذكرناه من قصّة عمّار نقلناه عن كتاب الإمامة والسّياسة لإبن قُتيبة وهو من أعلام العامّة ثمّ ذكر في كتابه بعد ذلك ما وقع بين عثمان والصّحابة في المسجد وأنّه أقّر بذنوبه في محضر الأصحاب وإستغفر عنها أن شئت فراجعه ثمّ قال بعد ذلك ما لفظه:

وذكروا أنّه لمّا إشتّد الطّعن علىٰ عثمان إستأذنه علّيٌ في بعض بواديه ينتحي اليها فأذن له وإشتّد الطّعن علىٰ عثمان بعد خروج علّيٍ ورجا الزّبير وطلحة أن يميلا اليهما قلوب النّاس ويغلبا عليهم وإغتنما غيبته فكتب عثمان الىٰ علّيٍ إذا إشتّد الطّعن عليه أمّا بعد فقد بلغ السّيل الزّبىٰ وجاوز الخرام الطّبين وإرتفع أمر النّاس في شأني فوق قدّره وزعموا أنّهم لا يرضون دون دَمي وطمع في من لا يدفع عن نفسه:

وأنّك لم يفخر عليك كفاخرٍ ضعيفٍ ولم يغلبك مثل مغّلب

وقد كان يقال أكل السّبع خير من إفتراسي الثّعلب:

فأن كُنت مأكولاً فكُن خير آكلٍ وإلّا فأدركني ولمّا أُمَّزَقُ

قال جويطب بن عبد الغري أرسل الّيَ عثمان حين إشتّد حصاره فقال قد بدا

لي أن أتّهم نفسي لهؤلاء فأت عليّاً وطلحة والزّبير فقل لهم هذا أمركم تولّوه وأصنعوا فيه ما شئتم فخرجت حتّىٰ جئت عليّاً فوجدتُ علىٰ بابه مثل الجبال من النّاس والباب مُغلق لا يدخل عليه أحد ثمّ إنصرفتُ فأتيتُ الزّبير فوجدته في منزله ليس ببابه أحد فأخبرته بما أرسلني به عثمان فقال قد واللّه قضىٰ ما عليه أمير المؤمنين هل جئتَ عليّاً قلت نعم فلم أخلص اليه فقُمنا جميعاً فأتينا طلحة بن عبيد اللّه فوجدناه في داره وعنده إبنه محمّد فَقَصصنا عليه ما قال عثمان فقال قد واللّه قضىٰ ما عليه أمير المؤمنين فقام الأشتر فقال تُبعثون الينا وجاءنا رسولكم بكتابكم وهاهو ذا:

فأخرج كتاباً فيه بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم من المُهاجرين الأوّلين وبقية الشّورىٰ الىٰ من بمِصر من الصّحابة والتّابعين أمّا بعد أن تعالوا الينا وتداركوا خلافة رسول اللّه ﷺ قبل أن يَسلبها أهلها فأنّ كتاب اللّه قد بُدّل وسنّة رسول اللّه قد غُيّرت وأحكام الخَليفتين قد بُدّلت فَننشد اللّه من قرأ كتابنا من بقية أصّحاب رسول اللّه والتّابعين بإحسانٍ إلّا أَقبل إلينا وأَخذ الحقّ لنا وأعطاناه فأقبلوا إلينا أن كنتم تؤمنون باللّه واليوم الآخر وأقيموا الحقّ علىٰ المنهاج الواضح الّذي فارقتم عليه نبيّكم وفارقكم عليه الخُلفاء غلبنا علىٰ حقّنا وإستولىٰ علىٰ فيئنا وحيل بيننا وبين أمرنا وكانت الخلافة بعد نبيّنا خلافة نبوّةٍ ورحمةٍ وهي اليوم مِلك عضوض من غلب علىٰ شئ أَكَلَه، أَليس هذا كتابكم إلينا فبكىٰ طلحة فقال الأشتر لما حضرنا أقبلتم تعصرون أعينكم واللّه لا نُفارقه حتّىٰ نقتله وإنصرف، أقول ثمّ ذكر صاحب الكتاب أنّ عثمان كتب الىٰ أهل مكّة وأهل الشّام عامّة ومعاوية خاصّة ما كتب.

وقد أعرضنا عن نقله حذراً من الإطناب وبعد ذلك أشار الىٰ توليته مُحمّد بن أبي بكر علىٰ مِصر ولا بأس بالإشارة إليه إجمالاً:

وهو أنّ أهل مِصر جاؤوا يَشكون ابن أبي سرح عاملهم فَكتب اليه عثمان كتاباً يتّهدده فيه فأبىٰ أن يقبل مانهاه عنه عثمان وضرب بعض من أتاه من قِبل

عثمان من أهل مِصر حتّىٰ قَتله فَخرج من أهل مِصر سبع مِائة رجـل فـنزلوا المسجد وشكوا الىٰ أصحاب رسول اللّه في مواقيت الصّلٰوة ما صنع بهم ابن أبي سرح فقام طَلَحة فتكلم بكلام شديد وأرسلت عائشة الىٰ عثمان فقالت قد تقّدم اليك أصحاب رسول اللّه ﷺ وسألوك عزل هذا الرّجل فَأَبيت إلّا واحدة فهذا قد قتل منهم رجلاً فَأنصفهم من عاملك وذخل عليه علّيٌ وكان مـتكلم القوم وقال له نظير ما قالت له عائشة فقال عثمان إختاروا رجلاً أُولّيه عليهم فقالوا إستعمل محمّد بن أبي بكر فكتب عهده وولّاه وخرج مـعه عـدد مـن المُهاجرين والأنصار حتّىٰ إذا كانوا علىٰ مسيرة ثلاث ليال من المدينة إذا هم بغلامٍ أسود علىٰ بعير يخبط البعير كأنّه رجل يَطلُب أو يُطلَب فقال له أصحاب محمّد ﷺ ما قصّتك وما شأنك كأنّك طالبٌ أو هارب فقال أنـا غـلام أمـير المؤمنين وجّهني الىٰ عامل مِصر فقال له رجل هذا عامل مِصر معنا قال ليس هذا أريد فأُخبر محمّد بأَمره فَبعث في طلبه رجلاً فجاء به اليه فقال له غلام من أنت فأقبل مرّة يقول أنا غُلام مروان ومرّة يقول أنا غُلام عثمان حتّىٰ عـرفه رجل أنّه لعُثمان فقال له محمّد الىٰ من أرسلك قال الىٰ عامل مصر قال بماذا قال برسالة قال أَما معك كتاب قال لا ففتّشوه فلم يجدوا معه كتاباً وكانت معه أدواة قد يَبُست فيها شيٌ يتقلقل فحرّكوه ليخرج فلم يخرج فشّقوا أداوته فإذا فيها كتاب من عثمان الىٰ عبد اللّه بن أبي سرح فجمع محمّد من كان معه من المُهاجرين والأنصار ثمّ فك الكتاب بمحضر منهم فَـقرأه فـإذا فـيه إذا أتـاك محمّد بن أبي بكر وفلان وفلان فأقتلهم وأبطل كتابهم وقَر علىٰ عملك حتّىٰ يأتيك رائي فلمّا رأوا الكتاب فزعوا منه ورجعوا الىٰ المـدينة وخـتم مـحمّد الكتاب بخواتيم النّفر الّذين كانوا معه ودفعه الىٰ رجل منهم ثمّ قدموا المدينة فجمعوا طلحة والزّبير وعلّياً وسَعداً ومن كان من أصحاب رسول اللّه ثمّ فكّوا الكتاب بمحضر منهم وأخبرهم بقصّة الغُلام وأَقرأهم الكتاب فلم يبقَ أحد من أهل المدينة إلّا حنق علىٰ عثمان وقام أصحاب النّبي فَلحقوا بمنازلهم وحضر

النّاس عثمان وأحاطوا به ومنعوه الماء والخروج ومن كان مَعه وأجلب عليه محمّد بن أبي بكر قال صاحب الكتاب:

وذكروا أنّ أهل مصر أقبلوا الىٰ علّي فقالوا ألم تَر عدّو اللّه ماذا كتب فينا قم معنا اليه فقد أحلّ اللّه دَمه فقال علّي لاً واللّه لا أقوم معكم قالوا فَلِمَ كتبتَ الينا قال علّي لا واللّه ماكتبتُ إليكم كتاباً قطّ فنظر بعضهم الىٰ بعض ثمّ أقبل الأشتر من الكوفة في ألف رجل وأقبل إبن أبي حُذيفة من مِصر فى أربع مِائة رجل فأقام أهل الكوفة وأهل مِصر بباب عثمان ليلاً ونهاراً وطلحة يُحرضّ الفريقين جميعاً علىٰ عثمان ثمّ أنّ طلحة قال لهم أنّ عثمان لا يُبالي ما حصرتموه وهو يُدخل إليه الطّعام والشّراب فمنَعُوه وساق الحديث وذكر فيه ما وقع بينه وبينهم من الكلام الىٰ أن قال:

وكان الحسن بن علي حاضراً في الدّار فأصابه سهم فخضبه بالدّم وأصاب مروان سهم وهو في الدّار وخضب محمّد بن طلحة وشَبّح قنبر مولىٰ علّي فخشىٰ محمّد بن أبي بكر أن يغضب بنو هاشم للحسن فيثروها فتنة فلمّا خَرج الحسن أخذ محمّد بن أبي بكر بيد رجلين فقال لهما أن جاءت بنو هاشم فرأوا الدّماء علىٰ وجه الحسن كشفوا النّاس عن عثمان وبطل ما تريدون ولكن قوموا حتّىٰ نتّسور عليه فنقتله من غير أن يعلم أحد، فتسور هو وصاحبه من دار رجل من الأنصار حتّىٰ دخلوا علىٰ عثمان وما يعلم أحد مِمّن كان معه لأنّ كلّ من مَعه فوق البيت ولم يكن معه إلّا إمرأته فدخل عليه محمّد بن أبي بكر فصرعه وقعد علىٰ صدره وأخَذ بلحيته وقال يا نعثل ما أغنىٰ عنك معاوية وإبن عامر وإبن أبي سرح فقال له عثمان لو رآني أبوك لبكاني ولِساءَه مكانك منّي فتَراخت يده عنه وقام عنه وخرج فدعا عثمان بوضوء فتّوضأ وأَخذ مُصحفاً فَوَضعه في حجره ليتّحرم به ودخل عليه رجل من أهل الكوفة بمشقص في يده فُوجأه به مِنكبه مِمّا يلي التّرقوة نادماه وجاء آخر فضربه برجله وجاء آخر فُوجأه بقائم سيفه فغشي عليه ثمّ دخل رجل من أهل مِصر

فأخذ لحيته فنتف منها خصلة وسّل سيفه وقال أفرجوا لي فعلاه بالسّيف فتلقاه عثمان بيده فقطعها ثمّ دَخل رجل أزرق قصير مجدر ومعه جرز من حديد فمشىٰ اليه وقال علىٰ أيّ مِلّة أنت يا نعثل فقال عثمان لست بنعثل ولكنّي عثمان بن عفان وأنا علىٰ مِلة إبراهيم حنيفاً وما أنا من المُشركين، قال كذبت وضربه بالجرز علىٰ صدغه الأيسر فغسله الدّم وخرّ علىٰ وجهه ودخل عليه رجل من أهل مِصر ومعَه سيف مصلت فقال واللّه لأقطعنّ أنفه وهكذا دخل عليه رجل بعد رجل حتّىٰ قتلوه:

وأمّا قوله ﷺ: **وبايعني النّاس غير مُستكرهين** الىٰ آخر ما قال ﷺ فالمقصود من هذا الكلام أنّ النّاس بعد قتلهم عثمان بايعوه بالطّوع والرّغبة لا بالجَبر والكراهة وهذا ما شهدت به التّواريخ أيضاً ونحن نذكر كيفيّة بيعة النّاس عليّاً بعد قتل عثمان علىٰ ما ذكره صاحب الكتاب أعني به ابن قُتيبة فأنّه حُجّة علىٰ الخصم لأنّه من أعيان العامّة ومُوثقّهِم قال ما لفظه:

وذكروا أنّه لمّا كان في الصّباح إجتمع النّاس في المسجد وكثر النّدم والتّأسف علىٰ عثمان وأكثر النّاس علىٰ طلحة والزّبير واتّهموهما بقتل عثمان فقال النّاس لهما أيّها الرّجلان قد وقعتما في أمر عثمان فخّليا عن أنفسكما فقام طلحة فحمد اللّه وأثنىٰ عليه ثمّ قال أيّها النّاس إنّا واللّه ما نقول اليوم إلاّ ما قلناه أمس أنّ عثمان خلط الذّنب بالتّوبة حتّىٰ كرهنا ولايته وكرهنا أن نقتله وسّرنا أن نكفاه.

وقد كثر فيه اللّجاج وأمره الىٰ اللّه، ثمّ قام الزّبير فحمد اللّه وأثني عليه ثمّ قال أيّها النّاس أنّ اللّه قد رضىٰ لكم الشّورىٰ فأذهب بها الهَوىٰ وقد تشاورنا فرضينا عليّاً فبايعوه وأمّا قتل عثمان فإنّا نقول فيه أنّ أمره الىٰ اللّه وقد أحدث إحداثاً واللّه وليّه فيما كان:

فقام النّاس فأتوا عليّاً في داره فقالوا نُبايعك فمّد يدك لابدّ من أمير وأنت أحقّ بها فقال ليس ذلك اليكم أنما هو لاهل الشّورىٰ وأهل بدر فمن رضي به

أهل الشّورىٰ أهل بدر فهو الخليفة فنجتمع ونـنظر فـي هـذا الأمـر فأبـىٰ أن يبايعهم فانصرفوا عنه وكلّم بعضهم بعضاً فقالوا يمضي قتل عثمان في الآفاق والبلاد فيسمعون بقتله ولا يسمعون أنّه بويع لأحد بعده فيثور كلّ رجل منهم في ناحيته فلا نأمن أن يكون في ذلك الفساد فارجعوا الىٰ علّي فـلا تـتركوه حتّىٰ يبايع فيسير مع قتل عثمان بيعة علّي فيطمئن النّاس ويسكّنون فَرَجعوا الىٰ علّي وتردّدوا الىٰ الأشتر النّخعي فقال لعلّي أبسِط يدك نُبايعك أو لتعصرنّ عينيك عليها ثالثة ولم يزل به يُكلّمه ويُخوفه الفِتنة ويذكر له أنّه ليس أحـد يشبهه فمدّ يده فبايعه الأشتر ومن مَعَه ثمّ أتوا طلحة الحديث انتهىٰ ما أردنا نقله عنه:

أقول: وقد ذكروا فى ذلك غير ما ذكره ولَسنا بصدد الجرح والتّعديل في التّواريخ فأنّ كتابنا ليس موضوعاً له وأنّما الغرض إثبات أن بيعتهم له ﷺ كانت عن إختيارهم ولا خلاف فيه فيما نعلم بين المؤرخين وأمّا أنّ أوّل من بايعه هو الأشتر كما علمت من إبن قُتيبة أو طلحة كما عليه الأكثر فـهو مـمّا لا يـهمنا البحث فيه والعجب أنّ إبن قُتيبة ذكر في كتابه ما ليس في غيره وهو أنّ طلحة كان مجبوراً في بيعته فبايعه بلسانه ومنع يَده، وهو ما ترىٰ مخالفٌ لِما عليه الكلّ ولا نعلم من أين عَلِم ذلك ثمّ كَتبه في كتابه اللّهم إلّا أن يُقال أنّه أخَذه عن قول طلحة حيث أنّه بعد نَكثه البيعة إدّعىٰ ما ذكره صاحب الكتاب وحيث أنّه أعني طلحة كان يزعم صاحب الكتاب من العَشرة المُبّشرة بالجنّة علىٰ لسان رسول اللّه فلا محالة كان صادقاً فيما قال وإلّا فأُنظر التّواريخ المعتبرة لتـعلم حقيقة الحال ونحن نقول لعنة اللّه علىٰ الكاذبين المـعاندين أتَـرىٰ أنّ أمـير المؤمنين إضطّره الىٰ البيعة فَبايعه بلسانه دون يَده ثمّ بعد ذلك عدّه من النّاكثين لبيعته والمفروض أنّه لم يُبايعه أصلاً فأن كذلك فكان علّيٌ ﷺ كاذباً في قوله نعوذ باللّه منه وتكذيبه ﷺ وتكذيب الرّسول وهو تكذيب اللّه هذا أوّلاً:

وثانياً نقول لو كان كما ذكره ابن قُتيبة فيقال له أن كان أساس البـيعة فـي

خلافته ﷺ على الإجبار كما كان في عَهد الخُلفاء قبله وبَعده فَلِمَ لم يُجبِر ﷺ عبد اللّه بن عُمر وسعد بن أبي وقاص وأمثالهما عليها والأمر بحمد اللّه واضح لا خفاء فيه لاهل الإنصاف وقد قال غير واحدٍ من الشّعراء في صدر الإسلام في أشعارهم ما يصّرح بِنكث البيعة وهو لا يكون إلّا بعد وجودها فأنّ النّكث هو النّقض.

وظاهر أنّ البيعة باللّسان على قول صاحب الكتاب لا معنىٰ لها ولاتُسمّىٰ بَيعة بل الأحسن أن يُعبّر عنها بالإقرار وأين هو من البيعة قال حبيب بن يساف الأنصاري:

أبا حسنٍ أيقَظتَ مَن كان نائماً
وما كان مَن يُدعىٰ الىٰ الحقّ يُتبَع
وأنّ رجالاً بايعوك وخالفوا
هواك وأجروا في الضّلال وضيعُّوا
وطلحة فيها والزّبير قرينه
وليس لما لا يدفع اللّه مَدفعُ
وذكرِهم قتل إبن عفان خدعة
هُم قَتلوه والمُخادع يَخدع

وقال النّاشي:

ألا يا خليفة خير الوَرىٰ ... لقد كَفر القَوم إذ خالفوكا
أدّل الدّليل علىٰ أنّهم ... أتوك وقد سَمعوا النّص فيكا
خلافهم بَعد دعوتهم ... ونكثهم بعد ما بايعوكا
طغوا بالخَريبة وإستَنجدوا ... بصّفين والنّهر إذ صالتوكا
أُناس هُم حاضروا نِعثلاً ... ونالوه بالقتل ما إستأذنوكا
فيا عَجباً مِنهُم اذ جَنوا ... دَماً وثباراته طالبُوكا

□ **قوله ﷺ: وَاعْلَمُوا اَنَّ دَارَ الْهِجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِاَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا وَجَاشَتْ الْمِرْجَلِ وَقَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُطْبِ فَاَسْرِعُوا اِلَىٰ اَمِيرِكُمْ وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ اِنْ شَاءَ اللّٰهَ...**

دار الهجرة، المدينة سُمّيت بها لأنّ الرّسول ﷺ هَجَر من مكّة اليها مع جمع من أصحابه ويُقال لهم المُهاجرون والمعنىٰ أنّ المدينة تركت بأهلها وأهلها أيضاً فلم تَصلح لإستيطانهم فيها يقال قلع المكان بأهله أي نَبذهم فلم يَصلح لإستيطانهم وقوله جاشت المِرجل أي غَلَت وإضطربت القِدر وهو كناية عن نار الفِتنة الّتي أوقَدوها وهي حَرب الجَمَل ولذلك قال عليه السلام: **وَقَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُطْبِ** والمراد به عائشة فأنّها كانت بمنزلة القطب في حَرب الجَمل فكما أنّ الرّحىٰ تدور عليه كذلك رحىٰ الحَرب دارت عليها ولا يبعد أن يكون المراد به هي مع الزّبير وطلحة وكيف كان فالمقصود أنّ هذه الحَرب ليست كغيرها من الحرُوب الّتي لا قطب لها بل هي من الحرُوب الّتي لم يُوجد لها نظير قبل الإسلام وبعده وذلك لوجود عائشة فيها ولأجل ذلك صار النّاس حيارىٰ وعقولهم صَرعىٰ إلّا من آمن باللّه وبرسُوله حقّاً وتصديقاً ولأجل هذا أَخرَجُوا عائشة من بيته وجاؤوا بها الىٰ البَصرة ومن المعلوم أنّ العَوام الّذين هُم كالأنعام في كلّ عصر وزمانٍ لا يدركون الحقائق ولا يعرفون الدّقائق ولا يُميزون الخبيث من الطّيب ولا الحقّ من الباطل.

ولنعم ما قال بعض الحكماء أنّ العوام عقولهم في عُيونهم لا في قلُوبهم وعليه فَحيث أنّهم رأوا عائشة زوج النّبي خالفت عليّاً وهكذا الزّبير وطلحة مع كونهما بزعمهم الفاسد من أهل الجنّة فلم يبق لهم شكّ في كون عائشة وأصحابها علىٰ الحقّ وعليّ وأصحابه علىٰ الباطل ولذلك قال عليه السلام قامت الفِتنة علىٰ القطب أي لا يمكن لأحدٍ إيقاظهم عن نوم الغفلة وإرشادهم الىٰ الحقّ فأنّ داء الجهل لا دواء له ألا ترىٰ الىٰ قولهم:

يامعشر النّاس عليكم أُمّكم ... فأنّها صلاتكم وصَومكم
والحُرمة العظمىٰ الّتي تَعمّكم ... لا تَفضحوا اليوم فداكم قَومكم

فأنّ الجَهل والحماقة والضّلالة إذا وَصلت الىٰ حدٍّ قال صاحبها أنّ عائشة صلوتكم وصَومكم فأيّ شيءٍ تنتظر منه ومن يقدر علىٰ خلاصه من هذه الوَرطة

المَهلِكة ﴿إنَّكَ لاتَهْدي مِنْ أَحْبَبْتَ﴾[1]

وقوله ﷺ: فَاسْرِعُوا اِلىٰ اَمِيرِكُمْ وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ ، ففيه حَثٌّ علىٰ الجهاد مع أعداء الدّين وأنّه واجب علىٰ المُسلم المؤمن وهذا الكلام صريح في كون أصحاب الجَمَل أعداء عَلّي ﷺ وأصحابه وقد ثبت بالنّقل المُتواتر أنّ من عادىٰ عليّاً فقد عادىٰ الرّسول ومَن عادىٰ الرّسول فقد عادىٰ اللّه وعدّو اللّه حاله معلوم قال عثمان بن حنيف في فِتنة الجَمَل:

شَهِدتُ الحرُوب فَشيّبتني ... فَلَم أَرَ يوماً كيوم الجَمَل
أَشَدَّ علىٰ مؤمنٍ فِتنةً ... وأَقتَل منهم لحرقٍ بطل
فَلَيت الظّعينة في بيتها ... ويالَيت عسكرُ لم يَرتَحل

وقصّة حَرب الجَمل مشهورة مسطُورة في التّواريخ علىٰ وجه أَبسَط فصارت نتيجة تلك الفِتنة الّتي أَوجدُوها وأَوقدُوها قتل كثير من المُسلمين المُستَضعفين وغيرهم من المُعاندين وكانت الوَقعة بالخَريبة ووقع القتال بعد الظهر وإنقَضىٰ عند المساء وكان مع أمير المؤمنين عشرون ألف رجل منهم البّدريون ثمانون رجلاً وممّن بايع تحت الشّجرة مائتان وخَمسون ومن الصّحابة ألف وخمس مائة رجل، وكانت عائشة في ثلاثين ألفاً أو يزيدون منها المكّيون تسع مائة رجل وقال قتادة قتل يوم الجَمَل عشرون ألفاً من الطّرفين، فمن أصحاب علّي ألف رجل وسبعون فارساً منهم زيد بن صوحان وهند الحملي وأبو عبد اللّه العبدي وعبد اللّه رقبة، والباقي كلّهم من أصحاب عائشة فقد روي الكلبي أنّه قُتل من أصحاب الجَمَل من الأزد خاصّة أربعة آلاف رجل ومن بني حنظلة تسع مائة رجل ومن بني ناجية أربع مائة رجل ومن القُريش، طلحة والزّبير وعبد اللّه بن عتاب بن أسيد وعبد اللّه بن شافع بن طلحة ومحمّد بن طلحة وعبد اللّه بن أبي خلف وعبد الرّحمٰن بن مُعدّ وعبد اللّه بن مُعَدّ:

١- القصص - ٥٦

وعرقب الجَمل أوّلاً أمير المؤمنين عليه السلام ويُقال مسلم بن عدنان ويُقال رجل من الأنصار وقيل عبد الرّحمٰن بن صُرد التّنوخي وهو الّذي قال:

عَقرتُ ولم أعقر بها لهوانها ... علّي ولكنّي رأيت المهالكا
وما زالت الحَرب العوان تحثّها ... بنو هاتها حتّىٰ هوىٰ القود باركا
فأضجعته بعد البُروك لجنبه ... فخرّ صريعاً كالثّنية حالكا
فكانت شراراً إذا أُطيقت لوقعه ... فيا ليتني عرقبته قبل ذالكا

قالوا وسَكّت السّهام الهَودج حتّىٰ كأنّه جناح نسر أو شوك قُنفذ فقال علّي عليه السلام ما أراه يُقاتلكم غير هذا الهَودج أعقروا الجَمَل وفي رواية عرقبوه فأنّه شيطان، وقال لمحمّد بن أبي بكر أُنظر إذا عَرقب الجَمَل فأدرك أُختك فَوارها فلمّا عُرقب الجَمَل دُّق علّي عليه السلام رُمحه علىٰ الهَودج وقال ياعائشة أَهكذا أمرك رسول اللّه أن تَفعلي فقالت ياأبا الحسن ظفرت فأحسن ومَلَكت فأسجح فقال لمحمّد بن أبي بكر شأنك وأُختك فلا يدن منها أَحد سواك فقال مُحمّد لها مافعلت بنفسك عَصيتِ ربّكِ وهَتكتِ سترِكِ ثمّ أَبحتِ حُرمتكِ وتعرضّتِ للقتل ثمّ قالت عائشة ياأخي إستأمِن لعبد اللّه بن الزّبير من علّيٍ فأتىٰ أمير المؤمنين فأستَأمَن له منه فقال عليه السلام أَمنته وأمنتُ جميع النّاس.

ومن كتاب له عليه السلام (٢)

اليهم بعد فَتح البَصرة

□ قوله عليه السلام: وَجَزَاكُمُ اللَّهُ مِنْ اَهْلِ مِصْرٍ عَنْ اَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ اَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَاَطَعْتُمْ وَدُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ...

◁ الشّرح

هذا الكتاب قد كَتبه عليه السلام الىٰ أهل الكوفة بعد فتح البَصرة وقتل أصحاب الجَمَل فقال عليه السلام وَجَزَاكُمُ اللَّهُ مِنْ اَهْلِ مِصْرٍ عَنْ اَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ اَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَاَطَعْتُمْ وَدُعِيتُمْ منه الىٰ الحَرب فَأَجَبْتُمْ له وفي ذلك إطاعة اللّه وإطاعة رسوله والشّكر علىٰ نعمته أعني بها نعمة الولاية والوصاية، قال اللّه تعالىٰ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾

ولا شكّ أنّ إطاعة أُولي الأمر الّذي كان وليّاً له من قِبل اللّه ورسوله في الحقيقة إطاعة اللّه وإطاعة رسوله ومن كان كذلك فقد أطاع وأدّىٰ حقّ الشّكر علىٰ النّعمة وحيث أنّ أصحابه من أهل الكوفة كانوا كذلك فقال لهم بهذه المقالة وهو واضح لا خفاء فيه.

من كتاب له عليه السلام (٣)

لِشُريح بن الحارث قاضيه

رُوِيَ اَنْ شُرَيْحَ بْنَ الحَارِثِ قَاضِيَ اَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، اشْتَرىٰ عَلَىٰ عَهْدِهِ دَاراً بِثَمَانِينَ دِينَاراً، فَبَلَغَهُ ذٰلِكَ، فَاسْتَدْعَاهُ ،وَقَالَ لَهُ:

□ بَلَغَنِي اَنَّكَ ابْتَعْتَ دَاراً بِثَمانِينَ دِينَاراً وَكَتَبْتَ لَهَا كِتَاباً وَاشْهَدْتَ شُهُوداً.

فَقَالَ شُرَيْحُ: قَدْ كَانَ ذٰلِكَ يَاأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: فَنَظَرَ اِلَيْهِ نَظَرَ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ لَهُ:

□ يَاشُرَيْحُ اَمَا اِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لاَ يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ وَلاَ يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ حَتَّىٰ يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً وَيُسْلِمَكَ اِلَىٰ قَبْرِكَ خَالِصاً فَانْظُرْ يَاشُرَيْحُ لاَ تَكُونُ ابْتَعْتَ هٰذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ اَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلاَلِكَ فَإِذَا اَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الآخِرَةِ اَمَا اِنَّكَ لَوْ كُنْتَ اَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ لَكَتَبْتُ لَكَ كِتَاباً عَلَىٰ هٰذِهِ النُّسْخَةِ فَلَمْ تَرْغَبْ فِي شِرَاءِ هٰذِهِ الدَّارِ بِدِرْهَمٍ فَمَا فَوْقَ.

وَالنُّسْخَةُ هٰذِهِ: هٰذَا مَا اشْتَرَىٰ عَبْدٌ ذَلِيلٌ مِنْ مَيِّتٍ قَدْ اُزْعِجَ لِلرَّحِيلِ اشْتَرَىٰ مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ الْغُرُورِ مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ وَخِطَّةِ الْهَالِكِينَ وَتَجْمَعُ هٰذِهِ حُدُودٌ اَرْبَعَةٌ الْحَدُّ الْأَوَّلُ يَنْتَهِي اِلَىٰ دَوَاعِي الآفَاتِ وَالْحَدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي اِلَىٰ دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ وَالْحَدِّ الثَّالِثُ يَنْتَهِي اِلَىٰ الْهَوَىٰ الْمُرْدِي وَالْحَدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي اِلَىٰ الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي وَفِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هٰذِهِ الدَّارِ، اشْتَرَىٰ هٰذَا الْمُغْتَرُّ بِالْأَمَلِ مِنْ هٰذَا الْمُزْعَجِ بِالْأَجَلِ هٰذِهِ الدَّارَ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَنَاعَةِ وَالدُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ

وَالْضَّرَاعَةِ فَمَا اَدْرَكَ هٰذَا الْمُشْتَرِي فِيمَا اشْتَرَىٰ مِنْهُ مِنْ دَرَكٍ فَعَلَىٰ مُبَلْبِلِ اَجْسَامِ الْمُلُوكِ وَسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ وَمُزِيلِ مُلْكِ الْفَرَاعِنَةِ مِثْلِ كِسْرَىٰ وَقَيْصَرَ وَتُبَّعٍ وَحِمْيَرَ وَمَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالَ فَاَكْثَرَ وَمِنْ بَنَىٰ وَ شَيَّدَ وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ وَادَّخَرَ وَاعْتَقَدَ وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ اشْخَاصُهُمْ جَمِيعاً اِلَىٰ مَوْقِفِ الْعَرْضِ وَالْحِسَابِ وَمَوْضِعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ اِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ (وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ) شَهِدَ عَلَىٰ ذٰلِكَ الْعَقْلُ اِذَا خَرَجَ مِنْ اَسْرِ الْهَوَىٰ وَسَلِمَ مِنْ عَلاَئِقِ الدُّنْيَا.

◁ اللّغة

(شَاخِصاً) أي ذاهباً مُبعداً (أُزعج) يُقال أَزعَجَه الى المعصية أي ساقه اليها (يُشْرَعُ) أي يُفتح (الْضَّرَاعَةِ) الذّلة (دَرَك) بالتَّحريك التَّبعة (مُبَلْبِلِ) البلبلة الإضطراب (نَجدّ) أي زَيّن (اعْتَقَدَ) يُقال إعتقد المال إقتناه:

◁ الشّرح

روي أنّ شُريح بن الحارث بن المُنتجع بن معاوية بن جَهم بن ثور بن عُفير بن عُدّي بن الحارث بن مُرّة بن أدد الكندي قاضي أمير المؤمنين في عَهده أي عَهد خلافته علىٰ الكوفة إستعمَله علىٰ القَضاء عُمر بن الخَطاب في خلافته فلم يزل قاضياً عليها ستّين سنة ومنه يعلم أنّه لم يكن قاضي أمير المؤمنين بل كان قاضياً لعُمر وعثمان وأمّا علّي فلم يقدر علىٰ عزله فكان قاضياً في خلافته عليه السلام لا محالة وأنّما لم يقدر علىٰ عزله لأنّ النّاس كانوا يقولون من إستعمله عُمر علىٰ القضاء لا يجوز لأحدٍ عَزله وشُريح هذا هو الّذي أفتىٰ في خلافته يزيد بن معاوية لعنهما اللّه بقتل الحُسين عليه السلام وأصحابه وأنصاره.

وقال أنّه قد شّق عصا المُسلمين وخرج علىٰ إمام زمانه فهو مَهدُور الدّم وفي بعض الأخبار أنّه قال أنّ الحسين خرج عن زيّه فقتل بسيف جدّه أوبسيف الإسلام وأنّما أفتىٰ بهذا الفتوىٰ بعد أخذه من عبيد اللّه بن زياد أموالاً كثيرة من بيت مال المّسلمين وكيف كان لا شكّ عندنا أنّه كانَ من المُعاندين

المُخالفين لأهل بيت العِصمة والمُوافقين لأولياء الشّيطان الرّجيم عليه لعنة اللّه وملائكته والنّاس أجمعين ولنرجع الىٰ مانحن بصدده وهو أنّه إشترىٰ علىٰ عَهده أي في خلافته عليه السلام داراً بثمانين ديناراً فَبَلغ أمير المؤمنين ذلك فأستدعاه وأَمر بإحضاره وقال له بَلَغني أنّك إبتَعت داراً بثمانين دينارٌ وكَتَبت كتاباً وأشهدت شهوداً علىٰ مُعاملتك فقال شُريح في جوابه قد كان ذلك ياأمير المؤمنين أي ما بَلغَك كان حقاً فَنظر أمير المؤمنين الىٰ شُريح نَظَر مُغضب أي أنّه عليه السلام نَظر اليه بنظر الغَضب ثمّ قال عليه السلام له ياشُريح:

▫ قوله عليه السلام: **اَمَا اِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لاَ يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ وَلاَ يَسْاَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ...**

والمُراد به ملك المَوت والمقصود أنّك تَموت لا محالة فإذا أتاك قابض الأرواح لِقَبض رُوحك فهو لا يَسألك عن شهودك ولا يَنظر الىٰ كتابك الّذي كَتَبته:

▫ قوله عليه السلام: **حَتَّىٰ يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً وَيُسْلِمَكَ اِلَىٰ قَبْرِكَ خَالِصاً...**

أي أنّ مَلك المَوت لا يُفارقك بعد حلول أجلك حتّى يخرجك منها أي من الدّار الّتي إشتريتها شاخصاً أي ذاهباً مُبعداً وبعد ذلك يسلِمك الىٰ قبرك خالصاً ولا يمكن لك ولا لغيرك الفرار منه وعليه فالدّار الّتي إشتريتها ليست بدار الخلُود والبَقاء بل هي دار الدّثور والفناء:

▫ قوله عليه السلام: **فَانْظُرْ يَاشُرَيْحُ لاَ تَكُونُ ابْتَعْتَ هٰذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ اَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلاَلِكَ...**

أي أن كان الخلُود لك فيها من المُحالات ولابدّ لك من الرّحيل عنها فأنظر ياشُريح في هذه المُعاملة أن لا تكون إبتّعت هذه الدّار من غير مالِك بأن يكون من أموال النّاس أو أن كان من مالِك ظاهراً نَقدت ثمنها من غير حلالِك كالرّشوة والغَصب والسّرقة وأمثالها وذلك لأنّ الدّار علىٰ الأوّل ليست لك وعلىٰ الثّاني وأن كانت لك ظاهراً إلّا أنّها حيث إشتريتها من الحَرام أو المُختلط منه والحلال فهي أيضاً لا ينبغي القَرار فيها.

□ **قوله ﷺ: فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الْآخِرَةِ...**

أي إذا كان الأمر على ما وصفناه من كون المال لغيرك أو كان من الحَرام فقد ضيّعتَ دار الدّنيا ودار الآخرة أمّا الدّنيا فلأنّك إغتررت بها وأمّا الآخرة فلأنّك إشتريتها من غير مالِك:

□ **قوله ﷺ: اَمَا اِنَّكَ لَوْ كُنْتَ اَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ لَكَتَبْتُ لَكَ كِتَاباً عَلَىٰ هٰذِهِ النُّسْخَةِ فَلَمْ تَرْغَبْ فِي شِرَاءِ هٰذِهِ الدَّارِ بِدِرْهَمٍ فَمَا فَوْقَ...**

وذلك لأنّ شُريح كَتَب كتاباً حدّد الدّار فيه بحدودٍ أربعة فَكَتَب مثلاً حدّه بدار فلان وحدّه بدار فلان أو أرض فلان وهكذا وهذا ممّا يوجب الإغترار بالدّنيا وزخارفها إذ ليس في هذا الكتاب من الآخرة ولا من زوال الدّنيا وفنائها عين ولا أثر وأمّا النّسخة الّتي أملاها أمير المؤمنين عليه فبالعكس أي ليس فيها من الدّنيا أَثَر بل دلّت على عدم إعتبارها وزوالها كما قال ﷺ توضيحاً لها.

□ **قوله ﷺ: وَالنُّسْخَةُ هٰذِهِ:هٰذَا مَا اشْتَرَىٰ عَبْدٌ ذَلِيلٌ مِنْ مَيِّتٍ قَدْ أُزْعِجَ لِلرَّحِيلِ اشْتَرَىٰ مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ الْغُرُورِ مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ وَخِطَّةِ الْهَالِكِينَ وَتَجْمَعُ هٰذِهِ حُدُودٌ اَرْبَعَةٌ...**

أي أنّ هذه الدّار إشتراها عبدٌ ذليلٌ حقير لا يقدر على شيٍ من عبدٍ آخر مثله في الذّلة والحقارة ومع ذلك هو مُشرِفٌ على المَوت في كلّ ساعةٍ ولحظةٍ إشترىٰ منه دار من دار الغرور وهي الدّنيا من جانب الفانين، كقوله تعالى: **﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾** [1] وخطّة الهالكين **﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾** [2] وتجمع هذه الدّار حدُوداً أربعة لا يتّوجه اليها إلّا من كان له قلب:

□ **قوله ﷺ: الْحَدُّ الْأَوَّلُ يَنْتَهِي اِلَىٰ دَوَاعِي الْآفَاتِ وَالْحَدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي اِلَىٰ دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ وَالْحَدُّ الثَّالِثُ يَنْتَهِي اِلَىٰ الْهَوَىٰ الْمُرْدِي وَالْحَدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي اِلَىٰ الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي وَفِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هٰذِهِ الدَّارِ...**

وهذه الحدود الأربعة الّتي ذكرها ﷺ هي حدُود الدّنيا بَحَسب الواقع وإذا

١ - الرّحمن ـ ٢٦

٢- القصص ـ ٨٨

كانت الدّنيا، بأسرها كذلك فالدّار المبحوث عنها بما أنّها منها وواقع فيها يشملها الحكم وحاصل هذا الكلام أنّ الدّنيا وما فيها محفوفة بالآفات الأرضية والسّماوية والمصائب والحوادث وهو ممّا لا كلام فيه وأمّا الهوىٰ المُردي والشّيطان المغْوي فالمراد بهما أنّ الدّنيا مضافاً الىٰ ما ذكرناه يكون مَرعىٰ للشّيطان ومَرمىٰ للنّفس الأمارّة بالسّوء وذلكَ لأنّها كانت من بدو خلقها صيداً لهما أو آلة ضرورة أنّ الشّيطان وهكذا النّفس الأمّارة لا وسيلة ولا سبب لهما للوصول الىٰ مقاصدهما إلّا من طريق الدّنيا ولذلك قال رسول اللّه ﷺ: حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة:

□ قوله ؑ: **اشْتَرَىٰ هٰذَا الْمُغْتَرُّ بِالْأَمَلِ مِنْ هٰذَا الْمُزْعَجِ بِالْأَجَلِ هٰذِهِ الدَّارَ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَنَاعَةِ وَالدُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ وَالضَّرَاعَةِ فَمَا اَدْرَكَ هٰذَا الْمُشْتَرِي فِيمَا اشْتَرَىٰ مِنْهُ مِنْ دَرَكٍ...**

أي أنّ المشتري لهذه الدّار وهو شُريح في المقام كا ن مغْتراً بالأمل والبائع يكون مسُوقاً بالأجل أمّا الإغترار بالأمل في المشتري فلأنّه لولا طول أَمَله لما أَقدم علىٰ هذه المعاملة في سِنّ الكهُولة:

بل ينبغي له أن يشتري داراً لآخرته وأمّا أنّ البائع كان مُزعجاً بالأجل فهو واضح وقوله بالخُروج الخ وصف للمشتري أي أنّ المُشتري قد خرج بسبب إشتراءه الدّار من عزّ القناعة ودَخل في ذلّ الطّلب والضّراعة أي الذّلة والحقارة أمّا الأوّل فلأنّه لو كان قانعاً في الدّنيا لَما أقدم عليه وأمّا الثّاني فلأنّه قد حَقّرَ نَفسه بذلك عند اللّه وعند النّاس أمّا عند اللّه فمعلوم وأمّا عند النّاس فلأنّ العقلاء بل وغيرهم يقولون أُنظروا الىٰ هذا الشّيخ الحريص قد إشترىٰ في آخر عمره داراً كذا وكذا مع كونه في لباس العلماء والقضاة الّذين يقولون لنا أنّ الدّنيا لا تزن جناح بعُوضة وبعبارةٍ أُخرىٰ يقولون ما لا يفعلون بل يفعلون خلاف ما يقولون والعالم إذا كان كذلك فأيّ مقدارٍ له عند النّاس:

□ قوله ﷺ: فَعَلَىٰ مُبَلْبِلِ اَجْسَامِ الْمُلُوكِ وَسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبابِرَةِ وَمُزِيلِ مُلْكِ الْفَرَاعِنَةِ مِثْلِ كِسْرَىٰ وَقَيْصَرَ وَتُبَّعٍ وَحَمْيَرَ وَمَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالَ فَاَكْثَرَ وَمِنْ بَنَىٰ وَ شَيَّدَ وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ وَادَّخَرَ وَاعْتَقَدَ وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ اشْخَاصُهُمْ جَمِيعاً اِلَىٰ مَوْقِفِ الْعَرْضِ وَالْحِسَابِ وَمَوْضِعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ...

الإشخاص مصدر قولك أشخصته أي ذهبت به والظّاهر أنّه مبتدء، مؤخّر لقـوله ﷺ: فَعَلَىٰ مُبَلْبِلِ اَجْسَامِ الْمُلُوكِ والتّقدير أنّ إشخاصهم الىٰ موقف العرض والحساب يوم القيٰمة علىٰ مُبلبل أجسام المُلوك ومُهلكها وهو المُوت يقال بَلبَل بَلبلةً وبلبالاً القوم هيّجهم وأرقعهم في الهَمّ، ولا شكّ أنّ المَوت هو الّذي أوقع الجميع في الهَمّ ثمّ يردّهم الىٰ موضع الحساب والعقاب كما قال اللّه تعالىٰ: ﴿قُلْ اِنَّ الْمَوْتَ الَّذى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَاِنَّهُ مُلاقيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ اِلىٰ عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١) ومحصّل الكلام أنّ الإنسان كائناً من كان لا يبقىٰ في الدّنيا مخلداً فيها بل ينتهي أمره المَوت لا محالة ثمّ العرض على الموقف للحساب والعقاب وهذا ممّا لا شكّ فيه فأنّه هو الّذي أهلَكَ المُلوك وأَسلَبَ نفوسهم عن أجسادهم وأزال ملك الفراعنة وكسرىٰ وقيصر وتُبّع وحَمير وغيرهم من أبناء الدّنيا ممّن جمع المال فيها على المال فأكثر ماله وشيّد وزخرف قصوره ونجدّ أي زيّن وإعتقد أي إقتناه ونظر بزعمه للوَلد أي أراد بزعمه الفاسد إغناء أولاده فلمّا جاء المَوت ترك الدّنيا وما فيها بل لم ينفع ماله لأولاده أيضاً ثمّ دخل المَحشَر مغبُوناً كما قال ﷺ:

□ قوله ﷺ: اِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ (وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ) شَهِدَ عَلَىٰ ذٰلِكَ الْعَقْلُ اِذَا خَرَجَ مِنْ اَسْرِ الْهَوَىٰ وَسَلِمَ مِنْ عَلاَئِقِ الدُّنْيَا...

أي إذا وقع الأمر من اللّه تعالىٰ بفصل القضاء للثّواب والعقاب وخسر هنالك أي في الحشر المبطلون الغافلون في الدّنيا شهد علىٰ ذلك الّذي ذكرناه العقل بعد خروجه عن إسارة النّفس الأمارّة وسلامته من علائق الدّنيا الفانية

١- الجمعة ـ ٨

وأنّما قال عليه السلام ذلك لأنّ العقل مادام كونه في البدن يكون تحت تأثير الهوىٰ والعلائق المادّية.

فلا يقدر علىٰ الحُكم الصّحيح بل يحكم بمُقتضىٰ الهَوىٰ وأمّا بعد المَوت فليس كذلك إذ العلائق قد قُطِعت بالكلّية فلا مانع له من الحكم الصّحيح ولأجل هذا قيل النّاس نيام إذا ماتوا إنتَبهُوا وفيه إيماء الىٰ أنّ وجود المُقتضي لا يكفي إذا كان هناك مانع بل يجب رفع المانع أيضاً والدّنيا وعلائقها هي المانعة من حكم العَقل بمُقتضىٰ طبيعته وجبّليته فَمن شاء أن يتّخذ الىٰ ربّه سبيلاً بعقله يجب عليه رفع الموانع كما قيل بالفارسية:

چه در نَوردد فراش أمر كن فيكون
سراى پرده سيماب رنگ آئينه گُون
چه قلع گردد ميخ طناب دَهر دُورَنک
چهار طاق عناصر شود شكسته ستُون
نه كَلّه بندد شام از حرير غاليه رنگ
نه حلّه بندد صبح از نسيم سقلاطون
مُكَّوفات همه داغ نيستى گيرند
كه كس نَماند از اين ضربت زوال مصُون
عدم برآنَد سيلاب برجهان وجود
چنانكه خوردكُند بُرج هَفت چرخ نگون
جهار مادر كَون از قضا عقيم شوند
بصُلب هفت پدر تاسلاله گردد خون
زروى چرخ بريزد قراضه‌هاى مُنير
ززير خاک برافتد ذخيرهٔ قارون
نه خاک تيره بماند نه آسمان لطيف
نه روح قُدس بماند نه نجدهٔ ملعُون

همه زوال پذیرند جز که ذات خدا
قدیم وقادر وحّي ومدّبر بیجُون
چه خطبهٔ لِمن المُلک در جهان خوانند
نظام ملک ازل تاابَد شود مقرون
ندارَسد سوی احزاء مرگ فرسوده
که‌چند خواب‌گران گر نخوردهٔ ای افیون
همی گراید هر جُزو سوی مرکز خویش
که‌هیچ جزو نگردد ز جُزوخویش افزون
عظام سوی عظام عُروق سوی عروق
جفُون بسوی جفُون وعُیون بسوی عُیون
به قصر جسم درآرند باز هودج روح
سوار قالب باارودگر شود مسکُون
پس انگهی بثواب وعقاب حکم کنند
به جنب کردهٔ خود هرکسی‌شود مَرهُون
یکی بحکم ازل مالک نعم آید
یکی بسبق قضا هالک عذاب الهُون
هر آنکه او معتقد او نه این بود جاهل
اگر حکیم ارسطالس است وافلاطون

والّذي حصل لنا من مجموع هذه الكَلمات هو أنّ الإنسان ينبغي أن يتأمّل في حاله ويتّفكر في أعماله وأقواله ولا يغتّر بالحياة الفانية ولا يُعتمد علىٰ الدّنيا الخادعة الدّائرة فأنّها في جنب الآخرة ومقاماتها لا قيمة لها ولمثل ذلك فليعمل العاملُون.

ومن كتاب له ﷺ (٤)
الىٰ بعض أُمراء جيشه

▫ قوله ﷺ: فَاِنْ عَادُوا اِلَىٰ ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذَاكَ الَّذِی نُحِبُّ وَاِنْ تَوَافَتِ الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ اِلَىٰ الشَّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ فَانْهَدْ بِمَنْ اَطَاعَكَ اِلَىٰ مَنْ عَصَاكَ وَاسْتَغْنِ بِمَنِ انْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ فَاِنَّ الْمُتَكَارِهَ مُغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ وَقُعُودُهُ اَغْنَىٰ مِنْ نُهُوضِهِ.

◁ **اللغة**

(**إنهَدّ**) اي إنهَض (**تَقاعَس**) اي ابطَأ وتَأخّر.

◁ **المعنىٰ**

(فَاِنْ عَادُوا) ورجعوا (**اِلَىٰ ظِلِّ الطَّاعَةِ**) لولّي الأمر (**فَذاكَ الَّذی نُحِبُّ**) أي فالطّاعة نُحبّها (**وَاِنْ تَوَافَتِ الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ اِلَىٰ الشَّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ**) والنّفاق والمُخالفة (**فَانْهَدْ**) أي إنهَض (**بِمَنْ اَطَاعَكَ**) أي بمعونتهم (**اِلَىٰ مَنْ عَصَاكَ**) وخالَفَك (**وَاسْتَغْنِ بِمَنِ انْقَادَ مَعَكَ**) بالإطاعة (**عَمَّنْ تَقَاعَسَ**) أي تَقاعد وتَأخّر (**عَنْكَ فَاِنَّ الْمُتَكَارِهَ**) والمُتثاقِل بكراهة الحَرب (**مُغِيبُهُ**) أي عدم حضوره (**خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ**) وحضوره فيها (**وَقُعُودُهُ**) عنها (**اَغْنَىٰ مِنْ نُهُوضِهِ**) وقيامه.

◁ الشّرح

▫ قوله ﷺ: فَإِنْ عَادُوا اِلَىٰ ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذَاكَ الَّذِي نُحِبُّ...

أي نحن لا نريد من النّاس إلّا الطّاعة لِللّه ولرسُوله وعليه فأن عادوا أي رَجعُوا عن غيّهم وشقاقهم الىٰ ظِلّ الطّاعة والإنقياد فذلك الّذي نُحبّ لا غيره وفيه إشارة الىٰ أنّه ﷺ كان غَرضه من الخلافة دخُول النّاس في ظِلّ طاعة اللّه لا طاعة المخلوق وأن كان فيها معصية اللّه ولعلّه لأجل ذلك قال ﷺ الىٰ ظِلّ الطّاعة، فأنّ اللاّم للعَهد أي الطّاعة المَعهودة في حقّ العباد ولم يقل الىٰ طاعتي وأن كانت طاعته أيضاً طاعة اللّه إلّا أنّها إذا أُضيفت الىٰ الياء تُوهم غيرها وهذا الّذي ذكره ﷺ من خواص حكومة الحقّ وأمّا حكومة الباطل قال معاوية لأهل الكوفة بعد التّسلط عليهم إنّا لا نريد إلّا الحكومة عليكم فأطيعوني وأمّا إطاعة اللّه ورسوله فأنتم مُخيّرون فيها أن شئتم أطعتم وأن شئتم عَصيتم.

▫ قوله ﷺ: وَاِنْ تَوَافَتِ الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ اِلَى الشَّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ فَانْهَدْ بِمَنْ اَطَاعَكَ اِلَىٰ مَنْ عَصَاكَ وَاسْتَغْنِ بِمَنِ انْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ...

يُقال توافىٰ القَوم اذا وافىٰ بعضهم بعضاً حتّىٰ تَمَّ إجتماعهم والمعنىٰ أنّ القَوم أعني بهم المُخالفين أن تّوافوا وإجتمعوا في شقاقهم وعُصيانهم ولم يُعادوا الىٰ ظِلّ الطّاعة فإنْهد بمن أطاعك أي إنهض بهم الىٰ من عَصاك من المُخالفين وكُن مُستغنياً بهم عنهم والمَقصود أنّ المُطيعين المُنقادين لك يستَغنوك عن غيرهم من أهل الباطل.

▫ قوله ﷺ: فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ مُغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ وَقُعُودُهُ اَغْنَىٰ مِنْ نُهُوضِهِ...

هذا الكلام تَعليل لما سبق فكأنّه قيل له ﷺ ولِمَ، فقال ﷺ: فَاِنَّ الْمُتَكَارِه الخ وحاصل ما أفاده في المقام التّعليل هو أنّ المُتكاره أعني به المُتثاقِل عن الحَرب عَدمه فيها خيرٌ من وجوده وحضوره وقعُوده عن الحَرب بعَدم الشّركة فيها أغنىٰ من نُهوضه وشركته والوجه يُعلم بأدنىٰ تأمّل وذلك لأنّ المُتثاقِل في الجيش يُوجب تثاقل غيره وأمّا إذا كان غائباً عنها فلا وإذا كان كذلك فلا

ومن كتاب له عليه السلام (٤)
الىٰ بعض أُمراء جيشه

▫ قوله عليه السلام: فَإِنْ عَادُوا إِلَىٰ ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذَاكَ الَّذِي نُحِبُّ وَإِنْ تَوَافَتِ الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَىٰ الشِّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ فَانْهَدْ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَىٰ مَنْ عَصَاكَ وَاسْتَغْنِ بِمَنِ انْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ مُغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ وَقُعُودُهُ أَغْنَىٰ مِنْ نُهُوضِهِ.

◁ **اللّغة**

(إنهَدْ) اي إنهَض (**تقاعَس**) اي ابطأ وتأخّر.

◁ **المعنىٰ**

(فَإِنْ عَادُوا) ورجعوا (إِلَىٰ ظِلِّ الطَّاعَةِ) لولّي الأمر (فَذاكَ الَّذى نُحِبُّ) أي فالطّاعة نُحبّها (وَإِنْ تَوَافَتِ الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَىٰ الشِّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ) والنّفاق والمُخالفة (فَانْهَدْ) أي إنهَض (بِمَنْ أَطَاعَكَ) أي بمعونتهم (إِلَىٰ مَنْ عَصَاكَ) وخالَفك (وَاسْتَغْنِ بِمَنِ انْقَادَ مَعَكَ) بالإطاعة (عَمَّنْ تَقَاعَسَ) أي تَقاعد وتأخّر (عَنْكَ فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ) والمُتثاقِل بكراهة الحَرب (مُغِيبُهُ) أي عدم حضوره (خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ) وحضوره فيها (وَقُعُودُهُ) عنها (أَغْنَىٰ مِنْ نُهُوضِهِ) وقيامه.

◁ الشرح

▫ قوله ﷺ: فَإِنْ عَادُوا إِلَىٰ ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذَاكَ الَّذِي نُحِبُّ...

أي نحن لا نريد من النّاس إلّا الطّاعة لِلّه ولرسُوله وعليه فأن عـادوا أي رَجعُوا عن غيّهم وشقاقهم الىٰ ظِلّ الطّاعة والإنقياد فذلك الّذي نُحبّ لا غيره وفيه إشارة الىٰ أنّه ﷺ كان غَرضه من الخلافة دخُول النّاس في ظِلّ طاعة اللّه لا طاعة المخلوق وأن كان فيها معصية اللّه ولعلّه لأجل ذلك قال ﷺ الىٰ ظِلّ الطّاعة، فأنّ اللاّم للعَهد أي الطّاعة المَعهودة في حقّ العباد ولم يقل الىٰ طاعتي وأن كانت طاعته أيضاً طاعة اللّه إلّا أنّها إذا أُضيفت الىٰ الياء تُوهم غيرها وهذا الّذي ذكره ﷺ من خواص حكومة الحقّ وأمّا حكومة الباطل قال معاوية لأهل الكوفة بعد التّسلط عليهم إنّا لا نريد إلّا الحكومة عليكم فأطيعوني وأمّا إطاعة اللّه ورسوله فأنتم مُخيّرون فيها أن شئتم أطعتم وأن شئتم عَصيتم.

▫ قوله ﷺ: وَإِنْ تَوَافَتِ الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَى الشِّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ فَانْهَدْ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَىٰ مَنْ عَصَاكَ وَاسْتَغْنِ بِمَنِ انْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ...

يُقال توافىٰ القَوم اذا وافىٰ بعضهم بعضاً حتّىٰ تَمّ إجتماعهم والمعنىٰ أنّ القَوم أعني بهم المُخالفين أن تَوافوا وإجتمعوا في شقاقهم وعُصيانهم ولم يُعادوا الىٰ ظِلّ الطّاعة فإنْهد بمن أطاعك أي إنهض بهم الىٰ من عَصاك من المُخالفين وكُن مُستغنياً بهم عنهم والمَقصود أنّ المُطيعين المُنقادين لك يستَغنوك عن غيرهم من أهل الباطل.

▫ قوله ﷺ: فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ مُغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ وَقُعُودُهُ أَغْنَىٰ مِنْ نُهُوضِهِ...

هذا الكلام تَعليل لما سبق فكأنّه قيل له ﷺ ولِمَ، فقال ﷺ: فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ الخ وحاصل ما أفاده في المقام التّعليل هو أنّ المُتكاره أعني به المُتثاقِل عن الحَرب عَدمه فيها خيرٌ من وجوده وحضوره وقعُوده عن الحَرب بعَدم الشّركة فيها أغنىٰ من نُهوضه وشركته والوجه يُعلم بأدنىٰ تأمّل وذلك لأنّ المُتثاقِل في الجيش يُوجب تثاقل غيره وأمّا إذا كان غائباً عنها فلا وإذا كان كذلك فلا

تتأسف على غَيبته عن الحَرب وهذا الّذي قاله ﷺ حقّ في الحَرب وغيرها إلّا أنّه في الحَرب أشدّ وأعظم وفي هذا المعنى قيل بالفارسية (افسرده دِل افسرده كند انجمنى را.

ومن كتاب له عليه السلام (٥)
الىٰ الأشعث بن قيس وهو عامل آذربايجان

□ قوله عليه السلام: **وَ إِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ وَلٰكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ اَمَانَةٌ وَاَنْتَ مُسْتَرْعىً لِمَنْ فَوْقَكَ، لَيْسَ لَكَ اَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ وَلاَ تُخَاطِرَ اِلَّا بِوَثِيقَةٍ وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاَنْتَ مِنْ خُزَّانَهُ حَتَّىٰ تُسَلِّمَهُ اِلَيَّ وَلَعَلِّي اَنْ لا اَكُونَ شَرَّ وَلاَتِكَ لَكَ وَالسَّلاَمُ.**

◁ اللّغة

(**تَفْتَاتَ**) أي تَستَبِد وهو إنتقال من الفَوت (**خُزَّانَهُ**) بضّم الخاء وتشديد الزّاء جمع خازن (**وَلاَتِكَ**) الوُلاة بضّم الواو جمع وال كالهُداة جمع هاد.

◁ المعنىٰ

(**وَ إِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ**) حتّىٰ تَصنع به ما شئت (**وَلٰكِنَّهُ**) أي العَمَل (**فِي عُنُقِكَ**) وذمّتك (**اَمَانَةٌ**) من اللّه ورسوله أو من الوالي عليك (**وَاَنْتَ مُسْتَرْعىً لِمَنْ فَوْقَكَ**) وهو الخليفة (**لَيْسَ لَكَ اَنْ تَفْتَاتَ**) وتستّبد برأيك (**فِي رَعِيَّةٍ**) أي في رعّية من فوقك (**وَلاَ تُخَاطِرَ اِلَّا بِوَثِيقَةٍ**) أي لا تُقدم علىٰ أمرٍ مُخوف إلّا بعد الوثوق والإطّمئنان (**وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاَنْتَ مِنْ خُزَّانَهُ**) أي خُزّان المال (**حَتَّىٰ تُسَلِّمَهُ**) المال (**اِلَيَّ وَلَعَلِّي اَنْ لا اَكُونَ شَرَّ وَلاَتِكَ لَكَ**) بل أكون خيرها لك.

◁ **الشّرح**

كتب عليه السلام هذا الكتاب الىٰ الأشعث بن قيس الكندي وكان عاملاً علىٰ آذربايجان من قِبل عثمان ثمّ عَزَله أمير المؤمنين عنها بعد بُرهةٍ من خلافته لكونه رأس المُنافقين المُلحدين ولا بأس بالإشارة الىٰ بعض أحواله:

قال في الإصابة في نَسَبه، هو الأشعث بن قيس بن معد يكرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن ثور الكندي يُكنّىٰ أبا محمّد، قال إبن سعد وَفَد علىٰ النبي صلى الله عليه وآله سنة عشر في سبعين راكباً من كِندة وكان من ملوك كِندة وهو صاحب مرباع بحضر موت وكان إسمه معد يكرب وأنّما لُقب بالأشعث لأنّه كان أبداً أشعث الرّأس فسُمّي به.

وكان الأشعث قد إرتّد فيمن إرتّدوا من الكِنديّين وأُسر فأُحضر الىٰ أبي بكر فأسلم فأطلقه وزوّجه أُخته أُمّ فَروة وقصّته طويلة مات بالكوفة وله ثلاث وستّون سنة وكيف كان فلا شكّ في كُفره ونِفاقه ويكفيك إثباتاً لذلك قول أمير المؤمنين له: **مايدريك ما عَلّي مِمّا لي عليك لعنة اللّه ولعنة اللاّعنين حائك إبن حائك مُنافق إبن كافر واللّه لقد أسرك الكفر مرّة والإسلام أُخرىٰ الىٰ آخر الخطبة.**

وقد مضىٰ الكلام فيشرحها سابقاً، ومن المعلوم أنّ الملعون علىٰ لسان أمير المؤمنين يكون من أهل النّار، هذا كلّه مُضافاً الىٰ أنّه شرك مع إبن مُلجم في قتل أمير المؤمنين فهو قاتل علّي عليه السلام وإبنته جُعدة سَمّت الحسن بن علّي عليه السلام وقتلته به وإبنه محمّد بن الأشعث كان من قتلة الحسين بن علّي عليه السلام وحاملاً لرأسه الشّريف الىٰ عُبيد اللّه ولم نجد فيما نعلم بيتاً أشأم وأخبث من بيت الأشعث إلّا بيت أبي سُفيان لَعَنهم اللّه تعالىٰ.

▫ **قوله عليه السلام: وَ اِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ وَلٰكِنَّهُ فِى عُنُقِكَ اَمَانَةٌ وَاَنْتَ مُسْتَرْعىً لِمَنْ فَوْقَكَ...**

أي ليس لك أن تصنع في حكومتك ما شئت في أموال النّاس وأنفسهم بأنّ

تأكل أموالهم مثلاً كما تأكل الغذاء بل أنت أمينٌ علىٰ أموالهم لابدّ لك من حفظ الأمانة ومُسترعي برعاك من فوقك وهو اللّه تعالىٰ أو الخليفة قال رسول اللّه ﷺ كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤل عن رعيّته:

▫ **قوله عليه السلام: لَيْسَ لَكَ اَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ وَلاَ تُخَاطِرَ اِلَّا بِوَثِيقَةٍ وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ...**

قوله تفتأت فعل مضارع من أفتات يفتات وأصله أفتأتَ يفتأتُ نحو أفتَعَل يفتَعِل وهو من الفَوت كأنّه يفوت أمره فيسبقه الىٰ الفعل قبل أن يأمره ويمكن أن يكون المراد به السّبق الىٰ الشّئ من دون إئتمار من يُؤتمر وحاصل المعنىٰ ليس لك أن تفعل في الرّعية من عند نفسك ولا تُخاطر أي لا تُقدم علىٰ أمرٍ مخوف إلّا بوثيقة أي بعد أن تتوثق لنفسك وفي يديك أي والحال أنّ في يديك مال من مال اللّه تعالىٰ فالواجب عليك المواظبة في الأموال والمُراعات في الأحوال:

▫ **قوله عليه السلام: وَاَنْتَ مِنْ خُزَّانَهُ حَتَّىٰ تُسَلِّمَهُ اِلَيَّ وَلَعَلِّي اَنْ لا اَكُونَ شَرَّ وَلاَتِكَ لَكَ وَالسَّلاَمُ...**

أي أنت لست بصاحب المال بل من خزّانه حتّىٰ تُسّلمه الّي ولعلّي أن لا أكون شّر ولا تك لك معناه أنّك كنت والياً لعثمان قبلي ولعلّي أن لا أكون شّراً منه وأنّما قال عليه السلام ذلك هضماً لنفسه الشّريفة وقال الشّارح المعتزلي أي عسىٰ ألّا يكون شكرك لعثمان ومَن قبله أكثر من شكرك لي وهذا من باب وعدك الخَفي وتُسمّيه العَرب المُلث انتهىٰ.

وأنا أقول يظهر من كلامه عليه السلام أنّ الأشعث خان في بيت مال المسلمين كما هو شأنه فقال عليه السلام هذا الكلام له تعييراً وتَوبيخاً وكيف كان فهو كلام صادق مطابق للأصول الشّرعية:

ومن كتاب له عليه السلام (٦)

الىٰ معاوية

□ قوله عليه السلام: اِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَومُ الَّذِينَ بَايَعُوا اَبَابَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَىٰ مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ اَنْ يَخْتَارَ وَلاَ لِلْغَائِبِ اَنْ يَرُدَّ وَاِنَّمَا الشُّورَىٰ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَاِنْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ اِمَاماً كَانَ ذٰلِكَ رِضىً فَاِنْ خَرَجَ عَنْ اَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ اَوْ بِدْعَةٍ رَدُّوهُ اِلىٰ مَا خَرَجَ مِنْهُ فَاِنْ اَبىٰ قَاتَلُوهُ عَلىٰ اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَلَّاهُ اللّٰهُ مَا تَوَلّىٰ.

وَلَعَمْرِي يَا مُعَاوِيَةُ لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِّي اَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانِ وَلَتَعْلَمَنَّ اَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ اِلَّا اَنْ تَتَجَنّىٰ فَتَجَنَّ مَا بَدَالَكَ وَالسَّلاَمُ.

◁ اللغة

(اِمَاماً) الإمام ما يؤتم به (بِدعة) إدخال ما ليس من الدّين فيه (تَتَجَنّىٰ) أي تدّعي الجناية علىٰ من لم يفعلها:

◁ المعنىٰ

(اِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَومُ) المسلمون (الَّذِينَ بَايَعُوا اَبَابَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَىٰ مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ) من الشروط والعهود (فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ) الحاضر (اَنْ يَخْتَارَ) غير ما إختاره القوم (وَلاَ لِلْغَائِبِ اَنْ يَرُدَّ) ما إختاره القوم (وَاِنَّمَا الشُّورَىٰ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ) من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله لا لغيرهم (فَاِنْ اجْتَمَعُوا)

هؤلاء (**عَلىٰ رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَاماً**) وخليفة (**كَانَ ذٰلِكَ رِضىً**) منهم (**فَإِنْ خَرَجَ عَنْ اَمْرِهِمْ**) أمر المُهاجر والأنصار (**خَارِجٌ بِطَعْنٍ اَوْ بِدْعَةٍ رَدُّوهُ اِلىٰ مَا خَرَجَ مِنْهُ**) وهو الدّين أو ما إجتمعوا عليه (**فَإِنْ اَبىٰ**) عن الدّخول فيما دخل به المُسلمون (**قَاتَلُوهُ عَلىٰ اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ**) الّذي إجتمعوا عليه (**وَوَلاَّهُ اللّٰهُ مَا تَوَلّىٰ**) من أمر الحكومة (**وَلَعَمْرِي يَا مُعَاوِيَةُ لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ**) أن كان (**دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِّي اَبْرَاَ النَّاسِ**) وأبعدهم (**مِنْ دَمِ عُثْمَانَ**) الّذي تدّعيه (**وَلَتَعْلَمَنَّ اَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ**) عن دَمه (**اِلَّا اَنْ تَتَجَنّىٰ فَتَجَنَّ مَا بَدَالَكَ وَالسَّلاَمُ**) أي إلّا أن تنسب الجناية علىٰ من لم يفعلها فتستر ما بدا لك أن تستره.

الشَرح

إعلم: أنّ هذا الكتاب الّذي كتبه عليه السلام الىٰ معاوية كَتَبه علىٰ سبيل التّسلم للخصم لإفحامه أو إرشاده اذ لا يستّعد بعد للبُرهان ويُسمّىٰ في إصطلاح المنطقيين بالمُسلمات وأنّما قلنا ذلك لأنّ ما ذكره عليه السلام فيه كلّه علىٰ مَسلك العامّة ومذهبهم وأمّا مذهب الشّيعة فلا يساعده وذلك لأنّ الإمامة عندنا لا تثبت إلّا بالنّص من اللّه ورسوله وليس للنّاس فيها رأيٌ ولا نَظَر سواء حَصَلَت بطريق الشّورىٰ أم حصّلت بغيره ولا يحصل منها وجوب طاعةٍ علىٰ النّاس وهذا كلّه واضح لا خفاء فيه وأمّا عند العامّة فهي تحصل بالشّورىٰ وبغيرها وقد فصّلنا الكلام فيها عند بحثنا في الخطبة الشّقشقية إذا عرفت هذا فقد علمت أنّ أمير المؤمنين قد تكّلم مع معاوية علىٰ مذهبه ومَسلَكه الّذي كان يأخذ به في عهد الخلفاء قبله ويرىٰ وجوب طاعتهم لأجل الشّورىٰ وغيرها:

□ قوله عليه السلام: **اِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا اَبَابَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَىٰ مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ...**

أي أن كُنتَ صادقاً في إدّعائك بصّحة خلافة أبي بكر وعُمر وعثمان فَلِمَ لا تقول بصّحة خلافتي فأن كان الملاك عندك في صّحتها ببيعة المُهاجرين

والأنصار بالرّضا منهم فقد بايعوني علىٰ ما بايعوا أبا بكر وعُمر وعثمان بالطّوع والرّغبة فلا معنىٰ لإطاعتك منهم ومخالفتك أيّاي والمفروض أنّ الملاك في الكلّ واحدٍ وأن كان الملاك فيها النّص الجّلي من الرّسول فهو أيضاً موجود في حقّي دونهم وأنت لا تقول به فأن قلت بـه يـنبغي لك الطّـاعة منّي دونـهم والحاصل أنّه لا مجّوز لك في المُخالفة لا عقلاً ولا شرعاً ومن كان عَمَله مُخالفاً لهما فهو مَجنون أو تابع لِهَواه:

▫ قوله ﷺ: **فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ اَنْ يَخْتَارَ وَلاَ لِلْغَائِبِ اَنْ يَرُدَّ...**

وذلك لأنّ النّاس في تعيين الإمام علىٰ صنفين صنفٌ مـنهم حـاضر فـي المعركة وصنف غير حاضر فيها أمّا الحاضرون فليس لكلّ واحـد مـنهم أن يختار غير ما إختاره القوم بل الملاك إختيار الأكثر وهو تابع لهم وأمّا الغائبون فليس لهم ردّ ما إختاره الحاضرون بل يجب عليهم القـبول وعـليه فأنّك يـا معاوية وأن كُنتَ غائباً عن المدينة بعد قتل عثمان وإجتماع المهاجر والأنصار علىٰ بيعتي إلّا أنّه ليس لك أن تَرّد ما إختاروه بل يجب عليك السّمع والطّاعة فأن كان لك حقّ في الرّد علىٰ الحاضرين في المـدينة وتـقول مـثلاً أنّـي لم أوكلّهم في تعيين الخليفة فقد بطل علىٰ هذا قولك في خلافة الثلاثة اذ للغائبين عن السّقيفة إنكار خلافة أبي بكر ومن بعده وأنت لا تقول به بل تقول بائي يَجُر وبائك لا يَجُر أي في خلافة الثلاثة ليس للغائب أن يرّد وأمّا في خلافتي فله أن يرّد مع أنّ الملاك الّذي تقول به موجود في الكلّ:

▫ قوله ﷺ: **وَاِنَّمَا الشُّورَىٰ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَاِنْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ رَجَلٍ وَسَمَّوْهُ اِمَاماً كَانَ ذٰلِكَ رِضىً...**

أي أن تمسّكت بالشّورىٰ وإدّعيت فقدانها في خلافتي فقد أخطأت وذلك لأنّ الشّورىٰ علىٰ قول القائل بها للمُهاجرين والأنصار لا لكلّ المُسـلمين أو لغير المُهاجر والأنصار وكيف كان الأمر فأنت بمعزلٍ عنها لأنّك طـليق إبـن الطّليق لَست من المُهاجرين ولا من الأنصار واذ كان كذلك فالمُهاجر والأنصار

قد بايعوني بعد المَشورة والفَحص الكامل فعلىٰ هذا قد تمّ الأمر ولا حجّة لك في طغيانك وخلافك فأنّهم إذا إجتمعوا علىٰ رجل أيّ رجلٍ كان بزعمكم وسمّوه إماماً كان ذلك رضىً لهم والمقام من هذا القبيل:

▫ **قوله ﷺ: فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْ بِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَىٰ مَا خَرَجَ مِنْهُ...**

أي فأن خرج من أمر الشّورىٰ خارج بطعنٍ وقَدح أو بدعة وضلالة ردّوه المُسلمون الىٰ ما خرج منه وهو حكم الشّورىٰ أو حكم الأجماع والأكثر:

▫ **قوله ﷺ: فَإِنْ أَبَىٰ قَاتَلُوهُ عَلَىٰ اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَلَّاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّىٰ...**

أي فأن أبىٰ الخارج الرّجوع الىٰ ما كان والدّخول في حكم الشّورىٰ قاتلوه علىٰ إتّباعه غير سبيل المؤمنين أي يستدلون في صحّة المقاتلة معه بأنّه خرج عن سبيل المؤمنين وولاّه اللّه ما تولّىٰ أي أعطاه اللّه جزاء ما تولّىٰ من الأعمال وبعبارةٍ أُخرىٰ جعله اللّه جزاء العَمَل الّذي تولاّه، ومحصّل الكلام من صدر الكتاب الىٰ هنا هو أنّك تركت السّيرة المُستّمرة الّتي كان أساس مذهبكم عليها في أمر الخلافة:

▫ **قوله ﷺ: وَلَعَمْرِي يَا مُعَاوِيَةُ لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِّي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّىٰ فَتَجَنَّ مَا بَدَالَكَ وَالسَّلَامُ...**

ثمّ أقسم ﷺ بنفسه الشّريفة وقال لأن نظرتَ بعقلك الّذي أودَعه اللّه فيك دون هوىٰ نفسك الأمّارة بالسّوء لتجدني أبرأ النّاس وأبعَدَهم من دم عثمان الّذي إدّعيته ولتّعلمن أنّي كُنتُ في عُزلةٍ وإنزواءٍ عن دَمه إلّا أن تتّجنىٰ وتنسب الجناية الىٰ من لم يفعلها فتّجن ما بدا لك.

تنبيه: تمسّك معاوية إبن أبي سفيان في غيّه وضلالته وطغيانه وعصيانه بأُمورٍ واهية باطلة حتّىٰ علىٰ مذهبه أن كان له مذهَب وأجاب أمير المؤمنين عنها بما وافق مَذهبه:

أحدها: تمسّكه بالشّورىٰ وأنّ خلافته ﷺ ما كانت كذلك فأجاب ﷺ بأنّ الشّورى في تعيين الخليفة علىٰ قول من يقول بها مختّصة بالمُهاجرين والأنصار وأنت لَستَ منهم:

وثانيها: عدم رضايته بخلافته ﷺ وأجاب ﷺ عنه بأنّ الغائب تابع لِلحاضر فليس له أن يرّد:

وثالثها: أنّه ﷺ قتل عثمان أو أمر بقتله فأجاب ﷺ عنه بأنّي أبرَأ النّاس منه والتّواريخ شاهدة بصدق ما ذكره ﷺ وبذلك قد تمّت الحجّة عليه في الدّنيا والآخرة هذا محصّل كلامه ﷺ في المقام:

ومن كتاب له ﷺ (٧)
اليه أيضاً

□ قوله ﷺ: أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَتْنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ نَمَّقْتَهَا بِضَلاَلِكَ وَامْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ وَكِتَابُ امْرِىءٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ وَلاَ قَائِدٌ يُرْشِدُهُ قَدْ دَعَاهُ الْهَوَىٰ فَأَجَابَهُ وَقَادَهُ الضَّلاَلُ فَاتَّبَعَهُ فَهَجَرَ لاَغِطاً وَضَلَّ خَابِطاً.

وَمِنْهُ: لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لاَ يُثَنَّىٰ فِيهَا النَّظَرُ وَلاَ يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ وَالْمُرَوِّى فِيهَا مُدَاهِنٌ.

◁ اللغة

(مُوَصَّلَةٌ) بصيغة المفعول أي مُلَفقة من كلام مختلف (مُحَبَّرَةٌ) أيضاً بصيغة المفعول أي مزّينة (نَمَّقْتَهَا) أي حسّنت كتابتها (فَهَجَرَ) أي فهذىٰ في كلامه ولغىٰ (لاَغِطاً) اللّغط محركة الصّوت الجلّية الّتي لا فائدة فيها (الْمُرَوِّى) المتّفكر (مُدَاهِنٌ) منافق.

◁ المعنىٰ

(أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَتْنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ) أي مُلفقة من كلمات النّاس (وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ) مزّينة (نَمَّقْتَهَا) أي نمقّتَ الرّسالة وحَسّنتها ظاهراً.

(بِضَلاَلِكَ) وغيّك باطناً، (وَامْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ) وخُبث ذاتك (وَكِتَابُ امْرِىءٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ) أي بصيرة (يَهْدِيهِ) الىٰ طريق الصّواب (وَلاَ قَائِدٌ)

وسائق (يُرْشِدُهُ) الى الحق (قَدْ دَعَاهُ) الىٰ ذلك (الْهَوَىٰ) والنّفس الأمّارة (فَأَجَابَهُ) أي أجاب هواه (وَقَادَهُ) وساقه (الضَّلاَلُ فَاتَّبَعَهُ فَهجَرَ) أي هذىٰ ولغىٰ (لاَغِطاً) لا فائدة فيه (وَضَلَّ خَابِطاً) علىٰ غير إستقامةٍ (وَمِنْهُ) أي ومن كلامه ﷺ (لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لاَ يُثَنَّىٰ فِيهَا النَّظَرُ) أي لا ينظر فيها ثانياً (وَلاَ يَسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ) أي لا خيار لأحدٍ فيها (الْخَارِجُ مِنْهَا) من البيعة (طَاعِنٌ) في الإجماع (وَالْمُرَوِّى) والمتفكر (فِيهَا مُدَاهِنٌ) منافق:

◁ الشّرح

▫ قوله ﷺ: **اَمَّا بَعْدُ فَقَدْ اَتَتْنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ نَمَّقْتَهَا بِضَلاَلِكَ وَامْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ...**

هذا الكتاب ممّا كتبه ﷺ في جواب كتاب معاوية بن أبي سفيان ويظهر منه أنّ معاوية أقدم فيه علىٰ موعظة أمير المؤمنين فأجابه بما أجاب وحاصله أنّه وصل إلّي كتابك وقد رأيت فيه موعظة موصّلة أي مُلَفقة من كلامٍ مختلف وصل بعضه ببعض علىٰ التّباين كالثّوب المُرقّع وهو مع ذلك كان محسّنة مُزّينة بحسب الظّاهر وذلك لأنّك نمقّتها وَحَسّنت كتابتها بضلالك وغيّك وأمضيتها وأنفذتها بسُوء رأيك.

▫ قوله ﷺ: **وَكِتَابُ امْرِىءٍ لَهُ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ وَلاَ قَائِدٌ يُرْشِدُهُ قَدْ دَعَاهُ الْهَوَىٰ فَاَجَابَهُ وَقَادَهُ الضَّلاَلُ فَاتَّبَعَهُ فَهجَرَ لاَغِطاً وَضَلَّ خَابِطاً...**

هذا بيان وجه التّعجب من موعظته وحاصله أنّ الكتاب ناظرٌ الىٰ كاتبه وإلّا فهو مع قطع النّظر عنه ألفاظ وعبارات يمكن لكلّ شخصٍ التّلفظ بها وكتابتها وأنّما الأصل فيها بصيرة الكاتب وعلمه ثمّ إعتقاده بما يكتبه وأمّا إذا لم يكن كذلك فلا أثر له كما قال ﷺ: **وَكِتَابُ امْرِىءٍ لَهُ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ** أي بصيرة في دينه وكتابه يهديه الىٰ سبيل الرّشاد وليس له قائد وإمام يسُوقه ويرشّده الىٰ الحقّ بل قد دعاه الهوىٰ والنّفس الأمّارة فأجابه وقاده الضّلال فأتّبعه فَهجر أي هذىٰ لاغطاً لا فائدة منه وخابطاً علىٰ غير إستقامةٍ وكتاب معاوية كان من هذا القبيل

وذلك لأنّه لو كانت له بصيرة لَما خالف علّياً قطّ والعَجب كلّ العجب أنّ الطّليق بن الطّليق الملعون على لسان رسول اللّه ﷺ يقدم على نصيحة أمير المؤمنين وموعظته وهو لا يعلم الحّر من البّر وأعجب من ذلك إطاعته عن أبي بكر وعُمر وعثمان قبله وهذا أدّل دليل على دِنائة الدّنيا وأنّها لا تقبل إلّا دّيناً رديئاً:

درعلم وهنر مشو چه من صاحب فن	تا نزد عزيزان نشوى خارچه من
خواهي كه شوي قبول ارباب زَمن	كنك آور كنكري كن وكنگره زن

وقد روي عنه عليه السلام أنّه قال الدّهر أنزلني أنزلني حتّى يُقال علّي ومعاوية ولنعم ما قيل بالفارسية:

در جهان ده چيز دشواراست نزد آگهان
كز تصّور كردن آن ميشود دل بى حضور
نازعاشق زهدفاسق بذل مُمسك هَذل رذَل
عشق با معشوق بد شكل ونظر بازي كُور
لَحن صوت بي اصولان نَجث علم ابلهان
مـهيماني بـه تكـليف وگـدائي بـزُور

□ **قوله عليه السلام: وَمِنْهُ لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لاَ يُثَنَّىٰ فِيهَا النَّظَرُ وَلاَ يَسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ وَالْمُرَوِّى فِيهَا مُدَاهِنٌ...**

أي أنّ النّاس بايعوني بيعةً عامّة والبيعة لا تكون إلّا واحدة لا ينظر فيها ثانياً بعد النّظر الأوّل ولا خيار لأحدٍ فيها يستأنفه بعد عقدها فمن خرج منها فهو طاعنٍ فيها فاقدٌ عنها ومن تَفكّر فيها بعد عقدها على الأصول الصّحيحة فهو مُداهن منافق إذ الأقل تابع لِلأكثر والغائب للحاضر على مَذهبكم في باب البيعة فما تقول يا معاوية بعد عقدها من المُهاجرين والأنصار وما تريد من هذه الرّسائل والمُكاتبات أليس حالك فيها حال غيرك من الغائبين ألَستَ أنتَ من المُسلمين:

ومن كتاب له ﷺ (٨)

الىٰ جُرير بن عبد البجلى لمّا أرسَله الىٰ معاوية

□ قوله ﷺ: اَمَّا بَعْدُ فَإِذَا اَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ وَخُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ اَوْ سِلْمٍ مُخْزِيَةٍ فَإِنْ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ اِلَيْهِ وَاِنِ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ وَالسَّلاَمُ.

◁ اللّغة

(الْفَصْلِ) الحكم القَطعي من الطّاعة والعصيان (الْجَزْمِ) القَطع (مُجْلِيَةٍ) أيِ مخرجة له من وطنه (سِلْمٍ مُخْزِيَةٍ) أيِ الصّلح الدّال علىٰ العجز والخطل فـي الرّأي (فَانْبِذْ اِلَيْهِ) أي أرم وأطرح اليـه عـهد الأمـان (السِّلْمَ) بـالفتح مـحركة الإستسلام وقد يقرأ بكسر السّين وسكون اللاّم أو بفتح السّين كذلك والمعنىٰ في الكلّ واحد .

الشرح

ونحن نذكر أوّلاً نَسب جُرير ثمّ نوضح لَك القِصّة:

أمّا نَسَبه: فهو جُرير بن عبد اللّه بن جابر بن مالك بن نضرة بن ثعلبة بن جشم بن عوف بن خُزيمة بن حَرب بن علّي البَجلي الصّحابي المشهور يُكنّىٰ أبا عُمرو وقيل يُكنّىٰ أبا عبد اللّه قاله في الأصابة:

وقال ابن عبد البّر في الأستيعاب هكذا ـ جرير بن عبد اللّه بن جابر وهو

الشّليل بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عريف بن جذيمة بن عدي بن مالك بن سعد بن نذير بن نصر وهو مالك بن عبقر بن أنمار بـن أراش بـن عمرو بن الغوث البّجلي يُكنّىٰ أبا عمرو وقيل أبا عبد اللّه، وإختلف في بجيلة فقيل ما ذكرناه وقيل أنّهم من ولد أنمار بن نزار علىٰ ما ذكرناه في كتاب القبائل ولم يختلفوا أنّ بجيلة أُمّهم نُسبوا اليها وهي بجيلة بنت صعب بن علي بـن سعد العشيرة قال إبن إسحاق سيّد قبيلته وقال أبو عمر وكان إسلامه في العام الّذي توفىٰ فيه رسول اللّه ﷺ ونقل عنه أنّه قال أسلمتُ قبل موت رسول اللّه بأربعين يوماً، وروي في الإصابة أنّ طوله كان ستّة أذرع انتهىٰ.

وأمّا قصّة سفارته الىٰ معاوية:قال إبن قُتيبة في كتابه الإمـامة والسّـياسة أنّ جُريراً كان علىٰ ثغر همذان كان إستعمله عليه عثمان فكتب علّيٌ اليه مع زفر بن قيس كتاباً (نقله في الإمامة والسّياسة) فلمّا قرأه جُرير قام خطيباً فحمد اللّه وقال أيّها النّاس هذا كتاب أمير المؤمنين علّي بن أبي طالب وهو المأمون علىٰ الدّين والدّنيا وكان من أمره وأمر عدّوه ما قد سمعتم فالحمد لِللّه علىٰ أقضيته وقد بايعه السّابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والتّابعون بأحسانٍ ولو جعل اللّه هذا الأمر شورىٰ بين المُسلمين لكان علّي أحقّ بها إلّا وأنّ البقاء في الجماعة والفناء في الفرقة وعلّيٌ حاملكم علىٰ الحقّ ما أستقمتم له فأن ملتم أقام ميلكم قال النّاس سمعاً وطاعةً:

قال وذكروا أنّ جُريراً لما قدم علىٰ علّيٍ قال له يا جُرير إنطلق الىٰ معاوية بكتابي هذا وكُن عند ظّني منك وأعلم يا جُرير أنّك تـرىٰ مـن حَـولي مِـن أصحاب رسول اللّه ﷺ من المهاجرين والبدّريين والعقّبيين وأنّي إخترتك عليهم لقول رسول اللّه ﷺ خير ذي يمن جُرير فأذهب الىٰ معاوية بكتابي هذا ورسالتي فأن دخل فيما دخل فيه المُسلمون وإلّا فأنبذ اليه بالحَرب وأعلمه أنّي لا أرض به أميراً والعامّة لا ترضىٰ به والياً فقال جُرير أنّي لأكره أن أمنعك معونتي وما أطمع لك في معاوية ويصنع اللّه ما يشاء:

قال وذكروا أنّه كتب الىٰ معاوية مع جُرير أما بعد فأنّ بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشّام لأنّه بايعني الّذين بايعوا أبا بكر وعُمر وعثمان علىٰ ما بايعوا فلم يكن للشّاهد أن يختار الىٰ آخر الخطبة (أقول قد مَرّ الكلام في كتابه هذا ويظهر من كلام إبن قُتيبة غير ما يظهر من كلام الرّضي فأنّ إبن قُتيبة ذكر الكتاب بوجهٍ أبسط ممّا ذكره الرّضي وحَذَف منه ما أثبَته الرّضي وكلام الرّضي هو المُعتمد المؤلف)

قال – وذكروا أنّ جُريراً لما قدم علىٰ معاوية بكتاب علّي قام جُرير بالشّام خطيباً فقال أيّها النّاس أنّ أمر عثمان قد أَعيا من مشهده فما ظنّكم بمن غاب عنه وأنّ النّاس بايعوا علّياً (وساق الكلام وذكر فيه قصّة طلحة والزّبير ونقضهما البيعة وما وقع في غزوة الجمل وقد مَرّ الكلام فيه مؤلف) ثمّ قال جُرير وقد بايعت العامّة علّياً ولو ملكنا أمرنا لن نختر لها غيره فمن خالف هذا فقد إستعتب فأدخل يا معاوية فيما دخل النّاس فيه فأن قلت أنّ عثمان ولأني ولم يعزلني فأنّ هذا لو كان لم يقم لِللّه دين وكان لكلّ إمرِؤٍ ما هو فيه انتهىٰ.

قال وذكروا أنّ معاوية قال لجُرير أنّي قد رأيت رأياً قال جُرير هات قال أُكتب الىٰ علّي أن يجعل لي الشّام ومِصر جباية فأن حضرته الوفاة لم يجعل لأحدٍ من بعده في عنقي بيعة وأسلم اليه هذا الأمر وأكتب اليه بالخلافة قال جُرير أكتب ما شئت، قال إبن قُتيبة وأنّما أراد معاوية في طلبه الشّام ومصر ألا يكون لعلّي في عنقه بيعة وأن يخرج نفسه ممّا دخل فيه النّاس فكتب الىٰ علّي يسأله ذلكً فلما أتىٰ علّياً كتاب معاوية عرف أنّها خدعة منه فكتب عليه السلام الىٰ جُرير أمّا بعد فأنّ معاوية أنّما أراد بما طلب ألاّ يكون لي في عُنقه بيعة وأن يختار من أمره ما أحبّ.

وقد كان المُغيرة بن شعبة أشار عَلّي وأنا بالمدينة أن أستعمله علىٰ الشّام فأَبَيت ذلك عليه ولم يكن اللّه لِيراني أتّخذ المُضلين عضداً فأن بايعك الرّجل وإلّا فأقبل انتهىٰ.

وبالجملة طال وقوف جرير عند معاوية حتّىٰ إتّهمه النّاس من أصحاب أمير المؤمنين وقال عليّ عليه السلام وقت لرسولي وقتاً لا يقيم بعده إلّا مخدوعاً وأبطئ علىٰ علّي حتّىٰ آيس منه فكتب اليه الكتاب أمّا بعد فإذا أتاك كتابي فأحمل معاوية علىٰ الفصل والحكم القطّعي وخُذه بالأمر الجزم أمّا البيعة وأمّا الحَرب ثمّ خيّره أي خيّر معاوية بين أمرين أحدهما حربٌ مُجلية أي باعثة علىٰ الخُروج من الوطن أو سلِم مُخزية والمراد به الصّلح الدّال علىٰ العجز والخطل في الرّأي المُوجب للخذي فأن إختار معاوية الحَرب فأنبذ اليه أي أطرح وأرم به الىٰ الحَرب وأن إختار السّلم والإنقياد فخُذ بيعته.

روي أنّه لمّا إنتهىٰ الكتاب الىٰ جرير أتىٰ به الىٰ معاوية فأقرأه الكتاب وقال يامعاوية أنّه لا يطبع علىٰ قلب إلّا بذنب ولا ينشرح إلّا بتوبة ولا أظنّ قلبك إلّا مطبُوعاً أراك قد وَقفت علىٰ الحقّ والباطل كأنّك تنتظر شيئاً في يدي غيرك فقال معاوية ألقاك فِيَّ بالفيصل في أوّل مَجلس فلمّا بايع معاوية أهل الشّام قال يا جُرير ألحق بصاحبك وكتب اليه بالحرب فلمّا رجع جرير الىٰ علّي كثر قول النّاس في التّهمة له في أمر معاوية فإجتمع جرير والأشتر عند علّي عليه السلام فقال الأشتر أما واللّه يا أمير المؤمنين لو كُنتَ أرسلتني الىٰ معاوية لكنتُ خيراً لك من هذا الّذي أرضي من خناقه وأقام عنده حتّىٰ لم يَدع باباً يرجو رُوحه إلّا فَتحه أو يخاف غمّه إلّا سَدّه فقال جرير واللّه لو أتيتهم لَقتلوك وخَوّفه بعمرو وذي الكلاع وحوشب وقد زعموا أنّك من قتلة عثمان فقال الأشتر لو أتيته واللّه ياجُرير لم يعيني جوابها ولَم يثقل علىٰ مَحملها ولحملتُ معاوية علىٰ خطّة أعجله فيها عن الفكر قال فأتهم إذاً قال الأشتر الآن وقد أفسدتهم ووقع بيننا الشّرُور، وعن الشّعبي قال إجتمع جرير والأشتر عند علّي فقال الأشتر أليس قد نَهيتك يا أمير المؤمنين أن تَبعث جريراً وأخبرتك بعداوته وفتنته وغشّه وأقبل الأشتر شيمة ويقول ياأخا بجيلة أنّ عثمان إشترىٰ دينك بهمدان واللّه ما أنت بأهلٍ أن تمشي فوق الأرض أنّما أتيتهم لتتخذ عندهم بذاً

بمسيرك اليهم ثمّ رجعت إلينا من عندهم تُهدّدنا بهم وأنت والله منهم ولا أرىٰ سعيك إلّا لهم ولأن أطاعني فيك أمير المؤمنين لِيَحبّسنك وأشباهك في مَحبسٍ لا يَخرجون منه حتّىٰ تَستَبين من هذه الأمور ويهلِك الله الظّالمين قال فلمّا سمع جرير ذلك لَحِق بقرقسيا ولَحق به أُناس من قيس ولم يشهد صّفين من قيس غير تسعة عشر رجلاً ومات جُرير بقرقسيا، سنة أربع وخمسين وقيل أحدىٰ وخمسين، وقيل مات بالسّراة في ولاية ضحاك بن قيس علىٰ الكوفة من قِبل معاوية حشره الله مع مَن أَحَبّه.

ومن كتاب له عليه السلام (٩)
الىٰ معاوية

□ قوله عليه السلام: فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا وَاجْتِيَاحَ اَصْلِنَا وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ وَمَنَعُونَا الْعَذْبَ وَاحْلَسُونَا الْخَوْفَ وَاضْطَرُّونَا اِلَىٰ جَبَلٍ وَعْرٍ وَاَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ فَعَزَمَ اللّٰهُ لَنا عَلَىٰ الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ مُؤْمِنُنَا يَبْغِى بِذٰلِكَ الْأَجْرَ وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الْأَصْلِ وَمَنْ اَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ اَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانٍ اَمْنٍ.

وَكَانَ رَسُولُ اللّٰهِ صلى الله عليه وآله إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ وَاحْجَمَ النَّاسُ قَدَّمَ اَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَىٰ بِهِمْ اَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَ الْأَسِنَّةِ فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ اُحُدٍ وَقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ وَارَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِى أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ وَلٰكِنْ آجَالَهُمْ عُجِّلَتْ وَمَنِيَّتُهُ اُجِّلَتْ فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِى مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِى وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي الَّتِي لاَ يُدْلِي اَحَدٌ بِمِثْلِهَا اِلَّا اَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مَا لاَ اَعْرِفُهُ وَلاَ اَظُنُّ اللّٰهَ يَعْرِفُهُ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ.

وَاَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَةِ عُثْمانَ اِلَيْكَ فَاِنِّى نَظَرْتُ فِي هٰذَا الْأَمْرِ فَلَمْ أَرَهُ يَسَعُنِى دَفْعُهُمْ اِلَيْكَ وَلاَ اِلَىٰ غَيْرِكَ وَلَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيِّكَ وَشِقَاقِكَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ لاَ يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِى بَرٍّ وَلاَ بَحْرٍ وَلاَ جَبَلٍ وَلاَ سَهْلٍ اِلَّا اَنَّهُ طَلَبٌ يَسُوءُكَ وِجْدَانُهُ وَزَوْرٌ لاَ يَسُرُّكَ لُقْيَانُهُ وَالسَّلاَمُ لِأَهْلِهِ.

◁ اللّغة

(اجْتِيَاحَ) مصدر قولك إجتاحَ إجتياحاً والإجتياح الإستئصال والإهلاك (هَمُّوا) أي قصدوا (الْعَذْبَ) هَنيّ العَيش (احْلَسُونَا) بالحاء المُهملة أي ألزمونا (وَعْرٍ) الوَعر بفتح الواو وسكون العين الصّعب الّذي لا يرقىٰ اليه (الذَّبَّ) بفتح الذّال المنع (حَوزَته) المُراد بالحَوزة هُنا الشّريعة الحقّة (احْمَرَّ الْبَأْسُ) إحمرار البأس إشتداد القتال (أحجَم) تأخّر (زَوْرٌ) الزّور بفتح الزّاء وسكون الواو الزّائرون.

◁ المعنىٰ

(فَأَرَادَ قَوْمُنَا) من قُريش (قَتْلَ نَبِيِّنَا وَاجْتِيَاحَ اَصْلِنَا) وإهلاكه (وَهَمُّوا) وقصدوا (بِنَا الْهُمُومَ وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ) من الشّتم والجَرح وغيرهما (وَمَنَعُونَا الْعَذْبَ) والعيش في مكّة والمدينة (وَاحْلَسُونَا) وألزمونا (الْخَوْفَ) والوَحشة (وَاضْطَرُّونَا اِلَىٰ جَبَلٍ وَعْرٍ) صَعب (وَاَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ فَعَزَمَ اللّٰهُ لَنَا عَلَىٰ الذَّبِّ) والمَنع (عَنْ حَوْزَتِهِ) وشريعته (وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ) فجعل عليه السلام نفسه الشّريفة وقاية لها (مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذٰلِكَ الْأَجْرَ) في الآخرة (وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الْأَصْلِ) وهو الرّسول صلى الله عليه وآله (وَمَنْ اَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ) أي هو خال (مِمَّا نَحْنُ فِيهِ) من الشّدة (بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ اَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ) أي أنّ الحَلف أو العشيرة كانا قد حفظاه (فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانٍ اَمْنٍ) لما ذكرناه.

(وَكَانَ رَسُولُ اللّٰهِ صلى الله عليه وآله اِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ) وأشتدّ القتال (وَاحْجَمَ) وتأخّر (النَّاسُ) عنه (قَدَّمَ اَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَىٰ بِهِمْ) أي حفظ بأهل بيته (اَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ) كناية عن القتل والجرح (وَ الْأَسِنَّةِ فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ) وهو إبن عمّ النّبي صلى الله عليه وآله (وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ اُحُدٍ) وهو عَمّه صلى الله عليه وآله (وَقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ) وهو إبن عمّ النّبي صلى الله عليه وآله (وَارَادَ) النّبي صلى الله عليه وآله (مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ) وهو نفسه الشّريفة (مِثْلَ الَّذِى أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ وَلٰكِنْ آجَالَهُمْ) أي آجال من

إستشهد من أهل بيته ﷺ (**عُجِّلَتْ وَمَنِيَّتُهُ**) وموته (**أُجِّلَتْ**) بقضاء وقَدَر من اللّه تعالىٰ (**فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ**) الخدّاع (**إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي**) أي يقرن بي من لا يزن قدمي وهو معاوية وأمثاله (**وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي**) في الإسلام والهجرة (**الَّتِي لاَ يُدْلِي**) ولا يتوسل (**أَحَدٌ**) من أفراد الأمّة فضلاً عن معاوية (**بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ**) أنّه كان كذلك (**مَا لاَ أَعْرِفُهُ وَلاَ أَظُنُّ اللّٰهَ يَعْرِفُهُ**) لأنّ المُدّعي كاذب في قوله (**وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ**) ونحن راضون بما رضىٰ لنا (**وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ**) عنّي (**مِنْ دَفْعِ قَتَلَةِ عُثْمانَ إِلَيْكَ فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هٰذَا الْأَمْرِ**) وهو دفع القَتلة (**فَلَمْ أَرَهُ**) أي لَم أرَ الدّفع (**يَسَعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلاَ إِلَىٰ غَيْرِكَ**) كائناً من كان (**وَلَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ**) وترجع (**عَنْ غَيِّكَ**) وضلالك (**وَشِقَاقِكَ**) ونفاقك (**لَتَعْرِفَنَّهُمْ**) أي لتعرفن قَتلة عثمان (**عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ**) حيث كُنتَ (**لاَ يُكَلِّفُونَكَ**) ولا يشق عليهم (**طَلَبَهُمْ**) أيّاك (**فِي بَرٍّ وَلاَ بَحْرٍ وَلاَ جَبَلٍ وَلاَ سَهْلٍ إِلَّا أَنَّهُ طَلَبٌ يَسُوءُكَ وِجْدَانُهُ**) لأنّهم يقتلوك حيث وجدوك (**وَزَوْرٌ**) أي أنّهم الزّائرون الّذين (**لاَ يَسُرُّكَ لُقْيَانُهُ**) ورؤيتهم (**وَالسَّلاَمُ لِأَهْلِهِ**) من المُسلمين.

◁ الشّرح

إعلم: أنّ أمير المؤمنين ﷺ أشار في هذا الكتاب الّذي كتبه الىٰ معاوية بن أبي سفيان الىٰ بعض ما فَعلت قُرَيش برسول اللّه ﷺ والمؤمنين به من الشّتم والضّرب والحَبس وغيرهما والوجه فيه هو أنّ معاوية كتب اليه ﷺ كتاباً وذكر فيه محمّداً ﷺ وأنّه من قُرَيش ونحن أيضاً منها فالأصل واحد ولا فَخر لواحدٍ منّا علىٰ الآخر وأمثال ذلك من الكَلمات فأجابه ﷺ بما حاصله أنّ الأمر ليس علىٰ ما زَعَمت فأنّ النّبي ﷺ ماأُوذي من قبيلة من قبائل العَرب كما أُوذي من قُرَيش وذلك لأنّهم أخرجوا بني هاشم من مكّة وأحبَسوهم في الشّعب وحرّموا علىٰ أنفسهم مُكالمتهم ومُبايعتهم ومُخالطتهم وكتبوا بذلك صحيفة وعلّقوها من باب الكعبة فَبعث اللّه الإرضة حتّىٰ أكلتها سوىٰ إسم اللّه وصارت

يد الكاتب شلاًء وهو منصور بن عَكرمة ونحن نُشير الىٰ شطرٍ ممّا وقع عند شرحنا لكلماته.

▫ **قوله ﷺ: فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا وَاجْتِيَاحَ أَصْلِنَا وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ...**

المُراد بالقَوم هو قُرَيش وذلك لأنّ رسول اللّه ﷺ كان من قُرَيش.

قال ﷺ **أنا أفصح العَرَب بيد أنّي من قُرَيش**، وقُرَيش بضَم القاف وفَتح الرّاء قبيلة من قبائل العَرَب وأبوهم النّضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وكلّ من كان من ولد النّضر بن كنانة فهو قُرَيشي وقيل قُرَيش فهر بن مالك ومن لم يَلِده فليس بقُرَيشي وإختلف في سبب التّسمية فقيل هو من القرش وهو الكَسب والجمع وقيل سُمّيت قُريشاً لإجتماعها بعد تَفرقها في البلاد وكيف كان فلا شك أنّ قُريشاًكانت أهل الشّرف والرّئاسة وهم قبائل متَفرقة منهم قصّي ابن كلاب الّذي جمع القبائل من فهر وكان يدعي مُجمعاً ومنهم هاشم الّذي هَشَم الثّريد لقومه.

فقوله ﷺ: **أَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا وَاجْتِيَاحَ أَصْلِنَا** الخ إشارة الىٰ أن القَوم أَرادوا قَتل الرّسول بعد بَعثة وإستئصال أَصلنا وهو الرّسول أيضاً أو بني هاشم كلّهم.

والأصل فيه مارواه المؤرّخون أنّ قُرَيشاً إجتمعوا في دار النّدوة وكَتبوا بينهم صحيفةً أن لا يُوالُوا بني هاشم ولا يكّلموهم ولا يبايعوهم ولا يُزّوجوهم ولا يتَزوجوا اليهم ولا يحضروا معهم حتّىٰ يدفعوه أي الرّسول اليهم ليقتلوه وأنّهم يدٌ واحدة علىٰ محمّد ليقتلوه غيلةً أو صراحاً فلمّا بلغ ذلك أباطالب جمع بني هاشم ودخل الشّعب وكانوا أربعين رجلاً فحلفَ لهم أبو طالب بالكعبة والحَرم والرّكن والمقام لأن شاكت محمّد شوكة لأبّثن عليكم يا بني هاشم وحصّن الشّعب وكان يحرسه باللّيل والنّهار فإذا جاء اللّيل يقوم بالسّيف عليه ورسول اللّه مُضطجع ثمّ يقيمه ويضطجعه في موضع فلا يزال اللّيل كلّه هكذا وكلّه ولده وولد أخيه به يحرسونه بالنّهار وأصابهم الجهد وكان من دخل

من العَرب مكّة لا يَجسر أن يبيع من بني هاشم شيئاً أو باع منهم شيئاً إنتهبوا ماله وكان أبو جهل والعاص بن وائل والنّضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط يخرجون الىٰ الطّرق الّتي تَدخل مكّة فمن رأوه معه ميرة (الطّعام) نهوه أن يَبيع من بني هاشم شيئاً ويُحذّرونه أن باع شيئاً منهم أن ينهبوا ماله وكانت خديجة لها مال كثير فأنفقته علىٰ رسول اللّه في الشّعب وخَتموا بالصّحيفة بأربعين خاتماً خَتمها كلّ رجل من رؤساء قُرَيش بخاتمه وعلّقوها بالكعبة وتابعهم أبو لَهب عمّ النّبي علىٰ ذلك وكان الرّسول يخرج كلّ موسم ويدور علىٰ قبائل العَرب فَيقول لهم تَمنعون لي جانبي حتّىٰ أتلو عليكم كتابَ اللّه ربّي وثوابكم علىٰ اللّه الجنّة وأبو لهب في أثره يقول لا تَقبلوا منه فأنّه ابن أخي وهو ساحر كذّاب فَلم يزل حاله فَبقوا في الشّعب أربع سنين لا يَأمنون إلّا من موسم ولا يشترون ولا يبيعون إلّا فيه وكان يقوم بمكّة موسمان في كلّ سنة موسم العُمرة في رجب وموسم الحج في ذي الحجّة فكان إذا جاءت الموسم تخرج بنو هاشم من الشّعب فيشترون ويبيعون ثمّ لا يَجسر أحد منهم أن يخرج الىٰ الموسم الثّاني فأصابهم الجهد وجاعوا وبعثت قُرَيش الىٰ أبي طالب إدفع إلينا مُحمّداً لِنَقتله ونُملّكك علينا فقال أبو طالب في قصيدته الطويلة:

فلمّا رأيت القوم لاذّوا فيهم
وقد قطعوا كلّ العُرىٰ والوسائل
أَلَم تَعلموا أنّ إبننا لا مُكَذّبٌ
لدينا ولا يعني بقول الأباطل
وأبيض يستسقي الغمام بوجهه
ثمال اليتامىٰ عصمة للأرامل
يَطوف به الهَلاك من آل هاشمٍ
فهم عنده في نعمةٍ وفواضل

كَــذَبتم وبــيت اللّـه نَـبري مـحمّداً
ولمّــــا نــطاعن دونـــه ونُـــناضل
ونُســـــلمه حـــتّىٰ نُـــصّرع دونـــه
ونَـــذهل عـــن أبـــنائنا والحـــلائل
لَــعمري لقــد كُـلّفت وجـداً بأحـمد
وأحــبَبته حُبّ الحــبيب المُـواصـل
وجــــدتُ بــنفسي دونُـــه وحـــميتُه
ودافــعتُ عـــنه بـالذّرا والكـلاكـل
فـــلا زال للـــدّنيا جـــمالاً لأهــلها
وشـــيئاً بـمن عـادىٰ وزيـن المـحافل
حــليماً رشـيداً حـازماً غـير طـائشٍ
يُـــوالي إلٰـــه الحـــقّ ليس بـــماصلٍ
فأيّـــــده ربّ العـــــباد بِــــنَصره
وأظـــهر ديـــناً حـــقّه غـــير بـاطلٍ

فلما سَمعُوا هذه القَصيدة آيسوا منه وكان أبو العاص بن الرّبيع وهـو خـتن رسول اللّه يجيئ بالعير باللّيل عليها البّر والتّمر الىٰ باب الشّعب ثمّ يصيح بها فتدخل الشّعب فيأكلها بنو هاشم وقال رسول اللّه ﷺ لقد صاهرنا أبو العاص فأحمد صهرنا لقد كان يعمد الىٰ العير ونحن في الحصار فيرسلها في الشّعب ليلاً فلمّا أتىٰ لرّسول اللّه ﷺ في الشّعب أربع سنين بَعث اللّه علىٰ صحيفتهم القاطعة دابّة الأرض فَلحست جميع ما فيها من قـطيعة رحـم وظـلم وجـور وتركت إسم اللّه ونزل جبرئيل علىٰ رسول اللّه ﷺ فأخبره بذلك فأخبر رسول اللّه ﷺ أبا طالب فقام أبو طالب ولبس ثيابه ثمّ مشىٰ حتّىٰ دخل المسجد علىٰ قُريش وهم يجتمعون فيه فلمّا بصروا به قالوا قد ضجر أبو طالب وجاء الآن ليُسلم إبن أخيه فدنا منهم وسلّم عليهم فقاموا اليه وعظّموه وقالوا ياأبا طالب

قد عَلِمنا أنّك أرِدتَ مُواصلتنا والرّجوع الىٰ جماعتنا وأن تُسلِّم الينا إبن أخيك قال واللّه ما جئت لِهذا ولكنّ إبن أخي أخبرني ولم يكذبني أنّ اللّه أخبره أنّه قد بَعث علىٰ صحيفتكم القاطعة دابّة الأرض فَلحست جميع مافيها من قطيعة رحم وظلمٍ وجورٍ وتَركت إسم اللّه فأبعثوا الىٰ صحيفتكم فأن كان حقّاً فأتّقوا اللّه وأرجعوا عمّا أنتم عليه من الظّلم والجور وقطيعة الرّحم وأن كان باطلاً دفعته اليكم فأن شئتم قَتلتموه وأن شئتم إستحييتموه فَبعثوا الىٰ الصّحيفة فأنزلوها من الكعبة وعليها أربَعون خاتماً فلمّا أَتوا بها نَظر كلّ رجل منهم الىٰ خاتمه ثمّ فَكّوها فإذا ليس حرف إلّا بإسمك اللّهم فقال لهم أبو طالب ياقوم أتّقوا اللّه وكفّوا عمّا أنتم عليه فتفرق القوم ولم يتّكلم أحد منهم ورجع أبو طالب الىٰ الشّعب وقال في ذلك قصيدته البّائية الّتي أوّلها:

ألا من لهم من آخر اللّيل منصبُ
وشعب القضا من قومك المُتّشعب
وقد كان في أمر الصّحيفة عِبرةٌ
مَتىٰ ما يُخبّر غائب القوم يعجب
مَحا اللّه فيها كفرهم وعقوقهم
وما نَقموا من ناطق الحقّ مُعَرب
وأَصبح ما قالوا من الأمر باطلاً
ومن يختلق ماليس بالحقّ يكذب
وأمسىٰ بن عبد اللّه فينا مصّدقاً
علىٰ سخطٍ من قومنا غير معتبٍ
فلا تَحسبُونا مُسلّمين محمّداً
لذي غِرّةٍ منّا ولا مُتغرب
سَتمنعه مِنّا يدُ هاشّمية
مُركّبها في النّاس خير مُرّكب

ثمّ أنّهم لم يَقنعوا بذلك فإجتمعوا في دار النّدوة وذكروا هجرته ﷺ الیٰ المدينة وماكان من إستقبال الأنصار أيّاه وكانوا أربعين رجلاً من أشرافهم وكان لا يدخل فيها إلّا مَن أتیٰ له أربعين سنة سویٰ عتبة بن ربيعة فقد كان سنّه دون الأربعين فجاءهم إبليس في صورة شيخ فقال له البّواب من أَنت قال أنا شيخ من نَجد فإستأذن فأستأذنوا له وقال بلغني إجتماعكم في أمر هذا الرّجل فجئتكم لأُشير عليكم فلا يعدمكم منّي رأيٌ صائب فلمّا أخذوا مجلسهم قال أبو جهل يامعشر قُرَيش أنّه لم يكن أحد من العَرب أعزّ منّا ونحن في حرم اللّه وأمنه تَفد الينا العَرب في السّنة مرّتين ولم يطمع فينا طامع حتّیٰ نشأ محمّد فينا فكنّا نُسمّيه الأمين لصلاحه وأمانته فزعم أنّه رسول اللّه وسبّ آلهتنا وسفّه أحلامنا وأفسد شبّابنا وفرّق جماعتنا وقد رأيت فيه رأياً وهو أن ندُسّ اليه رجلاً لِيَقتله فأن طلبت بنو هاشم دمه أعطيناهم عشر ديّات فقال إبليس هذا رأي خبيث فأنّ بني هاشم لا تَرضیٰ أن يمشي قاتل محمّد علیٰ الأُرض أبداً ويقع بينكم الحروب في حرمكم فقال آخر، الرّأي أن نأخذه ونحبسه في بيت ونُثبته فيه ونُلقي اليه قوته حتّیٰ يموت فقال إبليس أنّ بني هاشم لا ترضیٰ بذلك فإذا جاء موسم العَرب إجتمعوا وأخرجوه فَيخدعهم بسحره، وقال آخر، الرّأي أن نَخرجه من بلادنا ونطرده فنفرغ لآلهتنا، فقال إبليس هذا أخبَث لأنّكم تعتمدون الیٰ أصبح النّاس وجهاً وأفصحهم لساناً وأسحرهم فَتخرجوه الیٰ بوادي العَرب فَيخدعهم بسحره ولسانه فلا يفجأكم إلّا وقد ملأها عليكم خيلاً ورجلاً فَبقوا حياریٰ.

ثمّ قالوا للملعون إبليس فما الرّأي عندك فيه قال مافيه إلّا رأي واحد وهو أن يجتمع من كلّ بطنٍ من بطون قُرَيش رجل شريف ويكون معكم من بني هاشم واحد فَيأخذون حديدة أو سيفاً ويدخلون عليه فَيضربونه كلّهم ضربة واحدة فيتّفرق دَمه في قريش كلّها فلا يستطيع بنو هاشم أن يطلبوا بدَمه وقد شاركوا فيه فما بقیٰ لهم إلّا أن تعطوهم ديّة فأعطوهم ثلاث ديّات بل لو أرادوا

عشر ديّات فقالوا بأجمعهم الرّأي رأي الشّيخ النّجدي فإختاروا خمسة عشر رجلاً فيهم أبو لَهب علىٰ أن يدخلوا علىٰ رسول اللّه فيقتلونه فأنزل اللّه سبحانه: **﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾**(1).

ثمّ تفرّقوا علىٰ هذا وأجمعوا أن يدخلوا عليه ليلاً وكتموا أمرهم فقال أبو لَهب بل نحرسه فإذا أصبحنا دخلنا عليه فباتوا حَول حُجرة رسول اللّه وأمر رسول اللّه ﷺ أن يفرش له وقال لعلّي ابن أبي طالب ياعلّي أفدني بنفسك قال نعم يارسول اللّه قال له نُم علىٰ فراشي وإلتحف ببُردي فنام علىٰ فراش رسول اللّه وإلتحف ببُرده وجاء جبرئيل الىٰ رسول اللّه فقال له أُخرج والقوم أشرفوا علىٰ الحُجرة فيرون فراشه وعلّي نائم عليه الحديث.

فقول أمير المؤمنين عليه السلام: **فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا** الىٰ قوله **الىٰ جبلٍ وعرٍ** إشارة الىٰ ما ذكرناه:

▫ **قوله عليه السلام: وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا عَلىٰ الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذٰلِكَ الْأَجْرَ وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الْأَصْلِ...**

أي وأوقد قومنا لنا نار الحَرب فَعزم اللّه وقصد لنا علىٰ الذّب والدّفع عن حَوزته وشريعته والرّمي من وراء حُرمته بجعل نفوسنا وقاية تُدافع السُّوء عنها وفيه إشارة الىٰ دفاعه عن الرّسول وشريعته من أوان طفُوليّته الىٰ آخر عُمره وذلك بأنّه عليه السلام كان مُدافعاً عن الرّسول في جميع الموارد ولا سيّما في ليلة المَبيت حيث قال رسول اللّه ﷺ له عليه السلام **ياعلّي أفد بنفسك**، وهكذا كان جعفر إبن أبي طالب وحمزة عمّ رسول اللّه بل وأبو طالب أيضاً كان كذلك فأنّهم كانوا مُدافعين عن حُرمة الرّسول ذابّين عن شريعته كما قال أبو طالب فيه مُخاطباً للنّبي ﷺ:

واللّه لن يصلوا اليك بجمعهم	حتّىٰ أُوسّد في التّراب دَفينا
فإصدع بأمرك ما عَليك غَضاضة	وأنشر بذاك وقَر منك عيونا

1 الانفال - ٣٠

ودَعوتني وزَعمت أنّك ناصح فلقد صَدقتَ وكُنتَ قبل أميناً
وعَرضتَ ديناً قد عرفت بأنّه من خير أديان البّرية دِيناً
لولا المخافة أن يكون معّرة لَوَجدتَني سمحاً بذاك مُبيناً
وأيضاً:
حميت الرّسول رسول الإله ببيضٍ تَلألأ مثل البرُوق
أَذّب وأحمي رسول الإله حماية عَمٍّ عليه شفيق
وأيضاً:
يقولون لي دَع نَصر من جاء بالهُدىٰ
وغالب لنا غلاب كلّ مُغالب
وسَلّم إلينا أحمداً وأكفلنّ لنا
نبّياً ولا تَحفل بقول المُعاتب
فقُلتُ لهم اللّه ربّي وناصري
علىٰ كلّ باغٍ من لوي بن غالب

روي أنّ قُرَيشاً قالت لأن مات أبو طالب ليَجمعنّ قبائل قُريش كلّها علىٰ قتله ويلغ ذلك أبو طالب فجمع بني هاشم وأحلافهم من قُريش فَوصاهم برسول اللّه وقال أنّ إبن أخي كما يقول أخبرنا بذلك آباؤنا وعُلمائنا أنّ محمّداً نبّي صادق أمين وأنّ شأنه أعظم شأن ومكانه من ربّه أعلىٰ مكان فأجيبوا دَعوته وإجتمعوا علىٰ نُصرته وراموا عدوه من وراء حَوزته فأنّه الشّرف الباقي لكم الدّهر ثمّ قال:

أُوصي بنصر النّبي الخير مشهده
علّياً إبني وعمّ الخير عبّاساً
وحمزة الأسد المخشي صولته
وجعفراً أن تَذوُدوا دونه البأسا

وهـــاشماً كـــلّها أوصـــىٰ بـــنصرته

أن يأخـذوا دون حَرب القَـوم أمـراسـاً

كـونوا فـداء لكـم نـفسي ومـا ولدت

مـن دون أحـمد عـند الرّوع أتـراسـاً

بكـــلّ أبـــيض مـــصقول عـــوارضـه

تَـــخاله فـــي ســـواد اللّـيل مـقباساً

وخصّ أبو طالب أخاه حمزة على أتباعه ﷺ اذ أقبل حمزة مُتّوشحاً بقوسه راجعاً من قنص له فوجد النّبي في دار أُخته محموماً وهي باكية فقال ما شأنك قال ﷺ ذل الحمىٰ يا أبا عمارة لو لقيت ما لقىٰ إبن أخيك محمّد آنفاً من أبي الحَكم بن هشام وجده هاهنا جالساً فأذاه وسبّه وبلغ منه مايكره فإنصرف ودخل المسجد وشبّح رأسه شبّحة منكرة فهّم أقربائه بضربه فقال أبو جهل دعوا أبا عمارة لكيلا يسلم ثمّ عاد حمزة الىٰ النّبي ﷺ وقال غّر بما صنع بك ثمّ أخبره بصنيعه فَلم يهش النّبي وقال ياعمّ لأنت منهم فَأسلم حمزة فَعرفت قُرَيش أنّ رسول اللّه قد عزّ وأنّ حَمزة سيمنعه قال إبن عباس فنزل: **﴿ أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ﴾** وسّر أبو طالب بإسلامه وأنشأ يقول:

صـــبراً أبـــا يـعلي عـلىٰ ديـن أحـمدٍ

وكُـــن مـظهراً للـدّين وفّـقت صـابراً

وحـط مـن أتىٰ بـالدّين من عند ربّـه

بـــصدقٍ وحـــقٍ لا تكـن حـمز كـافراً

فـــقد ســـرني إذ قـــلت أنّك مُـؤمن

فكُـن لرسـول اللّـه فـي اللّـه نـاصراً

فـــنادوا قُـــريشاً بـــالّذي قـد أتـيته

جـهاراً وقُـل مـا كـان أحـمد سـاحراً

ومن المعلوم أنّ نصرة حمزة قبل إسلامه كانت حماية عن الأصل فقوله ﷺ:

مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذَٰلِكَ الْأَجْرَ إشارة الىٰ حماية من كان مؤمناً بالله وبرسوله وقوله وكافرنا يُحامي عن الأصل إشارة الىٰ أنّ حماية بعض أقرباء النّبي ممّن لم يؤمن به كانت حماية للأصل كما عرفت من حمزة قبل إسلامه وهكذا كانت حماية طالب إبن أبي طالب عنه ﷺ في مكّة وهو غير مؤمن به ﷺ وقد أوصاه أبو طالب بالذّب عنه ﷺ وهكذا عقيل إبن أبي طالب والعبّاس عمّ الرّسول وغيرهم.

فأنّهم لمّا رأوا غُربة النّبي بين قَومه وعَزم قريش على قتله كانوا يذبّون عنه للأصل كما قال أبو طالب مخاطباً لإبنه طالب:

أبُنّي طالب أنّ شيخك ناصح فيما يقول مسدّد لك راتق
فأضرب بسيفك من أراد مسائه حتّىٰ تكون لدىٰ المنّية ذائق
هذا رجائي فيك بعد منّيتي لا زلت فيك بكل رشدٍ واثق
فأعضد قواه يا بُنّي وكُن له أنّي بجدّك لا محالة لاحق
آها أُردّد حسرةً لفراقه اذ لم أراه وقد تطاول باسق
أتَراه يشفع لي ويرحم عيرتي هيهات أنّي لا محالة زاهق

وقد روي أنّ أبا طالب لمّا رآىٰ اجتماع قريش علىٰ قتل رسول الله جمع بني عبد المُطّلب فأجمع لهم أمرهم علىٰ أن يدخلوا رسول الله شعبهم وكانوا أربعين رجلاً مؤمنهم وكافرهم ما خلا أبا لهب وأبا سفيان فظاهرهم عليه فحلف أبو طالب لأن شاكت محمّداً شوكة لأتينّ عليكم يا بني هاشم وفيه قال:

أَلَم تعلموا إنّا وجدنا محمّداً
نبيّاً كموسىٰ خطّ في أوّل الكتب
أَلَيس أبونا هاشم شدّ أزره
وأوصىٰ بنيه بالطّعان وبالضّرب
أفيقوا أفيقوا قبل أن يحضر الثّرىٰ
ويصبح من لم يجن ذنباً كذي الذّنب

وأيضاً قال:

وقـالوا خـطّةً جـوراً وحُـمقاً ... وبـعض القـول أبـلج مستقيم
لتَـحرج هـاشم فـيصير مـنها ... بـلاقع بـطن مكّـة والحـطيم
فـمهلاً قـومنا لا تـركبونا ... بـمظلمة لهـا أمـرٌ وخـيمٌ
فـيندم بـعضكم ويـذّل بـعض ... وليس بـمُفلح أبـداً ظـلومٌ
فـلا والرّاقـصات بكـلّ خـرقٍ ... الىٰ مـعمور مكّـة لا يـريم
طـوال الدّهـر حـتّىٰ تـقتلونا ... ونـقتلكم ونـلتقي الخَـصُوم
ويـعلم مـعشر قـطعوا وعقّوا ... بأنّـهم هـم الجـلد الظـلّيم
أرادوا قـتل أحـمد ظـالميه ... وليس لقـتله فـيهم زعـيم
ودون مـحمّدٍ فـتيان قـوم ... هـم العـرنين والعـضو الصّميم

□ **قوله ﷺ: وَمَنْ اَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ اَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانٍ اَمْنٍ...**

أي وأمّا المُسلمون من غير آل البيت من قريش فلم يكونوا كذلك بل كانوا آمنين علىٰ أنفسهم أمّا بتحالفهم مع بعض القبائل أو بالإستناد الىٰ عشائرهم فهم من القتل كانوا بمكانٍ آمنٍ، مثل أبي بكر وعُمر وعثمان والزّبير وعبد الرّحمٰن بن عوف وطلحة بن عبيد اللّه وأبو عُبيدة بن الجرّاح وأبو سلمة وأمثالهم فأنّهم كانوا مصونين محفوظين عن أذىٰ المشركين لما ذكره ﷺ:

□ **قوله ﷺ: وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ وَاحْجَمَ النَّاسُ قَدَّمَ اَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَىٰ بِهِمْ اَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَ الْأَسِنَّةِ فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ اُحُدٍ وَقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ...**

أي وكان رسول اللّه إذا إشتّد عليه البأس في الحروب وأحجم النّاس وتأخّروا عنه قدّم أهل بيته لحرب الأعداء فوقّىٰ بهم أصحابه عن الجرح والقتل فقُتل عبيدة بن الحارث بن عبد المطّلب إبن عمّ النّبي ﷺ يوم بَدر قتَله عُتبَة وقُتل حمزة بن عبد المُطّلب عمّ النّبي يوم أُحُد قتله وحشي غلام هند

بأمرٍ منها ثمّ أعتقته وقُتل جعفر بن أبي طالب إبن عمّ النّبي يوم مؤته ولا شكّ أنّ هؤلاء الثلاثة كانوا من أقرب النّاس الى رسول اللّه ولكن لمّا إشتّد القتال وتأخّر أكثر أصحابه عنه ﷺ ولم يَبق من الأصحاب إلّا شرذِمة قليلة فوقّى الرّسول بهم أصحابه عن القتل وفي قوله ﷺ: **إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ وَاحْجَمَ النَّاسُ** إشارة الى غزوة أُحُد الّتي قُتل فيها حمزة فأنّ القتال قد إشتّد فيها وأَحجم النّاس عن رسول اللّه وإنهَزموا إنهزام الفأرة من الهِرّة أو الثّعلب من الأسد وتفصيله في الكُتب مشهور مسطور وأنّه لم يبق مع الرّسول إلّا علّي وأبو دجانة وسهل بن حنيف:

فَعَن زيد بن وهب قال قلت لإبن مسعود إنهزم النّاس إلّا علّي وأبو دجانة وسهل بن حنيف قال إنهزموا إلّا علّي وحده وتاب اليهم أربعة عشر، عاصم بن ثابت وأبو دجانة، ومصعب بن عمير وعبد اللّه بن جحش وشماس بن عثمان بن شريد والمقداد وطلحة وسعد والباقون من أنصار ثمّ أنشد وقال:

وقد تركوا المختار في الحرب مفرداً
وفرّ جميع الصّحب عنه وأجمعوا
وكان علّي عايصاً في جموعهم
لها ما تهم بالسّيف يفرى ويفطع

قال عكرمة – لحقني من الجزع ما لم أملك نفسي وكنت أمامه أضرب بسيفي فرجعت أطلبه فلم أَرَه (يعني عليّاً) فقلت ما كان رسول اللّه ليفرّ وما رأيته في القتلى وأظنّه رفع من بيننا فكسرت جفن سَيفي وقلت في نفسي لأُقاتلنّ به حتّى أُقتل وحملتُ على القوم فأفرجوا فإذا أنا برسول اللّه قد وقع على الأرض مغشّياً عليه فوقفت على رأسه فنظر الّي وقال ما صنع النّاس يا علّي قلت كفروا يا رسول اللّه وَوَلّوا الدّبر من العدّو وأَسلَموك:

وله بأُحُدٍ بعد ما في وَجهه شبح النّبي وكلّم الشّفتان
وأنقض منه المُسلمون وأظهروا متطايرين تطاير الخيفان

ونـدائـهم قُـتل النّـبي وربّـنا | قُـتل النّـبي فكـان غـير مـصانِ
ويـــقول قـائلهم ألا يـا ليـتنا | نـلنا أمـاناً مـن أبـي سـفيانِ
وأبـو دجـانة والوصّـي وصيّه | بـالرّوح أحـمد مـنهما يقيان
فـرّوا ومـا فـرّا هـناك وأَدَبـره | وهـما بـحبل اللّـه مـعتصمان
حـتّىٰ إذا ولىٰ سـماك مـثْخناً | فـغشي عـليه أيـما غشـيان
وأخو النّـبي مـطاعن ومـضارب | عنه ومنه وقـد وَهـىٰ العـضدان

قال السّنوسي:

وفـي أُحـد سـل عـنه تُـخبَر اذا أتـىٰ
اليـه أبـو سـفيان فـي الشّوك والحَـجَر
فـوافـاه جـبرئيل عـن اللّـه قـائلاً
أبـا قـاسمٍ ألق الحـديد عـلىٰ الحَـجَر
فنادىٰ الهَـزبر اللّـيث حـيدر فـي الوغـىٰ
وقـال لهـذا اليـوم مـثلك أَنـتَظر
وشـبّهته إذ ذو الفـقار بكّـفه
كـبدر الدّجىٰ في كفّه كوكب السَّحر

ولآخر:

ومـن يُـنادي جـبرئيل مُـعلناً
والحَـرب قـد قـامت علىٰ ساق الورىٰ
لا سـيف إلّا ذو الفـقار فـاعلموا
ولا فـتىٰ إلّا عـليٌ فـي الوغـىٰ

وقال الحميري:

وله بـلاءٌ يـوم أُحـدٍ صـالح
والمشـرقية تأخـذ الأدبـارا

إذ جاء جبرئيل فنادىٰ مُعلناً
في المُسلمين وأسمع الأبرارا
لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتىٰ
إلّا علّي أن عَددتَ فخارا

وبالجُملة بعد ما إنهزم المُسلمون صاح إبليس لعنه اللّه قُتل محمّد ورسول اللّه يدعوهم في أُخراهم أيّها النّاس أنا رسول اللّه وأنّ اللّه قد وعدني النّصر فإلىٰ أين الفرار فيسمعون الصّوت ولا يلوون علىٰ شيْ وذهبت صيحة ابليس حتّىٰ دخلت بيوت المدينة فصاحت فاطمة عليها السلام وَلَم تبق هاشمية ولا قريشّية إلّا وَضعت يدها علىٰ رأسها وخرجت فاطمة تصرخ:

وفي كتاب أبان بن عثمان أنّه لمّا إنتهت فاطمة وصَفية الىٰ رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال لعلّي أمّا عمّتي فأحبسها عنّي وأمّا فاطمة فَدعها فلمّا دنت من رسول اللّه ورأته قد شجّ في وجهه وأُدمىٰ فوه إدماءً صاحت وجَعَلت تمسح الدّم وتقول إشّتد غضب اللّه علىٰ من أدمىٰ وجه رسُول اللّه وكان يتناول رسول اللّه ما يسيل من الدّم ويرمي به في الهَواء فلا يتراجع منه شيْ.

□ **قوله عليه السلام: وَارَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِى أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ وَلٰكِنْ آجَالَهُمْ عُجِّلَتْ وَمَنِيَّتُهُ أُجِّلَتْ...**

أي وأراد مَن لو شئت ذكرتُ إسمه وهو نفسه الشّريفة مثل الّذي أرادوا أي مثل الّذي أراد من قُتل من الشّهادة وبعبارةٍ أُخرىٰ أردتُ الشّهادة كما أرادوا ولكنّ الموت بيد اللّه تعالىٰ فأنّ آجالهم أي آجال المُستشهدين عُجلت ومنيّته وموته أي موت من لم أذكر إسمه وهو نفسه قد أُجّلت وأُخّرت وفيه إشارة الىٰ أنّه عليه السلام كان طالباً للشّهادة ولكنّ اللّه تعالىٰ أخّرها ليوم معلوم لمصلحةٍ رآها فيه وقد قال عليه السلام في ما مضىٰ في باب الخُطب ما لفظه: **فقلت يا رسول اللّه أو ليسَ قلت لي يوم أُحُد حيث إستشهد من إستشهد من المُسلمين وخيرت عنّي الشّهادة فشّق ذلك علي فقُلت لي أبشر فأنّ الشّهادة من ورائك** الىٰ آخر كلامه:

□ قوله عليه السلام: **فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ إذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي الَّتِي لاَ يُدْلِي اَحَدٌ بِمِثْلِهَا إلَّا اَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مَا لاَ اَعْرِفُهُ وَلاَ اَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ...**

ثمّ تعجّب عليه السلام من الدّهر المتّقلب حيث قَرن به عليه السلام من لا يقاس به ولأجل هذا قال عليه السلام: **فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ إذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ** قدمي فَضلاً عن نفسي والمراد به معاوية ولم تكن له كسابقتي في الإسلام والهجرة وغيرهما ثمّ ترقّىٰ عليه السلام في كلامه وقال **الَّتِي لاَ يُدْلِي اَحَدٌ بِمِثْلِهَا** أي لا يوصف أحد بمثلها أي مثل سابقتي في المُسلمين فضلاً عن معاوية وأمثاله إلّا أنْ يدّعي مُدّع ما لا أعرفه ولا أظنّ اللّه يعرفه والمقصود أنّ المُدّعي في الباب كائناً من كان فهو كاذب في قوله وإدّعائه خارج عن متن الواقع وفيه إشارة الىٰ أنّ بعض النّاس ممّن لا خبرة له ربّما يدّعي أفضليّة غيره عليه السلام عليه في الإسلام ولا يعلم أنّ مدّعاه غير صحيح فأنّ أمير المؤمنين عليه السلام بعد رسول اللّه لا يقاس به أحدٌ من أفراد الأُمّة ثمّ قال عليه السلام والحمد لِلّه علىٰ كلّ حالٍ، في السّراء والضّراء والعُسّرة واليُسّرة وهو إشارة الىٰ مقام تسليمه ورضاه.

□ قوله عليه السلام: **وَاَمَّا مَا سَاَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَةِ عُثْمانَ اِلَيْكَ فَاِنِّي نَظَرْتُ فِي هٰذَا الْأَمْرِ فَلَمْ أَرَهُ يَسَعُنِي دَفْعُهُمْ اِلَيْكَ وَلاَ اِلَىٰ غَيْرِكَ...**

أي وأمّا سؤالك عنّي بدفع قتلة عثمان اليك فأنّي نظرت وتأمّلتُ فيه فعلمت أنّه لا يُمكن دفعهم اليك ولا الىٰ غيرك والوجه فيه هو أنّ قتلة عثمان جميع المُسلمين أو أكثرهم وأنّما قتلوه لمّا نقموا عليه وأوجبوا به قتله وكيف يمكن قتل خيار الصّحابة لمقتولٍ واحدٍ مجهول الحال هذا أوّلاً وثانياً أنّ معاوية لم يكن لولّي الدّم لعثمان وأنّما غرضه الإنتفاع من قتله والإستفادة من قميصه وفي قوله عليه السلام: **ولا لغيرك** إشارة الىٰ أنّ السّائل بذلك لو كان أولاد عثمان الّذين هم أولياء دَمه أيضاً لا ندفع قتلة عثمان اليهم لما ذكرناه:

□ **قوله ﷺ: وَلَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيِّكَ وَشِقَاقِكَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ...**

ثمّ أقسم ﷺ بنفسه الشّريفة وقال لأن لم تَنزع **عن غيّك** وضلالك **وشقاقك لتعرفنّهم** أي لتعرفنّ قتلة عثمان عن قليل يطلبونّك وهو كناية عن وقوع الحرب والمقصود أنّك لا تحتاج الى طَلبهم بل أنّهم يطلبونّك في صّفين عن قليل:

□ **قوله ﷺ: لاَ يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ وَلاَ بَحْرٍ وَلاَ جَبَلٍ وَلاَ سَهْلٍ اِلَّا اَنَّهُ طَلَبٌ يَسُوءُكَ وِجْدَانُهُ وَزَوْرٌ لاَ يَسُرُّكَ لُقْيَانُهُ وَالسَّلاَمُ لِأَهْلِهِ...**

أي لا يشق عليهم طلبك في بَرٍ ولابحرٍ ولا جَبَل ولا سَهلٍ بل يطلبونّك أينما كُنت إلّا أنّه طلبٌ يسؤوك ويشّق عليك وجدانه وزَورٌ أي أنّهم الزّائرون الّذين لا يسّرك لقيانه وذلك لأنّ اللّقاء يكون بالسّيف والسّنان وأفراد الضّمير في لقيانه بإعتبار اللّفظ أي لفظ (زَور) والسّلام لأهله من المَسلمين المؤمنين اللّائقين به لا المُنافقين المُلحدين:

ومن كتاب له عليه السلام (١٠)
اليه أيضاً

▫ قوله عليه السلام: وَكَيْفَ اَنْتَ صَانِعٌ اِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلاَبِيبُ مَا اَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا دَعَتْكَ فَاَجَبْتَهَا وَقَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا وَاَمَرَتْكَ فَاَطَعْتَهَا وَاِنَّهُ يُوشِكُ اَنْ يَقِفَكَ وَاقِفٌ عَلَىٰ مَا لاَ يُنْجِيكَ مِنْهُ مِجَنٌّ فَاقْعَسْ عَنْ هٰذَا الْأَمْرِ وَخُذْ اُهْبَةَ الْحِسَابِ وَشَمِّرْ لِمَا نَزَلَ بِكَ وَلاَ تُمَكِّنِ الْغُوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ وَاِلَّا تَفْعَلْ اُعْلِمْكَ مَا اَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ فَاِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ اَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَاْخَذَهُ وَبَلَغَ فِيكَ اَمَلَهُ وَجَرَىٰ مِنْكَ مَجْرَىٰ الرُّوحِ وَالدَّمِ.

وَمَتَىٰ كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ وَوُلاَةَ اَمْرِ الْأُمَّةِ بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ وَلاَ شَرَفٍ بَاسِقٍ وَنَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ وَاُحَذِّرُكَ اَنْ تَكُونَ مُتَمَادِياً فِي غِرَّةِ الْأُمْنِيَّةِ مُخْتَلِفَ الْعَلاَنِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ.

وَقَدْ دَعَوْتَ اِلَىٰ الْحَرْبِ فَدَعِ النَّاسَ جَانِباً وَاخْرُجْ اِلَيَّ وَاَعْفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ لِتَعْلَمَ اَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَىٰ قَلْبِهِ وَالْمُغَطَّىٰ عَلَىٰ بَصَرِهِ فَاَنَا اَبُو حَسَنٍ قَاتِلُ جَدِّكَ وَاَخِيكَ وَخَالِكَ شَدْخاً يَوْمَ بَدْرٍ وَذٰلِكَ السَّيْفُ مَعِي وَبِذٰلِكَ الْقَلْبِ اَلْقَىٰ عَدُوِّي مَا اسْتَبْدَلْتُ دِيناً وَلاَ اسْتَحْدَثْتُ نَبِيّاً وَاِنِّي لَعَلَىٰ الْمِنْهَاجِ الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ.

وَزَعَمْتَ اِنَّكَ جِئْتَ ثَائِراً بِدَمِ عُثْمَانَ وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ اِنْ كُنْتَ طَالِباً فَكَاَنِّي قَدْ رَاَيْتُكَ تَضِجُّ مِنَ الْحَرْبِ اِذَا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ

▫ **قوله عليه السلام: وَلَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيِّكَ وَشِقَاقِكَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ...**

ثمّ أقسم عليه السلام بنفسه الشّريفة وقال لأن لم تَنزع عن غيّك وضلالك وشقاقك لتعرفنّهم أي لتعرفنّ قتلة عثمان عن قليل يطلبونّك وهو كناية عن وقوع الحرب والمقصود أنّك لا تحتاج الى طَلبهم بل أنّهم يطلبونّك في صّفين عن قليل:

▫ **قوله عليه السلام: لاَ يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ وَلاَ بَحْرٍ وَلاَ جَبَلٍ وَلاَ سَهْلٍ اِلَّا اَنَّهُ طَلَبٌ يَسُوءُكَ وِجْدَانُهُ وَزَوْرٌ لاَ يَسُرُّكَ لُقْيَانُهُ وَالسَّلاَمُ لِأَهْلِهِ...**

أي لا يشق عليهم طلبك في بّرٍ ولابَحرٍ ولا جَبَل ولا سَهلٍ بل يطلبونّك أينما كُنت إلّا أنّه طلبٌ يسؤوك ويشّق عليك وجدانه وزَورٌ أي أنّهم الزّائرون الّذين لا يسّرك لقيانه وذلك لأنّ اللّقاء يكون بالسّيف والسّنان وأفراد الضّمير في لقيانه بإعتبار اللّفظ أي لفظ (زَور) والسّلام لأهله من المُسلمين المؤمنين اللّائقين به لا المُنافقين المُلحدين:

ومن كتاب له عليه السلام (١٠)
اليه أيضاً

□ قوله عليه السلام: وَكَيْفَ اَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلاَبِيبُ مَا اَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا دَعَتْكَ فَاَجَبْتَهَا وَقَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا وَاَمَرَتْكَ فَاَطَعْتَهَا وَاِنَّهُ يُوشِكُ اَنْ يَقِفَكَ وَاقِفٌ عَلَىٰ مَا لاَ يُنْجِيكَ مِنْهُ مِجَنٌّ فَاقْعَسْ عَنْ هٰذَا الْأَمْرِ وَخُذْ اُهْبَةَ الْحِسَابِ وَشَمِّرْ لِمَا نَزَلَ بِكَ وَلاَ تُمَكِّنِ الْغُوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ وَاِلَّا تَفْعَلْ اُعْلِمْكَ مَا اَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ فَاِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ اَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَاْخَذَهُ وَبَلَغَ فِيكَ اَمَلَهُ وَجَرَىٰ مِنْكَ مَجْرَىٰ الرُّوحِ وَالدَّمِ.

وَمَتَىٰ كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ وَوُلاَةَ اَمْرِ الْأُمَّةِ بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ وَلاَ شَرَفٍ بَاسِقٍ وَنَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ وَاُحَذِّرُكَ اَنْ تَكُونَ مُتَمَادِياً فِي غِرَّةِ الْأُمْنِيَّةِ مُخْتَلِفَ الْعَلاَنِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ.

وَقَدْ دَعَوْتَ اِلَىٰ الْحَرْبِ فَدَعَ النَّاسَ جَانِباً وَاخْرُجْ اِلَيَّ وَاَعْفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ لِتَعْلَمَ اَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَىٰ قَلْبِهِ وَالْمُغَطَّىٰ عَلَىٰ بَصَرِهِ فَاَنَا اَبُو حَسَنٍ قَاتِلُ جَدِّكَ وَاَخِيكَ وَخَالِكَ شَدْخاً يَوْمَ بَدْرٍ وَذٰلِكَ السَّيْفُ مَعِي وَبِذٰلِكَ الْقَلْبِ اَلْقَىٰ عَدُوِّي مَا اسْتَبْدَلْتُ دِيناً وَلاَ اسْتَحْدَثْتُ نَبِيّاً وَاِنِّي لَعَلَى الْمِنْهَاجِ الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ.

وَزَعَمْتَ اِنَّكَ جِئْتَ ثَائِراً بِدَمِ عُثْمانَ وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمانَ فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ اِنْ كُنْتُ طَالِباً فَكَاَنِّي قَدْ رَاَيْتُكَ تَضِجُّ مِنَ الْحَرْبِ اِذَا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ

الْجِمَالِ بِالْأَثْقَالِ وَكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ وَالْقَضَاءِ الْوَاقِعِ وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ اِلَى كِتَابِ اللّٰهِ وَهِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ اَوْ مُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ...

◁ اللّغة

(جَلاَبِيبُ) جمع جلباب وهو الثّوب فوق الثياب (تَبَهَّجَتْ) تحسّنت (قَادَتْكَ) أي ساقتك (يُوشِكُ) يقرب (مَجَنّ) بكسر الميم وفتح الجيم التّرس ويقال له بالفارسية سپر (فَاقْعَسْ) أمر من قَعَس يقعس إذا تأخّر وأبطأ والمعنىٰ تأخّر عن هذا الأمر (اُهْبَةَ) بضّم الألف العُدّة (الْغُوَاةَ) بضّم الغين جمع غاوي وهو الهالك الضّال (مُتْرَفٌ) بضّم الميم من أطغته النّعمة (سَاسَةَ) جمع سائس (بَاسِقٍ) العالي الرّفيع (الْأُمْنِيَّةِ) بضّم الألف ما يتّمناه الإنسان ويؤمل إدراكه (الْمَرِينُ) بفتح الميم وكسر الرّاء إسم مفعول من ران والمراد به اليَقظة والبَصيرة (شدخاً) أي كسراً (ثائراً) أي طالباً بدمّه (تَضِجُّ) أي تَمَل (حَائِدَةٌ) الحائدة العادلة عن البيعة بعد الدّخول فيها:

◁ المعنىٰ

(وَكَيْفَ اَنْتَ صَانِعٌ إذَا تَكَشَّفَتْ) وزالت (عَنْكَ جَلاَبِيبُ) وأثواب (مَا اَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ) وتحسّنت (بِزِينَتِهَا وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا) لتخدع الجهال (دَعَتْكَ) الدّنيا (فَاَجَبْتَهَا وَقَادَتْكَ) وساقتك (فَاتَّبَعْتَهَا) إتّباع الجمل لقائده وسائقه (وَاَمَرَتْكَ) الدّنيا (فَاَطَعْتَهَا) ولم تُخالفها (وَاِنَّهُ يُوشِكُ) ويقرب (اَنْ يَقِفَكَ وَاقِفٌ) وهو الموت (عَلَىٰ مَا لاَ يُنْجِيكَ مِنْهُ مِجَنٌّ) إذ لا يمكن الفرار منه (فَاقْعَسْ) وتأخّر (عَنْ هٰذَا الْأَمْرِ) وهو الخلافة (وَخُذْ اُهْبَةَ الْحِسَابِ) وعُدتّه (وَشَمِّرْ) واجتهد (لِمَا نَزَلَ بِكَ وَلاَ تُمَكِّنِ) من نفسك (الْغُوَاةَ) وقرناء السّوء (مِنْ سَمْعِكَ) باستماع كلامهم (وَاِلَّا تَفْعَلْ) ما ذكرت لك (اُعْلِمْكَ) وأُنبئك، (مَا اَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ فَاِنَّكَ مُتْرَفٌ) قد أطغتك النّعمة (قَدْ اَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ

مَأْخَذَهُ وَبَلَغَ فِيكَ اَمَلَهُ وَجَرَىٰ مِنْكَ مَجْرَىٰ الرُّوحِ وَالدَّمِ) فأنت مُطيعه وأسيره:

(وَمَتَىٰ كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ وَوُلاَةَ اَمْرِ الْأُمَّةِ بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ) في الدّين (وَلاَ شَرَفٍ بَاسِقٍ) رفيع في الجامعة (وَنَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ) والضّلال الّتي موجودة فيك (وَأُحَذِّرُكَ اَنْ تَكُونَ مُتَمادِياً فِي غِرَّةِ الْأُمْنِيَّةِ) فتكون مغروراً بها (مُخْتَلِفَ الْعَلاَنِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ) فتكون من المُنافقين (وَقَدْ دَعَوْتَ اِلَىٰ الْحَرْبِ فَدَعَ النَّاسَ جَانِباً) أي أترك النّاس (وَاخْرُجْ اِلَيَّ) للقتال (وَاَعْفُ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ) أي أهل الشّام وأهل الكوفة، (لِتَعْلَمَ اَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَىٰ قَلْبِهِ وَالْمُغَطَّىٰ عَلَىٰ بَصَرِهِ) أي ليعلم أيّنا الغالب على نفسه بصيرٌ في دينه:

(فَاَنَا اَبُو حَسَنٍ قَاتِلُ جَدِّكَ) عتبة ابن أبي ربيعة كان جدّه لأُمّه (وَخَالِكَ) الوليد بن عُتبة (وَأَخِيكَ) حنظلة بن أبي سفيان (شَدخاً) أي كسراً (يَوْمَ بَدْرٍ وَذٰلِكَ السَّيْفُ مَعِي وَبِذٰلِكَ الْقَلْبِ) الّذي عرفت حاله (اَلْقَىٰ عَدُوِّي) أنت أو غيرك (مَا اسْتَبْدَلْتُ دِيناً وَلاَ اسْتَحْدَثْتُ نَبِيّاً وَاِنِّي لَعَلَى الْمِنْهَاجِ الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ) وهو الدّين (وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ) فأنّ معاوية وأبا سفيان لم يدخلا فيه إلّا كُرهاً (وَزَعَمْتَ اَنَّكَ جِئْتَ ثَائِراً بِدَمِ عُثْمانَ) وطالباً بدمه (وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمانَ فَاطْلُبْهُ) أي فأطلب دمه (مِنْ هُنَاكَ اِنْ كُنْتَ طَالِباً).

حقّاً لا مكراً وخدعةً (فَكَاَنِّي قَدْ رَاَيْتُكَ تَضِجُّ) وتصوت (مِنَ الْحَرْبِ اِذَا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ الْجِمَالِ بِالْأَثْقَالِ) أي إذا اشتدّ القتال وكثر القتلى (وَكَاَنِّي بِجَمَاعَتِكَ) أي مع جماعتك (تَدْعُونِي جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ) الواقع على أهل الشّام من أولياء اللّه (وَالْقَضَاءِ الْوَاقِعِ وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ) أي مقتل بعد مقتل (اِلَىٰ كِتَابِ اللّٰهِ) أي تدعوني اليه (وَهِيَ) أي الجماعة (كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ) أي كافرة باللّه وبرسوله ومنكرة للحقّ (اَوْ مُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ) العادلة عن الحقّ:

◁ الشَرح

▫ قوله ﷺ: وَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلاَبِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ...

أي وما تصنع يا معاوية إذ انكشفت وزالت عنك جلابيب ما أنت فيه والجلابيب جمع جلباب وهو الثّوب الّذي يلبس فوق الثّياب كالملحفة والمقصود منه في المقام هو جلباب الخلافة والرّئاسة والكبر وأمثال ذلك فأنّ معاوية كان قد لَبَسها وغرضه ﷺ من هذا الكلام هو الإشعار بأنّ هذه العناوين الّتي لبستها كاللّباس وإتّصفت نفسك بها فهي لا تبقىٰ لك دائماً بل تزيل عنك قريباً بالموت:

▫ قوله ﷺ: مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا...

كلمة من نشأية أو بيانية فعلىٰ الأوّل المعنىٰ ما تصنع إذ انكشفت عنك الجلابيب الّتي نشأت من الدّنيا وحبّها والعلاقة بها وعلىٰ الثّاني أنّ الجلابيب عبارة عن الدّنيا الّتي قد تبهجت وتحسّنت بزينتها وخدعت النّاس بلذّتها ويمكن أن تكون التّاء في قوله ﷺ تبهّجت وخدعت للخطاب أي أنّك تبهجّت بها وخدعت بلذّتها والشّراح كلّهم علىٰ الأوّل مع أنّ الثّاني أَوفَق بسياق العبارة والمآل واحد وهو أنّ الدّنيا وما فيها من اللذّات والنّعم والمقام وغيرها لا تبقىٰ دائماً بل هي في معرض الفناء والدّثور فلا يعتمد عليها إلّا الجاهل الأحمق:

▫ قوله ﷺ: دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا وَقَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا وَأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا...

أي دعتك الدّنيا الىٰ نفسها فأجبتها وقادتك أي ساقتك سوق الإبل فاتّبعتها وأمرتك بما شاءت فأطعتها والحاصل أنّك عبد خالص للدّنيا لا لِللّه تعالىٰ:

▫ قوله ﷺ: وَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقِفَكَ وَاقِفٌ عَلَىٰ مَا لاَ يُنْجِيكَ مِنْهُ مِجَنٌّ...

والواقف هو اللّه تعالىٰ أو ملك الموت نفسه والكلّ واحد والمعنىٰ لا تغتّر بما أنت فيه فأنّه يقرب أن يقفك واقف علىٰ ما لا يمكن لك ولا لغيرك منه النّجاة وهو المَوت:

□ قوله ﷺ: فَاقْعَسْ عَنْ هٰذَا الْأَمْرِ وَخُذْ أُهْبَةَ الْحِسَابِ وَشَمِّرْ لِمَا نَزَلَ بِكَ...

أي فتأخر عن هذا الأمر وهو الخلافة ولا تدّعها وخُذ أُهبة الحساب وعُدّته وَشمّر واجتهد أو إستّعد لما نَزَل بك من الحَرب أو المَوت ولا تكن في غفلة منه:

□ قوله ﷺ: وَلاَ تُمَكِّنِ الْغُوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ وَإِلَّا تَفْعَلْ أُعْلِمْكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ...

أي لا تُمكّن قرنائك السّوء مثل إبن العاص والمروان وأمثالهما من سَمعك ليقولوا لك الأباطيل من أنّك ولّي دم عثمان مثلاً أو أنّك تستّحق الخلافة وأمثال هذه الأراجيف وإلّا تفعل ما ذكرت لك ونصحتك به أعلمك ما أغفلتَ من نفسك بعد وقوع الحَرب:

□ قوله ﷺ: فَأَنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَأْخَذَهُ وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ وَجَرَىٰ مِنْكَ مَجْرَىٰ الرُّوحِ وَالدَّمِ...

ثمّ علّل ﷺ ما ذكره بقوله هذا فقال له أنّك مُترف أطغَتك النّعمة وكَفرت بها ولذلك قد أخذَ الشّيطان منك مأخذه حيث وَجدك أهلاً له وبَلغ منك أَمَله أي بَلغ الشّيطان الىٰ أَمَله فيك إذ لم يجد أطوع منك وجرىٰ منك مجرىٰ الرّوح والدّم وهو كناية عن كون الشّيطان مسّلطاً عليه فلا يوجد عضو من أعضائه إلّا وهو جرىٰ فيه وإستعمله وعليه فمعاوية كان شيطاناً مُجسّماً أو أنّ الشّيطان كان سَبباً لحياته كالرّوح والدّم بالنّسبة الىٰ البَدن:

□ قوله ﷺ: وَمَتَىٰ كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ وَوُلاَةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ وَلاَ شَرَفٍ بَاسِقٍ...

أي أنّ الوالي علىٰ الأُمّة لابدّ له من حُسن السّابقة في الإسلام وشرف البيت وأمّا من لا يكون له سابقة حَسَنة ولا بيته بيت شرفٍ وعزٍّ فكيف يصلح لِلإمامة ومعاوية كان كذلك أمّا من حيث السّابقة فمعلوم فأنّه كان من بدو طلوع الإسلام مخالفاً له محارباً أيّاه وهكذا كان أبوه وأخوه وأسلموا بعد فتح مكة

كُرهاً في ظاهر الأمر وأبطنوا الكفر في باطنهم وأمّا من جهة البيت فهو أظهر من الشّمس فأنّ أباه كان زانياً فاجراً وأُمّه هند فضاحتها أظهر من الشّمس وأبين من الأمس والعجب أنّه مع هذه السّابقة في الإسلام والشّرف في البيت إدّعىٰ الخلافة والإمامة وأعجب منه وصوله الىٰ ما قَصد وأراد وبلوغه الىٰ مقام هو أدّل دليلٍ علىٰ دناءة الدّنيا وخسّتِها:

أن قلت ـ لِمَ لم يقل أمير المؤمنين ﷺ ومتي كنت بصيغة المفرد وقال ومتىٰ كنتم بصيغة الجمع مع أنّ معاوية هو المخاطب بهذا الكلام وهو واحد:

قلتُ ـ لعل المقصود والله أعلم أنّ عدم اللّياقة لم يكن مختّصاً بمعاوية فقط بل غيره مِمّن إدّعىٰ الخلافة ووصل اليها من البَدو الىٰ الختم كانوا كذلك فأنّ هذين الشَّرطين الّذين ذكرهما في كلامه لم يكونا موجودين في أحدٍ من الخُلفاء إلّا في علّي ﷺ فقوله ﷺ: **وَمَتىٰ كُنْتُمْ** بصيغة الجمع يشمل معاوية ومن قبله من الخُلفاء ثمَّ عَدل عن الجمع الىٰ المفرد وخصّه بالذّكر ويُعبّر عن هذا في البلاغة بالإلتفات:

□ **قوله ﷺ: وَنَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ وَأُحَذِّرُكَ اَنْ تَكُونَ مُتَمادِياً فِى غِرَّةِ الْأُمْنِيَّةِ مُخْتَلِفَ الْعَلاَنِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ...**

أي نعوذ بالله تعالىٰ من لزوم سوابق السُّوء والشّقاء وإدّعاء الإمامة فأنّه كفرٌ محض وإلحادٌ بَحت وإلّا فمن كانت له ذرّة إيمانٍ لا يدّعيها مع سوء سابقته وكُفر باطنه وأُحَذّرك من عذاب الله وسخطه أن تكون مُتمادياً في غِرّة الأُمنّية بأن تغتّر بما تتّمناه وتأمل إدراكه وأن تكون مختلف العلانية والسّريرة وتكون بذلك من المنافقين فأنّ سوء السّابقة والإغترار بالآمال والأماني والنّفاق إذا إجتمعت في شخصٍ فهو ملعون أزلاً وأبداً وحيث إنّجر الكلام الىٰ سوابق معاوية فلا بأس بالإشارة الىٰ بعض حالاته توضيحاً للمرام:

أمّا نَسَبه: فهو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أُمّية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي وُلد قبل البعثة بخمس سنين وقيل بسبع وقيل بثلاث

عشرة أسلم هو وأبوه ظاهراً يوم فتح مكّة وأمّا واقعاً فلم يُؤمن باللّه وبرسوله طرفة عينٍ أبداً كان رأس المُنافقين في الإسلام بعد أبيه:

وأُمّه هند بنت عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف مات أبو سفيان حتف أنفه وقُتل عُتبة يوم بدر بسيف أسد اللّه الغالب علّي بن أبي طالب قال الشّارح المُعتزلي وأبو سفيان هو الّذي قاد قُرَيشاً في حروبها الىٰ النّبي وكانت هند تذكر في مكّة بفجور وعهر انتهىٰ:

وقال الزّمخشري في ربيع الأبرار كان معاوية يُعزىٰ الىٰ أربعة، مسافر بن أبي عُمر وعمارة بن الوليد بن المُغيرة والعبّاس بن عبد المُطّلب والصّباح بن مَعَن كان لعمارة بن الوليد قال وكان أبو سفيان دميماً قصيراً وكان الصّباح عسيفاً لأبي سفيان شاباً وسيماً فدعته هند الىٰ نفسها فغشيها وقالت أنّ عتبة بن أبي سفيان من الصّباح أيضاً وقالوا أنّها كرهت أن تضعه في منزلها فخرجت الىٰ أجياد فوضعته هناك وفي هذا المعنىٰ يقول حسان أيّام المهاجرة بين المسلمين والمشركين في حياة رسول اللّه ﷺ قبل عام الفتح شعراً:

لِمن الصّبي بجانب البَطحاءِ في التّرب مُلقىٰ غير ذي مهد

بَخِلت به بيضاء آنسة من عبد شمس صلته الخدُّ

قال المعتزلي ومعاوية مطعون في دينه عند شيوخنا يُرمىٰ بالزّندقة وقد ذكرنا في نقض الضّيافة علىٰ شيخنا أبي عثمان الجاحظ ما رواه أصحابنا في كتبهم الكلاّمية عنه من الإلحاد والتّعرض لرسول اللّه وقال في موضع آخر معاوية عند أصحابنا مطعون في دينه منسوب الىٰ الإلحاد انتهىٰ.

أقول روي أحمد بن طاهر في كتاب أخبار الملوك أنّ معاوية سمع المُؤذّن يقول أشهد أن لا إله إلّا اللّه وأشهد أنّ محمّداً رسول اللّه فقال لِلّه أبوك يا بن عبد اللّه لقد كُنتَ عالي الهِمّة ما رضيت لنفسك إلّا أن تقرن إسمَك بأسم ربّ العالمين:

ورُوي نصر بن مزاحم بأسناده عن ابن مسعود قال قال رسول اللّه ﷺ: إذا

رأيتم معاوية بن أبي سفيان على منبري فأضربوا عُنقه، قال فواللّه ما فعلوا ولا أفلحُوا:

وعن كتاب صفين لنصر بن مزاحم بأسناده عن عبد اللّه بن أبي عمرو قال لمّا نظر علّي الىٰ رايّات أهل الشّام قال والّذي فلق الحبّة وبرئ النّسمة ما أسلموا ولكن إستسلموا وأسرّوا الكفر فلمّا وجدوا أعواناً رجعوا الىٰ عداوتهم منّا ألا أنهّم لم يدعوا الصّلوة:

وعن عبد اللّه بن عمر أنّ معاوية في تابوت في الدّرك الأسفل من النّار ولولا كلمة فرعون أنا ربّكم الأعلىٰ ماكان أحد أسفل من معاوية:

وعن جابر بن عبد اللّه قال قال رسول اللّه ﷺ يموت معاوية علىٰ غير ملّتي، وفي حديث إبن عمر يموت معاوية علىٰ غير الإسلام، والأخبار في الباب كثيرة

وفضاحة الرّجل أكثر من أن تُذكر وقد صحّ من طريق العامّة والخاصّة أنّ رسول اللّه قال اللّهم إلعن القائد والسّائق والرّاكب وكان أبو سفيان راكباً ومعاوية وأخوه قائداً وسائقاً ولأجل هذا قال أمير المؤمنين عليه‌السلام نعوذ باللّه من لزوم سوابق الشّقاء وأمّا جناياته بعد وصوله الىٰ مقام السّلطنة والحكومة فمعلومة:

◻ قوله عليه‌السلام: **وَقَدْ دَعَوْتَ اِلَىٰ الْحَرْبِ فَدَعَ النَّاسَ جَانِباً وَاخْرُجُ اِلَيَّ وَاَعْفُ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ...**

أي أنّك دَعَوتني الىٰ الحَرب فَدَع النّاس وأتركهم وأخرُج إلّي وَحَدة وأعف الفريقين أي أصحابي وأصحابك عن القتال أن كنت صادقاً في قولك:

◻ قوله عليه‌السلام: **لِتَعْلَمَ اَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَىٰ قَلْبِهِ وَالْمُغَطّىٰ عَلَىٰ بَصَرِهِ...**

المرين إسم مفعول من ران ذنبه علىٰ قلبه غلب عليه فغطّىٰ بصيرته وهو مأخوذ من قوله تعالىٰ: **﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**(1)

١- المطفّفين - ١۴

وقيل الرّين الذّنب على القريب وقال المُعتزلي المرين على قلبه المغلوب عليه والحاصل أُخرج إلّي حتّى تعلم أيّنا المغلوب عليه مطبوع القلب مُغطّي البصر والظّاهر أنّ المغطّي بفتح الطّاء بصيغة إسم المفعول والمراد بالبصر البصيرة القلبيّة وقد روي الشّارح المُعتزلي أنّ معاوية كتب الى أمير المؤمنين كتاباً فيه أمّا بعد فأنّك المطبوع على قلبك المغطّي على بصرك الشّر من شمتك الى آخره فأجابه عليه السلام بما أجابه:

□ **قوله عليه السلام: فَاَنَا اَبُو حَسَنٍ قَاتِلُ جَدِّكَ وَاَخِيكَ وَخَالِكَ شَدْخاً يَوْمَ بَدْرٍ وَذٰلِكَ السَّيْفُ مَعِي وَبِذٰلِكَ الْقَلْبِ اَلْقَىٰ عَدُوِّى...**

أي تخوفني من الحَرب وتعلم أنّي قاتل جدّك عتبة بن أبي ربيعة وخالك الوليد بن عتبة وأخيك حنظلة بن أبي سفيان شدخاً أي كسراً قالوا هو الكسر في الرّطب وقيل في اليابس، يوم بَدر وذلك السّيف الّذي قتلتهم به مَعي وبذلك القلب الّذي لقيتهم يوم بَدر أَلقي عدّوي:

وملخّص الكلام في غزوة بدر هو أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله سَمَع بأبي سفيان بن حرب في أربعين راكباً من قريش تجّاراً غافلين من الشّام فخرج رسول اللّه صلى الله عليه وآله في ثلاث مِائة راكب ونيّف وأكثر أصحابه مشاة ومعهم ثمانون بعيراً وفرس يُقال أنّه للمقداد يعتقب النّظر على البعير الواحد وكان بين رسول اللّه وبين مرثد بن أبي مرثد الغنوي بعير وذلك في شهر رمضان فلمّا خرج صلى الله عليه وآله من المدينة وبلغ أبا سفيان الخبر أخذ بالبعير على السّاحل الى مكّة يستصرخ بهم فخرج منهم نحو ألف رجل من سائر بطون قُريش ومعهم مائتا فرس يقودونها وخرجوا معهم بالقيان يضربن بالدّفوف ويتغنينّ بهجاء المسلمين ورجع الأخنس بن شريق الثّقفي ببني زهرة من الطّريق وكان حليفاً لهم فبقىٰ منهم نحو من تسع مِائة وتسعين رجلاً وفيهم العبّاس وعقيل ونوفل بن الحارث بن عبد المطّلب وخرجوا مُكرهين وكانت أشرافهم المطعمون فيهم العبّاس بن عبد المطلب وعُتبة بن ربيعة وطعيمة بن عدّي وأبو البَختري بن هشام وأُمَيّة

بن خلف وحكيم بن حزام والنّضر بن الحارث بن كلدة وأبو جهل بن هشام وسهيل بن عمرو:

فلمّا بلغ النّبي ﷺ الى بدر وهي بئر منسوبة الىٰ رجلٍ من غفار يقال له بَدر، وقد علم رسول اللّه ﷺ بفوات العير ومجيء قريش شاور أصحابه في لقائهم أو الرّجوع فقالوا الأمر اليك وألقىٰ بنا القوم فلقيهم علىٰ بَدر بسبع عشرة من رمضان وكان لواء رسول اللّه يومئذٍ أبيض مع مصعب بن عمير ورايته مع علّي وأمدّهم اللّه بخمسة آلاف من الملائكة وكثّر اللّه المُسلمين في أعين الكفّار وقلّل المشركين في أعين المؤمنين كيلا يفشلوا وأخذ رسول اللّه ﷺ كفّاً من تراب ورماه اليهم وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم أحَد إلّا إشتّغل لفرك عينيه وقتل اللّه من المشركين نحو سبعين رجلاً وأُسر نحو سبعين رجلاً منهم العبّاس وعقيل ونوفل بن الحارث فأسلموا وعقبة بن أبي معيط والنّضر بن الحارث قتلهما رسول اللّه بالصّفراء:

فلمّا أصبح النّاس يوم بَدر إصطفت قُريش أمامها عتبة إبن ربيعة وأخوه شيبة وإبنه الوليد فنادىٰ عُتبة رسول اللّه ﷺ وقال يا محمّد أخرج الينا أكفاؤنا من قريش فبدر اليهم ثلاثة من شبّان الأنصار فقال لهم عُتبة من أنتم فأنتسبوا له فقال لهم لا حاجة بنا الىٰ مبارزتكم أنّما طلبنا بني عمّنا فقال رسول اللّه للأنصار أرجعوا الىٰ موافقكم ثمّ قال ﷺ قُم يا علّي قم يا حمزة قم يا عُبيدة قاتلوا علىٰ حقّكم الّذي بعث اللّه به نبّيكم إذ جاؤوا بباطلهم ليطفئوا نور اللّه فقاموا مُصافوا القوم وكان عليهم البيض ولم يعرفوا فقال لهم عتبة تكّلموا فأن كنتم أكفاؤنا قاتلناكم فقال حمزة أنا حمزة بن عبد المطّلب أسد اللّه وأسد رسوله فقال عُتبة كفو كريم وقال أمير المؤمنين أنا علّي بن أبى طالب وقال عُبيدة أنا عُبيدة بن الحارث بن عبد المطّلب فقال عُتبة لإبنه الوليد قُم ياوليد فبرز اليه أمير المؤمنين وكانا إذ ذاك أصغر الجماعة سنّاً فإختلفا ضربتين أخطأت ضربة الوليد أمير المؤمنين وإتّقىٰ بيده اليسرىٰ ضربة أمير المؤمنين

فأبانتها ثمّ ضربه ضربةً أخرىٰ فَصرعه وَسَلبه وقيل أنّ عليّاً ضَربه ضرَبة قطعت يده بها فأخذ الوليد يده المقطوعة وفرّ الىٰ أبيه ولكن أمير المؤمنين لم يمهله وضَربه ضربَة أُخرىٰ علىٰ رجله فماتَ في الحال فقال ﷺ مخاطباً لهم:

قد عرف الحرب العوان أنّي | مَعي سلاحي ومَعي مِجَنّي
بأزل عامين حديث سِنِّ | وصارم يذهب كلّ ضَغنٍ
نفحح اللّيل كأنّي جنّي | أقصي به كلّ عدوٍ عنّي
أستقبل الحَرب بكلّ فَنِّ | لمثل هذا ولدتني أمّي

وفيه قال عبد اللّه بن رواحة:

لَيهن عليّاً يوم بدرٍ حضوره | ومشهده بالخير ضرباً مُرعبلا
وكان له من مشهدٍ غير حاملٍ | يظلّ له رأس الكّمي مجّدلاً
وغادر كبش القوم في القاع ثاوياً | تخال عليه الزّعفران المعلّلا
صريعاً ينوء القشعمان برأسه | وتدنو اليه الضّبع طولاً لتأكلا

وقال علّي ﷺ مخاطباً له بعد قتله:

تبّاً و تعساً لك يا بن عُتبة | أُسقيك من كأس المنايا شربة
ولا أُبالي بعد ذاك غَبّة

وقال بعض الشّعراء من بني عامر:

كذبتم وبيت اللّه لا تقتلوننا
ولكن بسيف الهاشّميين فافخروا
بسيف بن عبد اللّه أحمد في الوَغا
بكفّ علّيٍ نِلتم ذاك فأقصروا
ولم تقتلوا عمرو بن ودٍّ ولا إبنه
ولكنّه الكفو الكريم الغضنفر

عــلّي الّــذي فــي الفــخر طــال ثــناؤه

فــلا تكــثروا الدّعــوىٰ عــليه فتفخروا

بــــبدرٍ خــــرجــــتم للــبراز فــرَدَّكــم

شــيوخ قُــريش جــهرةً فــتأخروا

فــــلمّا أتــــاهم حــــمزةُ وعــــبيدةُ

وجــــــاء عــــلّيٌ بــــالمُهنّد اقــــبلوا

فــقالوا نــعم أكــفاء صــدقٍ فأقــبلوا

اليــــهم ســــراعــــاً إذ بَــغوا وتَــجّبروا

فــــجال عــــلّيٌ جَــولةٌ هــــاشّميةٌ

فــــدّمرَهم لمّــــا عَــــتوا وتكــــبّروا

فــليسَ لكــــم فــــخر عــلينا بــغيرنا

وليس لكــــم فــــخرٌ يُــــعدّ ويُــــذكر

وأمّا حمزة فقيل أنّه بارز شيبة وقتله وقيل بارز عتبة وكان بشيبة عبيدة وكيف كان فالحقّ علىٰ ما حققناه في الباب أنّ حمزة قاتل شيبة وعُبيدة قاتل عُتبة وأنّ حمزة لم يقتل شيبة ولا عُبيدة عتبة بل قتلهما أمير المؤمنين بعد فراغه عن قتل الوليد أمّا عتبة فموضع وفاقٍ وذلك لأنّه ضرب ضربة قطع بها رجْلي عبيدة بن الحارث بعد أن ضَرَب عُبيدة ضربة علىٰ رأسه فلمّا قُطع رجله أُلقي علىٰ الأرض ولم يقدر علىٰ الحركة فقال:

فأنّ قــــطعوا رِجــــلي فأنّــــي مســــلمٌ

وأرجــــو بــــه عــيشاً مــن اللّــه عــالياً

فألبسَــــني الرَّحــــمٰن مــن فــضل مَــنّه

لبــاساً مــن الإســلام غــطّىٰ المســاويا

والحاصل أنّ عليّاً عليه السلام لمّا فرغ عن قتل الوليد جاء الىٰ عمّه حمزة وقتل شَيبَة ثمّ بعد ذلك قتل عُتبة فهو عليه السلام كان قاتلاً للوليد وشيبة وعُتبة وكان الوليد خال

معاوية وعُتبة جدّه وذلك لأنّ هند أمّ معاوية كانت بنت عُتبة وأُخت الوليد والدّليل علىٰ ماذكرناه قوله ﷺ فأنا أبو حسن قاتل جدّك وخالك فلو كان قاتل جدّ معاوية أعني عُتبة غير علّي لما قال ﷺ ذلك وأمّا قوله ﷺ: **وأخيك** فالمراد به حنظلة بن أبي سفيان لعنه اللّه وقد قتله أمير المؤمنين ﷺ يوم بَدر بعد قَتله الوليد وعُتبة وشيبة وقد روي جابر عنه ﷺ قال لقد تَعجّبت يوم بدر من جرأة القَوم وقد قَتلت الوليد إذ أقبل إلّي حنظلة بن أبي سفيان فلمّا دنىٰ منّي ضربته بالسّيف فسالت عيناه ولزم الأرض قتيلاً وقُتل من معه وهم زمعة بن الأسود والحارث بن زمعة وعمير بن عثمان بن كعب بن تيم عمّ طلحة وعثمان ومالكاً أَخوي طلحة وهم في ستّة وثلاثون رجلاً وقد قتل ﷺ أيضاً طعمة بن عدّي بن نوفل والعاص بن سعيد ونوفل بن خويلد وغيرهم وقد نُسب اليه هذه الأشعار:

يُهدّدني بالعظيم الوليد ... فقُلتُ أنا بن أبي طالبٍ
أنا بن المُبجّل بالأبطَحين ... وبالبيت من سَلفي غالبٍ
فلا تحسُبّني أخاف الوليد ... ولا أنّني منه بالهائِب
فيا بن المُغيرة أنّي إمرؤٌ ... سمُوح الأنامل بالقاضب
طويل اللّسان علىٰ الشّامتين ... قصير اللّسان علىٰ الصّاحب
خسرتم بتكذيبكم للرّسول ... يُعيبون ما ليس بالعائب
وكذّبتموه بوحي السّماء ... ألا لَعنة اللّه علىٰ الكاذب

وقال ﷺ أيضاً:

أَتَحسب أولاد الجهالة أنّنا
علىٰ الخيل لسنا مثلهم في الفوارس
فسائل بني بدرٍ إذا مالَقيتهم
بقتلىٰ ذوي الأقران يوم التّمارس

وإنّـــا أُنـــاسٌ لا نـرىٰ الحَـرب سُـبّةً
ولا نـــنثَني عـــند الرّمـاح المـداعس
وهـــذا رســـول اللّـــه كـالبَدر بـيننا
بـــه كشــف اللّــه العِـدىٰ بـالتّناكس
فـــما قـــيل فـينا بـعدها مـن مـقالةٍ
فـــما غـادرت مـنّا حـديد المـلابِس

فلمّا نَظر رسول اللّه ﷺ الىٰ كثرة العدّو وقلّة المُسلمين رَفَع يَديه الىٰ السّماء وقال: اللّهم أنجز ماوَعدتني اللّهم أنجز ماوعدتني أن تَهلك هذه العصابة من الإسلام لا تُعبد في الأرض أبداً كما قال تعالىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ اَنّي مُمِدُّكُمْ بِاَلْفٍ مِّنَ الْمَلاٰئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (١)

و: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَاَنْتُمْ اَذِلَّةٌ فَاتَّقُوااللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢)

و: ﴿اِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ اَلَنْ يَكْفِيَكُمْ اَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاٰثَةِ الاٰفٍ مِنَ الْمَلاٰئِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ (٣)

و: ﴿بَلىٰ اِنْ تَصْبِرُوا وتَتَّقُوا يَأْتُوكُمْ مِّنْ فَوْرِهِمْ هٰذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ اٰلاٰفٍ مِنَ الْمَلاٰئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (٤) نزلت فى غزوة بَدر وأمّا تَفصيلها فَمذكورٌ في التّواريخ ولا نحتاج الىٰ ذكره وقد ذكر في المناقب أنّ هـند أُمّ مـعاوية رَثَت الثّلاثة وقال:

أبـــي وعـمّي وشـقيق بكـري أخـي الّـذي كـان كَضوء البَـدرِ
بـــهم كَســرت يـاعلّي ظـهري

وكان أسيد بن أياس يُحَرض المُشركين مشركي قُرَيش علىٰ علّيٍ ويقول:
فـي كـلّ مـجمع غـاية أجـزاكـم جَزع أبَر علىٰ المـذاكـي القَـرح

١- الانفال ـ ٩
٢- آل عمران ـ ١٢٣
٣- آل عمران ـ ١٢٤
٤- آل عمران ـ ١٢٤

لِـــلّه درّكُـــم ألمّـا تــنكروا قد ينكر الحّر الكريم ويستحي
هذا ابن فاطمة الّذي أفناكم ذبحاً وقتلة قَصعة لم تذبح
أعطوه خرجاً واتّقوا بضريبَةٍ فعل الذّليل وبيعة لم تربح
أين الكهُول وأين كلّ دُعامةٍ في المُعضلات وأينَ زين الأبطَح
أفناهم قَصعاً وضرباً يفتري بالسّيف يعمل حدّه لم يصفح

وقال الحميري :

مـن كان أوّل من أباد بسيفه كـــفّار بدرٍ وإستباح دماءً
مـن ذلك نّوه جبرئيل بإسمه في يوم بدرٍ يسمعون نداءً
لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتىٰ إلّا عــــلّيٌ رفــعَةً وعـــلاءً

وأيضاً قال:

وفي يوم بدرٍ حين بارَز شيبةً بعضبٍ حسامٍ والأسنّة تلمع
فَبادره بالسّيف حتّىٰ أذاقه حمام المنايا والمنّيات تركع
وصــيّره نهباً لذئبٍ وقشعمٍ عليه من الغرّبان سود وأبقع

وأيضاً :

وله بـــبدرٍ وقــعة مشهورة كانت علىٰ أهل الشّقاء دماراً
فَأذاق شـيبة والوليـد منية إذ صــبحاه جــحّفلاً جرّراً
وأذاق عُتبة مثلها أهوىٰ لها عــضباً ثقيلاً مُرهفاً تبّاراً

وقال الصّاحب :

عَجبت ملائكة السّماء لِحَربه في يوم بدرٍ والجهاد جهاد
فَحكاه عنه جبرئيل لأحمد أسناد مجدٍ ليس فيه سناد
صشرع الوليد لموقفٍشاب الوليد لِــهَوله وتــهارب الأعــضاد
وأذاق عُتبة بالحسام عقوبةً حسمت بها الأدواء وهي قلاد
أحلاف حَربٍ أرضعوا خلاّفها فكأنّـــهم لحــرُوبهم أولاد
مــا كــان في قتلاه إلّا باسلٌ فكأنّــما صــمصامه نــتّاد

ولآخر:

وله ببدرٍ أن ذكرت بلاؤه	يوماً لَشييب ذوائب الولدان
كم من كمي حلِ عقدة بأسه	فيه وكان ممنع الأركان
فَرأىٰ به عصراً يهاب جنانه	كالضّيغم المُتبل الغضبان
يصغي مماصعه بكأس منيةٍ	شيبت بطعم الصّاب والخطبان
إذ من ذوي الرّايات جدل عصبةٍ	كانوا كأسد الغاب من خفانٍ

أقول: ويظهر من هذه الأشعار أيضاً أنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الّذي قَتلهم جميعاً يوم بَدر وقد إتّفقوا على أنّ المقتولين يوم بدرٍ من المُشتركين سبعون نفر والأسارىٰ أيضاًكذلك وأنّ أكثر قتلىٰ المُشركين فيه كان لِعَلّي عليه السلام سلام اللّه عليه:

▫ قوله عليه السلام: **مَا اسْتَبْدَلْتُ دِيناً وَلاَ اسْتَحْدَثْتُ نَبِيّاً وَاِنِّى لَعَلَى الْمِنْهَاجِ الَّذِى تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ...**

كلمة، ما، نافية أي أنّي ما إستَبدلتُ ديناً ولا إستَحدثتُ نبّياً بل ديني الإسلام ونبّي محمّد صلى الله عليه وآله وأنّي لَعَلىٰ المنهاج الّذي تَركتمُوه وهو طريق الحقّ ودَخلتُم فيه بالإجبار والإكراه وبعبارةٍ أُخرىٰ أنّي أُقاتلكم الآن علىٰ ماكُنت أُقاتلكم يوم بَدر وأُحد وغيرهما من الغَزَوات.

▫ قوله عليه السلام: **وَزَعَمْتَ اِنَّكَ جِئْتَ ثَائِراً بِدَمِ عُثْمانَ وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمانَ فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ اِنْ كُنْتُ طَالِباً...**

أي وزعمت أنّك تطلب بدم عثمان ولقد عَلمت حيث وقع دم عُثمان وهو المدينة فأطلبه أي فأطلب ثاره من هناك أن كُنتَ طالباً له وغَرضه عليه السلام من هذا الكلام أنّ معاوية لم يكن طالباً بِدَمه واقعاً **أمّا أوّلاً:**

فلأنّه أجنبي عنه وذلك لأنّ أَولىٰ بالميّت أَولىٰ بميراثه ومعاوية ليس كذلك بل أَولىٰ به إبنه وإبنته ثمّ الأقرب فالأقرب،

وأمّا ثانياً: فقد إتّفق المؤرّخون علىٰ أنّ عائشة وطلحة والزّبير كانوا أحرص

علىٰ قتله من غيرهم فلو كان معاوية طالباً بِدَمه فَلِمَ لم يَطلُبه منهم.

وثالثاً، أنّ معاوية لو كان صادقاً في قوله فَلِمَ لم يَنصر عثماناً بعد ما كَتب اليه وأَخبَره بحَصره وإستَنصره، ورابعاً أنّ أمير المؤمنين لم يَقتل عُثماناً حتّىٰ يُطالب بِدَمه وأنّما قَتله المُهاجر والأنصار وغيرهم من المُسلمين كما مرّ الحديث فيه فقد ظهر بذلك أنّ معاوية لم يكن طالباً بِدَمه واقعاً بل كان طالباً لحكومته وخلافته وهو أمر آخر غير ما إدّعاه ظاهراً في أنظار العَوام كالأنعام ومعاوية كان عالماً بكذبه ومع ذلك كان يقول عليٌ قَتل عثماناً وذلك لأنّه جعل هذه التّهمة وسيلةً وسبباً بل سُلّماً للعرُوج عليه والبلوغ الىٰ مَقصده وقد بَلغ وهو من أدّل الدّلائل علىٰ كذبه ونِفاقه فأنّ المُنافق يقول بلسانه ماليس في قلبه ويتّمسك بكلّ مايظّن أنّه يُوصله الىٰ هَدفه وعوام النّاس يُعبّرون عنه بحُسن السّياسة ألا ترىٰ أنّهم يقولون بأنّ معاوية كان سائساً وعلّي لم يكن كذلك وهذه السّيرة الخبيثة قد إستّمرت الىٰ زماننا هذا فَيتّمسكون بالإسلام ويَعملون بغيره ويتّرنمون بحماية الضّعفاء والمُستَضعفين مع أنّهم في الحقيقة يَسلكون مَسلَك المُتّكبرين ومحصّل الكلام أنّ الفُقراء والعَوام صاروا سبباً ووسيلة الىٰ الوصول الىٰ الأماني والبلوغ الىٰ المقاصد الدّنيوية وأمّا بعد البلوغ اليها فلا يَعرفونهم أصلاً وفي قوله ﷺ: **وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمانَ فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ** إشارة الىٰ أنّ مكان قتل عثمان كان بالمدينة والآمِر بِقَتله كان عائشة فأُطلب ثاره فيها أن كنت طالباً والدّليل عليه ما ذكره غير واحدٍ من المؤرّخين ومنهم إبن الأثير في الكامل حيث قال وكان سبب إجتماعهم بمكّة أنّ عائشة كانت خرجت اليها وعثمان محصور ثمّ خرجت من مكّة تريد المدينة فلمّا كانت بسرف لقيها رجل من أخوالها من بني ليث يُقال له عُبيد بن أبي سلمة وهو ابن أُمّ كلاب فقالت له مهيم قال قتل عثمان وبقوا ثمانياً قالت ثمّ صَنعوا ماذا قال إجتمعوا علىٰ بيعة علّي فقالت ليست هذه إنطبقت علىٰ هذه أن تمّ الأمر لصاحبك ردّوني ردّوني فانصرفت الىٰ مكّة وهي تَقول قُتل والله عثمان

مظلوماً والله لأطلبنّ بِدَمه فقال لها ولِمَ والله أنّ أوّل من أمال صرفه لأنتِ ولقد كُنتِ تقولين أُقتلوا نعثلاً فقد كفر قالت أنّهم إستتابوه ثمّ قَتلوه وقد قُلت وقالوا وقولي الأخير خير من قولي الأوّل فقال لها إبن أُمّ كلاب:

فمنك البداء ومنك الغير ومِنك الرّياح ومِنك المَطر

وأنتِ أَمرتِ بقتل الإمام وقُلتِ لنا أنّه قد كَفر

فَهبنا أَطعناكِ في قبله وقاتله عندنا من أَمر

ولم يسقط السّقف من فوقنا ولم ينكسف شمسنا والقَمر

وقد بايع النّاس ذا قدرا يزيل الشّبا ويقيم الصّعر

ويَلبَس للحَرب أثوابها وما من وفىٰ مثل من قد غدر

والعَجب أنّ معاوية لم يطلب دَمه منها وطلبه من علّيٍ ﷺ كما أنّ عائشة أَمَرت بقتله فلمّا قُتل طلبت بَدَمه وقالت والله لإصبع من عثمان خير من طباق الأرض والحقّ أنّ معاوية وعائشة وطلحة والزّبير وأمثالهم كانوا يطلبون الخلافة لدَمَ عثمان والمُهم عندهم كان قميصه لا هو نفسه:

▫ **قوله ﷺ: فَكَأَنِّى قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُّ مِنْ الْحَرْبِ إِذَا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ الْجِمَالِ بِالْأَثْقَالِ...**

يقال ضجّ ضجّاً أي صاح وجلب لفزعه من شئ أخافه والمعنىٰ فكأنّي رأيتك تضجّ وتصيح من الحرب إذ عضّتك وأَدلمَتك ضجيج الجِمال بالأثقال وهو كناية عن ضجّة أهل الشّام علىٰ قتلاهم وقولهم يا معاوية أهلَكتَ النّفوس وأَيتَمتَ الأولاد كما هو الكلام فيه وأنت ترىٰ أنّ الأمر وقع كما أَخبرَ ﷺ به وهو دليل علىٰ أنّه كان عالماً بما كان وما يكون وردّ علىٰ من لا يقول به في حقّه ﷺ أمّا عندنا فلا إشكال فيه فأنّ إعتقادنا فيه وفي غيره من الأئمّة أنّهم كانوا يعلمون المستقبل كما كانوا عالمين بالماضي وأمّا الخصم الّذي لا يقول به في حقّهم فما يقول في المقام وأعجب منه لتعبيره ﷺ في المقام بقوله فكأنّي رأيتك بصَيغة الماضي مشعراً بأنّه عنده من المقطوع الّذي لا شك فيه ولتّحقق وقوعه كأنّه قد مضىٰ فأنّ المستقبل إذا كان مُحقّق الوقوع فهو في

حكم الماضي وقد رأينا أنّ المُخبر به قد وقع في زمانه طابق النّعل بالنّعل من غير إختلاف بين الأخبار والمُخبر به فقد ضجّ معاوية من الحَرب والدّليل عليه أنّه كتب الىٰ علّي عليه السلام:

أمّا بعد فإنّا لو علمنا أنّ الحَرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يحنها بعضنا الىٰ بعض وأن كنّا قد غلبنا علىٰ عقولنا فقد بقي لنا ما نرّم به ما مضىٰ ونصلح به ما بقي وقد كنتُ سألتك الشّام علىٰ أن لا يلزمني لك طاعة ولا بيعة فأبَيتَ علّي وأنا أدعوك اليوم الىٰ ما دعوتك اليه أمس فأنّك لا ترجو من البقاء إلّا ما أرجو ولا تخاف من الفناء إلّا ما أخاف وقد واللّه رقّت الأجساد وذهبت الرّجال الىٰ آخر كلامه فأجابه.

□ **قوله عليه السلام: وَكَأنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ وَالْقَضَاءِ الْوَاقِعِ وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ إلَىٰ كِتَابِ اللّٰهِ وَهِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ أَوْ مُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ...**

وأَمر معاوية لإبن الخديج الكندي أن يُكاتب الأشعث والنّعمان بن بشير أن يُكاتب قيس بن سعد في الصّلح ثمّ أَنفذ عمرواً وعُتبة وحبيب بن مسلمة والضّحاك بن قيس الىٰ أمير المؤمنين فلمّا كَلّمُوه قال أدعوكم الىٰ كتاب اللّه وسنّة نبّيه فأن تَجيبوا الىٰ ذلك فللّرشد أصبتم وللخير وُفقتم وأن تأبوا لم تزدادوا من اللّه إلّا بُعداً فقالوا قد رأينا أن تَنصرف عنّا فنُخلّي بينكم وبين عراقكم وتَخلّون بيننا وبين شامنا فنحن نحقن دماء المُسلمين فقال عليه السلام لم أَجد إلّا القتال أو الكُفر بما أنزل اللّه عزّ وجلّ علىٰ محمّد صلى الله عليه وآله:

ثمّ بَرز الأشتر وقال سوّوا صفوفكم وقال علّي عليه السلام **أيّها النّاس من يبع يربح في هذا اليوم وفي كلام له عليه السلام ألا أنّ خضاب النّساء الحناء وخضاب الرّجال الدّماء والصّبر خير في عواقب الأمور ألا أنّها أحَن بدّرية وضغائن أُحدّية وأحقاد جاهلّية وقرأ عليه السلام ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾** [1] فتقدم وهو يرتجز:

١- التوبة - ١١

مظلوماً واللّه لأطلبنّ بِدَمه فقال لها ولِمَ واللّه أنّ أوّل من أمال صرفه لأنتِ ولقد كُنتِ تقولين أُقتلوا نعثلاً فقد كفر قالت أنّهم إستتابوه ثمّ قَتلوه وقد قُلت وقالوا وقولي الأخير خير من قولي الأوّل فقال لها إبن أُمّ كلاب:

فـمِنك البـداء ومِـنك الغـير ... ومِـنك الرّيـاح ومِنك المَطر
وأنتِ أَمـرتِ بـقتل الإمـام ... وقُـلتِ لنـا أنّـه قـد كَـفر
فَـهبنا أَطـعناكِ فـي قـبله ... وقـاتله عـندنا مـن أَمـر
ولم يـسقط السّـقف مـن فـوقنا ... ولم يـنكسف شـمسنا والقَمر
وقـد بـايع النّـاس ذا قـدرا ... يـزيل الشّـبا ويـقيم الصّـغر
ويَـلبَس للـحَرب أثـوابـها ... وما من وفىٰ مثل مـن قـد غـدر

والعَجب أنّ معاوية لم يطلب دَمه منها وطلبه من علّيٍ عليه السلام كما أنّ عائشة أَمَرت بقتله فلمّا قُتل طلبت بَدَمه وقالت واللّه لإصبع من عثمان خير من طباق الأرض والحقّ أنّ معاوية وعائشة وطلحة والزّبير وأمثالهم كانوا يطلبون الخلافة لدَمَ عثمان والمُهّم عندهم كان قميصه لا هو نفسه:

▫ قوله عليه السلام: **فَكَأَنّى قَدْ رَاَيْتُكَ تَضِجُّ مِنْ الْحَربِ اِذَا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ الْجِمَالِ بِالأَثْقَالِ...**

يقال ضجّ ضجّاً أي صاح وجلب لفزعه من شئ أخافه والمعنىٰ فكأنّي رأيتك تضجّ وتصيح من الحرب إذ عضّتك وأدلمَتك ضجيج الجمال بالأثقال وهو كناية عن ضجّة أهل الشّام علىٰ قتلاهم وقولهم يا معاوية أهلَكتَ النّفوس وأيتَمتَ الأولاد كما هو الكلام فيه وأنت ترىٰ أنّ الأمر وقع كما أَخبرَ عليه السلام به وهو دليل علىٰ أنّه كان عالماً بما كان وما يكون وردّ علىٰ من لا يقول به في حقّه عليه السلام أمّا عندنا فلا إشكال فيه فأنّ إعتقادنا فيه وفي غيره من الأئمّة أنّهم كانوا يعلمون المستقبل كما كانوا عالمين بالماضي وأمّا الخصم الّذي لا يقول به في حقّهم فما يقول في المقام وأعجب منه لتعبيره عليه السلام في المقام بقوله فكأنّي رأيتك بصَيغة الماضي مشعراً بأنّه عنده من المقطوع الّذي لا شك فيه ولتّحقق وقوعه كأنّه قد مضىٰ فأنّ المستقبل إذا كان مُحقّق الوقوع فهو في

حكم الماضي وقد رأينا أنّ المُخبر به قد وقع في زمانه طابق النّعل بالنّعل من غير إختلاف بين الأخبار والمُخبر به فقد ضجّ معاوية من الحَرب والدّليل عليه أنّه كتب الىٰ علّي ﷺ:

أمّا بعد فإنّا لوّ علمنا أنّ الحَرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يحنها بعضنا الىٰ بعض وأن كنّا قد غلبنا علىٰ عقولنا فقد بقي لنا ما نرّم به ما مضىٰ ونصلح به ما بقي وقد كنتُ سألتك الشّام علىٰ أن لا يلزمني لك طاعة ولا بيعة فأبيتَ علّي وأنا أدعوك اليوم الىٰ ما دعوتك اليه أمس فأنّك لا ترجو من البقاء إلّا ما أرجو ولا تخاف من الفناء إلّا ما أخاف وقد والله رقّت الأجساد وذهبت الرّجال الىٰ آخر كلامه فأجابه.

▫ **قوله ﷺ: وَكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ وَالْقَضَاءِ الْوَاقِعِ وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَهِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ أَوْ مُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ...**

وأَمر معاوية لإبن الخديج الكندي أن يُكاتب الأشعث والنّعمان بن بشير أن يُكاتب قيس بن سعد في الصّلح ثمّ أَنفذ عمرواً وعُتبة وحبيب بن مسلمة والضّحاك بن قيس الىٰ أمير المؤمنين فلمّا كَلّمُوه قال أدعوكم الىٰ كتاب الله وسنّة نبّيه فأن تَجيبوا الىٰ ذلك فللّرشد أصبتم وللخير وُفقتم وأن تأبوا لم تزدادوا من الله إلّا بُعداً فقالوا قد رأينا أن تَنصرف عنّا فنُخلّي بينكم وبين عراقكم وتَخلّون بيننا وبين شامنا فنحن نحقن دماء المُسلمين فقال ﷺ لم أَجد إلّا القتال أو الكُفر بما أنزل الله عزّ وجلّ علىٰ محمّد ﷺ:

ثمّ بَرز الأشتر وقال سوّوا صفوفكم وقال علّي ﷺ **أيّها النّاس من يبع يربح في هذا اليوم** وفي كلام له ﷺ **ألا أنّ خضاب النّساء الحناء وخضاب الرّجال الدّماء والصّبر خير في عواقب الأُمور ألا أنّها أحَن بدّرية وضغائن أُحدّية وأحقاد جاهلّية** وقرأ ﷺ **﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾**(١) فتقّدم وهو يرتجز:

١- التوبة ـ ١١

دبّوا دَبيب النّمل لا تَفوتوا	وأصبحوا في حَربكم وبيتُوا
كي ما تنالوا الدّين أو تموتوا	أو لا فأنّي طال ما عصيت

فَحمل في سبعة عشر ألف رجل فَكسروا الصّفوف فقال معاوية لعمرو اليوم صبر وغداً فخر فقال عمرو صدقت يامعاوية ولكن المَوت حقّ والحياة باطل ولو حمل علّي في أصحابه حملة أُخرىٰ فهو البوار فلم يزالوا يُقاتلون حتّىٰ دخل وقعة الخميس وهي ليلة الهرير وكان يحمل عليهم مرّة بعد مرّة ويَدخل في غمارهم ويقول اللّه اللّه في الحَرم والذّرية فكانوا يُقاتلون أصحابهم بالجهل فلمّا أصبح كان قتلىٰ عَسكره أربعة ألاف رجل وقتلىٰ عَسكر معاوية أثنين وثلاثين ألف رجل فصاحوا يامعاوية هَلَكت العَرب فإستغاث هو بعمرو فأَمره برفع المصاحف فَرفعوا المصاحف وصاحوا يامعشر العَرب اللّه اللّه في نسائكم وبناتكم فَمن للرّوم والأتراك وأهل فارس غداً إذ أَفنيتم اللّه اللّه في دينكم هذا كتاب اللّه بيننا وبينكم.

فلمّا سمع أمير المؤمنين هذه الكلمات قال عليه السلام اللّهم أنّك تعلم أنّهم ما الكتاب يريدون فأحكم بيننا وبينهم أنّك أنت الحكيم الحقّ المُبين، فظهر الإختلاف في الكلمة بين أهل النّفاق والشّقاق فقال الأشعث وهو رأس المُنافقين وقد رأيتم يا معشر المَسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي وما قذفني فيه من العَرب فو اللّه لقد بلغت عن السّن ما شاء اللّه أن أبلغ فما رأيت مثل هذا اليوم قط وقال رجل من أهل الشّام.

رؤوس العراق أجيبوا الدّعاءِ	فقد بلغت غاية الشّدة
وقد أودت الحَرب بالعالمين	وأهل الحفائظ والنّجدة
فلسنا ولستم من المشركين	ولا المُجمعين علىٰ الرّدة
ولكن أُناسٌ لقوا مثلهم	لنا عِدّة ولهم عِدّة
فقاتل كلٌّ علىٰ وجهه	تفحمّه الجدّ والجدّة
فأن تقبلوها ففيها البقاء	وأمن الفريقين بالبلدة

وأن تـــدفعوها فـفيها الفَـناء	وكـــلّ بـــلاءٍ الىٰ مـــدّة
وحتّىٰ متىٰ نحض هـذا السّقاء	ولابـــدّ أن يـــخرج الزّبـــدة
ثـــلاثة رهـــطٍ هُـــم أهـلُها	وأن يسكـــتُوا تُـخمد الوقـدة
سعيد بـن قيس وكـبش العـراق	وذاك المُســـود مـــن كـــندة

أراد الشّاعر بكَبش العراق مالك بن الحَرث أعني به الأشتر وبالمُسّود الأشعث بن قيس الكِندي وقال ابن البجّلي:

تـــطاول ليـــلي للـــهُموم الحـواضـر
وقــتلىٰ أُصـيبت مـن رؤوس المـعاشر
بـــصفّين أمست والحـــوادث جـــمّة
يُـهيل عـليها التّـرب رمـل الأعـاصر
فأنّـــهم فـــي مُـــلتقىٰ الخيل بكـرة
وقـــد جـالت الأبـطال دون المشـاعر
فأن يك أهـــل الشّـــام نـالوا سـراتـنا
فـقد نـيل مـنهم مـثل حـوزة جـاذرٍ
وقـــام ســـجال الدّمـــع منّا ومـنهم
يـــبكّين قـــتلىٰ غـــير ذات مـــقابرٍ
فأن يســـتّقل القـــوم مـــا كـــان بـيننا
وبـــينهم أحـــرىٰ اللّـــيالي الغـوابـر
ومـــاذا عـــلينا أن نـــريح نـــفوسنا
الى ســـنةٍ مـــن بـــيضنا والمـــغافر
ومـــن نـصنا وســط العـجاج جـباهنا
لِـــوَقع السّـيوف الرّاتـقات البـواتـر
وطـــعنٍ إذا نـادىٰ المُـنادي أن أركـبوا
صُـدور المـذاكـي بـالرّماح الشّـواجـر

دبّوا دَبيب النّمل لا تَفوتوا وأصبحوا في حَربكم وبيِّنُوا
كي ما تنالوا الدّين أو تموتوا أو لا فأنّي طال ما عصيت

فَحمل في سبعة عشر ألف رجل فَكسروا الصّفوف فقال معاوية لعمرو اليوم صبر وغداً فخر فقال عمرو صدقت يامعاوية ولكن المَوت حقّ والحياة باطل ولو حمل علّي في أصحابه حملة أُخرىٰ فهو البوار فلم يزالوا يُقاتلون حتّىٰ دخل وقعة الخميس وهي ليلة الهرير وكان يحمل عليهم مرّة بعد مرّة ويَدخل في غمارهم ويقول اللّه اللّه في الحَرم والذّرية فكانوا يُقاتلون أصحابهم بالجهل فلمّا أصبح كان قتلىٰ عَسكره أربعة آلاف رجل وقتلىٰ عَسكر معاوية أثنين وثلاثين ألف رجل فصاحوا يامعاوية هَلَكت العَرب فإستغاث هو بعمرو فأَمره برفع المصاحف فَرفعوا المصاحف وصاحوا يامعشر العَرب اللّه اللّه في نسائكم وبناتكم فَمن للرّوم والأتراك وأهل فارس غداً إذ أَفنيتم اللّه اللّه في دينكم هذا كتاب اللّه بيننا وبينكم.

فلمّا سمع أمير المؤمنين هذه الكلمات قال عليه السلام اللّهم أنّك تعلم أنّهم ما الكتاب يريدون فأحكم بيننا وبينهم أنّك أنت الحكيم الحقّ المُبين، فظهر الإختلاف في الكلمة بين أهل النّفاق والشّقاق فقال الأشعث وهو رأس المُنافقين وقد رأيتم يا معشر المُسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي وما قذفني فيه من العَرب فو اللّه لقد بلغت عن السّن ما شاء اللّه أن أبلغ فما رأيت مثل هذا اليوم قط وقال رجل من أهل الشّام.

رؤوس العراق أجيبوا الدّعاءِ فقد بلغت غاية الشّدة
وقد أودت الحَرب بالعالمين وأهل الحفائظ والنّجدة
فلسنا ولستم من المشركين ولا المُجمعين علىٰ الرّدة
ولكن أُناسٌ لقوا مثلهم لنا عِدّة ولهم عِدّة
فقاتل كلٌّ علىٰ وجهه تفحمّه الجدّ والجدّة
فأن تقبلوها ففيها البقاء وأمن الفريقين بالبلدة

وأن تـدفعوها فـفيها الفَـناء وكـلّ بـلاءٍ الىٰ مـدّة
وحتّىٰ متىٰ نحض هـذا السّقاء ولابـدّ أن يـخرج الزّبـدة
ثـلاثة رهـطٍ هُـم أهـلُها وأن يسكـتُوا تُـخمد الوقـدة
سعيد بن قيس وكبش العراق وذاك المُسـود مـن كـندة

أراد الشّاعر بكَبش العراق مالك بن الحَرث أعني به الأشتر وبالمُسّود الأشعث بن قيس الكِندي وقال ابن البجَلي:

تـطاول ليـلي للـهُموم الحـواضـر
وقـتلىٰ أُصـيبت مـن رؤوس المـعاشر
بـصفّين أمست والحـوادث جـمّة
يُـهيل عـليها التّـرب رمـل الأعـاصر
فأنّـهم فـي مُـلتقىٰ الخيـل بكـرة
وقـد جـالت الأبـطال دون المشـاعر
فأن يك أهـل الشّـام نـالوا سـراتـنا
فـقد نـيل مـنهم مـثل حـوزة جـاذرٍ
وقـام سـجال الدّمـع مـنّا ومـنهم
يـبكّين قـتلىٰ غـير ذات مـقابرٍ
فأن يسـتّقل القـوم مـا كـان بـيننا
وبـينهم أحـرىٰ اللّـيالي الغـوابـر
ومـاذا عـلينا أن نـريح نـفوسنا
الى سـنةٍ مـن بـيضنا والمـغافر
ومـن نـصنا وسـط العـجاج جـباهنا
لِـوَقع السّيوف الرّاتـقات البـواتـر
وطـعنٍ إذا نـادىٰ المُـنادي أن أركـبوا
صُـدور المـذاكـي بـالرّماح الشّـواجـر

أثـــرنا الّـــذي كـانت بـصفّين بكـرةٍ
ولم يك فـــي تسـعيرها بـــضواتـــر
وأن حَكَـــما بـــالحقّ كـانت سـلامةٌ
ورأيُ وقـــانا مـــنه فـي شـؤم قــاشرٍ

وقال إبن أسوَد :

ألا أبـــلغا عـــنّي عـلّياً تـحيّةً ... فـقد قبل الهَماء لمّا إستَقلت
بـناقّية الإسـلام بـعد إنـهدامـها ... وقامت عـليه قَصرةُ فإستّفرت
كأنّ نـبّياً جاءنا حـين هَـدمها ... بما سنّ فيها بعد مـا قـد أبَـرّت

وهذه الأشعار كـما تـرىٰ تُـنادي بأعلىٰ صَـوتها علىٰ ضـجيج أهـل الشّام وإستئصالهم كما أخبَر به ﷺ:

□ **قوله ﷺ: وَكَأَنّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِى جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ وَالْقَضَاءِ الْوَاقِعِ وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ اِلَىٰ كِتَابِ اللّٰهِ وَهِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ اَوْ مُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ...**

قد عرفت ممّا ذكرناه جزعهم من الضّرب المتتابع ولا سيّما ليـلة الهـرير ودعوتهم الىٰ كتاب اللّه وهي أي معاوية وجماعته كافرة بكتاب اللّه مُنكرة أيّاه أو مبايعة حائدة أي العادلة عن الحقّ والحاصل أنّ جماعة أهل الشّام تدعوا الىٰ كتاب اللّه بألسنتهم دون قلوبهم كما هو شأن المنافق فقد كتب معاوية الىٰ عبد اللّه بن عباس وقيل الكاتب عمرو بن العاص كتاباً يدّل علىٰ عجز الجماعة عن الحَرب وكتب في آخر الكتاب أشعاراً ونحن ننقله:

أمّا بعد فأنّ الّذي نحن وأنتم فيه ليس بأوّل أمرٍ قاده البلاء وساقته العافية وأنت رأس أهل الجمع بعد علّيٍ فأنظر فيما بقىٰ وَدَع ما مضىٰ فواللّه ما أبقت هذه الحَرب لنا ولكم حياة ولا صبراً وأعلموا أنّ أهل الشّام لا تملك إلّا بهلاك العراق وأنّ أهل العراق لا تملك إلّا بهلاك أهل الشّام وما خيرنا بـعد هـلاك أعدادنا منكم وما خيركم بعد هلاك أعدادكم منا ولسنا نقول ليست الحَـرب

عادت ولكنّا نقول ليتها لم تكن وأنّ فينا من يكره القتال كما أنّ فيكم من يكرهه وأنّما هو أمرٌ مطاع أو مأمور مُطيع أو مؤتمن مشاور وهو أنت وأمّا الأشتر الغليظ الطّبع القاسي القلب فليس بأهلٍ أن يُدعىٰ في الشّورىٰ ولا في خواصّ أهل النّجوىٰ وكتب في أسفله:

طال البلاء وما يرجىٰ له آس
بعد الإلٰه سوىٰ رفق بن عبّاس
قولا له قول من يرضىٰ بخطوته
لا تنس حظّك أنّ الخاسر النّاس
يا بن الّذي زمزم سقيا الحَجيج له
أعظم بذلك من فخرٍ علىٰ النّاس
كلٌّ لصاحبه قرنٌ يشاوره
أسد العرين أُسودُ بين أخياسِ
لو قيس بينهم في الحرب لأعتدلوا
العجز بالعجز ثمّ الرّأس بالرّأس
أنظر فدىٰ لك نفسي قبل قاصمةٍ
للظّهر ليس لها راقٍ ولا آسٍ
أنّ العراق وأهل الشّام لن تَجدوا
طعم الحياة مع المُستَغلق القاسي
بُرٌ وأصحاب بُرٍ والّذين هُمُ
داء العراق رجال أهل وسواس
قومٌ عُراة من الخَبرات كلّهم
فما يُساوي بما أصحابه كاس
أنّي أرىٰ الخَير في سلم الشّام لكم
واللّه يعلم ما بالسّلم من بأس

فـــيها التّـــقي وأُمـــورٌ ليس يـجهلها

إلّا الجّـــهول ومـــا النّـوكي كأكـياس

فَأجابه إبن عبّاس بجواب قاصِرٌ ظَهره وكَتبَ في أسفله هذه الأبيات:

يـا عـمرو حسبك مـن خِـدعٍ ووسواسٍ

فأذهبَ فــليس لداء الجـــهل مــن آسٍ

إلّا تَـــواتـــر طـــعنٍ فـــي نـــحُوركم

يشــفي النّـفوس ويشــفي نـخوة النّـاس

هـــذا الدّواء الّـذي يشـفي جـماعتكم

حـــتّى تـــطيعوا عــلّياً وإبــن عــبّاس

أمّـــــا عـــــلّيٌ فأنّ اللّـــــه فــضلّه

بــفضل ذَي شــرفٍ غــالٍ عــلىٰ النّــاس

أن تَـــعقلوا الحَـــرب نَـعقلها مُـخَيَسةً

أو تَـــبعثوها فـــإنّا خـــير أنكـــاسٍ

قــد كــان مــنّا ومــنكم فـي عـجاجتها

مـــا لا تـــرّد وكـــلٌّ عُـــرضة النّــاس

قـــتل العـــراق بـــقتل الشّــام داهــيةً

هـــذا بـــهذا ومـــا بــالحقّ مــن بأس

لا بــارك اللّــه فـي مـصرٍ لقـد جَلَبت

شّـــراً وحَـــظّك مـنها حسّـو الكـاس

يـــا عـــمرو أنّك عــارٍ مــن مـغارمها

والرّاقـــصات ومـــن يـــوم الجـــزا كـــاس

والمَكاتبات في الباب كثيرة ذكرها المؤرّخون في كُتبهم وفيما ذكرناه كفاية لأولي الدّراية:

ومن وصيّةٍ له عليه السلام (١١)

وصّىٰ بها جيشاً بَعثه الىٰ العدّة

□ قوله عليه السلام: فَإِذْ اَنزَلْتُمْ بِعَدُّوٍ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ فَلْيَكُنْ مُعَسكَرُكُمْ في قُبُلِ الْاَشْرافِ، اَوْسِفاعِ الْجِبالِ، أَوْ أَثْناءِ الْاَنْهارِ، كَيْما يَكُونُ لَكُمْ رِدْءً: وَّ دُونَكُمْ مَّرَّداً، وَلْتَكُنْ مُقاتَلَتُكُمْ مِنْ وجْهٍ واحِدٍ أَوْ اَثْنَيْنِ، وأجْعَلُوا لَكُمْ رُقَباءَ فِي صَياصي الجِبال وَمَناكِبْ الْهِضَابِ لِئَلّا يأتِيَكُمْ الْعَدْوُّ من مَكانِ مَخافَةٍ أَوْ أمْنٍ وأَعْلَمُوا أنّ مُقَدِّمةَ الْقوْم عُيُونُهُمْ وَعُيُونُ المُقدِّمَةِ طَلاَئِعهُمُ وإيَّاكُمْ والتَّفرّقَ فَإِذاَ نَزَلْتُمْ فأَنْزِلُوا جَمِيعاً وَإِذَا ارتَحَلْتُمْ فَاَرْتَحِلْوا جَمِيعاً وإِذَا غَشَيْكُمُ اللَّيْلُ فأجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً ولا تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلَّا غِرَاراً أوْ مَضْمَضَةً.

◁ اللّغة

(أَشْرَافِ) جمع شَرف محرّكة العلو والمكان العالي (سِفاحِ الجِبَالِ) أي أسافلها، (أَثْناءِ الأَنْهارِ) مُنعَطَفاتها (رِدْأً) بكسر الرّاء وسكون الدّال العَون (مَرَدّاً) بفتح الميم والرّاء وتشديد الدّال مكان الرّد والدّفع (صِياصِي الْجِبالِ) أعاليها (مَناكِب الهِضَابِ) المناكب المُرتفعات والهضاب جمع هَضْبة بفتح الهّاء وسكون الضّاد الجبل الغير المُرتفع عن الأرض (كِفَّةً) أي مُستديرة مثل كَفّة الميزان (غِرَاراً) بكسر الغَين النّوم الخفيف (مَضْمَضَةً) أي تحريكاً للأجفان مثل أن ينام ثمّ يستيقظ ثمّ ينام تَشبهاً بمَضمَضة الماء.

◁ المعنىٰ

(فإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ) العدّو (بِكُمْ فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ) أي مكان عسكركم. (فِي قُبَيْلِ الأَشْرَافِ) أي ما إستَقبلك منها والمقصود منها المكان العالي وفي أكثر النّسخ قَبل الأشراف وهو ضدّ الدّبر أيضاً (وسِفاحِ الْجِبَالِ) وأسافلها (أَوْ أَثْناءِالأَنْهارِ) ومُنعطفاتها (كَيْما يَكُونَ لَكُمْ رِدْأً) وعَوناً (وَدُونَكُمْ مَرَدّاً) ومكاناً للرّد والدّفع (وَلْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ) لهـم (مِنْ وَجْهٍ واحِدٍ أَوْ ثْنيْنِ) لا مـن وجـوهٍ مُتعدّدة مُختلفة (واجْعَلُوا لَكُمْ رُقَباءَ) ونُـظّار، (في صَياصَيِ الْجِبالِ) وأعـاليها (ومَناكِبِ الْهِضَابِ) أيِ مـا إرتَـفع مـن الأرض (لِئَلّا يَأتِيَكُمُ الْعَدُوُّ منْ مَكَانِ مَخافَةٍ أَوْ أَمْنٍ) فلا تَقدرون علىٰ دَفعه (وأَعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمةَ الْقَوْمِ) أي مُـقدّمة العَسكر (عُيُونُهُمْ وعُيُونُ الْمُقدِّمَةِ طَلاَئِعُهُمْ) فلا تَجعلوا فـي المُـقدّمة إلّا مـن يَـصلح لهـا (وَأَيّاكُمْ والتَّفرَّقَ) والإخـتلاف (فإذا نَزَلْتُمْ) فـي مكـانٍ (فانْزِلُوا جَمِيعاً)فـيه (وإِذَا ارْتَحَلْتُمْ) مـنه (فارْتَحِلُوا جَمِيعاً) مـنه (وإِذَا غَشِيَكُمْ اللَّيْلُ فأجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً) مُستَديرة مثل كَفّة الميزان (ولا تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلَّا غِرَاراً) أي خَفيفاً (أَوْ مَضْمَضَةً) كَمَضمَضة الماء تدريجاً:

◁ الشَرح

▫ قوله ﷺ: فإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ فَلَيكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ فِي قُبَيْل الأَشْرَافِ وسِفاحِ الْجِبَالِ أَوْ أُثْناءِ الأَنْهَارِ...

قد ذكرنا أنّ أكثر النّسخ في قَبل الأَشْرَاف وما ذكرناه في المقام نقلناه عن نُسخة الشّيخ محمّد عبده فأنّه ضبط في نُسخته قُبيل الأشراف وأمّا الشّارح المُعتزلي وغيره فقد ذكروا في نُسَخهم قُبُل الأشراف بضّم القاف والباء وكيف كان فالمراد به ضدّ الدّبر والمعنىٰ إجْعَلُوا مُعَسْكَرَكُمْ في إستقبال الأماكن العالية المُرتفعة وسفاح الجبال أي أسافلها وأثناء الأنهار أي مُنعطَفاتها وظاهر العبارة التّخيير بين الأشراف وأثناء الأنهار كما يُستفاد من العَطف بكلمة (أو) ويمكن

أن يُراد بالعبارة أنّه إذا لم يكن هناك جبال فأجعلُوا مُعَسكركم في أثناء الأنهار كما اذا كانت الحَرب في الصّحاري والأراضي المُستَوية الّتي لا جبال فيها كَحَرب الجَمَل وصِفين.

▫ **قوله ﷺ: كَيْما يَكُونَ لَكُم رِدْأً ودُونَكُمْ مَرَدّاً ولْتَكُنْ مُقاتَلَتكُمْ مِنْ وجْهٍ واحِدٍ أوْ إثْنيْنِ...**

كي للتّعليل أي كون مُعَسْكَرُكُمْ في قُبُل الأَشْرَافِ وَسِفاحِ الجِبَالِ اوأثناءِ الأَنْهارِيُوجب أن يكون لكم رِدءً وعَوناً في الغَلبة علىٰ الأعداء ولاعدائكم محَلاً ومكاناً للدّفع والرَدّ وهذا بخلاف ما إذا كان الأمر بالعكس بأن كان العدّو في قُبُل الأشراف فأنّه يقع في مقام التّهاجم وأنتم في مقام الدّفع ومن المعلوم أنّ الدّفع أَصعَب ثمّ قال ﷺ: **ولْتَكُنْ مُقاتَلَتكُم منْ وجْهٍ وَاحِدٍ أوْ اثْنيْنِ** وذلك لأنّ المُقاتلة من جميع الجوانب والأطراف تُوجب ضعف العَسكَر بخلافها من وجْهٍ وَاحِدٍ أَوْ إثْنيْن.

▫ **قوله ﷺ: واجْعَلُوا لَكُم رُقَباءَ فِي صَياصِي الْجِبالِ ومَناكِبِ الْهِضَابِ لِئَلَّا يَأْتِيَكُم الْعَدُوُّ منْ مَكانِ مَخافَةٍ أوْ أمْنٍ...**

رُقباء جمع رَقيب وهو النّاظر والمعنىٰ أجْعَلُوا لَكُم رُقَباءَ وناظرين في صَياصِي الجِبالِ وأعاليها لينظروا الىٰ الأعداء.

وهكذا في مَناكِبِ الْهِضَابِ أي مُرتفعات القُلل الّتي لا تَرتفع عن الأرض كثيراً والفائدة فيه قد ذكرها ﷺ: وهي أن لا **يَأْتِيَكُمْ الْعَدُوُّ منْ مَكانِمَخافَةٍ** في الأوّل أو أَمنٍ في الثّاني وذلك لأنّ عدم وجود الرّقباء في صياصي الجبال يُوجب إتيان الْعَدُوُّ منْ مَكانِ مَخافَةٍ وعَدمه في مَناكِبِ الْهِضَابِ يُوجب إتيان العدّو من مكان أَمنٍ وعلىٰ التّقديرين فأنتم علىٰ خطرٍ منه:

▫ **قوله ﷺ: وأَعْلَمُوا أَنَّ مُقدِّمَةَ الْقَوْم عُيُوْنُهُمْ وعُيُونُ الْمُقدِّمَةِ طَلاَئِعُهُمْ...**

وهو أيضاً ممّا لا خفاء فيه فأنّ مُقدّمة العَسكر بمنزلة العيُون للإنسان فكما أنّ الإنسان يرىٰ بعينه كذلك العَسكر يرىٰ بمُقدّمته وعُيُونُ الْمُقدِّمَةِ طَلاَئِعُهُمْ،

جمع طَليعة وهي أوّل ما يطلع وفيما ذكره إيماء الىٰ أنّ المُقدّمة في كلّ عسكرٍ ينبغي أن تتّشكل من أهل البصيرة والشّجاعة والإيمان لا من المُنافقين الجبان وذلك لأنّ هَزيمتهم تُوجب هزيمة العَسكر وإستقامتهم إستقامته.

▫ **قوله ﷺ: وَإِيَّاكُمْ والتَّفرُّقَ فإِذا نَزَلْتُمْ فأَنْزِلُوا جَمِيعاً وإِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَارتَحِلوُا جَمِيعاً...**

وذلك لأنّ التّفرّق والتّشتّت يُوجب الضّعف والوَهن في جميع الموارد ولا سيّما في الحرُوب كما أنّ الإتّفاق يُوجب الغَلبة والظّفر ولأجل هذا أَمَرهم به وحذّرهم عنه ولازم ذلك هو النّزول أو الإرتحال معاً لا أنّ بعضهم ينزل وبعضهم يَرتحل وهو واضح.

▫ **قوله ﷺ: وإِذَا غَشِيَكُمُ اللَّيْلُ فاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً ولا تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلَّا غِرَاراً أَوْ مَضْمَضَةً...**

أي أجعلوا رماحكم مثل كِفّةِ الميزان فأنصبوها مُستديرة حَولكم مُحيطة بكم كأنّها كفّة الميزان ولا تَذُوقُوا النَّوْمَ أي لا تناموا إلّا غِراراً أي نوماً خفيفاً أو مَضمَضة مثل أن ينام ثمّ يَستَيقظ ثمّ ينام تَشبيهاً بِمَضمَضة الماء في الفَم يأخذه ثمّ يَمّجه والحاصل من هذه الكَلمات هو أن لا تكونوا علىٰ غَفلةٍ من الأعداء.

ومن وصيّة له ﷺ (١٢)

لِمَعقل بن قيس الرّياح حين أَنفذه الىٰ الشّام

في ثلاث ألاف مقدمة له:

▫ قوله ﷺ: اتَّقِ اللَّهَ الَّذِي لاُبدَّ لَكَ منْ لِقائِهِ ولا مُنْتَهىٰ لَكَ دُونَهُ ولا تُقاتِلَنَّ إلَّا مِنْ قاتَلَكَ وَسِرِ البَرْدَيْنِ وغَوِّرْ بالنَّاسِ ورَفِّهْ بالسَّيْرِ ولا تَسِرِ أَوَّلَ اللَّيْلِ فإِنَّ اللَّهَ جَعَلهُ سَكَناً وقَدَّرَهُ مُقاماً لا ظَعْناً فارِحْ فِيهِ بَدَنَكَ ورَوِّحْ ظَهْرَكَ فإِذا وَقَفْتَ حِينَ يَنْبَطِحُ السَّحَر أَوْ حَيْنَ يَنْفِجرُ الفَجْرُ فَسِرْ علىٰ بَرَكَةِ اللَّهِ فإِذَا لَقِيتَ الْعَدوَّ فَقِفْ منْ أَصْحَابِكَ وَسْطاً وَلا تَدْنُ منَ الْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِب الْحَربَ ولا تَباعَدَ مِنْهُمْ تَباعُدَ مَنْ يَهابُ الْبأسَ حَتّىَ يَأتِيكَ أَمْرِي ولاَ يَحْمِلَنَّكم شَنأنهم علىٰ قِتالِهِم قَبْلَ دَعائِهِمْ والإعْذارِ إِليهِمْ.

◁ اللّغة

(البَرْدَيْنِ) الغداة والعشي (غَوِّرْ) أي إنزل فأنّ التّغوير القيلولة (رَفِّهْ) فعل أمرٍ من رَفِّه يُرّفه أي هوِّن ولا تتعب نَفسك (ظعناً) الظّعن السّفر (يَنْبَطِحْ) أي يبسط (لا تَدْنُ) أي لا تَقرب (يَهَابُ) أي يَخاف (شنأنهم) الشّنأن البغضاء.

◁ المعنىٰ

(إتَّقِ اللَّهَ الَّذِي لابُدَّ لَكَ مِنْ لِقائِهِ) فأنّ التّقوىٰ مُفتاح كلّ خير (ولا مُنْتَهىٰ لَكَ دُونَهُ) أي أنّ اللّه هو الغاية والمُنتهىٰ (ولا تُقاتِلَنَّ إلَّا مِنْ قَاتَلَكَ) وأمّا غيره

فلا لأنّه ظلم (وسِرِ البَرْدَيْنِ) أيِ إجعل سيرك في الغداة والعَشي (وغَوِّرْ بالنَّاسِ) أيِ أنزل بهم (وَرَفِّهْ بالسَّيْرِ) فلا تَتعب نفسك فيه (وَلا تَسِر أَوَّلَ اللَّيْلِ فإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَكَناً) أي سَبباً للسّكُون والرّاحة (وَقَدَّرَهُ مُقاماً) للبيتُوتة والنّوم (لا ظَعناً) وسَفراً (فارِحْ فِيهِ بَدَنَكَ) أيِ فأجعل بدنك في راحةٍ فيه (ورَوِّحْ ظَهْرَكَ) أي فَقراتك أو أعضائك وجوارحك وقيل الظّهر الأجل (فإِذَا وَقَفْتَ)في مكانٍ (حَينَ يَنْبَطِحُ السَّحَر) وينبسط وهو مجاز عن إستحكام الوقت (أَوْ حَينَ يَنْفِجرُ الفَجْرُ فَسِرْ علىٰ بَرَكَةِ اللَّهِ) الىٰ عدّوك (فإِذَا لَقِيتُ الْعَدوَّ فَقِفْ منْ أصْحَابَكَ وَسْطاً) لكونه آمن وأحفَظ (ولا تَدْنُ) ولا تقرب (منَ الْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يُرِيدُ أنْ يَنْشِبْ الْحَربَ) ويُوجدها (ولا تُباعَدْ مِنْهُمْ) من الأعداء (تَباعُدْ مَنْ يَهَابُ) ويَخاف (الْبأسَ) والشّدة وكُن كذلك (حتَّىٰ يَأْتِيَكَ أمْرِي ولا يَحْمِلَنَّكم) علىٰ الحَرب (شَنأنُهمْ) وبغضائهم (قَبْل دُعائِهِم) ودَعوتهم الىٰ الحقّ (والأَعْذَارِ إليهِمْ) لتتّم الحجّة.

◁ الشّرح

هذا الكلام مِمّا أوصىٰ به معقل بن قيس الرّياح وهو من شيعته وكان من أبطال الكوفة وله رئاسة وقدم أنفذه عليه السلام الىٰ الشّام في ثلاث ألاف مقدّمة له.

□ **قوله عليه السلام : اتَّقِ اللَّهَ الَّذِي لابُدَّ لَكَ منْ لِقائِهِ وَلا مُنْتَهىٰ لَكَ دُونَهُ...**

أَمره بالتّقوىٰ لكونها رأس الخَيرات وأساسها وأنّ من يتّق اللّه يَجعل له مخرجاً ولا سيّما في الجهاد مع أعداء الدّين فأنّ المُجاهد إذا لم يكن جهاده علىٰ هذا الأساس فليس بمُجاهد حقّاً بل جهاده يكون في سبيل الشّيطان والنّفس الأمّارة وحيث أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يُجاهد معاوية ولا غيره إلّا لِلّه تعالىٰ أَمَره بالتّقوىٰ بأنّ هذا السّير لِلّه تعالىٰ لا للدّنيا وفي قوله عليه السلام: **الَّذِي لابُدَّ لَكَ منْ لِقائِهِ وَلا مُنْتَهَىٰ لَكَ دُونَهُ** إشعار بأنّ المَقصَد والمُنتهىٰ هو اللّه تعالىٰ فَينبغي أن يكون العمل خالصاً له قال اللّه تعالىٰ في كتابه: **﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ**

اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لاَ يَمَسُّهُمُ السُّوءُ﴾ (١)

و: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً﴾ (٢)

و: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأعْلَمُوا أنَّكُمْ إلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٣)

و: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأعْلَمُوا أنَّكُمْ مُلاَقُوهُ وَبَشِّرَ الْمُؤمِنِينَ﴾ (٤)

و: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إلىَ اللَّهِ﴾ (٥)

□ **قوله ؑ: ولا تُقاتِلَنَّ إلَّا مَنْ قاتَلَكَ وَسِرِالبَرْدَيْنَ وغَوِّرْ بالنَّاسِ ورَفِّه بالسَّيْرِ...**

وذلك لأنّ غير المُقاتل من النّاس لا ذنب له فمن قـاتله يـعدّ آثـماً وسِـر البَرْدَيْنَ أي الغَداة والعشّي والمُراد بالعشّي آخر اللّيل لا أوّله فلا يُنافي قوله ؑ ولا تَسِر أوّل اللّيل كما يأتي الكلام فيه والمقصود اجعل سيرك فـي هـذين الوقتين.

لا أوّل اللّيل ولا وَسَط النّهار كما قال ؑ: **وغَوِّرْ بالنَّاسِ ورَفِّه بالسَّيْرِ** أي أنزل بهم القائلة والمصدر التّغوير ويقال للقائلة الغائرة هكذا قالوا في شَرح الكلام وعندي إحتمال آخر وهو أن يكون المراد من أمره بالتّغوير المواظبة والمخالطة والمآلفة للنّاس وعدم الإجتناب عنهم فأنّ الغَور كـناية عـن ذلك وبعبارةٍ أُخرىٰ شاورهم فـي الأُمـور وخـالطهم ولا تستبد بـرأيك فأنّ ذلك يُوجب وهَن العسكر وضعفهم وبغضهم بالنّسبة اليك وعليه فالنّاس في كلامه ؑ هُم المعهودون أعني بهم العَسكر ويؤيد هذا الإحـتمال قـوله ؑ ورَفِّـه بالسَّيرِ أي لا تشّق عليهم في السّير في الحّر والبَرد بل أرفـق بـهم ومـحصّل الكلام في الكلّ هو المُداراة معهم في جميع الشّئون:

□ **قوله ؑ: ولا تَسِر أوّلَ اللَّيْلِ فإنَّ اللَّهَ جَعَلهُ سَكَناً وقَدَّرَهُ مُقَاماً لا ظَعناً...**

نهاه عن السّير في أوّل اللّيل وإستّدل ؑ عليه بأنّ اللّه تعالىٰ جَعَلهُ سَكَناً

١- الزّمر-٦١
٢- مريم-٧٢
٣- البقرة-٢٠٣
٤- البقرة-٢٢٣
٥- البقرة-٢٨١

فلا لأنّه ظلم (وسِرِ البَرْدَيْنِ) أي إجعل سيرك في الغداة والعَشي (وغَوِّرْ بالنَّاسِ) أي أنزل بهم (وَرَفِّهْ بالسَّيْرِ) فلا تَتعب نفسك فيه (وَلا تَسِر أوَّلَ اللَّيْلِ فإِنَّاللَّهَ جَعَلَهُ سَكَناً) أي سَبباً للسّكون والرّاحة (وَقَدَّرَهُ مُقاماً) للبيتوتة والنّوم (لا ظَعناً) وسَفَراً (فارِحْ فِيهِ بَدَنَكَ) أي فأجعل بدنك في راحةٍ فيه (ورَوِّحْ ظَهْرَكَ) أي فقراتك أو أعضائك وجوارحك وقيل الظّهر الأجل (فإِذَا وَقَفْتَ)في مكانٍ (حَينَ يَنْبَطِحُ السَّحَر) وينبسط وهو مجاز عن إستحكام الوقت (أوْ حَينَ يَنْفجِرُ الفَجْرُ فَسِرْ على بَرَكَةِ اللَّهِ) الى عدّوك (فإذَا لَقِيتُ الْعَدوَّ فَقِفْ منْ أصْحَابَكَ وَسْطاً) لكونه آمن وأحفَظ (ولا تَدْنُ) ولا تقرب (منَ الْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يُرِيدُ أنْ يَنْشِبُ الْحَربَ) ويُوجدها (ولا تُباعَدْ مِنْهُمْ) من الأعداء (تَباعُدْ مَنْ يَهَابُ) ويَخاف (الْبأسَ) والشّدة وكُن كذلك (حتَّىٰ يَأْتِيكَ أمْرِي ولا يَحْمِلَنَّكم) علىٰ الحَرب (شَنأنُهمْ) وبغضائهم (قَبْل دُعائِهم) ودَعوتهم الىٰ الحقّ (والإِعْذَارِ إليهِمْ) لتتّم الحجّة.

◁ الشّرح

هذا الكلام مِمّا أوصىٰ به معقل بن قيس الرّياح وهو من شيعته وكان من أبطال الكوفة وله رئاسة وقدم أنفذه ﷺ الىٰ الشّام في ثلاث ألاف مقدّمة له.

▫ **قوله ﷺ : اتَّقِ اللَّهَ الَّذِي لابُدَّ لَكَ منْ لِقائِهِ وَلا مُنْتَهَىٰ لَكَ دُونَهُ...**

أَمره بالتّقوىٰ لكونها رأس الخَيرات وأساسها وأنّ من يتّق اللّه يَجعل له مخرجاً ولا سيّما في الجهاد مع أعداء الدّين فأنّ المُجاهد إذا لم يكن جهاده علىٰ هذا الأساس فليس بمُجاهد حقّاً بل جهاده يكون في سبيل الشّيطان والنّفس الأمّارة وحيث أنّ أمير المؤمنين ﷺ لم يُجاهد معاوية ولا غيره إلّا لِللّه تعالىٰ أَمَره بالتّقوىٰ بأنّ هذا السّير لِللّه تعالىٰ لا للدّنيا وفي قوله ﷺ: **الَّذِي لابُدَّ لَكَ منْ لِقائِهِ وَلا مُنْتَهَىٰ لَكَ دُونَهُ** إشعار بأنّ المَقصد والمُنتهىٰ هو اللّه تعالىٰ فَينبغي أن يكون العمل خالصاً له قال اللّه تعالىٰ في كتابه:﴿**وَيُنَجِّي اللّهُ الَّذِينَ**

اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لاَ يَمَسُّهُمُ السُّوءُ﴾ (١)

و : ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً﴾ (٢)

و : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٣)

و : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاَقُوهُ وَبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤)

و : ﴿واتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلىٰ اللَّهِ ﴾ (٥)

□ قوله عليه السلام: ولا تُقاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قاتَلَكَ وَسِرِ البَرْدَيْنَ وغَوِّرْ بالنَّاسِ ورَفِّه بالسَّيْرِ...

وذلك لأنّ غير المُقاتل من النّاس لا ذنب له فمن قاتله يعدّ آثماً وسِر البَرْدَيْنَ أي الغَداة والعشّي والمُراد بالعشّي آخر اللّيل لا أوّله فلا يُنافي قوله عليه السلام ولا تَسِر أوّل اللّيل كما يأتي الكلام فيه والمقصود اجعل سيرك في هذين الوقتين.

لا أوّل اللّيل ولا وَسَط النّهار كما قال عليه السلام: وغَوِّرْ بالنَّاسِ ورَفِّه بالسَّيْرِ أي أنزل بهم القائلة والمصدر التّغوير ويقال للقائلة الغائرة هكذا قالوا في شَرح الكلام وعندي إحتمال آخر وهو أن يكون المراد من أمره بالتّغوير المواظبة والمخالطة والمآلفة للنّاس وعدم الإجتناب عنهم فأنّ الغَور كناية عن ذلك وبعبارةٍ أُخرىٰ شاورهم في الأُمور وخالطهم ولا تستبد برأيك فأنّ ذلك يُوجب وهَن العسكر وضعفهم وبغضهم بالنّسبة اليك وعليه فالنّاس في كلامه عليه السلام هُم المعهودون أعني بهم العَسكر ويؤيد هذا الإحتمال قوله عليه السلام ورَفِّه بالسَّيْرِ أي لا تشّق عليهم في السّير في الحّر والبَرد بل أرفق بهم ومحصّل الكلام في الكلّ هو المُداراة معهم في جميع الشّئون:

□ **قوله عليه السلام: ولا تَسِر أوّلَ اللّيْلِ فإنَّ اللَّهَ جَعَلهُ سَكَناً وقَدَّرَهُ مُقاماً لا ظَعناً...**

نهاه عن السّير في أوّل اللّيل وإستّدل عليه السلام عليه بأنّ اللّه تعالىٰ جَعَلهُ سَكَناً

١- الزّمر ـ ٦١
٢- مريم ـ ٧٢
٣- البقرة ـ ٢٠٣
٤- البقرة ـ ٢٢٣
٥- البقرة ـ ٢٨١

وقدّره مقاماً أي محلاً ومكاناً أو زماناً لِلإقامة والإستراحة فيه لا ظعناً وَسَفراً وفيه إشارة الىٰ قوله تعالىٰ حيث قال:﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً**﴾(١)

و : ﴿**وَمِن رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾(٢) وغيرها من الآيات:

▫ **قوله ﷺ: فَأَرِح فِيهِ بَدَنَكَ ورَوِّح ظَهْرَكَ فَإِذا وَقَفْتَ حَيْنَ يَنْبَطِحُ السَّحَر أَوْ حِينَ يَنْفِجرُ الفَجْرُ فَسِرْ علىٰ بَرَكَةِ اللَّهِ...**

قوله فأَرِح، فعل أمر من أراح يُرِيح مثل أقام يقيم فالأمر منه أَرِح بفتح الهمزة وكسر الرّاء وهو مأخوذ من الرّاحة والمعنىٰ أرِح بدنك في اللّيل من أتعاب اليوم وقوله وَروّح ظهرك أيضاً فعل أمرٍ من روّح يُرَوّح والمصدر منه التّرويح قال الشّارح المُعتزلي المراد بالظّهر في كلامه الإبل وإستدل عليه بقولهم بنو فلان مظهرون أي لهم ظهر ينقلون عليه كما تقول مُنجَبون أي لهم نجائب انتهىٰ وعليه فالمعنىٰ وروّح إبلَك أي إجعلها في راحةٍ من السّير في اللّيل، ثمّ قال:

وقال الرّاوندي الظّهر الخيول وليس بصحيح والصّحيح ما ذكرناه، وأنّا أقول كلام الرّاوندي أنسب بالمقام من كلام المُعتزلي فأنّ المَركب كثيراً ما يكون في الحروب الخيل لا الإبل ولا سيّما فيما نحن فيه إذ لم نسمع من أحدٍ من المؤرخين القول بأنّ مراكب أصحاب علّي ﷺ في وقعة صفّين كانت إبلاً بل إتفقوا علىٰ كونها خيولاً نعم في صدر الإسلام كانت المراكب خيولاً وإبلاً لفقر المسلمين وأنّهم إذا إحتاجوا الىٰ لحومها نحروها وأمّا بعد ذلك فالمراكب كلّها من الخيول وكيف يعقل أن يكون المركب من الإبل في معركة القتال فهذا ممّا لم نَسمعه إلاّ منه ومع ذلك كلّه لا نقول أنّ ما ذكره الرّاوندي حقّ بل أقول إذا دار الأمر بين التّفسيرين المذكورين فما قاله الرّاوندي أَحقّ وأولىٰ ممّا ذكره

١- يونس ـ٦٧   ٢- القصص ـ٧٣

المُعتزلي وإلّا فهو في حدّ نفسه مخّل كلامٍ وهو أنّه أيّ دليلٍ دلّ على حمل الظّهر في كلامه ﷺ على الخيول أو الإبل وأمّا ما ذكره المُعتزلي وجَعله دليلاً علىٰ مُدّعاه فهو كما ترىٰ

إذ مجّرد قولهم بنو فلان مُظهرون أي لهم ظهر ينقلون عليه الىٰ آخر ما قال لا يدّل علىٰ إرادة هذا المعنىٰ من اللّفظ أينما وُجد وإلّا يلزم هذا التّفسير في قوله تعالىٰ: **﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾** (١) أي أنقض إبلَك وذلك لعدم وجود الفرق بين المقامين فأن صّح هذا التّفسير في قوله تعالىٰ صّح في المقام وإلّا فلا وهكذا غيرها من الآيات مثل قوله تعالىٰ: **﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾** (٢)

فعلىٰ ما ذكره معناه ما ترك علىٰ إبلها، وقوله تعالىٰ: **﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُوراً﴾** (٣)

أي وراء إبله وهل يقول عاقل بهذه المقالة السّخيفة الباطّلة ثمّ هل يجوز تفسير كلام المعصوم هكذا فأقض ما أنت قاض:

والّذي نقول به في تفسير الكلام هو حمله علىٰ ظاهره من غير تصّرفٍ فيه كما في الآيات وهو أنّ المراد بالظّهر في كلامه ﷺ هو معناه المُصطلح المُتعارف بين النّاس المعبّر عنه بالفارسية (پُشت) وحيث أنّ الإنسان حين النّوم يجعل ظهره علىٰ الأرض ليستريح وينام فلا محالة يكون ظَهره مُروّحاً أي في راحةٍ ونشاطٍ من التّعب الّذي حَصَل له في اليَقظَة فقوله ﷺ: **وروِّح ظَهْرَكَ** معناه ترويح الفقَرات أو هو كناية عن النّوم الّذي هو سببٌ للتّرويح في ظهره وعليه فهو من قبيل ذكر المسّبب وإرادة السّبب وأن كنتَ ولابدّ لك من حَمله علىٰ غير ما ذكرناه فإجعل الظّهر كناية عن العَسكر فأنّ العَسكَر للأمير بمنزلة الظّهر لِلإنسان وعليه فالمعنىٰ روّح عَسكَرك بالتّوقف في اللّيل:

فإذا وَقَفت علىٰ ما أمرتك في أوّل اللّيل فلا تنم فيه الىٰ طَلوع الشّمس بل

١-النشرح آيه ٢

٢- فاطر-٤٥

٣- الانشقاق-١٠

الىٰ حين ينبطح السّحر ويبسط أو حين ينفجر الفجر أي أن لم تَسِر في السّحر لعُذرٍ فسِر حين طلوع الفجر علىٰ بركة اللّه ولا تتأخر السّير عنهما وفي قوله علىٰ بركَة اللّه إشارة الىٰ التّوبة اليه في أوّل الحركة:

▫ **قوله ﷺ: فإذَا لَقِيتُ الْعَدوَّ فَقِفْ منْ أصْحَابِكَ وَسْطاً...**

وذلك لأنّ العدو يريد الأمير أوّلاً لعلمه بأنّ الأمير إذا قُتل أو أُسر فلا قوام للجيش بعد فهو في العَسكر كالرّأس من الجَسد فكما أنّ قطع الرّأس مَوت الجَسد كذلك قتل الأمير قتل الجيش ولذلك يجب حفظه ولاشك أنّ حِفظه بوقوفه في الوَسَط عادةً ولذلك أمَره ﷺ به:

▫ **قوله ﷺ: وَلا تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يُرِيْدُ أنْ يَنْشِب الْحَرْبَ وَلا تَبَاعَدْ مِنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ الْبأسَ حَتَّىٰ يَأتِيَكَ أَمْرَى ...**

أي ولا تقرب من العدّو كقُرب من يريد أن يُوجد الحَرب ولا تُباعد عنهم كتباعُد من يَخاف البأس وشدّة الحَرب وكُن كذلك حتّىٰ يأتيك أمري والوجه فيه أيضاً واضح:

▫ **قوله ﷺ: ولا يَحمِلَنَّكم شَنأنُهمْ عَلىٰ قِتالِهِمْ قَبْلَ دَعائِهِمْ والإعْذَارِ إليهِمْ...**

أي لا يَحمِلَنَّكم علىٰ الحَرب بُغضهم قبل أن تَدعوهم الىٰ الحقّ وإتـمام الحُجّة عليهم أي يجب عليك أوّلاً دعوتهم الىٰ الحـقّ بـالحكمة والمـوعظة الحَسنة.

ثمّ بعد ذلك يجب إتمام الحُجّة عـليهم فأن لم يـقبلوا فـلا مَـحيص عـن الحَرب وأنّما قال ﷺ ذلك لأنّ الغَرض من الحَرب في الإسلام ليس إلّا إعلاء كلمة التّوحيد وإرشاد النّاس الىٰ ما هو خير لهم في الدّارين لا إعمال القُدرة والسُّلطة كما في الحرُوب الواقعة بين السّلاطين الّتي مَنشأها حُبّ الرّئاسة أو كسب الأموال وغيرها من الأغراض المادّية:

ومن كتابٍ له ﷺ (١٣)
الىٰ أميرين من أُمراء جيشه

▫ قوله ﷺ: وقدْ أَمَّرتُ عَليكما وعلىٰ مَنْ في حَيِّزِكما مالِكَ بْنَ الحَارِثِ الأَشْتَرَ فأَسْمَعا لهُ وأَطِيعَا وأجْعَلاَهُ دِرْعاً ومِجَنّاً فإنَّهُ مِمَّنْ لا يَخافُ وَهْنَهُ ولا سَقْطَتَهُ ولا بُطْؤُهُ عَمَّا الإسْرَاعُ إِليْهِ أَحْزَمُ ولا إِسْرَاعُهُ إِلىٰ مَا الْبُطْؤُ عَنْهُ أَمْثَلُ...

◁ اللّغة

(الحَيِّز) بفتح الحاء وكسر الياء المُشدّدة ما يَتحَيَّز ويتّمكن فيه الجسم (مِجَنّاً) بكسر الميم وفتح الجيم التّرس (أَحْزَمُ) أفعل التّفضيل من الحَزم وهو الإحتياط وقيل الحَزم الجَزم والأوّل أولىٰ (أَمْثَلُ) أولىٰ وأَحسَن.

◁ الشّرح

▫ قوله ﷺ: وقدْ أَمّرتُ عَليكما وَعَلى مَنْ في حَيِّزِكما مالِكَ بْنَ الحَارِثِ الأَشْتَرَ فَأَسْمَعا لهُ وأَطِيعَا...

أَمّرتُ بتشّديد الميم من التّأمير وهو متكّلم وحدّة من أمّر أي جعلته أميراً والمعنىٰ أنّي جعلت مالك عليكما وعلىٰ من في حَيّزكما ونـاحيتكما أَميراً فأسمعا له وأطِيعَا وأحذرا مُخالفته وعصيانه فأنّ الإنقياد له يرجع في الحقيقة الىٰ الإنقياد لِللّه ورسوله وعصيانه كذلك:

□ **قوله ﷺ: وأَجْعَلاهُ دِرْعاً ومِجَنّاً فإِنَّهُ مِمَّنْ لا يَخافُ وَهْنَهُ ولا سَقْطَتَهُ ولا بُطْؤُهُ عَمَّا الإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ ولا إِسْرَاعُهُ إِلىٰ ماالْبُطؤُ عَنْهُ أَمْثَلُ...**

هذه كلّها أوصاف مالك شَبَّهه ﷺ تارةً بالدِّرع وهو بكسر الدّال ما يُلبَس من مَصنُوع الحديد للوقاية من الضّرب والطّعن وأُخرىٰ بالمِجَنّ وهو التُّرس وبالفارسية يُقال له (سِپر) ووجه الشّبه فيهما ظاهر فكما أنّ الدِّرع والمِجَنّ يَحفظان الإنسان عن ضرب السّيف والسّنان كذلك الرّجل الشّجاع العاقل يحفظ الجَيش عن الإنهِزام ولا سيّما إذا كان أميراً عليهم ومالك كان كذلك ولذلك قال ﷺ: **إجعلاه** أي إجعلا مالِك فيكم بمنزلة الدِّرع والمِجَنّ فأنّه مِمّن لا يَخاف وَهنه وضَعفه ولا سقطته وزَلّته فهو كالجبل الرّاسخ لا تَحركه العَواصف وأيضاً لا يَخاف بُطئُوه عَمَّا الإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ وأيضاً لا يَخَافُ إِسْرَاعُهُ إِلىٰ مَا الْبُطؤُ عَنْهُ أَمْثَلُ أي أنّه لا يبطئ في موردٍ تكون السّرعة فيه أحزم وأجزَم بل يُسرع ولا يُسرع فيما كان بُطئوه أحسن وأمثَل فهو مُسرعٌ في مورد الإسراع ومُبطئ في مورد البُطئ وهو أدَل دليلٍ علىٰ أنّه يجب أن يُقتدىٰ به ولنَذكر نبذةً من حالاته:

نسب مالك وفضله ومَوته: أمّا نَسَبه فهو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن خزيمة بن سعد بن مالك بن النّخع بن عمرو بن عُلة بن خالد بن مالك بن أُدَد.

وأمّا فضائله ومَحاسنه فكثيرة مشهورة كيف وهو مِمّن يُضرب به المَثل في الشّجاعة والحلم والعلم وغيرها من الصّفات الكمّالية وقال الشّارح المُعتزلي في وصفه، كان فارساً شجاعاً رئيساً من أكابر الشّيعة وعُظمائها شديد التّحقق بولاء أمير المؤمنين ونصره وقال فيه بعد مَوته رحم اللّه مالكاً فلقد كان لي كما كُنتُ لرسول اللّه ﷺ انتهىٰ.

أقول: وقد ورد في مَدحه عن أمير المؤمنين ﷺ ماوَرد وهو يَكفيه فقد روي أنّ الأشتر لما تَهيأ للخروج الىٰ مِصر وقدم أمير المؤمنين كتب ﷺ:

الىٰ أهل مصر بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم سلام عليكم فأنّي أحمد اليكم اللّه الّذي لا إله إلّا هو وأسأله الصّلوة علىٰ نبيّه محمّد وآله وأنّي قد بَعثت اليكم عبداً من عباد اللّه لا ينام أيّام الخَوف ولا ينكل عن الأعداء حَذر الدّوائِر من أشَدّ عَبيد اللّه بأساً وأكرمهم حسباً، أَضّر علىٰ الفُجّار من حريق النّار وأبَعد النّاس من دنسٍ أو عار وهو مالك بن الحارث الأشتر لأنا بي الضّريبة ولا كليل الحدّ حليمٌ في الحذر رزينٌ في الحَرب ذو رأيٍ أصيل وصَبرٍ جَميل فأسمعوا له وأطيعوا أَمره فأن أمركم بالنّفير فأنفروا وأن أَمَركم أن تقيموا فأقيموا فأنّه لا يقدم ولا يَحجم إلّا بأَمري فقد آثرتكم به علىٰ نفسي نصيحة لكم وشدّة شكيمة علىٰ عدّوكم عَصَمكم اللّه بالهُدىٰ وثَبّتكم بالتّقوىٰ وَفقنا وأيّاكم لما يحبّ ويرضىٰ والسّلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

وهذا الكتاب الّذي صَدر عن الإمام المعصوم خليفة ربّ العالمين يكفي في مَدح الرّجل ولا سيّما قوله عليه السلام فيه (**فقد آثرتكم به علىٰ نفسي**) فأنّي لم أَرَ هذا القسم من المَدح منه عليه السلام أو من غيره من المَعصومين في حقّ أحد من أصحابهم ومنه يظهر فضل المالك علىٰ جميع أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وهكذا قوله عليه السلام في حقّه، فلقد كان لي كما كُنت لرسُول اللّه فلا نحتاج الىٰ إطالة الكلام وبسط المقال في ماوَرد في فضله ومَدحه.

وأمّا وفاته، فالمشهور أنّه توفىٰ بالقلزم في طريق مِصر مسمُوماً، قالوا لمّا خرج الأشتر من الكوفة والياً علىٰ مِصر من قِبل أمير المؤمنين ودَخل القَلزم في أرض مِصر فأستَقبله دهقان من أهل الخراج وقد كَتب اليه معاوية من قبل أنّ الأشتر قد بُعث الىٰ مِصر فأن كَفيتنيه سَوغتك خراج ناحيتك مابَقيت فأحتل في قتلته بما قدرت عليه وقال أنا رجل من أهل الخراج ولَك ولأصحابك علّي حقّ في إرتفاع أرضي فأنزل علّي أَقم بأَمرك وأَمر أصحابك وعلف دوابكم وأتسب بذلك من الخراج فنزل عليه الأشتر فأقام له ولأصحابه بما إحتاجوا اليه وحَمل اليه طعاماً دَسَّ في جملته عَسلاً جَعل فيه سَمّاً فلمّا شربه الأشتر قتله ومات.

وقال بعض المؤرّخين أنّ السّم أرسَله معاوية من الشّام ثمّ جمع طُغاة الشّام وقال لهم أنّ علياً قد بعث بالأشتر الىٰ مصر فَهلّموا فدعوا اللّه عليه يكفينا أمره فدعا ودَعَوا مَعه فلمّا قُتل مالك قال لهم أبشروا فأنّ اللّه قد أجاب دُعاءكم وكفاكم الأشتر وأماته فسّروا بذلك وأستَبشروا به.

وأمّا علّي عليه السلام فلمّا بلغ اليه وفاة الأشتر جَعَل يَتّلَهف ويَتأسَف عليه ويقول لِلّه دَرُّ مالِك لو كان من جبل لكان أعظم أركانه ولو كان من حَجر لكان صَلداً أَما واللّه لِيَهدنّ موتك علينا فعلىٰ مثلك فَلتبك البَواكي ثمّ قال إنّا لِلّه وإنّا اليه راجعون والحمد لِلّه ربّ العالمين أحتبسه عندك فأنّ مَوته من مصائب الدّهر فَرحم اللّه مالكاً فقد وفىٰ بعهده وقضىٰ نَحبه ولقىٰ ربّه مع إنّا قد وطّنا أنفُسنا أن نصبر علىٰ كلّ مُصيبة بعد مصابنا برسول اللّه فأنّها أعظم المُصيبة انتهىٰ.

وأمّا معاوية فلمّا بلغه مَوته قام خطيباً في أهل الشّام ثمّ قال أمّا بعد فأنّه كان لعلّي بن أبي طالب يدان يمينيان فقطعت أحديها يوم صّفين وهو عمّار بن ياسر وقد قُطعت الأُخرىٰ اليوم وهو مالك الأشتر.

ومن وصيّة له عليه السلام (١٤)

لعسكره قبل لقاء العدّو بصّفين

□ قوله عليه السلام: لا تُقاتِلُوهُمْ حتّىٰ يَبْدَؤُكُمْ فإنَّكُمْ بِحَمْدِ اللّٰهِ علىٰ حُجَّةٍ وَتَرْكُكُمْ إيَّاهُمْ حتّىٰ يَبْدَؤُكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَىٰ لَكُمْ عَلَيْهِمْ فإذَا كانَتِ الهَزِيمَةُ بإذنِ اللّٰهِ فَلاَ تَقْتُلُوا مُدْبِراً وَلا تُصِيبُوا مُعْوِراً وَلا تَجْهزُوا عَلىٰ جَريحٍ ولا تَهِيجُوا النِّساءَ بأذىً وإنَّ شَتَمْنَ أعْرَاضَكُمْ وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ فإنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوىٰ والأَنْفُسِ والْعُقُوْلِ.إنْ كُنَّا لَنُؤمَرُ بالكَفِّ عَنْهُنَّ وإنَّهُنَّ لِمُشْرِكاتٌ وإنْ كانَ الرَّجُلُ لَيتَناوَلُ المَرْأةَ في الجَاهِلِيَّةِ بالْفِهْرِ أوْ الهِرَاوَةِ فَيُعَيَّرُ بِهَا وعَقِبُهُ منْ بَعْدِهِ:

وكان يقول عليه السلام (إذا لقي العدّو محارباً)اللَّهمَّ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ .ومُدَّتِ الأَعْناقُ وشَخَصَتِ الأَبْصَارُ ونُقِلَتِ الأَقْدَامُ وأُنْضِيَتِ الأَبْدَانُ اللَّهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْتُومُ الشَّنَآنِ وَجاشَتْ مَرَاجِلُ الأَضْغانِ اللَّهُمَّ إنَّا نَشْكُوا إلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنا. وكَثْرَةَعَدُونا. وتَشَتُّتِ أهْوَائِنا. رَبَّنا أفْتَحْ بِيْنَنا وَبَيْنَبالْحقِّ وَأنْتَ خَيْرُ الفَاتِحين،وكان يقول عليه السلام لأصحابه عند الحَرب:

لا تَشْتَدَنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَها كَرَّةٌ ولا جَوْلَةٌ بَعْدَها حَمْلَةٌ وَأعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَها. وَوَطِّئُوا لِلْجُنُوبِ مَصارِعهَا وأذْمُرُوا أَنْفُسَكُم علىٰ الطَّعْنِ الدَّعْسِيِّ والضَّرْبِ الطِّلَحْفِي وأَمِيتُوا الأَصْوَات فإنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفشَلِ فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحبَّةَ وَبَرَأَ النَّسمةَ مَا أَسْلَمُوا وَلكِن اسْتَسلَمُوا وأَسَرُّوا الْكُفْرَ فَلمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عليْهِ أظْهَرُوهُ.

وقال بعض المؤرّخين أنّ السّم أرسَله معاوية من الشّام ثمّ جمع طُغاة الشّام وقال لهم أنّ علياً قد بعث بالأشتر الىٰ مصر فَهلّموا فدعوا الله عليه يكفينا أمره فدعا ودَعَوا مَعه فلمّا قُتل مالك قال لهم أبشروا فأنّ الله قد أجاب دُعاءكم وكفاكم الأشتر وأماته فسّروا بذلك وأستَبشروا به.

وأمّا علّي عليه السلام فلمّا بلغ اليه وفاة الأشتر جَعَل يَتّلَهف ويَتأسَف عليه ويَقول لِللّه دَرٌ مالِك لو كان من جبل لكان أعظم أركانه ولو كان من حَجر لكان صَلداً أَما والله لِيَهدنّ موتَك علينا فعلىٰ مثلك فَلتبك البَواكي ثمّ قال إنّا لِللّه وإنّا اليه راجعونَ والحمد لِللّه ربّ العالمين أحتبسه عندك فأنّ مَوته من مصائب الدّهر فَرحم الله مالكاً فقد وفىٰ بعهده وقضىٰ نَحبه ولقىٰ ربّه مع إنّا قد وطّنا أنفُسنا أن نصبر علىٰ كلّ مُصيبة بعد مصابنا برسول الله فأنّها أعظم المُصيبة انتهىٰ.

وأمّا معاوية فلمّا بلغه مَوته قام خطيباً في أهل الشّام ثمّ قال أمّا بعد فأنّه كان لعلّي بن أبي طالب يدان يمينيان فقطعت أحديها يوم صّفين وهو عمّار بن ياسر وقد قُطعت الأُخرىٰ اليوم وهو مالك الأشتر.

ومن وصيّة له عليه السلام (١٤)

لعسكره قبل لقاء العدّو بصّفين

▫ قوله عليه السلام: لا تُقاتِلُوهُمْ حتّىٰ يَبْدَؤُكُمْ فإنّكُمْ بِحَمْدِ اللّهِ علىٰ حُجَّةٍ وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حتّىٰ يَبْدَؤُكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَىٰ لَكُمْ عَلَيْهِمْ فإذَا كانَتِ الهَزِيمَةُ بإذنِ اللّهِ فَلاَ تَقْتُلُوا مُدْبِراً وَلا تُصِيبُوا مُعْوِراً وَلا تَجْهِزُوا عَلىٰ جَريح ولا تَهِيجُوا النِّساءَ بأذىً وإنَّ شَتَمْنَ أعْرَاضَكُمْ وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ فإنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوىٰ والأَنْفُسِ والْعُقُوْلِ.إنْ كُنَّا لَنُؤمَرُ بالكَفِّ عَنْهُنَّ وإنَّهُنَّ لِمُشْرِكاتٌ وإنْ كانَ الرَّجُلُ لَيَتناوَلُ المَرْأةَ في الجَاهِلِيَّةِ بالْفِهْرِ أوْ الهِرَاوَةِ فَيُعَيَّرُ بِهَا وعَقِبُهُ منْ بَعْدِهِ:

وكان يقول عليه السلام (إذا لقي العدّو محارباً)اللَّهمَّ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ .ومُدَّتِ الأَعْنَاقُ وشَخَصَتِ الأَبْصَارُ ونُقِلَتِ الأَقْدَامُ وأُنْضِيَتِ الأَبْدَانُ اللَّهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْتُومُ الشَّنآنِ وَجاشَتْ مَرَاجِلُ الأَضْغانِ اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُوا إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنا. وكَثْرَةَعَدُونا. وتَشَتُّتِ أهْوَائِنا. رَبَّنا أفْتَحْ بِيْنَنا وَبَيْنَبالْحقِّ وَأَنْتَ خَيرُ الفَاتِحين،وكان يقول عليه السلام لأصحابه عند الحَرب:

لا تَشْتَدَنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَها كَرَّةٌ ولا جَوْلَةٌ بَعْدَها حَمْلَةٌ وَأعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَها. وَوَطِّئُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعها وأذْمِرُوا أَنْفُسَكُم علىٰ الطَّعْنِ الدَّعْسِيِّ والضَّرْبِ الطِّلَحْفِي وأَمِيتُوا الأَصْوَات فإنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفشَلِ فوَ الَّذِي فَلَقَ الْحبَّةَ وبَرَأَ النَّسمةَ مَا أسْلَمُوا وَلكِن اسْتَسلَمُوا وأَسَرُّوا الْكُفْرَ فَلمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عليْهِ أظْهَرُوهُ.

◁ اللّغة

(مُعْوِراً) بضَم الميم وسكون العين علىٰ وزن مُجرم، الّذي أمكن من نفسه وعجز عنْ حمايتها (الْفِهْرِ) بكسر الفاء وسكون الهاء الحجر علىٰ مقدار ما يدّق به الجوز أو يملأُ الكفّ (الهِرَاوَةِ) بكسر الهاء العَصا أو شبه الدّبوس من الخشب (أَفْضَتِ) أنتهت وَوَصلت (أُنْضِيَتِ) يضّم الهمزة بصيغة المجهول أيِ أُبليت بالهزيل والضّعيف في طاعتك (الشّنآنِ) البغضاء (جاشَتْ) غَلَت (مَرَاجِلُ) جمع مرجل وهو القِدر (الأَضْغانِ) جمع ضِغن وهو الحِقد أو الحَسَد (وَطَّئُوا) مَهّدوا (لِلْجُنُوبِ) جمع جنب (مَصَارِعَها) جمع مَصرَع وهو مكان السّقوط (اذْ مُرُوا) علىٰ وزن أكتبوا أي حَرضَوا (الطّعْنِ الدَّعْسِيِّ) إسم من الدّعس أي الطّعْنِ الشّديد (الطَّلَحْفَي) بفتح الطّاء واللاّم وسكون الحاء وفتح الفاء أشدّ الضّرب (أَطْرَدُ) من الطّرد وهو المنع (لِلْفَشِل) بفتح الفاء وكسر الشّين الضّعف والوَهن (فَلَقَ) شقّ (بَرَأَ) أو أوجد وخَلَق:

◁ المعنىٰ

(لا تُقاتِلُوهُمْ) أي لا تقاتلوا الأعداء (حَتّىٰ يَبْدَؤُكُمْ) بالقتال (فإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلىٰ حُجَّةٍ) واضحة (وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتّىٰ يَبْدَؤُكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَىٰ لَكُمْ) وهي أنّكم لا تريدون القتال (عَلَيْهِمْ) علىٰ الأعداء (فإِذَا كانَتِ الهَزِيمَةُ) والفرار من العدو (بإِذنِ اللَّهِ تَعالىٰ فَلاَ تَقْتُلُوا مدْبِراً) مُعرضاً عنكم بِفَراره (وَلا تُصِيبُوا مُعْوِراً) عاجزاً عن حماية نفسه (وَلا تُجْهِزُوا عَلىٰ جَرِيحٍ) أي لا تقتلوه (وَلا تَهِيجُوا النِّساءَ بأذىً وإِنْ شَتَمْنَ) النّساءَ (أَعْرَاضَكُمْ وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ) وذلك (فإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوىٰ والأَنْفُسِ) أي جسماً وروحاً (والْعُقُولِ) عقلاً (إِنْ كُنَّا) أي أنّه كُنّا (لَنُؤْمَرُ) من اللّه ورسوله (بالكَفِّ عَنْهُنَّ) من حيث الأذىٰ (وَأَنَّهُنَّ) أي والحال أنّهنّ (لَمُشرِكاتُ) فكيف وأنّهنّ الآن لمُسلمات (وإِنَ كانَ الرَّجُلُ لَيتَناوَلَ المَرْأَةَ) بالفجور بها (في الجَاهِلِيَّةِ بالْفِهْرِ) وهو مُدّ من الطّعام

(**أَوْالهِرَاوَةِ**) أي العصا والخشب (**فَيُعَيَّرُ بهَا وعَقِبُهُ منْ بَعْدِهِ**) أي وُلده (**اللَّهُم أَفْضَتِ**) أي انتهَت ووَصلت (**الْقُلُوبُ ومُدَّتِ الأَعْناقُ**) ذُلّاً وإنقياداً (**وشَخَصَتِ الأَبْصَارُ وَنُقِلَتِ الأَقْدَامُ وأُنْضِيَتِ**) وأُبليت بالهزيل والضَّعف (**الأَبْدَانُ اللَّهُمَ قَدْ صَرَّحَ**) القوم (**مَكْتُومُ الشَّنَآنِ**) أي ما كانوا يكتمونه من البغضاء (**وجاشَتْ**)وغَلَت (**مَرَاجِلُ الأَضْغانِ**) أي قدور الضّغن والحَقد.

(**اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُوا إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنا وكَثْرَةَ عَدُونا. ونَشَتُّتِ أَهْوَائِنا.**) وإختلافها (ربّنا أفتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين (**لا تَشْتَدَنَّ**) أي لا تكون شديداً صعباً (**عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ**) أي الفرار (**بَعْدَها كَرَّةٌ**) والهُجموم علىٰ العدّو (**ولا**)أي ولا **تَشْتَدَنَّ عَلَيْكُمْ** أيضاً (**جَوْلَةٌ بَعْدَها حَمْلَةٌ وأَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَها**) بأصلاحها أو الجهاد بها في سبيل اللّه.

(**وَوَطِّئُوا**) وَمَهِّدوا (**لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَها**) وأماكِن سقوطها، (**وأَذْمُرُوا**)وحَرِضّوا (**أَنْفُسَكُم علىٰ الطَّعْنِ الدَّعْسِيِّ**) الشّديد (**والضَّرْبِ الطِّلَخْفَي**) وَهُوَ أشدّ الضَّرْبِ (**وأَمِيتوُا الأَصْوَات**) بالسّكُوت حين الحَرب (**فإنَّهُ**) أي السّكوت (**أَطْرَدُ**) وأمنع (**لِلْفشَلِ**) والوَهن (**فَوَالَّذِي**) أي أُقسم بالّذي (**فَلَقّ**) وشقّ (**الحَبَّة**) في تحت الأرض (**وَبَرَأَ النَّسمَةَ**) وأوجد الخلق (**مَا أَسْلَمُوا**) هؤلاء أي معاوية وأصحابه (**ولكِن اسْتَسْلَمُوا**) أي تظاهروا بالإسلام (**وأَسَرُّوا الْكُفْرَ**) في قلوبهم (**فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً**) وأنصاراً (**عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ**) من بُطونهم.

◁ الشّرح

▫ **قوله** ؏: **لا تُقاتِلُوهُمْ حتّىٰ يَبْدَؤُكُمْ فإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللّٰهِ عَلىٰ حُجَّةٍ وَتَرْكُكُمْ أَيَّاهُمْ حتّىٰ يَبْدَؤُكُمْ حُجَّةٌ أُخْرىٰ لَكُمْ عَلَيْهِمْ...**

نهاهم عن القتال بدواً فقال لا تقاتلوهم حتّىٰ يبدؤكم فإذا بدؤكم بالقتال فأقتلوهم، وإستّدل ؏ علىٰ منع الإبتداء بالقتال بكونهم علىٰ حُجّةٍ بعد حُجّةٍ فأثبت ؏ لهم حُجّتين حُجّةٌ في أصل القتال وحُجّة في ترك الإبتداء به، أمّا الحُجّة الأُولىٰ فأنّها ثابتة لهم في أصل القتال مع قطع النّظر عن الإبتداء به وذلك

لكونهم على الحقّ واقعاً وظاهراً،

أمّا واقعاً فلأنّ الإمام بعد رسول اللّه أمير المؤمنين بنّصٍ من اللّه ورسوله في حقّه فمن تبعه يكون على حجّةٍ من ربّه لأنّه أطاع مَن أمَرَ الرّسول بطاعته ونهىٰ عن مخالفته وأيّ حجّةٍ أقوىٰ منه وأمّا ظاهراً على مذاق القوم فلبيعة النّاس أيّاه بعد عثمان على ما بايعوه أبا بكر وعُمر وعثمان على ما مَرّ الكلام فيه وقد لزمته أي معاوية وأصحابه، البيعة وهو بالشّام وليس للغائب أن يرّد على ما إعترفوا به وعليه فالقتال مع معاوية كان واجباً لازماً وأمّا معاوية فلم تكن له حجّة في قتاله وهو أمرٌ إتّفق الكلّ عليه فقد ثبت كونهم علىٰ حجّةٍ وهو المطلوب وأمّا الحجّة الثّانية الثّابتة لهم في صورة عدم الإبتداء بالقتال فالوجه فيها أنّ علّياً ﷺ لم يقصد بقتاله مع معاوية إلّا قمع الشّرك والكفر وإضمحلال الباطل وإرشاد أهل الشّام الىٰ طريق الصّواب وهذا أنّما يتّم في عدم الإبتداء بالقتال أوّلاً مشعراً بإنّا لا نريد قتلكم ولا قتالكم بل نُريد إصلاحكم ولأجل هذا لا نقاتلكم حتّىٰ تقاتلونا وقد عرفت في كلامه السّابق الّذي قاله لمعقل بن قيس ما يدّل علىٰ ذلك حيث قال، ولا يحملنّكم شنآنهم علىٰ قتالهم قبل دعائهم والأعذار اليهم، فهذا الكلام صريح في المدّعىٰ.

▫ **قوله ﷺ: فَاذَا كانَتِ الهَزِيمَةُ بِإذنِ اللّهِ فَلاَ تَقْتُلُوا مُدبِراً وَلا تُصِيبُوا مُعْوِراً ولا تُجْهِزُوا عَلىٰ جَرِيحٍ...**

أي إذا غلبتم علىٰ العدّو وهَزمتمُوهم بأذن اللّه تعالىٰ فلا تقتلوا مُدبراً مُعرضاً ولا من كان عاجزاً ولا مَن كان جريحاً.

وذلك لأنّ قتل هؤلاء الأشخاص يدّل علىٰ قساوة القاتل وبُعده عن مقام الإنسانيّة وعدم مُراعاته لحقّ الشّريعة والإسلام أشرف وأفضل من أن يأمر أتباعه بإرتكاب هذه الشّنائع الّتي حكم بقبحها العقل والشّرع وحيث أنّ أمير المؤمنين كان إمام المُسلمين حقّاً ومع ذلك كان مُؤدباً بآداب اللّه ورسوله نهاهم عن ذلك وهذا دليل علىٰ حقّانيته وأمّا غيره من الخُلفاء الغاصبين فلم

يُراعوا حقّ الإسلام ولا حقّ الإنسان ألا ترىٰ أنّ بني أُمّية فعلوا بأولاد الرّسول في وقعة الطّف من القتل والنّهب والمُثلة وغيرها من الأمور الشّنيعة ما يعجز القَلم عن تَحريره ويكلّ اللّسان عن بيانه.

فأنظر أيّها القارئ المُنصف بوصايا أمير المؤمنين الىٰ جيشه وبوصايا يزيد بن معاوية الىٰ جيشه حين بَعَثهم الىٰ المدينة في وقعة الحرّة بإمارة مسلم بن عقبة بعد القَتل في حرم الرّسول إباحة نساء المُهاجر والأنصار وبناتهم علىٰ جيشه ثلاثة أيّام ولم يكن هذه الرّؤية من مُختصات يزيد بن معاوية بل كلّهم كانوا كذلك فأنّ حكم الأمثال واحد.

▫ **قوله ﷺ: ولا تَهِيجُوا النِّساءَ بأذىً وإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوىٰ والأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ...**

الظّاهر أنّ قوله تُهَيّجوا بضّم التّاء وفتح الهاء وكسر الياء المشّددة من التّهييج وفي أكثر النّسخ ضبطوه بفتح التّاء وكسر الهاء وفي بعض آخر بضّم التّاء وكسر الياء المُخّففة فعلىٰ الأوّل فهو من هَيّج يُهَيّج، تهييجاً وعلىٰ الثّاني من هاج يَهيجُ وعلىٰ الثّالث من أَهاج يُهيج ولِكلّ وجهٌ والأوّل أولىٰ وأَحسَن وكيف كان فالمعنىٰ لا تُثير النّساء بسبب الأذىٰ وإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ وذلك لأَنّهنّ ضعيفات القوىٰ جسماً وضَعِيفَاتُ الأَنفُسِ رُوحاً وضَعيفات الإِدراك عقلاً وقد مَرّ الكلام في ضعف النّساء عند قوله ﷺ فيما مضىٰ أنّ النِّساءَ نواقص العقُول نواقص الحظُوظ نواقص الإيمان وقلنا هناك أنّ هذا الحكم ليس علىٰ إطلاقه بل هو نسّبي بمعنىٰ أن كلّ رجلٍ وإمرأةٍ في مرتبةٍ واحدة كذلك أو نقول أنّ الحُكم بإعتبار الأكثر فلا يُنافيه وجود بعض النّساء بخلافه كما أنّ الحُكم في كون الرّجال قوّامين علىٰ النّساء أيضاً كذلك ضرورة أنّ بعض الرّجال ينبغي أن يكون تحت قيمومة النّساء وليس كلّ رجلٍ يَصلح لأن يكون مشمولاً للحكم والحاصل أنّ الأحكام العُرّفية بل الشّرعية ناظرة الىٰ الأغلب لا الىٰ كلّ فردٍ وما نحن فيه أيضاً كذلك فلا يُنافيه وجود بعض النّساء

بخلافه نعم قد يُقال أنّ العقليات لا تخصيص فيها وما نحن فيه ليس منها ونحن إذا نَظرنا الى أكثر النّساء نرى صحّة جريان الحكم فيهنّ والمُخالف مُكابر مقتضى عقله وحِسّه.

□ **قوله ﷺ: إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيَتناوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بالْفِهْرِ أوِ الهِرَاوَةِ فَيُعَيَّرُ بَها وعَقِبُهُ مِنْ بَعدِهِ...**

الحقّ أنّ كلمة (أن) مُخفّفة عن المثّقلة وضمير الشّان فيها محذوف والأصل و(أنّه) وأنّما قّلنا ذلك لأنّ المعنى لا يستقيم بغير ما ذكرناه وعليه فالمعنى أنّه كُنّا لنُؤمَر من اللّه ورسوله بالكَفّ عَنهُنّ أي عن النّساءَ والحال إنّهُنّ كُنّ مُشركات فما ظنّكم بهنّ وأنّهن لمُسلمات فأنّ الكَفّ والمنع من أذايهنّ في الأسلام أَولىٰ وأَليق بِشَرف الدّين وهكذا الكلام في:

□ **قوله ﷺ: وإنْ كانَ الرَّجُلُ فأنّ التّقدير وأنّه كان الرَّجُلُ لِيتَناول المَرْأة بالفجُور بها في الجاهلّية...**

بالْفِهْرِ أي الحَجر على مقدار ما يدّق به الجوز أو يملأ الكَفّ والهِرَاوَةِ أي العصا أو شبه الدّبوس من الخَشب فيعيّر بها وعقبه من بعده وهذا دليل على ضعف عقُولِهنّ وملخّص الكلام أنّ النّساء كذلك فعلى الرّجال أن لا يَعتنُون بأقوالهنّ وأفعالهنّ فأنّ عقُولهنّ محجُوبة تحت شَهواتِهنّ إلّا في موارد قليلة وهو مشهود مَحسُوس.

□ **قوله ﷺ: اللَّهمَّ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ ومُدَّتِ الأَعْناقُ .وشَخَصَتِ الأَبْصَارُ وَنُقِلَتِ الأَقْدَامُ وأُنْضِيَتِ الأَبْدَانُ...**

اللّهمّ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ أي إنتهت ووصلت ومُدّت الأَعناقُ ذُلّاً وإنقياداً وشَخَصَتِ الأَبْصَارُ وإرتفعت أو فُتحت ونُقِلَتِ الأَقْدَامُ .وأُنْضِيَتِ الأَبْدَانُ .أي هُزلت في طاعتك والسّفر الى جهاد عدّوك قال ﷺ هذا الكلام في مقام الدّعاء والتّضرع الى اللّه.

□ **قوله ﷺ: اللَّهمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْتُومُ الشَّنآنِ وجاشَتْ مَرَاجِلُ الأَضْغانِ اللَّهمَّ إنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنا وكَثْرَةَ عَدُوْنا. وتَشَتُّتِ أَهْوَائِنا رَبَّنا افْتَحْ بَيْنَنا وَبَيْنَ قَوْمَنا بِالْحقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحين...**

ثمّ دعا ثانياً وقال اللّهمّ قَدْ صَرَّحَ الْقَوم أعني معاوية وأصحابه ما كانوا يَكتمون من البَغضاء وجاشت وغَلَت المراجل والقدور المُستترة في القلُوب من الحقِد والحَسد وفيه إشارة الىٰ أنّ معاوية وخواصّه كانوا يَكتمون البَغضاء قبل أن يجدوا أعواناً فلمّا وجدوا الأعوان صرّحوا به وأظهروه اللّهمّ إنَّا نَشْكُو إلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنا وكَثْرَةَ عَدُونا وتَشَتُّتِ أَهْوَائِنا فأنّ هذه الثلاثة قد قُصم بها ظهر الأسلام ربّنا أفتح بيننا وبين قومنا الّذين حاربونا بالحقّ وأنت خير الفاتحين والحاكمين وذلك لانّهم بعد موت النّبي تمسكوا بغير العترة الطّاهرة وأعرضُوا عنهم وأمّا الكتاب فَنَبَذُوه وراء ظهورهم وإستمّرت هذه الطّريقة فيهم حتّىٰ وَصَلت النّوبة الىٰ ابن آكلة الأكباد وأي مُصيبة أعظم علىٰ الأسلام من هذه المُصيبة.

□ **قوله ﷺ: ولا تَشْتَدَنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَها كَرَّةٌ ولا جَوْلَةٌ بَعْدَها حَمْلَةٌ وأَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَها .وَوَطِّئُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَها...**

أي لا يكون الفرار عن العدّو صَعباً شديداً إذا كان بعده الهجُوم ولا إشكال في جَولة بعدها حَملة بل الإشكال في عكسه وذلك لأنّ المهّم عاقبة الأمر لا أوّله وأعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَها وهي المُقاتلة بها في سبيل اللّه مع أعداءه فأنّها ليست تقتل المؤمنين بل حقّها إستعمالها في إعلاء كلمة التّوحيد وإجراء العَدل بين العباد وَوطِّئوا أي مَهِدّوا للجنوب مصارعها وأماكن سقوطها أي اذا ضربتم فأحكموا الضّرب ليصيب فكأنّكم مَهدّتم للمضروب مصرعه.

□ **قوله ﷺ: واذْمُرُوا أَنْفُسَكُم علىٰ الطَّعْنِ الدَّعْسِيِّ وَالضَّرْبِ الطِّلَحْفَي وأَمِيتُوا الأَصْوَاتَ فإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفشَلِ...**

ثمّ أمرهم ﷺ بالتّحريض علىٰ القتال وتمهيد النّفوس علىٰ الطّعن والضّرب

الشّديد فقال أذمُروا أي حرّضوا أنفسكم على الطّعن والدّعس الشّديد والضّرب الطّلَخفي الّذي هُوَ من أشدّ الضّربِ وأمَرهم أيضاً بإماتة الأصوات وعدم التّكلم عند إشتداد الحَرب وإستدّل على ماذكره بقوله فأنّه أَطْرَدُ لِلْفشَلِ أي أمنع للوَهن والضّعف وذلك لأنّ توطين النّفس على شئ له مَدخل عَظيم في القُدرة.

▫ **قوله ﷺ: فَوَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ وَبَرأَ النَّسمةَ مَا أَسْلَمُوا وَلكِن اسْتَسْلَمُوا وأَسَرُّوا الْكُفْرَ فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عَلَيِه أَظْهَرُوهُ...**

الواو للقسم أي فأقسم بالّذي فَلَق وشّق الحَبّة تحت الأرض لِتَصير نباتاً وبَرأ وخَلق النّسمة وهي مطلق الموجودات وهو اللّه تعالى ماأسلموا أي ما أسلم معاوية وأصحابه واقعاً ولكن اسْتَسْلَمُوا أي تَظاهروا به بألسنتهم وأَسَّروا الكُفر في قلوبهم يَنتهزون الفُرصة فلمّا وجدوا أعواناً على إظهار كُفرهم أظهَروه وفيما ذكره ﷺ إشارة بل صراحة بأنْ معاوية ومن تبعه كانوا من المُنافقين بل الكافرين واقعاً قبل مُحاربتهم أيّاه فلمّا حاربوه فقد أظهروا كُفرهم وعليه فكلامه شعر بكفر من حاربه وهو كذلك والأخبار الدّالة على كُفر مُحاربيه أكثر من أن تُحصىٰ.

ومنها ـ مارواه المُوافق والمُخالف قال رسول اللّه ﷺ ياعلي حَربك حَربي وسَلمك سِلمي ومن المعلوم أنّ حرب النّبي كُفر فكذلك حربه ﷺ انتهىٰ« البحار ج ٨ ص ٤٥٩»...

ومنها ـ مارواه أبو عيسىٰ في جامعه والسّمعاني في كتابه وابن ماجة في سُننه وأحمد في مسنده وابن بطة في الأبانة وشيروية في الفردوس والسّدي في التّفسير كلّهم عن زيد بن أرقم وروىٰ الثعلبي في تفسيره عن أبي هريرة وأبو الجحاف عن مسلم بن صبيح كلّهم عن النّبي ﷺ أنّه نَظر الىٰ علّيٍ وفاطمة والحَسن والحسين فقال أنا حرب لمن حاربكُم وسِلمٌ لمن سالمكم انتهىٰ« البحار ج ٨ ص ٤٥٩»...

ومنها ـ ما عن تاريخ الطّبري وأربعين ابن المؤذّن عن أبي هريرة عن النّبي ﷺ قال أنا حرب لمن حاربكم وسِلمٌ لمن سالمَكُم انتهىٰ.

وعن ابن مسعود قال ﷺ لعلّيٍ عاديت من عاداك وسالمت من سالمك انتهىٰ« ص ۴۵۹»...

ومنها - ما عن الخركوشي في اللّوامع قال النّبي ﷺ من قاتلني في الأولىٰ وقاتل أهل بيتي في الثّانية أُولئك شيعة الدّجال انتهىٰ« ص ۴۵۹»...

ومنها ـ ما رواه في المناقب عن الحسكاني في شواهد التّنزيل بأسناده عن إبن المسّيب عن ابن عبّاس أنّه لمّا نزلت قوله تعالىٰ: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ (١) قال النّبي من ظلم علّياً مقعدي هذا بعد وفاتي فكأنّما جَحَد نبّوتي ونبّوة الأنبياء قبلي انتهىٰ «المناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٢١۶»...

وعن إبن مردويه بخمسة عشر طريقاً أنّ أمير المؤمنين قال في حرب صفّين واللّه ما وجدت من القتال بدّاً أو الكفر بما أُنزل علىٰ مُحمّد ﷺ انتهىٰ «ص ٢١٧»...

ومنها ـ ما عن أبي جعفر انّه ذكر الّذين حاربهم علّي ﷺ فقال أمّا أنّهم أعظم جُرماً مِمّن حارب رسول اللّه ﷺ قيل له وكيف ذلك يا بن رسول اللّه قال أُولئك كانوا جاهلية وهؤلاء قرأوا القرآن وعرفوا أهل الفضل فأتوا ما أتوا بعد البصيرة انتهىٰ« ص ٢١٨»...

والأحاديث كثيرة جدّاً:

---

١ - الانفال ـ ٢٥

(١٥) ومن كتاب له ﷺ

الىٰ معاوية جواباً عن كتاب منه اليه

▫ قوله ﷺ: فَأَمَّا طَلَبُكَ إِلِيَّ الشَّامَ فإِنِّي لمْ أَكُنْ لِأَعْطِيَكَ اليَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أمْس وَأَمَّا قَوْلُكَ أإِنَّ الحَرْبَ قَدْ أَكلتِ الْعَرَبَ إِلَّا حشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ إِلَّا وَمَنْ أَكَلَهُ الْحقُّ فإِلىٰ الْجَنَّةِ وَمَنْ أَكَلَهُ الْباطِلُ فإِلَىٰ النَّارِ. وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنا في الحَرْبِ وَالرِّجَالِ فَلَسْتَ بِأَمْضَىٰ علىٰ الشكِّ مِنِّي عَلىٰ الْيَقِينِ وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّام بِأَحْرَصَ عَلىٰ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ علىٰ الآخِرَةِ وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدَ مَنافٍ فَكَذَلِكَ نَحْنُ وَلَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهاشِمٍ .وَلا حَرْبٌ كَعْبِد الْمُطلِبِ ولا أَبُو سُفْيانَ كأَبِي طَالِبِ ولا المُهاجِرُ كالطَّلِيقِ .ولا الصَّرِيحُ كاللَّصِيقِ ولا المُحِقُّ كالمُبطِلِ ولا المُؤمِنُ كالْمدْغِلِ .ولَبِئْسَ الخَلَفُ يَتْبَع سَلَفاً هَوَىٰ في نارِ جَهَنَّمَ.

وَفي أيْدِينا بَعْدُ فَضْلُ النُّبوَّةِ الَّتي أذْلَلْنا بِها العَزِيزَ ونَعَشْنا بَها الذَّلِيلَ ولَمَّا أَدخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِيْنِه أفْوَاجاً وَأَسْلَمَتْ لَهُ هذِهِ الأُمَّةُ طَوْعاً وَكَرْهاً كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبةً وإِمَّا رَهْبةً عَلىٰ حَيْنٍ فازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ وذَهَبَ الْمُهاجِرُونَ الأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ فَلاَ تَجْعلَنَّ لِلشَّيْطانِ فِيكَ نَصِيباً ولا عَلىٰ نَفْسِكَ سَبِيلاً.

◁ اللغة

(حُشَاشَاتِ) جمع حُشاشة بضم الحاء بقيّة الرّوح (اللَّصِيقِ) من ينتمي اليهم وهو أجنبي عنهم فليس بصحيح النّسب (الْمُدْغِلِ) إسم فاعل من أَدْغـل أي

أَفسَد (هَوَىٰ) أي سقط (نَعَشْنا) أي رَفَعنا:

◁ المعنىٰ

(فَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيِّ الشَّامَ) لتكون والياً عليه (فإِنِّي لمْ أَكُنْ لأَعْطِيَكَ مَا مَنَعْتُكَ أمْس) وهو الإمارة والولاية (وأَمَّا قَوْلِكَ إِنَّ الْحَرْبَ) حرب صِفّين.

(قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ) وَهُوَ كناية عن قتلهم (إِلَّا حُشَاشَاتِ) وبقايا (أَنْفُس بَقِيَتْ إِلَّا وَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ) وقتل في طريقه فإِلىٰ الْجَنَّةِ) مَصيره (وَمَنْ أَكَلَهُ الْباطِلُ) وقتل في طريقه (فإِلَىٰ النَّارِ) مَصيره (وأَمَّا اسْتِوَاؤُنا) وعدم الفرق بيننا (في الْحَرْبِ والرِّجَالِ فَلَسْتَ بِأَمْضَىٰ علىٰ الشكِّ) في دينك (مِنِّي عَلىٰ الْيَقِينِ). فيه (وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بأحْرَصَ عَلىٰ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ علىٰ الآخِرَةِ وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدَمَنَافٍ فَكَذَلِكَ نَحْنُ) من أولاد عبد مناف (وَلَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ) جدّك الأعلىٰ (كَهاشِمِ) جدّي (وَلاَ حَرْبٌ) جدّك (كَعَبْدِ الْمُطلِبِ) جدّي (ولا أبُو سُفْيانَ) أبوك (كأَبِي طَالِبِ) أبي (ولا المُهاجِرُ) أراد به نفسه الشّريفة (كالطَّلِيقِ) وهو معاوية (ولاَالصَّرِيحُ) أي صحيح النّسب (كاللَّصِيقِ) وهو غيره (وَلا المُحِقُّ) وهو نفسه (كالمُبْطِلِ). وهو معاوية (ولا المُؤمِنُ) وهو نفسه (كالْمُدْغِلِ) المُفسد وهو معاوية (وَلَبِئْسَ الْخَلفُ يَتْبَع سَلَفاً هَوَىٰ في نارِ جَهَنَّمَ وسقط فيها وهو أنت (وفِي أَيْدِينا بَعْدُ) أي بعد ما ذكرناه (فَضْلُ النُّبُوَّةِ الّتي أَذْلَلْنا بها) بالنّبوة (العَزِيزَ) من مُشركي قريش (ونَعَشْنا) ورفعنا (بِها الذَّلِيلَ) في أي من كان ذليلاً عندكم (ولمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَربَ فِي دِينِهِ) وهو الإسلام (أَفْوَاجاً)فوجاً بعد فوج (وَأَسْلَمَتْ لهُ هذِهِ الأُمَّةُ طَوْعاً وكَرْهاً كُنْتُم مِمَّنْ دَخَلَ في الدِّينِ) بحسب الظّاهر (إِمَّا رَغْبَةً) وميلاً اليه (وإِمَّا رَهْبَةً) وخوفاً منه (عَلىٰ حَيْنَ فازَ) وسَعِد (أَهْلُ السَّبْقِ) في الإسلام (بِسَبْقِهِمْوذَهَبَ الْمُهاجِرُونَ الأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ فَلاَ تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطانِ فِيكَ نَصِيباً وَلا عَلىٰ نَفْسِكَ سَبِيلاً) في الدّنيا والآخرة:

◁ الشَرح

إعلم: إنّ هذا الكتاب منه عليه السلام الىٰ معاوية في جواب كتاب كتبه معاوية اليه قبلاً، فأجابه عليه السلام بما أجاب وكتاب معاوية علىٰ ما نقله ابن قتيبة في الإمامة والسّياسة هكذا:

أمّا بعد فأنّي أظنّك أن لو علمت أنّ الحَرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا علىٰ بعضٍ وأن كنّا قد غلبنا علىٰ عقولنا فلَنا منها ما نذّم به ما مضىٰ ونصلح ما بقىٰ وقد كنت سألتك إلّا يلزمني لك طاعة ولا بيعة فأَبَيت ذلك علّي فأعطاني اللّه ما منعت وأنّي أدعوك الىٰ ما دَعَوتك اليه أمس فأنّك لا ترجو من البقاء إلّا ما أرجو ولا تخاف من الفناء إلّا ما أخاف وقد واللّه رقّت الأجناد وذَهَبت الرّجال ونحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا علىٰ بعض فضل لا يستذّل به عزيز ولا يستّرق به حُرّ انتهىٰ ثمّ قال:

فلَما انتهىٰ كتابه الىٰ علّي دعا كاتبه عبيد اللّه بن رافع فقال أُكتب أمّا بعد **فقد جاءني كتابك تذكر أنّك لوّ علمت وعلمنا أنّ الحَرب تبلغ ما بلغت لم يجنها بعضنا علىٰ بعضٍ...**

▫ قوله عليه السلام: **فأمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لاعْطِيَكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْس...**

أي أنك تطلب منّي الشّام فأنّي لا أُعطيك اليوم ما منعتك أمس وذلك لأنّ منعه أيّاه لم يكن إلّا لعدم صلاحية معاوية للحكومة والإمارة وهذا الملاك كان باقياً مضافاً الىٰ أنّه لو أعطاه الشّام بعد وقوع الحرب وقد منعه قبل الحَرب لقالوا أنّ عليّاً خاف من الحرب وحيث أنّه عليه السلام كان بمعزلٍ عن هذه الأُمور فقال في الآخر ما قاله في الأوّل:

▫ قوله عليه السلام: **وأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ الْحَربَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلَّا حشَاشَاتِ أَنْفُسْ بَقِيَتْ إِلَّا ومَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلىٰ الْجَنَّةِ وَمَنْ أَكَلَهُ الْباطِلُ فإِلىٰ النَّارِ...**

وحاصل الجواب أنّ المقتولين في الحَرب لا يخلوا حالهم إمّا أنّهم علىٰ طريق الحقّ وإمّا علىٰ الباطل وأمّا بعضهم علىٰ الحقّ وبعضهم علىٰ الباطل فالأقسام المحتملة ثلاثة لا سبيل الىٰ الأوّل والثّاني:

أمّا الأوّل: فلأنّهم لو كانوا علىٰ الحقّ لما وَقَعت الحرب بينهم فأنّ المؤمن أخ المؤمن فلا يقاتله.

وأمّا الثّاني: فهو وأن كان محتملاً عقلاً في بادئ الأمر إلّا أنّه في المقام غير محتمل إذ فيهم أمثال عمّار بن ياسر وعبد اللّه بن عبّاس وخزيمة بن ثابت وغيرهم وقد ثبت أنّهم لم يكونوا علىٰ الباطل لقوله ﷺ **علّي مع الحقّ والحقّ معه**، وقوله ﷺ في عمّار كذلك فيبقىٰ في المقام ثالث الشّقوق وهو أن يكون بعضهم علىٰ الْحَقُّ وبعضهم علىٰ الباطل ولا شك أنّ من أكله الحقّ وقتل في طريقه فإلىٰ الجنّة ومن أكله الباطل فإلىٰ النّار فلا مجال للتّأسف علىٰ القتلىٰ.

□ **قوله ؏: وأَمَّا اسْتِوَاؤُنا في الْحَرْبِ وَالرِّجَالِ فَلَسْتَ بِأَمْضَىٰ عَلَىٰ الشكِّ مِنِّي علىٰ الْيَقِينَ وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَىٰ الدُّنْيا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَىٰ الآخِرَةِ...**

أي لَيْسَ الأمر كما ظَنَنت لوجود الفرق بين الحَربين وبين المحاربين أمّا في الحَرب فلأنّ حَرب أهْلَ الشَّام للدُّنْيا وحَرب أهْلِ الْعِرَاقِ لِلآخِرَةِ فالغاية فيهما مختلفة وَأَمَّا في الرّجال فلأنّك علىٰ شكٍّ في دينك ومذهبك ولأجل هذا شَكَكتَ في صحّة الحرب وعدمها وأمّا أنا فعلىٰ يقينٍ وبصيرة في ديني فلا شّك لي في صحّة الحَرب وأنّه لا مفّر عنها وإذا كُنتَ مع الشّك محارباً وأهل الشّام مع حَرصهم علىٰ الدّنيا كذلك فأنا معَ يقيني في ديني وأهْلِ الْعِرَاقِ مَعَ رغبتهم الىٰ الآخِرَةِ أولىٰ بإمضاء الحرب وإنفاذها والحاصل إنّا لا نبالي بالموت ولا نخاف من الحَرب لِعلمِنا بأنّ طريق الحقّ منحصر في الحرب حتّىٰ يُقطع دابر القوم الّذين ظَلموا والحمد لِلّه ربّ العالمين.

□ **قوله ؏: وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدَ مَنافٍ فَكَذَلِكَ نَحْنُ وَلَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهاشِمِ وَلا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطلِبِ ولا أَبُو سُفْيانَ كأَبِي طَالِبٍ ولا المُهاجِرُ كالطَّلِيقِ ولا الصَّرِيحُ كاللَّصِيقِ ولا المُحِقُّ كالمُبْطِلِ .ولا المُؤمِنُ كالمُدْغِلِ...**

إعلم: أنّ نَسب أمير المؤمنين ومعاوية ينتهي الىٰ عبد مناف ولأجل ذلك

قال معاوية إنّا بنو عبد مناف فهو علّي ابن أبي طالب (وإسمه عبد مناف) بن عبد المطلب (وإسمه شيبة) بن هاشم بن عبد مناف ومعاوية ابن أبي سفيان (وإسمه صخر) بن حرب بن أُمّية بن عَبد شمس بن عبد مناف.

ثمّ أنّ عبد مناف (وإسمه المغيرة) ولد أربعة نفر، هاشم (وإسمه عمرو) وعبد شمس والمُطّلب، ونُوفل وقيل أنّ عَبد شمس وهاشم ولدا توأمان فولد هاشم ورجله في جبهة عبد شمس مُلتصقة فلم يقدر على نزعها إلّا بدم فكانوا يقولون سيكون بين ولديهما دماء فكانت تلك الدّماء ما وقع بين بني هاشم وبني أُمّية إذا عرفت هذا فنقول:

قوله ﷺ: **وَلَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهاشِمٍ** يظهر منه أنّ أُمَيَّةُ وهاشم كانا أخوين وهما إبنا عبد مناف والمشهور بين المؤرّخين وعلماء الأنساب أنّ عبد شمس وهاشم كانا أخوين وأمّا أُمّية فهو ابن لعبد شمس وعليه فهاشم كان عمّاً لأُمّية فقوله ﷺ: **لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهاشِمٍ** لا نفهم معناه اللّهم إلّا أن يقال أنّ أُمية كان إسماً لعبد شَمس ولم أَرَ من صرّح به هذا أوّلاً وثانياً أنّ قولهم بكون عبد شمس وهاشم توأمين وقت الولادة أيضاً يدّل على أنّ عبد شمس كان أخاً لأُمَيَّةً والحاصل بناء على ما ذكره القوم كان حقّ العبارة هكذا ولكن لَيْسَ عبد شمس كَهاشِمٍ والّذي نقول في حل الإشكال أمران:

أحدهما: ماذكرناه من أنّ أُمّية كان إسماً لعبد شمس وهو ضعيف لم يقل به أحد.

وثانيهما: أنّ المُقايسة وقعت بين هاشم وأُمّية وأن لم يكونا أخوين بل من حيث أن هاشم بن عبد مُناف كان من أشراف قُرَيش وأُمّية كان من أراذلها وأخبائها وأمّا عبد شمس فحيث لم يكن خبيثاً شريراً فلم يذكره ولم يجعله في رأس الأراذل والأرجاس وهذا هو الأقوىٰ.

وكيف كان لا شكّ أنّ هاشم بن عبد مُناف كان رئيس القَوم وشَريفهم بعد أبيه عبد مُناف ولأجل هذه السّيادة ولّي الرّفادة والسّقاية بعد أبيه وهو أوّل من

سَن الرَّحلتين لقُرَيش رحلة الشّتاء والصّيف وأوّل من أَطعم الثّريد بمكّة وأنّما كان إسمه عمرواً فما سُمّي هاشماً إلّا بِهَشمه الخُبز بمكّة لقومه فقال شاعر من قُرَيش أو من بعض العَرب:

عمرو الّذي هَشم الثّريد لقومه ... قوم بمكّة سنتين عجاف

سُنّت اليه الرّحلتان كلاهما ... سفر الشّتاء ورحلة الأصياف

وأمّا أُمّية فكان بمعزلٍ عن هذه الأوصاف بل قال بعض المُؤرّخين أنّه لم يكن من قُرَيش بل من العَرب وأنّه كان غلاماً لهاشم وهَبه قيصر في بعض أسفاره.

وحيث كان مُلازماً لِهاشم بعد عبد شمس ظَن النّاس أنّه من أولاد عبد شمس ولم يثبت له إبن يُسمّىٰ بأُمّية أصلاً ولأجل هذا ذهب بعض المُؤرّخين أنّ بني أُمّية كلّهم كانوا من جواسيس قيصر في الإسلام وأكثر جيش معاوية في صفّين كانوا من الرُومّيين ولولا نصرة قيصر معاوية في مُحاربته لعلّي عليه السلام لما كان قادراً علىٰ الحَرب أصلاً ودليله معه فأنّ المُؤرّخين إتّفقوا علىٰ أنّ جيش معاوية كان أكثر نفوساً من جيش علّي في صفّين ولنا في المقام سؤال وهو أنّ معاوية ما كان له في حَرب صفّين إلّا الشّام فقط وأمّا علّي عليه السلام فكان له من الولايات والبلاد ما لا يخفىٰ علىٰ أحد كالكوفة والبَصرة والحجاز واليمن ومِصر وبلاد فارس وغيرها ومن المعلوم أنّ كلّ واحد منها كان أكثر نفراً وأعظم مساحةً من الشّام وهو عليه السلام جَمَع جَيشَه من جميع البلاد ومعاوية من الشّام فقط فهل يَشُك عاقل في صحّة ما ذكرناه ويؤيّده ما ذكره غير واحد أنّ معاوية مات وفي عُنقه صليب النّصارىٰ وقد أخبر أمير المؤمنين بذلك في أخباره الغَيبة وذكره الشارح المُعتزلي أيضاً في شرحه.

وأمّا قوله عليه السلام: **ولا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطلِبِ** فهو أيضاً لا خفاء فيه وذلك لأنّ عبد المُطّلب (وإسمه شيبة) ولّي السّقاية والرّفادة بعد عمّه المُطّلب بن عبد مناف فأقامها للنّاس وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم وشرف في قومه شرفاً لم يَبلغه أَحد من آبائه وأَحبّه قومه وعظم خطره فيهم.

قالوا أنّ عبد المُطّلب بينما هو نائم في الحجر إذ أُتـي فأُمـر بـحفر زَمـزَم وقصّته علىٰ قول ابن إسحاق هكذا:

قال وكان أوّل ما إبتدئ به عبد المُطّلب من حفرها كما حدّثني يزيد بن أبي حبيب المصري عن مَرثد بن عبد اللّه اليَزَني عن عبد اللّه بن زُرير الغافقي أنّه سمع علّي بن أبي طالب يُحدّث حديث زَمزَم حين أُمر عبد المُطّلب بحفرها قال:

قال عبد المُطّلب أنّي لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال احفر طيبة قال قُلت وما طيبة قال (طيبة إسم لزَمزَم لأنّها للطّيبين والطّيبين.)

ثمّ ذهب عنّي فلمّا كان الغد رجعت الىٰ مَضجعي فنمت فيه فجاءني فقال إحفر برّة قال قُلت ومابرّة قال ثمّ ذهب عنّي فلمّا كان الغد رجعت الىٰ مضجعي فنمتُ فيه فجاءني فقال أحضر المَضنُونة قال فقلت وما المضنُونة قال ثمّ ذهب عنّي فلمّا كان الغَد رجعتُ الىٰ مَضجعي فنمتُ فيه فَجاءني فقال إحفر زَمزَم قال فقُلت وما زَمزَم قال لا تَنزف أبداً ولا تذَم، تسقي الحَجيج الأعظم وهي بين الفَرث والدّم عند نقرة الغراب الأعصم عند قرية النّمل فلمّا بُيّن شأنـها ودُلّ علىٰ موضعها وعُرف أنّه قد صُدوا غدا بِمَعوله ومعه ابنه الحـارث بـن عـبد المُطّلب ليس له ولد يومئذ غيره فَحَضر فيها فلمّا بدا لعبد المُطّلب الطّي كَبّر فعرفت قُرَيش أنّه قد أدرك حاجته فقاموا اليه فقالوا ياعبد المُطّلب أنّها بئر أبينا إسماعيل وأنّ لنا فيها حقّاً فأشركنا معك فيها قال ما أنا بفاعل أنّ هذا الأمر قد خُصّصت به دُونكم وأُعطيته من بينكم.

فقالوا له إنّا غير تاركيك حتّىٰ نُخاصمك فيها قال فإجعلوا بيني وبينكم من شئتم أُحاكمكم اليه قالوا كاهنة بني سعد هُذيم قال نعم وكانت بأشراف الشّام فَركب عبد المُطّلب ومَعه نَفر من بني أبيه من بني عبد مُناف وركب من كلّ قبيلة من قُرَيش نفر قال والأرض إذ ذاك مفاوز فخرجوا حتّىٰ إذا كانوا ببعض تلك المَفاوزبين الحجاز والشّام فني ماء عبد المُطّلب وأصحابه فَظمأوا حتّىٰ

أيقنوا بالهَلَكة فإستَسقوا من معهم من قبائل قُرَيش فأبوا عليهم وقالوا إنّا بمفازة ونحن نَخشىٰ علىٰ أنفسنا مثل ما أصابكم فلمّا رأىٰ عبد المُطّلب ما صَنع القَوم وما يتّخوف علىٰ نفسه وأصحابه قال ماذا تَرون قالوا مارأينا إلّا تَبعٌ لرأيك فمُر بما شئت قال فأنّي أرىٰ أن يَحفر كلّ رجل منكم حفرته لنفسه بما بكم الآن من القوّة فكلّما مات رجل دَفعه أصحابه في حُفرته ثمّ دارَوه حتّىٰ يكون آخركم رجلاً واحداً فَضيعة رجل واحد أيسَر من ضَيعة ركب جميعاً قالوا نِعمَ ما أمَرت به فقام كلّ واحدٍ منهم فَحفر حفرته ثمّ قعدوا ينتظرون المَوت عطشاً ثمّ أنّ عبد المُطّلب قال لأصحابه والله أنّ ألقي، ما بأيدينا هكذا للموت لا نضرب في الأرض ولا نبتغي لأنفسنا لَعَجزٌ فعسىٰ الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد إرتحلوا فإرتحلوا حتّىٰ إذا فرغوا ومن معهم من قبائل قُرَيش ينظرون اليهم ماهم فاعلون فتّقدم عبد المُطّلب الىٰ راحلته فركبها فلمّا إنبعثت به إنفجرت من تحت خفّها عين من ماء عذب فَكبّر عبد المَطّلب وكبّر أصحابه ثمّ نَزل فَشرب وشرب أصحابه وإستَسقوا حتّىٰ مَلأُوا أسقيتهم ثمّ دعا القبائل من قُرَيش فقال هلّم الىٰ الماء فقد سقانا الله فأشربوا وإستسقوا فجاؤوافشربوا وإستَسقوا ثمّ قالوا قد والله قضىٰ لك علينا ياعبد المُطّلب والله لا نُخاصمك في زَمزم أبداً أنّ الّذي سَقاك هذا الماء بهذا الفلاة هو الّذي سَقاك زَمزَم فإرجع الىٰ سقايتك راشداً فَرجع ورجعوا مَعه ولم يصلوا الىٰ الكاهنة وخلّوا بينه وبينها انتهىٰ« سيرة ابن هاشم ج ١ ص ١٥١»...

وأنا أقول: من هذا يظهر لك أنّ عبد المُطّلب كان من الأولياء بل الأوصياء كما نقول به وهذا الّذي ذكرناه من مأخذ العامّة أحدىٰ كراماته وهي كثيرة لسنا فعلاً بصدد إستقصائها والبحث عنها فكيف يُقاس هذا الرّجل العظيم الىٰ غيره من الرّجال في زمانه فضلاً عن حَرب بن أُمّية الّذي كان رئيس الأشرار وعماد الفجّار وهذا معنىٰ قوله ﷺ: **ولا حَرب كَعبد المُطّلب** وقد قالوا في مَدح عبد المُطّلب أشعار كثيرة ونحن نذكر لك بعض الأبيات من قصيدة حذيفة بن غانم

قال:

أَعَيَّنِي جُوداً بالدّموع علىٰ الصّدر
ولا تسأما أسقيتما سَبَل القَطِر
وجودا بدفعٍ وأسفحا كلّ شارقٍ
بكاء إمرئٍ لم يُشوه نائب الدّهر
وسُحّاً وجُمّاً وأُسجماً ما بقيتما
علىٰ ذي حياءٍ من قُرَيش وذي سِترٍ
علىٰ رجلٍ جلد القوىٰ ذي حَفيظةٍ
جميل المُحيّا غير نكسٍ ولا هَذرٍ
علىٰ الماجد البهلول ذي الباع والنّدىٰ
ربيع لؤيٍ في القحوط وفي العُسِر
علىٰ خير حافٍ من مُعَدٍ وفاعلٍ
كريم المساعى طيّب المساعى الخيم والنَّجر
وخيرهم أصلاً وفرعاً ومعدناً
وأخطاهم بالمكرمات وبالذّكر
وأُولاهم بالمَجد والحلم والنّهي
وبالفضل عند المُجحفات من الغُبر
وساقي الحَجيج ثمّ للخير هاشم
وعبد منافٍ ذلك السّيد الفِهري
طوىٰ زَمزَماً عند المقام فَأصبحت
سقايته فخراً على كلّ ذي فَخرٍ
قصّي الّذي عادىٰ كنانة كلّها
ورابط بيت اللّه في العُسر واليُسر

فأتَـــتك غـــالته المـــنايا وصـــرفها
فـــقد عـــاش مَـيمون النّـقية والأمـــر
وأبـــقىٰ رجـــالاً ســـادة غـــير عُـزّلٍ
مـــصاليت أمـــثال الرّديـــنة الشُـمر
أبـــو عـــتبة المـــلقي الّـــي حـباؤه
أَغّـــر هـــجان اللّـون مـن نَـفرٍ غُـرّ
وحـــمزة مـــثل البَـدر يـهتّز لِـلنّدىٰ
نـــقّي الثّـــياب والزّمـام مـن الغَـدِر
وعـــبد مـــنافٍ مـــاجدٍ ذو حَـفيظةٍ
وَوّلٌ لذي القُـربىٰ رحـيم بـذي القَـهر
كُـــهولِهم خـــير الكـــهُول ونَســـلهم
كَـــنسل المـلوك لا تـبُور ولا تـحرىٰ
هُـــم مَـــلبؤ البـــطحاء مـجداً وعـزّةً
اذا أُستبق الخيرات في سالف العَصر
وفـــــيهم نُـــباةٌ لِـــلعُلاء وعـــمارة
وعـبد مـنافٍ جـدّهم جـابر الكَسِـر
وأنت إبـن لُـبنىٰ مـن قُـصّي اذا انتمُوا
بـحيث انـتهىٰ قـصد الفـؤاد مـن الصّـدر
وأنت تـــناولت العُـــلا فَـــجمعتها
الى مـــحتدٍ للـــمجد ذي ثَـــبَجٍ جَـرِ
بـــقّت وَقتّ القَـــوم بـــذلاً ونـــائلاً
وسُـــدت وليـداً كـلّ ذي سُـؤددٍ غَـمرِ
وأُمّك سّـــرُ مـــن خـــزاعـة جـوهر
اذا حَـصّل الأنسـاب يـوماً ذرور الخـبر

الىٰ آخر القصيدة وقد حذفنا عنها بعض الأشعار مراعاةً لِلإختصار وتمامها في السّيرة« ج ١ ص ١٨٤»...

وقال مطرود بن كعب الخزاعي يبكي عبد المُطّلب وبني عبد مناف:

يـــا أيّـــها الوجــــل المـحوّل رَحــله
هـــــلاّ سألت عـــن آل عـــبد مـــناف
هـــبلتك أُمّك لو حَـــلَلت بـــدارهـم
ضَـــمِنُوك مـــن جـــرمٍ ومـــن إقـرافِ
الخـــــالطين غَـــــنيّهم بـــفقيرهم
حـــــتّىٰ يـــعود فـــقيرهم كـــالكافي
والمُـــــطعمين إذا الرّيـــاح تـــناوحت
حـــتّىٰ تـغيب الشّـمس فـي الرّجـاف
والمُـــــنعمين إذا النّـــجوم تَـــغَيّرت
والظّـــــاعنين لوصـــــلة الأبـــلاف
أمّــا هــلكت أبــا الفــعال فـما جـرىٰ
مـــن فـوق مـثلك عـقد ذات نـطافِ
إلّا أبـــيك أخـــي المكـــارم وحـــده
والغـــيض مـــطّلب أبـــي الأضـــياف

توفىٰ عبد المُطّلب بعد عام الفيل بثمان سنين وقد بلغ رسول اللّه ﷺ أيضاً ثماني سنين ومَدحه كثير وأمّا حَرب فلم نَر في كُتب السّير منه مَدحاً ولا فضلاً ولو كان لذكروه:

قوله عليه السلام: **ولا أبُو سُفْيانَ كأَبي طَالِبٍ** وهو أيضاً ظاهر فأنّ أبا سفيان كان رأس المُنافقين وقائد المُعاندين وإمام الضّالين المُضّلين بعد أبيه حَرب وكُفره ونفاقه أظهر من الشّمس وأبيَن من الأمس في الجاهلّية والإسلام أَسلَم ظاهراً يوم الفَتح خوفاً علىٰ نفسه وأَبطن الكُفر الىٰ أن مات عليه وهو الّذي قال في

خلافة عثمان ما قال من إنكار الرّسالة والحشر والنّشر والقيامة وأقسم على صحّة مدّعاه باللاّت والعُزّىٰ وهو الّذي قال في المسجد الحرام لمّا سمع الأذان قد أفلَح عُتبة وشيبة وَوليد وغيرهم حيث قُتلوا ولم يَسمَعُوا هذا النّداء، وبالجُملة لا يُوجد في الكفّار فضلاً عن المُسلمين رَجلٌ كان أضّر علىٰ الأسلام منه ومن إبنه معاوية وإبنه يزيد وهند زوجته كانت مشهورة بالفجُور ومُسمّاة بآكلة الأكباد لعنة اللّه عليه وعلىٰ أولاده أجمعين ولولا مخافة تلويث هذا الكتاب وتسويد الأوراق بذكر هذا الرّجل القذر وشرح حالاته لذكرتُ لك من فسقه وعناده ما يكفيك ولكن هو أشهر من أن يُخفىٰ على أحدٍ.

وأمّا أبو طالب فهو بعد أبيه عبد المُطّلب كان رئيس القَوم وشريفهم بل هو في عصره وحيدٌ فريدٌ لا يُقاس به أحد بعد رسول اللّه ﷺ كما أنّ هاشم وعبد المُطّلب كاناكذلك وكفىٰ في مَدحه وفَضله وشرفه وعظمته أنّ رسول اللّه ﷺ بعد موت جدّه عبد المُطّلب كان تحت كفالته وحمايته ألا ترىٰ أنّ عبد المُطّلب لمّا حَضرته الوفاة أوصىٰ الىٰ إبنه أبي طالب في رسول اللّه ﷺ وهو دليل علىٰ أنّ أبا طالب كان أفضل وأكمل وأَصلح من سائر أولاد أبيه ضرورة أنّ أمانة الرّسالة من أعظم الأمانات وجوهر النّبوة والخاتّمية من أعلىٰ الجواهر فإعتماد عبد المُطّلب علىٰ أبي طالب في حفظه من أدّل الدّلائل علىٰ شرفه وعظمته وكان إسمه عبد مناف وفيه قال عبد المُطّلب:

أُوصيك ياعبد مناف بعدي ... بموحد بعد أبيه فردٍ

وقال أيضاً:

وَصّيتُ من كفيته بطالبٍ ... عبد منافٍ وهو ذو تجاربِ

يابن الحبيب أكرم الأقارب ... يابن الّذي قد غاب غير آيبِ

روي أنّ لمّا حضرت عبد المُطّلب الوفاة دعا إبنه أبا طالب فقال له يابُنَي قد علمت شدّة حُبّي لمحمّد ووَجدي به انظر كيف تَحفظني فيه قال يا أبه لا تُوصني بمحمّدٍ فأنّه إبني وإبن أخي فلمّا توفّىٰ عبد المُطّلب كان يؤثره بالنّفقة

والكِسوة علىٰ نفسه وعلىٰ جميع أهله.

وكان أبو طالب إذا أراد أن يعشي أولاده وَيغديهم يقول كما أنتم حتّىٰ يحضر إبني فيأتي رسول اللّه ﷺ فيأكل معهم فيبقىٰ الطّعام وقال أبو طالب:

أنّ إبن آمِنة النّبي محمّداً عندي بمثل منازل الأولاد
لمّا تعلّق بالزّمام رحمتُه والعيس قد قلّصْن بالازواد
فأرفض من عَيْنَي دمعٌ ذارفٌ مثل الجمان مُفَرِدُ الأفراد
راعيتُ فيه قرابةً موصولة وحفظتُ فيه وصّية الأجداد
وأمرتُه بالسّير بين عمُومه بيض الوجوه مصالة الأنجاد
حتّىٰ إذا ما القوم بُصرىٰ عاينوا لاقوا علىٰ شرف من المرصاد
حبراً فأخبرهم حديثاً صادقاً عنه وردّ معاشر الحُسّاد

وهذه الأشعار قالها أبو طالب بعد سفره مع رسول اللّه الىٰ الشّام ومارقع بينه وبين نجير الرّاهب وقصّة مشهورة في كتب التّواريخ في السّير وقال أيضاً في رسول اللّه ﷺ:

أنت الأمين أمين اللّه لاكذبُ والصّادق القول لا لهوُ ولا لعبُ
أنت الرّسول رسول اللّه نعلمه عليك تُنزّل من ذي الغّرة الكُتب

وفي روايةٍ أنّه قال ﷺ أنّ اللّه تعالىٰ أمرني أن أدعوا الىٰ دينه الحّيفية وخرج من عنده مُغضباً فدعاه أبو طالب وطيب قلبه وَوَعده بالنّصر ثمّ أنشأ يقول:

واللّه لن يصلوا اليك بجمعهم حتّىٰ أُوسّدُ في التّراب دَفينا
فأصدع بأَمرك ما عليك غَضاضة وأنشر بذاك وقّر منك عيُونا
ودعوتني وزعمت أنّك ناصح فلقد صدقت وكُنتَ قبل أمينا
وعَرضتَ دينا قد عرفت بأنّه من خير أديان البّرية دينا
لولا المخافة أن يكون مَعرّة لَوجدتني سَمحاً بذاك مُبينا

قال الطّبري والبلاذري والضّحاك علىٰ ما في المناقب، لمّا رأت قُرَيش حمّية قومه وذبّ عمّه أبو طالب عنه جاؤوا اليه وقالوا جئناك بفتىٰ قُرَيش جمالاً

وجوداً وشهامةً عمارة بن الوليد يدفعه اليك يكون نصره وميراثه لك ومع ذلك من عندنا مال وتدفع الينا إبن أخيك الّذي فرّق جماعتنا وسَفّه أحلامنا فَنقتله.

فقال واللّه ما أنصفتموني أتَعطُونني إبنكم أغذوه لكم وتأخذون إبني تقتلونه هذا واللّه مالا يكون أبداً أتعلمون أنّ النّاقة إذا فقدت ولدها لا تَحِنّ الىٰ غيره ثمّ نَهَزهم فَهَمّوا بإغتياله فَمَنعهم أبو طالب من ذلك وقال فيه:

حميتُ الرّسول رسول الإلٰه ... ببيض تلألأ مثل البرُوق

أذّب وأحمي رسول الإلٰه ... حماية عمٍّ عليه شفيق

وقال أيضاً:

يقولون لي دَع نفرٍ من جاء بالهُدىٰ

وغالب لنا غلاب كلّ مغالب

وسَلِمّ إلينا أحمداً وأكَفِلن لنا

نبّياً ولا تحفل بقول المعاتب

فقُلت لهم اللّه ربّي وناصري

علىٰ كلّ باغ من لُؤي بن غالب

وحيث إنّجر الكلام الىٰ أبي طالب أحبّ أن أتكلم في إسلامه وإيمانه باللّه وبرَسوله وأنّه مات مؤمناً حقّاً خلافاً لأكثر العامّة حيث زَعموا بقائه علىٰ الكُفر وأنّه لم يُؤمن برسول اللّه ﷺ:

قال الشّارح المعتزلي في شرحه إختلف النّاس في إسلام أبي طالب فقالت الأماميّة وأكثر الزّيدية ما مات إلّا مُسلماً وقال بعض شيوخنا المُعتزلة بذلك منهم الشّيخ أبو القاسم البلخي وأبو جعفر الأسكافي وغيرهما وقال أكثر النّاس من أهل الحديث والعامّة ومن شيوخنا البّصريين وغيرهم مات علىٰ دين قومه ويروون في ذلك حديثاً مشهوراً وهو أنّ رسول اللّه ﷺ قال:

له عند مَوته قُل ياعمّ كلمة أشهد لك بها غداً عند اللّه تعالىٰ فقال لولا أن تقول العَرب أنّ أبا طالب جَزع عند المَوت لأقررتُ بها عينك.

وروي أنّه قال أنا علىٰ دين الأشياخ وقيل أنّه قال أنا علىٰ دين عبد المُطّلب وقيل غير ذلك وروي كثير من المحدّثين أنّ قوله تعالىٰ:(**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَو كَانُوا أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ**)[1] الآية نزلت في أبي طالب لأنّ رسول اللّه إستغفر له بعد مَوته ورَووا أنّ قوله تعالىٰ:﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾[2] نزلت في أبي طالب، ورَووا أنّ عليّاً جاء الىٰ رسول اللّه بعد مَوت أبي طالب فقال له أنّ عمّك الضّال قد قضىٰ فما الّذي تأمرني فيه وإحتّجوا بأنّه لم ينقل أحد عنه أنّه رأه يُصّلي والصّلوة هي الفرقة بين المُسلم والكافر وأنّ عليّاً وجعفراً لم يأخذا من تركته شيئاً، ورَووا عن النّبي أنّه قال أنّ اللّه قد وَعدني بِتَخفيف عذابه لما صنع في حقّي وأنّه في ضَحضَاح من نار.

ورَووا عنه أيضاً أنّه قيل له لو إستَغفرت لأبيك وأُمّك فقال لو إستَغفرت لهما لإستَغفرت لأبي طالب فأنّه صَنع الّي مالم يَصنعا وأنّ عبد اللّه وآمنة وأبا طالب في حُجرة من حُجرات جهنّم انتهىٰ.

هذا مُلّخص كلامهم في إثبات كُفر أبي طالب وأنت ترىٰ أنّ ماذكروه من الآيات والرّوايات لا يدّل علىٰ إثبات مُدّعاهم:

أمّا الآيات فدعوىٰ نزولها في حقّه دعوىٰ بلا بيّنة وبرهان وذلك لأنّهم لَم يُستَند قولهم هذا الىٰ مأخذٍ صحيح ومنبع مُوثّق كما هو شأنهم في أكثر تفاسيرهم أو كلّها فأنّهم يُفسّرون القرآن بأرائهم ويقولون في نزول الآيات ماشاؤوا وأرادوا وقد قال رسول اللّه ﷺ **من فسّر القرآن برأيه فليَتَبوء مَقعده من النّار** وأمّا الأخبار الّتي رَووها فهي مضافاً الىٰ كونها من أخبار الأحاد لا تكون صالحة للإحتجاج بها:

أمّا أوّلاً: فأنّ مُجّرد القول بأنّه لم ينقل أحد أنّه رأه يُصّلي لا يكفي في إثبات

١- التّوبه-١١٣/١١٤ ٢-القصص-٥٦

المُدّعىٰ وذلك لأنّ عدم التّظاهر بالصّلوة لا يدّل علىٰ عَدم الإتيان بها مُطلقاً إذ لا يبعد أن تكون المَصلَحة في عدم التّظاهر بها بل عدم التّظاهر بالإيمان لأنّ أبا طالب لو كان مُتظاهراً بالإسلام وأحكامه لما كان قادراً علىٰ حماية الرّسول كما دلّت عليه الرّوايات وبعبارةٍ أُخرىٰ كان مُكّلفاً من اللّه بعدم التّظاهر بالدّين وثانياً أن أراد المُستّدل بعدم النّقل عدم النّقل في مذهَبه فهو مُسلّم وأن كان المرادُ به عدمه مطلقاً فهو في حيّز المنع والعَجب كلّ العَجب من العامّة حيث ذهبوا الىٰ أنّ معاوية إبن أبي سفيان كان مُسلماً في باطن الأمر وأنّما أظهر إسلامه يوم الفتح وأمّا أبو طالب فلم يُؤمن أصلاً وأن سألتني عن سّره أقول لك أنّ معاوية حيث كان من أعداء علّي وأهل بيته كان مؤمناً من أوّل الأمر وأمّا أبو طالب فليس كذلك وأيّ ذنبٍ له أكبر من كونه حامياً لرسول اللّه وأباً لأمير المؤمنين:

وأمّا الخبر الّذي رَووه من أنّه قيل له ﷺ لو إستَغفرت لأبيك وأُمّك الىٰ آخر الحديث فقد يشهد بكذبه وجعله كل عقل سليم وذلك لأنّ أباه ﷺ قد مات قبل ولادته وأُمّه ماتت قبل بعثته ومن المعلوم عقلاً وشرعاً أنّ الميّت لا يُكلّف بعد موته فلأيّ شئ جُعلا في حُجرةٍ من حُجرات جهنّم فأن كانت العلّة عدم إيمانهما برسول اللّه كما هو ظاهر إستدلال المُستّدل بل صريح كلامه يلزم أن يكون جميع النّاس الّذين ماتوا قبل بعثته في نار جهنّم ومنهم عبد المُطّلب وهاشم وعبد مناف وبالجملة آبائه ﷺ الىٰ آدم أبو البَشر ولا أَقلّ الىٰ عيسىٰ بن مريم وهو كما ترىٰ يدّل علىٰ ضلالة قائله وحماقته وأن كانت غير ذلك فهو خارج عن البحث وعلىٰ المُستّدل بيانه ولا أظّن أنّ هذا الخبر وأمثاله صدر عن مُسلِم مؤمنٍ وأنّما هو من مأخذ اليهُود أو مَن هو شّر منهم من الكذّابين الوضّاعين في الإسلام مثل أبي هريرة وأنس وسمرة بن جندب وغيرهم ولا غرو فيه فأنّ الأخبار الموضوعة في الإسلام أكثر من الأخبار الصّحيحة بمراتب وحيث ثبت نسبة الكَذب الىٰ رسول اللّه ﷺ في حياته وبالنّسبة الىٰ شخصه

فما ظنّك بآبائه وأجداده وأقربائه.

والحقّ عندنا أنّ أبا طالب كان مؤمناً بالله وبرسوله وما مات إلّا مُسلِماً حقّاً بالعقل والنّقل:

أمّا العقل: فلأنّه لا شكّ أنّ أبا طالب كان حامياً لرسول الله ﷺ الىٰ أن مات وهذا ممّا لا ينكره أحد والحماية عن الرّسول لا تكون إلّا بعد الإيمان به والإعتقاد بصحّة دعوته ومُجرد كونه عمّاً له لا يكفي في الذّب عنه بهذه المثابة الّتيلم يرها أحَد في حقّ أحد ضرورة أنّ لرسول الله ﷺ كان أعماماً كأبي لَهَب وعبّاس والحارث بن عبد المطّلب وحمزة قبل إسلامه فلو كان الباعث علىٰ الحماية مُجرّد القرابة لكانوا من أعوانه وأنصاره ومحاميه لوجود الملاك فيهم وإذ ليس فليس:

وثانياً: أنّ عبد المطّلب أوصىٰ الىٰ أبي طالب في رسول الله ﷺ ولا شكّ أنّ عبد المطّلب كان أعرف بأولاده من غيره فهو يدّل علىٰ كونه أصلح وأفضل من غيره بل نقول أنّه كان وصّياً لأبيه عبد المطّلب وعبد المطّلب كان مؤمناً حقّاً فكيف يكون الوصّي كافراً:

وثالثاً: أنّ رسول الله ﷺ كان في بيت أبي طالب يأكل معه ويشرب وهذا ممّا لا شكّ فيه لأحدٍ فلو كان أبو طالب كافراً يلزم إستنصار الرّسول بالكافر أوّلاً والمخالِطة والمعاشرة والبيتوتة في بيته ثانياً والكلّ ينافي مقام الرّسالة وقد أذهب الله عنه الرّجس وطهّره تطهيراً:

وأمّا النّقل: فالأخبار كثيرة:

فمنها ما رواه السّيد المرتضىٰ ﵀ في كتاب الفصول ناقلاً عن شيخه المفيد ﵀ أنّه قال ممّا يدّل علىٰ إيمان أبي طالب إخلاصه في الوّدّ لرسول الله والنّصرة له بقلبه ولسانه ويده وأمَر ولَدَيه عليّاً وجعفر بأتّباعه وقول رسول الله فيه عند وفاته وصلتك رحم وجزيت خيراً يا عمّ فدعا له وليس يجوز أن يدعو بعد الموت لكافرٍ ولا يسأل الله عزّ وجلّ له خيراً ثمّ أمَره عليّاً خاصّة من بين

أولاده الحاضرين بتغسيله وتكفينه وتوريثه دون عقيل إبنه وقد كان حاضراً ودون طالب أيضاً ولم يكن من أولاده من قد آمن في تلك الحال إلّا أمير المؤمنين وجعفر وكان جعفر غائباً في بلاد الحَبشة فلم يحضر من أولاده مؤمن إلّا أمير المؤمنين فأمَرَه بتولّي أمرَه دون من لم يكن علىٰ الإيمان ولو كان كافراً لما أَمَر إبنه المؤمن بتولّيه ولكان الكافر أحقّ به مع أنّ الخبر قد ورد علىٰ الإستفاضة بأنّ جبرئيل نزل علىٰ رسول اللّه ﷺ عند موت أبي طالب فقال له يا محمّد أنّ ربّك يقرؤك السّلام ويقول لك أُخرج من مكّة فقد مات ناصرك وهذا يُبرهن عن إيمانه لتّحققه بنصرة رسول اللّه وتقوية أمَره ويدّل علىٰ ذلك قوله لإبنه أمير المؤمنين حين رآه يصّلي مع رسول اللّه ﷺ أتبّعه فأنّه لا يدعو الىٰ خير فأعتَرَف بصدق رسول اللّه وذلك حقيقة الإيمان وقوله وقد مرّ علىٰ أمير المؤمنين ثانية وهو يُصّلي عن يمين رسول اللّه ومعه جعفر إبنه فقال له يا بنّي صلّ جناح بن عمّك فصّلىٰ جعفر مَعَه وتأخّر أمير المؤمنين حتّىٰ صار هو وجعفر خلف رسول اللّه فجاءت الرّواية بأنّها أوّل صلوة جماعة صلّيت في الإسلام فقال عليه السلام :

أنّ عـلّياً وجـعفراً ثـقتي ... عـند مـلّم الزّمـان والكـرب
واللّـه لا أخـذل النّبي ولا ... يـخذله مـن بـني ذوي حَسَب
لا تـخذلا وأنـصرا إبـن عـمّكما ... أخـي لأُمّـي مـن بـينهم وأبي

ثمّ قال السّيد ومنه قوله المشهور عنه بين أهـل المعرفة وأنت إذا إلتَمَسته وَجَدته في غير موضع من المصنّفات وقد ذكره الحسن بن بشر الأمدي في كتاب صلح القبائل:

تـرجـون أن نسـخي بـقتل مـحمّدٍ
ولم تـختضب سـمر العـوالي مـن الدّم
كـذبتم وبـيت اللّـه حـتّىٰ تـعَّرفوا
جـماجم تـلقىٰ بـالحطيم وزمـزم

ويــــقطع أرحـــام ويُــــنسىٰ جــليله

جــليلاً ويـغشي مـحرماً بـعد مـحرم

ويـــنهض قـــوم فـــي الحـديد اليكـم

يـــذودون عـن أحســابهم كـلّ مـحرم

عــلىٰ مــا أتــىٰ مــن بـغيكم وضـلالكم

وغشـــيانكم فـــي أمــرنا كـلّ مأثــم

بـــظلم نـــبيٍّ جــاء يـدعو الىٰ الهُــدىٰ

وأمـــرٍ أتـــىٰ مـــن عـند ذى العـرش

مُـــبرَم فـلا تـحسبونا مُســلميه ومـثله

إذا كـــان فـــي قـــومٍ فـليس بـمسلمٍ

فــــهذي مـــعاذيره تَـــقدّمةُ لكـــم

لئـــلّا يكـــون الحَـرب قـبل التّـقدم

ثمّ أورد ﷺ كثيراً من الأخبار والأشعار الدّالة علىٰ إيمان أبي طالب لم نذكرها مخافة الإطناب.

ومنها ـ ما رواه في البحار عن الكراجكي بأسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه كان جالساً في الرّحبة والنّاس حَوله فقام اليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أنّك بالمكان الّذي أنزلك اللّه وأبوك معذّب في النّار فقال عليه السلام فضّ اللّه فاك والّذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً لو شفع أبي في كلّ مذنبٍ علىٰ وجه الأرض لشَفّعه اللّه فيهم، أبي مُعذّب في النّار وابنه قسيم الجنّة والنّار والّذي بَعَث محمّداً بالحقّ أنّ نور أبي طالب ليطفئ أنوار الخلائق إلّا خمسة أنوار نور محمّد ونور فاطمة ونور الحسن ونور الحسين ونور ولده من الأئمّة إلّا أنّ نوره من نورنا خلقه اللّه من قبل خلق آدم بألفَي عام انتهىٰ« ج ٩ ص ٢٣»...

ومنها ـ ما رواه عنه أيضاً بأسناده عن أبان بن محمّد قال كتبت الىٰ الإمام علّي بن موسىٰ جعلت فداك أنّي شككت في إيمان أبي طالب قال فكتب بسم

اللّه الرّحمن الرحيم ومن يبتّغ غير سبيل المؤمنين نولّه ما نولّي أمّا أنّك أن لم تقّر بإيمان أبي طالب كان مصيرك الىٰ النّار انتهىٰ« ص ٢٣»...

ومنها ـ ما رواه بأسناده أنّ عبد العظيم بن عبد اللّه العلوي كان مريضاً فكتب الىٰ أبي الحسن الرّضا عليه السلام عرّفني يا بن رسول اللّه عن الخبر المرّوي أنّ أبا طالب في ضحضاحٍ من نار يغلي منه دماغه فكتب اليه الرّضا عليه السلام :

بسم اللّه الرحّمن الرحّيم أمّا بعد فأنّك أن شككتَ في إيمان أبي طالب كان مصيرك الىٰ النّار انتهىٰ« ص ٢٣»...

ومنها ـ ما رواه بأسناده عن محمّد بن يونس عن أبيه عن أبي عبد اللّه عليه السلام أنّه قال يا يونس ما يقول النّاس في أبي طالب قلت جعلت فداك يقولون هو في ضحضاح من نار وفي رجليه نعلان من نار تغلي منها أُمّ رأسه فقال عليه السلام كذب أعداء اللّه أنّ أبا طالب من رُفقاء النّبيين والصّديقين والشّهداء والصّالحين وحسن أُولئك رفيقا انتهىٰ« ص ٢٤»...

ومنها ـ ما رواه بأسناده عن الشّعبي يرفعه عن أمير المؤمنين قال كان واللّه أبو طالب عبد مناف بن عبد المطّلب مؤمِناً مسلماً يكتم إيمانه مخافةً علىٰ بني هاشم أن تنابذها قُريش انتهىٰ« ص ٢٤»...

أقول: والأخبار في الباب كثيرة جداً ذكر شطراً منها المجلسي رحمه الله في البحار وفيما نقلناه كفاية لأُولوا الألباب وفي كثير من أشعار أبي طالب دلالة واضحة بل تصريح بإيمانه منها قوله في قصيدة له:

فأمسىٰ إبن عبد اللّه فينا مصّدقاً
علىٰ ساخطٍ من قومنا غير معتبِ
فلا تحسبونا خاذلين محمّداً
لدىٰ غربةٍ منّا ولا متقربِ
ستمنعه منّا يدٌ هاشمية
مركبّها في النّاس خير مركّبِ

فــلا والّـــذي تــخذي له كــلّ نَــضوَةٍ
طـــليح نـــجّي نـــجلة فـــالمُحصّب
يـــميناً صـــدقنا اللّــه فـينا ولم نكـن
لنـــخلف بـــطلاً بـــالعتيق المُــحجّب
نـــــفارقه حـــتّىٰ نـــصّرع حَـــوله
ومـــا نـــال تكـذيب النّـبي المُـقّرب

وكان النّبي ﷺ إذا أخذ مضجعه ونامت العيون جاء أبو طالب فَأَنهضَه عن مضجعه وأضجع علّياً مكانه ووكّل عليه ولده وولد أخيه فقال علّي يا أبتاه أنّي مقتول ذات ليلة فقال أبو طالب:

أصبِرنَ يا بُنّي فالصّبر أحجىٰ	كـــلّ حَـيٍ مـصيره لشـعُوبِ
قــد بـلوَناك والبـلاء شـديد	لفـداء النّجيب وابن النّجيب
لفـداء الأعـزّ ذي الحسب الثّا	قب والبـاع والفـناء الرّحيب
أن تصبك المنُون بالنّبل تبريْ	فـمُصيب مـنها وغـير مُصيب
كـلّ حـيٍ وأن تـطاول عُـمراً	آخِـــذُ مـن سـهامها بـنصيبِ

فقال علّي عليه السلام :

أتأمـــرني بـــالصّبر فــي نــصر أحــمدٍ
وَواللّــه مــا قــلت الّذي قلت جـازعاً
ولكـــنّني أحـــببت أن تَـــرَ نُـصرتي
وتـــــعلم أنّـــي لم أزل لك طـــائعاً
وســعيي لوجــه اللّــه فـي نـصر أحـمدٍ
نــبّي الهُـدىٰ المـحمود طـفلاً ويـافعاً

ومنها ـ قوله:

لعمري لقد كلّفت وجداً بأحمدٍ	وأَحببته حبّ الحبيب المواصل
وجدّت بنفسي دونـه وحـمّيته	ودارأتُ عنه بالذّرىٰ والكلاكل

فلا زال في الدّنيا جمالاً لأهلها   وشيئاً لمن عاداه زين المحافل
حليماً رشيداً حازماً غير طائشٍ   يوالي إلٰه الخلق ليس بماحل
فأيّده ربّ العباد بنصره   وأظهر ديناً حقّه غير باطلٍ
لقد علموا أنّ إبننا لا مُكذّب   لدينا ولا يعني بقيل الأباطل

ومنها۔ قوله ﷺ :

أَخلتُم بأنّا مُسلّمون محمّداً   ولمّا نقاذف دونه با المراجم
أَميناً حبيباً في البلاد مسّوقاً   بخاتم ربّ قاهرٍ للجرا ثمّ
يرىٰ النّاس برهاناً عليه وهيبةً   وما جاهلٌ في فعله مثل عالمٍ
نبيٌ أتاه الوحي من عند ربّه   فمن قال لا يقرع بها سنّ نادم
تطيف به جرثومة هاشمّية   تذابون عنه كلّ باغٍ وظالمٍ

ومنها۔ قوله ﷺ:

أَلا أبلغا عنّي علىٰ ذات بينها   لؤياً وخصّاً من لُؤي بني كعبٍ
أَلَم تعلموا إنّا وجدنا محمّداً   نبّياً كموسىٰ خطّ في أوّل الكتب
وأنّ علّياً في العباد محبّة   ولا سنّ فيمن خصّه اللّه بالحبّ

ومنها۔ قوله في حَضّ حمزة علىٰ نصره ﷺ:

فصبراً أبا يعلي علىٰ دين أحمدٍ   وكُن مظهراً للدّين وفقّت صابراً
وخط من أتىٰ بالدّين من عندربّه   بصدقٍ وحقٍ لا تكن حمز كافراً
فقد سرّني إذ قلت أنّك مؤمن   فكُن لرسول اللّه في اللّه نا صراً
وباد قُريشاً بالّذي قد أتيته   جهاراً وقُل ماكان أحمد ساحراً

ومنها۔ قوله ﷺ :

يا شاهد اللّه علّيّ فأشهد   آمنتُ بالواحد ربّ أحمد
من ضلّ في الدّين فأنّي مهتدي

ومنها:

مليك النّاس ليس له شريك   هو الوّهاب والمُبديءُ المُعيد

ومــن فــوق السّــماء له بــحقٍ ومــن تــحت السّــماء له عــبيدُ

ومنها:

قل لمن كان من كنانة فـي العِـزّ وأهــل النّــدىٰ وأهــل الفــعال
قد أتـاكـم مـن المـليك رسـول فـــأقبلوه بـــصالح الأعـــمال
وأنـصروا أحـمداً فأنّ مـن اللّـهِ رداءُ عـــــليه غـــير مـــدالٍ

ومنها:

لقــد كــرّم اللّــه النّبي مـحمّداً فأكرم خلق اللّه في النّاس أحمد
وشقّ له إسـمُ مـن إسـمه ليـجّله فذو العرش محمودُ وهذا محمدُ

ومنها:

إذا إجتمعت يوماً قريش لمفخرٍ فـعبد مـنافٍ صرعها وصَممها
وأن حَضرت أشراف عبد منافها فـفي هـاشم أشـرافها وقـديمها
فـفيهم نـبّي اللّـه أعـني مـحمّداً هو المُصطفىٰ من سرّها وكريمها
تــداعت قُـرَيش غـثّها وسـمينها علينا فلم تَظفر وطاشت حلُومُها

ومنها :

أَلَــم تَــين مــن بـعدهٍ هَــمّمتُه بـــغرّة حـــرّ الوالديــن كــرام
بأحمد لمّـا أن شـددت مـطّيتي لرحـــلٍ أدد ودّعـــتُه بســـلامِ
بكىٰ حَزناً والعيس قد فَصلت لنا وجــاذبٌ بـالكَفّين فـضل زمـامٍ
ذكرتُ أبـاه ثـمّ رقـرقت عـبرة تفيض علىٰ الخَـدّين ذات سـجام
فقلت له رُح راشداً في عـمومةٍ مواسين فـي البأسـاء غـير لئـام
فلمّا هبطنا أرض بُصرىٰ تشّرفوا لنــا فـوق دورٍ يـنظرون جسـام
فجاء بـحيراء عـند ذلك حـاسراً لنـــا بشــرابٍ طـيّب وطـعام
فقال أجمعوا أصحابكم لطعامنا فـقلنا جـميع القَـوم غـير غـلانٍ
يــتيمُ فـقال أدعـوه أنّ طـعامنا كــثير عــليه اليـوم غـير حـرام
فـــلمّا رأوه مُـقبلاً نــحو داره يُـوّقيه حَـرّ الشّـمس ظـلّ غـمامٍ

وأقبل ركبٌ يطلبون الّذي رأىٰ نجيرا من الأعلام وسط خيام
فثار اليهم خشيةً لعرامهم وكانوا ذوي وهَي معاً وغرام
دريساً وتماماً وقد كان فيهم زبير وكلّ القوم غير ينامٌ
فجاؤوا وقد همّوا بقتل محمّدٍ فردّهم عنه بحسن خصام
بتأويله التّوريٰة حتّىٰ تفرّقوا وقال لهم ما أنتم بطغام
فذلك من أعلامه وبياضه وليس نهارٌ واضحٌ كظلامٍ

ومنها ـ مخاطباً لرسول اللّه ﷺ :

إذهب بُني فما عليك غضاضة اذهب وقرّ بذاك منك عُيوناً
واللّه لن يصلوا اليك بجمعهم حتّىٰ أُوسّد في التُّراب دَفينا
ودَعوتني وعلمت أنّك ناصحي ولقد صدقت وكُنت قبل أمينا
وذكرت ديناً لا محالة أنّه من خير أديان البَرية دينا

وأنت إذا تأمّلت في هذه الأشعار لعلمت أنّ أباطالب كان من أفضل المؤمنين برسول اللّه ﷺ ولكن لا تعجب من حكمهم بكُفره فأنّ من حَكَم بكُفر عبد اللّه وآمنة وأنّهما في حُجرة من حُجرات جهنّم فليكن أبا طالب مثلهما ومعهما كما أنّ رسول اللّه ﷺ وعليّاً كانا معاً في الدّنيا والآخرة وأنّما أطلنا الكلام في الباب لأنّه من المهمّات في باب الإعتقادات ونرجو من اللّه تعالىٰ الخيرات والحَسَنات وأن يجعل أبا طالب وإبنه أمير المؤمنين من شفعائنا يوم الحساب بمُحمّدٍ وآله الأنجاب.

▫ **قوله** عليه السلام: **ولا المُهاجِرُ كالطَّلِيقِ ولاَ الصَّرِيحُ كاللَّصِيقِ...**

أراد عليه السلام بالمُهاجِرُ نفسه الشّريفة وبالطّليق معاوية كما أنّ المراد بالصّريح أيضاً نفسه وباللّصيق معاوية والفرق بين المُهاجر والطّليق واضح كما بين الصّريح أعني به النّسب الصّحيح واللّصيق وهو الّذي لا نَسَب له أمّا أنه عليه السلام كان مُهاجراً فلا خفاء فيه بل هاجر عليه السلام مع النّبي أوّلاً الىٰ الشّعب كما مرّ الكلام فيه وثانياً من مكّة الىٰ المَدينة وقد مرّ أيضاً وقد قال اللّه تعالىٰ في مَدح المُهاجرين

عامّة وفيه خاصّة: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوا أَوْ نَصَرُوا أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ، وَالَّذِين ءَامَنُوا مِن بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ اللَّهِ﴾(١)

فقوله تعالىٰ ﴿وأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ﴾ أولىٰ ببعضٍ المراد بهم أقرباء النّبي وفي رأسهم أمير المؤمنين حيث أنّه سبقهم بالإيمان، ثمّ بالهجرة الى الشّعب ثمّ بالجهاد ثمّ سَبقهم بعد هذه الثلاثة الرّتب بكونه من ذوي الأرحام ولم يشك فيه أحد.

وأمّا أنّ معاوية كان طليقاً فلأنّه لم يُسلم ولو ظاهراً إلّا يوم الفتح حيث أُسر هو وأبوه وأعوانه وأنصاره من المُشركين فقال لهم رسول اللّه ﷺ **إذهبوا أنتم الطّلقاء** ومعاوية كان منهم وفيهم ولذلك أطلقوا عليهم في صدر الإسلام الطّلقاء وعلىٰ أولادهم أبناء الطّلقاء ألا ترىٰ أنّ زينب بنت علّي عليها السلام قالت في مجلس يزيد لعنه اللّه مخاطبةً أيّاه **أَمِن العَدل يابن الطّلقاء تخديرك حرائرك وإمائك وبنات رسول اللّه سبايا.**

وأمّا أنّ أمير المؤمنين كان صريح النّسب وصحيحه فهو ظاهر فأنّ أُمّه فاطمة بنت أسد وأباه أبو طالب بن عبد المُطّلب وهكذا الىٰ آخر نَسَبه ونَسَب النّبي واحد.

وأمّا أنّ معاوية كان لَصيقاً أي مَخدوش النّسب فهو أيضاً لا كلام فيه فأنّ أُمّه هند كانت مشهورةٌ بالفجُور وهكذا أبو سفيان وقد ثبت أنّ معاوية لم يكن إبناً لأبي سفيان وقد نقلنا عن الزّمخشري ما يُصّرح به وهو من أعيان العامّة هذا أن قُلنا أنّ المراد باللّصيق هو معاوية فقط.

ويمكن أن يكون المراد به بني أُمّية قاطبة وذلك لأنّهم أولاد أُمّية وقد ذكرنا أنّ أُمّية كان غُلاماً رومّياً ولم يكن من العَرب أصلاً فضلاً عن كونه من قُرَيش.

١- الانفال-٧٤ و ٧٥

قال صاحب الكامل البهائي أنّ أُمّية كان غلاماً روميّاً لعبد الشّمس فلما ألقاه كَيّساً فطناً أعتقه وتبّناه فقيل أُمّية بن عبد الشّمس كما كانوا يقولون قبل نزول الآية زيد بن محمّد ولذا روي عن الصّادقين في قوله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ (١) أنّهم بنو أُمّية ومن هنا يظهر نسب عثمان ومعاوية وأنّهما لا يصلحان للخلافة لقوله ﷺ: **الأئمّة من قُرَيش.**

وقال مؤلف كتاب إلزام النواصب أمّية لم يكن من صلب عبد شمس وأنّما هو من الرّوم فإستَلحقه عبد شمس فَنسب اليه فبنوا أُمّية كلّهم ليسوا من صميم قُرَيش وأنّما هم يَلحقون بهم ويصدق ذلك قول أمير المؤمنين أنّ بني أُمّية لصّاق وليسوا صحيحي النّسب الىٰ عبد مناف ولم يستطع معاوية إنكار ذلك انتهىٰ.

وأمّا قوله ﷺ: **ولا المُحِقّ كالمُبطِل ولا المُؤمِن كالمُدغل،** فالمراد بالمُحقّ هو نفسه وبالمُبطل معاوية وبالمؤمن نفسه وبالمُدغل معاوية وهو أيضاً ثابت.

أمّا كونه ﷺ مُحِقّاً فَفيه إشارة الىٰ كونه ﷺ أَحقّ بالخلافة من غيره وقد فَرغنا في المُجلد الأوّل من هذا الكتاب عن إثباته وأمّا كون معاوية مُبطلاً في إدّعاء الخلافة فمن شك فيه فقد كفر بما أنزل اللّه علىٰ محمّد صلىٰ عليه وآله.

وأمّا كونه ﷺ مُؤمناً فهو أيضاً واضح فأنّه أوّل من آمن باللّه وبرسوله لم يكفر باللّه طرفة عين أبداً وهو موضع وفاقٍ بين الكلّ وأمّا معاوية فلم يؤمن باللّه طرفة عينٍ وهو أيضاً ثابت عند العُقلاء وأن كان مُتظاهراً به وهذا هو معنىٰ المُدغِل وقد مرّ الكلام في نفاقه .

□ **قوله ﷺ: ولَبِئْسَ الخَلْفُ يَتْبَع سَلَفاً هَوَىٰ في نارِ جَهَنَّمَ...**

قال اللّه تعالىٰ حكايةً عن المُشركين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَآءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ (٢) ذمّ اللّه تعالىٰ المُشركين لأجل متابعتهم آباؤهم في الكُفر والإلحاد ومعاوية كان كذلك فأنّه كان تابعاً لآبائه المُشركين في محاربة اللّه

١-الرّوم ـ ١

٢- الزّخرف ـ ٢٣

ورسوله ووصّيه ألا ترىٰ أنّ أبا سفيان كان من أشدّ أعداء النّبي وأعظم محاربيه فكذلك ابنه معاوية كان مُحارباً لوصّي النّبي ولا نعني بالمتّابعة إلّا هذا وحيث كان الأمر فيه علىٰ هذا المنوال فهو لا محالة كان تابعاً لهم في الآخرة أيضاً ولأجل ذلك قال ﷺ: **وَلَبِئسَ الخَلْفُ** أعني معاوية يتبع سَلفاً هو أبو سفيان هَوىٰ وسَقط في نارِ جِهَنَّمَ أي كما أنّ آبائه سقطوا فيها فكذلك هو لكونه تابعاً لهم في أعمالهم وعقائدهم.

▫ **قوله ﷺ: وَفي أيْدِينا بَعْدُ فَضْلُ النُّبوَّةِ الّتي أَذْلَلنا بها العَزِيزَ ونَعَشْنا بَها الذَّلِيلَ...**

بعد ذكره ﷺ مراتب الفَرق بين بني أُمَيّة وبني هاشم من حيث الظّاهر وتفاهم العُرفي ذكر فرقاً آخر هو الأصل في الباب وعليه مدار الكمالات والفضائل النّفسانية وبه تحصل سعادة النّشأتين وهو النّبوة والرّسالة فقال ﷺ وَفي أيْدِينا أي في أيدي بني هاشم بعد ما ذكرناه من الفروق فضل النّبوة الّتي لا يُقاس بها شئ وهي الّتي صارت باعثة لتذليل من كان عزيزاً عند المُشركين كأبي سفيان وأمثاله حيث أنّها أذلّت رقابهم وترفيع مقام من كان ذليلاً عندهم لفقره كأبي ذر وعمّار وسلمان وفي هذا الكلام أشار ﷺ الىٰ أُمور ثلاثة فَنشير اليها إجمالاً:

الأمر الأوّل فضل النّبوة والمراد فضيلتها وشرفها وإثبات أنّ كلّ فضل من الفضائل فهو دونه بل لا فضيلة لشئ إلّا بها فأنّ ما يعدّونه النّاس فضيلة ليس بفضيلةٍ واقعاً إذا لم يُنشأ منها وبعبارةٍ أخصر النّبوة هي الأصل والكمالات والفضائل فروع عليها وتوضيحه:

أنّ النّعم الإلٰهية في عالم الوجود تنقسم الىٰ قسمين مادّية ومعنّوية أو مَحسُوسة بالحّواس الخمس الظّاهرة وغير محسوسة بها وفَضل المعنّويات علىٰ المّاديات كَفَضل اللّب علىٰ القِشر فكما أنّ قيمة القِشر باللُّب كذلك قيمة المّادة بالمعنىٰ والقالب بما فيه والسّر فيه أنّ المحسوسات كلّها جُعلت

للوصول بها الىٰ المعنّويات وإلّا فهي مع قطع النّظر عن مقام الإتصال لا قيمة لها فأنّها مابها يُنظر لا مافيها يُنظر هذا **أوّلاً**:

وثانياً: أنّ المحسوسات محفوفة بالفناء والدّثور والمعنويات بالبقاء والدّوام والباقي خير من الفاني،

وثالثاً: أنّ المحسوسات المّاديات تتّعلق بالأجسام وقواها والمَعنويات تتّعلق بالأرواح والنّفوس النّاطقة فكما أنّ الرّوح أفضل من البدن كذلك ما يوجب كمال الرّوح ورابعاً أنّ المحسوسات مشتركة بين الإنسان والحيوان والنّبات بل الجماد والمعنّويات تختّص بالإنسان وهذا هو الشّرَف المُميز بينه وبين غيره من الأقسام الثلاثة.

إذا عرفت هذا فنقول لا نعمة في المعنّويات أفضل وأشرف من نعمة الرّسالة والنّبوة بل هي الأصل فيها وغيرها فرع عليها مُنبعثٌ عنها ولذلك ترىٰ اللّه تعالىٰ لم يَمُنّ علىٰ عباده في جميع نِعَمه الظّاهرة والباطِنة إلّا في نِعمة الرّسالة والنّبوة حيث قال تعالىٰ: **﴿لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلىَ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾**(١) والوَجه فيه يظهر من الآية بأدنىٰ تأمل فيها وهو قوله يتلو عليهم آياته ويزكيهم الخ وذلك لأنّ الإنسان إذا كان جاهلاً أسيراً في شهواته النّفسانية بعيداً عن المَلكات والفضائل الأخلاقية فهو والحيوان سواء بل هو أضَل منه وأَخبث ولا شَك أنّ المُخرج له من هذه الوَرطة المُهلكة هو النّبوة وتعاليمها الحَسَنة وإتّباع النّاس عنها عِلماً وَعَملاً وبالجملة هي الّتي تُصَير الإنسان إنساناً واقعاً وتُخرجه عن مقام الحيوانية وتُوصله الىٰ مقام الإنسانية فالإنسان لا يكون إنساناً إلّا بَبركة النّبوة والعَمَل بأحكامها ومحصّل الكلام أنّ فضل النّبوة علىٰ غيرها كفضل الوجود علىٰ العَدم هذا كلّه بالنّسبة الىٰ الواقع وأمّا آثار النّبوة في ظاهر الإجتماع فهي أيضاً كثيرة وقد أشار ﷺ الىٰ أثرين منها

١ - آل عمران - ١٦٤

هما الأصل فيها أحدهما، إذلال العَزيز وثانيهما، نَعش الذّليل وترفيعه والمراد من العزيز والذّليل هو المُتعارف منهما في نظر أهل الدّنيا لا العَزيز والذّليل بحسب الواقع وذلك لأنّ أبناء الزّمان يطلقون العزيز على صاحب المال والمقام والعشيرة وأمثال ذلك وأن لم يكن له دين وفضل كما أنّ الذّليل عندهم عبارة عن الفقير وفاقد المقام والعشيرة وأن كان له فضل وَشَرف فأنّ أبا سفيان وأبا جهل وأبا لهب وأمثالهم كانوا عند النّاس في عهد الجاهلية عزيزاً وأبا ذّر وسلمان وعمّار وأمثالهم ذليلاً وأمّا بعد طلوع الإسلام فالأمر صار بالعكس وذلك لأنّ الإسلام جعل أساس الفضل على التّقوى وقال: **﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَيكُمْ﴾**(١) ولأجل ذلك قال عليه السلام الّتي أذللنا بها العَزيز ونعشنا بها الذّليل وأنّما أشار عليه السلام بهذين الوَصفين من بين الأوصاف لأنّ معاوية وأباه وغيرهما من بنّي أُمّية كانوا قبل الإسلام من الأشراف والنّاس كانوا منهم خائفين لشرارتهم وفسادهم وأمّا بعد الإسلام فصاروا ذليلاً حقيراً في نظر الإسلام والمُسلمين فكأنّه عليه السلام قال الّتي أذلّلنا بها بنّي أُميّة وأنت فيهم:

□ **قوله عليه السلام: ولَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجاً وأَسْلَمَتْ لهُ هذِهِ الأُمَّةُ طَوْعاً وكَرْهاً...**

فيه إشارة الى قوله تعالى: **﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسِ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً﴾**(٢)

وأنّما نَسَب الإدخال في الدّين الى اللّه تعالى لا الى النّبي ولا الى غيره لِلإشارة الى أنّ قبول الدّين والدّخول في سِلك المُتّقين أنّما هو بإرادة اللّه وتوفيقه كما قال تعالى مخاطباً لنبيه: **﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾**(٣) وهو لا ينافي إختيار النّاس في قبول الدّين فأنّ الفعل مسبوق بالمبادئ الأربعة وهي موجودة والتّوفيق وهو تهيئة الأسباب منه تعالى:

١- الحجرات ـ ١٣
٢- النّصر ـ ٢
٣- قصص ـ ٥٦

ثمّ أنّ في قوله عليه السلام: **وأَسْلَمتْ له هذِهِ الأُمَّةُ طَوْعاً وَكَرْهاً** إشارة الىٰ أنّ المُسلمين في صدر الإسلام كانوا علىٰ صنفين، صنفٌ منهم أسلَم بالطّوع والرّغبة أمثال عمّار وأبي ذرّ وسلمان وغيرهم فأنّهم لمّا عرفوا الإسلام علموا أنّ سعادة الدّارين فيه فأسلموا وصنف منهم أسلَم علىٰ سبيل الكراهة بمعنىٰ أنّهم لم يقبلوا الإسلام لأجل الإسلام بل قبلوه ليحفظوا به دمائهم وأموالهم وأعراضهم بعد عجزهم عن إطفاء نوره كأبي سفيان وإبنه معاوية وطلحة والزّبير وابن العاص وأمثالهم ولأجل ذلك تراهم قد أظهروا نفاقهم وعنادهم بعد ما وجدوا أعواناً عليه كما قال عليه السلام:

▫ قوله عليه السلام: **كُنْتمْ مِمَّنْ دَخَلَ في الدِّينِ إِمَّا رَغْبةً وإِمَّا رهْبَةً علىٰ حينٍ فازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهمْ وذَهَبَ الْمهاجِرُونَ والأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ...**

أي أنّكم وأمثالكم دخلتم في الدّين ولا يخلو دخولكم فيه من أمرين أمّا رَغْبة وميلاً وأمّا رهبةً وخوفاً وكيف كان فقد وقع إسلامكم بعد إسلام السّابقين الأوّلين والمهاجرين وبعبارةٍ أُخرىٰ بعد ما سبق أهل السّبق عليكم في الدّخول في الإسلام ونال المهاجرون ما نالوا من فضيلة الإسلام والهجرة وفيه إشارة الىٰ أنّ اسلامهم كان عن خوفٍ ورهبةٍ لا عن ميلٍ وإرادة وذلك لأنّه لوكان كذلك أَسلموا قبل الهجرة وقبل الفتح كغيرهم من المُسلمين الّذين سبقُوهم به وحيث أنّهم بقوا الىٰ آخر الأمر فهو دليل علىٰ أنّ إسلامهم كان عن رهبةٍ فقوله عليه السلام أمّا عن رغبةٍ وأمّا عن رَهبةٍ لا يدّل علىٰ أنّ إسلامهم كان فيه رغبة منهم ولو علىٰ سبيل الإحتمال وتوضيحه أنّ قبول الإسلام عقلاً لا يخلو عن الرّغبة والرّهبة ولا ثالث لهما فأنّ كان الأوّل فلا مجّوز لتأخيره الىٰ آخر الوقت الّذي يدور الأمر فيه الىٰ قبول الإسلام أو الجزية أو القتل فأنّ قبول الإسلام في هذا الوقت لا يكون عن رغبةٍ قطعاً ومعاوية وأبو سفيان وغيرهما مِمّن دخل في الإسلام يوم الفتح كانوا كذلك إذ لابدّ لهم من قبول الإسلام بعد فتح مكّة وإسارتهم وحيث إنتفت الرّغبة بما ذكرناه بقيت الرّهبة فإسلامهم كان عنها وهو المطلوب:

□ **قوله ﷺ: فَلاَ تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطانِ فِيكَ نَصِيباً ولا عَلىٰ نَفْسِكَ سَبِيلاً...**

الفاء للتّفريع أي إذا كان الأمر علىٰ ما ذكرناه من أنّكم دخلتم فيه كرهاً فلا تجعلنّ للشّيطان فيك نصيباً وحَظّاً بمخالفتك لِللّه ولرسوله ومتابعتك النّفس الأمّارة بالسّوء ولا علىٰ نفسك سبيلاً وهو كناية عن هَدَر دَمَه فأنّ القيام علىٰ خلاف الإسلام يوجب ذلك لصاحبه ويُدخله في المحاربين لِللّه ولرسوله ومن كان كذلك فهو مهدُور الدّم وخارج عن الإسلام.

ومن كتاب له عليه السلام (١٦)
الىٰ عبد بن عبّاس وهو عامله علىٰ البَصرة

▫ قوله عليه السلام: إعْلَمْ أنَّ البَصْرَةَ مَهْبَط إبْلِيسَ ومَغْرَسُ الْفِتَنِ فحَادِثْ أَهْلَها بالإِحْسَان إِلَيْهِمْ وأُحْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهم.

وقدْ بَلَغَني تَنَمُّرْكَ لِبَني تَميم وغِلْظَتَكَ عَلَيْهِمْ وَإِنَّ بَني تَمِيمَ لَمْ يَغِبْ لهُمْ نَجمٌ إِلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخَر وإِنَّهُمْ لمْ يُسْبَقُوا بِوَغْمٍ فِي جاهِلِيَّةٍ وَلا إسْلاَمٍ وإنَّ لهُمْ بِنَا رَحِماً ماسَّةً وقَرَابَةً خَاصَّةً نَحْنُ مأجُورُونَ عَلَىٰ صِلَتِها وَمأزُورُونَ علىٰ قَطِيعَتها فارْبَعْ أبا العَبَّاسِ رَحِمَكَ اللَّهُ فِيما جَرَىٰ علىٰ لِسانِكَ وَيَدِكَ منْ خَيرٍ وَشرٍّ فإِنَّا شَرِيكانِ فِي ذَلِكَ وكُنْ عنْدَ صالحِ ظَنِّي بِكَ ولا يَفِيَنَّ رَأيي فِيكَ والسَّلاَمُ.

◁ اللغة

(تَنَمُّرِكَ) التَنَمُّر بفتح التّاء والنّون وضّم الميم المشدّدة علىٰ وزن تكبّر، سُوء الخُلق وقيل تَنكّر الأخلاق (بِوِغْمٍ) الوَغم بفتح الواو وسكون الغين والميم الحِقد وقيل الحَرب وقيل البأس والشّدة (فأرْبَعُ) أي أرفق:

◁ المعنىٰ

(إعْلَمْ) يا بن عبّاس (أنَّ البَصْرَةَ مَهْبَط إبْلِيسَ) أي محلّ هبوطه (ومَغْرَسُ الْفِتَنِ) أي مكان غرس الفِتنة والفساد (فحَادِثْ) أي بُدّ وتعهّد (أهْلَها) أهل البَصْرَة (بالإِحْسَان إِلَيْهِم مالاً وخُلقاً (وأَحْلُلْ) وأفتح (عُقْدَةَ الخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهم

وَقَدْ بَلَغَني تَنَمُّرُكَ) وتَنكّر أخلاقك (**لِبَني تَميمِ وغِلْظَتُكَ عَلَيْهِمْ وَإنَّ بَني تَميمٍ لمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجمٌ**) وهو كناية عن الضّعف (**إلّا طَلَعَ لَهُمْ**) نجمٌ (**آخَرَ**) وهو كناية عن القوّة (**وإنَّهُمْ لمْ يُسْبَقُوا**) أي لم يَسْبَقْهم أحد (**بَوغْمٍ**) أي حَربٍ أو حقدٍ أو بأس بل كانوا سابقين بها على غيرهم (**في جاهِلِيَّةٍ والإسْلاَمِ**) أي أنّهم كانوا كذلك قبل الإسلام وبعده (**وإنَّ لَهُمْ بِنَا رَحِماً ماسَّةً**) وذلك لأنّ بني تميم وهاشم كان بينهما مُصاهرة (**وقَرَابَةً خاصَّةً**) أي قرابة النّسل (**نَحْنُ مأجُورُونَ**)عند اللّه (**عَلىٰ صِلَتِها**)أي على صِلة القرابة (**ومأزُورُونَ**) أصله موزورون من الوَزَر والوِبال وهو الذّنب أي نحن مُذنبون على قطع القرابة (**فأرْبَعْ**) وأرفق بهم (**أبا الْعَبَّاسِ رَحِمَكَ اللّهُ فِيما جَرىٰ عَلَىٰ لِسانِكَ وَيَدِكَ مِنْ خَيرٍ وَشَرٍّ**) أي أرفق بهم قولاً وعملاً (**فَإنَّا شَرِيكانِ فِي ذٰلِكَ**) الّذي ذكرته لك من القرابة (**وَكُنْ عِنْدَ صالحِ ظَنِّي بِكَ وَلا يَفِيَنَّ**) أي لا يخطئنّ (**رَأيِي فِيكَ**) أي أجهد في العمل بما قلت لك والسّلام.

◁ الشّرح

عبد اللّه بن عبّاس إبن عمّ أمير المؤمنين ورسول اللّه ﷺ وهو عبد اللّه بن عبّاس بن عبد المُطّلب بن هاشم بن عبد مناف كان رجلاً عالماً شجاعاً من خواصّ أصحاب أمير المؤمنين وأقربهم اليه وهو الّذي يُقال له حِبر الأمّة ولمّا مات قالوا مات اليوم ربّاني هذه الأُمّة وله عند العامّة مقام رفيع وأنّهم يفتخرون به وهو كان يفتخر بأمير المؤمنين في تَلمذه عنده ولمّا سُئل عن علمه بالقياس الىٰ علم إبن عمّه أمير المؤمنين قال كالقَطرة بجنب البحر أو أقلّ منها وهو أشهر عند العامّة والخاصّة من أن يُوصف وكيف كان فهو كان مُلازماً لأمير المؤمنين في حَضره وسَفَره وأَخَذ علمه عنه عليه السلام ولم يأخذ عن أحدٍ من الأصحاب ما أَخَذه منه كان والياً على البَصرة من قِبل عليّ عليه السلام بعد فتح البَصرة وقتل طلحة والزّبير وأمّا قبل وقعة الجَمَل كان الوالي عليها عثمان بن حُنيف وهو أيضاً كان من كبار الأصحاب ونتكلم في حالات إبن عبّاس فيما يأتي

إنشاء اللّه.

وأمّا بنو تميم فهم قبيلة مشهورة من قبائل العَرب لا يهمّنا البحث فيهم وسنشير الىٰ بعض أوصافهم:

▫ قوله عليه السلام: **وإعْلَمْ أَنَّ البَصْرَةَ مَهْبَطُ إِبْلِيسَ وَمَغْرَسُ الفِتَنِ...**

البَصْرةَ بَلدة من بلاد العراق مشهورة بها وقعت وقعة الجَمل والمَهبَط إسم مكان من الهَبَط وهو النّزول كما أنّ المَغرس إسم مكان من الغَرس يقال غَرَس الشّجَر في هذا المكان أمّا كونها مَهبَط إبليس، فيمكن أن يكون اللّفظ علىٰ حقيقته ويمكن أن يكون كناية عن شئ آخر علىٰ سبيل المجاز.

فعلىٰ الأوّل: معناه أنّ إبليس بعد إغوائه آدم وحّواء أخرجه اللّه وأهبَطه الىٰ الأرض فَهَبَط في المكان الّذي سُمّي بعدً بالبَصرة كما أنّ آدم هبَط علىٰ الصّفا وحّواء علىٰ المَروة.

وعلىٰ الثّاني: فهو كناية عن توجّه إبليس وعنايته بالبَصرة أي بأهلها لكونَهم مُنافقين ولأجل ذلك إختارت عائشة وطلحة والزّبير البَصرة دون غيرها من البلاد في وقعة الجَمَل وبه يظهر معنىٰ قوله عليه السلام: **ومَغْرِسُ الْفِتَنِ ألا ترىٰ أنّهم** بَعد ما نزلوا بها إجتمع النّاس حَولهم ونكثوا بيعة أمير المؤمنين ثمّ أوقدوا نار الحَرب وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض كلماته وقد مرّ مخاطباً إيّاهم كنتم جند المرأة وأتباع البهيمة الخطبة:

▫ قوله عليه السلام: **فَحادِثْ أَهْلَها بالإِحْسَان إلَيْهِمْ وَأَحْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِم...**

الفاء للتّفريع أي إذا كانت البَصرة كذلك فحادث أهلها وتَعدهم بالإحسان اليهم وأحلُل عُقدة الخوف وأفتحها عن قلوبهم وذلك لأنّ ضعفاء العقول والإيمان عبيد الإحسان لا عبيد اللّه تعالىٰ واقعاً فأنّ النّاس عبيد الدّنيا فإذا مُحصّوا بالبلاء قلّ الدّيانون فلابدّ للحاكم عليهم مراعاة أحوالهم في جميع شئونهم والمُداراة معهم في جميع أُمورهم كما هو شأن الأنبياء والأوصياء:

▫ قوله عليه السلام: **وقَدْ بَلَغَني تَنَمُّرُكَ لِبَني تَمِيمٍ وغِلْظَتَكَ عَلَيْهِمْ وَإِنَّ بَني تَميمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخَرَ...**

أي وقد **بَلَغَني** تنكر أخلاقك وسُوء رأيك لقبيلة بَني تَمِيم وَغِلْظَتَكَ عَلَيْهِمْ والحال إنَّ بَني تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجمٌ إلّا طَلَعَ لَهُمْ آخَر أي لَيْسَ لَهُمْ ضَعف إلّا ولهم بعده قُوّة وليس دوائهم إلّا المُداراة والمُراعاة وحُسن الخلق والعَفو عن مُسيئهم حتّىٰ الإمكان، وذلك لأنّ الغِلظة وتَنكر الأخلاق في الإنسان مذموم ولا سيّما في طَبقة الحاكم ألا ترىٰ أنّ اللّه تعالىٰ يقول لنبيّه: **﴿لَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾**(١) ومدح خُلقه وقال: **﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾**(٢).

▫ **قوله ﷺ: وَإِنَّهُمْ لَمْ يُسْبَقُوا بِوَغْمٍ فِي جاهِلِيَّةٍ وَلا إِسْلاَمٍ وإِنَّ لَهُمْ بِنَا رَحِماً ماسَّةً وَقَرَابَةً خَاصَّةً...**

يُسبَقوا بضم الياء وفتح الباء مجهول يُسْبَقُوا أي أن بَني تَمِيم لَمْ يسبقهم غيرهم بِوَغْم أي بحرب وحِقدٍ وبأسٍ في جاهلية والإسلام بل كانوا سابقين علىٰ غيرهم فيها في عهد الجاهلية والإسلام والحاصل أنّهم كانوا من أوّل الأمر رِجال حَربٍ وبأسٍ فَمن زَعم أنّهم يخافون من الغِلظة والشِّدة فقد أخطأ مُضافاً الىٰ أنّ لهم بنا رَحِماً ماسّة وقرابة خاصّة وذلك لأنّ بين بني تميم وهاشم كان مصاهرة وهي تستلزم القرابة بالنّسل:

▫ **قوله ﷺ: نَحْنُ مأجُورُونَ علىٰ صِلَتِها ومأزُورُونَ علىٰ قَطِيعَتِها...**

وذلك لأنّ صِلة الأرحام ممّا حثّ عليها الشّرع وأوجب عليها الأجر كما أنّ قطعها يوجب الذّنب والنّقص في العَمَل قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾**(٣) والرّحم ممّا أمَر اللّه بَوصله فيجب أن يُوصل.وقال تعالىٰ: **﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾**(٤)

إعلم: أنّ صلة الرّحم عبارة عن تشريك ذوي اللّحمة والقرابات بما ناله من المال والجاه وسائر خيرات الدّنيا وهو أفضل القربات والطّاعات كما عرفت من الآفات وقدور الأثر أيضاً بمدحه .

١-ال عمران ١٥٩
٢-القلم ـ ٤
٣- الرّعد ـ ٢١
٤- محمّد ـ ٢٢

قال رسول اللّه ﷺ أوصي الشّاهد من أُمّتي والغائب ومن في أصلاب الرّجال وأرحام النّساء الىٰ يوم القيمة أن يصل الرّحم وان كانت منه علىٰ مسيرة سنة فأنّ ذلك من الدّين انتهىٰ...

وقال ﷺ أنّ أعَجَل الخير ثواباً صِلة الرّحم انتهىٰ...

وقال ﷺ من سّره النّساء في الأَجل والزّيادة في الرّزق فَليَصل رحمه انتهىٰ...

وقال ﷺ أنّ القوم ليكونون فَجرة ولا يكونون بَرَرة فيصلون أرحامهم فتنتمي أعمالهم وتطول أعمارهم فكيف إذا كانوا أبراراً بَرَرة انتهىٰ...

وقال ﷺ الصّدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر وصِلة الإخوان بعشرين وصِلة الرّحم بأربعة وعشرين انتهىٰ...

وقيل له ﷺ أيّ النّاس أفضل فقال أتقاهم لِلّه وأوصلهم للرّحم وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر انتهىٰ...

وقال ﷺ أنّ أهل البيت ليكونون فُجاراً تُنمىٰ أعمالهم ويكثر عددهم إذا وصلوا أرحامهم انتهىٰ...

وقال ﷺ أفضل الفضائل أن تصل رَحمك (من قطعك) وتعطي من حرمك وتعفو عمّن ظلمك انتهىٰ...

وقال ﷺ - من سّره أن يُمَدّ اليه في عمره وأن يبسط في رزقه فليصل رحمه فأنّ الرّحم لها لِسان يوم القيامة إذ تقول يارَبّ صِل من وَصَلني وأقطع من قَطعني فالرّجل ليُري بسبيل خير إذا أتته الرّحم الّتي قطعها فتهوي به الىٰ أسفل قعر النّار انتهىٰ...

وقال أمير المؤمنين ؑ صِلوا أرحامكم ولو بالتسليم يقول اللّه تعالىٰ: ﴿واتّقُوا اللّهَ الّذِي تُسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (١) انتهىٰ...

والأحاديث في مدح الرّحم وصلتها وقد نقلناها عن جامع السّعادات

١-نساء ١

للزّاقي ﷺ «ج ٢ ص ٢٥٤» وتركنا كثيراً منها مخافة الإطالة:

وأمّا قطع الرّحم فهو إيذاء ذوي اللّحمة والقرابة أو عدم مواساتهم بما ناله من الرّفاهية والثّروة والخيرات الدّنيوية مع إحتياجهم اليه وهو يقابل صلة الرّحم في الذّم والقبح وهو الّذي قال اللّه تعالىٰ في كتابه: **﴿وَيَقطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوْصَلَ﴾**[1] والأخبار في ذمّه أيضاً كثيرة:

قال رسول اللّه أبغض الأعمال الىٰ اللّه الشّرك باللّه ثمّ قطيعة الرّحم ثمّ الأمر بالمنكر والنّهي عن المعروف انتهىٰ...

وقال ﷺ أنا الرّحمٰن وهذه الرّحم شققت لها إسماً من إسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته انتهىٰ...

وقال ﷺ حافتا الصراط يوم القيامة الرّحم والأمانة فإذا مرّ الوصول للرّحم المؤدي لِلأمانة نفذ الىٰ الجنّة وإذا مَرّ الخائن للأمانة القَطوع للرّحم لم ينفعهما معه عَمل ولكفئ به الصّراط في النّار انتهىٰ...

وقال أمير المؤمنين ﷺ إذا قَطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار انتهىٰ...

وقال الباقر ﷺ في كتاب علّي ﷺ ثلاث خصال لا يموت صاحبهنّ أبداً حتّىٰ يرىٰ وبالهنّ، البغي، وقطيعة الرّحم، واليمين الكاذبة يبارز اللّه بها وأنّ أعجل الطّاعات لَصّلة الرّحم وأنّ القوم ليكونون فجاراً فيتواصلون فتنمىٰ أموالهم ويثرون وأنّ اليمين الكاذبة وقطيعة الرّحم لتذران الدّيار بلاقع من أهلها وتنتقل الرّحم وأنّ نُقل الرّحم إنقطع النّسل انتهىٰ «جامع السّعادات ج ٢ ص ٢٥٢»...

وليعلم أنّ قوله ﷺ مأزورون، أصله موزوُرون، من الوِزر ولكنّه جاء بالألف ليُحاذي به ألف مأجورون كذا قال المعتزلي وغيره من الشّراح...

▫ قوله ﷺ: **فَأَرْبَعْ أَبَا العَبَّاسِ رَحْمَكَ اللَّهُ فِيمَا جَرَىٰ عَلَىٰ لِسانِكَ ويَدِكَ مِنْ خَيرٍ وَشَرٍّ فإِنَّا شَرِيكانِ فِي ذٰلِكَ...**

١-بقره ٢٧- رعد ٢٥

أبو العبّاس كُنيته عبد اللّه بن عبّاس وقوله فأربع فعل أمرٍ من ربع يربع ومعناه علىٰ قول المعتزلي أي قِف وتثبّت في جميع ما تعتمده فعلاً وقولاً من خيرٍ وشرٍ ولا تعجل به فأنّي شريكك فيه اذ أنت عاملي والنّائب عنّي انتهىٰ وقال بعض الشّراح معناه أرفِق بهم ويظهر من أهل اللّغة قول المعتزلي.

قال في المَنجد ربع ربعاً توقّف وانتظر يُقال أربع عليك أو علىٰ نفسك أي توقّف بالمكان وأمّا قول المعتزلي في تفسير قوله ﷺ: **(فإنّا شَرِيكان فِي ذَلِكَ)** أي فأنّي شريكك فيه إذ أنت عاملي والنّائب عنّي، فليس بشئ إذ لو كان الأمر كما ذكره لكان حقّ العبارة أن يقول فأنّي شريكك فيه ولم يقل بل قال فإنّا شريكان في ذلك فالمعنىٰ إنّا أي أنا وأنت شَرِيكَانِ في لزوم مراعاة صلة الرّحم وعدم قطعها وذلك لأنّ بني تميم قرابتهم لي ولك علىٰ حدٍّ سواء وكان أمير المؤمنين وابن عبّاس من أولاد هاشم فلا محالة كانا شريكين في القرابة والرّحم وهذا ظاهر وأمّا الشّراح فلم يتّوجهوا الىٰ هذه الدّقيقة وزعموا أنّ المراد بالشّركة شركة الحكومة والأمارة وهو عجيب.

▫ **قوله ﷺ: وَكُنْ عِنَد صَالِح ظَنِّي بِكَ وَلا يَفِينَنَّ رَأيي فِيكَ وَالسَّلاَمُ...**

أي أنّي لا أظنّ بك إلّا خيراً فكُن أنت كذلك وقال المعتزلي أي كُن واقفاً عنده كأنّك تُشاهده فَتمنعك مُشاهدته عَن فعل ما لا يجوز، وأنت ترىٰ أنّ ما ذكره ليس تفسيراً لكلامه ﷺ وأنّما هو شئ آخر والحقّ ما ذكرناه وقوله ﷺ: **لا يفيّلن**، من فال يفيل يُقال فال الرّأي إذا ضعف وأخطأ والمعنىٰ لا يخطئنّ أو لا يضّعفن رأيي فيك وعليه فالحقّ في الفعل أن يكون مجهولاً لا معلوماً أو نقول لا تَفيّلن بصيغة الخطاب إذا قرأناه بصيغة المعلوم ولكن النّسخ كلّها ضَبطته بالياء فلا مناص من قراءته مجهولاً اللّهم إلّا علىٰ سبيل الإلتفات وهو العُدول عن الخطاب الىٰ الغيبة فأنّ الإلتفات من مُحسّنات البديعية وكيف فالمعنىٰ واضح.

ومن كتاب له عليه السلام (١٧)

الىٰ بعض أصحابه

▫ قوله عليه السلام: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ دَهاقينَ أَهْلِ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ غِلظَةً وقَسْوَةً واحْتِقاراً وجَفْوَةً وَنَظرْتُ فَلم أَرَهُمَ أهْلاً لِأَنْ يُدْنَوْا لِشِرْكِهِمْ ولا أنْ يُقْصَوْا وَيُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ فَأَلبَسْ لهُمْ جِلْباباً منَ اللِّينِ تَشُوبُهُ بِطَرَفٍ منَ الشِّدَّةِ وداوِلْ لَهُمْ بَيْنَ القَسْوَةِ والرّأفَةِ وَأمْزُجْ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وَالإِدْناءِ والابْعادِ والإقْصَاءِ إِنْ شاءَ اللَّهُ.

◁ اللّغة

(دَهاقينَ) جمع دِهقان بكسر الدّال ولفظه معرّب (تَشُوبُهُ) تَخلطه (دُاوِلْ) يُقال دُاوِلْ بينهم أي مرّة هكذا ومرّة هكذا وهو المسلك المتّوسط.

◁ المعنىٰ

(أَمَّا بَعدُ) الحَمد والثّناء (فَإِنَّ دَهاقينَ أَهْلِ بَلَدِكَ) وهم الزّعماء وأرباب الأملاك (شَكَوْا مِنْكَ غِلْظَةً وقَسْوَةً واحْتِقاراً وجَفْوَةً) أي شكوا منك أنّك تَغلظ عليهم وتعمل فيهم بالقّسوة والشّدة وتحتقرهم وتَجفُوا عليهم (ونَظَرْتُ) في هذا الأمر (فَلَمْ أَرَهُمْ) أي لَم أرَ الدّهاقينَ الشّاكين (أهلاً) لأن يدنُوا (لِشِرْكِهمْ)أي لأنّهم مشركُون (ولا) أي ولا أهلاً (أَنْ يُقْصَوْا) وَيُبعدوا كلّ الإقصاء (ولا) أي ولا أهلاً (أن يُجْفَوْا) أي يُجفىٰ عليهم (لِعَهْدِهِمْ) أي لأنّهم مُعاهدون (فألبَسْ

لَهُمْ جِلْباباً) ولباساً (**منَ اللّينِ**) والرّحمة، (**تَشُوبُهُ**) وتَخلطه (**بِطَرَفٍ منَ الشِّدَةِ**) أي لينٌ يميل الىٰ الشّدة (**وداوِلْ لَهم بَيْنَ القَسْوَةِ والرّأفَةِ**) أي خُذ طريقاً متوسطاً بينهما (**وأمزج**) وأخلط (**لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ والإِدْناءِ والإِبْعادِ والإِقْصَاءِ**) أي فأجعل في كلّ منهما حدّاً وسَطاً.

◁ الشّرح

◘ **أَمَّا بَعْدُ فإِنَّ دَهاقينَ أَهْلَ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ غِلْظَةً وقَسْوَةً واحْتِقاراً وجَفْوَةً...** دَهاقينَ جمع دِهقان بكسر الدّال وضمّها رئيس القرية وهو إسم أعجمي مرّكب من، دِه، وقان، ومعناه سلطان القرية وذلك لأنّ (دِه في الفارسية إسم للقرية، وقان إسم لِلسّلطان) وقال بعض اللّغويّين الدّهقان يُطلق علىٰ رئيس القرية وعلىٰ التّاجر وعلىٰ من له مال وعِقار ونُونه أصليّة لقولهم تَدهّقن الرّجل وقيل زائدة من الدّهق وهو الإمتلاء والمعنىٰ، أمّا بعد الحمد والثّناء، علىٰ اللّه والصّلوة علىٰ رسول اللّه فإِنّ دَهاقينَ أَهْلَ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ إِلَي في أربعة أمور:

أحَدها: غِلظتك عليهم والغِلظة بكسر الغين ضدّ الرّقة ويُقال غِلظة وغُلظة، بكسر الغين وضمّها وهي في الأصل تُستعمل في الأجسام ولكن قد تُستعار للمعاني كالكبير والكَثير.

وثانيها: القَسوة بفتح القاف وهي غلظ القلب وأصلها من حجرٍ قاسٍ.

وثالثها: الإحتقار وهو الشّئ حقيراً مع أنّه ليس كذلك، ورابعها الجَفوة بفتح الجيم من الجَفاء وهو قريب من الظّلم أو هو هو والمقصود أنّك تَغلظ علىٰ الدّهاقين وتَقسو وتَحتقرهم وتَجفو عليهم والكلّ مذموم، قال اللّه تعالىٰ في ذمّ الغِلظة: ﴿**وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [1] وجه الأستدلال بها أنّ الغِلظة تُوجب تفرّق النّاس وتَشتّتهم وإعراضهم عن المتّصف بها والإسلام دين الجمع والأُلفة فالمُسلِم ينبغي أن لا يكون غليظاً لئلاً يلزم نقض الغرض

١- آل عمران ـ ١٥٩

ولا سيّما الحاكم الوالي على النّاس فأنّ هذا الوَصف يُوجب تنَفر النّاس عنه مضافاً الىٰ أنّه في حدّ نفسه يُعدّ من الظّلم وقال تعالىٰ في ذمّ القسوة:﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾(١)

و: ﴿ولَكِنَ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢) ومعلوم أنّ الآيات في مقام الذّم وقال تعالىٰ في ذمّ الإحتقار الّذي هو ناشٍ من التّكبُر والفَخر علىٰ غيره: ﴿ولا تَفرحُوا بما أَتاكُم واللّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾(٣)

وقال:(وإعْلَمُوا أنَّما الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا لِعَبٌ ولَهُوٌ وَّزِيْنَةٌ وَّتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾(٤)

وجه الإستدلال بها أنّ اللّه تعالىٰ ذمّ علىٰ التّفاخر وهو لا يتّحقق إلّا بتحقير النّاس إذ من لا يحّقر النّاس فليس فيه فَخرٌ علىٰ غيره فهما أعني الفَخر على غيره والتّحقير مُتلازمان.

وقال تعالىٰ في الجَفوة الّتي هي عبارة أُخرىٰ عن الظّلم والتّعدي عن الحدّ:﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُون﴾(٥)

ونحن نتّكلم من ماهية هذه الأمور لتتّضح لك حقيقة الحال فيها فنقول:

أمّا لِغلظة وقد يُعبّر عنها بالعُنف في إصطلاح الأخلاقيّين فقد تكون في الأقوال وقد تكون في الحركات والأعمال وهي من نتائج الغَضب وضدّه الرّفق والرِّقة والرّفق من نتائج الحلم ولا شكّ أنّ الغِلظة في القول والفعل تُوجب تنّفر الطّباع وتؤدي الىٰ إختلال أمر المعاش والمعاد.

روي عن سلمان الفارسي أنّه قال إذا أراد اللّه تعالىٰ هلاك عبدٍ نَزع منه الحياء فإذا نَزع منه الحياء لم يَلقه إلّا خائناً مخوناً وإذا كان خائناً مخوناً نُزعت منه الأمانة فإذا نُزعت منه الأمانة لم يَلقه إلّا فظّاً غليظاً فإذا كان فظّاً غليظاً نُزعت منه ربقة الأيمان فإذا نُزعت منه ربقة الإيمان لم يَلقه إلّا شيطاناً ملعُوناً.

قال بعض المُحققين بعد نقله الحديث ما لفظه ويظهر من هذا الكلام أنّ

١- البقرة ـ٧٤
٢- الانعام ـ٤٣
٣-لقمان ـ١٨
٤- الحديد ـ٢٠
٥-آل عمران ـ١١٢

من كان من أهل الغِلظة والفَظاظة فهو الشّيطان حقيقة فيجب على كلّ عاقل أن يجتنب عن ذلك كلّه ويقدم التّروي علىٰ كلّ ما يصدر عنه من القول والفعل ليحافظ نفسه عن التّعنف والغِلظة فيه ويتّذكر ما ورد في فضيلة الرّفق ويرتكبه في حركاته الىٰ أن يصير ملكة وتزول عن نفسه آثار العنف بالكلّية انتهىٰ« جامع السعادّات ج ١ ص ٣٠٤»...

وأمّا القساوة فهي مَلَكة عدم التأثّر عن تألّم أبناء النّوع ولا ريب في كونه ناشئاً من (غلبة السَّبعُية قال رسول اللّه ﷺ يقول اللّه أطلبوا الفضل من الرّحماء من عبادي تعيشوا في أكنافهم فأنّي جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فأنّي جعلت فيهم سخطي انتهىٰ...

وقال الصّادق عليه السلام – إتّقوا اللّه وكونوا إخوة بَرَرة متّحابين في اللّه متواصلين مُتراحمين الحديث...

وقال عليه السلام – تواصلوا وتبارّوا وتراحموا وكونوا أخوة بَرَرة كما أمركم اللّه انتهىٰ« جامع السعّادات ج ١ ص ٢٧٣»...

وأمّا الإحتقار فقد قال علماء الأخلاق أنّه مُترتب علىٰ العداوة والحَسَد وأن ترتب بعض أفرادها في بعض الأحيان علىٰ مُجّرد الطَّمع أو الحرص ليكون من رداءة القوّة الشّهوية أو علىٰ مُجّرد الغضب وسوء الخلق والكِبر وأن لم يكن حقد وحَسد وعلىٰ أيّ تقدير لا شبهة في أنّ الإحتقار محرّم وعلىٰ قولهم تكون حرمة الإحتقار لكونه إيذاء وإهانة وعلىٰ ما ذكرناه سابقاً تكون العلّة كونه ناشئاً عن التّكبر والفخر وكيف كان لا إشكال في قُبحه وحُرمته :

قال رسول اللّه ﷺ –قال اللّه تعالىٰ من أهان لي ولّياً فقد أرصد لمحاربتي انتهىٰ...

وقال ﷺ – من حقّر مؤمناً مسكيناً أو غير مسكين لم يزل اللّه عزّ وجلّ حاقراً له ماقتاً حتّىٰ يرجع عن محقرته أيّاه انتهىٰ...

وأمّا الجَفوة فهي داخلة في الظّلم أو هي نفسه والأمّر فيها أوضح من أن يخفىٰ علىٰ أَحَد :

▫ **قوله ﷺ: ونَظَرْتُ فَلمْ أَرَهُمْ أَهْلاً لأَنْ يُدْنَوْا لِشِرْكِهِمْ ولا أنْ يُقصَوْا ويُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ...**

يظهر من هذا الكلام أنّ الدّهاقين الشّاكين كانوا من المشركين لا المسلمين والدّليل عليه قوله ﷺ: **لِشِرْكِهِمْ** وحاصل المعنىٰ أنّي نظَرت في أمرهم أي في أمر الدّهاقين فلم أرَهم أهلاً لكمال الدّنو والقرب اليك لأجل شركهم وهو منّهي عنه في الإسلام في حقّ المُشركين وأيضاً لم أرَهم لأن يُقصَوْا ويُبعدوا ويُجفىٰ عليهم وذلك لعهدهم وميثاقهم في الإسلام:

أمّا الأوّل: فلقوله تعالىٰ: **﴿تَرَىٰ كَثِيراً مِنهُمْ يَتَوَلَونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾**(١)

وجه الإستدلال بها أنّ الآية نَهت عن تولّي الكافرين ولا شكّ أنّ دنوهّم يكشف عن تولّيهم فهو مذموم ويمكن أن يُقال أنّ التّولي فرع علىٰ الدّنو وناش عنه والمآل واحد:

وأمّا الثاني: فلأنّ الوفاء بالعَهد من علائم الإيمان وحيث أنّ الكافر الذّمي في ذمّة الإسلام وحمايته ما لم يكن مُحارباً فيجب مُراعاة العَهد في حقّه فأنّ اللّه تعالىٰ قال في أوصاف المؤمن: **﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾**(٢) ورعاية الحقّ في حقّ المُسلم والكافر وهكذا الأمانة ولا شكّ أنّ الجفاء علىٰ الكُفار الذّمي مُخالف للعَهد فَينبغي الإحتراز عنه وهو المطلوب.

والذّي حَصل لنا في المقام عدم القُرب والدّنو المُفرط وعَدم البُعد والجفاء كذلك بالنّسبة الىٰ الكُفار فَينبغي الأخذ بالطّريق المُتوسط وهو المطلوب كما قال ﷺ:

▫ **قوله ﷺ: فالْبَسْ لَهُمْ جِلْباباً منَ الِّلينِ تَشُوبُهُ بِطَرَفٍ منَ الشِّدَّةِ وداوِلْ بَيْنَ القَسْوَةِ والرَّأفَةِ وامْزُجْ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ والإدْناءِ والإبْعادِ والإقْصَاء إنْ شَاءَ اللَّهُ...**

١- المائدة ـ ٨٠ ٢- المعارج ـ ٣٢

هذا الكلام في الحقيقة توضيح لِما ذكره عليه السلام سابقاً فكأنّه قيل له عليه السلام ذلك فقال فألبس لهم جلباباً من اللّين تَشوبه وتَخلطه بِطَرَفٍ من الشِّدَّةِ في حقّهم وداوِل لهم بين القسوة والرّأفة بإعمال القسوة تارةً وإعمال الرّأفة أُخرىٰ وأفرج بين التّقريب والإدناء فقرّبهم الىٰ نفسك وبين الإبعاد والإقصاء فأبعدهم عن نفسك وحاصل الكلام خُذ حدّ الوَسط بين الطّرفين وإجتنب الإفراط والتّفريط وإعمل فيهم بطريق المداراة والمُماشاة لئَلّا ينفروا عن الإسلام ولا يسلّطوا علىٰ المَسلمين بقُربهم اليك.

ومن كتاب له ﵇ (١٨)

الىٰ زياد إبن أبيه وهو خليفة عامله عبد الله بن عباس علىٰ البَصرة وعبد الله يومئذٍ عليها و علىٰ كُورِ الأهواز وفارس وكرمان

□ قوله ﵇: وإِنِّي أُقْسِمُ بِاللَّهِ قَسَماً صادِقاً لَئِنْ بَلَغَني أَنَّكَ خُنْتَ من فَيْ‏ءِ المُسْلِمينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً لأَشُدَّنَّ عليْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الوَفْرِ ثَقِيلَ الظَّهْرِ ضَئِيلَ الأَمْرِ والسَّلاَمِ...

◁ **اللّغة**

(تَدَعُكَ) تَتركك (الوَفْرِ) المال (ضَئِيلَ) الضَئِيلَ الحقير وقيل الضَّعيف النّحيف .

◁ **المعنىٰ**

(وإِنِّي أُقْسِمُ) لك (بِاللَّهِ قَسَماً صَادِقاً) لا كاذباً (لَئِنْ بَلَغَني) عنك (أَنَّكَ خُنْتَ من فَيْ‏ءِ الْمُسلِمين شَيْئاً) من الأموال (صَغِيراً كان) المال (أَوْ كَبِيراً لأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً) في أخذ المال عنك (تَدَعُكَ) وتَتركك (قَلِيلَ الوَفْرِ) أي فقيرٌ (ثَقِيلَ الظَّهْرِ) أي مسكين لا تقدر علىٰ مؤنة عيالك (ضَئِيلَ الأَمْرِ) أي حقير ذليل (والسَّلاَمِ) علىٰ من اتبع الهُدىٰ.

◁ **الشّرح**

كتب عليه السلام هذا الكتاب الىٰ زياد بن أبيه وهو خليفة عبد اللّه بن عبّاس عامله علىٰ البَصرة وعبد اللّه كان يومئذٍ والياً على البَصرة وعلىٰ كُور الأهواز وفارس وكرمان، وقد مرّ الكلام في عبد اللّه بن عبّاس وأمّا زياد بن أبيه فيأتي الكلام في نَسَبه وحالاته في موضعه إنشاء اللّه.

▫ **قوله عليه السلام: وإِنِّي أُقْسِمُ بِاللَّهِ قَسَماً صَادِقاً لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ من فَيْ‌ءِ المُسْلِمينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً...**

نهاه عليه السلام عن الخيانة في أموال المُسْلِمينَ والمراد بها الأموال الموجودة في بيت المال ممّا أفاء اللّه عليهم والخيانة والنّفاق واحد إلّا أنّ الخيانة تقال إعتباراً بالعَهد وللأمانة والنّفاق يقال إعتباراً بالدّين ونقيض الخيانة الأمانة ثمّ أنّ الخيانة مذمومة عقلاً وشرعاً أمّا عقلاً فواضح لأنّها ظلم في حقّ الغير والظّلم قبيح عقلاً وأمّا شرعاً فلقوله تعالىٰ: **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾** (١)

و: **﴿وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾** (٢)

و: **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** (٣)

و: **﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً﴾** (٤)

▫ **قوله عليه السلام: لأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الوَفْرِ ثَقِيلَ الظَّهْرِ ضَئِيلَ الأَمْرِ وَالسَّلاَمِ...**

أي أن خُنتَ في مال المُسلمين لأشدنّ عليك شدّة تُوجب فقرك ومَسكنتك وحقارتك وفيما ذكره عليه السلام إشارة الىٰ كمال عَدله وهو عليه السلام كان كذلك فَينبغي للحكّام الإقتداء به عليه السلام.

١- الانفال ـ ٥٨

٢- يوسف ـ ٥٢

٣- الانفال ـ ٢٧

٤- النّساء ـ ١٠٧

ومن كتاب له عليه السلام (١٩)
اليه أيضاً

□ قوله عليه السلام: فَدَعِ الإسْرَافَ مُقْتَصِداً. وأذْكُرْ فِي اليَومْ غَداً. وأمْسِكْ منَ المَالِبِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ أجْرَ المُتَوَاضِعِين وَأنْتَ عِنْدَهُ من المُتَكَبِّرِينَ وتَطْمَعُ وَأنْتَ مُتَمَرِّغٌ في النَّعِيمِ تَمْنَعهُ الضَّعِيفَ وَالأَرْمَلَةَ أنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ المُتَصَدِّقين وإِنَّما المَرْءِ مَجْزِيٌّ بمَا أسْلَفَ وَقادِمٌ عَلىٰ مَا قَدَّمَ وَالسَّلاَمُ.

◁ اللّغة

(مُقْتَصِداً) أي متوسطاً (الفَضْلَ) الزّيادة (مُتَمَرِّغٌ) إسم فاعل من تَمَّرغ يَتَّمرغ نحو تَعرّف يتعرّف والمُتَّمرغ المُتّقلب يُقال تَمّرغ في التُّراب تقّلب فيه (الأرملة) المرأة الّتي لا زوج لها كما أنّ الأرمَل الرّجل الّذي لا إمرأة له والجمع أرامِل.

◁ المعنىٰ

(فَدَعِ الإِسْرَافَ) أي إتركه (مُقْتَصِداً) ومُتوسطاً (وأذْكُرْ فِي اليَومْ) أعني به الدّنيا أو اليوم الحاضر (غَداً) وهو الأخرة أو بعد اليوم (وأَمْسِكْ) وأحفظ (منَ المَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ) وحاجتك (وَقَدِّمِ الْفَضْلَ) والزّيادة (لِيَوْمِ حَاجَتِكَ) اليه (أتَرْجُو أنْ يُعطِيَكَ اللَّهُ أجْرَ المُتَوَاضِعين) يوم القيمة (وَأنْتَ) والحال أنت

(**عِنْدَهُ**) عند اللّه (**منْ الْمُتَكَبِّرِينَ وَتَطْمَعُ**) في ثوابه (**وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ**) وتتقلب (**في النَّعِيمِ**) الدّنيوية (**تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ والأَرْمَلَةَ**) فلا تتصدّق عليهما (**أنْ يُوجِبَ**) اللّه (**لكَ ثَوَابَ المُتَصَدِّقين وإنَّمَا المَرْءُ مَجْزِيٌّ**) عند اللّه (**وبمَا أَسْلَفَ**) من العمل في الدّنيا (**وقادِمٌ علىٰ مَاقَدَّمَ**) فيها من الخيرات والحسنات والسَّلاَمُ علىٰ من إتّبع الهُدىٰ.

◁ الشرح

▫ قوله عليه السلام: **فَدَعِ الإِسْرَافَ مُقْتَصِداً. واذْكُرْ في اليَوْمِ غَداً .وَأَمْسِكْ منَ المَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حاجَتِكَ...**

أشار عليه السلام في المقام الىٰ أمورٍ ينبغي التّوجه اليها في أمر المعاش وحفظ المعاد.

أحدها قوله عليه السلام: **فَدَعِ الإسراف مُقتَصداً**، نهىٰ عليه السلام عن الإسْرَافَ وَهُوَ الإفراط في صرف المال بحيث يُعدّ من المُسرفين وأمَر بالإقتصاد ضمناً وهو التّوسط بين الإفراط والتّفريط:

أمّا الإسْرَافَ بكسر الهمزة مصدر قولك أَسَرف يُسرف إسرافاً وهو في الأصل الإفراط أعني التّجاوز عن الحدّ وقيل الإسراف كلّ ما لا يحّل وقيل مجاوزة القَصد في الأكل ممّا أُحلّ اللّه وقيل ما أنفق في غير طاعة اللّه وقال الرّاغب في المُفردات السّرف تجاوز الحدّ في كلّ فعلٍ يفعله الإنسان وأن كان كذلك في الإنفاق أشهر وكيف كان فهو مذموم عقلاً وشرعاً، أمّا العقل فلانّه يحكم بقُبح التّجاوز عن الحدّ لكونه ظُلماً إذ لا نعني بالظّلم إلّا وضع الشّئ في غير محلّه وهو كذلك وأمّا شرعاً فمن الآيات قال اللّه تعالىٰ: ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ (١)

و : ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا**﴾ (٢)

١- الاعراف ـ ٣١

٢- الفرقان ـ ٦٧

و: ﴿وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً﴾ (١)

و: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢)

و: ﴿وإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣)

و: ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ النَّارِ﴾ (٤)

و: ﴿وزلا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسرِفِيْنَ﴾ (٥) وغيرها من الآيات.

ومن الأخبار ماروواه في المجمع عن إبن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال للمُسرف ثلاث علامات، يأكل ما ليس له ويشتري ما ليس له ويلبس ما ليس له انتهىٰ...

وقال في معناه أي يأكل ما لا يليق بحاله أكله ويشتري ما لا يليق شرائه بحاله ويلبس ما لا يليق بحاله لبسُه انتهىٰ...

وروي في البحار بأسناده عن أبان بن تَغلب قال أبو عبد اللّه عليه السلام أترىٰ اللّه أعطىٰ من كرامته عليه وَمَنع ومن مَنع من عوان به عليه لا ولكن المال مال اللّه يضعه عند الرّجل ودائع وجوّز لهم أن يأكلوا أعطىٰ من قصداً ويشربوا قصداً ويَلبسوا قصداً وينكحوا قصداً ويركبوا قصداً ويعودوا بما سوىٰ ذلك علىٰ فقراء المؤمنين ويلموا به شعثهم فَمن فعل ذلك كان ما يأكل حلالاً ويشرب حلالاً ويركب وينكح حلالاً ومن عدا ذلك كان عليه حراماً ثمّ قال: ﴿لاٰ تُسْرَفُوا إِنَّهُ لاٰ يُحَبُّ الْمُسْرَفِين﴾ (٦) أَتَرىٰ اللّه إئتمن رجلاً علىٰ مال خوِل له أن يشتري فرساً بعشرة آلاف درهم ويَجزيه فرس بعشرين درهماً ويشتري جارية بألف دينار ويجزيه بعشرين ديناراً وقال لا تَسرفوا أنّه لا يحبّ المُسرفين انتهىٰ« ج ۱۶ ص ۲۰۱»...

فكما أنّ الإسراف في الشّريعة المُقدسة مَمنُوع كذلك التّبذير وهو التّفريط

١- النّساء ـ ۶
٢- يونس ـ ١٢
٣- يونس ـ ٨٣
۴- غافر ـ ۴٣
۵- الشعراء ـ ١۵١
۶- الانعام ـ ١۴١

في المال أيضاً مَمنُوع قال اللّه تعالىٰ في ذمّه: ﴿وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾[1]

و: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَٰنَ الشَّيَٰطِينَ﴾[2]

و: ﴿وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ﴾[3]

روي في البحار عن أبي بصير قال سألت أبا عبد اللّه عليه السلام في قوله لا تُبذّر تبذيراً قال بذر الرّجل مال يفعل ليس له مال فيكون تبذير في حلال قال نعم انتهىٰ« ج ١۶ ص ٢٠٠»...

وإذا كان الإسراف والتّبذير ممنُوعين يبقىٰ لنا في المقام طريق آخر وهـو المُتّوسط بينهما ويُعبّر عنه بالقصد والإقتصاد في الشّـريعة فأنّ خـير الأُمـور أَوسطها والأصل فيه قوله تعالىٰ مُخاطباً لنبيّه: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلاَ تَبسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً﴾[4]

روي في البحار بأسناده عن عبد الرّحمٰن بن الحجّاج قال سألت أبا عبد اللّه عليه السلام ولا تَبذّر تَبذيراً، قال عليه السلام من أنفق شيئاً في غير طاعة اللّه فهو مُـبّذر ومن أنفق في سبيل الخير فهو مُقتصد انتهىٰ« ج ١۶ ص ٢٠٠»...

وعن علّي بن جراعة قال سمعت أبا عبد اللّه يقول إتّق اللّه ولا تُسرف ولا تَقتر وكُن بين ذلك قواماً أنّ التّبذير من الإسراف وقال اللّه لا تُبذّر تبذيراً أنّ اللّه لا يعذّب علىٰ القصد انتهىٰ« ص ٢٠٠»...

فقول أمير المؤمنين في المقام فَدع الإسراف مُقتصداً معناه إترك الإسراف وإذهب الىٰ الإقتصاد لا الىٰ التّبذير فأنّه محرّم كالإسراف.

وثانيها قوله عليه السلام: وأذكر في اليوم غداً،الظّاهر أنّ المراد من اليـوم بـقرينة السّياق هو اليوم الحاضر وبالغَد يوم الآتي بعد اليوم الحاضر وعليه فالمعنىٰ إذكر في يومك هذا غداً لَعَلّك تَحتاج فيه الىٰ المال ولم تَقدر علىٰ كسبه ويؤيده قوله عليه السلام: وَأمْسِكْ منَ المَالِ الىٰ آخر ما قال وسيأتي الكلام فيه.

١- الاسراء ـ ٢۶
٢- الاسراء ـ ٢٧
٣- الاسراء ـ ٢۶
۴- الاسراء ـ ٢٩

وفي المقام إحتمال آخر وهو أن يكون المراد باليوم يوم الدّنيا وبالغَد يوم الآخرة والمَعنىٰ إقتصد في المال وإجتنب عن الإسراف والتّبذير وأذكر في اليوم أي في يوم حياتك غداً أعني به الآخرة فتكون مُعاقباً علىٰ الإسراف والتّبذير هناك ، قد قلنا أنّ الإحتمال الأوّل أوفق بقرينة السّياق والثّاني بحسب الواقع وكيف كان ففيه إيماء الىٰ تقدير المعيشة وأنّ الإنسان ينبغي أن يكون مُراعياً في معيشته حدّ الإقتصاد و كما قال ﷺ: **وَأمْسِكْ منَ المَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حاجَتِكَ**، ومحصّله أن كلّ إنسانٍ يعرف من ماله بقدرٍ ما تحتاج اليه إحتياجاً ضرورياً ويمسك ما زاد عليه ليوم فقره وحاجته ولا يقول لعلّي أموت غداً وذلك لأنّه كما أنّ المَوت مُحتمل له كذلك الحياة مع عدم القُدرة علىٰ الكسب وترجيح إحتمال المَوت لا دليل عليه ﷺ وأمّا إحتمال الحياة فهو أقوىٰ لأنّه حيّ الآن مضافاً الىٰ أنّه علىٰ تَقدير موته لا يضّر من إمساكه الزّيادة من المال لإنتقاله الىٰ الوَرثة وهذا لا إشكال فيه وأمّا علىٰ تقدير حياته فهو كما ترىٰ ولا سيّما إذا كان مريضاً غير قادر علىٰ الكَسب والعَجَب من بعض النّاس حيث زَعموا أنّ الإمساك من المال يُعدّ حِرصاً علىٰ الدّنيا ويُنافي الزُّهد ولم يَعلموا أنّ هذا ممّا أَيّده العقل والشّرع فأنّ الفقر كاد أن يكون كُفراً وهو سواد الوجه في الدّارين ولنعم ما قيل:

يقولون آفات الشّتاء كثيرة
وما هو إلّا واحدٌ غير فقري
إذا صّح كان الكيس فالكلّ حاضرٌ
لديك وكلّ الصّيد يُوجد في الفَري

▫ قوله ﷺ: **أترَجُو أنْ يُعْطِيَكَ اللّهُ أَجْرَ المُتَواضِعين وَأَنْتَ عِنْدَهُ من المُتَكَبِّرِينَ...**

الإستفهام للإنكار أي لا ترجو كذلك ضرورة أنّ المُتَكَبِّرِ يستّحق العذاب والمُتَواضع يستّحق الأجر فَكيف يَعقل إعطاء أجر المُتَواضعين للمُتَكبرين وهو ظُلم لأنّه من وضع الشّئ في غير محلّه وأنّما قال ﷺ هذا الكلام في المقام

مع أنّ البحث كان في الإسراف والإقتصاد لأنّ المُسرف مُتكبر كما أنّ المُقتصد متواضع فحيث قال عليه السلام في أوّل الكتاب فَدع الإسراف أردَف كلامه بقوله أتَرجو أن يَعطيك اللّه أجر المُتواضعين الىٰ آخر كلامه:

□ **قوله عليه السلام: وتَطْمَعُ وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ في النَّعِيمِ تَمْنَعهُ الضَّعِيفَ والأَرْمَلَةَ أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ المُتَصَدِّقين...**

الواو للعطف والتّقدير أتَطمع أن يُوجب لك ثَوَابَ المُتَصَدِّقين والحال أنت مُتَمَرِّغٌ أي تتّقلب في النَّعِيمِ الدّنيوية تَمْنَعهُ الضَّعِيفَ والأرملة فلا تَعطيهما منه شئ هذا لا يكون أبداً

□ **قوله عليه السلام: وَإِنَّمَا المَرْءُ مَجْزِيٌّ بمَا أَسْلَفَ وقادِمٌ علىٰ مَاقدَّمَ وَالسَّلاَمُ...**

فالأوّل:

إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**هَلْ تَجْزَوْنَ إِلَّا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ (١)

و : ﴿**فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلا تَجْزَوْنَ إِلَّا ما كُنْتُم تَعْمَلُونَ**﴾ (٢)

وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله النّاس مجزّيون بأعمالهم أن خيراً فَخيراً وأن شّراً فَشّراً

والثّاني:

الىٰ قوله تعالىٰ:﴿**يُنَبَؤُا الإنْسٰنَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ**﴾ (٣)

و : ﴿**ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهِ لَيْسَ بِظَلَّامٍ للعَبِيدِ**﴾ (٤)

و : ﴿**وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُهُ عِنْدَ اللَّهِ**﴾ (٥) وغيرها من الآيات وقد تقدّم الكلام فيه.

١- النّمل ـ ٩٠
٢- يس ـ ٥٤
٣- القيامة ـ ١٣
٤- الحجّ ـ ١٠
٥- البقرة ـ ١١٠

﴿ومن كتابٍ له عليه السلام (٢٠)﴾

الىٰ عبد الله بن عبّاس ،وكان يقول:
ما إنتفعت بكلامٍ بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله، كإنتفاعي بهذا الكلام!

□ قوله عليه السلام: **أَمَّا بَعْدُ فإِنَّ المَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرَكُ مَالمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ ويَسُوُءُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِن آخِرَتِكَ وَلْيَكنُ أَسَفُكَ عَلَىٰ مَا فاتَكَ مِنْها وَمَا نِلْتَ منْ دُنْيَاكَ فَلاَ تُكْثِرِ فيهِ فَرَحاً ومَا فاتَكَ مِنْها فلاَ تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعاً ولْيَكُنْ هَمُّكَ فِيما بَعْدَ الْمَوْتِ.**

◁ **اللغة**

(نِلْتَ) يُقال نالَ الأمر وَصَل اليه والنّيل الوصول (أَسَفُك) الأسف التّألم والتّأثر والتّأسف علىٰ ما فات من الإنسان (تَأْسَ) يُقال لا تَأسَ عليه أي لا تَحزن.

◁ **المعنىٰ**

(أَمَّا بَعْدُ) الحَمد والثّناء علىٰ اللّه والصّلٰوة علىٰ رسول اللّه (فإِنَّ المَرْءَ) أي الرّجل (قَدْ يَسُرُّهُ دَرَكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ) أي يَسّره وصوله الىٰ مقصده (ويَسُوُءُهُ) ويَحزنُه (فَوتُ مَا لمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ) فَتتأسف عليه (فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ) ووَصلت اليه (منْ آخِرَتِكَ) لا دنياك (وَلْيَكُنْ أَسَفُكَ) وحُزنُك (عَلَىٰ ما فاتَكَ مِنْهَا) من الآخرة (ومَا نِلْتَ منْ دُنْيَاكَ) وَنعمها (فَلاَ تُكْثِر فيهِ فَرَحاً)

وإنبساطاً لعدم بقائه (وَمَا فاتَكَ مِنْها) من الدّنيا (فَلاَ تَأسَ) ولا تحزن (عَلَيْهِ جَزعاً وَلْيكُنْ هَمُّكَ) وقصدك (فِيما بَعْدَ الْمَوْتِ) وهو الأخرىٰ.

◁ الشّرح

▫ قوله ﷺ **أَمَّا بَعْدُ فإنَّ المَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرَكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ ويَسُوؤُهُ فَوْتُ ما لَمْ يكُنْ لِيُدْرِكَهُ...**

قال الرّاغب في المفردات الدّرك كالدّرج لكن الدّرج يُقال بإعتبار الصّعود والدّرك بإعتبار الحدُور ولهذا قيل درجات الجنّة ودَركات النّار قال تعالىٰ: **﴿إنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾**(١) والدّرك أقصىٰ قعر البحر ويُقال للحبل الّذي يُوصل به حَبلٌ آخر ليدرك الماء دَرك ولما يَلحق الإنسان من تَبَعةٍ دَرك كالدّرك في البيع قال تعالىٰ: **﴿لا تَخَافُ دَرَكاً وَلاَ تَخْشىٰ﴾**(٢) انتهىٰ.

وقال في المجمع الدَّرك بالتَّحريك الطّبق الأسفل وذلك لأنّ النّار سبع دَركات الىٰ أن قال والدَّرك بالتّحريك وقد يسكن واحد الإدراك وهو منازل في النّار انتهىٰ.

أقول: يظهر من كلام الرّاغب الفرق بين الدَّرك والدّرك بسكون الرّاء وفتحها من حيث المعنىٰ كما عرفت ويظهر من كلام صاحب المجمع عدم الفرق بينهما وبه قال صاحب المنجد حيث قال، الدَّرك والدّرك، اللّحاق إدراك الحاجة أقصىٰ قعر الشّئ ومنه قولهم ما لحقك من دَرَك فَعُلىٰ خلاصه إنتهىٰ وعليه فقوله ﷺ: **قد يَسُرُّهُ دَرَكُ مَا لَمْ يكُنْ لِيَفُوتَهُ** يصّح أن يكون بفتح الرّاء وسكونها فَضَبط اللّفظ علىٰ ما في أكثر النّسخ بالفتح لا وجه له بل سكون الرّاء في المقام أولىٰ من فتحها بناء علىٰ كون اللّفظ مصدراً من درك يدرك دَركاً وأمّا علىٰ القول بعدم مصّدريته وأنّه لم يُسمع دَرك يَدرك لازماً والمسموع أدرك يُدرك متّعدياً فهو إسم لإدراك الحاجة والبلوغ اليها وكيف كان فحاصل الكلام في معنىٰ الجملة أن نقول:

١- النساء ـ ١٤٥

٢- طه ـ ٧٧

قد يسّر الإنسان بشيئٍ وقد ختم في قضاء اللّه أنّه له وقد يحزن بفوات شيئٍ ومحتوم عليه أن يفوته والمقطوع بحصوله لا يصّح الفَرح به كما أنّ المقطوع بفواته لا يصّح الحزن عليه لعدم الفائدة من الثّاني ونفي الغائلة في الأوّل وذلك لأنّ الفَرح بما لابدّ من حصوله والأسف على ما لابدّ من فواته جهل وسَفَهٌ في العقول ورأيت في بعض الكُتب في شرح الكلام ما هذا لفظه:

فأنّ المرء الى قوله ليدركه كالمقدمّة أشار فيها الى أنّ في طبيعة الإنسان أن يُسّر بما يُدركه من المطالب ويسوء بما يفُوته منها فكأنّه قال وإذا كان في طبيعة المَرء ذلك فليكُن سرُورك بما تنال من الآخرة وأسَفُك على ما يفوتك دون الدّنيا وفي قوله ما لم يكن ليفوته وما لم يكن ليدركه تنبيه على أنّ ما يفوت ويدرك الواجب في القضاء الإلهي فوته ودركه انتهى:

وأنا أقول: محصول الكلام أنّ الأُمور بيد اللّه تعالى وصدورها بقضائه وقدره وعليه فكلّ ما هو آت يأتي بقضائه سواء كان ممّا يسّر به المَرء أو يحزن به فسرُوره على شئ أو حُزنه عليه إذا فات منه دليلٌ على جَهله وسُوء فَهمه:

▫ **قوله ﷺ: فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ ولْيَكُنْ أَسَفُكَ عَلىٰ مَا فَاتَكَ مِنْها...**

أي ينبغي أن يكون سرُوُرَكَ بِمَا نِلتَ منْ آخِرَتِك وأسَفُكَ عَلَىٰ مَا فاتَكَ مِنْها لا على الدّنيا الفانية الدّاثرة فأنّها مع ما فيها تأتيك بقَضاء اللّه تعالى وأمّا الآخرة فليست كذلك كما قال.

▫ **قوله ﷺ: ومَا نِلْتَ مَنْ دُنْياكَ فَلاَ تُكْثِر فيهِ فَرَحاً ومَا فاتَكَ مِنْها فَلاَ تَأس عليْهِ جَزَعاً ولْيَكُنْ هَمُّكَ فِيما بَعْدَ الْمَوْتِ...**

وذلك لأنّ الدّنيا لا بقاء لها وما لا بقاء له فوجوده وعَدَمه سيان وأمّا الآخرة فهي باقية ولأجل ذلك قال ﷺ: **ولْيَكُنْ هَمُّكَ فِيما بَعْدَ المَوْتِ** وهو عالم الآخرة هذا:

إعلم: أنّ الّذي حَصّل لنا في هذا الكلام أحدهما السّرور والحُزن على الدّنيا

وثانيهما السّرور والحُزن على الآخرة والأوّل مَذمُومٌ والثّاني مَمدُوح، والملاك في ذمّ الأوّل أنّ الأُمور الدّنيوية بقضاء اللّه وقَدَره فلا ينبغي السّرُور بدرك ما يدركه الإنسان كما لا ينبغي الحُزن والتأثّر بَفوته وهو ظاهر وأمّا الملاك في مدح الثّاني فلأنّه ليس كذلك بل يرتبط بعمل الإنسان وسَعيه وليس من قبيل الرّزق المقسوم والدّليل عليه قوله تعالى:﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ**﴾ (١) فللعاقل أن يهتّم في عَمله بأمر الآخرة ويُسّر بما نال منه ويحزن على مافات عنه ولأجل هذا الدّقيقة قال إبن عبّاس ما إنتفعت بكلام بعد كلام رسول اللّه كإنتفاعي بهذا الكلام فأنّه دّرٌ ثمين لايوجد إلّا في أهل بيت الوَحي والتّنزيل الّذين أذهب اللّه عنهم الرجّس فطّهرهم تطهيراً:

١- النّجم-٣٩/٤٠

(٢١) ومن وصيّةٍ له عليه السلام

قاله قبل موته علىٰ سبيل الوصيّة لمّا ضربه إبن مُلجَم لَعَنه اللّه

▫ قوله عليه السلام: وصِيَّتِي لَكُمْ أَنْ لا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله فَلاَ تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ أَقِيمُوا هذَيْنَ الْعَمُودَيْنَ وَخلاَكُمْ ذَمٌّ.

أَنَا بالأَمْسِ صَاحِبُكُمْ والْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ وغَداً مُفَارِقُكُمْ إنْ أَبْقَ فأَنَا وَلِيُّ دَمِي وإنْ أَفْنَ فالْفَنَاءُ مِيعادِي وإنْ أَعْفُ فالعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ وَهُوَ لَكم حَسَنَةٌ فأَعْفُو (أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَكُمْ) واللّهِ مَا فَجأَنِي منَ المَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ ولاَ طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ وَما كُنْتُ إلّا كَقارِبٍ وَرَدَ وطَالِبٍ وَجَدَ وَمَا عِنْدَ اللّهِ خَيْرٌ لْلأَبْرَارِ

أقُولُ: وقدْ مَضىٰ بَعْض هَذَا الْكَلاَمِ فِيمَا تَقَدمَ من الْخُطَبِ، إلا أَنْ فِيهِ هَهُنا زيادَةً أَوْجَبَتْ تَكْرِيرَهُ.

◁ اللغَه

(عِبرَة) بكسر العين وسكون الباء وفتح الرّاء ما يُعتَبر بـه (فَجَئني) أي أَوْلمني، (كقارب وَرَد) القارب طالب الماء ليلاً (للأبرار) أي الأتقياء:

◁ المعنىٰ

(وصِيَّتِي لَكُمْ أنْ لاَ تُشْرِكُوا باللَّهِ شَيْئاً) فأنّه واحد أحد في ذاتـه وصفاته (وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله) (فلاَ تَضَيِّعُوا سُنَّتَهُ) أي سنّة الرّسـول (أَقِيمُوا هذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ) التَّوحيد والعَمَل بسُنّة الرّسول (وخلاَكُمْ ذَمٌّ) بعد قيامكم بالوصّية (أَنَا بالأَمْسِ)

كُنتُ (صَاحِبُكُمْ وَالْيَوْمَ) بعد ضربة إبن ملجم (عِبْرَةٌ لَكُمْ) ينبغي أن تَعتبروا بي (وَغَداً مُفارِقُكُمْ) بالمَوت (إِنْ أَبْقَ) في الدّنيا (فأنا وليُّ دَمِي وإِنْ أَفْنَ) وأموت (فالْفَنَاءُ مِيعادِي) لقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (١) (وإِنْ أعْفُ) عن قاتلي وضاربي (فالعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ) الى اللّه تعالى (وَهُوَ) أي العفو (لَكُمْ حَسَنَةٌ فأعْفُو) عن المُتجاوزين (ألا تُحِبُّونَ أنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهِ) أقسم بـاللّه (مَا فَجأَنِي) وأَلَّمني (منَ الْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ) فأنّ إبن أبي طالب آنس بالمَوْتِ من الطّفل بثدي أمّه.

(وَلا طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَقارِبٍ) وطَالِبٍ لِلماء ليلاً (وَرَد) على الماء (وطالبٍ وَجَد) مطلوبه (ومَا عِنْدَ اللَّهِ) من الآخرة ونعيمها (خير لِلأبرار) والأتقياء:

◁ الشرح

▫ قوله عليه السلام وصِيَّتِي لَكُمْ أَنْ لا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله فلاَ تَضَيِّعُوا سُنَّتَهُ أَقِيمُوا هذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ وخلاَكُمْ ذَمٌّ...

قال الرّضي رحمه الله: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال هذا الكلام قبل مَوته وبعد ضرب إبن ملجم أيّاه وحاصل الوصيّة أمران أحدهما، عدم الشّرك باللّه تعالى والثّاني، عدم تضّييع سُنّة رسوله صلى الله عليه وآله بعد الإقرار برسالته والوجه فيه أنّ هذين الأصلين أساس الدّين وقوام الشّريعة بهما وقد أشار اللّه تعالى اليهما في كتابه أمّا الأوّل فلقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرىٰ إِثْماً عَظِيماً﴾ (٢)

و: ﴿وَمَن يُشْرِك بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾ (٣)

و: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِك بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ﴾ (٤)

و: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ (٥)

١-الرحمن ٢٦ — ٢- النّساء-٢٨

٣- النّساء-١١٦ — ٤- المائدة-٧٢

٥- النّساء-٣٦

و : ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لأَبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَـابُنَيَّ لا تُشْـرِك بِـاللَّهِ إِنَّ الشِّـرْكَ لَـظُلْمٌ عَظِيـمٌ﴾ (١) وغيرها من الآيات:

وقال في الثّاني: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (٢)

و : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (٣)

و : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (٤)

والمراد بالسُّنّة قوله ﷺ وفعله وتقريره وإقامتها إحياؤها قولاً وعَملاً فمن ترك قوله أو أخَذَ به وترك فعله وعَمَله أو أخذ بهما وترك تقريره فهو ليس بآخذ السنّة كاملاً وذلك لأنّ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِـي رَسُـولِ اللَّـهِ أُسْـوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (٥) وغيرها من الآيات يشمل القول والفعل والتّقرير ولا دليل علىٰ التّقييد فمن زَعم أنّه آخذ بها بواحدة منها فقد أخطأ، والتّعبير عنهما بالعَمودين مُشعر بأنّ الإسلام إعتمَد علىٰ هذين الأصلين وجوداً وعَدماً ونفياً وإثباتاً شبّه عليه السلام الدّين بالسّقف المُتبني علىٰ عَمودين هما أساسه وقوله عليه السلام: وخلاَكُمْ ذَمٌّ فهو مَثَل أي عداكم الذّم وجاوزكم اللّوم بعد قيامكم بالوصّية وبعبارةٍ أُخرىٰ إذا عملتم بالوصّية فقد أعذرتم وَسَقط عنكم الذّم:

قال الشّارح المُعتزلي في المقام ما لفظه:

فأن قلت لقائل أن يقول إذا أوصاهم بالتّوحيد وإتّباع سُنّة النّبي ﷺ فلم يبق شيئ بعد ذلك يقول فيه أَقِيمُوا هذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ وخلاَكُمْ ذَمٌّ لأنّ سُنّة النّبي ﷺ فعل كلّ واجب وتجنّب كلّ قبيح فخلاهم ذّم فيما يُقال، والجواب أنّ كثيراً من الصّحابة كلّفوا أنفسهم أُموراً من النّوافل شاقّة جدّاً فمنهم من كان يقوم اللّيل كلّه ومنهم من كان يصوم الدّهر كلّه ومنهم المُرابط في الثّغور ومنهم المُجاهد مع سقوط الجهاد عنه لقيام غيره به ومنهم تارك النّكاح ومنهم تارك المطاعم والملابس وكانوا يتفاخرون بذلك ويتنافسون فيه فأراد عليه السلام أن يُبيّن لأهله

١- لقمان ـ ١٣
٢- الاحزاب ـ ٢١
٣- محمّد ـ ٣٣
٤- الحشر ـ ٧
٥- الاحزاب ـ ٢١

وشيعته وقت الوصّية أنّ المُهم الأعظم هو التّوحيد والقيام بما يعلم من دين محمّد ﷺ أنّه واجب ولا عليكم بالإخلال بما عدا ذلك فَلَيست من المائة واحداً نَهَض بذلك والمراد ترغيبهم بتّخفيف وظائف التّكاليف عنهم فأنّ اللّه تعالىٰ:يقول ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (١)

وقال ﷺ: بُعثت بالحَنيفية السّهلة السّمحة انتهىٰ.

أقول: هذا الجواب أَوَهن من بيت العَنكَبوت بل لا ربط له بالإشكال أَصلاً وذلك لأنّ سنّة النّبي ليس المراد بهما فعل كلّ واجب وتَجّنُب كلّ قبيح كما فسّرها المُعتزلي به بل المراد بها ما ذكرناه وهو قوله ﷺ - وفعله وتقريره ويدخل فيه ما ذكره أيضاً لأنّ الأمر والنّهي داخلان في القول والمُستّحب أيضاً داخل فيه لأنّه مرتبة ضعيفة من الأمر وهكذا الكراهة لكونها مرتبة ضعيفة من النّهي فتخصيص السنّة بفعل الواجب وترك القبيح فَحَسب ممّا لا دليل عليه لا عقلاً ولا نقلاً بل الدّليل علىٰ خلافه موجود فأن صلٰوة اللّيل مثلاً لَيسَت بواجبة ومع ذلك لا شكّ أنّها من سُنّة النّبي ﷺ بل من أعظم السُّنَن والسّواك والختان والنّكاح وغير ذلك من المُستّحبات كلّها من السنّة ولم يقل أحد بوجوبها فتخصيصه السُّنّة بما ذكره دليل علىٰ عدم إطّلاعه بالأحكام وعدم معرفته بالسُّنّة إذا عرفت هذا فنقول:

ما ذكره من الأمثلة لا يخلو حاله من الأحكام الخمسة التّكليفية أعني بها الواجب والنّدب والحرام والكراهة والإباحة فأن كان ما فعله المُكّلف واجباً أو ندباً فلا وجه للمنع عنه شرعاً لكونه من نقض الغَرَض فمن تركه كان مذموماً قطعاً وأن كان حراماً فلا وجه لجوازه وأن كان مكروهاً فتركه أولىٰ من فعله وأن كان مباحاً فهو مساوي الطّرفين فلم يبق في المقام شئ يحمل عليه كلامه ﷺ (**وخلاكُمْ ذَمٌّ**) والآية المذكورة الّتي إستدّل بها وهكذا الحديث لا ربط لهما بما نحن فيه أصلاً فأنهما قد دَلّتا علىٰ اليُسر والتّخفيف في الدّين وهو ممّا لا كلام

١- البقرة-١٨٥

فيه وأمّا أنّ الآية تدلّ على أنّ الإخلال بما عدا الواجب والحرام لا ذمّ فيه فهو غير مسموع وإلّا يلزم عدم الذّم في فعل المكروه لأنّه ليس ممّا يجب التّجنب عنه وهكذا يلزم عدم الذّم في تَرك المُستّحب لأنّه ليس بواجب مع أنّ الذّم موجود فيهما وأن كان العقاب مرفوعاً مضافاً الى أنّه يلزم منه خروجهما عن السُّنّة ولم يقل به أحد غيره:

والحقّ في الجواب أن نقول إذا كان المُكّلف آخذاً بالسنّة بمعناها الواقعي فقد سقط عنه الذّم أي ذمّ النّاس في أمور خارجة عن السُّنّة وبعبارةٍ أُخرىٰ من أطاع اللّه ورسوله وخالف غيرهما من المخلوقين فلا يَضّره ذمّ الذّامين وقدح القادحين فأنّ الملاك في العبّودية هو إتّباع السُّنة لا إتّباع أهواء النّاس وأميالهم كما هو شأن أكثر النّاس في كلّ عصر وزمانٍ فأنّهم يعصون الخالق في طاعة المَخلوق جَلباً للمنفعة وحَذَراً من الذّم

كما قال القائل النّار لا العار وحاصل الكلام أنّ غَرَضه ﷺ من هذه العبارة عدم الإعتناء بذّم النّاس ومَدحَهم في قبال الأحكام الشّرعية والعَمَل بها وأنّ الذّم الحقيقي الّذي ينبغي لكلّ عاقل التّحرز عنه هو ذمّ اللّه ورسوله وهذا الّذي ذَكَره ﷺ أمرٌ لا يفهمه إلّامن تَبعه من شيعته الّذي هو عارفٌ بِمَكّتَبه وأنّ أساس مَكتب أهل البيت على هذا وأمّا أمثال الشّارح المُعتزلي من العامّة فلا ألا ترىٰ أنّ أمير المؤمنين وأولاده المعصومين كلّهم كانوا مُراعين رضاية اللّه ورسوله في أقوالهم وأعمالهم لا رضاية النّاس ومَدحهم أيّاهم كما قال علّي بن الحسين ﷺ في الشّام **يا هذا إشتريت سخط الخالق برضا المَخلوق** وعلىٰ هذا كان دأبهم وديدنهم في مُخالبتهم ومُعاشرتهم وأفعالهم وأقوالهم

وأمّا أئمّة الجور بل مطلق أبناء الدّنيا علىٰ خلافه بمعنىٰ أنّهم إذا دار الأمر بين ذمّ اللّه وذمّ المخلوق لا يَعتنون بذمّ اللّه فَيعصّونه لِتَحصيل رضاية الخَلق وهو واضح.

▫ **قوله ﷺ: أنا بالأَمْسَ صَاحِبكُمْ وَالْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ وَغَداً مُفَارِقُكُمْ...**

أي إنظروا إِلّيَ بنظر الإعتبار وأنّ الدّنيا لا قيمة لها وذلك لأنّي كنت بالأمس صحيحاً مُصاحباً لكم واليوم كُنت عبرة لكم ينبغي أن تَعتبروا بي وتعرفوا الدّنيا وَغداً مُفَارِقُكُمْ بالمَوت وهذه الحالات الثلاثة تُرشدكم الىٰ حقيقة الدّنيا لِئَلّا تعتمدوا عليها.

□ **قوله ﷺ: إِنْ أَبْقَ فأَنَا وَلِيُّ دَمِي وإِنْ أَفْنَ فالْفَنَاءُ مِيعادِي وإِنْ أَعْفُ فالعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ وَهُوَلَكُمْ حَسَنَةٌ فاعْفُوا ألا تحِبُّونَ أنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَكُمْ...**

أي إِن أَبقَ في الدّنيا بعد هذه الضّربة ولم أَمُت فأنا ولّي دَمي أن شئت عَفوت وأن شئت إقتَصصتُ وإِن أفن وأموت فالفناء ميعادي لأنّ اللّه تعالىٰ قال في كتابه: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَام**﴾ (١) وأن أعف عن ضاربي فالعفو لي قُربة أي وسيلة وسبب الىٰ التّقرب به تعالىٰ لقوله في كتابه: ﴿**وَجَزَٰؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّه**﴾ (٢)

و: ﴿**وأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلا تَنْسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ**﴾ (٣)

وقوله ﷺ: وهُوَ لَكُمْ حَسَنةٌ،أي أنّ العفو الّذي لي قُربة فهو لكم حَسَنة فأعفوا عن المُسيئين ألا تحبّون أن يغفر اللّه لكم إشارة الىٰ قوله تعالىٰ:

﴿**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَاللّهُ لَكُمْ**﴾ (٤) والهَمزة في قوله تعالىٰ ألا تَحبّون، للإستفهام الإنكاري أي تُحبّون قطعاً علىٰ حذو قوله تعالىٰ: ﴿**أَلَيْسَ اللّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**﴾ (٥) أي أنّه كاف.

□ **قوله ﷺ: وَاللّهِ مَا فَجأَنِي منَ الْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ وَلا طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ...**

أي أُقسم باللّه أنّه ما أَلمني من المَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ وأبغضته وَلا طَالِعٌ يطلع عَلَّي أنْكَرْتُهُ والحاصل أنّي لا أكره المَوت ولا أنكره فأنّه حقّ لا شك فيه ومع ذلك يُوجب الخلاص من الدّنيا وآفاتها والوصول الىٰ مقام القُرب والرّضوان والجنّة ودرجاتها فهو محبوب لكلّ عارف ومطلوب لكلّ طالب ومرغوب

١- الرّحمٰن-٢٦
٢- الشورىٰ-٤٠
٣- البقرة-٢٣٧
٤- النّور-٢٢
٥- الزمر-٣٦

لكلّ راغبٍ يرغب الى لقاء الله.والله لإبن أبي طالب آنَس بالمَوت من الطّفل بثَدي أمّه كما قال عليه السلام:

▫ **قوله عليه السلام: ومَا كُنْتُ إلّا كَقارِبٍ وَرَدَ وطَالِبٍ وَجَدَومَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ للأبْرَارِ...**

القارب طالب الماء ليلاً وهو عطشان شبه عليه السلام نفسه الشّريفة بالعَطشان الّذي يطلب الماء وشبّه المَوت بالماء ثمّ قال ما كُنتُ أي لم أكن أنا والمَوت إلّا كطالبٍ يطلب الماء ثمّ وَرَدَ عليه أو كطالبٍ ضالّته ثمّ وَجَدها ففي الأوّل شبّه المَوت بالماء وفي الثّاني بالضّالة الّتي فقدها صاحبها ثمّ وَجَدها وإستّدل على مدّعاه بأنّ ما عند الله من نعيم الآخرة خير للأبرار من نعيم الدّنيا الّتي محفوفة بالآلام والأوجاع ومن المعلوم أنّ المقامات الّتي أُعدّت للمُتّقين لا يمكن لأحد الوصول اليها إلّا بالمَوت والخلاص عن علائق المّادة ولأجل ذلك رَغّب الله تعالى عباده الأخيار الى بغض الدّنيا وحُبّ الآخرة ومن المعلوم أنّ الآخرة لا تحصل إلّا به قال الله تعالى:**﴿قُلْ إنْ كانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الأَخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِن دوُنِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إن كُنْتُمْ صَادِقِينَ، وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمينَ، وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ومِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾**(1) دلّت الآيات على أنّ الأخيار يَتّمنون المَوت والأشرار ليسوا كذلك وذلك بما قدّمت أيديهم بظلمهم على أنفسهم.

والحاصل أنّ المؤمن لا يخاف من المَوت أصلاً بل يُحبّه حُبّاً شديد لعلمه بأنّ الوصول الى المقصد والبلوغ الى الهَدَف والخلاص من الآفة والإنقطاع عن المادّة كلّها يحصل ببركة المَوت.

فقد روي في البحار بأسناده عن الصّادق عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال لمّا أراد الله تبارك وتعالى قبض روح ابراهيم عليه السلام أهبط ملك المَوت فقال السّلام عليك يا إبراهيم قال وعليك السّلام ياملك المَوت أَراعٍ أم ناعٍ قال

١- البقرة ـ٩٤ الى ٩٦

بل راع ياإبراهيم فأجب قال إبراهيم فهل رأيت خليلاً يُميت خليله قال فَرجع ملك المَوت حتّىٰ وقف بين يدي اللّه جلّ جلاله فقال قد سمعت ما قال خليلك إبراهيم فقال اللّه جلّ جلاله ياملك المَوت إذهب اليه وقُل هل رأيت حبيباً يكره لقاء حبيبه أنّ الحبيب يحبّ لقاء حبيبه انتهىٰ «ج ٣ ص ١٢٧»...

وبأسناده عن محمود بن لبيد أنّ رسول اللّه ﷺ قال شيئان يكرههما بن آدم يكره المَوت والموت راحة للمؤمن من الفِتنة ويكره قلّة المال وقلّة أقلّ للحساب انتهىٰ « ص ١٢٧»...

وبأسناده قال رسول اللّه ﷺ من أَحبّ لقاء اللّه أحبّ اللّه لقائه ومن كره لقاء اللّه كره اللّه لقائه انتهىٰ « ص ١٢٨»...

وقد تكلّمنا في المَوت والإستعداد له سابقاً مُفَصلاً فلا نُعيد الكلام بذكره ثانياً مخافة الإطالة قال النّظامي بالفارسية:

زنــده دلى در صـف افسـردگان / رفت بـــهمسايگى مُــردگان
حَرف فنا خواند زهرلوح‌خاک / رُوح بقا جُست زهر روح پاک
كــارشناسى پــى تفتيش حـال / كـرد از او بـرسر راهـى سؤال
كاين همه از زنده رميدن چرا / رخت سوى مُرده كشيدن چرا
گُفت پليدان بمغاک اندرانـد / زنده دلان در تَه خاک اندراند
مـــرده دلانــند بـروى زمــين / بهر چه بامرده شوم هـم نشـين
هـمدمي مـرده دَهـد مُرده‌گى / صُحبت افسرده دل افسـرده‌گى
زِير گل آنان كـه پـراكنده‌انـد / گرچه به تَن مُرده بدِل زنده‌اند

ومن وصيّة له ﷺ (٢٢)
بما يُعمل في أمواله بعد منصرفه من صفّين

▫ قوله ﷺ: هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلَيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي مَالِهِ ابْتِغاءَ وجْهِ اللَّهِ لِيُولِجَهُ بِهِ الْجَنَّةَ ويُعْطِيَهُ بِهِ الأَمَنَةَ مِنْها وَإِنَّهُ يقُومُ به الحَسَنْ (بِذَلِكَ الْحَسنُ بْنُ عَلِيٍّ يأكُلُ مِنْهُ بالمَعْرُوفِ ويُنْفِقُ فِي المَعْرُوفِ فإِنْ حَدَثٌ وحُسَيْنٌ حَيٌّ قامَ بالأَمْرِ بَعْدَهُ وأصدْرَهَ مَصْدَرَهُ وَإِنَّ لِبَنِي فاطِمةَ منْ صَدَقَةِ عَلِيٍّ مَثْلَ الَّذِي لِبَنِي عَلِيّ وَإِنِّي إِنَّمَا جَعَلْتُ الْقِيامَ بِذَلِكَ إِلىٰ ابْنَيْ فاطِمَةَ ابْتِغاءَ وَجْهِ اللَّهِ وقُرْبَةً إِلىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وتَكْرِيماً لِحُرْمَتِهِ وَتَشْرِيفاً لِوُصْلَتِهِ ويَشْتَرِطْ علىٰ الَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَ المَالَ علىٰ أُصُولِهِ ويُنْفِقَ منْ ثَمرِهِ حَيثُ أُمِرَ بِهِ وهُدِيَ لَهُ وأنْ لاَ يَبيعَ مَنْ أَوْلاَدِ نَخِيلِ هذِهِ الْقُرَىٰ وَدِيَّةً حتّىٰ تُشْكِلَ أرْضُها غِرَاساً وَمنْ كَانَ منْ إِمائِي اللَّاتِي أَطُوفُ عَلَيْهِنَّ لَهَا وَلَدٌ أَوْ هيَ حامِلٌ فَتمْسِكُ عَلىٰ ولَدِها وَهِيَ منْ حَظِّهِ فإِنْ مَاتَ ولَدُهَا وهيَ حَيَّةٌ فَهِيَ عَتِيقَةٌ قَدْ أُفْرِجَ عَنْها الرِّقُّ وحَرَّرَها الْعِتْقُ...

قوله ﷺ في هذه الوصية «أن لا يبيع من نخيلها وديّة» الوديّة: الفسيلة، وجمعها وَدْي. قوله ﷺ: «حتّىٰ تُشكل أرضها غراساً» هو من أفصح الكلام، والمراد به أنّ الأرض يكثر فيها غراس النّخل حتّىٰ يراها النّاظر علىٰ غير تلك الصّفة الّتي عرفها بها فتُشكل عليه أمرها ويحسبها غيرها.

◁ اللّغة

(وصيّة) إسم من الإيصاء وقد يُسمّي بها الموصي به (لِيُولِجَهُ) من أَولَج يولج إيلاجاً والإيلاج الإدخال (وُصلته) الوّصلة بضّم الواو الصّلة وهي هنا القرابة (وَدِيَّةٌ) الوَدّية كهدّية واحدة الوَدّي النّخل الصغير والمراد بها هنا الفَسيل.

◁ المعنىٰ

(**هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي مَالِهِ**) لأولاده (**ابْتِغاءَ وَجْهِ اللَّهِ**) أي طلباً لمرضاته (**لِيُولِجَهُ**) ويدخله (**بِهِ**) أي بسببه (**الجَنَّةَ**) الّتي وَعَد بها المُتّقين (**ويُعْطِيَهُ بِهِ**) بَسَببه (**الأَمَنَةَ**) أي الأمان من القيامة (**مِنْها**) أي من الوصية (**وإِنَّهُ**) الضّمير للشأن (**يَقُومُ بِذَلِكَ**) الأمر (**الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يأكُلُ مِنْهُ**) أي من المال (**بِالْمَعْرُوفِ وَيُنْفِقُ**) منه (**بالْمَعْرُوفِ**) وَالحقّ (**فإِنْ حَدَثَ بِحَسَنٍ حَدَثٌ**) فمات (**وحُسَيْنٌ حَيٌّ قَامَ**) الحسين (**بالأَمْرِ بَعْدَهُ**) بعد الحَسَن (**وأَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ**) أي عمل به كما عمل به الحَسَن (**وإِنَّ لِبَني فاطِمَة منْ صَدَقَةِ عَلِيّ مِثْلَ الَّذِي لِبَني عَلِيٍّ**) من غير فاطمة فلا فرق لهم فيها (**وإِنِّي إِنَّما جَعلْتُ الْقِيامَ بِذَلِكَ**) الأمر والتّصدي له (**إِلىٰ ابْنَي فاطِمَةَ**) الحسن والحسين (**ابْتِغاءَ وَجْهِ اللَّهِ وقُرْبَةً إِلىٰ رَسُولِ اللّهِ وتَكْرِيماً**) وتعظيماً (**لِحُرْمَتِهِ**) أي حُرمة الرّسول (**وَتَشْرِيفاً لِوُصْلَتِهِ**) وقرابته (**ويَشْتَرِطُ**) عليّ ﷺ (**عَلىٰ الَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ**) وهو الحَسَن وبعده الحسين (**أَنْ يَتْرُكَ المَالَ عَلىٰ أُصُولِهِ**) كما كان (**ويُنْفِقَ منْ ثَمرِهِ**) وَعوائده (**حَيْثُ أَمِرَ**) الموصي له (**بِهِ**) من المُوصي (**وهُدِيَ**) من المَوصي (**لَهُ**) في الإنفاق، (**وأَنْ لاَ يَبِيعَ**) المَوصىٰ له (**منْ أَوْلاَدَ نَخِيلِ هذِهِ الْقُرَىٰ وَدِيَّةً**) وفسيلاً (**حتّىٰ تُشْكِلَ أَرْضُها**) أرض القرىٰ (**غِرَاساً وَمَنْ كانَ منْ إِمائِي اللاَّئِي**) جمع امَة (**أَطُوفُ عَلَيْهِنَّ لَها وَلَدٌأَوْ هيَ حامِلٌ**) بالوَلد (**فَتُمْسِك**) وتُحبَس (**عَلىٰ وَلَدِها وهيَ مِنْ حَظِّهِ**) وسَهمِه (**فإِنْ ماتَ وَلَدُها وَهيَ**) أي والأمَة (**حَيَّةٌ فَهِيَ**)

عَتِيقَةٌ قَدْ أُفْرِجَ عَنْهَا الرِّقُّ) فتُعتَق (وَحَرَّرَها الْعِتْقُ) عن الرِقّية قال الرّضي ﷺ قوله ﷺ في هذه الوَصيّة الىٰ آخر ما قال:

◁ الشّرح

الظّاهر من هذا الكلام أنّه وقَف علىٰ أولاده من ماله شيئاً وجعل توليته لإبنه الحسن وبعده للحسين وتعبيره بالصّدقة لا يُنافي الوقف وذلك لأنّ هذا الإطلاق كان شائعاً في الصّدر الأوّل فكانوا يُعبّرون عن الوقوف بالصّدقات كما إعترف به صاحب الحدائق وغيره من الفقهاء وكيف كان فقد وردت الشّريعة بالتّرغيب اليه وأنّه صَدقة جارية ولنُقدّم لك شطراً من الأخبار فيه.

روي في الحدائق عن الكافي والتّهذيب عن هشام بن سالم عن أبي عبد اللّه قال ليس يتبع الرّجل بعد موته من الأجر إلّا ثلاث خصال صَدقة أجراها في حياته وهي تجري بعد موته وسُنّة هُدىٰ سَنّها فهو يعمل بها بعد موته أو وَلَد صالح يدعو له انتهىٰ...

وما روي عن أبي عبد اللّه قال ليس يتبع الرّجل بعد موته من الأجر إلّا ثلاث خصال صَدقة أجراها في حياته فهي تجري بعد موته وصَدقة مقبولة لا تُورث وسُنّة هُدىٰ فهي يعمل بها بعده أو ولد صالح يَدعُ لهانتهىٰ...

وعن معاوية بن عمّار في الصّحيح قال قلت لأبي عبد اللّه ﷺ ما يلحق الرّجل بعد موته قال ﷺ سُنّة يسُنّها ليعمل بها بعد موته فيكون له مثل أجر من عمل بها من غير أن ينتقص من أُجورهم شئ والصّدقة الجارية تجري من بعده والولد الطّيب يدعو لوالديه بعد موتهما ويَحجّ ويتّصدق ويعتق عنهما ويُصّلي ويصُوم عنهما فقلت أشركهما في حجّي قال نعم انتهىٰ...

قال صاحب الحدائق المُراد بالصّدقة الجارية في هذه الأخبار الوقف كما أشار اليه الشّهيد في الدّروس وقال إبن فهد في موجزه قال العلماء المراد بالصّدقة الجارية الوقف انتهىٰ إذا عرفت هذا فنقول:

▫ **قوله ﷺ: هذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدَ اللَّهِ عَليُّ بْنُ أبي طَالِبٍ فِي مَالِهِ ابْتِغَاءَ وجْهِ اللَّهِ لِيُولِجَهْ بِهِ الْجنَّةَ ويُعْطِيهُ بِهِ الأَمَنَةَ...**

أي هذه الصّدقة أمرت بها في مالي طلباً لمرضات اللّه تعالىٰ ليُدخلني الجنّة ويُعطيني الأمَن من العذاب والدّهشة غداً يوم القيمة وفيه إشارة الىٰ قصده ﷺ وأنّه كان لِللّه تعالىٰ لا لغيره من الأغراض والأهداف ومن المعلوم أنّ العَمَل الخالص لا يكون إلّا له تعالىٰ وأمّا دخول الجنّة وغير ذلك فهو من آثار التّقرب اللّازم له:

▫ **قوله ﷺ: وَإِنَّهُ يَقُومْ بِذَلِكَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يأكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ ويُنْفِقُ في المَعْرُوفِ فإنْ حَدَثَ بِحَسَن حَدَثٌ وحُسَيْنٌ حَيّ قَامَ بالأَمْرِ بَعْدَهُ وأَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ...**

أي وإِنَّهُ يَقُومُ بِذَلِكَ الأَمَرَ وَهُوَ الوقف المُعَبر عنه بالتّصدق الحسن بن علّي ﷺ قيام التَّصدي والتّولية يأكل منه أي من المال بالمعروف وينفُق كذلك وذلك لأنّ الوقوف حسب ما يوقفها أهلها ومن تخلّف عن حكم الواقف فهو آثمٌ ثمّ قال ﷺ: **فأن حَدَث بحسن حَدَث** أي حدث له ما يمنعه عن القيام بوظيفته كالموت مثلاً والحال أنّ الحُسين ﷺ كان حيّاً فهو يَقُومُ بالأَمَرَ أي بأمر التّولية بعد أخيه الحسن وأصدره أي أصدر الحسين الأمر مصدره أي كإِصدار الحَسَن في حياته ويمكن رجوع الضّمير الىٰ الحسن ﷺ والمعنىٰ أَصدر الحسن الحسين بعده مكانه وهذا كما يُقال أنّ تعيين المُتّولي مع المُتّولي وحاصل الكلام أنّ الحسين بعد الحسن يقوم بالأمر:

▫ **قوله ﷺ: وَإِنَّ لِبَني فَاطِمَةُ منْ صَدَقَةِ عَلِيٍّ مِثْلَ الَّذِي لِبَني عَلِيٍّ...**

أي أنّ سهامهم من المال واحد ولا فرق فيهم ولا إمتياز لواحد منهم علىٰ الآخر في الإستفادة من المال وذلك لأنّهم من حيث أنّهم أولاده في حدّ سواء وقانون العَدل يقتضي عدم الفرق .

▫ **قوله ﷺ : وإِنِّي إِنَّمَا جَعَلْتُ الْقِيامَ بِذَلِكَ إِلىٰ ابْنَيْ فاطِمَةَ ابْتِغاءُ وَجْهِ اللَّهِ وَقُرْبَةً إِلىٰ رَسُولِ اللَّهِ وتَكْرِيماً لِحُرْمَتِهِ وتَشْرِيفاً لِوُصْلَتِهِ...**

هذا الكلام كأنّه دفع عن سؤالٍ وقدّر وهو أنّه لو لم يكن بين بني فاطمة وغيرهم من أولاد علّي فرقاً فَلِمَ جعلتَ القيام به للحسن والحسين دون غيرهما أليس هذا من الإمتياز بين الأولاد فقال عليه السلام ما حاصله أنّ الأمر ليس كما زعمتُموه بل الوجه فيه أنّ الحسن والحسين لكونهما أقرب الىٰ رسول الله من غيرهما فقد جعلت القيام به لهما.

وهذا ممّا خصّهما الله تعالىٰ به ومن المعلوم أنّ الأقرب الىٰ الرّسول ظاهراً وباطناً هو أقرب الىٰ الله تعالىٰ وعليه فما قَصد ما قَصد إلّا إبتغاء وجه الله وقرابة رسول الله وتكريماً لحرمة الرّسول وتشريفاً لوصلتُه وقُربته وهذا عنوان آخر غير النّبوة ألا ترىٰ أنّ الله جَعَلهما إمامين ثمّ جَعل الإمامة في نسل الحسين وأمّا غيرهما من أولاد أمير المؤمنين فلم يكن لهم حَظٌّ منها.

□ **قوله عليه السلام: ويَشْتَرِطُ علىٰ الَّذي يَجْعَلُهُ إليْهِ أنْ يَتْرُكَ الْمالَ علىٰ أُصُولِهِ ويُنْفِقَ منْ ثَمرهِ حَيْثُ أُمِرَ بِهِ وهُدِيَ لَهُ...**

أي ويشترط أمير المؤمنين علىٰ مَن يَجْعَلَهُ الأَمر إِليْهِ وهو الحَسن وبعده الحسين أن يترك المال علىٰ أُصوله ويَنفق من ثَمره فأنّ الوقف تَحبيس الأصل وتسبيل الثّمرة فلا يجوز بيع الأصل ولا هبته ولا إنتقاله بأيّ وجهٍ كان إلّا في الموارد المُستثنية في الشّريعة ضرورة أن الضّرورات تبيح المَحذورات وفي قوله عليه السلام: **حيث أُمر به وهُدي** له إشارة الىٰ أنّ إنفاق الثّمرة أيضاً لا يجوز علىٰ إطلاقه بأيّ نحوٍ شاء المُتولي بل لابدّ له من مُراعاة شرائط الواقف والوقف فأنّ الوقوف علىٰ حسب ما يُوقفها أهلها ومن بدّله بعد ما سمعه فأنّما إثمه علىٰ الّذين يُبّدلُونه وعليه فيُنفق من ثمره حسب ما أُمر به من الواقف وهُدي وأُرشِد اليه:

□ **قوله عليه السلام: وأنْ لاَ يَبيعَ مِن أوْلاَدِ نَخِيلِ هذهِ القُرىٰ ودِيةً حَتّىٰ تُشْكِلَ أرْضُها غِرَاساً...**

هذا الكلام توضيح منه عليه السلام لما سبق وهو قوله أن يَتْرُك المَالَ علىٰ أُصوله،

فكأنّه قيل له وما معنىٰ ترك المال علىٰ أُصوله فقال عليه السلام: معناه **أن لاَ يَبِيعَ** المُتَولي من أولاد نخيل هذه القرىٰ وَدّية أي صغير النخيل حتّىٰ تُشْكِلَ أرْضُها أي أرض القرىٰ غِرَاساً وذلك لأنّ النّخلة في صِغرها لم يستحكم جذعها في الأرض فَقلع فسيلها يضر بها ضراراً فاحشاً والغراس جمع الغَرس وهو فَسيل النّخل والمقصود من هذا الكلام هو أنّ في صورة بقاء الودّي لا محالة تتشكل الأرض غراساً أي مملوّة من الأشجار.

▫ **قوله عليه السلام: وَمَنْ كَانَ منْ إمائِي اللاّتِي أطُوفُ عَلَيْهِنَّ لها وَلَدٌ أوْ هيَ حامِلٌ فَتَمْسِكُ علىٰ ولَدِها وهيَ منْ خَطِّةِ فإنْ ماتَ ولَدُها وهيَ حَيَّةٌ فَهِيَ عَتِيقَةٌ قدْ أُفْرِجَ عَنْها الرِّقُّ وحَرَّرَها الْعِتْقُ...**

الإماء جمع امَة وهي وهي خلاف الحرّة وقد تجمع علىٰ أم قاله الجوهري وعلىٰ أَمَوان كأَخَوان قاله غيره وأَصل أَمَة أَمَوة بالتّحريك والنّسبة اليها أَمَوي بالفتح وتصغيره علىٰ أُمَيّة بالضّم وأُمَيّة أيضاً من قُرَيش والنّسبة اليهم أُمَوي بالضّم وربّما فتحوا وهو في الأصل إسم رجل رُومّي يُقال له أُمَية، نُسب الىٰ عبد شمس فقيل أُمّية بن عبد شمس وكان ذلك عند العَرب جائزاً كما قيل لزيد بن حارثة الكلبي زيد بن محمّد ثمّ أنّ الإسلام منع منه وحكم بإنتساب الأولاد الىٰ آبائهم الحقيقية ولأجل ذلك قلنا سابقاً أنّ بني أُمّية لم يكونوا من قُرَيش ولا من العَرب واقعاً وكيف كان فالمعنىٰ أنّ الإِماء إذا كان لهنّ وَلَد أو الحَمل به فَهُم وَلدِها تُحبَس حتّى تلد الأمَة فأن مات وَلدها وهي أي أُمّه حَيّة فهي أي أُمّه عَتيقة .

قد أُفْرِجَ عَنْهَا الرِّقُّ وحَرَّرَها الْعِتْقُ ومُلّخص الكلام أنّ الأُمّ تُعتَق من نصيب ولدها وهذا الحكم مسلّم في الفقه بشرائطه المذكورة في كُتب الفِقه ولقلّة فائدة البحث في هذا العصر الخالي عن الأمَة والعَبد أعرضنا عن تفصيل الكلام في الباب ومن أراد الإطّلاع عليه فعليه بكُتب الموضوعة لهذه الأبحاث.

ومن وصية له عليه السلام (٢٣)
كان يكتبها لمن يستعمله علىٰ الصّدقات

وأنما ذكرنا هنا جملاً ليعلم بها أنّه كام يقيم عماد الحقّ، ويشرع أمثلة العدل، في صغير الأُمور وكبيرها ودقّيقيها وجليلها.

▫ قوله عليه السلام: إِنْطَلِقْ علىٰ تَقْوَىٰ اللَّهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لهُ ولا تَرُوعَنَّ مُسْلِماً ولا تَجتَازَنَّ عَلَيْهَ كارِهاً وَلاَ تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ منْ حَقِّ اللَّهِ في مالِهِ فَإِذا قَدِمْتَ علىٰ الحَيِّ فَأَنزِلْ بِمَائِهِمْ منْ غَيْرِ أنْ تُخالِطَ أبياتَهُمْ ثُمَّ امْضِ ـ إِلَيْهِمْ بالسَّكِينَةِ والْوَقارِ حَتّىٰ تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ ولا تُخْدِجْ بالتَّحِيَّةِ لَهُمْ ثُمَّ تَقُولَ عِبَادَ اللَّهِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ لأَخْذَ مِنْكُمْ حَقَّ اللَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ .فَهَلْ لِلَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إلىٰ ولِيِّهِ فَإِنْ قَالَ قائِلٌ لا فَلاَ تُرَاجِعْهُ وإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ فانْطَلِقْ مَعَهُ منْ غَيْرِ أنْ تُخِيفَهُ وتُوعِدَهُ أَوْ تَعْسِفَهُ أَوْ تَرْهَقَهُ فَخُذْ ما أَعْطاكَ منْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ فإِنْ كانَ لهُ ماشِيَةٌ أَوْ إِبْلٌ فَلاَ تَدْخُلْها إِلَّا بِإِذْنِهِ فأَنَّ أَكْثَرَهَا لَهُ فإِذَا أَتَيْتَها فَلاَ تَدْخُلْ عَلَيْها دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ ولا عَنِيفٍ بِهِ وَلا تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَةً ولا تُفْزِعَنَّها ولا تَسُوءَنَّ صَاحِبَها فِيها واصْدَعِ المَالَ صَدْعيْنِ ثمَّ خَيِّرْهُ فإِذَا اخْتارَ فلاَ تَعَرَّضَنَّ لَما اخْتارَهُ ثُمَّ اصْدَعِ الْباقِيَ صَدْعيْنِ ثمَّ خَيِّرْهُ فاذا اخْتارَ فَلاَ تَعَرَّضَنَّ لِمَا اخْتارَهُ فلاَ تَزالَ بِذَلِكَ حَتّىٰ يَبْقَىٰ مَا فِيهِ وَفاءٌ لِحَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ فاقْبِضْ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ فإِنِ اسْتَقالَكَ فَأَقِلْهُ ثمَّ اخْلِطْهُما ثمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أوَّلاً حَتّىٰ تَأْخُذَ حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ وَلا تَأْخُذَنَّ عَوْداً ولاَ هَرِمَةً وَلا مكْسُورَةً وَلا

مَهْلُوْسَةً وَلا ذَاتَ عَوَارٍ وَلا تَأْمَنَنَّ عليْهَا إِلَّا مَنْ تَشِقُ بِدِينِهِ رَافِقاً بِمَالَ الْمُسْلِمينَ حَتّىٰ يُوَصِّلَهُ إِلَىٰ وَلِيِّهِمْ فَيقْسِمَهُ بيْنَهُمْ وَلاَ تُوَكِّلْ بهَا إِلَّا نَاصِحاً شَفِيقاً وَأَمِيناً حَفِيظاً غيرَ مُعْنِّفٍ وَلا مُجْحِفٍ وَلاَ مُلْغِبٍ وَلاَ مُتْعِبٍ ثُمَّ أَحْدِرْ إِلَيْنا مَا اجْتَمَعَ عِنْدِكَ نُصَيِّرْهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ فإِذَا أَخَذَها أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِليْهِ أَنْ لا يَحُولَ بيْنَ نَاقَةٍ وَبَيْنَ فَصِيلِها وَلا يُمَصِّرَ لَبَنَها فَيَضُرَّ ذَٰلِكَ بِوَلَدِها وَلاَ يَجْهَدَنَّهَا رُكُوباً ولْيَعْدِلْ بَينَ صَوَاحِباتِها فِي ذَٰلِكَ وبَيْنَها ولْيُرَفِّهْ علىٰ اللاَّغِبِ ولْيَستَأْنَّ بالنَّقِبِ والظَّالِعِ وَلْيُورِدْها ما تَمُرُّ بِهِ منَ الْغُدْرِ وَلا يَعْدِلْ بهَا عَنْ نَبْتَ الأَرْضِ إِلَىٰ جَوَادِّ الطُّرُقِ ولْيُرَوِّحْها فِي السَّاعاتِ وَلْيُمْهِلْها عِنْدَ النِّطَافَ والأَعْشَابِ حَتّىٰ تَأْتِينَا بِإِذْنِ اللَّهِ بُدُناً مُنْقِيَاتٍ غيرَ مُتْعِباتٍ وَلا مَجْهُودَاتٍ لِنَقْسِمَها عَلىٰ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبيِّهِ ﷺ فَإِنَّ ذلِكَ أَعْظَمُ لِأَجْرِكَ وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تعالىٰ.

◁ اللّغة

(**لا تَرُوعَنّ**) مضارع مؤكّد بنون الثّقيلة من راع يروع إذا خاف وفَزَع هذا إذا كان الفعل من الثّلاثي المجّرد كما ذكرناه وأمّا إذا كان من المزيد فيه أعني أراع يريع لا تُفزعهم فعلىٰ الأوّل يكون الفعل بفتح التّاء وسكون الرّاء والواو وعلىٰ الثّاني بضّم التّاء وسكون الرّاء وكسر الواو (**نَجْتازَنَّ**) من إجتاز يجتاز إجتيازاً وهو المرور أي لا تمّر عليه (**لا تُخْدِجْ**) بضّم التّاء من أخدج يخدج يقال أخدجت السّحابة إذا قلّ مَطَرها أي لا تُبخل (**تَعْسِفَهُ**) تأخذه بشدّة، (**تَرْهَقَهُ**) أي تُكّلفه مايصعب عليه (**واصْدَعْ**) أي اقسم (**عَوْداً**) العَود بفتح العين وسكون الواو المسّنة من الإبل (**هَرِمَةً**) بفتح الهاء وكسر الرّاء أَسَنّ من العَود (**مَهْلُوسَةً**) الضّعيفة هَلّسه المرض أَضعَفه (**عَوَارٍ**) بفتح العين وقد تُضّم العَيب (**مُجْحِفٍ**) بضّم الميم وسكون الجيم وكسر الحاء إسم فاعل من أَجحَفَ وهو نوع من الظّلم والمقصود في المقام الشّدة في سوقها حتّىٰ تهزل (**مُلْغِبٌ**) علىٰ وزن مُجْحِفٍ المعّي من التّعب وقيل بفتح الغين (**أَحْدِرْ**) فعل أمرٍ من حَدَر يحدِر كَضرب يضرب وقيل من باب نَفَر يَنفُر ومصدره الحَدر وهو السّرعة يقال

حَدر به إذا أسرَع (أَوْعِزْ) أي مُر اليه (فَصِيلِها) فصيل النّاقة ولَدها وهو رضيع (لا يُمَصِّرَ) يقال مَصَّر اللّبن تمصيراً قَلّله (اللاَّغِبِ) إسم فاعل من لَغب وهو ما أعياه التّعب (ولِيَسْتَأْنِ) أي يرفق من الإناة بمعنىٰ الرّفق (بالنَّقِبِ) بفتح النّون وكسر القاف ما نقب خفّه أي تخرق (الظَّالِعِ) ظَلَع البعير غَمَز في مَشيته (الْغُدْرِ) بضّم الغين جمع غدير وهو ما غادره السّيل من المياه (النِّطَافِ) جمع نُطفة المياه القليلة (بُدُناً) البُدْن بضّمتين جمع بادنة أي سَمينة (مُنْقِيَاتٍ) إسم فاعل من أنقَت الإبل إذا سَمِنت وأصله ذات النّقي أي المُخ.

◁ المعنىٰ

(إِنْطَلِقْ) أي إذهب (علىٰ تَقْوَىٰ اللَّهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَه وَلا تَرُوعَنَّ) أي لا تَفزعنّ (مُسْلِماً وَلا تَجْتازَنَّ) وَلا تَمرنّ (عَلَيْهِ كارِهاً وَلا تَأخُذَنَّ مِنْهُ) من المُسْلِمْ (أَكْثَرَ منْ حَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ) فأنّه غير مشروع لك ولغيرك (فَإِذَا قَدِمْتَ) ونزلت (علىٰ الْحَيِّ) والقبيلة (فَأَنْزِلَ بمَائِهِمْ منْ غَيرِ أنْ تُخالِطَ أَبْياتَهُمْ) بغير إجازتهم (ثُمَّامْضِ إِلِيْهِمْ) الىٰ أهـل القبيلة (بالسَّكِينَةِ والْوَقَارِ حَتّىٰ تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ) فأنّ السّلام مقدّم علىٰ الكلام (وَلا تُخْدِجْ) أي لا تَبخل (بالتَّحِيَّةِ لهُمْ ثُمَّ تَقُولُ) لَهمْ(عِبَادَ اللَّهِ) بتقدير حرف النّداء أي ياعباد اللّه (أَرْسَلَني إِلَيْكُمْ) لأخذ الصّدقات (وَلِيُّ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ) فِي أرْضه وهو علّي إبن أبي طالب ﷺ (لأَخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ اللَّهِ) الّذي أوجبه (في أمْوَالِكُمْ) لتزكوا به.

(فَهَلْ لِللَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ منْ حَقٍّ فَتَؤَدُّوهُ إِلَىٰ وَلِيِّهِ فإِنْ قَالَ قَائِلٌ لاَ) أي ليس لِلّه حقّ في أموالنا (فَلاَ تُرَاجِعْهُ) ثانياً (وإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ) أي أن قال قائل منهم نِعم (فانْطَلِقْ) وإذهب معه (منْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ وتُوعِدَهُ أَوْ تَعْسِفَهُ أَوْ تَرْهَقَهُ) فأنّ الإخافة والإبعاد والشّدة والرّهقة أعني تكلّفه بما يصعب عليه ليس من شأن المُسلم المؤمن باللّه واليوم الآخر إذا كان بغير حقٍّ (فَخُذْ) منه (مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ) بطيب نفسه (فإِنْ كانَ لَهُ) لصاحب المال (اشيَةٌ) البقر والغنم (أو إِبِلٌ فَلاَ تَدْخُلْها) أي فلا تدخل الماشية (إِلَّا بإِذْنِهِ) أي بأذن صاحب المال (فأنّ

أكْثَرَها) أي أكثر الماشية (لَهُ) لا لك (فإِذَا أَتَيْتَها) الماشية (فلاَ تَدْخُلْ عَلَيْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ وَلا عَنِيفٍ بِهِ وَلا تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَةً وَ لا تفزِعَنّها ولا تَسُوءَنَّ صَاحِبَها فِيها) وَذَلِكَ لأنّ هذه الأُمور من شئون الظّالمين (واصْدَعِ المَالَ صَدْعيْنَ) أي أقسم المال قسمين أوّلاً (ثُمَّ خَيِّرْهُ) أي خَيّر صاحب المال في إختياره أحَد القسمين (فإِذَا اخْتارَ) أحَدَهُمَا (فَلاَ تعرَّضَنَّ لَما اخْتَارَهُ) ولا تَمنعه عنه (ثُمَّ اصْدَعِ الْبَاقِي صَدْعيْنِ ثُمَّ خَيِّرْهُ) كما ذكرناه (فأَن اخْتارَ) أحدهما (فلا تَعرَّضَنَّ لِمَا اخْتارَهَ) صاحب المال (فَلاَ تَزَالُ بذَلَكَ) تفعل (حتّىٰ يَبْقىٰ ما فِيهِ وفَاء لِحَقِّ اللَّهِ فِي مالهِ فاقْبِضْ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ فإِنِ اسْتَقَالَكَ) بأن قال لك أقلني (فَأَقِلْهُ) فأنّ الإقالة ممدوحة شرعاً (ثمّ إِخْلِطْهُما) أي القسمين بعد الإقالة (ثُمَّ اصْنَعْ) بالمال (مَثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أوّلاً حتّى تأخذ حقّ اللّه في ماله ولا تَأخذنَّ) من المال أو من صاحب المال (عَوداً) أي مُسِنّة من الإبل (ولا هَرِمة) أسنّ من العَود (ولا مَكْسُورَةٌ) اليد والرّجل مثلاً (ولا مَهْلُوسَةٍ) أي الضّعيفة (ولا ذَاتَ عَوَارٍ) وعَيب (ولا تَأمَنَنَّ عَلَيْهَا) علىٰ الماشية (إِلّا من تَثِقُ) وتَطمئن (بِدِيْنِهِ رَافِقاً) أي حال كونه مواظباً (بمَالِ المُسلِمينَ حتّىٰ يُوَصِّلَهُ) أي يُوصّل المال (إِلىٰ ولِيِّهِم) أي ولّي الأمر فيهم (فيَقْسَمَهُ) المال (بَيْنَهُمْ) بين المُستّحقين (وَلاَ تَوَكِّلْ بِهَا) بالماشية (إِلّا نَاصِحاً شَفِيقاً وأَميناً حَفِيظاً) في الأموال (غَيرَ مُعَنِّفٍ ولا مُجْحِفٍ ولا مُلْغَبٍ وَلاَ مُتْعَبٍ) أي غير من يَعنف ويشدّ ويُجحِف ويظلم ويلغب أي يجعلها في التّعب ويتعب الماشية في المشي وغيره.

والحاصل لا تُوكّل بها فظّاً غليظ القلب (ثمّ أَحْدِر) وأسرع (إِلَيْنا ما اجْتَمَعَ عِنْدَكَ) من الأموال (نُصَيِّرْهُ) أي نُقسم المال (حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ) في كتابه وسنّة نبيه (فإِذَا أَخَذَها) الماشية (أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ) رمُره (أَنْ لا يَحُولَ) ولا يفصل (بَيْنَ نَاقَةٍ وبَيْنَ فَصِيلِها) أي ولدها الرّضيع.

(وَلا يُمَصِّرَ لَبَنَها) أي لا يبالغ في حلبها، (فَيَضُرَّ ذَلِكَ) التّمصير (بِوَلَدِهَا) بسبب فقدان اللّبن (وَلا يَجْهَدَنَّها رُكُوباً) أي لا يركبها دائماً (ولْيَعْدِلْ بَيْنَ

صَوَاحِباتِها فِي ذَلِكَ وبيْنَها) أي ينبغي أن يعدل الموكّل عليها بين المؤنث والمذكّر في المشي **(ولْيُرَفِّهْ عَلَىٰ اللاَّغِبِ)** أي وينبغي أيضاً أن يسهل علىٰ المَعي بالشّعب **(ولْيَسْتأَنَّ)** ويرفق **(بالنَّقِبِ)** وهو ما نقب خفّه أي تخرق **(والظَّالِعِ)** وأن يرفق بالظّالع الغامز في مشيته **(ولْيُورِدْها)** أي وليورد الماشية **(ما تَمُرُّ به الْغُدْرِ)** أعني ما غادره السّيل من المياه **(وَلا يَعْدِلُ)** أي لا يتجاوز **(بِهَا)** بالماشية **(عَنْ نَبْتِ الأَرْضِ)** أي الأرض النّابتة **(إِلىٰ جَوَادِّ الطُرقِ)** الّتي لا نَبت لها **(ولْيُرَوِّحْها)** أي وليروّح الماشية **(فِي السَّاعَاتِ ولْيُمْهِلْها عِنْدَ النِّطَافِ)** أي المياه القليلة لتشرب وتأكل **(والأَعْشَابِ)** أي الكلاء الرّطب **(حَتَّى تَأْتِينَا بأذْنِ اللَّهِ بُدُناً)** سِماناً **(مُنقِيَاتٍ)** أي ذات نقّي **(ولا مَجْهُودَاتٍ لِنَقْسِمهَا)** أي الماشية **(عَلىٰ كِتابِ اللّهِ وسُنَّةِ نَبيِّه ﷺ فَإِنَّ ذَلِكَ)** الّذي ذكرته لك **(أعْظَمُ لأَجْرِكَ وأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ)** في الدّارين إنْ شَاءَ اللّهُ.

◁ الشَرح

هذه وصّية منه عليه السلام الىٰ بعض عُمّاله علىٰ الصّدقات ويظهر منها من العَدل ما ستَعلَمه إنشاء اللّه.

▫ قوله عليه السلام: **إنْطَلِقْ علىٰ تَقْوَىٰ اللَّهِ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ...**

أوصاه بالتّقوىٰ الّتي هي أساس كلّ شيٍ ومعيار كلّ عَمَل مشعراً بأنّ العبد ينبغي أن يسعىٰ في أعماله وأقواله أن تكون علىٰ التّقوىٰ وأن يخلص عَمله لِللّه تعالىٰ قُربةً اليه فأنّ العَمل إذا لم يكن لِللّه تعالىٰ فلا قيمة له وفي قوله عليه السلام لا شريك له إشعار بذلك.

▫ **قوله عليه السلام: ولا تَرُوعَنَّ مُسْلِماً وَلا تَجْتازَنَّ عَلَيْهِ كارِهاً ولا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَمِنْ حَقِّ اللَّهَ فِي مَالِهِ...**

قلنا في شرح اللّغات أنّ قوله عليه السلام: **لا تَرُوعَنَّ** بضّم التّاء وكسر الواو من أَروَع يُروِع أولىٰ من راع يَرُوع وكيف كان فقد نهىٰ العامل علىٰ أخذ الصّدقات عن أُمور ثلاثة:

أحدها: عدم إفزاع المُسلم بأيّ نحوٍ كان وذلك لأنّه إيذاءٌ له وإيذاء المؤمن والمُسلم حرام إذا كان بغير حقٍّ علىٰ طريق الظّلم وأيّ إيذاءٍ أعظَم من إفزاعه وإخافته فقال ﷺ لا تَرُوعَنَّ مسلماً.

وثانيها: عدم الإجتياز والمرُور عليه في حال الكِراهة ولعلّ المراد بالإجتياز والوُرود والدّخول علىٰ صاحب البيت بغير إذنه ومن المعلوم أنّه غير مشرُوع لكونه من التّصرف في مال الغير.

وثالثها: أن لا يأخذ منه أكثر من حقّ اللّه الواجب عليه في ماله والوجه فيه أيضاً ظاهر وذلك لأنّ أخذ الزّيادة من أكل المال بالباطل وقد قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ﴾**

▫ **قوله ﷺ: فإذا قَدِمْتَ عَلىٰ الحيِّ فَانْزِلَ بمَائِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخالِطَ أَبْياتَهُمْ...**

ثمّ أَمَره ﷺ بكيْفية النّزول علىٰ القبيلة فقال إذا قَدِمْتَ عَلَىٰ الحيِّ فَانْزِلَ بمَائِهِمْ وَهُوَ كَنَايَة عن عدم النّزول في أبياتهم أوّلاً لإحتمال الإفزاع أو عدم الرّضا، منهم ولذلك قال ﷺ من غير أن تُخالط أبياتهم وأمّا إذا كان الخَليط فيها مدعَوةٍ منهم فلا إشكال فيه وهو ظاهر:

▫ **قوله ﷺ: ثُمَّ أَمْضِ إِلَيْهِمْ بالسَّكِينَةِ والْوَقارِ حَتّىٰ تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ وَلا تُخْدِجْ بالْتَّحِيَةِ لهُمْ...**

أي ثمّ إذهب الىٰ الحَي بالسّكينة والوقار والطّمأنينة لا بالتّكبّر والإفتخار كما هو شأن الظّالمين الواردين علىٰ الرّعية ثمّ أَمَره بالتّسليم عليهم والتّحية لهم إذ فيه غاية التّواضع والإنكسار مضافاً الىٰ أمر الشّارح بالتّسليم علىٰ الدّاخل ولو لم يكن في البيت أحد فضلاً عن غيره قال اللّه تعالىٰ: **﴿فَإذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِندِ اللّهِ﴾**(1)

و: **﴿وَلا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾**(2)

وعن كتاب المحاسن عن أمير المؤمنين ﷺ قال إذا بلغ أحدكم حجرته

١- النّور ـ ٦١

٢- النّور ـ ٢٧

فليُسّم يرجع قرينه الشّيطان وإذا دخل أحدكم بيته فليُسلّم تنزله البركة وتؤنسه الملائكة انتهىٰ « مشكاة الانوار ص ١٩٤»...

وعنه عن الباقر عليه السلام كان يقول أفشوا السّلام (سلام اللّه) فأنّ سلام اللّه لا ينال الظّالمين انتهىٰ...

وعنه قال – قال رسول اللّه إذا إلتقيتم فتلاقوا بالسّلام والتّصافح وإذا تفرقّتم فتفرّقوا بالإستغفار انتهىٰ...

وعنه عليه السلام قال إذا سلّم أحدكم فليجهر بسلامه لا يقول سلّمت فلم يردّوا علّي ولعلّه قد يكون قد سلّم ولم يسمعهم وإذا ردّ أحدكم فليجهَر بردّه لا يقول المُسلم سلّمت فلم يردّوا علّي ثمّ قال عليه السلام كان علّي يقول لا تغضبوا ولا تُغضبوا أفشوا السّلام وأطيبوا الكلام وصلّوا باللّيل والنّاس نيام تدخلوا الجنّة بسلام ثمّ تلىٰ عليه السلام قول اللّه ﴿السّلام المؤمن المُهيمن﴾ انتهىٰ...

وعن أمير المؤمنين قال عليه السلام السّلام سبعون حسنة تسع وتسعون للمُبتدئ وواحدة لِلرّاد انتهىٰ...

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال من التّواضع أن تُسلّم علىٰ من لقيت وقال البَخيل مَن بخل بالسّلام انتهىٰ...

وعنه عليه السلام قال يُسلّم الرّاكب علىٰ الماشي والماشي علىٰ القاعد وإذا لقيت جماعة سلّم الأقلّ علىٰ الأكثر وإذا لقىٰ واحد جماعة سلّم الواحد علىٰ الجماعة انتهىٰ« مشكاة الانوار ص ١٩٦ و ١٩٧»...

والأخبار في فضيلة السّلام كثيرة لا يخفىٰ علىٰ أحدٍ كيف وهو من شعائر الإسلام ومع ذلك يوجب تأليف القلوب وإيجاد المحبّة فيها وقد ثبت أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله كان يُسلّم علىٰ الصّغير والكبير وأمّا التّحِيَّةِ الّتي أشار عليه السلام اليها في كلامه وقال لا تُخدج بالتّحية أي لا تبخل بها فمعناها أن يضيف الىٰ سلامه شيئاً آخر يشعر بها مثل أن يقول سلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته وغير ذلك ويمكن أن يكون المراد بها نفس السّلام فأنّه تحيتّه وعليه فتكون الجّملة من العطف التّفسيري والأمر واضح:

▫ **قوله ﷺ: ثُمَّ تَقُولَ عِبَادَ اللَّهِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللَّهِ وخَلِيْفَتُهُ لآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ اللَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ...**

ثمّ تقول لهم بعد السّلام والتَّحِيَّةِ يا عِبَادَ اللّهِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللّهِ وخَلِيْفَتُهُ والمراد أمير المؤمنين نفسه وفيه تصريح بكونه ﷺ ولّي اللّه وخَليفته ولم يدّع هذا المقام أحد من الخُلفاء إلّا علّيّ ﷺ وقوله ﷺ: **لآخذ منكم**، اللّام لِلغاية أي أَرَسَلني وَلّي اللّه اليكم لأجل أخذ حقّ اللّه في أموالكم:

▫ **قوله ﷺ: فَهَلْ لِلَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إِلىٰ ولِيِّهِ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ لا فَلاَ تُراجعه...**

وفي هذا الكلام إشارة الىٰ أنّ أخذ الحقوق من النّاس لا يجوز أن يكون علىٰ سبيل الإكراه والتّفتيش في ماله بل قول صاحب المال حجّة فيه إذا لم يكن النّفي لإنكار أصل الحكم فأنّه يوجب الإرتّداد ثمّ القتل بعده .

▫ **قوله ﷺ: وإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ فانْطَلِقْ مَعَهُ منْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ وتُوعِدَهُ أَوْ تَعْسِفَهُ أَوْ تَرْهَقَهُ...**

أي أن قال لك في الجَواب نِعم فإذهب معه من غير أن تُخِيفَهُ وتُوعِدَهُ فأن الإخافة والإيعاد من الحاكم العادل قبيح وهكذا الشّدة عليه وتكّلفه بما يصعب عليه فأنّ هذه كلّها إيذاء لَه وهو حرام .

▫ **قوله ﷺ: فَخُذْ مَا أَعْطاكَ من ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ فإِنْ كانَ لَهُ ماشِيَةٌ أَوْ إِبلٌ فَلاَ تَدْخُلْها إِلَّا بِإِذْنِهِ فإِنَّ أَكْثَرَها لَهُ...**

أي فَخُذْ منه مَا أَعْطاكَ من ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ ولا تطلب منه أكثر ممّا يُعطيك فأن كان له ماشية من البَقَر والغَنَم والابل وقد بَلَغت حدّ النّصاب في تعلّق الزّكوة بها فلا تدخلها أي لا تدخل الماشية والابل إلّا بأذن صاحبها وذلك لأنّ أكثرها له وأقلّها حقّ اللّه والأقلّ تابع لِلأكثر وأمّا كيْفية إخراج الزّكوة عنها وشرائطها ونصابها فهي مذكورة في كتب الفِقه والرّسائل العمليّة:

▫ **قوله ﷺ: فإِذَا أَتَيْتَها فَلاَ تَدْخُلْ عَلَيْها دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ وَلا عَنِيْفٍ بِهِ...**

أي فإذا أَتيت الماشية أو الابل فَلاَ تَدْخُلْ عَلَيْها بالتّسلط والشّدة بل أدخل

عليها بالرّحمة والشّفقة.

▫ **قوله ﷺ: ولا تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَةً وَلا تُفْزِعَنَّها وَلا تَسُوءَنَّ صَاحِبَها فِيها...**

تُنَفِرنَّ، بضّم التّاء وفتح النّون وكسر الفاء مؤكّد بالنّون الثّقيلة فعل مضارع نَفِرّ من باب ضَرّف يُصَرِف ومَصدره التّنفير وضبطه بعضهم في نُسخهم بسكون النّون من أَنفَر يُنفِر نحو أكرم يُكرِم والأوّل أَصَح والمعنى لا تختارنّ ولا تَعزِلنّ بهيمة من البهائم وأمّا قوله ولا تُفزِعنّها، بضّم التّاء من أَفزَع يُفزِع أي لا تخافنّ البهائم ألبتّة، ولا تَسُوءنّ من ساءَ يَسوء أي لا تفعل شيئاً يسُوء صاحبها ويغيظه فيها أي في ماشيته وإبله.

▫ **قوله ﷺ: وأَصْدَعِ المَالَ صَدْعيْنَ ثُمَّ خَيِّرْهُ فَإِذَا اخْتارَ فَلاَ تَعَرَّضَنَّ لَمَا اخْتارَهُ ثُمَّ أَصْدَعِ الْبَاقِيَ صَدْعِيْنَ ثُمَّ خَيِّرْهُ فَإِذَا اخْتارَ فَلاَ تَعَرَّضَنَّ لَمَا اخْتارَهُ فَلاَتَزَالُ بَذَلِكَ حَتَّىٰ يَبْقَىٰ مَا فِيْهِ وَفَاءُ لِحَقِّ اللَّهِ في مَالهِ...**

بعد ما أَعَلمه ﷺ كيفية الدّخول علىٰ الحَيّ ونهاه عمّا ينافي العَدل أَعَلَمه كيفيّة أخذ الصّدقة فقال ﷺ: **وأصدع المال صدعَين** أي أقسمه كذلك ثمّ خيّره أي خيّر صاحب المال في إختياره أحد القسمين فإذا إختار صاحب المال أيّ قسم شاء فلا تُعرضنّ لما إختاره أي لا تَمنَعه من إختياره ثمّ قسّم المال ثانياً قسمين أي المال الّذي بقىٰ ولم يَختَره صاحب المال لَنفسه ثمّ خيّر صاحب المال في إختياره أيّ قسم شاء فإذا اخْتارَ قسماً لنفسه فلاَ تَعرّضَنّ لَمَا اخْتَارَهُ كالشّق الأوّل فَلاَ تَزَالُ بِذَلِكَ حَتّىٰ يَبْقَىٰ مَا فِيْهِ وَفَاءُ لِحَقِّ اللّهِ فِي مَالهِ وَهُوَ واضح لا يحتاج الىٰ مَزيد بيان وفيه مراعاة لكمال العَدل:

▫ **قوله ﷺ: فأَقْبِضْ حَقَّ اللَّهِ مِنهُ فَإِنْ اسْتَقالَكَ فَأَقِلْهُ ثُمَّ أَخْلِطْهُما ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوّلاً حَتَّىٰ تَأْخُذَ حَقَّ اللَّهَ فِي مَالِهِ وَلا تَأْخُذَنَّ عَوْداً وَلا هَرِمَةً وَلا مَكْسُورَةً ولاَمَهْلُوسَةً ذَاتَ عَوَارٍ...**

أي إذا قَسّمتَ المال علىٰ ما وصفناه لك فأقبض حقّ اللّه من صاحب المال فأن إستقالك أي طَلَبَ منك الإقالة فأقِله أي لا تخالفه ومعنىٰ الإقالة جَعَل المال

كما كان قبل القِسمة أي أن طلب صاحب المال منك القِسمة ثانياً فلا إشكال فيه ثمّ أخلطهما أي إخلط القسمين كما كان قبل القسمة ثمّ إصنع بالمال في كيفيّة تقسيمه مثل ما صنعت به أوّلاً على ما شرحناه حتّى تأخذ حقّ اللّه في ماله ولا تأخذنّ منه عَوداً والعَود بفتح العين المُسنّة من الإبل ولا هَرِمة بفتح الهاء وكسر الرّاء أسَنّ من العَود ولا مَهْلُوسَةً وَهِيَ الضّعيفة يقال هَلسَه المَرَض أَضعفه ولا ذات عَوار بفتح العين وقد تضم العَيب والحاصل أنّه لا تأخذ هذه المواشي للصّدقة:

▫ قوله ﷺ: وَلا تأمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ رَافِقاً بِمَالِ المُسْلِمينَ حَتَّىٰ يُوَصِّلَهُ إِلَىٰ وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ...

أي لا تجعل أميناً علىٰ الصّدقات إلّا من تَثِقُ وتطّمئِن بدينه فأن من لا تَثِق بدِينه لا يكون مؤتمناً وهو مع ذلك ينبغي أن يكون رافقاً وحافظاً بمال المَسلمين حتّىٰ يُوصّل المال الىٰ ولّيهم أي ولّي أمرهم فَيَقْسِمَهُ الولّي بين المُسْلِمينَ:

▫ قوله ﷺ: وَلا تُوَكِّلُ بهَا إِلَّا نَاصِحاً شَفِيقاً وَأمِيناً حَفِيظاً غيرَ مُعَنِّفٍ وَلا مُجْحِفٍ وَلا مُلْغِب وَلا مُتْعَبٍ...

تُوَكِّلِ بضم التّاء فعل النّهي من وكلّ يُوّكِل أي لا تُسَلِط بها بالصّدقات إلّا ناصحاً شفيقاً وأميناً حفيظاً لأموال المُسلمين غير مُعَنِفٍ وفي بعض النّسخ مُتَعنِفٍ بالتّاء من تَعَنّف وكيف كان فهو مأخوذ من العِنف وهو الشّدة والمُحجِف إسم فاعل من أَجحف به إذا تعدّىٰ عليه، والمُلغب إسم فاعل من الغَب يُلغَب يقال ألغَبه أي أعياه ويمكن أن يكون بصيغة إسم المفعول وعليه فهو بفتح العين ومعناه المُعَىٰ من التّعب فعلىٰ الأوّل المراد به من يجعل المواشي في التّعب وعلىٰ الثّاني هو نفسه متّصف به فالأوّل في حدّ الأفراط والثّاني في حدّ التّفريط .

وكلاهما مذمُومان وخير الأمور أوَسطها وقوله ﷺ ولا مُتعب الظّاهر أنّه

بصيغة الفاعل من اتّعَب يُتعب أي من يجعل المواشي في سَيرها في التّعب والمشّقة وحاصل الكلام لا تُسلط علىٰ الحيوانات من كان متّصفاً بالأوصاف المذكورة فأنّه يُوجب الإضرار بمال المُسلمين:

□ **قوله ﷺ: ثُمَّ أَحْدَر إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ نُصَيِّرْهُ حَيْثَ أَمَرَ اللَّهَ فإِذَا أَخَذَها أَمِينَكَ فَأَوْعِزْا إِلَيْهِ أَنْ لا يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وَبَيْنَ فَصِيلِها ولا يُمَصِّرَ لَبَنَها فَيضُرُّ ذَلِكَبِوَلَدِهَا ولا يَجْهَدَنَّهَا رِكُوباً...**

قوله ﷺ: **أَحْدَر** فعل أمرٍ من حَدر يحدر كَنَصر ينصر والأمر منه أُحدُر وقيل من باب ضرب يضرب والأمر منه أحدِر وقيل من باب مَنَع يَمنَع والأمر أحدِر فعلىٰ الأوّل بضّم الدّال وعلىٰ الثّاني بكسرها وعلىٰ الثّالث بَفتحها هذا إذا كان الفعل من الثلاثي المجّرد وأمّا إذا كان من المزيد فيه من باب الأكرام فالألف فيه مفتوحة نحو أكرم وقد ثبت أنّ الهَمزة إذا كانت للقطع فهي باقية لا تسقط بخلافها إذا كانت للوصل فَهي تسقط وعليه فأن كان الفعل من باب الأفعال لا تقطع لا محالة في التّلفظ بعدُ ثمّ فيُقال ثمّ أحدِر بثبوت الهمزة وأمّا علىٰ الشّقوق الثّلاثة أعني بها تجّرد الفعل فهي مقطوعة لا محالة وكيف كان فالمعنىٰ ثمّ أسرع **إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ** من الصّدقات نُصيّره أي نجعل المال حيث أمَر اللّه في تقسيمه فإذا أخذها أي الصّدقات أمينك فأوعِز اليه ومُره أن لا يحول ولا يفصل بين ناقةٍ وبين فصيلها وولدها الرّضيع ولا يُمصّر لبنها أي لا يُقّلل لبنها بالمبالغة في حَلبها حتّىٰ يقل في ضَرعها ولا يبقىٰ شيئ في ثديها وضَرعها يكفي لولدها فيضّر ذلك بولدها وأيضاً لا يجهدنّها ركُوباً أي في الرّكوب عليها فأنّ هذه الأمور كلّها من الإيذاء وهو ظلم قبيح:

□ **قوله ﷺ ولْيَعْدِلُ بَيْنَ صَوَاحِباتِها فِي ذَلِكَ وبيْنَها وَلِيُرَفَّه علىٰ اللاَّغِبِ ولْيَسْتأَنَّ بالنَّقبِ والظَّالِعِ...**

صواحبات جمع صاحبة وأصل الجمع صواحب وربما أُنثّ وقيل صواحبات والمقصود أنّه ينبغي له المُراعاة بين المذّكر والمؤنث في جميع

الموارد ولا سيّما في المَشي فأنّ المؤنث أضعف جسماً من المذّكر وقوله عليه السلام **وليُرّفه علىٰ اللاّغب** معناه وليُرح علىٰ ما أعياه التّعب وَلْيَستأنْ من الإناة أي وليرفق بالنَّقِب بفتح النّون وكسر القاف ما نقب خفّه أي تخرق وهكذا يرفق بالظّالع وهو الّذي هزل كشحه يقال ظلع البعير غمز في مَشيَته والمقصود من هذا الكلام مراعاة المواشي المتّصفة بهذه الأوصاف في مَشيَتها:

▫ قوله عليه السلام **ولْيُورِدْها ما تَمُرُّ به من اَلْغُدْرِ ولا يَعْدلْ بهَا عَنْ نَبْتِ الأَرْضِ إِلَىٰ جَوَادِّ الطُرقِ ولْيُرَوِّحْها فِي السَّاعَاتِ ولْيُمْهِلْها عِنْدَ النِّطَافِ وَالأَعْشَابِ...**

أي وينبغي أيضاً أن يُورد الماشية في مَشيتها ما غادَره السّيل وجمع فيه الماء لتَشرَب من الماء لا من المواضع والطُرقِ الّتي لا ماء فيها ولا كلاء وليّروح الماشية في السّاعات وليُعملها عند النِّطَافِ أي القليلة من الماء والحاصل أن يجعل لها مهلة لتشرب وتأكل من الكِلاء الرُّطب:

▫ قوله عليه السلام **حتّىٰ تَأتِينا بِإِذْنِ اللَّهِ بُدُناً مُنْقِيَاتٍ غَيْرَ مُتْعَباتٍ ولا مَجْهُودَاتٍ لِنَقْسِمَها عَلىٰ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ لأَجْرِكَ وأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ إِنْ شَاءِ اللَّهُ...**

أي لا تزال كذلك مُراعياً ما ذكرناه حَتّىٰ تَأتِينَا بِإِذنِ اللّهِ بُدُنا مُنقِيَاتٍ والبُدُن لضّمتين جمع بُدنة وهي السّمينة من الإبل وغيرها من المواشي والمنقيات جمع المنقي وهو ذات النّقي أي المُخ ومحّصِل الكلام حتّىٰ تَأتِيَنَا المواشي بدون عيب ونقصٍ لنقسمها علىٰ كتَابَ اللّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله بين المُستَحقين فأنّ ذلك الّذي ذكرته لك أعْظَمُ لأَجْرِكَ فِي الآخِرة وأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ عِنْدَ اللّه أنْ كنت مراعياًله إِن شاء اللّه تعالىٰ:

(٢٤) ومن كتاب له عليه السلام
الىٰ بعض عمّاله وقد بَعَثه علىٰ الصدقة

▫ قوله عليه السلام: آمُرُهُ بِتَقْوَىٰ اللَّهِ فِي سَرَائِرِ أَمْرِهِ وخَفِيَّاتِ عَمَلِه حيْثُ لا شَاهِدَ غيرُهُ ولاَ دَلِيلَ دُونَهُ وَآمُرُهُ أنْ لاِ يَعْمَلَ بشَيْءٍ منْ طَاعَةِ اللَّهِ فِيما ظَهَرَ فيُخالِفَ إِلىٰ غيرِهِ فِيما أَسَرءَ ومَنْ لَمْ يَختَلِفْ سِرُّه وعَلاَنِيَتُهُ وفعْلهُ ومَقَالَتُهُ فَقَدْ أدَّىٰ الأَمَانَةَ وأخْلَصَ الْعِبادَةَ وآمُرُهُ أنْ لا يَجْبَهَهُمْ وَلاَ يَعْضَهْهُمْ ولاَ يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضّلاً بالإِمارَةِ عَليْهِمْ فَأنَّهُمْ الإِخْوَانُ فِي الدِّينَ وَالأَعْوَانَ علىٰ اسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ وَإِنَّ لَكَ فِي هَذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً وَحَقّاً مَعْلُوماً وَشُرُكاءِ أهْلَ مَسْكَنَةٍ وضُعَفاءَ ذَوي فاقَةٍ وإِنَّا مُوَفُّوكَ حَقَّكَ فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ وإِلّا فإِنَّكَ منْ أكْثَرِالنَّاسِ خُصُوماً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبُؤساً لِمَن خَصْمُهُ عِنْدَ اللَّهِ الْفُقَرَاءِ والْمَسَاكِينُ وَالسَّائِلُونَ وَالمَدْفُوعُون وَالْغارِمُ وابْنُ السَّبِيلِ ومَنِ اسْتَهانَ فِي الأَمَانَةِ ورَتَعَ فِي الْخَيَانَةِ ولمْ يُنَزِّهُ نَفْسَهُ وَدِينَهُ عَنْهَا فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ فِي الدُّنْيا الْخُزَي وَهُوَ فِي الآخِرَةِ أضَلُّ وأخْزَىٰ وَإِنَّ أَعْظَمَ الْخِيَانَةِ خِيَانَةُ الأُمَّةِ وأفْظَعَ الْغِشِّ غِشُّ الأَئِمَّةِ والسَّلاَم.

◁ **اللغة**

(لا يَجْبَهَهُمْ) جَبَهه كَمَنعه جَبهته أي لا يَضرب جباههم (ولا يَعْضَهْهُمْ عَضهه عَضهاً أي رماه بالبهتان فالأوّل من جَبهه يَجبهه والثّاني من عَضه يَعضه (فاقَةً) الفاقة الإحتياج (بُؤُساً) أي بُعداً وسَحقاً (أفْظَعَ) أشنَع.

◁ **المعنىٰ**

(آمُرُهُ) أي آمر العامل (بِتَقْوَىٰ اللّٰهِ فِي سَرَائِرِ أَمْرِهِ وخَفِيَّاتِ عَمَلِهِ) الّتي لا يعلمها إلّا هو (حَيْثُ لا شَاهِدَ غيرُهُ) غير اللّٰه (وَلا دَلِيلَ دُونَهُ) وغيره (وآمُرُهُ) أيضاً (أَنْ لا يَعْمَلَ بشَيٍّ منْ طَاعَةِ اللّٰهِ) فِيمَا يجب عليه أوْ يُحرم (فِيمَا ظَهَرَ) له (فيُخالِفَ إلىٰ غَيرِهِ) أيّ غير ما ظَهَرَ له (فِيما أَسَرَّ) وأخفىٰ (ومَنْ لمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وَعَلاَنِيَتُهُ وفِعْلهُ ومقَالَتُهُ).

وقوله (فَقَدْ أَدَّىٰ الأَمَانَةَ) وهي الدّين (وأَخْلَصَ الْعِبادَةَ) لِلّٰه تعالىٰ (وآمُرُهُ أنْ لا يَجْبَهَهُمْ) أي لا يَزجرهم (وَلا يَعْضَهَهُمْ) أي لا يرميهم بالبهتان والكذب (ولا يَرْغَبَ) ولا يعرض (عَنْهُمْ تَفَضُّلاً بالإِمارَةِ عَلَيْهِمْ) فَيظّن أنّ الفضل ثابت له بسبب إمارته عليهم (فإِنَّهُمُ الإِخْوَانُ فِي الدِّينِ والأَعْوَانُ علىٰ اسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ) والإمارة لا تُوجب الفضيلة (وإِنَّ لَكَ فِي هَذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً) معيّناً في الشّريعة المُطّهرة (وَحَقّاًمَعْلُوماً) لا خفاء فيه (وشُرَكاءِ أَهْلَ مَسْكَنَةٍ وضُعَفاءَ ذَوِي فاقَةٍ) أي أنّ لك شركاء فيها من المساكين والضّعفاء المُحتاجين ولَيْسَ المال لك وحدة (وإِنَّا مُوَفُّوكَ) ومُؤَدُوك اليك (حَقَّكَ فَوَفِّهِمْ) أنتَ أيضاً (حُقُوقَهُمْ وإِلَّا) تكن كذلك (فإِنَّكَ منْ أَكْثَرِ النَّاسِ خُصُوماً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) وَذَلِكَ لأَنّ الـمسَاكِينَ كثيرة (وبُؤْساً) وبُعداً (لِمَنْ خَصْمُهُ عِنْدَ اللّٰهِ) غداً (الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِيْنُ والسَّائِلُونَ والْمَدْفُوعُونَ وَالْغارِمُ وابْنُ السَّبِيلِ) المُستَحقون للصّدقات (ومَنْ اسْتَهانَ فِي الأَمَانَةِ) وضيّعها (ووَقَعَ فِي الْخِيَانَةِ) في أموال النّاس (ولمْ يُنَزِّهْ نَفْسَهُ وَدِينَهُ عَنْها) عن الخيانة (فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ فِي الدُّنْيا الخُزَي) والذّل (وَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَضَلُّ وأَخْزَىٰ) منْ الدُّنيا (وإِنَّ أَعْظَمَ الْخِيَانَةُ خِيَانَةُ الأُمَّةِ) في تضّييع حقوقهم (وأَفْظَعَ الْغِشَّ) وأشنَعه (غِشُّ الأَئِمَّةِ)والخيانة

بهم:

◁ **الشَرح**

▫ **قوله ﷺ: آمُرُهُ بِتَقْوَىٰ اللَّهِ فِي سَرَائِرِ أمْرِهِ وَخَفِيَّاتِ عَمَلِهِ حَيْثُ لا شَاهِدَ غيرُهُ ولا دَلِيلَ دُونَهُ...**

أمّا أَمْرُهُ ﷺ بِتَقْوَىٰ اللّهِ فلأنّها خير الزّاد وقد مَرّ الكلام فيها غير مرّةٍ وتَخصيصُه بالسّرائر والخَفِيّاتِ لأنّ المُرائي قد يتظاهر بها في أعماله وأقواله والمنافق أيضاً كذلك وهو ليس بمطلوب بل المطلوب الإتّصاف بها واقعاً بأن تكون من المَلَكات الرّاسخة في النّفس لتقيها عن الإنحراف في السِّر والعَلَن وذلك لأنّ اللّه تعالىٰ عالم السِّر والخَفِيّاتِ:

▫ **قوله ﷺ: وآمُرُهُ أنْ لا يَعْمَلَ بشَيْءٍ منْ طَاعَةِ اللَّهِ فِيما ظَهَرَ فيُخالِفُ إلَىٰ غَيْرِهِ فِيْمَا أَسَرَّ...**

أي وآمرُه أيضاً أن يَكون عَمَلهِ في الظّاهر والباطن واحداً لا أنّه يعمل في الظّاهر بخلاف ما يَعمل في الباطن فأنّه من علائم النّفاق والفرق بين الأمرين واضح وذلك لأنّه في الأوّل مأمور بالتّقوىٰ وفي الثّاني بعدم النّفاق وأن شئت قلت **أمر الأوّل** ناظر الىٰ الأعمال الخفيّة الّتي لا يطّلع عليها إلّا اللّه.

والثّاني ناظر الىٰ الظّاهر والباطن وإنطباق أحدهما علىٰ الآخر فهو أعمّ من الأوّل أن قُلت، أن كان الثّاني أعمّ من الأوّل فينبغي الإكتفاء بالثّاني وعدم ذكر الأوّل:

قلت ـ لا ملازمة بين الأمرين حتّىٰ يُغني ذِكر أَحَدهما عن الآخر وذلك لأنه ﷺ أَمَره في الأوّل بالتّقوىٰ وأن يكون العَمَل لِلّه تعالىٰ وفي الثّاني بكون العَمَل في الظّاهر والباطن علىٰ حدٍّ سواء لا يُخالف أحدهما الآخر سواء كان مُنبعثاً عن التّقوىٰ أم لم يكن فكأنّه قال ﷺ له في الأوّل إتّق اللّه في عملك وفي الثّاني قال لا تعمل ظاهراً بغير ما تعمله باطناً:

▫ **قوله ﷺ: وَمَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وَعَلاَنِيَتُهُ وفِعْلُهُ ومقَالَتُهُ فَقَدْ أَدَّىٰ الأَمَانَةَ وأَخْلَصَ الْعِبادَةَ...**

الأَمَانَة في المقام عبارة عن الوظيفة الّتي أَثبتها اللّه تعالىٰ للمُكلّف في الشّريعة وقد يُعبّر عنها بوظيفة العبُودّية والمعنىٰ أنّ المُكلّف إذا كان عَمَله في السّر والعَلَن واحداً وفعله لا يُغاير قوله فَقَدْ أدّىٰ الأَمَانَة الىٰ صاحبها وهو اللّه تعالىٰ وأَخلَص العبادة له إذ لا نعني بخلوصها إلّا كونها لِللّه تعالىٰ ظاهراً وباطناً ومن ليس كذلك فهو خائن في الأمانة غير مُخلصٍ للعبادة.

□ **قوله ؏: وآمُرُهُ أَنْ لا يَجْبَهَهُمْ وَلا يَعْضَهَهُمْ وَلا يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلاً بِالإِمارَةِ عَلَيْهِمْ...**

هذا أمر الثّالث أَمَره ؏ فيه أن لا يَفعل في عَمَله ثلاث أُمور:

أحدها: أن لا يَجبَهَهم، بالجيم من جَبَه يَجبَه يقال جَبَهه كَمَنعه ضَرَب جَبهَته أي أمره أن لا يضرب جباههم وهو كناية عن رَدعهم ومنعهم وطَردهم وعدم الإعتناء بهم.

وثانيها: أن لا يَعْضَهَهُم من عضّه فلاناً كفرح بَهته أي لا يرميهم بالبهتان أو لا يُكذّبهم.

وثالثها: أن لا يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلاً بالإِمارَةِ عَلَيْهِمْ كما هو شأن أكثر الحكّام في مقام الحكومة علىٰ النّاس فأنّهم يرون مقامهم أعلىٰ من غيرهم ويَنسُون ما كانوا فيه قبل الحكومة وأمّا الأسلام فأمحىٰ هذه الرّؤية في حكُومته وأَبطَلها بالكلّية وجعل ملاك الفَضيلة علىٰ التّقوىٰ قال اللّه تعالىٰ: **﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾** [1] ولأجل ذلك قال ؏ آمِراً أيّاه أن لا يرغب ولا يعرض عن النّاس تَفَضُّلاً وفَخراً عليهم بسبب الإمارة بأن يقول أنا أميرٌ عليه وهو مأمُور لي وكلّ أميرٍ فهو أَفضل من مأمُوره فأنا أفضل من منه فأنّ كلّية الكرىٰ ممنوعة مطرودة كما قال ؏:

□ **قوله ؏: فإِنَّهُمُ الأَخْوَانُ فِي الدِّينِ والأَعْوَانُ عَلىٰ اسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ...**

عَلّل ؏ ماذكره من عدم الإعراض والتّفضل عليهم بأمرين:

١- الحُجرات ـ١٦٥

أحـــدهما: أنّهم الأَخْوَانُ فِي الدِّينِ وَذَلِكَ لقـوله تـعالى: **﴿إِنَّـمَا الـمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾**(١)

و: **﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوٰنُكُمْ فِي الدِّينِ﴾**(٢)

و: **﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ﴾**(٣) وإذا ثبت هذا المعنىٰ فلا محال للتّفضل والتّفاخر هذا **أولاً:**

وثانيهما: كونهم أعواناً علىٰ إستخراج الحقوق إمّا بتأديتهم الحقُوق أو بنصرتهم الآخذين لها وكيف كان فأنّهم مُعاونون علىٰ فعل الخَيرات ومن كان كذلك لا ينبغي كَسره وتَحقيره.

□ **قوله ﷺ: وإِنَّ لَكَ فِي هَذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً وَحقّاً مَعْلُوماً وَشُرَكاءِ أَهْلَ مَسْكَنَةٍ وضُعَفاءَ ذَوِي فاقَةٍ وإِنَّا مُوَفُّوكَ حَقَّكَ فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ...**

أفاد ﷺ في المقام أمرين:

أحدهما: أنّ العامل علىٰ الصّدقات له حقّ معلوم ونَصيب في الشّرع.

وثانيهما: أنّ له شركاء فيها من الفُقراء والضُّعَفاء المُحتاجين وكلاهما مِمّا لا خلاف فيه بنّص القرآن.

قال اللّه تعالىٰ: **﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَآءِ وَالْمَسَاكِينَ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وفِي الرِّقَابِ وَالغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وابْنَ السَّبِيلِفَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾**(٤) دلّت الآية علىٰ كون الصّدقات لهؤلاء الأصناف الثّمانية وعدّ منها العاملين عليها يعلم بذلك أنّ للعاملين في الصّدقات حقّ معلوم ونصيبٌ مفروض في الشّريعة وهو المطلوب وهذا ممّا لا خلاف فيه لدىٰ المُسلمين من العامّة والخاصّة وأمّا كمّية الحقّ ومقداره فهي بنظر الحاكم في جميع الأقسام فقوله ﷺ: **إِنَّ لَكَ فِي هَذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً وَحقّاً مَعْلُوماً** معناه أنّه مفروض في الشّرع ومعلوم فيه بنظر الحاكم ومن المعلوم أنّه يختلف

١- الحجرات ـ ١٠
٢- الاحزاب ـ ٥
٣- البقرة ـ ٢٢٠
٤- التوبة ـ ٦٠

باختلاف الموارد والأشخاص والأزمنة والأمكنة نعم هذا الحكم أعني إخراج الحقّ من الصّدقة للعامل عليها يُقيّد بكون العامل غير هاشمي وأمّا إذا كان العامل من بني عبد المُطّلب فهو ليس شريكاً لهؤلاء الأصناف ولا يُؤدّىٰ اليه من الصّدقات بل يُؤدّىٰ اليه من بيت المال والحاصل أنّ العامل أن كان من غير الهاشّميين فَحقّه ونَصيبه مفروض معلوم في أصل الصّدقات كغيره من الأصناف وأمّا أن كان منهم فمن بيت المال وكيف كان فالعامل السّاعي لها حقّه معلوم مفروض فكلام أمير المؤمنين أنّ لك في أهل الصّدقة الخ مشعرٌ بأنّ العامل المُخاطب بهذا الكلام لم يكن من الهاشّميين وتفصيل الكلام فيه في الكُتب الفّقهية والأشهر بين فقهاء المَذهب ما ذكرناه وقيل حقّه في الصّدقات بمُقتضىٰ الآية ولو كان هاشّمياً إلّا أنّه لا يُحتَسب من الزّكٰوة وكيف كان فأصل الحقّ ممّا لم يَنكره أَحد وليس من شرائط العامل أن يكون فقيراً بل يأخذ بحقّه ولو كان غنّياً وذلك لأنّه حقّ العَمَل لا حقّ الفقر والمَسكَنة وهو أيضاً ممّا لا خلاف فيه عندهم ولأجل ذلك قال عليه السلام: **مُوّفوّك حقّك فَوَّفِهم** أي وفِّ النّاس حقُوقهم فأنّ تَضييع حقّ الغير ظلمٌ عليه وهو حرام كتاباً وسُنةً وإجماعاً وعقلاً.

□ قوله عليه السلام: وإلّا **فإنَّكَ منْ أكْثَرِ النَّاسِ خُصُوماً يَوْمَ الْقِيامَةِ وَبُؤساً لَمَنْ خَصْمُهُ عِنْدَ اللَّهِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينَ والسَّائِلُونَ والمَدْفُوعُونَ والغارِمُ وابْنُ السَّبِيْلِ...**

أي أن لم تُؤدّ اليهم حُقُوقَهمْ فإنّك منْ أكْثَرِ النَّاسِ خُصُوماً يَوْمَ الْقِيَامَةِ لكثرة المُستّحقين للصّدقات وبُؤساً وبُعداً من رحمة اللّه لمن خَصْمُهُ عِنْدَه غداً **الفقراء والمَسَاكِينَ وَالسَّائِلُونَ** الىٰ آخرهم وأنّما قال عليه السلام: **بؤساً** لهم لأنّ تضييع حقّ الفقير والمسكين والغارِمُ وأمثالهم أقبح وأشنع من تضييع حقّ الغني مثلاً وأن كان هو أيضاً مذمُوماً.

□ قوله عليه السلام: **ومَنِ اسْتَهانَ فِي الأَمَانَةِ وَوَقَعَ فِي الْخِيانَةِ وَلَمْ يُنَزِّهْ نَفْسَهُ ودِيْنَهُ عَنْها فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ فِي الدُّنيا الْخُزَي وَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَضَلُّ وأَخْزَىٰ...**

المراد بالأمانة في المقام الصّدقات فأنّها أمانة من اللّه أو من المُستَحقين

عند العامل والمراد بالإستهانة عدم المواظبة والمُراعاة في حفظها حتّىٰ يُوجب ذلك تضييعها وأحياناً إتلافها وقوله ﷺ: وَقَعَ فِي الْخِيَانَةِ وفي بعض النّسخ رَتَع في الخيانة معناه أنّ الإستهانة في الأمانة وأن كانت ذَنباً إلّا أنّ الوقوع في الخيانة أعظم منها وهو يقع بعدها والوقوع فيها معناه التّصرف في مال الغير ظلماً وعدواناً وعدم تأدّية حقّ الغير من هذا القبيل وكيف كان فمن كان كذلك ولم يُنّزه نَفْسَهُ ودِينَهُ عنْ الْخِيَانَةِ فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ فِي الدُّنْيَا الخُزْيَ والحقارة مع أنّه في الآخرة أضلّ وأخزىٰ.

▫ قوله ﷺ: وأنّ أعظم الخيانة خيانة الأُمّة وأَفظَع الغِشّ غِشّ الأئمّة...

الْغِشّ بكسر الغين وسكون الشّين المُشددة إسم من الْـغِشّ بـفتح الغـين كذلك وهو الخِيَانَةِ، وقيل الكَدر في كلّ شيءٍ يُقال غَشّه غَشاً اذا أَظهر له خلاف ما أَضمره وزّين له غير المَصلَحة، وأنّما عدّ ﷺ: خيانة الأُمّة أعظم الخيانات وغِشّ الأئمّة أَفظع الغِشّ لأنّ الخيانة والغِشّ فيهما ترجعان الىٰ الخِيَانَةِ والْغِشّ في الدّين ومن المعلوم أنّ الخِيَانَةِ في الدّين أعظم منها في غيره وهكذا الغِشّ بالنّسبة الىٰ الأئمّة ويمكن أن يكون وجه الفظاعة والعَظمة بإعتبار كثرة الأفراد فأنّ خيانة الأُمّة أعظم من خيانة شخصٍ واحد وهكذا غِشّ الأمام أَفظَع مـن غِشّ غيره لأنّه أيضاً يَرجع الى غِشّ جَميع الأفراد من المُسلمين وأنت خبير بأنّ هذا الحكم وأن كان مورده خاصّاً وهو العامل علىٰ الصّدقات إلّا أنّه يشمل غير العاملين علىٰ الصّدقات أيضاً من الحُكّام والضّابطين لأموال المسـلمين المُتّصدين لجمعها وخرجـها فـي مـا هـو بـصلاح الأسـلام وأهـله كـالطّرق والشّوارع والحقُوق ودفع الأعداء وغيرها من الأمور العامّة.

الفهرست

ومن خطبةٍ له عليه السلام (٢١٠) ٥
قوله عليه السلام: وَكَانَ مِن اقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ وَبَدِيعِ الى لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ متن ... ٥
اللّغة ٥
المعنىٰ ٦
الشّرح ٧
قوله عليه السلام: وَكَانَ مِن اقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ وَبَدِيعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ اَنْ جَعَلَ مِنْ... ٧
قوله عليه السلام: ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ اَطْبَاقاً فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْدَ و........ ١٤
قوله عليه السلام: وَاَرْسَىٰ اَرْضاً يَحْمِلُهَا الْأَخْضَرُ الْمُثْعَنْجِرُ و........ ١٥
قوله عليه السلام: قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ وَاَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِوَوَقَفَ الْجَارِي مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ ١٧
قوله عليه السلام: وَجَبَلَ جَلاَمِيدَهَا وَنُشُوزَ مُتُونِهَا وَاَطْوَادِهَا فَاَرْسَاهَا و..... ١٧
قوله عليه السلام: فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِي الْهَوَاءِ وَرَسَتْ اُصُولُهَا فِي الْمَاءِ و...... ١٧
قوله عليه السلام: وَجَعَلَهَا لِلْاَرْضِ عِمَاداً وَاَرَّزَهَا فِيهَا اَوْتَاداً فَسَكَنَتْ و..... ١٨
قوله عليه السلام: فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا وَاَجْمَدَهَا و....... ١٨
قوله عليه السلام: فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَاداً وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشاً فَوْقَ بَحْرٍ و...... ١٩
ومن خطبةٍ له عليه السلام (٢١١) ٢١
قوله عليه السلام: اللَّهُمَّ اَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ الى وَالآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِمتن ... ٢١
اللّغة ٢١
المعنىٰ ٢١
الشّرح ٢٢
قوله عليه السلام: اللَّهُمَّ اَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا العَادِلَةَ غَيْرَ و...... ٢٢

قوله عليه السلام: فَاَبىٰ بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا اِلَّا النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ وَالْأِبْطَاءَ و...... ٢٢
قوله عليه السلام: فَاِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ بِأَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ شهَادَةً وَنَسْتَشْهِدُ و...... ٢٢
قوله عليه السلام: ثُمَّ اَنْتَ بَعْدُ الْمُغْنِى عَنْ نَصْرِهِ وَالْاٰخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ........ ٢٣
ومن خطبة له عليه السلام (٢١٢) ٢٥
قوله عليه السلام: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الْعَلِيِّ عَنْ شَبَهِ الْمَخْلُوقِينَ **الى** يَمينٍ وَشِمَالٍ **متن** .. ٢٥
اللّغة........ ٢٥
المعنىٰ........ ٢٥
الشّرح........ ٢٦
قوله عليه السلام اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الْعَلِيِّ عَنْ شَبَهِ الْمَخْلُوقِينَ الْغَالِبِ و........ ٢٦
قوله عليه السلام: الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاظِرِينَ وَالْبَاطِنِ بِجَلاَلِ و...... ٢٩
قوله عليه السلام: اَلْعَالِمِ بِلاَ اكْتِسَابٍ وَلاَ اِزْدِيَادٍ وَلاَ عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ........ ٣٣
قوله عليه السلام: اَلْمُقَدِّرِ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ بِلاَ رَوِيَّةٍ وَلاَ ضَمِيرِ الَّذِي لاَ و........ ٣٥
قوله عليه السلام: مِنْهَا فِى ذِكْرِ النَّبِيِّ ٩ اَرسَلَهُ بِالضِّيَاءِ وَقَدَّمَهُ و........ ٣٧
ومن خطبة له عليه السلام (٢١٣)........ ٣٩
قوله عليه السلام: وَاشْهَدُ اَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ وَحَكَمٌ **الى** وَهُدىٰ نَهجَ السَّبِيلِ **متن** ... ٣٩
اللّغة........ ٤٠
المعنىٰ........ ٤٠
الشّرح........ ٤١
قوله عليه السلام: وَاشْهَدُ اَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ وَحَكَمٌ فَصَلَ وَاشْهَدُ اَنَّ مُحَمَّداً و...... ٤١
قوله عليه السلام: اَلَا وَاِنَّ اللّٰهَ قَدْ جَعَلَ لِلْخَيْرِ اَهْلاً وَلِلْحَقِّ دَعَائِمَ و........ ٤٤
قوله عليه السلام: وَاعْلَمُوا اِنَّ عِبَادَ اللّٰهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ يَصُونُونَ و........ ٤٥
قوله عليه السلام: وَيَتَلاَقَوْنَ بِالْمَحَبَّةِ وَيَتَسَاقَوْنَ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ........ ٤٥
قوله عليه السلام: وَيَصْدُرُونَ بِرِيَّةٍ لاَ تَشُوبُهُمُ الرِّيبَةُ وَلاَ تُسْرِعُ فِيهِمْ و........ ٤٥
قوله عليه السلام: فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ وَبِهِ يَتَوَاصَلُونَ فَكَانُوا كَتَفَاضُلِ الْبَذْرِ و........ ٤٦

قوله ﷺ: قَدْ مَيَّزَهُ التَّخْلِيصَ وَهَذَّبَهُ التَّمْحِيصَ فَلْيَقْبَلِ امْرُؤٌ و........ ۴۶
قوله ﷺ: وَلْيَنْظُرْ امْرُؤٌ فِي قَصِيرِ اَيَّامِهِ وَقَلِيلِ مُقَامِهِ فِي مَنْزِلٍ و........ ۴۷
قوله ﷺ: فَطُوبَىٰ لِذِي قَلْبٍ سَلِيمِ اَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ وَتَجَنَّبَ مَنْ و...... ۴۷
قوله ﷺ: بِبَصَرِ مَنْ بَصَّرَهُ وَطَاعَةِ هَادٍ اَمَرَهُ وَبَادَرَ الْهُدَىٰ قَبْلَ و........ ۴۷
قوله ﷺ: وَاسْتَفْتَحَ التَّوْبَةَ وَاَمَاطَ الْحَوْبَةَ فَقَدْ اُقِيمَ عَلَىٰ الطَّرِيقَ و...... ۴۸
ومن دعاءٍ له ﷺ (۲۱۴)... ۵۳
قوله ﷺ: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَمْ يُصْبِحْ بِي مَيِّتاً الى جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ **متن** ... ۵۳
اللّغة... ۵۳
المعنىٰ.. ۵۴
الشّرح.. ۵۴
قوله ﷺ: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَمْ يُصْبِحْ بِي مَيِّتاً وَلاَ سَقِيماً وَلاَ و........ ۵۴
قوله ﷺ: وَلاَ مَاخُوذاً بِأَسْوَا عَمَلِي وَلاَ مَقْطُوعاً دَابِرِي وَلاَ مُرْتَدّاً و..... ۵۵
قوله ﷺ: اَصْبَحْتُ عَبْداً مَمْلُوكاً ظَالِماً لِنَفْسِي لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ و..... ۵۶
قوله ﷺ: اللَّهُمَّ اِنِّي اَعُوذُ بِكَ اَنِ افْتَقِرَ فِي غِنَاكَ اَوْ اَضِلَّ فِي و...... ۵۸
قوله ﷺ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِي اَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِي و........ ۵۹
قوله ﷺ: اللَّهُمَّ اِنَّا نَعُوذُ بِكَ اَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ اَوْ نُفْتَتَنَ و........ ۶۰
ومن خطبةٍ له ﷺ (۲۱۵) ۶۱
قوله ﷺ: اَمَّا بَعْدُ فَقَدْ جَعَلَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ الى ذٰلِكَ اَوْ يُعَانُ عَلَيْهِ **متن**... ۶۲
اللّغة... ۶۲
المعنىٰ.. ۶۲
الشّرح.. ۶۴
قوله ﷺ: اَمَّا بَعْدُ فَقَدْ جَعَلَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً بِوِلاَيَةِ و........ ۶۴
قوله ﷺ: فَالْحَقُّ اَوْسَعُ الأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ وَاَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ... ۶۴
قوله ﷺ: لاَ يَجْرِي لِأَحَدٍ اِلَّا جَرَىٰ عَلَيْهِ وَلاَ يَجْرِي عَلَيْهِ و...... ...... ۶۵

قوله عليه السلام: وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ اَنْ يَجْرِىَ لَهُ وَلاَ يَجْرِىَ عَلَيْهِ لَكَانَ و..... ۶۵
قوله عليه السلام: لِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ وَلِعَدْلِهِ فِى كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ و...... ۶۵
قوله عليه السلام: وَلٰكِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ اَنْ يُطِيعُوهُ و..... ۶۶
قوله عليه السلام: ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً افْتَرَضَهَا لِبَعْضٍ و...... ۶۹
قوله عليه السلام: فَجَعَلَهَا تَتَكَافَا فِى وُجُوهِهَا وَيُوجِبُ بَعْضاً بَعْضاً وَلاَ و...... ۶۹
قوله عليه السلام: فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأُلْفَتِهِمْ وَعِزّاً لِدِينِهِمْ فَلَيْسَتْ و...... ۷۰
قوله عليه السلام: فَإِذَا اَدَّتِ الرَّعِيَّةُ اِلَى الْوَالِى حَقَّهُ وَاَدَّىٰ الْوَالِى اِلَيْهَا و...... ۷۲
قوله عليه السلام: فَصَلَحَ بِذٰلِكَ الزَّمَانُ وَطُمِعَ فِى بَقَاءِ الدَّوْلَةِ وَيَئِسَتْ و...... ۷۲
قوله عليه السلام: وَاِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيهَا وَاَجْحَفَ الْوَالِى بِرَعِيَّتِهِ و...... ۷۳
قوله عليه السلام: فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الْأَبْرَارُ وَتَعِزُّ الْأَشْرَارُ وَتُعْظَمُ تَبِعَاتُ و...... ۷۵
قوله عليه السلام: فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِى ذٰلِكَ وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ ۷۶
قوله عليه السلام: عَلَيْهِ فَلَيْسَ أَحَدٌ وَاَنْ اشْتَدَّ عَلَىٰ رِضَاءِ اللّٰهِ حِرْصُهُ و...... ۷۶
قوله عليه السلام: وَلٰكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللّٰهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ النَّصِيحَةُ و...... ۷۶
قوله عليه السلام: وَلَيْسَ امْرُؤٌ وَاِنْ عَظُمَتْ فِى الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ وَتَقَدَّمَتْ و...... ۷۷
الفصل الثّانى **۷۸**
قوله عليه السلام: اِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلاَلُ اللّٰهِ**الى** الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَىٰ**متن** ۷۸
اللّغة ۷۸
المعنىٰ ۷۹
الشّرح ۸۰
قوله عليه السلام: اِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلاَلُ اللّٰهِ فِى نَفْسِهِ وَجَلَّ و...... ۸۰
قوله عليه السلام: وَاِنَّ اَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذٰلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللّٰهِ و...... ۸۱
قوله عليه السلام: فَاِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ اللّٰهِ عَلَىٰ اَحَدٍ اِلَّا ازْدَادَ حَقُّ اللّٰهِ عَلَيْهِ ۸۲
قوله عليه السلام: عِظَماً وَاِنَّ مِنْ اَسْخَفِ حَالاَتِ الْوُلاَةِ عِنْدَ صَالِحِ و...... ۸۲
قوله عليه السلام: وَقَدْ كَرِهْتُ اَنْ يَكُونَ جَالَ فِى ظَنِّكُمْ اِنِّى اُحِبُّ و...... ۸۳

قوله عليه السلام: وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ اَنْ يُقَالَ ذٰلِكَ لِتَرَكْتُهُ إِنْحِطَاطاً لِلّٰهِ و........ ٨٣
قوله عليه السلام: وَرُبَّمَا اِسْتَحْلَىٰ النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلاَءِ فَلاَ تُثْنُوا عَلَيَّ و..... . ٨۴
قوله عليه السلام: فَلاَ تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ وَلاَ تَتَحَفَّظُوا مِنِّي و....... ٨۵
قوله عليه السلام: فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ اَنْ يُقَالَ لَهُ اَوِ الْعَدْلَ اَنْ يُعْرَضَ و...... ٨۶
قوله عليه السلام: فَلاَ تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ اَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ ٨۶
قوله عليه السلام: فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ اَنْ اُخْطِئَ وَلاَ آمَنُ مِنْ و..... .... ٨٧
قوله عليه السلام: فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لاَ رَبَّ غَيْرُهُ و....... ٨٩
قوله عليه السلام: فَاَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلاَلَةِ بِالْهُدَىٰ وَاَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَىٰ.... ٨٩
ومن كلامٍ له عليه السلام (٢١۶) ٩١
قوله عليه السلام: اللّٰهُمَّ إِنِّي اَسْتَعْدِيكَ عَلَىٰ قُرَيْشٍ **الى** لَقُوا اللّٰهَ صَادِقِينَ متن . ٩١
اللّغة ٩١
المعنىٰ ٩٢
الشّرح.. ٩٣
قوله عليه السلام: اللّٰهُمَّ إِنِّي اَسْتَعْدِيكَ عَلَىٰ قُرَيْشٍ وَمِنْ اَعَانَهُمْ و...... ...... ٩٣
قوله عليه السلام: وَقَالُوا اَلاَ إِنَّ فِي الْحَقِّ اَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ اَنْ تُمْنَعَهُ و...... ٩۴
قوله عليه السلام: فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ وَلاَ ذَابٌّ وَلاَ مُسَاعِدٌ اِلاَّ و....... ٩۶
قوله عليه السلام: فَاَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَىٰ وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا و........ ٩٧
قوله عليه السلام: فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْراً وَطَائِفَةً عَضُّوا عَلَىٰ اَسْيَافِهِمْ و....... ٩٩
ومن كلام له عليه السلام (٢١٧) ١٠٣
قوله عليه السلام: لَقَدْ اَصْبَحَ اَبُو مُحَمَّدٍ بِهٰذَا الْمَكَانِ **الى** اَهْلَهُ فَوَقَصُوا دُونَهُ متن ١٠٣
اللّغة.. ١٠٣
المعنىٰ ١٠٣
الشّرح ١٠۴
قوله عليه السلام: لَقَدْ اَصْبَحَ اَبُو مُحَمَّدٍ بِهٰذَا الْمَكَانِ غَرِيباً.................. ١٠۴

قوله عليه السلام: اَمَا وَاللّٰهِ لَقَدْ كُنْتُ اَكْرَهُ اَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَىٰ و...... ۱۰۴
قوله عليه السلام: اَدْرَكْتُ وَتَرِى مِنْ بَنِى عَبْدِ مَنَافٍ وَاَفْلَتَنِى اَعْيَانُ بَنِى جُمَحَ . ۱۰۵
قوله عليه السلام: لَقَدْ أَتْلَعُوا اَعْنَاقَهُمْ اِلَىٰ اَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا اَهْلَهُ فَوُقِصُوا دُونَهُ... ۱۰۶
ومن كلامٍ له عليه السلام (۲۱۸) ۱۰۹
قوله عليه السلام: قَدْ اَحْيَا عَقْلَهُ وَأَمَاتَ نَفْسَهُ حَتَّىٰ الى قَلْبَهُ وَاَرْضَىٰ رَبَّهُ **متن** . ۱۰۹
اللّغة ۱۰۹
المعنىٰ ۱۰۹
الشّرح ۱۱۰
قوله عليه السلام: قَدْ اَحْيَا عَقْلَهُ وَأَمَاتَ نَفْسَهُ ۱۱۰
قوله عليه السلام: حَتَّىٰ دَقَّ جَلِيلُهُ وَلَطُفَ غَلِيظُهُ وَبَرَقَ لَهُ لاَمِعٌ كَثِيرُ الْبَرْقِ ... ۱۱۵
قوله عليه السلام: فَاَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ وَتَدَافَعَتْهُ الْأَ و...... ۱۱۷
قوله عليه السلام: وَثَبَتَتْ رِجْلاَهُ بِطُمَأْنِينَةِ بَدَنِهِ فِى قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ ۱۱۸
ومن كلام له عليه السلام (۲۱۹) ۱۲۱
قوله عليه السلام: يَا لَهُ مَرَاماً مَا اَبْعَدَهُ وَزَوْراً مَا الى عُقُولِ اَهْلِ الدُّنْيَا**متن** ۱۲۳
اللّغة ۱۲۳
المعنىٰ ۱۲۵
الشّرح ۱۲۹
قوله عليه السلام يَا لَهُ مَرَاماً مَا اَبْعَدَهُ وَزَوْراً مَا اَغْفَلَهُ وَخَطَراً مَا اَفْظَعَهُ. ۱۳۱
قوله عليه السلام: لَقَدْ اسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ اَىَّ مُدَّكِرٍ وَتَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ و...... ۱۳۲
قوله عليه السلام: يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ اَجْسَاداً خَوَتْ وَحَرَكَاتٍ سَكَنَتْ. ۱۳۳
قوله عليه السلام: لَقَدْ نَظَرُوا اِلَيْهِمْ بِاَبْصَارِ الْعَشْوَةِ وَضَرَبُوا مِنْهُمْ و...... ۱۳۴
قوله عليه السلام: تَطَأُونَ فِى هَامِهِمْ وَتَسْتَنْبِتُونَ فِى اَجْسَادِهِمْ و...... ۱۳۵
قوله عليه السلام: وَاِنَّمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَنَوَائِحُ عَلَيْكُمْ ۱۳۷
قوله عليه السلام: سَلَكُوا فِى بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلاً سُلِّطَتِ الْأَرْضِ و...... ۱۳۸

قوله ﷺ: فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَاداً لاَ يَنْمُونَ و........ ١٣٩
قوله ﷺ: غُيَّباً لاَ يَنْتَظِرُونَ وَشُهُوداً لاَ يَحْضُرُونَ.............. ١٤٠
قوله ﷺ: وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً فَتَشَتَّتُوا وَ الآفاً فَافْتَرَقُوا وَمَا عَنْ و....... ١٤٠
قوله ﷺ: فَكَأَنَّهُمْ فِي ارْتِجَالِ الصِّفَةِ صَرْعَى سُبَاتٍ و............ ١٤١
قوله ﷺ: بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَى التَّعَارُفِ وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الاخَاءِ.. ١٤٢
قوله ﷺ: فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ وَبِجَانِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلاَّءُ..... ١٤٢
قوله ﷺ: شَاهِدُوا مِنْ أَخْطَارِ دَارِهِمْ أَفْظَعَ مِمَّا خَافُوا وَرَأَوْا و....... ١٤٣
قوله ﷺ: فَكِلْتَا الْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إِلَى مَبَاءَةٍ فَاتَتْ مَبَالِغَ و..... ١٤٣
قوله ﷺ: لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ الْعِبَرِ وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانٌ و...... ١٤٤
قوله ﷺ: فَقَالُوا كَلَحَتِ الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ وَخَوَتِ الأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ... ١٤٤
قوله ﷺ: وَتَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ فَانْمَحَتْ و........... ١٤٥
قوله ﷺ: فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ و.......... ١٤٥
قوله ﷺ: وَهَمَدَتِ الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقْظَتِهَا وَعَاثَ و..... ١٤٦
قوله ﷺ: وَسَهَّلَ طُرُقَ الآفَةِ إِلَيْهَا مُسْتَسْلِمَاتٍ فَلاَ أَيْدٍ و....... ١٤٦
قوله ﷺ: لَهُمْ فِي كُلِّ فَظَاعَةٍ صِفَةُ حَالٍ لاَ تَنْتَقِلُ وَغَمْرَةٌ لاَ تَنْجَلِي... ١٤٦
قوله ﷺ: فَكَمْ أَكَلَتِ الأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ وَأَنِيقِ لَوْنٍ و.......... ١٤٦
قوله ﷺ: يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ وَيَفْزَعُ إِلَى الصَّلَوةِ و..... ١٤٧
قوله ﷺ: فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ الدُّنْيَا إِلَيْهِ و....... ١٤٨
قوله ﷺ: إِذْ وَطِئَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ وَنَقَضَتِ الأَيَّامُ قُوَاهُ و......... ١٤٨
قوله ﷺ: فَفَزِعَ إِلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ الأَطِبَّاءُ مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ و....... ١٤٩
قوله ﷺ: حَتَّى فَتَرَ مُعَلِّلُهُ وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ.... ١٥١
قوله ﷺ: وَخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ وَتَنَازَعُوا شَجِيَّ و....... ١٥٢
قوله ﷺ: فَقَائِلٌ هُوَ لِمَا بِهِ وَمُمَنٍّ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ و............. ١٥٢
قوله ﷺ: فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ وَدُعَاءٍ و..... ١٥٣

قوله ﷺ: وَاِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ اَفْظَعُ مِنْ اَنْ تُسْتَغْرَقَ و...... ١٥٣
ومن كلامٍ له ﷺ (٢٢٠) ١٥٥
قوله ﷺ: اِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الذِّكْرَ جِلاءً الى لَهَا حَسِيبٌ غَيْرَكَ متن ١٥٦
اللّغة...... ١٥٦
المعنىٰ...... ١٥٦
الشّرح...... ١٥٨
قوله ﷺ: اِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الذِّكْرَ جِلاءً لِلْقُلُوبِ تَسْمَعُ و...... ١٥٩
قوله ﷺ: وَمَا بَرِحَ لِلّٰهِ عَزَّتْ آلاؤُهُ فِي الْبُرْهَةِ وَفِي اَزْمَانِ و...... ١٦٣
قوله ﷺ: فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقْظَةٍ فِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَفْئِدَةِ...... ١٦٤
قوله ﷺ: مَنْ اَخَذَ الْقَصْدَ حَمِدُوا اِلَيْهِ طَرِيقَهُ وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ و...... ١٦٧
قوله ﷺ: وَحَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ وَكَانُوا كَذٰلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ و...... ١٦٧
قوله ﷺ: وَاِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلاً اَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلاً فَلَمْ و...... ١٦٨
قوله ﷺ: يَقْطَعُونَ بِهِ اَيَّامَ الْحَيَاةِ وَيَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ عَنْ و...... ١٦٨
قوله ﷺ: وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ و...... ١٦٩
قوله ﷺ: فَكَاَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا اِلَى الْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا و...... ١٧٠
قوله ﷺ: فَكَاَنَّمَا اطَّلَعُوا غُيُوبَ اَهْلِ الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الْإِقَامَةِ و...... ١٧٠
قوله ﷺ: فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةِ و...... ١٧٢
قوله ﷺ: لَرَاَيْتَ اَعْلامَ هُدىً وَمَصَابِيحَ دُجىً قَدْ حَفَّتْ بِهِمْ و...... ١٧٨
قوله ﷺ: وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ فِي مَقَامٍ اطَّلَعَ و...... ١٨١
قوله ﷺ: فَرَضِيَ سَعْيَهُمْ وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ يَتَنَسَّمُونَ و...... ١٨٢
قوله ﷺ: لِكُلِّ بَابِ رَغْبَةٍ اِلَى اللّٰهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ يَسْأَلُونَ و...... ١٨٣
قوله ﷺ: فِي فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ و...... ١٨٤
ومن كلام له ﷺ (٢٢١) ١٨٩
قوله ﷺ: اَدْحَضُ مَسْئُولٍ حُجَّةً، وَاَقْطَعُ مُغْتَرٍّ الى مَطَايَا التَّشْمِيرِ متن. ١٩٠

اللّغة ١٩٠
المعنىٰ ١٩١
الشّرح ١٩٣
قوله عليه السلام: أَدْحَضُ مَسْئُولٍ حُجَّةً، وَاَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْذِرَةً لَقَدْ ... ١٩٤
قوله عليه السلام: يَا اَيُّهَا الْاِنْسَانُ مَا جَرَّاَكَ عَلَىٰ ذَنْبِكَ وَمَا غَرَّكَ و..... ١٩٥
قوله عليه السلام: فَلَرُبَّمَا تَرَىٰ الضَّاحِيَ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ اَوْ تَرَىٰ و...... ١٩٦
قوله عليه السلام: فَمَا صَبَّرَكَ عَلَىٰ دَائِكَ وَجَلَّدَكَ عَلَى مُصَابِكَ و.......... ١٩٧
قوله عليه السلام: وَكَيْفَ لاَ يُوقِظُكَ خَوْفَ بَيَاتِ نِقْمَةٍ وَقَدْ تَوَرَّطْتَ و..... ١٩٧
قوله عليه السلام: وَكُنْ لِلّٰهِ مُطِيعاً وَبِذِكْرِهِ آنِساً.................... ١٩٨
قوله عليه السلام: وَتَمَثَّلْ فِي حَالِ تَوَلِّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ يَدْعُوكَ و...... ٢٠٣
قوله عليه السلام: فَتَعَالَىٰ مِنْ قَوِيٍّ مَا اَكْرَمَهُ وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ......... ٢٠٤
قوله عليه السلام: مَا اَجْرَاَكَ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ وَاَنْتَ فِي كَنَفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ و..... ٢٠٥
قوله عليه السلام: وَايْمُ اللّٰهِ لَوْ أَنَّ هٰذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَّفِقَيْنِ فِي و..... ٢٠٦
قوله عليه السلام: وَحَقّاً اَقُولُ مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ وَلٰكِنْ بِهَا اَغْتَرَرْتَ......... ٢٠٦
قوله عليه السلام: وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلاَءِ بِجِسْمِكَ وَالنَّقْصِ و...... ٢٠٧
قوله عليه السلام: وَلَئِنْ تَعَرَّفْتَهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ و...... ٢٠٨
قوله عليه السلام: وَلَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَاراً وَمَحَلُّ مَنْ لَمْ و............ ٢٠٩
قوله عليه السلام: إِذَارَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ وَحَقَّتْ بِجَلاَئِلِهَا الْقِيَامَةُ وَلَحِقَ و....... ٢١٠
قوله عليه السلام: فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٌ وَعَلاَئِقِ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ ٢١١
قوله عليه السلام: وَتَيَسَّرْ لِسَفَرِكَ وَشِمْ بَرْقَ النَّجَاةِ وَأَرْحِلْ مَطَايَا التَّشْمِيرِ.... ٢١١
ومن كلامٍ له عليه السلام (٢٢٢) **٢١٣**
قوله عليه السلام: وَاللّٰهِ لَأَنْ اَبِيتَ عَلَىٰ حَسَكِ السَّعْدَانِ **الى** وَ بِهِ نَسْتَعِينُ **متن** . ٢١٤
اللّغة ٢١٤
المعنىٰ ٢١٥

الشّرح ٢١٦
قوله ﷺ: وَاللّٰهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً و........ ٢١٦
قوله ﷺ: وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبِلَى قُفُولُهَا و........ ٢١٧
قوله ﷺ: وَاللّٰهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَمَاحَنِي و........ ٢١٨
قوله ﷺ: وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ غُبْرَ الأَلْوَانِ مِنْ و........ ٢١٩
قوله ﷺ: وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً فَأَصْغَيْتُ و........ ٢١٩
قوله ﷺ: فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ و........ ٢٢٠
قوله ﷺ: فَقُلْتُ لَهُ ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ و........ ٢٢٠
قوله ﷺ: فَقُلْتُ: هَبِلَتْكَ الْهَبُولُ أَعَنْ دِينِ اللّٰهِ أَتَيْتَنِي و........ ٢٢٦
قوله ﷺ: وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا . ٢٢٧
قوله ﷺ: مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى نَعُوذُ بِاللّٰهِ و........ ٢٢٧
ومن دُعاء له ﷺ (٢٢٣) ٢٣١
قوله ﷺ: اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ وَلَا تَبْذُلْ الى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ متن.. ٢٣١
اللّغة........ ٢٣١
المعنى ٢٣١
الشّرح ٢٣٢
قوله ﷺ: اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ وَلَا تَبْذُلْ جَاهِيَ بِالْإِقْتَارِ........ ٢٣٢
قوله ﷺ: فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبِي رِزْقِكَ وَاسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ و........ ٢٣٤
قوله ﷺ: فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبِي رِزْقِكَ وَاسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ و........ ٢٣٥
قوله ﷺ: وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْاعْطَاءِ وَالْمَنْعِ و........ ٢٣٥
ومن خطبةٍ له ﷺ (٢٢٤) ٢٣٧
قوله ﷺ: دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ وَبِالْغَدْرِ الى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ... ٢٣٧
اللّغة........ ٢٣٨
المعنى ٢٣٨

الشّرح ٢٣٩
قوله ﷺ: دَارٌ بِالْبَلاَءِ مَحْفُوفَةٌ وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ لاَ تَدُومُ و.......... ٢٣٩
قوله ﷺ: احْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ و..... . ٢٤٠
قوله ﷺ: وَإِنَّما أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ تَرْمِيهِمْ و...... ٢٤١
قوله ﷺ: وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ انَّكُمْ وَمَا انْتُمْ فِيهِ مِنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا و..... . ٢٤١
قوله ﷺ: مِمَّنْ كَانَ اَطْوَلَ مِنْكُمْ اَعْمَاراً وَاَعْمَرَ دِيَاراً و........... ٢٤٢
قوله ﷺ: اَصْبَحَتْ اَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً وَرِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً و........... ٢٤٣
قوله ﷺ: فَاسْتَبْدَلُوا بِالْقُصُورِ الْمُشَيَّدَةِ وَالنَّمَارِقِ و............ ٢٤٤
قوله ﷺ: بَيْنَ اَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ وَاَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ و......... ٢٤٥
قوله ﷺ: عَلَى مَابَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجِوَارِ وَدُنُوِّ الدَّارِ وَكَيْفَ و......... ٢٤٥
قوله ﷺ: فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ وَبُعْثِرَتِ الْقُبُورُ و....... ٢٤٦
ومن دعاء له ﷺ (٢٢٥) ٢٤٩
قوله ﷺ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ آنَسُ الْآنِسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ الى عَلَىٰ عَدْلِكَ **متن**.... ٢٤٩
اللّغة........................ ٢٤٩
المعنىٰ........................ ٢٤٩
الشّرح........................ ٢٥٠
قوله ﷺ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ آنَسُ الْآنِسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ.............. ٢٥٠
قوله ﷺ: وَاحْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَةِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ.............. ٢٥٢
قوله ﷺ: تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ وَتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ و..... . ٢٥٤
قوله ﷺ: إِنْ اَوْحَشَتْهُمُ الْغُرْبَةُ آنَسَهُمْ ذِكْرُكَ وَإِنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمْ و..... . ٢٥٥
قوله ﷺ: اللَّهُمَّ إِنْ فَهِهْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي اَوْ عَمِيتُ عَنْ طِلْبَتِي و....... ٢٥٧
قوله ﷺ: اللَّهُمَّ احْمِلْنِي عَلَىٰ عَفْوِكَ وَلاَ تَحْمِلْنِي عَلَىٰ و....... ٢٥٨
ومن كلام له ﷺ (٢٢٦) ٢٥٩
قوله ﷺ: لِلَّهِ بَلاَءُ فُلاَنٍ فَقَدْ قَوَّمَ الْأَوَدَ الى وَلاَيَسْتَيْقِنُ الْمُهْتَدِي. **متن** ٢٥٩

اللّغة ۲۵۹
المعنىٰ ۲۵۹
الشّرح ۲۶۰
قوله عليه السلام: لِلّٰهِ بَلاءُ فُلانٍ فَقَدْ قَوَّمَ الْأَوَدَ وَداوَى الْعَمَدَ خَلَّفَ و..... ۲۶۴
قوله عليه السلام: ذَهَبَ نَقِيَّ الثَّوْبِ قَلِيلَ الْعَيْبِ اَصابَ خَيْرَها وَسَبَقَ و..... ۲۶۵
ومن كلام له عليه السلام (۲۲۷) ۲۶۷
قوله عليه السلام: وَبَسَطْتُم يَدِى فَكَفَفْتُها وَمَدَدْتُمُوها **الى** اِلَيْها الْكِعابُ **متن** .. ۲۶۷
اللّغة ۲۶۷
المعنىٰ ۲۶۷
الشّرح ۲۶۸
قوله عليه السلام: وَبَسَطْتُم يَدِى فَكَفَفْتُها وَمَدَدْتُمُوها فَبَقَضْتُها ۲۶۸
قوله عليه السلام: ثُمَّ تَداكَكْتُمْ عَلَيَّ تَداكَ الْاِبِلِ الْهِيمِ عَلىٰ و..... .... ۲۶۸
قوله عليه السلام: حَتّىٰ اِنْقَطَعَتِ النَّعْلُ وَسَقَطَتِ الرِّداءُ وَوُطِئَ الضَّعِيفُ ۲۶۹
قوله عليه السلام: وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ اِيّاىَ اَنِ ابْتَهَجَ بِها و...... ۲۶۹
ومن خطبة له عليه السلام (۲۲۸) ۲۷۱
قوله عليه السلام: فَاِنَّ تَقْوَى اللّٰهِ مِفْتاحُ سَدادٍ وَذَخِيرَةٌ **الى** قُلُوبِ اَحْيائِهِمْ **متن** ۲۷۲
اللّغة ۲۷۲
المعنىٰ ۲۷۳
الشّرح ۲۷۴
قوله عليه السلام: فَاِنَّ تَقْوَى اللّٰهِ مِفْتاحُ سَدادٍ وَذَخِيرَةُ مَعادٍ وَعِتْقٌ مِنْ و...... ۲۷۴
قوله عليه السلام: بِها يَنْجَحُ الطّالِبُ وَيَنْجُو الْهارِبُ وَتَنالُ الرَّغائِبُ ۲۷۵
قوله عليه السلام: فَاعْمَلُوا وَالْعَمَلُ يُرْفَعُ وَالتَّوْبَةُ تَنْفَعُ وَالدُّعاءُ يُسْمَعُ و..... .. ۲۷۶
قوله عليه السلام: فَاِنَّ الْمَوْتَ هادِمُ لَذّاتِكُمْ وَمُكَدِّرُ شَهَواتِكُمْ وَمباعِدُ طِيّاتِكُمْ ۲۷۷
قوله عليه السلام: قَدْ اَعْلَقَتْكُمْ حَبائِلُهُ وَتَكَنَّفَتْكُمْ غَوائِلُهُ وَاقْصَدَتْكُمْ مَعابِلُهُ... ۲۷۸

قوله ﷺ: وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ وَتَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدْوَتُهُ و...... ٢٧٩
قوله ﷺ: فَيُوشِكُ اَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِى ظُلَلِهِ وَاحْتِدَامُ عِلَلِهِ و...... ٢٧٩
قوله ﷺ: وَبَعَثَ وُرَّاثَكُمْ يَقْتَسِمُونَ تُرَاثَكُمْ بَيْنَ حَمِيم و...... ٢٨٠
قوله ﷺ: فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالْاِجْتِهَادِ وَالتَّأَهُّبِ وَالِاسْتِعْدَادِ و...... ٢٨٠
قوله ﷺ: وَلاَ تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ و...... ٢٨١
قوله ﷺ: الَّذِينَ احْتَلَبُوا دِرَّتَهَا وَاَصَابُوا غِرَّتَهَا وَاَفْنَوْا عِدَّتَهَا و...... ٢٨١
قوله ﷺ: فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَاِنَّهَا غَدَّارَةٌ خَدُوعٌ مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ و...... ٢٨٢
قوله ﷺ : فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ و...... ٢٨٦
قوله ﷺ: تَقَلَّبُ اَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَىْ اَهْلَ الْآخِرَةِ يَرَوْنَ اَهْلَ و...... ٢٨٦
ومن خطبةٍ له ﷺ (٢٢٩) ٢٨٧
قوله ﷺ: فَصَدَعَ بِمَا اُمِرَ وَبَلَّغَ رِسَالاَتِ الى الْقَادِحَةِ فِى الْقُلُوبِ **متن** . ٢٨٧
اللّغة...... ٢٨٧
المعنىٰ ٢٨٧
الشّرح ٢٨٨
قوله ﷺ: فَصَدَعَ بِمَا اُمِرَ وَبَلَّغَ رِسَالاَتِ رَبِّهِ ٢٨٨
قوله ﷺ: فَلَمَّ اللّهُ بِهِ الصَّدْعَ وَرَتَقَ بِهِ الْفَتْقَ وَاَلَّفَ و...... ٢٨٨
قوله ﷺ: بَعْدَ العَدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ فِى الصُّدُورِ وَالضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ و...... ٢٨٩
ومن كلامٍ له ﷺ (٢٣٠) ٢٩١
قوله ﷺ: اِنَّ هٰذَا الْمَالَ لَيْسَ لِى وَلاَ لَكَ الى تَكُونُ لِغَيْرِ اَفْوَاهِهِمْ **متن** . ٢٩١
اللّغة...... ٢٩١
المعنىٰ ٢٩١
الشّرح ٢٩٢
قوله ﷺ: اِنَّ هٰذَا الْمَالَ لَيْسَ لِى وَلاَ لَكَ وَاِنَّمَا هُوَ فَىْءٌ و...... ٢٩١
قوله ﷺ: فَاِنْ شَرِكْتَهُمْ فِى حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ وَاِلاَّ و...... ٢٩٢

ومن كلامٍ له عليه السلام (٢٣١) ٢٩٣
قوله عليه السلام: اَلَا اِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الْاِنْسَانِ **الى** يَعُولُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرَهُمْ **متن** ٢٩٣
اللّغة ٢٩٣
الشّرح ٢٩٣
قوله عليه السلام: اَلَا اِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الْاِنْسَانِ ٢٩٣
قوله عليه السلام: فَلاَ يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ اِذَا امْتَنَعَ وَلاَ يُمْهِلُهُ النُّطْقُ اِذَا اتَّسَعَ ٢٩٤
قوله عليه السلام: وَاِنَّا لَأُمَرَاءُ الْكَلَامِ وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ وَعَلَيْنَا و...... .... ٢٩٦
قوله عليه السلام: وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللّهُ اِنَّكُمْ فِى زَمَانِ الْقَائِلِ فِيهِ و...... .... ٢٩٧
قوله عليه السلام: اَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى الْعِصْيَانِ مُصْطَلِحُونَ عَلَىٰ و...... .... ٢٩٧
قوله عليه السلام: لاَ يُعَظِّمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ وَلاَ يَعُولُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرَهُمْ ٢٩٨
ومن كلامٍ له عليه السلام (٢٣٢) ٢٩٩
قوله عليه السلام: اِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِئُ طِينَتِهِمْ **الى** اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ **متن** ٢٩٩
اللّغة ٢٩٩
الشّرح ٣٠٠
قوله عليه السلام: اِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِئُ طِينِهِمْ وَذٰلِكَ اَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً و....... ٣٠٠
قوله عليه السلام: فَهُمْ عَلَىٰ حَسَبِ قُرْبِ اَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ وَعَلَىٰ و...... .... ٣٠٤
قوله عليه السلام: فَتَامُّ الرُّوَاءِ نَاقِصُ الْعَقْلِ وَمَادُّ الْقَامَةِ قَصِيرُ و...... .... ٣٠٤
ومن كلامٍ له عليه السلام (٢٣٣) ٣١١
قوله عليه السلام: بِاَبِى اَنْتَ وَاُمِّى لَقَدْ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ **الى** مِنْ بَالِكَ **متن** ٣١١
اللّغة ٣١١
المَعنىٰ ٣١١
الشّرح ٣١٢
قوله عليه السلام: بِاَبِى اَنْتَ وَاُمِّى لَقَدْ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَالَمْ يَنْقَطِعْ و...... .... ٣١٢
قوله عليه السلام: خَصَّصْتَ حَتَّىٰ صِرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاكَ وَعَمَّمْتَ و...... .... ٣١٢

قوله عليه السلام: وَلَوْلاَ أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ و...... ٣١٣
قوله عليه السلام: وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلاً وَالْكَمَدُ مُحَالِفاً وَقَلاًّ لَكَ ٣١٣
قوله عليه السلام: وَلٰكِنَّهُ مَا لاَ يُمْلَكُ رَدُّهُ وَلاَ يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ و........ ٣١٣
ومن كلام له عليه السلام (٢٣٤) ٣٢٣
قوله عليه السلام: فَجَعَلْتُ أَتْبَعُ مَأْخَذَ رَسُولِ اللّٰهِ صلى الله عليه وآله **الى** إِلَى الْعَرَجِ **متن**.... ٣٢٣
ومن خطبةٍ له عليه السلام (٢٣٥) ٣٣١
قوله عليه السلام: فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفَسِ الْبَقَاءِ **الى** بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللّٰهِ **متن** ٣٣١
اللّغة........ ٣٣١
المعنىٰ........ ٣٣١
الشّرح........ ٣٣٢
قوله عليه السلام: فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفَسِ الْبَقَاءِ وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ و........ ٣٣٢
قوله عليه السلام: قَبْلَ أَنْ يَخْمُدَ الْعَمَلُ وَيَنْقَطِعَ الْمَهَلُ وَيَنْقَضِيَ و........ ٣٣٢
قوله عليه السلام: فَأَخَذَ امْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ وَأَخَذَ مِنْ حَيٍّ لِمَيِّتٍ و........ ٣٣٣
قوله عليه السلام: امْرُؤٌ خَافَ اللّٰهَ وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَى أَجَلِهِ وَمَنْظُورٌ إِلَى عَمَلِهِ.... ٣٣٤
قوله عليه السلام: اِمْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا فَأَمْسَكَهَا و........ ٣٣٥
ومن كلام له عليه السلام (٢٣٦) ٣٣٧
قوله عليه السلام: جُفَاةٌ طَغَامٌ عَبِيدٌ أَقْزَامٌ جُمِعُوا **الى** وَإِلَى صَفَاتِكُمْ تُرْمَىٰ **متن**. ٣٣٧
اللّغة........ ٣٣٧
المعنىٰ........ ٣٣٨
الشّرح........ ٣٣٨
قوله عليه السلام: جُفَاةٌ طَغَامٌ عَبِيدٌ أَقْزَامٌ جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَتُلُقِّطُوا و..... ٣٣٩
قوله عليه السلام: مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ وَيُعَلَّمَ وَيُدَرَّبَ وَيُوَلَّى و...... ٣٣٩
قوله عليه السلام: لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَلاَ مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ. ٣٤٠
قوله عليه السلام: وَالْإِيمَانَ أَلاَ وَإِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ و........ ٣٤١

قوله عليه السلام: وَإِنَّمَا عَهْدَكُمْ بِعَبْدِ اللّهِ بْنِ قَيْسٍ بِالأَمْسِ يَقُولُ و........... ٣٤١
قوله عليه السلام: فَإِنْ كَانَ صَادِقاً فَقَدْ أَخطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ و........... ٣٤٢
قوله عليه السلام: فَادْفَعُوا فِى صَدْرِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِعَبْدِ اللّهِ و........... ٣٤٢
قوله عليه السلام: أَلا تَرَوْنَ إِلَىٰ بِلادِكُمْ تُغْزَىٰ وَإِلَىٰ صَفَاتِكُمْ تُرْمَىٰ........... ٣٤٣

ومن خطبةٍ له عليه السلام (٢٣٧)........... ٣٥١

قوله عليه السلام: هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ الى وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ متن........... ٣٥١
اللّغة........... ٣٥١
المعنىٰ........... ٣٥١
الشّرح........... ٣٥٢
قوله عليه السلام: هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ........... ٣٥٤
قوله عليه السلام: يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ........... ٣٦٠
قوله عليه السلام: لاَ يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَلاَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَهُمْ دَعَائِمُ و........... ٣٦٢
قوله عليه السلام: بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَىٰ نِصَابِهِ وَانْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ و........... ٣٧١

ومن كلامٍ له عليه السلام (٢٣٨)........... ٣٧٩

قوله عليه السلام: يَا بْنَ عَبَّاسٍ مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ الى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً متن........... ٣٧٩
اللغة........... ٣٧٩
المعنىٰ........... ٣٧٩
الشّرح........... ٣٨٠
قوله عليه السلام: يَا بْنَ عَبَّاسٍ مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِى جَمَلاً و........... ٣٨٠

ومن كلامٍ له عليه السلام (٢٣٩)........... ٣٨٩

قوله عليه السلام: وَاللّهُ مُسْتَادِيكُمْ شُكْرَهُ وَمُوَرِّثُكُمْ الى لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ متن........... ٣٨٩
اللّغة........... ٣٨٩
المعنىٰ........... ٣٨٩

الشّرح ٣٩٠
قوله عليه السلام: وَاللّٰهُ مُسْتَادِيكُمْ شُكْرَهُ وَمُوَرِّثُكُمْ أَمْرَهُ و..... ٣٩٠
قوله عليه السلام: لِيَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ فَشُدُّوا عُقَدَ الْمَازِرِ وَاطْوُوا و..... ٣٩١
قوله عليه السلام: وَلاَ تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ و..... ٣٩١
ومن كتاب له عليه السلام (١) **٣٩٦**
قوله عليه السلام: مِنْ عَبْدِ اللّٰهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام **الى** إِنْ شَاءَ اللّٰهُ**متن**... ٣٩٦
اللّغة........................ ٣٩٦
المعنىٰ ٣٩٧
الشّرح ٣٩٧
قوله عليه السلام: مِنْ عَبْدِ اللّٰهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ٧ إِلَىٰ أَهْلِ الْكُوفَةِ و..... ٣٩٧
قوله عليه السلام: أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّىٰ يَكُونَ و..... ٤٠١
قوله عليه السلام: فَكُنْتُ رَجُلاً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أُكْثِرُ اسْتِعْتَابَهُ وَأُقِلُّ عِتَابَهُ ... ٤٠١
قوله عليه السلام: وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ و..... ٤٠١
قوله عليه السلام: وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةُ غَضَبٍ........................ ٤٠٢
قوله عليه السلام: فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ وَبَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرِهِينَ و..... ٤٠٤
قوله عليه السلام: وَاعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهِجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا و..... ٤١١
ومن كتاب له عليه السلام (٢)........................ **٤١٥**
قوله عليه السلام: وَجَزَاكُمُ اللّٰهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ **الى** وَدُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ**متن** ... ٤١٥
الشّرح ٤١٥
من كتاب له عليه السلام (٣)........................ **٤١٦**
قوله عليه السلام: بَلَغَنِي أَنَّكَ ابْتَعْتَ دَاراً بِثَمَانِينَ **الى** مِنْ عَلاَئِقِ الدُّنْيَا**متن** ... ٤١٧
اللّغة........................ ٤١٧
الشّرح ٤١٧
قوله عليه السلام: أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لاَ يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ وَلاَ و..... ٤١٨

قوله عليه السلام: حَتَّىٰ يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً وَيُسْلِمَكَ اِلَىٰ قَبْرِكَ خَالِصاً. . ۴۱۸
قوله عليه السلام: فَانْظُرْ يَاشُرَيْحُ لاَ تَكُونُ ابْتَغَتَ هٰذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ و........ ۴۱۸
قوله عليه السلام: فَإِذَا اَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الْآخِرَةِ. ۴۱۹
قوله عليه السلام: اَمَا اِنَّكَ لَوْ كُنْتَ اَتَيْتَنِى عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ و....... . ۴۱۹
قوله عليه السلام: وَالنُّسْخَةُ هٰذِهِ:هٰذَا مَا اشْتَرَىٰ عَبْدٌ ذَلِيلٌ مِنْ مَيِّتٍ قَدْ و...... ۴۱۹
قوله عليه السلام: الْحَدُّ الْأَوَّلُ يَنْتَهِى اِلَىٰ دَوَاعِى الْآفَاتِ وَالْحَدُّ و........... ۴۱۹
قوله عليه السلام: اشْتَرَىٰ هٰذَا الْمُغْتَرُّ بِالْأَمَلِ مِنْ هٰذَا الْمُزْعَجِ و..... . . . . ۴۲۰
قوله عليه السلام: فَعَلَىٰ مُبَلْبِلِ اَجْسَامِ الْمُلُوكِ وَسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ و...... ۴۲۱
قوله عليه السلام: اِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ (وَخَسِرَ هُنَالِكَ و.......... ۴۲۱
ومن كتاب له عليه السلام (۴)....................................... ۴۲۴
قوله عليه السلام: فَإِنْ عَادُوا اِلَىٰ ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذَاكَ **الى** اَغْنَىٰ مِنْ نُهُوضِهِ**متن** . . ۴۲۴
اللّغة. ۴۲۴
المعنىٰ ۴۲۴
الشّرح ۴۲۵
قوله عليه السلام: فَإِنْ عَادُوا اِلَىٰ ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذَاكَ الَّذِى نُحِبُّ. ۴۲۵
قوله عليه السلام: فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ مُغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ وَقُعُودُهُ و..... . . . . . . ۴۲۵
ومن كتاب له عليه السلام (۵)....................................... ۴۲۷
قوله عليه السلام: وَ اِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ وَلٰكِنَّهُ **الى** لَكَ وَالسَّلاَمَ **متن** . . ۴۲۷
اللّغة. ۴۲۷
المعنىٰ ۴۲۷
الشّرح ۴۲۸
قوله عليه السلام: وَ اِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ وَلٰكِنَّهُ فِى عُنُقِكَ و..... . . . . . . ۴۲۸
قوله عليه السلام: لَيْسَ لَكَ اَنْ تَفْتَاتَ فِى رَعِيَّةٍ وَلاَ تُخَاطِرَ اِلَّا بِوَثِيقَةٍ و..... . . . ۴۲۹

ومن كتابٍ له ﷺ (٦).......................... **۴۳۰**
قوله ﷺ: إِنَّهُ بَايَعَنِى الْقَومُ الَّذِينَ بَايَعُوا الى مَا بَدَالَكَ وَالسَّلاَمُ **متن** . . ۴۳۰
اللّغة.......................... ۴۳۰
المعنىٰ.......................... ۴۳۰
الشّرح.......................... ۴۳۱
قوله ﷺ: إِنَّهُ بَايَعَنِى الْقَومُ الَّذِينَ بَايَعُوا اَبَابَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ و..... . ۴۳۱
قوله ﷺ: فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ اَنْ يَخْتَارَ وَلاَ لِلْغَائِبِ اَنْ يَرُدَّ.......... ۴۳۲
قوله ﷺ: فَاِنْ خَرَجَ عَنْ اَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ اَوْ بِدْعَةٍ رَدُّوهُ اِلىٰ و..... . ۴۳۳
ومن كتابٍ له ﷺ (۷).......................... **۴۳۵**
قوله ﷺ: اَمَّا بَعْدُ فَقَدْ اَتَتْنِى مِنْكَ مَوْعِظَةٌ الى فِيهَا مُدَاهِنٌ **متن**..... ۴۳۵
اللّغة.......................... ۴۳۵
المعنىٰ.......................... ۴۳۵
الشّرح.......................... ۴۳۶
قوله ﷺ: وَمِنْهُ لِاَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لاَ يُثَنّىٰ فِيهَا النَّظَرُ و...... ۴۳۷
ومن كتابٍ له ﷺ (۸).......................... **۴۳۸**
قوله ﷺ: اَمَّا بَعْدُ فَإِذَا اَتَاكَ كِتَابِى فَاحْمِلْ الى فَخُذْ بَيْعَتَهُ وَالسَّلاَمُ **متن**. . ۴۳۸
اللّغة.......................... ۴۳۸
الشرح.......................... ۴۳۸
ومن كتابٍ له ﷺ (۹).......................... **۴۴۳**
قوله ﷺ: فَاَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا وَاجْتِيَاحَ الى لُقْيَانَهُ وَالسَّلاَمَ لِأَهْلِهِ. . . ۴۴۳
اللّغة.......................... ۴۴۴
المعنىٰ.......................... ۴۴۴
الشّرح.......................... ۴۴۵
قوله ﷺ: فَاَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا وَاجْتِيَاحَ اَصْلِنَا وَهَمُّوا بِنَا و...... ۴۴۶

قوله عليه السلام: وَاَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ فَعَزَمَ اللّٰهُ لَنَا عَلَى الذَّبِّ و........ ۴۵۱
قوله عليه السلام: وَمَنْ اَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ و........ ۴۵۵
قوله عليه السلام: وَكَانَ رَسُولُ اللّٰهِ ٩ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ وَاحْجَمَ النَّاسُ و..... ۴۵۵
قوله عليه السلام: وَارَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي و........... ۴۵۸
قوله عليه السلام: فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ اِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ و........ ۴۵۹
قوله عليه السلام: وَاَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَةِ عُثْمانَ اِلَيْكَ فَاِنِّي نَظَرْتُ و..... ۴۵۹
قوله عليه السلام: وَلَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيِّكَ وَشِقَاقِكَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ و...... ۴۶۰
قوله عليه السلام: لاَ يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ وَلاَ بَحْرٍ وَلاَ جَبَلٍ و........... ۴۶۰
ومن كتاب له عليه السلام (۱۰) ۴۶۱
قوله عليه السلام: وَكَيْفَ اَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ الى مُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ **متن** . ۴۶۲
اللّغة.. ۴۶۲
المعنىٰ ۴۶۲
الشّرح ۴۶۴
قوله عليه السلام: وَكَيْفَ اَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلاَبِيبُ و.......... ۴۶۴
قوله عليه السلام: مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا............. ۴۶۴
قوله عليه السلام: وَاِنَّهُ يُوشِكُ اَنْ يَقِفَكَ وَاقِفٌ عَلَىٰ مَا لاَ يُنْجِيكَ و.......... ۴۶۴
قوله عليه السلام: فَاقْعَسْ عَنْ هٰذَا الْأَمْرِ وَخُذْ اُهْبَةَ الْحِسَابِ وَشَمِّرْ و....... ۴۶۵
قوله عليه السلام: وَمَتىٰ كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ وَوُلاَةَ اَمْرٍ و.......... ۴۶۵
قوله عليه السلام: وَنَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ وَأُحَذِّرُكَ و.......... ۴۶۶
قوله عليه السلام: وَقَدْ دَعَوْتَ اِلَىٰ الْحَرْبِ فَدَعَ النَّاسَ جَانِباً و........... ۴۶۸
قوله عليه السلام: فَاَنَا اَبُو حَسَنٍ قَاتِلُ جَدِّكَ وَاَخِيكَ وَخَالِكَ شَدْخاً و....... ۴۶۹
قوله عليه السلام: مَا اسْتَبْدَلْتُ دِيناً وَلاَ اسْتَحْدَثْتُ نَبِيّاً وَاِنِّي لَعَلَى و........ ۴۷۶
قوله عليه السلام: فَكَاَنِّي قَدْ رَاَيْتُكَ تَضِجُّ مِنَ الْحَرْبِ إِذَا عَضَّتْكَ و......... ۴۷۸
قوله عليه السلام: وَكَاَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ و.......... ۴۷۹

قوله ﷺ: وَكَأَنّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ و........ ٤٨٢
ومن وصيةٍ له ﷺ (١١)........................ ٤٨٥
قوله ﷺ: فَإِذْ انزَلْتُمْ بِعَدُوٍ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ الى إِلَّا غِرَاراً أَوْ مَضْمَضَةً **متن**.. ٤٨٥
اللّغة.. ٤٨٥
المعنىٰ.. ٤٨٦
الشّرح.. ٤٨٦
قوله ﷺ: فإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوٌ أو نَزَلَ بِكُمْ فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ و.......... ٤٨٦
قوله ﷺ: واجْعَلُوا لَكُم رُقَباءَ فِي صَياصِي الْجِبالِ ومَناكِبِ و........ ٤٨٧
قوله ﷺ: وَإِيَّاكُمْ والتَّفرّقَ فإِذا نَزَلْتُمْ فأنْزِلُوا جَمِيعاً وإِذَا و......... ٤٨٨
ومن وصيةٍ له ﷺ (١٢)........................ ٤٨٩
قوله ﷺ: اتَّقِ اللَّهَ الَّذِي لأبدَّ لَكَ منْ لِقائِهِ ولا **الى** والإعْذَارِ إِلَيهِمْ **متن** ٤٨٩
اللّغة.. ٤٨٩
المعنىٰ.. ٤٨٩
الشّرح.. ٤٩٠
قوله ﷺ : اتَّقِ اللَّهَ الَّذِي لابُدَّ لَكَ منْ لِقائِهِ وَلا مُنْتَهَىٰ لَكَ دُونَهُ ٤٩٠
قوله ﷺ: ولا تُقاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قاتَلَكَ وَسِرِ البَرْدَيْنَ وغَوِّرْ و........... ٤٩١
قوله ﷺ: ولا تَسِر أوّلَ اللّيْلِ فإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَكَناً وقَدَّرَهُ و........ ٤٩١
قوله ﷺ: فَأَرِح فِيهِ بَدَنَكَ ورَوِّح ظَهْرَكَ فإِذا وَقَفْتَ حَيْنَ و........ ٤٩٢
قوله ﷺ: فإِذَا لَقِيتُ الْعَدوَّ فَقِف منْ أصْحابِكَ وَسَطاً ٤٩٤
قوله ﷺ: وَلا تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يُرِيدُ أنْ يَنْشِبَ الْحَرْبَ و..... ٤٩٤
قوله ﷺ: ولا يَحمِلَنَّكم شَنَأنُهمْ عَلىٰ قِتالِهِمْ قَبْلَ دُعائِهِمْ و........ ٤٩٤
ومن كتاب له ﷺ (١٣)........................ ٤٩٥
قوله ﷺ: وقدْ أَمَّرْتُ عَليكما وعلىٰ مَنْ في حَيِّزِ **الى عَنْهُ أَمْثَلُ متن**... ٤٩٥
اللّغة.. ٤٩٥

الشّرح ٤٩٥
قوله ﷺ: وقدْ أَمَرتُ عَليكما وَعَلى مَنْ في حَيِّزكما و........................ ٤٩٥
قوله ﷺ: وأجْعَلاَهُ دِزعاً ومِجَناً فإنَّهُ مِمَّنْ لا يَخافُ وَهْنَهُ و........ ٤٩٦
ومن وصيةٍ له ﷺ (١٤)........................... ٤٩٩
قوله ﷺ: لا تُقاتِلُوهُمْ حتَىٰ يَبْدَؤُكُمْ فإنَّكُمْ الى عليْهِ أظْهَرُوهُ **متن**... ٤٩٩
اللّغة.. ٥٠٠
المعنىٰ.. ٥٠٠
الشّرح.. ٥٠١
قوله ﷺ: لا تُقاتِلُوهُمْ حتَىٰ يَبْدَؤُكُمْ فإنَّكُمْ بِحَمْدِ اللّهِ و.... .... ٥٠١
قوله ﷺ: فَاذَا كانَتِ الهَزِيمَةُ بإذنِ اللّهِ فَلاَ تَقْتُلُوا مُدبِراً و........... ٥٠٢
قوله ﷺ: ولا تَهِيجُوا النِّساءَ بأذىً وإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ و..... ...... ٥٠٣
قوله ﷺ: إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكاتٌ و.......... ٥٠٤
قوله ﷺ: وإنْ كانَ الرَّجُلَ فأنّ التّقدير وأنّه كان الرَّجُلَ لِيتَناول و..... ٥٠٤
قوله ﷺ: اللَّهمّ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ ومُدَّتِ الأَعْناقُ .وشَخَصَتِ و..... ٥٠٤
قوله ﷺ: اللَّهمّ قَدّ صَرَّحَ مَكْتُومُ الشّنَآنِ وجاشَتْ مَراجِلُ و..... ..... ٥٠٥
قوله ﷺ: ولا تَشْتَدَنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَها كَرَّةٌ ولا جَوْلَةٌ بَعْدَها و....... ٥٠٥
قوله ﷺ: واذمُرُوا أَنْفُسَكُم علىٰ الطَّعْنِ الدَّعْسِيِّ وَالضَّرْبِ و....... ٥٠٥
قوله ﷺ: فَوَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسمةَ مَا أَسْلَمُوا و............ ٥٠٦
ومن كتاب له ﷺ (١٥)........................... ٥٠٨
قوله ﷺ: فَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ فَإِنِّي لمْ الى نَفْسِكَ سَبِيلاً **متن**..... ٥٠٨
اللّغة.. ٥٠٨
المعنىٰ.. ٥٠٩
الشّرح.. ٥١٠
قوله ﷺ: فأمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لاعْطِيَكَ الْيَوْمَ و..... ... ٥١٠

قوله عليه السلام: وأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ الْحَربَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلَّا و............... ٥١٠
قوله عليه السلام: وأَمَّا اسْتِوَاؤُنا في الْحَربِ وَالرِّجالِ فَلَسْتَ بِأَمْضَىٰ و......... ٥١١
قوله عليه السلام: وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدَ مَنافٍ فَكَذٰلِكَ نَحْنُ وَلَكِنْ و...... ٥١١
قوله عليه السلام: ولا المُهاجِرُ كالطَّلِيقِ ولاَ الصَّرِيحُ كاللَّصِيقِ ٥٣١
قوله عليه السلام: ولَبِئْسَ الخَلَفُ يَتْبَع سَلَفاً هَوَىٰ في نارِ جَهَنَّمَ ٥٣٣
قوله عليه السلام: وَفي أيْدِينا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتي أَذْلَلنا و............... ٥٣٤
قوله عليه السلام: ولمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجاً وأَسْلَمَتْ لهُ و....... ٥٣٦
قوله عليه السلام: كُنْتمْ مِمَّنْ دَخَلَ في الدِّينِ إِمَّا رَغْبةً وإِمَّا رهَبَةً علىٰ و...... ٥٣٧
قوله عليه السلام: فَلاَ تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطانِ فِيكَ نَصِيباً ولا عَلىٰ نَفْسِكَ سَبِيلاً... ٥٣٨
ومن كتاب له عليه السلام (١٦) ٥٣٩
قوله عليه السلام: إِعْلَمْ أنَّ البَصْرَةَ مَهْبَط إِبْلِيسَ الى فِيكَ والسَّلاَمُ **متن**....... ٥٣٩
اللغة.. ٥٣٩
المعنىٰ ٥٣٩
الشّرح ٥٤٠
قوله عليه السلام: وإِعْلَمْ أَنَّ البَصْرَةَ مَهْبَطُ إِبْلِيسَ وَمَغْرَسُ الفِتَنِ.......... ٥٤١
قوله عليه السلام: فَحادِثْ أهْلَها بالإِحْسَان إِلَيْهِمْ وَاحْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ و...... ٥٤١
قوله عليه السلام: وقَدْ بَلَغَني تَنَمُّرُكَ لِبَني تَمِيم وغِلْظَتَكَ عَلَيْهِمْ و............ ٥٤١
قوله عليه السلام: وَإِنَّهُمْ لَمْ يَسْبَقُوا بِوَغْمٍ فِي جاهِلِيَّةٍ وَلا إِسْلاَمٍ و.......... ٥٤٢
قوله عليه السلام: نَحْنُ مأْجورُونَ علىٰ صِلَتِهاومأزُورُونَ علىٰ قَطِيعَتِها....... ٥٤٢
قوله عليه السلام: فَأَربَعْ أَبا العَبَّاسِ رَحِمَكَ اللَّهُ فِيمَا جَرىٰ عَلىٰ و........... ٥٤٤
قوله عليه السلام: وَكُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّي بِكَ وَلا يَفِيَنَّ رَأيِي فِيكَ وَالسَّلاَمُ.. ٥٤٥
ومن كتاب له عليه السلام (١٧) ٥٤٦
قوله عليه السلام: أمَّا بَعْدُ فَإِنَّ دَهاقِينَ أهْلِ بَلَدِكَ الى والإقْصاءِ إنْ شاءَ اللَّهُ.. ٥٤٦
اللّغة.. ٥٤٦

المعنىٰ ٥۴۶
الشّرح ٥۴٧
قوله عليه السلام: أَمَّا بَعْدُ فإِنَّ دَهاقينَ أَهْلَ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ غِلْظَةً و..... ..... ٥۴٧
قوله عليه السلام: ونَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلاً لأَنْ يُدْنَوْا لِشِرْكِهِمْ ولا أَنْ و........ ٥٥٠
قوله عليه السلام: فالْبَسْ لَهُمْ جِلْباباً مِنَ اللِّينِ تَشُوبُهُ بِطَرَفٍ و........... ٥٥٠
ومن كتاب له عليه السلام (١٨) ٥٥٢
قوله عليه السلام: وإِنِّي أُقْسِمُ بِاللَّهِ قَسَماً صادِقاً لَئِنْ **الى** الأَمْرِ والسَّلاَمِ **متن** ... ٥٥٢
اللّغة ٥٥٢
المعنىٰ ٥٥٢
الشّرح ٥٥٣
قوله عليه السلام: لأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الوَفْرِ ثَقِيلَ و.......... ٥٥٣
ومن كتاب له عليه السلام (١٩) ٥٥۴
قوله عليه السلام: فَدَعِ الإِسْرَافَ مُقْتَصِداً. وأذْكُرْ **الى** مَا قَدَّمَ وَالسَّلاَمُ **متن** ٥٥۴
اللّغة ٥٥۴
المعنىٰ ٥٥۴
الشرح ٥٥٥
قوله عليه السلام: فَدَعِ الإِسْرَافَ مُقْتَصِداً. واذْكُرْ فِي اليَوْمِ غَداً و.......... ٥٥٥
قوله عليه السلام: وتَطْمَعُ وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ تَمْنَعهُ الضَّعِيفَ و....... ٥٥٩
قوله عليه السلام: وَإِنَّمَا المَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ وقادِمٌ علىٰ مَاقَدَّمَ وَالسَّلاَمُ .. ٥٥٩
ومن كتاب له عليه السلام (٢٠) ٥۶٠
قوله عليه السلام: أَمَّا بَعْدُ فإِنَّ المَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرَكُ **الى** فِيما بَعْدَ الْمَوْتِ.... ٥۶٠
اللّغة ٥۶٠
المعنىٰ ٥۶٠
الشّرح ٥۶١

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ١٠٧٥٤٦
التاريخ ١١/٨/٩

قوله ﷺ أَمَّا بَعْدُ فإنَّ المَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرَكُ مَا لمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ و........ ٥٦١
قوله ﷺ: فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ منْ آخِرَتِكَ ولْيَكُنْ أَسَفُكَ و..... . ٥٦٢
قوله ﷺ: ومَا نِلْتَ مَنْ دُنْيَاكَ فَلاَ تُكْثِر فيهِ فَرَحاً ومَا فاتَكَ و...... ٥٦٢
ومن وصَيةٍ له ﷺ (٢١)........................ ٥٦٤
قوله ﷺ: وصِيتّي لَكُمْ أَنْ لا تُشرِكُوا بِاللَّهِ الى عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ للأَبْرَارِ.. ٥٦٤
اللغه........................ ٥٦٤
المعنىٰ........................ ٥٦٤
الشّرح........................ ٥٦٥
قوله ﷺ وصِيَّتي لَكُمْ أَنْ لا تُشرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً وَمُحَمَّدٌ ٩ فلاَ و..... ٥٦٥
قوله ﷺ: أنا بالأَمْسِ صَاحِبكُمْ وَالْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ وَغداً مُفَارِقُكُمْ.... ٥٦٨
قوله ﷺ: إِنْ أَبْقَ فأَنَا وَلِيُّ دَمِي وإِنْ أَفْنَ فالْفَنَاءُ ميعادِي وإِنْ و..... ٥٦٩
قوله ﷺ: وَاللَّهِ مَا فَجأَنِي منَ الْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ وَلا طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ... ٥٦٩
قوله ﷺ: ومَا كُنْتُ إِلَّا كَقارِبٍ وَرَدَ وطَالِبٍ وَجَدَومَا عِنْدَ و...... ٥٧٠
ومن وصَيةٍ له ﷺ (٢٢)........................ ٥٧٢
قوله ﷺ: هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلَيُّ ﷺ الى الرِّقُّ وحَرَّرَها الْعِتْقَ متن. ٥٧٢
اللّغة........................ ٥٧٣
المعنىٰ........................ ٥٧٣
الشّرح........................ ٥٧٤
قوله ﷺ: هذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدَ اللَّهِ عَلِيُّ بْنُ أبي طَالِبٍ فِي مَالِهِ و....... ٥٧٥
قوله ﷺ: وَإِنَّهُ يَقُومُ بِذَلِكَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يأكُلُ مِنْهُ و....... ٥٧٥
قوله ﷺ: وَإِنَّ لِبَنِي فَاطِمَةَ منْ صَدَقَةِ عَلِيٍّ مِثْلَ الَّذِي لِبَنِي عَلِيٍّ ٥٧٥
قوله ﷺ : وإِنّي إِنَّمَا جَعَلْتُ الْقِيامَ بِذَلِكَ إِلىٰ ابْنَيْ فاطِمَةَ و...... ٥٧٥
قوله ﷺ: ويَشْتَرِطُ علىٰ الَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَ الْمالَ علىٰ و...... ٥٧٦
قوله ﷺ: وأَنْ لاَ يَبِيعَ مِن أَوْلاَدِ نَخِيلِ هذِهِ القُرىٰ ودِيةً حَتّىٰ و...... ٥٧٦

قوله ﷺ: وَمَنْ كَانَ منْ إمائِي اللاّتِي أطُوفُ عَلَيْهِنَّ لها وَلَدٌ أوْ و...... ٥٧٧
ومن وصيةٍ له ﷺ (٢٣) ٥٧٨
قوله ﷺ: إنْطَلِقْ علىٰ تَقْوَىٰ اللّهِ وَحْدَهُ الىإنْ شَاءَ اللّهُ تعالىٰ**متن** ... ٥٧٩
اللّغة ٥٧٩
المعنىٰ ٥٨٠
الشّرح ٥٨٢
قوله ﷺ: إنْطَلِقْ علىٰ تَقْوَىٰ اللّهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ٥٨٢
قوله ﷺ: فإذَا قَدِمْتَ عَلىٰ الحيِّ فَانْزِلْ بمَائِهِمْ مِنْ غَيْرِ و........ ٥٨٣
قوله ﷺ: وإنْ أنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ فانطَلِقْ مَعَهُ منْ غَيْرِ أنْ تُخِيفَهُ و..... ٥٨٥
قوله ﷺ: فإذَا أتَيْتَها فَلاَ تَدْخُلْ عَلَيْها دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ و...... ٥٨٥
قوله ﷺ: ولا تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَةً وَلا تُفْزِعَنَّها وَلا تَسُوءَنَّ صَاحِبَها فِيها... ٥٨٦
قوله ﷺ: وَلا تأمَنَنَّ عَلَيْهَا إلَّا مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ رَافِقاً بِمَالِ و........ ٥٨٧
قوله ﷺ: ثُمَّ أحْدَر إلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ نُصَيِّرْهُ حَيْثُ و...... ٥٨٨
قوله ﷺ ولْيُورِدْها ما تَمُرُّ به من الْغُدْرِ ولا يَعْدَلْ بهَا عَنْ نَبْتٍ و..... ٥٨٩
ومن كتاب له ﷺ (٢٤) ٥٩٠
قوله ﷺ: آمُرُهُ بِتَقْوَىٰ اللّهِ فِي سَرَائِرِ أمْرِهِ**الى** غِشُّ الأئِمَّةِوالسَّلاَم**متن**. ٥٩٠
اللغة ٥٩٠
المعنىٰ ٥٩١
الشّرح ٥٩٢
قوله ﷺ: آمُرُهُ بِتَقْوَىٰ اللّهِ فِي سَرَائِرِ أمْرِهِ وَخَفِيَّاتِ عَمَلِهِ و...... ٥٩٢
قوله ﷺ: وآمُرُهُ أنْ لا يَجْبَهَهُمْ وَلا يَعْضَهَهُمْ وَلا يَرْغَبَ عَنْهُمْ و...... ٥٩٣
قوله ﷺ: وإنَّ لَكَ فِي هَذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً وَحقّاً و...... ٥٩٤
قوله ﷺ: وإلَّا فإنَّكَ من أكْثَرِ النَّاسِ خُصُوماً يَوْمَ الْقِيامَةِ و...... ٥٩٥
قوله ﷺ: وأنّ أعظم الخيانة خيانة الأمّة وأفظَع الغِشّ غِشّ الأئمّة ... ٥٩٦